

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.



كلية العلوم الإنسانية.

قسم التاريخ.

جامعة الجزائر 2.

المجتمع المحلي بالجزائر في كتابات الرحالة الفرنسيين ما بين 1830-1900م.

Algeria's Local community in the writings of French travellers between 1830-1900.

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر.

إشراف الأستاذ:

إعداد الطالبة:

أ.د. جمال يحيياوي.

سليمة بودخانة.

الإسم واللقب	الصفة	الجامعة
أد/كمال حمزي	رئيسا	جامعة الجزائر 2
أد/جمال يحيياوي	مقررا	جامعة الجزائر 2
أد/فريد حاجي	عضوا	جامعة الجزائر 2
د/محمد جلال	عضوا	جامعة الجزائر 2
د/عاشور محفوظ	عضوا	جامعة البليدة 2
د/دراوي أحمد	عضوا	جامعة خميس مليانة

السنة الجامعية 2022 / 2023

Ministry of Higher Education and Scientific Research.



Faculty of Human Sciences

Department of History

University of Algiers 2

Algeria's Local community in the writings of French travellers between 1830-1900.

Thesis to obtain a PhD in Science in Modern and Contemporary History

The Thesis directed by:

Professor Djamel Yahiaoui

The Thesis Submitted by:

Salima Boudekha

Full Name	Quality	University
Pr Kamel Hamzi	Chairman	University of Algiers 2
Pr Djamel Yahiaoui	Reporter	University of Algiers 2
Pr Farid Hadji	Examiner	University of Algiers 2
Dr Mohamed Djalel	Examiner	University of Algiers 2
Dr Achour Mahfoud	Examiner	University of Blida 2
Dr Draoui Mhamed	Examiner	University of Khemis Miliana

The Academic Year 2022/ 2023

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى روح أبي الطاهرة وإلى أمي الغالية.

شكر وتقدير وعرفان.

أقدم شكري وإمتناني لأبي العزيز رحمه الله الذي سهر على تعليمنا وتشجيعنا على العلم والنجاح بفضل الله وبفضلك أبي العزيز رحمك الله أتممت هذه الأطروحة، ولأمي العزيزة بدعائها المتواصل وحبها الدائم.

كما أقدم شكري لمشرفي الأستاذ الدكتور جمال يحيياوي الذي أكرمني بالنصح والإرشاد والتوجيه والمساعدة وتحمل مشاق تأطيري ولم يردني رغم إنشغالاته فكان نعم المشرف والأستاذ، فلك مني أستاذي الفاضل كل التقدير والإحترام.

الشكر لكل الأساتذة الذين سهروا على تكويني منذ بدء مشواري التعليمي من مسقط رأسي بإبتدائية عبد الحميد بن باديس ببلدية صالح بوالشعور إلى المتوسطة القديمة وثانوية محمد بلوزداد بولاية سكيكدة.

كل الشكر والإمتنان لأساتذتي بقسم التاريخ جامعة الإخوة منتوري قسنطينة الذين ساهموا في تكويني من الليسانس إلى الماجستير، وأساتذة قسم التاريخ بجامعة الجزائر 2 في تكويني في دكتوراه العلوم وأخص بالذكر أستاذي بن يوسف تلمساني الذي لم ييخلنا بالدعم والمرافقة، وكذلك أخص بالشكر القائمين على مصلحة الدراسات العليا بقسم التاريخ.

كما أقدم شكري لمشرفي الثاني الأستاذ محمد العادل بالمعهد العربي للدراسات الإستراتيجية بأنقرة بتركيا.

وأقدم جزيل الشكر للأستاذين البروفيسور يوسف آدي قوزال "Yusuf Adiguzel" والبروفيسور عدنان آدي قوزال "Adnan Adiguzel" اللذين كانا نعم الأساتذة والإخوة والعائلة أثناء إقامتي بتركيا فلهم مني كل الشكر والإمتنان.

كما أقدم جزيل شكري لمشرفي وموجهي البروفيسور "جون بول بالقرينتي" "Jean-Paul Pellegrinetti" بجامعة نيس "صوفيا أنتيبوليس" "l'Université de Nice-Sophia Antipolis" وكل أساتذة مركز البحث في تاريخ البحر المتوسط الحديث والمعاصر (CMMC: Centre de la Méditerranée Moderne et Contemporaine) الذين إستضافوني ووجهوني خاصة الأستاذ "بيار إيف بوربار" "Pierre-Yves Beaurepaire"، وكذلك الأستاذة الباحثة بنفس الجامعة بمدينة "نيس" الفرنسية الأستاذة "أوديل قانيي" "Odile Gannier" التي دعمتني بتوجيهاتها المنهجية ونصائحها العلمية القيمة.

وكل الشكر لكل من يعرفني من الأساتذة بمختلف جامعات الوطن وكانوا خير مساند ومشجع أخص بالذكر الأستاذ الفاضل سعيود إبراهيم الذي ساندني وساعدني مساندة الأخ الأكبر والأستاذ تتيو نور الدين الذي كان نعم الأستاذ بتشجيعه ومساندته ودعمه بنصائحه وتوجيهاته والأستاذ بلعالية ميلود نعم المساند والمشجع،... وغيرهم كثير، لهم مني جميعا كل الشكر والإمتنان والتقدير.

كل الشكر والإمتنان لمن ساندني من عائلتي صغيرا وكبيرا خاصة أختي سميرة وزوجي محمد وكل صديقاتي وزملائي.

والشكر الجزيل لأساتذتي الكرام أعضاء لجنة المناقشة، أد/كمال حمزي، أد/فريد حاجي، د/محمد جلال، د/عاشور محفوظ، د/راوي أمحمد.

لكم مني جميعا جزيل الشكر والإمتنان والتقدير والعرفان، والحمد لله حمدا كثيرا.

قائمة المختصرات.

- 1.المجلة الإفريقية: R.A : Revue Africaine
- 2.الجمعية الأثرية والتاريخية والجغرافية لمقاطعة قسنطينة:
- S. A. H. G .C: Société archéologique, historique et géographique du département de Constantine.
- 3.مجموعة نشریات ومذكرات الجمعية الأثرية لمقاطعة قسنطينة:
- R. N.M.S.A.C : Recueil des notices et mémoires de la Société archéologique de la province de Constantine.
- 4.المجلة الفوطوغرافية: R.P :Revue photographique
- 5.لجنة الأعمال التاريخية والعلمية: C. T. H. S : Comité des travaux historiques et scientifiques
- 6.البحث في التاريخ القديم في شمال إفريقيا: R.A.N.A : Recherche des antiquités dans le Nord de l'Afrique
- 7.نصائح لعلماء الآثار والمسافرين: C.A.V : Conseils aux archéologues et aux voyageurs
- 8.نشریات اللوحات والمنحوتات ورسومات المدرسة الحديثة:
- N P S D E M : Notice des peintures, sculptures et dessins de l'Ecole moderne
- 9.معروضات قاعات العرض بالمتحف الوطني للوكسمبورغ:
- E.G.M.N.L : Exposés dans les Galeries du Musée National du Luxembourg
- 10.المتاحف الوطنية: M.N : Musées Nationaux
- 11.المجلد: V : Volume
- 12.دون طبعة: SD : Sans Editions

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات.

المجتمع المحلي بالجزائر في كتابات الرحالة الفرنسيين ما بين 1830-1900.

مقدمة.....	ص.1-14.
المدخل: قراءات حول أدب الرحلة وأهم الرحلات الفرنسية إلى إيالة الجزائر.....	ص.15-23.
القسم الأول: الرحلة إلى الجزائر أثناء فترة الإحتلال الفرنسي تصنيفاتها، وسائلها ومساراتها.....	ص.24-115.
الفصل الأول: الرحلة إلى الجزائر.....	ص.29-81.
الفصل الثاني: دليل ومسار ووسائل نقل الرحلات.....	ص.82-115.
القسم الثاني: المجتمع المحلي والإستشراق في كتابات الرحلة.....	ص.116-179.
الفصل الأول: الجزائر والاستشراق.....	ص.119-149.
الفصل الثاني: السكان المحليين في نظر الرحالة الفرنسيين : صور وإطباعات عن المحلي وفضول الآخر..	ص.150-179.
القسم الثالث: الموروث الحضاري للجزائر من خلال كتابات الرحلة.....	ص.180-279.
الفصل الأول: العمران والموروث الثقافي في الجزائر.....	ص.184-247.
الفصل الثاني: الموروث الديني والبيئي في الجزائر.....	ص.248-279.
القسم الرابع: الآخر والتأريخ المحلي.....	ص.280-339.
الفصل الأول: نظرة الآخر للأهالي بين الصراع التاريخي وفضول الإكتشاف وحتمية التواصل.....	ص.283-307.
الفصل الثاني: دور الرحلة في توثيق التاريخ المحلي.....	ص.308-339.
الخاتمة.....	ص.340-353.
الملاحق.....	ص.354-399.
قائمة المصادر والمراجع.....	ص.400-412.
فهارس الأعلام والبلدان والمصطلحات والملاحق.....	ص.413-449.
فهرس الموضوعات.....	ص.450-462.

المقدمة

المقدمة.

مثل القرن التاسع عشر مرحلة إنتقالية لنهاية العهد العثماني وبداية فترة الإحتلال الفرنسي بالجزائر التي عرفت تغيرات إجتماعية وإقتصادية إرتبطت بالوضع السياسي الجديد، فأصبحت الوجهة المفضلة لعدد الرحالة الفرنسيين الذين جاؤوا لإستكشافها والتعرف عليها وعلى سكانها، وبذلك برزت من خلال رصيد ثري بكتابات متنوعة كانت السبّاقة في التعريف بمكونات المجتمع المحلي ومحاولة إختراقه وفهمه من الداخل.

بحثنا بعنوان: "المجتمع المحلي بالجزائر في كتابات الرحالة الفرنسيين ما بين 1830-1900" ويتمحور موضوع البحث حول المجتمع المحلي بالجزائر في الفترة الإستعمارية من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين، أي يدور حول السكان الجزائريين المحليين أو الأصليين بمختلف العناصر الإثنية في مجتمع المدينة والريف، وإستخدمت مصطلح المجتمع المحلي أو الأصلي تجاوزا لمصطلح "الأهالي" الذي يكتسي صبغة كولونيالية تغذيها نظرة الآخر الذاتية المرتبطة بالسياسات الفرنسية والصراع بين السكان الأصليين والمستوطنين، أما المقومات الأساسية للموضوع فهي: المجتمع المحلي، كتابات الرحلة، الرحالة الفرنسيين، كتابات الآخر، الخطاب الكولونيالي، النظرة للآخر.

طبيعة الموضوع.

موضوع بحثنا من الدراسات المتخصصة في أدب الرحلة التاريخية أي يُعنى بالتأريخ من خلال كتابات أدب الرحلة "Les Récits de Voyage" ويدرس في إطار تاريخي محض لإستنباط تاريخ البلاد والنماذج التي إعتدناها -كما ذكرنا أعلاه- في جزأها الأكبر كتابات تاريخية لمهتمين بالأدب وبالأنثروبولوجيا الإجتماعية والدينية وأيضاً بالسياسة والفن والبعثات العلمية.

طبيعة الرحلات.

إعتمدنا على نماذج لرحلات -باعتبار تعددها وإستحالة إستخدامها كاملة- منتقاة ذات أهمية علمية وتاريخية ساهمت بالتعريف بالمجتمع المحلي في تلك الفترة، وهي مجموعة من كتابات الرحلة لرحالة فرنسيين من: مثقفين، أدباء، رسامين، موظفين، أطباء، علماء، رجال دين، عسكريين، سياسيين، صحافيين أو رحالة من عامة الناس، كتبوا عن المجتمع المحلي في القرن التاسع عشر أي ما بين 1830 و 1900 والتي أبرزت التاريخ الإجتماعي للمدينة من منظور خاص يركز على أبعاد مغايرة ساهمت في التأريخ المحلي.

وهناك كتابات رحلة لأدباء وثقوا رحلاتهم في شكل روايات ومسرحيات غلب عليها الجانب الأدبي رغم أنها تحمل في طياتها جوانب واقعية وإشارات عن الحياة الاجتماعية مما يجعل منها مصدرا للتأريخ لكن في نفس الوقت يستلزم التمهيد والتدقيق والمقارنة لإستنباط الحقائق التاريخية، وهذا ما يؤكد الكاتب "حسين محمد فهميم" في مؤلفه "أدب الرحلات" إذ يرى أن الرحلة قام بها رجال علم ودين وهواة ومغامرين، ويؤكد أن العديد من الرحالة الأوروبيين قدموا معلومات مفيدة عن الشعوب، ومهما كانت نوايا الرحلات المعلنة منها والخفية فقد إتصفت بدقة الملاحظة والوصف والتقصي في تسجيل مشاهداتهم بأمانة وصدق، وحرص بعضهم على التفريق بين المشاهدة والرواية عند تسجيل المعلومات، وهذه السمات أصبحت قواعد أساسية في حقل الدراسات الإثنوغرافية بالمعنى الحديث وعن الرحالة المسلمين حسب دراسة "عثمان موافي" عن رحلة "إبن جبیر" في القرن السادس الهجري الذي نقل صورة حية وصادقة عن المدن والمجتمعات الإسلامية في المشرق العربي وعن عادات السكان وتقاليدهم ونظمهم الاجتماعية، وكان منهجيا في وصف المدن في ثلاث نواح، هي المرافق والمشاهد والأرياض، وتضم المرافق الأسوار والحصون والمساجد والمدارس والحمامات والمياه والأسواق والماريستانات والمنازل والشوارع والأبواب، وتضم المشاهد المقابر والمولد وآثار الأنبياء والعلماء والأولياء والمواقع الإسلامية والمعابد والكنائس والآثار غير الإسلامية، وتضم الأرياض الأحياء والضواحي، وبالتالي جمع "بن جبیر" المحتوى الإثنوغرافي والعنصر الأدبي¹، وهو تقريبا ذات الوصف في كل كتابات الرحلة الغربية إلى الجزائر في القرن التاسع عشر سواءاً لرحالة فرنسيين وأوروبيين. والملاحظ هو تعدد طبيعة الرحلات ما بين الرسمية التي ترعاها سلطات الإحتلال والمرافقة للزيارات الرسمية كزيارة الملك، ورحلات شخصيات عامة وسياسية إلى البلاد سواء في إطار البعثات الرسمية أو الفردية، وأيضا الرحلات الدينية قام بها رجال دين في بعثات فردية أو في شكل إرساليات تبشيرية لمختلف المناطق شمالا وجنوبا، والرحلات العلمية الإستكشافية قام بها علماء في عديد التخصصات لدراسة النباتات أو الآثار وغيرها ودونوا ملاحظات حول الحياة الاجتماعية، ورحلات المثقفين والأدباء والكتاب والرسامين الفرنسيين في القرن التاسع عشر وعددها كبير، كذلك رحلات العسكريين في البلاد التي رصدوا من خلالها مظاهر متعددة للمجتمع المحلي وكان منهم ضباط وأطباء عسكريين تميزوا في نقل الصورة، وحتى رحلات المستوطنين الداخلية التي ساهمت في رصد الصورة الكاملة ما بين الرحالة الفرنسيين الزائرين المنبهرين بالمستوطنة وما بين المستوطنين الذين يعيشون بالمستوطنة ومدى موضوعية الصورة المركبة عن المجتمع المحلي ما بين 1830-1900 بالجزائر.

¹حسين محمد فهميم، أدب الرحلات، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 138، عالم المعرفة، 1989، الكويت، ص. 11-14.

الهدف من الدراسة.

هدف الدراسة إستخلاص بعض الصور والمظاهر التي رَكَّبَهَا الآخر بعيدا عن الطرح الكلاسيكي منها ومحتوى لتغيير الصورة النمطية لهذه الدراسات، وتقديم قراءات تاريخية تمثل قاعدة تحليلية لظواهر مجتمعية وحضارية، ورصد صور غير مدروسة في تاريخنا المحلي في تلك الفترة.

أهمية الدراسة.

لهذه الرحلات قيمة علمية في الدراسات التاريخية، إذ تعمل على رصد المجتمعات وبالتالي تساهم في عملية التوثيق والتأريخ للمجتمع المحلي، وتكمن أهمية الموضوع العلمية في تعدد وثراء الجوانب التاريخية لمجموع الكتابات الأدبية من قصص وروايات ولوحات فنية، كان لمؤلفيها من كبار الأدباء والروائيين الفرنسيين المعاصرين من رواد المدرسة الواقعية والرومانتيكية ومنهم "أليكسندر دي ما" "Alexandre Dumas"، "قاي دي موباسون" "Guy De Maupassant"، "قوستاف فلوبيير" "Gustave Flaubert"، "ثيوفيل فوتينيه" "Théophile Gautier" و"أوجين فرومونتان" "Eugène Fromentin" والرسام الشهير "دي لacroix" "Delacroix"، وغيرهم من أهم رواد الأدب والفكر والرحلة في القرن التاسع عشر. كما تكمن أهمية الموضوع أيضا في إبراز الكتابات التاريخية والسياسية والأنثروبولوجية التي رصدت تاريخ مجتمع المدينة والريف ووضحت نظرة الآخر المغاير ثقافيا وإجتماعيا للبلاد بسكانها وأعلامها ومعالِمها في الفترة الواصلة لعهدين مختلفين أين قل الاهتمام بالمجتمع في ظروف الاحتلال، وبالتالي كان لهذه الرحلات في تصورنا أهمية علمية برصيدها التاريخي الثري والمتنوع عن المجتمع المحلي.

أسباب اختيار الموضوع.

إن أهمية الموضوع وأهدافه العلمية حفرتني لدراسته، خاصة الجانب العلمي لكتابات الرحالة الذين زاروا البلاد وإنجذبوا إليها في ما يُعرف "بسحر الشرق" الذي إستهوى الغربيين وزاد من فضولهم لإماطة اللثام عن أسرار هذه القلاع وساكنتها وما رافقه من فضول لمعرفة الآخر في عمارته وعاداته وتقاليده وأعرافه ويومياته وحياته ومعتقداته وعباداته ومحاولة الغوص فيها لفهمها وإدراكها، وما مثّلته هذه المفاهيم من رمزية حضارية محلية بالنسبة للآخر، إضافة لأسباب شخصية تتمثل في إهتمامي الخاص بالأدب الفرنسي الكلاسيكي خاصة في القرن التاسع عشر فكان حافزا جذبني للموضوع، كما كان لإطلاعي على مقال علمي¹ للأستاذة الباحثة في الأدب الفرنسي السيدة "نجمة

¹Nedjma Achour., « Constantine visitée au 19^{ième} siècle, de l'exotisme à l'observation sociale », Constantine une ville, des héritages, édition Média-Plus, Constantine, 2004, P.P.113-133.

عاشور" من جامعة قسنطينة دور كبير في إيضاح فكرة الموضوع وتبسيطها فكانت رغبتني في دراسة الموضوع دراسة تاريخية تبرز دور الأدب في التأريخ الاجتماعي للبلاد، كما أنّ تنوع هذه الرحلات وتعدد توجهاتها الفكرية والثقافية فتح مجالا واسعا للتأريخ للمجتمع المحلي من خلال هذه الوثائق والشهادات المعاصرة، مما يسمح لنا بالتعمق فيها وفهمها وإعطاءها قراءات تبرز جوانب جديدة تساهم في توضيح الحقيقة التاريخية لرسم معالم واضحة عن الحياة الحضرية بالمدينة وحياة الريف والتأريخ للمجتمع بكل مكوناته اجتماعيا وثقافيا وحضاريا، وأيضا أهمية المصادر ذات القيمة التاريخية التي كتبت عن تاريخ البلاد، وإستنتاجها يساعد في وضع تصور مختلف عن التاريخ الاجتماعي بإعادة بناءه من زوايا مختلفة وقراءات محلية.

إشكالية الموضوع.

تعتبر كتابات الرحلة التي خصت المجتمع المحلي في القرن التاسع عشر متميزة ككيان تأريخي بمختلف كتاباتها التي دمجت بين ثلاثية الحقيقة والتاريخ والأسطورة، وتجسدت في دراسات وأدبيات ولوحات أرخت للمجتمع بمكوناته وبمظاهره المتنوعة التي إرتبطت في عمومها بالمخيلة الأدبية والفضول الشخصي لمعرفة الآخر، والتي عكستها قوة الإبهار والملاحظة لدى العديد من الرحالة الفرنسيين الذين زاروا البلاد وكتبوا عن المجتمع المحلي وكوّنوا عنه صورة ذات معنى، ومن هذا المنطلق تتمحور إشكالية الأطروحة حول طبيعة كتابات الرحالة الفرنسيين من مثقفين وأدباء ونظرتهن للمجتمع المحلي، وصورة المجتمع التي كونها الآخر بإختلافاته الحضارية وتياراته الفكرية وإمتداد ظاهرة الإستشراق وتأثيرها في نظرة الغرب للمجتمع المحلي، وبالتالي نركز على جوهر الطرح المرتبط "بصورة المجتمع المحلي لدى الآخر ومدى واقعيته ومصادقيته، وتأثير التيارات الفكرية في ذلك، وهل يمكننا القول أن هذه الكتابات أرخت فعلا للمجتمع المحلي وبموضوعية وهل رصدته بعمق؟ وهل يمكن لكتابات الأدب التاريخي أن تكون مصدر ومادة خبرية للتوثيق العلمي والتأريخ؟ وبالتالي إلى أي مدى يمكن إعتداد الرواية الأدبية واللوحة الفنية والبطاقة البريدية وعموما مدونات الرحلة الشخصية كوسيلة من وسائل البحث العلمي التاريخي؟ وهل يمكن ربط صورة المجتمع الجزائري المحلي المقدمة عن الآخر في ظل الأبعاد الفكرية والثقافية لكتابات الرحلة الفرنسية في القرن التاسع عشر بواقع المجتمع؟. وبالتالي نحاول رصد المميزات الخاصة والبارزة في كتابات الرحلة ودورها في التأريخ ونتعرف على جوهر ومكنون مخيلة أولئك المثقفين عن المجتمع المحلي بالجزائر مع دراسة الأبعاد الفكرية والسياسية لهذه الكتابات الأدبية التاريخية من رحلات وروايات ولوحات ونبرز دور الأدب في التأريخ وتوثيق الحياة الإجتماعية بالبلاد في تلك الفترة الإنتقالية، كما نحاول إبراز القيمة التاريخية لهذه الكتابات ونرصد مدى موضوعيتها وتنوعها وثرأها في التعريف بمعالم وأعلام المدينة وإيضاح قيمتها العلمية

ومكانتها وبيان حقيقة فاعلية دورها في الحركية التاريخية لمجتمع المحلي مع إبراز دور الأدباء والرسامين والمتقنين الفرنسيين في التعريف بالمجتمع المحلي بتفكيك الصور والمشاهد المرصودة والمنقولة وإعادة تركيبها في محاولة للتأريخ المحلي بإعتبار أن هذه الفترة من تاريخ البلاد كانت حكرًا على تأريخ الآخر بنظرته المبنية على الخطاب الكولونيالي، ونصبو لإعادة بناء الصورة بنظرتنا المحلية ونرصد المجتمع المحلي بأعيننا ونكون صورتنا الخاصة من مشاهدات وصور الآخر عنا. ولدراسة شاملة ندعم إشكالية بحثنا بمجموعة من الأسئلة الفرعية لتساعد على إيضاح القراءات وتبسيطها منها:

- 1- من هم أهم الرحالة الفرنسيين الذين زاروا البلاد وكتبوا عن المجتمع؟ وكيف كانت نظرتهم للمجتمع المحلي؟ وهل تميزت بالموضوعية أم الذاتية؟ وهل يمكن إعتبارها موضوعية في قراءاتها الوصفية أم تتدرج في إطار ذاتي محدد؟.
- 2- ما هي مميزات هذه الكتابات؟ وما مدى علميتها؟ وهل طغى عليها الخيال الأدبي؟ بمعنى كيف كان التوجه العام لهذه الكتابات هل بنمطية شائعة أم برمزية خاصة؟.
- 3- كيف أُرخت هذه الكتابات لمجتمع المدينة؟ وهل يمكن إعتبارها مصادر للتاريخ الإجتماعي؟ وكيف يمكن تقييمها؟.
- 4- ما مدى مساهمة الكتابات في إبراز خصائص الحياة الإجتماعية وأعلام ومعالَم المجتمع والمدينة؟.
- 5- هل يمكن رصد إختلاف في نظرة الرحالة تجاه السكان ؟.
- 6- ما هي عناصر الجذب التي شددت الرحالة وأبهرتهم بحياة المجتمع المحلي؟.
- 7- ما هي إنتماءات الرحالة الفكرية وهل أثرت على كتاباتهم خاصة ظاهرة الإستشراق؟.
- 8- هل كان للنظرة الكولونيالية تأثير في تكوين نظرة الرحالة للمجتمع المحلي؟.
- 9- هل كان للصراع السياسي بين الساكن المحلي والمستوطن أثر في نظرة الرحالة إلى الآخر؟.

مجال الدراسة.

ما يخص المجال الجغرافي للدراسة، في البداية كانت الفكرة تدور حول "مدينة قسنطينة" وكان لي لقاء مع المؤرخ الراحل "بوعلام بلقاسمي" -رحمه الله- ونصحني بعدم الحصر في منطقة جغرافية معينة فتقدياً لندرة المادة الخبرية وتوسيع نطاق البحث لوسيع رؤية الدراسة فأصبح المجال الجزائر. تمتد فترة البحث الزمنية في القرن التاسع عشر ما بين 1830 إلى 1900م، أي منذ إحتلال الجزائر إلى غاية نهاية القرن مع الإستقلال المالي للمستوطنة في حيز جغرافي -كما أوردنا أعلاه- مثل مستوطنة الجزائر، ونركز في البحث ما بين المناطق الحضرية والريفية الشمالية والجنوبية وواقعها من

خلال نماذج من كتابات الرحلة التي نشرها العديد من الرحالة الفرنسيين عقب الإحتلال لمحاولة رصد التاريخ الاجتماعي وتكوين صورة عن "المجتمع الجزائري" في القرن التاسع عشر.

منهج البحث.

إعتمدنا في دراستنا على المنهج التاريخي، ومجموع المناهج التي تتماشى وطبيعة الموضوع كالمناهج الوصفي الذي سألخدمه في عرض ووصف هذه الرحلات والدراسات التاريخية، والمنهج التحليلي لتحليل هذه الكتابات والدراسات وفهم أهدافها، كما نعتمد على المنهج النقدي الذي يساعد في نقد الآراء واستنباط الحقائق التاريخية الخاصة بالموضوع.

نقد مصادر الدراسة.

من أهم الكتب التاريخية المرجعية التي إعتمدنا عليها في دراستنا ما عدى مصادر الدراسة التي تحدثنا عنها في المقدمة وإستخدمناها في محتوى الأطروحة، نذكر بعض الكتب منها:

-كتاب الباحث الأكاديمي المتخصص في أدب الرحلة "سارقا موسى" "Sarga Moussa"

" La Relation Orientale, Enquête sur la communication dans les récits de voyage en Orient (1811 -1861)"

"العلاقة الشرقية، بحث في التواصل بين كتابات أدب الرحلة في الشرق (1811 -1861)"، وهو تحقيق حول الشرق وأدب الرحلة في الشرق، ويعتبر الباحث "سارقا موسى" من أهم الباحثين المختصين في أدب الرحلة والإستشراق، تُمثل دراساته مصدرا مهما للباحثين إستخدمنا مؤلفه من مكتبة جامعة نيس، وطبع من قبل دار الطبع "Klincksieck" بباريس سنة 1995، ساعدنا في الكثير من العناصر حول تحليل النظرة للآخر وخلفياتها التاريخية وتداخلها مع الإستشراق.

-كتاب "L'Orient Arabe vu par les voyageurs anglais" للباحثة الأكاديمية "جوال رضوان" Joëlle Redouane حول "الشرق العربي في نظر الرحالة الإنجليز"، وطبع بالجزائر سنة 1988، هي دراسة مهمة رغم أنها تعالج النظرة الإنجليزية تخدمنا في فهم وتحليل النظرة للآخر والخلفية التاريخية المتوارثة بين الرحالة الغربيين حول الشرق وساكنيه، كما ترصد تصادم الثقافات.

-كتاب مهم به نصوص مختلفة عن أدب الرحلة عبر العصور بعنوان "أدب الرحلة" "Les Récits de Voyage" للباحثة الفرنسية "Virginie Belzgaou"، من سلسلة "فوليو بليس" "Folioplus Classiques"

ومن طبع Paris éditions Gallimard سنة 2008، أفادنا في الإطلاع على الخلفيات الفكرية للرحلة في مختلف أنحاء العالم ويبقى كتاب توجيهي جيد لفهم الرحلة عبر العالم.

- كتاب الباحثة المتخصصة "نجمة بن عاشور" حول "قسنطينة وكتابها الرحالة" "Constantine et ses écrivains-Voyageurs" طبع سنة 2015 في دار الطبع شهاب الجزائر العاصمة، وهو مؤلف مهم جدا يدرس الرحالة الفرنسيين وكتاباتهم عن الجزائر من متخصصة في الأدب الفرنسي وتتقاطع دراستها مع دراستنا إلا أننا كما قدمنا ذلك أننا حاولنا رصد صور محددة من أولئك الرحالة عن الجزائر، وبالتالي تفادينا التكرار في رصد ما كتب عن الجزائر وقدمنا الدراسة من زاوية تاريخية بعيدا عن الدراسات الأدبية ودراسات علم الاجتماع، وأفادتنا كثيرا هذه الدراسة وكما قلنا سابقا كانت من الباحثين الذين مثلوا القاعدة الخلفية لنا للخوض في هذه الدراسة.

-كتاب الباحث الفرنسي فرانك لوران، "الرحلة إلى الجزائر، مقتطفات للرحالة الفرنسيين في الجزائر المستعمرة 1830-1930"، من طبع "روبار لوفون" ببيارس سنة 2008.

Franck Laurent., Le Voyage en Algérie, Anthologie de voyageurs Français Dans L'Algérie Coloniale 1830 -1930, éditions Robert Laffont, S.A, Paris, 2008.

من أهم الدراسات حول أدب الرحلة في الجزائر، وهي دراسة ذات أهمية علمية ومرجع علمي أكاديمي المؤلف من 1000 صفحة، رصد فيه الكاتب كتابات الرحالة الفرنسيين وقدم مقتطفات من رحلاتهم طيلة قرن من الزمن أي من 1830 إلى غاية 1930، تمكن من جمع أكبر عدد من الرحلات في هذا المؤلف تحدث عن الحملة الفرنسية ضد الجزائر ووصفها، ثم المشاريع الأدبية ثم عن الكتابات وأبعادها، ثم عن الصحراء ومختلف الكتابات والأفكار الكولونيالية المختلفة، وتكمن أهميته في رصد مختلف الكتابات والتوجهات الفكرية للرحالة الفرنسيين، خدمني ببعض الأفكار الإضافية التي تخدم دراستي. كما كان لكبار المؤرخين الجزائريين كأبو القاسم سعد الله وأبو العيد دودو مؤلفات سابقة كان لها الفضل في تعريفنا بهذا النوع من الدراسات، كمؤلف "الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز" لأبو القاسم سعد الله، ومؤلف "الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855" لأبو العيد دودو، ودراسة "صورة الجزائر في كتابات الرحلة الأنجلوسكسونية" لعثمان بن شريف، ومؤلف "تاريخ البلاد في الرحلات الانجليزية" لحميدة أعميراوي، وغيرهم كثير ممن قدم دراسات قيمة في تاريخ الرحلة إلى الجزائر في مختلف الفترات التاريخية.

الدراسات السابقة.

تعددت الدراسات عن المجتمع الجزائري في كتابات متنوعة عن مختلف المناطق شمالا وجنوبا جلها لرحالة فرنسيين أو ضباط كـ "دي ما" وغيره ممن جابوا البلاد مسجلين ملاحظات أنثربولوجية عن السكان وطوبوغرافية عن جغرافية البلاد، نحاول الاعتماد عليها لرصد جانب دقيق عن الحياة الحضرية في نظر رحالة مميزين علميا وثقافيا نستخدم رصيدها في المحتوى، أما الدراسات المعاصرة القريبة من الموضوع فهي محدودة ومحصورة في الدراسات الأجنبية عن أنثربولوجية الرحلة بصفة عامة لكن ليس بصيغة موضوعنا المقدم عن الرحالة الفرنسيين في الجزائر ونظرتهم لمجتمع المدينة المحلي ومساهماتهم في التأريخ للمدينة بوضع معالم للتاريخ الاجتماعي للمجتمع المحلي في القرن التاسع عشر.

من الدراسات التاريخية العلمية المهمة الموازية للموضوع والتي تعتبر خارطة طريق لبحثنا أطروحة دكتوراه الحلقة الثالثة للباحثة الفرنسية "إيفيليز بارنارد" "Yvelise Bernard" نوقشت سنة 1982 بجامعة "ليون2" وطبعت كتاب سنة 1988 دار الطبع آرماتون، الرسالة تحمل عنوان "المشرق في القرن السادس عشر من خلال أدب الرحلة الفرنسية، نظرة على المجتمع المسلم".

"L'orient du XVI^e siècle à travers les récits des voyageurs français :Regards portés sur la société Musulmane, éditions l'Harmattan ,Paris, 1988".

الورقة الداخلية تحمل عنوان "المشرق في القرن السادس عشر، مجتمع مسلم مزدهر".

"L'orient du XVI^e siècle , une société musulmane florissante", préface de Nikita Elisséeff"

الكتاب من تقديم "نيكيثا إيليساف" "Nikita Elisséeff"، وتعتبر هذه الدراسة مُميّزة من حيث المنهج رغم تباعدها زمنيا عن دراستي وإختلافها، لكن تمثل خارطة طريق لمثل هذه الدراسات، قدمت من خلالها الباحثة ثمانية عشر [18] رحلة فرنسي في القرن السادس عشر زاروا العالم الإسلامي وقدموا معلومات عن المجتمع المسلم، والرحالة الذين قدمتهم الباحثة ممثلين للفكر الإنساني للنهضة، وشهاداتهم إصطدمت بجهلهم الكلي للواقع رغم أن هناك من سبقهم لذلك، إعتمدت الباحثة أيضا على رحلات مفصلة ولم تكتف بعرض ردة فعل الرحالة بل قدمت صورة المجتمع الإسلامي في تلك الفترة كما رصدتها من المصادر الكتابية للرحالة، وقدمت كل رحلة مرفوقا بالسيرة الذاتية والمسار الذي إتبعه ومهنته وديانته وتكوينه وعمره أثناء قيامه برحلته والبلدان الأوروبية الأخرى التي قام بزيارتها،

وفصلت في كتب الرحلة برصد وتحليل كل المعلومات سواء سنة النشر أو المدن التي زارها الرحالة، ولغة كتابة الرحلة وهل باللغة الأصلية أم مترجمة، مع تحليل الفهارس¹.

إضافة إلى أطروحة الباحثة الفرنسية "إيريني أبوستولو" "Irini Apostolou" بعنوان "إستشراق الرحالة الفرنسيين في القرن الثامن عشر، صور عن المشرق المتوسطي".

L'orientalisme des voyageurs français au XVIII^e siècle, Une iconographie de l'Orient méditerranéen, préface de François Moureau , PUPS , Paris , 2009

أنهت أطروحتها سنة 2003، وإتبعته فيها نفس منهجية "يفليس بارنارد" "Yvelise Bernard" واهتمت بكل ملاحظات الرحالة مما سمح لها بتكوين مشهد عن الحياة اليومية وكان هدفها من هذه الدراسة هو إعادة تكوين صورة عن الضفاف المشرقية للمتوسط "des rives orientales de la méditerranée"، من خلال الوثائق التصويرية الأصلية المرئية والتعرف على نظرة الفرنسيين تجاه عالم الشرق، كما أرادت التعرف على مغامرات رسم تلك الصور وهدف ودافع أولئك الرحالة من وراء ذلك، وفضلت إستخدام الأعمال المبتكرة في الصورة التي أراد الفرنسيين إعطاءها للمشرق المتوسطي، وقامت بالتعليق على الأعمال بمساعدة نصوص الرحالة².

كذلك مجموعة من الدراسات المماثلة في مجالات أدبية أو في فترات مختلفة تتقاطع في العديد من النقاط مع موضوع بحثنا وجلها في جامعات أجنبية ما بين الفرنسية والكندية وهي بحوث في تخصصات الآداب واللغة ومنها نذكر منها:

-رسالة دكتوراه³ في الأدب الفرنسي المقارن من جامعة "Montpellier 3" من إعداد الباحث الجزائري "سليمان آيت سيدهم" وإشراف "Marie-Ève Thérenty" ونوقشت 9 ديسمبر 2013 بعنوان:

"Les récits de voyage en Algérie dans la presse illustrée et les revues du XIX^e siècle ou l'invention d'un orient de proximité".

¹Yvelise Bernard., L'orient du XVI^e siècle à travers les récits des voyageurs français: regards portés sur la société musulmane, éditions l'harmattan, Paris, 1988, P. P.7,12 ,345.

²Irini Apostolou , L'orientalisme des voyageurs français au XVIII^e siècle, Une iconographie de l'orient méditerranéen, préface de François Moureau , PUPS , Paris , 2009,P.17.

³ Slimane Ait Sidhoum. , Les récits de voyage en Algérie dans la presse illustrée et les revues du XIX^e siècle ou l'invention d'un orient de proximité, sous la direction de Marie-Ève Thérenty, université de Montpellier 3, 2013, France.

أي حول "كتابات الرحلة في الجزائر في الصحافة المصورة والمجلات في القرن التاسع عشر أو إختراع المشرق المجاور"، والواقع لم نتمكن من الإطلاع عليها بإستثناء ملخص قصير لا يتعدى 20 سطرا حول الجزء الأول من الأطروحة أفادنا في طريقة تقسيم الباحث للرحلات.

- كذلك رسالة دكتوراء¹ في الأدب الفرنسي للحصول على شهادة عليا في الفلسفة والأدب الفرنسي من جامعة مونريال الكندية للباحثة "نادية شفيق" المقدمة في جانفي 1998 وهي بعنوان:

"Une Autre Lecture Du Maghreb à Travers l'Art scriptural et pictural Français du 19^e siècle".

أي "قراءة أخرى في المغرب من خلال الفن الديني والتصويري الفرنسي في القرن التاسع عشر" وهي أطروحة علمية مهمة جدا عالجت فيها الباحثة جوانب عديدة حول النظرة الكولونيالية والإستشراق الغربي ومختلف الكتابات.

أما الرسائل المحلية في نفس التخصص رسالة في جامعة وطنية حول المجتمع الصحراوي، هي:

- رسالة دكتوراه للباحث الجزائري رشيد رايس وهو أستاذ بجامعة تبسة من كبار الباحثين في الأدب الكولونيالي، بعنوان "صورة الجزائر والجزائري في الكتابات النثرية الفرنسية خلال القرن التاسع عشر" توفقت سنة 2005، وهي دراسة أدبية ذات أهمية علمية تشترك في موضوعنا التاريخي في بعض النقاط التي تخص الرحلة مع الإختلاف في المعالجة والدراسة ما بين المنهج التاريخي والأدبي، ولم نتمكن من الإطلاع عليها.

- كذلك توجد رسالة² ماجستير بقسم اللغة العربية وآدابها جامعة منتوري قسنطينة من إعداد الباحث أحسن دواس بعنوان "صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين مقارنة سوسيوثقافية"، هي دراسة أدبية محضة حاولت رصد معالم الحياة الإجتماعية

¹Nadia Chafik., Une autre lecture du maghreb à travers l'art scriptural et pictural Français du 19^e siècle, département d'études françaises ,faculté des arts et des sciences ,Thèse présentée à la faculté des études supérieures en vue de l'obtention du grade de philosophiae Doctor (Ph.D) en études Françaises, Janvier 1898, Université de Montréal , Canada.

² أحسن دواس، صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين مقارنة سوسيوثقافية، مذكرة لبيل درجة الماجستير في الأدب المقارن ، شعبة آداب الرحلة ، إشراف أ.لخضر عيكوس، جامعة منتوري قسنطينة 2007-20018 .

عن المجتمع الصحراوي وهي بعيدة في المعالجة والخطة والتحليل كل البعد عن دراستنا رغم الإشتراك في بعض المصادر إلا أن إستغلالها كان إستغلالا أدبيا.

-ومن الرسائل الحديثة التي صادفتنا بعد الإنتهاء من أطروحتنا منا رسالة الباحثة " بن ربيعي فطيمة" بعنوان: "صورة بلاد المغرب في كتابات الروائيين الفرنسيين في القرن التاسع عشر "موبوسان" و"لوتي" و"جيد"-أنمودجا" في تخصص آداب أجنبية من جامعة لونيبي علي-البليدة2 للسنة الجامعية 2017/2018، من إشراف الأستاذ الولي بوجمعة وغيرها كثير من الرسائل التي صادفتنا حول الرحلة في الفترة العثمانية وما بين الرحالة المحليين والأجانب، وهي من الدراسات الحديثة عن الموضوع تختلف باختلاف التخصصات والفترات الزمنية.

دراسة خطة الأطروحة.

وللإلمام بالموضوع إعتمدنا على خطة بحث تمثلت في مقدمة ومدخل وأربعة أقسام وكل قسم يتكون من فصلين وخاتمة وبيبلوغرافيا وملاحق وفهارس، وسنعرض شرحا توضيحيا للخطة.

المجتمع المحلي بالجزائر في كتابات الرحالة الفرنسيين ما بين 1830-1900.

المقدمة: قدمنا في المقدمة تعريف بالموضوع، مع ذكر أهميته والهدف من دراسته وأسباب إختياره وفيها تفصيل علمي دقيق حول الموضوع وطبيعته وطبيعة المادة الخيرية أي الرحلات التي إعتمدنا عليها في بحثنا، مع طرح مفصل، دقيق، علمي ومعق للإشكالية والأهداف المرجوة من هذا الطرح وأرفقناه بأسئلة فرعية مدعمة للإشكالية الرئيسية والجوهرية، كما حددنا حدود الدراسة الزمنية والمكانية مع تحديد لمنهج الدراسة وعرض لأهم الدراسات السابقة من رسائل جامعية وكتب. **المدخل:** بعنوان قراءات حول أدب الرحلة وأهم الرحلات الفرنسية إلى الجزائر، من خلاله حاولنا تقديم قراءة تاريخية مختصرة حول الأدب الفرنسي في القرن التاسع عشر سواء تطور أدب الرحلة أو التاريخ والنقد مع التعرّيج على الأدب الرومانسي، ثم قدمنا إشارات مختصرة عن الرحلات الفرنسية إلى الجزائر كالرحلات الفرنسية إلى الإيالة قبل الإحتلال وبعده في نقاط مختصرة بإعتبار أن هذا العنصر سيدرس بالتفصيل في القسم الثالث من الأطروحة.

القسم الأول: الرحلة إلى الجزائر أثناء فترة الإحتلال الفرنسي تصنيفاتها، وسائلها ومساراتها: في هذا القسم عرفنا بالرحلة إلى الجزائر أثناء فترة الإحتلال الفرنسي وقدمنا لها تصنيفات كما عرفنا بالوسائل والمسارات، وقسمنا هذا القسم إلى فصلين، فصل أول بعنوان: الرحلة إلى الجزائر، عرفنا من خلاله بالرحلة وآثرنا إعطاء نبذة عن الرحلة في العالم الإسلامي من النشأة إلى التطور والإنتشار، وتماشيا

ودراستنا تطرقنا إلى قراءة في أدبيات الرحلة لدى الغرب، من خلاله عرضنا الأدب والرحلة واكتشاف الآخر، ومن هنا بدأنا الحديث عن الرحالة الغربيون والمجتمع الشرقي كتوطئة للرحالة الفرنسيون والمجتمع المحلي بالجزائر، وفي الشق الثاني تطرقنا للرحلات المصدرية وتصنيفها إذ قدمنا معلومات متنوعة حول الرحلات مع تقديم تصنيف من بين عدة تصنيفات وعدة أفكار لتصنيفات متصورة كان الاختيار بينها صعبا لكن ربطناه بالمادة الخيرية وتسلسلها. وتنوعت هذه التصنيفات وفاعليها سواء الرسمية أو الفردية وتطرقنا لمختلف مكوناتها من رحلات رسمية للموظفين الرسميين والسياسيين ورجال الدين العلماء والضباط العسكريين، إلى الرحلات الخاصة أو الفردية من رحلات الأدباء والفنانين والمتقنين إلى رحلات العامة من الفرنسيين المستوطنين، مع تقديم قراءة تحليلية للرحلات المصدرية وأهدافها، أما الفصل الثاني عنوانه: دليل ومسار ووسائل نقل الرحلات، عرفنا فيه القواميس وكتب الجولة التي مثلت بوصلة للرحالة ووسيلة دعائية للزوار والسواح، وتطرقنا إلى طرق ومسار الرحلات مع التفصيل في الرحلة، بدءا بالرحلة من فرنسا إلى الجزائر بكل مراحلها من موانئ الإنطلاق والبواخر والمحطات إلى الرحلة الداخلية بالجزائر إلى رحلة العودة ومساراتها.

القسم الثاني: المجتمع المحلي والإستشراق في كتابات الرحلة، حاولنا في هذا القسم معالجة الإستشراق وكتابات الرحلة حول الجزائر والمجتمع المحلي، تطرقنا في الفصل الأول إلى الجزائر والاستشراق، إذ فصلنا في الرحلة والإستشراق لإرتباطهما خاصة وإعتبار الرحالة الفرنسيين الجزائر الشرق الحقيقي ورصدنا صور الجزائر بين اللوحات الفنية والكتابات الروائية، وهنا أدرجنا مجموعة مهمة من الرحالة الرسامين والكاتب خاصة "فرومونتان" الذي كان من أشد المعجبين بالجزائر وسكانها وطبيعتها وحاول أن يكون موضوعيا في رصده، أما الفصل الثاني فكان حول السكان المحليين في نظر الرحالة الفرنسيين : صور وإنطباعات عن المحلي وفضول الآخر، في هذا الفصل قدمنا صورة الرحالة عن المجتمع المحلي أسهبنا في عنصر المرأة وبدرجة أقل الأطفال ثم الرجال بإعتبار إهتمام الرحالة بالعنصر النسوي أكثر من غيره وتقريبا كانت صورة الرجل ثابتة في هذا الفصل عرضنا عدة نقاط منها مظاهر الحياة الإجتماعية بالجزائر من خلال كتابات الرحلة بكل خصائصها وصور السكان المحليين في عيون الرحالة الفرنسيين أين أسهبنا في الحديث عن هذه الصور محاولين رصدها بدقة خاصة عنصر المرأة والنماذج التي عرضناها مثل نموذج فاطمة المرأة التي مثلت إستثناءا في المجتمع الحضري من خلال ما مثلته من امرأة وعارضة أزياء وعارضة للرسامين وفتحت بيتها للزوار من أشهر الشخصيات الفرنسية التي زارت البلاد وأصبحت معلم من معالم مدينة الجزائر والقصة على وجه الخصوص، كما عرضنا صور عن نساء أخريات من مختلف المناطق خاصة من أولاد نايل والمرابطة لالة زينب في تنويع للصور عن المرأة المحلية.

القسم الثالث: بعنوان الموروث الحضاري للجزائر من خلال كتابات الرحلة، من خلاله حاولنا التطرق للموروث الحضاري العمراني والثقافي للجزائر من خلال كتابات الرحلة وهو قسم ثري جدا وطويل مقارنة بغيره من الأقسام الآخر للأطروحة، الفصل الأول فيه حول العمران والموروث الثقافي في الجزائر، وفيه فصلنا حول المدن الساحلية الشمالية والجنوبية مع تقديم خصوصيات تلك المدن وكانت الصور مرتبطة بالرحالة، وفي هذه العناصر فصلنا في مختلف جوانب الحياة المدنية من مرافق حياتية يومية وأماكن الراحة والنشاطات الاقتصادية، كما عرفنا ببعض المعالم الحضارية كقصر "أحمد باي" قسنطينة ثم باشرنا الحديث عن المدن الصحراوية بدءا بالحملات والبعثات الاستكشافية للصحراء وصولا إلى إستنباط أهم الصور عن الصحراء من خلال الرحالة، وكان هذا العنصر ثريا بما جاء فيه من معلومات تاريخية هامة، كما عرفنا بالقصور كأهم معالم حضارية عمرانية بالصحراء مع تقديم نماذج عنها، أما الفصل الثاني من هذا القسم عنوانه بالموروث الديني والبيئي في الجزائر، وهنا تطرقنا للموروث الديني من خلال قراءات في الطريقة والسياسة الدينية وبالتحديد الطريقة العيسوية والتي قدمنا عددي الصور عنها من خلال الآخر ورؤيته للجوانب الروحانية ولل دور الاقتصادي والاجتماعي لهذه الطريقة، أما الشق الثاني كان حول القديس أوغسطين والسياسة الدينية، إذ وثقنا لرحلة الحج إلى مدينة هيبون والصور التي قدمها الرحالة عنها من الحجاج ومن رجال الدين، أما الشق الثاني فتطرقنا إلى الموروث البيئي والاستعمار، وأدرجنا في هذا العنصر موضوع غير مدروس أكاديميا ويتعلق بالثروات الحيوانية وبالتحديد الحيوانات البرية المفترسة التي تسبب الاستعمار الفرنسي في إنقراضها في عموم البلاد بسبب عمليات الصيد التي كانت مفتوحة للسواح والزوار ومنهم الرحالة ويسبب تقنين وتشريع الصيد، ومن جهة أخرى رصدنا صور عن هذه الحيوانات البرية من خلال الثقافة الشعبية فرصدناها في الفلكلور والثقافة الشعبية لسكان البلاد، ثم رصدناها أثناء الاحتلال الفرنسي، ولتوضيح الدور السلبي للاستعمار في القضاء على هذه الثروة الحيوانية رصدنا شهادات الرحالة عن عمليات الصيد المنظم للأسود من قبل المستوطنين والضباط الفرنسيين، وأدرجنا أشهر الصيادين الفرنسيين ورحلات الصيد وبالتالي دور الاحتلال الفرنسي في إنقراض الأسود ومختلف الحيوانات البرية.

القسم الرابع: بعنوان الآخر والتأريخ المحلي، وهو خاص بالجانب الفكري النقدي لدور أدب الرحلة في التأريخ، قسمناه أيضا إلى فصلين أول حول نظرة الآخر للأهالي بين الصراع التاريخي وفضول الإكتشاف وحتمية التواصل، وفيه عرضنا نظرة الغرب للشرق ونظرة الشرق للغرب وحاولنا رصد كل المظاهر وفصلنا في الخطاب الكولونيالي وإقصاء الآخر مع رصد صور التواصل واللغة وعلاقات الصدام الثقافي، أما الفصل الثاني فكان حول دور الرحلة في توثيق التاريخ المحلي، وفيه وتعرضنا للرحلة والتأريخ ودور الرحلة في توثيق التاريخ المحلي بالتركيز على مختلف الجزئيات حول الرحالة والابداع الأدبي والحقيقة التاريخية، وفصلنا في أدب الرحلة وكتابة التاريخ، وصراع المشروعية بين

الرواية والوثيقة التاريخية وعرضنا بعض الآراء والقضايا لكتاب فرنسيين كموقف الرحالة من الحملة الفرنسية وكتابة التاريخ، كما توسعنا في كتابات الرسام "أوجان فرومونتان" وعلاقته بالجزائر من خلال القراءات النقدية، ومن جهة أخرى قدمنا آراء الباحثة المختصة في الأدب الفرنسي "نجمة عاشور" التي كانت من السباقين في دراسة هذا الموضوع، فقدما عرضا عن الرحلة والتوثيق من منظور نجمة بن عاشور وقراءة عن الكتاب الرحالة لمدينة قسنطينة، وقدما قراءة حول الرحلة والتأريخ وتأثير الإستشراق من خلال الصور الفوتوغرافية والنصوص الرحلية، وكانت لنا عدة مقارنات بين الرحالة والصورة، منها الإسقاط والتفاعل الحقيقة التاريخية.

كذلك قدمنا دراسة مختصرة عن البطاقة البريدية والموضوعية التاريخية، وكل الصور المستتبطة حول المرأة من خلال البطاقات فمثلا صورة المرأة المحلية جلها كانت مبتذلة ومشوهة، وإرتبطت بالخيال الجنسي الإستعماري، وفي الأخير قدمنا محاولة لدراسة نقدية لأهم الرحالة وهي رصد عام وتكميلي للعدد المعبر من الرحلات التي قدمناها في دراستنا إشتغل على قراءة في الرحلة والتأريخ وتأثير الإستشراق من خلال نص الرحلة بين الصورة والتحليل، والتي تنوعت بين الصور الفوتوغرافية، نص الرحلة والصورة، أين بينا تداخل وتنوع وثرأ هذه الصور بين الواقع والخيال والحقيقة التاريخية، كما قدمنا صورة المرأة المحلية من خلال اللوحات الفنية للرحالة بين المغالطات والواقع، مع التركيز على النظرة الإستعمارية والآخر، وفي الأخير أنهينا بعرض نماذج لبعض الرحالة المعلمين في مختلف الفترات في محاولة لفهم النص الرحلي بمختلف أبعاده التاريخية والسياسية والإيديولوجية المرتبطة بالأساطير الكولونيالية عن الجزائر من اللاتينية إلى الفرنسية في كتابات الرحلة بدايات القرن العشرين كما عرضنا بعض المعالم الرمزية في النص الرحلي الإستشراقي والمعالم والرموز المحلية "الشرقية" التي تعتبر جزء من المخيال الغربي للرحالة في حين كانت جزء من واقع سحر الشرق المحلي للسكان المحليين من عادات ووسائل ترفيه ما بين رحلات الصيد والفتنطازيا والضيفة التي مثلت لآخر صورة من صور ألف ليلة وليلة.

وختمنا الدراسة بخاتمة ثم الملاحق وقائمة المصادر والمراجع ثم الفهارس التي قسمناها إلى فهارس الأعلام والأماكن والمصطلحات والملاحق وفي الأخير فهرس الموضوعات.

المدخل

المدخل: قراءات حول أدب الرحلة وأهم الرحلات الفرنسية إلى إيالة الجزائر.

أولاً: قراءة تاريخية مختصرة حول الأدب الفرنسي في القرن التاسع عشر.

1. تطور أدب الرحلة.

2. أدب الرحلة منتصف القرن التاسع عشر.

3. التاريخ والنقد في فرنسا القرن التاسع عشر.

4. الأدب الرومانسي.

ثانياً: إشارات عن الرحلات الفرنسية إلى الجزائر.

1. الرحلات الفرنسية إلى إيالة الجزائر قبل الإحتلال.

2. الرحلات الفرنسية إلى الجزائر ما بعد الإحتلال.

2. 1. البعثات العسكرية.

2. 2. بعض النماذج عن الرحلات الفرنسية إلى إيالة الجزائر.

المدخل: قراءات حول أدب الرحلة وأهم الرحلات الفرنسية إلى إيالة الجزائر.

نقدم في مدخل الدراسة تعريف لمفاهيم أساسية حول الرحلة متجاوزين التعريفات الكلاسيكية كالتعريف اللغوي أو الإصطلاحي، وإقتصر تقديمنا على أدب الرحلة وتطوره وأهم الرحلات للإيالة مع إشارات حول الرحلات إلى المستوطنة كتوطئة وتقديم لعرضها ودراستها في مختلف أقسام الأطروحة.

أولاً: قراءة تاريخية مختصرة حول الأدب الفرنسي في القرن التاسع عشر.

نقدم بإختصار قراءات حول الأدب الفرنسي بفترة دراستنا لنتمكن من شرح المفاهيم الأساسية للدراسة.

1. تطور أدب الرحلة.

إعتمد النقد الأدبي مصطلح "أدب الرحلة" والذي تطور بمعايير مختلفة في مراحل محددة وإرتبط بمصطلحات كالتاريخ العام، السياسة، الثقافة والأدب، أصناف الرحالة، الدوافع، الأهداف المكتشفين، مبعوثي الملك والتجار... إلخ، بأهداف خاصة للرحلات وتقارير تتماشى وتلك الأهداف. وعرف أدب الرحلة إقبال متزايد إلى غاية القرن التاسع عشر، ففي القرن السادس عشر أحصى "جيوفروي آتكينسن" "Geoffroy Atkinson" خمسمائة وأربع وعشرون (524) رحلة فرنسية تصنف في إطار "أدب الرحلة"، وتزايدت الرحلات في القرن السابع عشر أين تضاعف هذا العدد، أما النوع فيصنف في متطلبات الفترة أي يتماشى مع كل عصر ومميزاته كرحلة "ماركو بولو" "Marco Polo" المُنون بـ "كتاب العجائب" (1298) وهي الأكثر شهرة في العصور الوسطى، وتكرر النموذج في القرن السادس عشر مع رحلة "جون دو ليري" "Jean de Léry" المُنونة بـ "تاريخ رحلة في أراضي البرازيل، أو كما تسمى أمريكا" (1578)، كذلك مؤلف "أندري ثيفات" "André Thévet" الذي يعتبر تحفة الأدب الإثنوغرافي قبل الأدب فهو يعتبر كتاب تركيب إثنوغرافي يظهر من عنوانه التوجهات العلمية المتطابقة مع مُثل النهضة، وهذه الضرورة الملحة تأكدت في القرن الثامن عشر، وكان السبق "للقس بريفوست" "l'Abbé Prévost" الذي ألف كتاب عن الرحلات في ستة عشر جزء بعنوان "التاريخ العام للرحلات (1746-1759)" وحضي بإهتمام القراء، وبالتالي عُم أدب الرحلة وعرف نجاحا كبيراً وفي القرن التاسع عشر لاحظنا ظهور فئة جديدة من الرحالة وهي فئة الكُتاب الذين تحرروا من كل وصاية وسافروا بمفردهم فنجد الكاتب يسافر لأجل نفسه وبذلك مثل هذا الوضع تغييرا للآفاق فالقيام بالرحلة أصبح هدفا للسفر أكثر منه البحث في مجال خاص¹.

¹Véronique Magri., Le discours sur l'autre à travers quatre récits de voyage en orient, Paris, Honoré Champion éditeur, 1995, P.P.1,2 .

2. تطور أدب الرحلة منتصف القرن التاسع عشر.

نحاول في هذا العنصر تقديم دراسة نقدية عن بعض المؤلفين من خلال العديد من الدراسات النقدية عن الكتاب الذين قاموا برحلات إلى الجزائر وقدموا عنها كتابات روائية في أدب الرحلة ولوحات فنية، إذ يعتبر القرن التاسع عشر أكبر العصور الأدبية في تاريخ فرنسا، ونعرض معلومات مختصرة تسمح لنا بأخذ صورة عن التوجه العام للكتاب المؤلفين الذين نعتمد على رحلاتهم، وبالتالي نتعرف على الخلفيات الفكرية والأسلوب ونرصد مؤشرات عامة عن الموضوعية في هذه الكتابات. في القرن التاسع عشر كانت الكتابات ثرية بكل ألوانها ما بين التيارات الواسعة الانتشار المعروفة كالتيار الرومانتيكي والواقعي، والألوان الأخرى كالأدب الفلسفي والسوسيولوجي والسياسي والأخلاقي التي حظيت بمكانة مرموقة في فرنسا ما بين 1815 إلى 1850، إذ مثلت الرحلة تواصل للأدب الفلسفي للقرن الثامن عشر فمثلا عرفت رحلة "شاطوبريون" "chateaubriand" نجاح كبير وطبعت وأعيد طبعها عدة مرات، وهو من ابتكر مسار رحلة الحج إلى الأرض المقدسة بالنسبة للرحالة الفرنسيين. وأصبح هذا النوع من الرحلات ممارسة أدبية يصعب تحديدها تتقارب مع أشكال أخرى مثل التاريخ الرواية، الأطروحة العلمية، العمل الشخصي، وأدب الرحلة أيضا الذي تبنى سمات السيرة الذاتية في القرن التاسع عشر، والرحالة الرومانسي كان يقوم برحلته للبحث عن الذات أكثر من معرفة الآخر خلال رحلته، والأمر المستحدث في النصف الثاني القرن التاسع عشر هو ظهور الدليل السياحي. والدليل السياحي الأول من نوعه في تاريخ أدب الرحلة يعود إلى عام 1839 لـ "مارشيبس" "Marchebus" الذي قام برحلة من باريس إلى القسطنطينية بالسفينة البخارية، وفي ما بعد ظهر دليل آخر هو "دليل جوان" "le guide de Joanne" للطبيب "إيميل إيزامبرت" "Emile Isambert" في عام 1861، وفي فترة قريبة زمنيا ظهر دليل عُرف "بالدليل في الشرق" لـ "كوتين" "quetin" عام 1864. وما يمكن ملاحظته أنه في مجال الأدب منذ خمسينات القرن التاسع عشر (1850) تحولت الرحلة أكثر نحو الواقعية مع تطور العلوم الدقيقة وإضعاف الحلم الرومنسي، كما في نهاية هذه الخلفية التاريخية لاحظنا أن الشرق الذي يراه الغرب يتأرجح باستمرار بين الشعر والحقيقة¹.

3. التاريخ والنقد في فرنسا القرن التاسع عشر.

من خلال هذا العنصر من الدراسة نتعرف على المؤلفين "الرحالة"، الذين يصفهم الناقد الفرنسي الشهير "فاقي إيميل" "Émile Faguet" بالمؤرخين، وبالتالي يعتبر كتابات الرحلة كتابات تاريخية في سياقها العام ككتابات أدبية بها جزء من التاريخ والتوثيق من خلال المشاهدة، والمؤكد أن هذه الكتابات

¹Véronique Magri., Le discours sur l'autre à travers quatre récits de voyage en orient..., Op.cit., P. 25.

تخضع إلى غربة المعلومة التاريخية من الصبغة الأدبية، ويمكن إستنباط التاريخ من الرواية بعزل الجانب الأدبي وتمحيصها وغربلتها للوصول إلى الحقيقة التاريخية المدعومة بتوثيق النص الرحلي. وخلال القرن التاسع عشر وخصوصا في النصف الأول، تعددت الدراسات التاريخية والنقد الذي يندرج في التاريخ، ومن بين المؤرخين الكتاب المستشرقين نذكر "شاطوبريان" الذي قدم دراسات تاريخية مهمة منها: "دراسات عن سقوط الإمبراطورية الرومانية" و"تحليل منطقي لتاريخ فرنسا"، وحتى الأدبيات ربطها بالتاريخ بإعتماده على رؤى من الماضي مبنية على الدراسات التاريخية. أما النقد الأدبي فأصبح جزءا من التاريخ منذ 1820، ومنذ تلك الفترة ظهر أكبر النقاد منهم "فيلمان" "Villemain" أول ناقد أكد أنه لا يمكن القيام بالتاريخ الأدبي دون التاريخ العام فبالنسبة له التاريخ العام هو إطار للتاريخ الأدبي، وبالتالي يربط الدراسات الأدبية بالدراسات التاريخية ويؤكد على تداخلها وتكاملها، ويرى إمكانية القيام برسم منظر أثري، مشهد تصويري أو لوحات شخصية تروي واقعة أو حدث تاريخي وبالتالي تصبح مؤرخ رغم كونك أديب ورسام، وهنا بدأ فعلا النقد التاريخي¹، وهذا يؤسس لدراستنا.

4. الأدب الرومانسي.

انتشرت الرواية في القرن التاسع عشر وتعددت الروائيين، تميز منهم فئة أبدعت في الخيال الأدبي من خلال كتاباتهم الروائية، وبرزت نجاحاتهم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ومنهم "أوكتاف فاييث" "Octave Feuillet"، "شاربولي" "Cherbuliez"، "الإخوة قونكور" "Les Frères Goncourt"، "أبوت" "About"، "إميل زولا" "Emile Zola"، "آلفونس دودي" "Alphonse Daudet"، "بورجي" "Bourget" و"قاي دي موباسون" "Guy De Maupassant"... إلخ، كسبوا كروائيين مميزين إحترام الجمهور الأدبي². وللتعرف على الأدباء المذكورين ننصح بالإطلاع على المؤلف النقدي الأدبي الشهير لـ "فاقي إميل"³.

ثانيا: إشارات عن الرحلات الفرنسية إلى الجزائر.

نعرض في هذا العنصر إشارات عن أهم الرحلات الفرنسية إلى إيالة الجزائر قبيل الإحتلال والتي تعددت وإرتبطت ببعثات سياسية ودبلوماسية وعلمية وبعثات جوسسة، قادها مرسلون من شخصيات مرموقة وعلمية وعسكرية إلى الإيالة.

¹Émile Faguet., Histoire de la littérature française, depuis Le XVII siècle jusqu'à nos jours, (Onzième édition), Paris, librairie Plon, Plon-Nourrit Et C^{ie} Imprimeur- Editeurs, 1900, P.P.381, 388, 389.

²Ibid., P.P. 413.414.

³Jules Huret., Enquête sur l'évolution littéraire : conversations avec MM. Renan, de Goncourt, Émile Zola, Guy de Maupassant, Huysmans, Anatole France, Maurice Barrès... etc., Paris, Bibliothèque Charpentier, 1891.

1. الرحلات الفرنسية إلى إيالة الجزائر قبل الإحتلال.

إستقبلت الإيالة الزوار وكانوا من فئات مختلفة وخاصة التجار الذين تمتعوا بإمتميازات عديدة عقب معاهدات متماثلة لإستسلام الشرق والتي كانت فرنسا أكبر مستفيد منها، كما أن فرنسا كانت تحتل مكانة مميزة من خلال الشركة الملكية لأفريقيا (1741-1793)، ويضاف إلى هؤلاء المسافرين الأوائل المبشرين ولا سيما جماعة المؤثرين في شمال إفريقيا كالدبلوماسيين، علماء الطبيعة في القرن الثامن عشر، وكتب بعضهم تقارير سفر مثل "الأب بوارى" "l'Abbé Poiret" في إفريقيا في السنوات 1785-1786 وألف كتابا عن هذه الرحلة بعنوان "رحلة في بلاد البرابرة"، وكذلك الرحالة "دي فونتان" "Desfontaines" الذي زار الإيالة عام 1785 وألف رحلته الشهيرة حول المنطقة بعنوان "مقتطفات رحلة في إيالة تونس والجزائر"، والرحالة "جان أندريه بيسونال" "Jean André Peyssonnel" الذي زار شمال أفريقيا عام 1724 وقدم تقرير عن رحلته في مؤلفه بعنوان "علاقة الرحلة على السواحل بلاد البرابرة". وتم نشر أعمال "دي فونتان" و"جان أندريه بيسونال" عام 1838 عن طريق الكاتب الفرنسي "ديرو دو لا مال" "Dureau de la Malle"، ومن هنا كان إهتمام القراء بهذه الكتابات والبلدان في وقت كانت فيه الكتابات التاريخية وكتابات الرحلة عن المنطقة غير معروفة للعامة رغم أهميتها التاريخية والعلمية كمؤلفات "بولي" "Boulet" بكتابه "تاريخ إمبراطورية الأشراف في أفريقيا" عام 1733، كما أن كتابات الأسرى أيضا لم تكن معروفة¹.

2. الرحلات الفرنسية إلى الجزائر ما بعد الإحتلال.

ما يمكن إستنتاجه في هذا العنصر، هو تنوع الرحلات إلى مستوطنة الجزائر بعد الإحتلال الفرنسي، وأخذت أبعاد مختلفة ما بين الرحلة تحت تأثير الإستشراق وإتباع الموضة التي إنتشرت على نطاق واسع بين الفرنسيين وبين الرحلة الرسمية في الزيارات المرافقة للبعثات السياسية والرحلة الدينية والعلمية ورحلة العامة المثقفين والأثرياء ورحلات الإستجمام والمداواة بالمياه المعدنية الطبيعية الساخنة ورحلات الصيد، وغيره من الأهداف التي إرتبطت بالأوضاع والظروف الخاصة للفئات المجتمعية الفرنسية، كما يجب الإنتباه إلى الإطار السياسي العام للرحلات وكل سلطة وتعاملها مع المستوطنة والسياسات المطبقة عليها وإرتباط الجوانب السياسية والإقتصادية والإجتماعية بها، وبالتالي فالرحلة كانت مرتبطة بالظروف العامة للميثروبول وسياساتها التي ساهمت في فتح باب الرحلة من الهجرة إلى الزيارة والتوثيق، كما لا نهمل التنافس الأوروبي والتوسع الإستعماري والإستيطان الذي كان حافزا قويا وحتى التنافس الطبقي والفئوي في المجتمع الفرنسي، ودور الإدارة في تشجيع الرحلة إلى المستوطنة.

¹Véronique Magri., Le discours sur l'autre..., Op.cit., P.52.

3. البعثات العسكرية.

كانت العمليات الإستكشافية للصحراء في بداياتها المبكرة، وبرز في فرنسا "بريسون" "Brisson" و"فولي" "Follie" مؤلفي "رحلة إلى صحاري الصحراء" عام 1792، كما إنتظمت مع بدايات الإستعمار الفرنسي عدة بعثات إستكشافية رسمية إلى الصحراء، وقبلها ففي 3 أوت 1829 قاد "بولينيكا" "Polignac" مشروع لغزو دول شمال إفريقيا مع باشا مصر "محمد علي باشا" بهدف تعزيز حكومة "شارل العاشر" "Charles X" وفشل هذا التحالف، وظلت فرنسا تسعى حتى يوم 5 جويلية 1830 أين تم إحتلال الجزائر، وبدأت حملات العسكرية الإستكشافية والبعثات الرسمية في مختلف مناطق البلاد¹. وبعد العديد من المناقشات أعلن دستور 1848 الجزائر جزء لا يتجزأ من الأراضي الفرنسية، وتحت حكم الإمبراطورية الثانية بدأ إهتمام العسكريين بالصحراء في الوقت الذي تأسست فيه لجنة علمية للجزائر، فظهرت العديد من المؤلفات المعروفة للعسكريين والضباط أشهرها: "الجنرال كارث" "curette" و"دافيزاك" "d'avezac" و"روزي" "Rozet"، وأهمهم على الإطلاق "الجنرال أوجين دوماس" "le général Eugène Daumas" (1802-1871) في رحلتيه الإثنتين حول الصحراء، وهي "الصحراء الجزائرية" الذي صدر عام 1845 و"الصحراء الكبرى" سنة 1848 التي تروي رحلة قافلة في الصحراء من "متليلي" "Metlili" إلى "السودان" "soudan"، والمعروف أن "الجنرال دوماس" أصبح مهتماً بالتعرف والتعريف بالجزائر، وفي عام 1837 بعد إتفاقية التافنة تم إختياره لتولي مهام قنصل مع "الأمير عبد القادر" في معسكر وأنشأ المكاتب العربية التي يديرها العسكريون لمراقبة الأهالي، كما ألف "الجنرال دوماس" العديد من الأعمال منها: كتابه "القبائل الكبرى" عام 1848 "خيول الصحراء" عام 1851 و"المبادئ العامة للفارس العربي" عام 1854 و"الأعراف والعادات الجزائرية" عام 1855، "الحياة العربية والمجتمع المسلم" عام 1869 إضافة إلى العديد من المقالات المنشورة في "مجلة العالمين" وفي مجلة العرض العسكري².

4. نماذج عن الرحلات الفرنسية إلى إيالة الجزائر.

كانت إيالة الجزائر وجهة العديد من الرحالة الغربيين وبالتحديد الفرنسيين منذ فترات سابقة للإحتلال، وبالتالي مهدت الطريق وزادت في الفضول للتعرف على الآخر، وعددها كبير ولم نشأ أن نعرض على كل الرحلات السابقة والمتقدمة في العهد العثماني وإنما نذكر بعضها قبيل الإحتلال ونركز على الرحلات المعلمية أثناء فترة الإحتلال، وبالتالي تعددت الكتابات حول إيالة الجزائر، ومن أهم ما كُتب عنها حسب "الحوليات الجديدة للرحلة، الجغرافيا والتاريخ" ما كتبه القنصل الأمريكي "وليام شالر"

¹Véronique Magri., Le discours sur l'autre..., Op.cit., P.52.

²Ibid., P.53.

"William Shaler" عن الجزائر سنة 1828 والذي جاء للتذكير بعمل الدكتور البريطاني "طوماس شو" "Thomas Shaw" المميز والذي يعتبر مصدر مهم بدقة المعلومة التي قدمها للقارئ إذ فصل في كل جوانب الإيالة من التاريخ إلى المجتمع إلى المؤسسات والإقتصاد حسب ما جاء في الحوليات¹. كما إشتهرت عدة رحلات في الفترة العثمانية بعضها كان معروفا وقُدمت حوله دراسات كالرحالة "بايسونال"، وبعضها كان مغمورا رغم أهميته وثرائه لذلك نعرض رحلة نموذجية ونعرج عليها دون تعمق لأننا نوطئ للرحلة في العهد الإستعماري ونعرض الرحلة بإختصار، ونشرت في حوليات الرحلة سنة 1830 وهي رحلة رسمية علمية إستكشافية للإيالة، قام بها العالم والطبيب الألماني المعروف "جون آرنست هابنسترايث" "Jean.Ernest HEBENSTREIT" وهو أستاذ طب في جامعة "Leipzig" سنة 1732 بتكليف وتمويل من ملك بولونيا "فريدريك أوقيسط" "FREDERIC-AUGUSTE" ألفها على شكل رسائل، عنوانها بـ"رحلة إلى الجزائر، تونس وطرابلس"²، وكانت مهمة هذه الرحلة العلمية جمع عينات من النباتات والحيوانات المتواجدة بالمنطقة، وكان الرحالة مرفوقا ببعض الشخصيات الأوروبية المهمة كالبريطاني "توماس شو" والذي كان قسيسا للجالية البريطانية في إيالة الجزائر وصاحب كتاب "رحلة إلى بلاد البرابرة والشرق". وكان عمره آنذاك تسعة وعشرين عاما [فهو من مواليد 1703 بمنطقة الصاكس Saxe ببلدة نوسطادت Neustadt sur Orla]، وتمكن "جون آرنست هابنسترايث" من كسب ثقة الداى وقدم له تسهيلات للتنقل داخل البلد فبعد زيارته للجزائر وواصل رحلته إلى تونس وطرابلس وكان من المفروض أن يتوغل في إفريقيا عبر الصحراء وصولا إلى السنغال، لكن خبر وفاة ملكه يوم 14 ماي 1733 أعاده إلى أوروبا ولقد أعجب "أوغيسط الثاني" بالنتائج التي حققها في رحلته خاصة التاريخ الطبيعي فشرفه بحمايته وعُين أستاذ طب في جامعة "Leipzig" أين إشتهر هناك واستدعي في حرب السبع سنوات وقدم خدماته، وتعرض لحمى توفي عقبها في 5 ديسمبر 1757، ترك مجموعة من الأعمال المطبوعة أما هذه الرحلة فتركها على شكل مخطوط، ثم طبعت في ما بعد مع آثاره ونشرت تحت عنوان "Kleiner Sammlung Reisen" "سلسلة الرحلات الصغيرة" من طبع Berlin et Leipzig سنة 1780 في الجزء التاسع، العاشر، الحادي عشر والثاني عشر، وكتبت هذه الرحلة على شكل رسائل موجهة للملك "أوغيسط" ولم تترجم للغة الفرنسية، في الرسالة الأولى يكتب أنه إنطلق من منطقة دراسد "Dresde" يوم 23 أكتوبر 1731 ووصل إلى مرسيليا في شهر نوفمبر، وإنطلق إلى الجزائر يوم 24 جانفي سنة 1732، والنسخة المنشورة من ترجمة مجلة الحوليات بدأت بنشر الجزء الخاص بالرحلة في الجزائر وتونس وطرابلس في عدة صفحات من الصفحة 7 إلى الصفحة 90 حيث يبدأ في سرد رحلته إلى تونس بدءا من الصفحة 70 أي في عشرين صفحة فقط، أما رحلته إلى الجزائر فسردها في 63

¹Nouvelles Annales des Voyages et des sciences géographiques, Douze année (Avril,Mai,juin 1830), publié par MM.Eyriès, de Larenaudière et Klaproth, Tome second de l'année 1830, Paris, Librairie de Gide fils, 1830, P.P.91,92.

²Ibid., P.5.

صفحة ودامت رحلته بإيالة الجزائر قرابة ستة أشهر، واشتهر هذا الرحالة الطبيب العالم بإهتماماته العلمية خاصة بعالم النباتات، وتم إختياره من قبل ملك بولونيا للقيام برحلة إلى الإيالة لما يمتلكه من صفات¹ مكنته من الترشح للقيام بهذه الرحلة العلمية الإستكشافية للإيالة للتعرف عليها وعلى بيئتها. ومن أهم الرحلات إلى الجزائر العثمانية رحلات الرحالة الفرنسيون، منها الرحلة العلمية للعالم الفرنسي ل"دي فونتان" عضو أكاديمية العلوم، النص الذي نشرته "الحوليات الجديدة للرحلة، الجغرافيا والتاريخ" معنونة بـ: "يوميات رحلة من الجزائر إلى قسنطينة ل"دي فونتان" يقدم رسالته حول البلاد في عشرين صفحة من الصفحة 78 إلى الصفحة 98 يصف الجزائر العاصمة ومدينتي قسنطينة وبونة أي عنابة ووصف خليج الجزائر العاصمة مع توضيح حدوده بالتدقيق وركز على موقع سيدي فرج، وقام بجمع النباتات بالمنطقة معلومات متنوعة عنها، كما قدم عموما معلومات قيمة عن البلاد².

¹Nouvelles Annales des Voyages et des sciences géographiques, Douze année (Avril,Mai,juin 1830) ..., Op.cit., P.6.

²Desfontaines, M., Journal du voyage d'Alger a constantine, Nouvelles Annales des Voyages et des sciences géographiques, Douze année (Avril,Mai,juin 1830), publié par MM.Eyriès, de Larenaudière et Klaproth, Tome second de l'année 1830, Paris, Librairie de Gide fils, 1830, P.P.78,79.

القسم الأول

القسم الأول: الرحلة إلى الجزائر أثناء فترة الإحتلال الفرنسي تصنيفاتها، وسائلها ومساراتها.

الفصل الأول: الرحلة إلى الجزائر.

أولاً: الرحلة، مفاهيم وإستوغرافيا.

أ: مفاهيم عن الرحلة، الظهور والتطور لدى المسلمين.

1. المفهوم التاريخي للرحلة.

2. ظهور وانتشار الرحلة في التاريخ الإسلامي.

3. المفهوم الأدبي للرحلة.

4. تطور التأليف في أدب الرحلة.

5. أهم الدراسات في أدب الرحلة.

ب: قراءة في أدبيات الرحلة، الرحلة، الإكتشاف والآخر لدى الغرب.

1. الأدب والرحلة وإكتشاف الآخر.

2. قراءات في أدب الرحلة.

3. أدب الرحلة والذاتية.

4. الرحالة.

5. الرحالة الفرنسيون والمجتمع الشرقي.

6. تصنيف الرحلات الفرنسية حسب الدراسات.

7. أهداف الرحلة.

ج. مرسليليا، بوابة الشرق.

ثانياً: الرحلات المصدريّة وتصنيفها.

أ: الرحلات الرسمية للمستوطنة.

1. رحلات الموظفين الرسميين والسياسيين ورجال الدين.

1 . 1 . الرحالة إيكزافيي مرمي "Xavier Marmier" رحلة رسمية في مرافقة للوزير.

1 . 2 . رحلة "آرنست فايدو" "Ernest-Aimé Feydeau" رحلة رسمية في مرافقة الإمبراطور.

1 . 3 . رحلة الصحفي "بول بورد" "Paul Bourde" الرسمية في مرافقة الوفد البرلماني.

1 . 4 . الرحالة "دوفونتراس" "Armand Trumet De Fontarce" مكلف بمهمة وزارية إلى بسكرة.

1 . 5 . رحلة محافظ مكتبة الجزائر آدريان باربريقي Adrien Berbrugger الرسمية.

- 1 . 6 . رحلة الكاتب السياسي كلاماجرون، "Clamageran".
- 1 . 7 . الرحالة "شارل نوديه" "Charles Nodier 1781-1844".
- 1 . 8 . الرحالة "إسماعيل إيربان" "Ismayl Urbain 1812-1884".
- 1 . 9 . الرحلة الدينية للأسقف سوشي "L'Abbé Suchet".
- 1 . 10 . الرحالة الزائر الأب "جان إيرابيال" "L'Abbé Jean Hurabielle".
- 1 . 11 . رحلة "تيلي جيل" "Tellier Jules".
- 1 . 12 . الرحالة "أندريه جيد" "André Gide 1869-1951".
- 2 . الرحلات الإستكشافية العلمية والعسكرية.
- 2 . 1 . قوتيي دومي آدونسون ليون "Doumet –Adanson, Léon Gautier".
- 2 . 2 . الضابط الطبيب راس "Louis–Jean–Max.Reuss".
- 2 . 3 . الضابط الطبيب جون بيار بونافون "Jean–Pierre Bonnafont".
- 2 . 4 . الطبيب بوديشون "Bodichon".
- ب: الرحلات الخاصة.
- 1 . رحلات الأدباء، الرسامين والمتقنين.
- 1 . 1 . "جون لوران" "Jean Lorrain" في إفريقيا، "ساعات إفريقية" "Heures d'Afrique".
- 1 . 2 . قيسطاف فلوبير "Gustave Flaubert".
- 1 . 3 . الإخوة قونكور "Les Frères Goncourt".
- 1 . 4 . "بيار لوتي" "Pierre Loti".
- 1 . 5 . "آلفونس دودي" "Alphonse Daudet".
- 1 . 6 . "آليكسندر دي ما" "Alexandre Dumas".
- 1 . 7 . "قيسطاف بولونجي" "Gustave Boulanger".
- 1 . 8 . "أوجان فرومونتان" "Eugène Fromentin".
- 1 . 9 . "قاي دي موباسون" "Guy de Maupassant".
- 1 . 10 . رحلة الفنان الأديب الكاتب والرسام "ثيوفيل قوتيي" "Théophile Gautier".
- 1 . 11 . "آلاكسي دي طوكفيل" "Alexis de Tocqueville".
- 1 . 12 . "هوراص فارني" "Horace Vernet".

- 1 . 13 . "أوجان دولاكروا" "Eugène Delacroix".
- 1 . 14 . رحلة أليكسندر فيليكس راثو "Alexandre-Félix, Ratheau".
- 1 . 15 . الكاتب "بينال آرموند" "Pignel, Armand" ودليله المفصل عن الجزائر.
- 1 . 16 . رحلة آرثير كلاباراد "Arthur de Claparède".
- 1 . 17 . كتابات آرنست مارسبي "Ernest Mercier".
- 1 . 18 . رحلة جيل فارن "Jules Verne".
- 1 . 19 . رحلة الكاتبة المثقفة لويس ريجيس "Louis Regis".
- 1 . 20 . رحلة الكاتب المثقف "كيفير فلوري" "Cuvillier-Fleury".
- 1 . 21 . رحلة الكاتب "هانري دروي" "Henri Drouet".
- 1 . 22 . الرحالة "إيدا سانت-آلم" "Ida Saint-Elme 1778-1845".
- 1 . 23 . الرحالة "جون مورياس" "Jean Moréas 1910-1856".
- 1 . 24 . الرحالة "إيزابيل إيبهارد" "Esabelle Eberhardt 1877-1904".
- 1 . 25 . الرحالة "لويس برترن" "Louis Bertrand 1866-1941".
- 1 . 26 . الرحالة "ماري-آن دي بوفي" "Marie-Anne De Bovet 1860-1935".
2. رحلات العامة.

الفصل الثاني: دليل ومسار ووسائل نقل الرحلات.

أولاً: القواميس وكتب الجولة.

أ: القواميس.

1: قاموس هيلو الفرنسي- العربي العربي-الفرنسي.

ب: كتب الجولة السياحية.

1. كتاب الجولة "الجزائر، دليل تطبيقي تعريفى بالشوارع مع مخطط لمدينة الجزائر".

2- كتاب الجولة "الدليل من باريس إلى العاصمة في الجزائر".

3. كتاب الجولة "الجزائر العاصمة، بوفاريك، بلدية وضواحيها".

ثانياً: طرق ومسار الرحلات.

أ: الرحلة من فرنسا إلى الجزائر وموانئ الإنطلاق والبواخر.

1. الوصول من مركز الإنطلاق باريس إلى مدينة ليون.

2. السفر من مركز مدينة ليون إلى مرسيليا.
 3. طريق الرحلة من مركز مدينة ليون إلى مركزي الإنطلاق "مرسيليا" و"طولون".
 4. السفر من مدينة "آفينيون" "Avignon" إلى مركز الإنطلاق مرسيليا.
 5. الوصول إلى مرسيليا "Marseille" مركز الإنطلاق إلى مستوطنة الجزائر.
 6. الوصول إلى طولون "Toulon" مركز الإنطلاق إلى مستوطنة الجزائر.
 7. تأشيرات جواز السفر والإنطلاق.
 8. مسار الرحلة بحرا عبر البحر المتوسط باتجاه مستوطنة الجزائر.
- ب. مسارات الرحلة في مستوطنة الجزائر.
- 1: الرحالة ووسائل النقل داخل المستوطنة.
 - 1.1. العربات الإفريقية.
 1. 2. قطار السكة الحديدية.
 2. الرحلات الداخلية في المستوطنة.
 2. 1. فضاءات الراحة.
 2. 2. جولة في بعض المنتجعات السياحية.
 2. 3. أهم محطات الزيارة في المستوطنة عبر القطار.
 2. 3. 1. السفر من وهران إلى الجزائر العاصمة.
 2. 3. 2. السفر من الجزائر العاصمة إلى قسنطينة.
 2. 3. 3. طريق السفر إلى الأغواط.
- ج. رحلة العودة إلى فرنسا.

الفصل الأول

الفصل الأول: الرحلة إلى الجزائر.

أولاً: الرحلة، مفاهيم وإستوغرافيا.

أ: مفاهيم عن الرحلة، الظهور والتطور لدى المسلمين.

1. المفهوم التاريخي للرحلة.

2. ظهور وانتشار الرحلة في التاريخ الإسلامي.

3. المفهوم الأدبي للرحلة.

4. تطور التأليف في أدب الرحلة.

5. أهم الدراسات في أدب الرحلة.

ب: قراءة في أدبيات الرحلة، الرحلة، الإكتشاف والآخر لدى الغرب.

1. الأدب والرحلة وإكتشاف الآخر.

2. قراءات في أدب الرحلة.

3. أدب الرحلة والذاتية.

4. الرحالة.

5. الرحالة الفرنسيون والمجتمع الشرقي.

6. تصنيف الرحلات الفرنسية حسب الدراسات.

7. أهداف الرحلة.

ج. مرسليليا، بوابة الشرق.

ثانياً: الرحلات المصدريّة وتصنيفها.

أ: الرحلات الرسمية للمستوطنة.

1. رحلات الموظفين الرسميين والسياسيين ورجال الدين.

1 . 1 . الرحالة إيكزافيي مرميي "Xavier Marmier" رحلة رسمية في مرافقة للوزير.

1 . 2 . رحلة "آرنست فايدو" "Ernest-Aimé Feydeau" رحلة رسمية في مرافقة الإمبراطور.

1 . 3 . رحلة الصحفي "بول بورد" "Paul Bourde" الرسمية في مرافقة الوفد البرلماني.

1 . 4 . الرحالة "دوفونتراس" "Armand Trumet De Fontarce" مكلف بمهمة وزارية إلى بسكرة.

1 . 5 . رحلة محافظ مكتبة الجزائر آدريان باربريقي Adrien Berbrugger الرسمية.

1 . 6 . رحلة الكاتب السياسي كلاماجرون، "Clamageran".

- 1 . 7 . الرحالة "شارل نوديه" "Charles Nodier 1781-1844".
- 1 . 8 . الرحالة "إسماعيل إيريان" "Ismayl Urbain 1812-1884".
- 1 . 9 . الرحلة الدينية للأسقف سوشي "L'Abbé Suchet".
- 1 . 10 . الرحالة الزائر الأب "جان إيرابيل" "L'Abbé Jean Hurabielle".
- 1 . 11 . رحلة "تيلي جيل" "Tellier Jules".
- 1 . 12 . الرحالة "أندريه جيد" "André Gide 1869-1951".
- 2 . الرحلات الإستكشافية العلمية والعسكرية.
- 2 . 1 . قوتيي دومي آدونسون ليون "Doumet –Adanson, Léon Gautier".
- 2 . 2 . الضابط الطبيب راس "Louis-Jean-Max. Reuss".
- 2 . 3 . الضابط الطبيب جون بيار بونافون "Jean-Pierre Bonnafont".
- 2 . 4 . الطبيب بوديشون "Bodichon".
- ب: الرحلات الخاصة.
- 1 . رحلات الأدباء، الرسامين والمثقفين.
- 1 . 1 . "جون لوران" "Jean Lorrain" في إفريقيا، "ساعات إفريقية" "Heures d'Afrique".
- 1 . 2 . قيسطاف فلوبيير "Gustave Flaubert".
- 1 . 3 . الإخوة قونكور "Les Frères Goncourt".
- 1 . 4 . "بيار لوتي" "Pierre Loti".
- 1 . 5 . "آلفونس دودي" "Alphonse Daudet".
- 1 . 6 . "أليكسندر دي ما" "Alexandre Dumas".
- 1 . 7 . قيسطاف بولونجي "Gustave Boulanger".
- 1 . 8 . "أوجان فرومونتان" "Eugène Fromentin".
- 1 . 9 . "قاي دي موباسون" "Guy de Maupassant".
- 1 . 10 . رحلة الفنان الأديب الكاتب والرسام "ثيوفيل قوتيي" "Théophile Gautier".
- 1 . 11 . "آلاكسي دي طوكفيل" "Alexis de Tocqueville".
- 1 . 12 . "هوراص فارني" "Horace Vernet".
- 1 . 13 . "أوجان دولاكروا" "Eugène Delacroix".

- 1 . 14 . رحلة أليكسندر فيليكس راثو "Alexandre-Félix, Ratheau".
 - 1 . 15 . الكاتب "بينال آرموند" "Pignel, Armand" ودليله المفصل عن الجزائر.
 - 1 . 16 . رحلة آرثير كلاباراد "Arthur de Claparède".
 - 1 . 17 . كتابات آرنست مارسسي "Ernest Mercier".
 - 1 . 18 . رحلة جيل فارن "Jules Verne".
 - 1 . 19 . رحلة الكاتبة المثقفة لويس ريجيس "Louis Regis".
 - 1 . 20 . رحلة الكاتب المثقف "كيفير فلوري" "Cuvillier-Fleury".
 - 1 . 21 . رحلة الكاتب "هانري دروي" "Henri Drouet".
 - 1 . 22 . الرحالة "إيدا سانت-آلم" "Ida Saint-Elme 1778-1845".
 - 1 . 23 . الرحالة "جون مورياس" "Jean Moréas 1910-1856".
 - 1 . 24 . الرحالة "إيزابيل إيبرهارد" "Esabelle Eberhardt 1877-1904".
 - 1 . 25 . الرحالة "لويس برترن" "Louis Bertrand 1866-1941".
 - 1 . 26 . الرحالة "ماري-آن دي بوفي" "Marie-Anne De Bovet 1860-1935".
2. رحلات العامة.

الفصل الأول: الرحلة إلى الجزائر.

مثلت الجزائر مصدر إلهام وفضول بالنسبة للفرنسيين وخاصة للعامة منهم، وحسب تعبيرهم كانت قطعة ثمينة كما يصفها الكاتب "بيسي أوغيست" في كتابه "عبر الجزائر اليوم، ملاحظات ورسومات"، إذ يقول: "... لوصف مرة أخرى هذه القطعة الفريدة من الكنز الإستعماري لوطننا".

"¹.... de décrire une fois de plus ce joyau du trésor colonial de notre patrie".

ويعبر عن رغبته الشديدة في زيارة الجزائر بقوله: "أرى الجزائر وأموت، منذ زمن بعيد كان حلمي منذ كنت في مقاعد الدراسة.

" Voir l'Algérie et puis mourir , longtemps, longtemps après C'était mon rêve déjà sur les bancs du collège".

وهذا يذكرنا بحلم الكاتب "آرنست فايدو" الذي زار هو الآخر مستوطنة الجزائر في زيارة رسمية وكتب عنها مؤلفا، ولقد أبرز كل الكتاب فائدة الميثروبول الكبيرة من المستوطنة التي مثلت مكانا خصبا للإستيطان بإمكانيات ومواد أولية ضخمة، وعرضوا حتى الخطط والوسائل والسياسات التي تخدم سياسة الإستيطان، كما كان للجانب الطبيعي والأثري دور بارز في جذب الآخر لزيارة المستوطنة. فكان عدد المستوطنين سنة 1832 أي سنتين بعد الإحتلال 1.927 نسمة، ليرتفع العدد بعد ستين سنة إلى 270.000 نسمة منها 234.000 من جنسيات غير فرنسية في مقابل ثلاث ملايين من الأهالي. وإنقذ الفرنسيون سلطات بلادهم التي فتحت الباب واسعا لليهود والأوروبيين للإستفادة من المستوطنة في حين أعداد كبيرة من الفرنسيين في الميثروبول تعيش في ظروف مزرية وتعاني من البطالة، رغم أن بلادهم يقدم ميزانية كبيرة تقدر بثمانين مليون توجه كاملة لخدمة المعمرين الأجانب في المستوطنة².

أولا: الرحلة، مفاهيم وإستوغرافيا.

نعرض في هذا العنصر مفاهيم عامة وتطور تاريخي للرحلة عبر التاريخ لدى المسلمين ثم الغربيين.

أ: مفاهيم عن الرحلة، الظهور والتطور لدى المسلمين.

عرف البشر الرحلة والترحال منذ القديم وإرتبطت بعدة عوامل وأسباب وظروف، ولا يمكن حصر جل الرحلات في كل الأحوال في هذا المجال المحدد، لذلك نحاول في هذا المقام تقديم تعاريف

¹Auguste Besset., A travers l'Algérie d'aujourd'hui, notes et croquis, Paris, Chagny imprimerie Roy frères, 1896, P.7.

²Ibid., P.P.11, 9.

ومفاهيم عامة عن الرحلات التي تعددت مقاصدها ومجالاتها، وكان للعالم الإسلامي السبق في الرحلات بمختلف أصنافها، ونحاول تقديم تعريف متكامل ومنظم إعتدنا فيه على مؤلف لأبرز الباحثين المحدثين الأستاذ جمال الدين فالح الكيلاني من خلال كتابه الأكاديمي "الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي، دراسة تاريخية-دراسة في مصادر التاريخ الإسلامي الوسيط"¹، وهو مؤلف مهم من حيث دراسته التاريخية للرحلة والرحالة من كل الجوانب، كما رصد جل الرحلات والرحالة مع التصنيف والتحليل، ويعتبر مرجع محوري يساعد في إيضاح المفاهيم وتبسيطها، وآثنا تقديمها للقارئ رغم أنها تتحدث عن الرحلة والرحالة المسلمين حتى نستنتج تطور الرحلة عبر المسار الإنساني بإعتبار التأثير والتأثر بين الشرق والغرب في العموم، مما يساهم في فهم ومعرفة الظهور والتطور لظاهرة الرحلة. كما إعتدنا على دراسة أكاديمية هي أطروحة دكتوراه للباحثة إنعام زعل القيسي بعنوان "صورة المرأة في أدب الرحلات من القرن الرابع الهجري إلى نهاية القرن الثامن الهجري (الرؤيا والتشكيل)"² وساعدتنا في الجانب الأدبي وبعض المفاهيم المرتبطة بها.

1. المفهوم التاريخي للرحلة.

تعتبر الرحلة وجه من أوجه التأريخ الذي عرف تطوراً تدريجياً بالنسبة للعرب، إذ يفصل الباحث الكيلاني هذا التدرج موضحاً أنه قبل أن يصبح التأريخ علماً قائماً بنظرياته وأسس العلمية والفلسفية وتعليقاته وتحقيقاته لدى "بن خلدون" ومن جاء بعده من المؤرخين، عرفت قبله الكتابة التاريخية لدى العرب تطور وفق أنماط متصاعدة ومتفاوتة حسب الإقليم والعصر، وكان لزاماً للإمام بتطور الكتابة ورصد توجهاتها، وكان لرواة التاريخ والمغازي والسير في القرن الثاني الهجري دور في تطوير الكتابة أمثال "وهب بن منبه" (ت 728م/110هـ)، "عروة بن الزبير" (ت 703م/85هـ)، "شرحبيل بن سعد" (730م/112هـ) "عاصم بن عمر بن قتادة" (ت 738م/120هـ)، وكانت كتاباتهم في المغازي تمهيداً لمن جاء من بعدهم كـ "الزهري"، "الواقدي" و"بن إسحق"، "الزهري" توسع في جمع الروايات وتمحيصها وإستخدام مصطلح السيرة بدلاً من المغازي، إذ جمع الروايات التاريخية والأحاديث الشريفة والشعر

¹ جمال الدين فالح الكيلاني، الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي، دراسة تاريخية-دراسة في مصادر التاريخ الإسلامي الوسيط-، دار الزينة للطباعة والنشر، القاهرة، 2014.

² إنعام زعل القيسي، صورة المرأة في أدب الرحلات من القرن الرابع الهجري إلى نهاية القرن الثامن الهجري (الرؤيا والتشكيل)...، أطروحة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، إشراف الأستاذ الدكتور أنور أبو سويلم، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة مؤتة، عمان، الأردن، 2016.

والقصص الشعبي، ووصلتنا هذه السيرة منقحة على يد "بن هشام" (ت 832م/218هـ)، كما برز في تلك الفترة كل من "الواقدي" (ت 822م/207هـ) بكتابه المغازي وغيرهم كثير ممن برز في رواية الأخبار كـ "أبي مخنف"، "عوانة بن الحكم" و"نصر بن مزاحم"، وأهمهم "المدائني" (ت 839م/225هـ) "بن الكلبي" (ت 819م/204هـ)، "الهيثم بن عدي" (ت 821م/206هـ) و"أبو عبيدة" (ت 826م/211هـ). في نهاية القرن الثالث هجري إعتد "البلاذري" (ت 892م/279هـ) صاحب كتاب "فتوح البلدان" و"أنساب الأشراف" على أخبار السلف بالنقد والتمحيص والفحص والإنتقاء، وبنفس المنهج سار معاصره "اليقوبي" (ت 897م/284هـ) صاحب كتاب "البلدان" ويعتبر أول كتاب في الجغرافيا التاريخية ثم "إبن قتيبة" (ت 883م/270هـ) في كتاب "المعارف" و"الدينوري" (ت 900م/288هـ) في كتاب "الأخبار الطوال". في القرن الرابع الهجري إكتملت مرحلة نضوج البدايات والتكوين للكتابة التاريخية مع "الطبري" (ت 922م/310هـ) إذ إعتد على علمه الواسع ومنهجه كمحدث وفقه يدقق في السند ويمحص الروايات. ونجد تفاوت مدارس الكتابة التاريخية خلال القرون الثلاثة من المدينة إلى الكوفة والبصرة وبقيّة البلدان وصولاً إلى القرن الرابع الهجري أين برز "مسكويه" وتطويره للمنهج التاريخي¹، ومثل خطوة متقدمة في الكتابة التاريخية الموضوعية، وبرز تأثير نهجه في فترات لاحقة لدى المؤرخين المسلمين أمثال "رشيد الدين فضل الله" (ت 1318م/718هـ) صاحب كتاب "جامع التواريخ" وغيره كـ "بن الخطيب"، "بن خلدون" "السخاوي" و"المقريزي"، وبعض مؤرخي الأندلس الذين تميزت كتاباتهم التاريخية بتأثيرات مشرقية. وبالتالي كان بروز مؤرخي الأندلس عبر الزمن منهم "عبد الملك بن حبيب"، "أبناء الرازي"، "بن القوطية" و"عريب بن سعد"، لتتطور وتتضح الكتابة التاريخية أكثر لدى "أبي مروان بن حيان" صاحب كتاب "المقتبس" والعلامة الموسوعي "بن حزم" صاحب كتاب "الجمهرة والفصل" و"بن صاحب الصلاة" و"بني سعيد"، وغيرهم ممن يعتبرون من أبرز المؤرخين ذوي المنهج الواضح في الكتابة التاريخية. في القرن الثامن هجري (الرابع عشر ميلادي) بلغت الكتابة التاريخية أوجها مع "إبن الخطيب" مؤلف "الإحاطة في أخبار غرناطة"، وبن خلدون أبرز فلاسفة التاريخ وعلماء الاجتماع صاحب "المقدمة"².

2. ظهور وانتشار الرحلة في التاريخ الإسلامي.

من خلال تتبع الدراسات المختلفة ومنها على وجه الخصوص دراسة الباحث الكاتب "الكيلاي" نستنتج من خلال قراءتنا الشخصية أثر علم الجغرافيا لدى المسلمين في ظهور وانتشار وتوسع الرحلة بمختلف أصنافها التي تعكس الرحلات في العالم ومنها الغربية في مختلف العصور، وبالتالي نؤسس

¹ جمال الدين فالح الكيلاني، الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي...، المرجع السابق، ص. 8.

² نفسه، ص. 9.

لرحلات دراستنا للرحالة الفرنسيين في القرن التاسع عشر، إذ يرى الباحث أن الجغرافيا لم تكن تخصصا منفردا كغيره من التخصصات وأطلق عليه المسلمون عدة تسميات، وشمل علم الجغرافيا علمي الفلك والجيولوجيا، وكانت الكتابات الجغرافية تسمى وفق محتوياتها ف ذات المحتوى الفلكي تسمى علم الأطوال والعروض وعلم تقويم البلدان، وعلم البرود ما غلب على محتواها وصف المسالك والمواصلات أو علم المسالك والممالك، كما إتخذت المصنفات الجغرافية للبلدان والمناطق إسم علم الأقاليم وعلم عجائب البلدان، وما تناولت المناخ سميت بعلم الأنواء، ومن كان محتواها الجغرافية الفلكية سميت علم الهيئة كما إستخدموا مصطلح صورة الأرض ويقصدون به علم الجغرافيا الحالي. وشملت الكتابات الجغرافية عدة مجالات إعتد المسلمون فيها على المعارف القديمة ومعارف الشعوب التي دخلت الإسلام، وإعتمدوا على الترجمة من مصادر يونانية وفارسية وهندية، وصححوا أخطاء الكتب المترجمة مع إضافة ملاحظات وتناولوا فيها الجغرافيا الفلكية والإقليمية والبشرية والإقتصادية¹. وكان إهتمام المسلمين بالجغرافيا الفلكية التي إعتدت على الحسابات الرياضية لحساب المسافات والمواقيت كالصيام والصلاة والحج، وساعدتهم العلوم الهندية في الجغرافيا الرياضية والعلوم اليونانية إذ تأثر "الخوارزمي" بالعالم اليوناني "بطليموس"، فصحح وطور وإكتشف المعارف الجغرافية، كما برز الفيلسوف "الكندي" بهذا الفرع من الجغرافيا وغيره كثير ك "الطوسي" و"البيروني" وغيرهم من العلماء. وبرزت جغرافيا البلدان أو الجغرافيا الإقليمية بإعتمادها المنهج الوصفي، فإنتشرت المعاجم الجغرافية وكتب الرحلات الجغرافية بكثرة، وإعتمد الجغرافيون العرب في جغرافية البلدان على مشاهداتهم وزياراتهم لمعظم البلدان التي تحدثوا عنها ك"اليقوبي"، "إبن حوقل"، "المسعودي"، "الإدريسي" وغيرهم. وتناولوا في مصنفاتهم الجغرافية وصف الأقاليم والمدن والبلدان والشعوب وأديانها وعاداتها مع دراسة المسالك وطرق المواصلات التي تربط المدن وما يفصلها من جبال وأنهار وبحيرات وبحار، ومن نماذج هذه المصنفات نذكر أهمها ككتاب "الممالك والمسالك" ل"بن خرداذبة"، كتاب "الأقاليم" ل"هشام الكلبى"، كتاب "جزيرة العرب" ل"الأصمعي"، كتاب "البلدان" ل"اليقوبي"، كتاب "صفة جزيرة العرب" ل"الهمداني"، كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" ل"المقدسي"، كتاب "الأقاليم" ل"الإصطخري" كتاب "صورة الأرض" ل"بن حوقل"، كتاب "تقويم البلدان" ل"أبي الفدا عماد الدين بن إسماعيل"، وغيرهم. في منتصف القرن الرابع الهجري (العاشر ميلادي) تنوعت كتابات الجغرافيين العرب لتشمل المعالم الطبيعية والأحوال الإقتصادية والإجتماعية للشعوب، ومن أهم وأفضل المصنفات كتاب "الأقاليم" للإصطخري، كتاب "صورة الأرض" لإبن حوقل وكتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" للمقدسي². وتعد كتب الرحلات الجغرافية أفضل مصادر الجغرافيا الإقليمية، وذلك لبحث الإسلام على الترحال

¹ جمال الدين فالح الكيلاني، الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي...، المرجع السابق، ص.14.

² نفسه، ص.ص.15، 16، 17.

سواء لربط البلاد الإسلامية مع توسع إنتشار الإسلام أو رحلات الحج ورحلات طلب العلم والتجارة وأول من صنف في أدب جغرافيا الرحلات "أبو بكر محمد بن العربي" (ت1148م/543هـ) وله كتاب "ترتيب الرحلات"، ومن أشهر الرحالة المسلمين "إبن جبیر"، "بن بطوطة"، "بن حوقل" و"المسعودي". وأولى الرحلات التي وصلت إلينا رحلة "ناصر خسرو" (ت بعد1063م/455هـ) وعاصر الدولة الغزنوية والسلجوقية، وبدأ رحلته من "مرو" بـ "خراسان" مرورا بكل من "لبنان"، "فلسطين"، "مصر" "مكة"، "البصرة" و"بلخ"، وكان دافع رحلته دينيا بهدف الحج وزيارة الأماكن التي عاش فيها الرسول "صلى الله عليه وسلم" والصحابة رضوان الله عليهم، واستغرقت رحلته سبع سنوات وصف خلالها المناطق التي زارها بالتدقيق، وعرف بسكانها من حيث المسكن والملبس والمشرب والمأكّل، وكان هدف رحلات "إبن جبیر" ديني، وقام بثلاث رحلات أولاها سنة 1182م/578هـ دامت أكثر من سنتين زار فيها "غرناطة"، "سبتة"، "مصر"، "الحجاز"، "العراق"، "بلاد الشام" و"صقلية"، وأطلق عليها "رحلة إبن جبیر" أو "رحلة الكناني" نسبة إلى موطنه "أرض الكنانة"، وسجل الحوادث التاريخية بدقة فكان يذكر الشهر واليوم والساعة أغلب الأحيان، أما الرحلتين المتبقيتين لم يسجل "إبن جبیر" أخبارهما في كتاب. أشهر الرحلات الجغرافية في الشرق والغرب هي "رحلات بن بطوطة" (ت1377م/779هـ)، بداية كان هدفه ديني لآداء فريضة الحج، إنطلق من مدينة "طنجة" المغربية سنة 1325م/725هـ واستمرت رحلته الأولى خمسة وعشرين عاما زار خلالها "شمال إفريقيا"، "مصر"، "الشام"، "الحجاز"، "العراق" "عُمان"، "البحرين"، "خراسان"، "أفغانستان"، "الهند"، "الصين"، "سومطرة"، "جزيرة سرنديد-سيريلانكا" حاليا¹ وعاد لفاس سنة 1349م/750هـ، وفي الرحلة الثانية توجه إلى "بلاد الأندلس" وأقام "بغرناطة" ثم عاد إلى المغرب، والرحلة الثالثة سنة 1353م/753هـ توجه إلى وسط إفريقيا وزار الممالك الإسلامية كمملكتي "مالي" و"غانا" وعاد سنة 1354م/754هـ، ودوّن "بن بطوطة" مشاهداته ونسخها له بإملاء منه "محمد بن جزي الكلبي"، وسمى هذه الرحلة "تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار". وبالتالي كان للرحالة المسلمين دور في بلورة وتحديث الجغرافيا البشرية والإقتصادية من خلال تناول الجانب البشري والإهتمام به، وأوضح الأمثلة على ذلك كتابات "المسعودي" الذي طاف البلدان ونقل العادات والتقاليد والأخلاق والزراعة والسياسة وكل الدقائق المتعلقة بالمجتمعات، ففي مؤلفه "مروج الذهب" ركز على وصف عادات الأمم ومعتقداتها ومذاهبها وتاريخها ومصادر أرزاقها من صناعة وزراعة وتجارة، مع ذكر تأثير المناخ حتى على ألوان البشر وفي النشاط الجسماني والذكاء، كما أفاض "المقدسي" في الوصف من ذكر المسافات إلى طرق المواصلات إلى اللغات واللهجات إلى المكايل والأوزان والمناخ والزراعة وطوائف الناس وغذائهم وشرابهم وأخلاقهم وعاداتهم ومعاملاتهم التجارية، وكذلك تعمق "إبن خلدون" كثيرا في الجغرافيا الإجتماعية، بتناوله كل المعلومات التي تخص

¹ جمال الدين فالح الكيلاني، الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي...، المرجع السابق، ص.20.

عادات الشعوب ومساكنهم وبيئاتهم وطعامهم وتقاليدهم وأزيائهم، وتأثير البيئة في ألوانهم وأخلاقهم وسلوكهم وأثر الإقليم والتربة والمناخ، وفصل في خصائص العمران والتمدن من المسكن والملبس والمأكل والعادات والتقاليد والترف، وقيام الدول وإنهيارها وانتشار العلم وغيره مما جاء في نظرياته عن الاجتماع والعمران البشري¹، كما أسهبت كتب الرحلات الجغرافية في وصف الجانب البشري كـ "إبن بطوطة" الذي إهتم بطبائع الناس وعاداتهم وتقاليدهم بالتركيز على المظاهر الاجتماعية المجتمعات². وكان للرحالة المسلمين من جغرافيين وفلكيين دور كبير في وصف المسالك ووضع المعالم للرحالة في الشرق والغرب، إذ إعتد على مسالكهم وخرائطهم أشهر الرحالة الغربيين في مختلف الفترات والشيء نفسه بالنسبة للرحالة من غير المسلمين الذين رصدوا المجتمعات خلال رحلاتهم ووثقوا مشاهداتهم في مختلف الجوانب الحياتية، وهذا واقع الحال بالنسبة لكتابات الرحلة في العموم والتي نرصد من خلالها في هذه الدراسة ما يخص تاريخ المجتمع الجزائري في الفترة الإستعمارية من خلال الرحالة الفرنسيين.

3. المفهوم الأدبي للرحلة.

يعتبر أدب الرحلات شكل من أشكال السرد التراثي العربي، على إختلاف مقاصد الرحلات وغاياتها مثل: الرحلة السفارية لابن فضلان، والرحلة الحجازية لابن جبير والرحلة العجائية لأبي حامد الغرناطي، والرحلة العلمية للقلصادي، والرحلة الاستطلاعية لابن يونة التطيلي، وغيرها، وقد وصف الرحالة العرب والمسلمون النواحي التي زاروها في ديار الإسلام وخارجها، في الأندلس وشمال إفريقيا ومصر وبلاد الشام والجزيرة العربية، وبلاد السودان، وبلاد فارس والهند والصين وأوروبا وغيرها من البلدان، وصفاً دقيقاً لكنه متباين بين الرحالة، شمل الأقوام والبلدان والأرض والمياه والأنهار، والطعام واللغة والدين والقبائل والتقاليد والعادات وغيرها³، وإتبع الرحالة الغربيون نفس الوصف في رحلاتهم للشرق برصد المجتمعات من كل النواحي.

4. تطور التأليف في أدب الرحلة.

يعتبر القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) بداية تغير نمط الكتابة، وتُميز بوضوح معالم التأليف في أدب الرحلات على يد عدد من الرحالة العرب والمسلمين الذين ظهروا في المشرق والمغرب، وأسهموا في تكوّن الخطاب الأدبي لهذا النوع من السرد التراثي، منهم الرحالة الجغرافي إبن

¹ جمال الدين فالح الكيلاني، الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي...، المرجع السابق، ص. 21، 20.

² نفسه، ص. 21.

³ إنعام زعل القيسي، صورة المرأة في أدب الرحلات من القرن الرابع الهجري إلى نهاية القرن الثامن الهجري (الرؤيا والتشكيل)، المرجع السابق، ص. 1.

حوقل (ت977م/367هـ)، بن فضلان (ت بعد960م/349هـ)، بن شهر يار (ت بعد951م/340هـ) المسعودي (ت957م/346هـ)، أبو دلف الينبوعي (ت952م/385هـ) والسيرافي (ت978م/368هـ) وغيرهم. تطور هذا النوع من الأدب وبلغ أوجه في القرنين الثالث عشر والرابع عشر ميلادي (القرنين السابع والثامن الهجريين) بتزايد عدد الرحالة وللأهمية العلمية لكتاباتهم كمناهج جمع مادة رحلاتهم وتدوين مشاهداتهم، ومنهم البيروني (ت1048م/440هـ)، أبو بكر بن العربي (ت1148م/543هـ) الإدريسي (ت1165م/561هـ)، أبو حامد عبد الرحيم بن سليمان الأندلسي الغرناطي (ت1170م/566هـ)، بن يونة التطيلي النبالي (ت1173م/569هـ)، أسامة بن منقذ (ت1188م/584هـ)، السائح أبو الحسن الهروي (ت1214م/611هـ)، بن جببر أبو الحسن محمد بن جببر الكناني (ت1217م/614هـ)، بن بطوطة أبو عبد الله اللواتي الطنجي (ت1377م/779هـ)، لسان الدين بن الخطيب محمد بن عبد الله (ت1374م/776هـ) وابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت 808هـ/1406م) وغيرهم. وإتسمت رحلاتهم بإتساعها جغرافيا بحسب إختلاف إتجاهاتها إلى المكان المُرْتَحِل إليه، منها رحلات داخلية في بلد الرحالة نفسه ورحلات خارجية في العالم الإسلامي ورحلات خارجية في البلدان غير الإسلامية كبلاد الهند والصين وأوروبا وإفريقيا وغيره، إضافة إلى إمتداد الزمن فهي تشمل نتاج خمسة قرون ابتداء من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي وحتى نهاية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، مما أسهم في غزارة الإنتاج في أدب الرحلات ووفرة مادتها وتنوعها¹.

5. أهم الدراسات في أدب الرحلة.

من دراسات أدب الرحلات في الجامعات العربية الحالية، نجد دراسة شعيب حليفي بعنوان "الرحلة في الأدب العربي التجنس-آليات الكتابة- خطاب المتخيل"، وهي دراسة مهمة تتناول الرحلات بشكل عام، عالج فيها مفهوم الرحلة والأنواع ومرجع العين والذاكرة والرحلة الفعلية والرحلة المتخيلة وآليات الكتابة التي استخدمها الرحالة في تدوين وتوثيق نصوص رحلاتهم مثل النص الموازي والعتبات النصية بشكل عام، كما حدد أشكال الرحلات واتجاهاتها الجغرافية، وهي دراسة علمية أدبية محضة. ومن هذه الدراسات أيضاً دراسة نوال عبد الرحمن الشوابكة، المعنونة بـ "أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري"، وهي دراسة عامة تناولت فيها الباحثة التعريف بالرحلة ونشأتها ودوافعها وأهميتها، ثم أشهر الرحالة ورحلاتهم وتناولت السياقات المعرفية والثقافية والاجتماعية والدينية التي تضمنتها الرحلات، كما أبرزت ملامح صورة المرأة وصورة الآخر في مختلف المجتمعات

¹ إنعام زعل القيسي، صورة المرأة في أدب الرحلات من القرن الرابع الهجري إلى نهاية القرن الثامن الهجري (الرؤيا والتشكيل)،، المرجع السابق، ص.1.

التي زارها الرحالة، في صفحات قليلة جداً ووقفت عند البناء الفني والأساليب التي استخدمها الرحالة في وصف مشاهداتهم والتعبير عن مشاعرهم، وقدمت دراسة البناء القصصي لبعض تلك الرحلات¹. من المؤلفات المهمة كذلك كتاب "أدب الرحل في المغرب والأندلس" للمؤلف "علي إبراهيم كردي"، إذ يرى الكاتب أن العرب قديماً إهتموا بالرحلة لمكانتها في الثقافة العربية وأكثرها فيها التأليف، فتتعدد بتنوع أسبابها ومقاصدها العلمية، والدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، بعضها إهتمت بوصف الأقاليم والبلدان وما بها من الغرائب، وأخرى كان الهدف منها الحج وزيارة الأماكن المقدسة وغيرها فكانت للقاء العلماء والتزود بعلمهم، وغيرها كان للسفارة وربط أواصر الصداقة وبعضها للسياحة والتجارة... إلخ، ورصدت هذه الرحلات جوانب من حياة الشعوب وطباعها وعاداتها وقدمت وثائق وصور ونُشرت عديد الرحلات في العصر الحديث ولا يزال جزء منها مخطوطاً أو في عداد المفقود. وإهتم الباحثون بأدب الرحل، وأسهبوا في الحديث عن مكانة أدب الرحلة وما به من ذخائر فأثروا بدراساتهم الثقافة العربية ومن أشهر المؤلفات في أدب الرحلة: "الرحالة المسلمون في العصور الوسطى" للدكتور زكي محمد حسن، "الجغرافية والرحلات عند العرب" لنقولا زيادة، "الرحلات" للدكتور شوقي ضيف، "الرحلة والرحالة المسلمون" للدكتور أحمد رمضان أحمد، "أدب الرحلة عند العرب" للدكتور حسني محمد حسين، "أدب الرحلة" للدكتور حسين نصار، "أدب الرحلات" للدكتور حسين محمد فهميم، وإتسمت هذه الدراسات بالثراء وذلك لوفرة الرحلات وتنوعها وأهميتها في إبراز الحياة العلمية والاجتماعية والاقتصادية وتوثيقها في البلدان التي مر بها أصحاب تلك الرحل²، وبالتالي تنوعت الدراسات التي تخص أدب الرحلة في الفترة الحالية، وجلبها تقريبا دراسات أدبية متخصصة محضة وهذا ما أشرنا إليه في مقدمة الدراسة.

ب: قراءة في أدبيات الرحلة، الرحلة، الإكتشاف والآخر لدى الغرب.

نتعرف في العنصر على الرحلة الغربية ونقصد بها الرحلة الفرنسية بمستوطنة الجزائر ونقدم تصنيفاتها، مع تقديم معلومات قاعدية وإشارات تاريخية حول الرحلات منذ بدايات الرحلة في العصور الوسطى إلى غاية فترات الدراسة، ومنها إشارات عن الرحلة في الفترة الإنتقالية العثمانية أي الحديثة ثم نعرض مجموعة من الرحلات التي تخص فترة الدراسة، ويعتبر أدب الرحلة من أهم التطورات في الأدب التاريخي ودوره العملي في عملية التاريخ والرصد التوثيقي للحياة الاجتماعية والثقافية المحلية.

¹ إنعام زعل القيسي، صورة المرأة في أدب الرحلات من القرن الرابع الهجري إلى نهاية القرن الثامن الهجري (الرؤيا والتشكيل).....، المرجع السابق، ص.3.

² علي إبراهيم كردي، أدب الرحل في المغرب والأندلس، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، 2013.

1. الأدب والرحلة واكتشاف الآخر.

عرف العالم الرحلة المرتبطة بالإنكشاف منذ القدم في كل القارات وبين كل الأمم، وهناك رحلات معلمية في العالم الغربي لتطور أدب الرحلة، بدءا بالتاريخ القديم مع "هيرودوت" "Hérodote" "ماسح الأراضي المأهولة"، وولد "هيرودوت" (484-425 ق.م) بهاليكارناس "Halicarnasse" مستوطنة إغريقية بآسيا الصغرى (منطقة بودرم "Bodrum" بتركيا حاليا)، وتوفي بـ"ثوريوة" "Thourioi" مستوطنة إغريقية بإيطاليا سنة 425 ق.م، صاحب كتاب معلمي عُنون بـ"التاريخ" "Historié" وتُرجم بـ"التاريخ" "Histoire" بالفرنسية، وعُرف "هيرودوت" بـ"أب التاريخ"، وألف "تاريخ الحروب الميديّة" ما بين 490 و479 ق.م حول الصراع الإغريقي الفارسي، وجمع "هيرودوت" معلومات هائلة من خلال الرحلات التي قام بها في آسيا الصغرى، بلاد بابل، بلاد فارس، مصر، إفريقيا الشمالية والبحر الأسود، ونقل ما شاهد وسمع من خلال تجربته الشخصية، ويبقى "هيرودوت" من أشهر الرحالة في التاريخ القديم¹. ومثل المَعْلَمُ الثاني "جون دو جوان فيل" "Jean De Joinville" الذي التقى بالشرق من خلال الحروب الصليبية التي شارك فيها رفقة الملك الفرنسي "لويس التاسع" "Louis IX" ما بين 1248 و1254 ومن خلالها أصبح أكثر قربا من الملك، وانطلقوا في أوت 1248 وأقاموا بقبرص "Chypre" إلى غاية 21 ماي 1249 بهدف الوصول إلى "ظمياط" "Damiette" بمصر "Egypte" التي وصلوها في 4 جوان وفي اليوم الموالي للإنزال إستولوا عليها بعد إخلاءها من قبل عسكر السلطان، وفي فيفري إنتهت معركة "المنصورة" "Mansûra" بالإستيلاء على معسكر المسلمين، لكن تمكن المسلمين من قطع المؤونة عنهم وإستسلم الملك الفرنسي "لويس التاسع" في شهر أفريل 1250 وتم سجنه رفقة "جون دو جوان فيل" وعدد كبير من جنوده، وأطلق سراحه بشروط وفدية مالية بعد شهر ومكث الملك الفرنسي بالأراضي المقدسة أربع سنوات دون أي تحرك عسكري، ولم تفضي مراسلاته الدبلوماسية مع المغول والجبليين إلى أي نتيجة ولم يتمكن من كسب تحالفهم وتخلي عن فكرة إسترجاع بيت المقدس "Jérusalem"، وظل في المدن التي كانت تحت سيطرة المسيحيين يتحصن فيها كمدينة "يافا" "Jaffa" التي غادر منها لفرنسا يوم 24 أفريل 1254، وفي سنة 1270 رفض "جون دو جوان فيل" مرافقة الملك الفرنسي "لويس التاسع" في حملته الصليبية الجديدة التي لم تدم سنة واحدة وإنتهت بموت الملك قبالة السواحل التونسية. ومنذ 1297 سنة التقديس للملك لويس التاسع أصبح "جون دو جوان فيل" الشاهد الأكثر مساهمة عن حياة الملك، وفي مناسبة إحياء يوم "القديس لويس" طلبت منه ملكة فرنسا "جان دو نافار" "Jeanne de Navarre" زوجة الملك "فيليب الرابع" "Philippe IV" وحفيده "الملك لويس التاسع" أن يكتب عن الحملة

¹Virginie Belzgaou., Les récits de voyage, Paris, Folioplus Classiques, éditions Gallimard, 2008, P.P.7, 8.

وأنهى "جون دو جوان فيل" العمل سنة 1309 أي بعد واحد وستون (61) سنة من الرحلة التي رافق فيها الملك في إطار الحروب الصليبية وعنونها بـ "حياة القديس لويس (1305-1309)"، وقدم "جون دو جوان فيل" في هذا المؤلف السيرة الذاتية للقديس لويس فرصد أقواله وأفعاله وخلص ذكره مكرسا جزء كبير من الرحلة إلى الحملة الصليبية، وفصل في حيثيات الرحلة ودقائقها بتدوين المعلومات والأحداث والملاحظات، وبالتالي يُصنف هذا العمل الذي خص حياة الملك "لويس التاسع" ضمن أدب الرحلة في العصور الوسطى وهو أساسا يندرج ضمن أدب رحلة الحروب الصليبية والحج بناء على مضمونه¹. أما المعلم الثالث فمثل رحلة "ماركو بولو" الشهيرة إلى العالم الجديد، وعنونها بـ "وصف العالم 1298" ولد "ماركو بولو" سنة 1254 وتوفي سنة 1324 البندقية "فنيسيا" "Venise" بإيطاليا، وكان من عائلة تمارس التجارة، وفي سنة 1253 إنتقل الأخوين "نيكولو" "Nicolo" و"مافيو" إلى المحطة البحرية التجارية بالقسطنطينية "Constantinople" التي أنشأها أخاهم الأكبر "ماركو الكبير" "Marco l'Ancien" وكانت زوجة "نيكولو" "Nicolo" حاملا بابنه "ماركو"، وفي سنة 1261 في أحد أسفارهم التجارية في آسيا وصلا إلى "كاراكوروم" "Karakorum" عاصمة "المغول" "Mongols" أين قابلا الخان الأكبر "خوبيلاي خان" "Le Grand Khan Khubilai Khan" الذي كلفهما بسفارة إلى البابا بالبندقية، وعند عودة "الأخوين بولو" ثانية سنة 1270 إلى آسيا أخذوا معهما ماركو ابن نيكولو، وكانت بداية سفر الشاب "ماركو" إلى آسيا برا وصولا إلى "كامبالوك" "Cambaluk" (بيكين pékin) التي كانت عاصمتها "Khubilai" إلى غاية 1275. مكث "ماركو بولو" في الصين حتى سنة 1292 إلى جانب الخان الأكبر الذي أوكله بمهام دبلوماسية وإدارية في العديد من مقاطعات الإمبراطورية، وفي سنة 1292 غادر الإخوة "بولو" الصين بحرا ووصلوا إلى البندقية سنة 1295، وفي سنة 1298 نشبت معارك بين سفن البندقية وسفن جنوة "Génois"، وعلى إثرها أُلقي القبض على "ماركو بولو" وسجن بجنوة وكان رفيق أسره الكاتب "روستيشيلو دي بيسي" "Rustichello de Pise"، ومن خلال هذا اللقاء وُلد كتاب مؤسس من نوع أدب الرحل أين روي المسار المتبع وسجل وصف المناطق، وبعد تقديم وشرح أسباب الرحلة عرض "ماركو بولو" في هذا الكتاب البلدان التي زارها أو إقترب منها أثناء طريقه إلى "بيكين"، وتحدث عن العالم المغولي وخصوصا الصين التي مكث بها، ورصد طريق العودة وأورد أوصاف عن الغرب أو ما عُرف بعدها ببلاد الهند وعرف هذا الكتاب نجاحا كبيرا به عدد كبير من المخطوطات التي منحها مدونيها عدة عناوين، منها "وصف العالم"، "تقسيم العالم" باللغة الفرنسية، "كتاب العجائب" و"المليون" بالإيطالية "II Millione"². وتعد كتابات هذ الفترة مهمة ومثلت قاعدة معرفية.

¹Virginie Belzgaou., Les Récits de Voyage..., Op.cit., P.P.31, 32.

²Ibid., P.P.50, 51.

2. قراءات في أدب الرحلة.

يرى البعض أن أدب الرحلة وسيلة للعلم، ومثلت الرحلات الكبرى عدة دلالات للنخبة الأوروبية بناء على قناعات مختلفة، فكانت الرحلة في فترة العصور الوسطى وفي وقت الإكتشافات الكبرى وسيلة معرفة ويتعلق الأمر بإيصال نظرة موحدة عن المسيحيين للآخر، أما في القرن التاسع عشر فيعتبر أدب الرحلة ممارسة علمية ونخبوية في أوروبا¹، وبالتالي فأدب الرحلة يحتل مكانة مميزة في الدراسات الأدبية والنقدية إهتم به القراء كثيرا، وإنحصر أدب الرحلة على المواضيع التي تركز على الآخر والسياحة، وفرض نفسه كصنف مستقل من أصناف الأدب وبالتالي لا يمكن إهماله ويُمَتع أدب الرحلة القارئ بالشعر والأدب، وبالتالي خلق هذا النوع من الأدب كتابات مُميزة بالإبتكار والإبداع ومن أفضل ما قدمه الرحالة في القرن العشرين²، وكتابات الرحلة تعبر عن مراحل ومسار لمغامرة خاصة³.

3. أدب الرحلة والذاتية.

يرى الباحث الفرنسي "سارغا موسى" "Sarga Moussa" المختص في الأدب الإستشراقي، أن كتابات الرحلة نسبية لأنه ورغم شفافيتها فالراوي يقوم بإعادة تركيب الواقع ومهما حاول أن يكون موضوعيا فهو يقع في هامش الذاتية والأحكام الشخصية، والملاحظ أن الرحالة الفرنسيين في القرن التاسع عشر يجهلون اللغات الشرقية، حتى وإن كان النص مُترجما فيكون سطحي وظاهري⁴.

4. الرحالة.

مثلت علاقة الرحلة بين الغرب والشرق القاعدة التاريخية لرحلات القرن التاسع عشر في مستوطنة الجزائر ومناطق أخرى من العالم الإسلامي والشرق عموما، وإرتبطت مراحل تطور الرحلة بأسبابها وأهدافها وطبيعة وأصناف الرحالة المكتشفين لعالم الشرق، والذين نقلوا عنه صور شخصية متنوعة ومختلفة. ويختلف ويتنوع أصناف الرحالة ومنهم المتجولون، الحجاج، المبعوثون والمكتشفون وغيرهم، وبالتالي لا ينقلون نفس الصور ولا يعبرون بنفس الكلمات والمصطلحات، فهم لا يبحثون عن

¹Alain Guyot., Analogie et récit de voyage, voir, mesurer, interpréter le monde, Paris, Classiques Garnier, 2012, P.P.53, 54, 290.

²Olivier Hambursin., Récits du dernier siècle des voyages, de Victor Segalen à, Nicolas Bouvier, Paris, Presses de l'université Paris-Sorbonne, 2005, P.P.7, 12, 13.

³Philippe Antoine., et Marie-Christine Gomez-Géraud., Roman et récit de voyage, Paris, Presse de l'université de Paris-Sorbonne, 2001, P. 160.

⁴Sarga Moussa., La Relation orientale, enquête sur la communication dans les récits de voyage en orient (1811 -1861), Paris, Klincksieck, 1995, P.8.

نفس الشيء أي كل رحالة لديه أهدافه الخاصة والشخصية من رحلته، مع الذاتية في كتابة الرحلة سواء كانت رسالة، يوميات جريدة أو رواية فالملاحظ هو أنه كل رحلة تعكس توجه صاحبها¹. والملاحظ كذلك أن الحج للأرض المقدسة لم يعد الهدف الوحيد للرحلات إلى الشرق في القرن السادس عشر، إذ ظهرت أهداف أخرى غير دينية إستدعت التنقل إلى الشرق، كالرحلات الدبلوماسية المهمات التجارية أو البعثات العلمية، مثل رحلة "بيار بولون دي مانس" Pierre Belon du Mans²، وغيره³. وتتنوع أصناف الرحالة منذ القرن الثامن عشر منهم الدبلوماسيين، المختصين في الآثار والتاريخ القديم والتجارة، الكتاب، أتباع التيار الطبيعي، الفنانين المحترفين والهواة، وكل رحالة غربي قدم صور متنوعة نجدها اليوم موزعة بين المكتبات والمتاحف الأوروبية العريقة معتمدة على مصادر جمعت الأعمال التصويرية المرفقة بالملاحظات، والتي ظلت لفترة على شكل مخطوطات أو توزيعها بواسطة النقوش⁴. وإشترك الرحالة في إتباع توجه عام في التعامل مع الشرق وهذا ما ينطبق على الرحلة في غربي المتوسط، إذ كان إهتمام الرحالة بالمجتمع منذ أول لقاء بدءا بالحياة الإقتصادية من زراعة وحرف وصناعات ونقل وتجارة، مرورا بمؤسسات الحكم من وزارات وإدارات وصولا إلى الحياة اليومية للسكان وللمجتمع، مع التركيز على العائلة العربية من الحياة العامة في العائلة الكبيرة إلى السكنات والمرأة ودورها ووضعها، كما تطرقوا إلى الشخصية العربية ودراستها بدقة سواء إمكانيات السيطرة على الإنسان العربي أو أنماط المعيشة وطباع العرب وتشكيلة المجتمع العربي، كما درسوا الحياة الثقافية منها العلوم والفنون والتكوين الثقافي والتفكير العربي، وتعمقوا في الدين الإسلامي لمحاولة فهمه وفهم طقوسه وممارساته ومذاهبه، وأهم ما ركز عليه الرحالة هو اللقاء بين الشرق والغرب إذ تعمقوا في صورة الشرق، كما أبدوا إهتمامهم بالأقليات ورصدوا التواصل بين العالمين الشرقي والغربي وبالتالي كونوا صورة عن الشرق مع واقع صدمة اللقاء⁴.

5. الرحالة الفرنسيون والمجتمع الشرقي.

منذ بداية موجات الرحلة الغربية إلى الشرق وإنتشار أدبيات الرحلة، طغى على كتابات الرحالة الفرنسيين وبشكل ملحوظ وجود الحرم أي النساء أو المحيط الداخلي لمجال وفضاء المرأة المعيشي

¹Philippe Antoine., et Marie-Christine Gomez-Géraud., Roman et récit de voyage..., Op.cit., P.5.

²Yvelise Bernard, L'orient du XVI^e siècle à travers les récits des voyageurs français : Regards portés sur la société musulmane, Paris, éditions L'Harmattan , 1988,P.P.7,8.

³Irini Apostolou., L'Orientalisme des voyageurs français au XVIII^e siècle, Une iconographie de l'orient méditerranéen, préface de François Moureau, Paris, PUPS, 2009, P.17.

⁴Joëlle Redouane., L'Orient Arabe vu par les voyageurs anglais, Alger, Entreprise Nationale du Livre, 1988, P.P.301, 302.

اليومي وإرتبطت صورة المرأة المشرقية بالخيال الغربي عن عالم الشرق بشكل كبير، كما تعرف الفرنسيون من خلال هذه الرحلات على العادات والتقاليد وممارسات الشرقيين في حياتهم اليومية كالعبادات، الإحتفالات، الحمام وعادات النظافة، حفلات الزفاف، الألبسة والمأكولات وغيرها من العادات والأعراف، أما الموسيقى والرقص التركي والعربي فقدم بنوع من الإرتياب والملاحظ أنه رغم الوصف والنصوص ظل الخيال يغلب على الرسومات الفرنسية التي وصفت الإحتفالات العثمانية من منظور غربي محض¹ شكلا وإنطباعا.

6. تصنيف الرحلات الفرنسية حسب الدراسات.

قدمت الباحثة الفرنسية "إيفليس برنارد" "Yvelise Bernard" في بحثها تصنيفا لكتابات الرحلة حسب رحلات القرن السادس عشر، لكن المعروف أن موجات الرحلة تواصلت على نفس المنوال عبر القرون وصولا إلى القرن التاسع عشر فترة دراستنا، سواء الأهداف أو الوسائل أو الكتابات مع فارق تغير الزمن وتطور الوسائل واتساع أنواع الرحالة وتوجه موجة الهجرة مع المد الإستعماري، وصنفتهم إلى أربعة أصناف إرتبطت بمحتوى ونوع الكتابة، وهي:

أولها "كتابات أدب الرحلة" (علاقات الرحلة) وهو كتاب جغرافي يصف فيه الرحالة البلدان التي زارها مع إضافة معلومات إثنوغرافية.

وثانيها "الكتابات المركبة" (الكوزموغرافيا) وهنا ليس من الضروري أن يكون الكاتب قد زار البلدان الموصوفة أو تنقل إليها بل يعتمد على مجموعة من المصادر والدراسات التي تحدثت عن نفس الموضوع لتركيب الرحلة وتأليفها بذكاء، ومن خلال المحتوى يلتحق هذا النوع بالكتاب الجغرافي.

وثالثها "كتابات إخبارية حولية" هو أدب رحلة مطولة في أسلوبها تقترب من مقال للأخبار، ثري بالمعلومات أين نجد السرد للأحداث المحددة والآراء الشخصية للمحرر.

ورابعها "كتابات كتب التاريخ" يوجد بها التاريخ والإثنوغرافية وهذين عنصرين مهمين متلاحمين في أدب الرحلة يسرد الأحداث التاريخية كالتاريخ السياسي والعسكري، وهذا النوع من الدراسات يدفع بالمتحدثين إلى دراسة عادات المجتمع وجمع الملاحظات وهذا ما يشكل الإثنوغرافيا.

¹Irini Apostolou., L'Orientalisme des voyageurs français au XVIII^e siècle..., Op.cit., P. P.317, 326, 331, 340, 332.

وخامسها "كتابات أدب الحج" هو خاص برواية الحج قريب من أدب الجغرافيا لأن الراوي يصف البلد وعادة ما يكون التركيز على الأماكن الدينية¹.

7. أهداف الرحلة.

قد تختلف أهداف الرحلات باختلاف توجهات الرحالة، فكما يورد الباحث "سليمان آيت سيدهم"² في إستنتاجه حول الرحلات التي درّسها أنه: "...هناك ثلاث أصناف من الرحالة في الجزائر أهمهم الموظفين، العسكريين، العلماء والكتاب الصحفيين درسوا البلاد من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب في مختلف المسارات الجغرافية، ركزوا في جزء أول على نقاط الوصف المسيطرة في رواياتهم (الزمان، المحتوى، إستخدام الصور)، والجزء الثاني على العلاقة بين الرحلات والتقارير والشهادات على طريقتهم المتدرجة في وصف الجزائر المستعمرة، ونكتشف كيف يكتبون على طريقتهم تاريخ مستوطنة الجزائر المتداخل والموازي للتوسع الإستعماري الفرنسي في البلاد، كتاريخ المعمر المزارع الذي إستولى على أراضي الأهالي، تاريخ المظاهر الطبيعية وأنماط معيشة الجزائريين التي تحولت بسبب إدخال التقنيات والحضارة الغربية وتغريب العنصر المحلي مع هذه التغيرات والتناقضات، تاريخ الآثار الرومانية وتمجيد الإحتلال الفرنسي للاتينية التي تغذي ثقافة الكتب المختصة في التاريخ القديم والجزء الأخير يدور حول التوجه الإثني النهائي لكتابات الرحلة هذه، ويؤكد الكاتب على تعقد وإزدواجية علاقات الرحلة للرحالة المتوجسين من الآخر ومن التركيبة الإثنية التي تبدو لهم غريبة فيخلقون أساطير إستشراقية لا علاقة لها بالواقع الملاحظ، وهنا نستنتج رؤية الباحث حول توجهات الرحلات وتأثرها بمختلف التيارات الفكرية التي تؤثر على كتابة موضوعية عن المجتمع المحلي. من جهة أخرى إرتبطت موجة الرحلات بالتوسع الإستعماري، فالجزائر هي الأقدم إستعماراً بالمقارنة بدول المنطقة³، ومثلت قاعدة للإحتلال الفرنسي فكانت عملية تقسيم إفريقيا كعنصر من التوسع الإمبريالي في العالم، وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر برر مؤيدي التوسع الإستعماري تأسيس المستوطنات بعدة أسباب، وهذا ما نجده في الخطاب الشهير لـ "جيل فيري" "Jules Ferry" الذي ألقاه

¹Yvelise Bernard, L'Orient du XVI^e siècle à travers les récits des voyageurs français..., Op.cit., P. P.62, 63.

²Slimane Ait Sidhoum., Les récits de voyage en Algérie dans la presse illustrée et les revues du XIX^e siècle ou l'invention d'un orient de proximité, sous la direction de Marie-Ève Thérenty université de Montpellier 3, France, 2013.

³Jacques Valette., La France et L'Afrique, L'afrique française du nord 1914-1962, Paris, SEDES, 1993, P.19.

أمام غرفة النواب في 28 جويلية 1885، إذ تحدث عن أسباب أخرى غير معالجة الفائض السكاني وهي ثلاثة ; أولها السبب الإقتصادي لتحويل رؤوس الأموال وخلق مناصب شغل، وثانيها سبب إنساني لإدخال "الأعراق الأقل درجة" في الحضارة الغربية أي تحضيرهم، وثالثها خلق نقاط ضغط إستراتيجي في العالم، ووجوب المشاركة في الحركة التوسعية بالتوازي مع المد الإستعماري للأمم الأخرى¹، وبالتالي تعددت أهداف ووسائل الرحلة وطبيعتها في ظل الصراع الإستعماري والتنافس الأوروبي والتصادم الفكري بين مختلف المدارس الفكرية الغربية في القرن التاسع عشر المنظرة للفكر الإستعماري، فمثلت الرحلة جزء من الكل المنطوي ما بين التوسع الإستعماري والفكر اللإستشراقي. من خلال هذا التصنيف والإشارات التاريخية يمكننا فهم ورصد الخطوط العريضة لأهم النقاط المحورية لدراستنا والتي تمثل خارطة طريق لمنهجية البحث لهذه الدراسة.

ج. مرسيليا، بوابة الشرق.

يبدأ "جون لوران" رحلته ككل الفرنسيين تقريبا من مدينة "مرسيليا"، ويقدم وصفا كلاسيكيا للمدينة خاصة الميناء القديم والأحياء المعلمية التي يصفها بالمدينة الشرقية، خاصة التأثير المتوسطي الإيطالي والإسباني، كذلك السماء الأزرق والشمس الدافئة والمناخ المتوسطي الذي يشبه مناخ الجزائر ويصف الطريق البحري في عرض المتوسط وكل المدن التي مروا عليها خلال الرحلة، وكان وصف المدينة التي تختلف عن العاصمة "باريس" مبهرا بالنسبة للرحالة الذين عادة ما تكون "مرسيليا" إكتشافا لأول مرة وبوابة للصفة الغربية للمتوسط أين يبدأ سحر الشرق ويبرز تأثير التيارات الفكرية والإستشراق ويبدأ الفضول يكتنفهم قبل الوصول إلى مستوطنة الجزائر، موطن بلد الشرق والإستشراق الفرنسي².

ثانيا: الرحلات المصدريّة وتصنيفها.

في هذا العنصر نعرض الرحلات³ المعتمدة في الدراسة وتصنيفها حسب قراءتنا الشخصية لتوجهات الرحلة ونوعها مما سمح لنا أن نضع لها تصنيف تاريخي بعيد عن التصنيف الأدبي المتخصص للرحلات التي عرفتها البلاد في القرن التاسع عشر، ونقدم تعريف مختصر لبعض الرحالة المعتمدين في دراستنا، ثم قدمنا قراءة نقدية لهذه الكتابات وإستنبطنا صور عن الجزائر والمجتمع

¹Hélène d'Almeida -Topor., L'Afrique Au XXe siècle, Paris, Armand Colin éditeur

1993, P.10.

²Jean Lorrain, Heures d'Afrique, deuxième mille, Paris, Bibliothèque-Charpentier, 1899, P.P.1-14.

³ لم نعرض وندرس كل الرحلات لعددها الهائل، بل قدمنا جزء يسير فقط وأشرنا لجزء آخر.

الجزائري المحلي من خلال هذه الرحلات التي فصلها في أقسام الأطروحة عبر عدة عناصر علمية. من خلال البحث والدراسة إرتأينا تصنيف الرحلات إلى عدة أقسام، وإرتبط هذا التقسيم بالدراسة في مجملها، إذ كان لنا الخيار في تقسيم الرحلات زمنيا وعرض ودراسة أهم الرحلات لكل فترة وبذلك تكون الدراسة مبينة على تقسيم سياسي مرتبط بالميثروبول وعرض صور المجتمع في كل فترة ومن خلال كل الكتابات لكن ذلك كان سيوقعنا في عنصر التكرار والتداخل بإعتبار تكرار الرحلات، لذلك آثرنا تقديم تصنيف مغاير يعتمد على محتوى وهدف ونوع الرحلة دون التحديد الزمني بإعتبار أن دراستنا محددة زمنيا في إطارها العلمي العام من 1830 إلى 1900، وعليه قدمنا تقسيم وتصنيف شخصي نأمل أن يكون مساعدا لدراسات علمية مماثلة ويفتح آفاق التخصص في الرحلات، أي ننتقل من دراسة الرحلة في الجزائر في القرن التاسع عشر إلى دراسة الرحلات الميكروليتيّة المتخصصة.

أ: الرحلات الرسمية للمستوطنة.

نرصد في هذا العنصر الرحلات التي قام بها أشخاص رسميون إلى مستوطنة الجزائر بتوصية من الميثروبول كمرافقة الإمبراطور في زيارة رسمية، أو تكليف من الكنيسة لرجال الدين في إطار الزيارة والحج أو التنصير، أو في إطار عسكري للجيش من الضباط العسكريين والأطباء، أو العلماء والباحثين المُختصين المبعوثين من مؤسسات علمية رسمية، وإستفاد أولئك الرحالة من حماية سلطات الإدارة الإستعمارية في الجزائر، وتقاطعوا في طبيعة وأهداف ووسائل الرحلات، وسنحاول رصد نماذج لكل صنف.

1. رحلات الموظفين الرسميين والسياسيين ورجال الدين.

كانت هذه الرحلات الرسمية السبّاقة للمستوطنة بإرسال رجال السلطة الإستعمارية الرسميين من الميثروبول إلى مستوطنة الجزائر، ومنهم موظفين ومستشارين ورجال دين ضمن جماعات تبشيرية رسمية وشخصيات عامة ومنها حتى الأدبية، لزيارة البلاد ورصد المجتمع في محاولات كولونيالية لدراسة إثنوغرافية المجتمع المحلي والخروج بتصور ومفهوم يسمح بالسيطرة على الآخر وإستشراق مستقبل الإحتلال، ومثلت هذه الرحلات الرسمية للمستوطنة ركيزة قاعدية للتأريخ الرحلي، وتعتبر هذه الرحلات نماذج أساسية في دراستنا، ومن الرحالة الموظفين الرسميين الذين زاروا المستوطنة في وفد رسمي ووثقوا رحلتهم في شكل كتاب مؤلف جمعوا فيه معلومات قيمة ومتنوعة في مختلف المجالات الحياتية بدءا بالعمران وتغيراته بسبب الإستعمار وصولا إلى المجتمع وفنائه والعادات والتقاليد والأعراف ودقائق الحياة الإجتماعية والحياة الدينية والإقتصادية وحتى البيئية، ونذكر منهم مثلا:

1 . 1 . الرحالة إيكزافيي مرميي "Xavier Marmier" رحلة رسمية في مرافقة للوزير .

من أهم الرحلات المصدرية عن الجزائر، جاء في زيارة للمستوطنة رفقة وزير التعليم العام "سالفندي" "Salvandy" سنة 1847، عنوان رحلته "رسائل عن الجزائر" نشرت سنة 1847:

Marmier, Xavier., Lettres sur l'Algérie, Paris, Arthus Bertrand, Editeur, 1847.

إعتمد في المعلومات التاريخية على أمهات المصادر المصدرية لتاريخ الجزائر العثمانية، إضافة إلى المصادر الفرنسية التي زار مؤلفيها المستوطنة ووثقوا شهاداتهم مما يزيد في مصداقية المعلومات التاريخية التي إعتمدها "كزافيي مرميي" من خلال الرحلة، وقدمها في 364 صفحة، وصل الجزائر في 3 جويلية وحضي بإستقبال رسمي رفقة الوزير الذي كان أول وزير يزور المستوطنة، وكانت له زيارات إلى عدة مدن رفقة الوزير، فبعد العاصمة بساحلها كانت مدية والشلف ومناطق أخرى في جولة وزيارة عمل سياسي¹.

1 . 2 . رحلة "آرنست فايديو" "Ernest-Aimé Feydeau"² رحلة رسمية في مرافقة الإمبراطور .

الكاتب الرحالة من مواليد 16 مارس 1821 بباريس، توفي في 29 أكتوبر 1873 مؤلف ووسيط بورصة ومدير جرائد وعالم آثار فرنسي، كان والده في الجيش النابوليوني تزوج "فايدو" مرتين بإمرأتين من عائلتين أدبيتين، زوجته الأولى Agnès-Octavie Blanqui وهي ابنة Auguste Blanqui تزوج بها عام 1847 لتتوفى عام 1859، ليتزوج ثانية من بولونية يهودية الأصل تدعى Léocadie Bogaslawa Zelewska وهي حفيدة vicomte de Calonne وأنجب معها طفلين هما Georges "جورج" (1862-1921) و Valentine "فالنتين" التي ولدت عام 1866، وإشتهر بروايته Fanny التي نشرها عام 1858 ذات الطابع الواقعي الطبيعي، وكان من الأصدقاء المقربين لأهم الروائيين ورجال الأدب والرسامين الفرنسيين، ومنهم كل من Gustave Flaubert و Théophile Gautier و les frères Goncourt³.
رحلته إلى الجزائر هي من أهم الرحلات الرسمية للمستوطنة، رافق خلالها الرحالة الإمبراطور "نابوليون الثالث" "Napoléon III" في زيارته إلى الجزائر عام 1865، وألف رحلته بعنوان "الجزائر دراسة" "آرنست فايديو" "Alger, Etude par Ernest Feydeau"، خصص رحلته لمدينة الجزائر فقط، ووثق الكثير حولها

¹Xavier, Marmier., Lettres sur l'Algérie, Paris, Arthus Bertrand, Editeur, 1847, P.P.35, 36.

²Ernest Feydeau., Alger, Paris, Michel Lévy Frères, Libraires éditeurs, 1862.

³Wikipedia® est une marque déposée de la Wikimedia Foundation, Inc., organisation de bienfaisance régie par le paragraphe 501(c)(3) du code fiscal des États-Unis, Dernière modification de cette page le 25 juin 2014 à 08:17.

سواء عن الحياة الإجتماعية والثقافية والعمرانية وغيرها، وطبعت هذه الرحلة بعد سنتين من زيارته للمستوطنة بمطبعة الإخوة ميشال ليفي عام 1862، "Michel Lévy Frères, Libraires- éditeurs" أهدى مؤلفه للأديب المشهور "سانت باف" "Sainte-Beuve" به 288 صفحة وفهرس ويضم سبعة أقسام مفصلة. وفي إهداءه الخاص لأستاذه المؤرخ بتاريخ 5 أوت 1860 بحيدة بالجزائر العاصمة، تحدث الكاتب عن سبب وأهداف الرحلة التي قادته إلى المستوطنة، إذ يقول: "أستاذي العزيز أنت على دراية بالأهداف التي جعلتني أغادر باريس مُرهق من العمل والتزاماته، فكان عرض الوزير فرصة جيدة تتسني شقاء مهنة الكاتب وتحقق لي الراحة النفسية وبفضله قدمت لي تسهيلات لم أكن أنتظرها وأتوقعها لزيارة مستوطنتنا "Notre Colonie" وبما أنني إستقدت من هذا العرض لن أتنازل عن الإستفادة من إمتيازات هذه الرحلة وإفادة غيري منها،...¹، ومن خلال هذا الإهداء نستخلص عدة قراءات، منها الأهمية الكبيرة للرحلة إلى المستوطنة بين طبقة المثقفين الفرنسيين الذين كانوا يرغبون في زيارة المستوطنة في إطار موجة وموضة الرحلة إلى المستوطنة الجديدة، كما يمثل جزء من الإستشراق كما أشرنا إليه في مقدمة الأطروحة، ويعتبر جانب أساسي من سياسة الميثروبول، ويتجلى ذلك في إهداء الكاتب بقوله: "...أن زيارة المستوطنة هو مشروع وُضع منذ أن أصبحت رجلا " Un Projet Formé depuis que j'ai l'âge d'homme"،... وأصبح مبتغى الفرنسيين، فهو من مواليد سنة 1821 أي عند إحتلال الجزائر كان عمره تسع سنوات [9]، وزارها سنة 1860 أي بعد ثلاثين عاما من الإحتلال لما أصبح في عمر التاسعة والثلاثين [39]، وهذه الرحلة كما أشرنا أعلاه بها سبعة أقسام، القسم الأول تطرق فيه إلى نظرة عامة حول مدينة الجزائر، الأحياء، المنازل الحضرية وفصل فيها ك: طريقة البناء، الداخل، التأثيث، ثم عرض آثار الإحتلال بحديثه عن الخراب الذي حل بالحي الحضري، بعدها أضاف: زيارة لأهم معالم المدينة منها المتحف، مستشفى المقاطعة العسكرية، قصر الحكومة، القصبة وغيره،... أي تناول فيه عدة نقاط تخص عمران ومعالم المدينة، أما القسم الثاني تطرق فيه إلى سكان مدينة الجزائر الفيلولة المساء في ساحة الحكومة، وتناول فيه حرية وطريقة الخطاب، ثم تحدث عن داخل بيت أهلي، لباس المرأة في الغرفة، المقهى الحضري الموسيقيين، حي كاثاروجيل "Kattaroudjil"²، والقسم الثالث كان أكثر تفصيلا إذ تطرق فيه إلى عدة نقاط منها مختلف أعراق الأهالي في مدينة الجزائر، الأمناء، أنواع الحضر، المميزات العامة لهذا العرق، الباسشيش الحضريات، لباس الشارع الوجبات الصدقات إحتفالات الأهالي، النبيطة، الرقص، الثمالة، النبيطة العامة، رقصة البطن، القارقوز، الدرباح عرب غير متعلقون في الجزائر، الحضر في المسجد محكمة القاضي، المفتي، عادات الحضر، في حين القسم الرابع تطرق فيه لفئة اليهود بمدينة الجزائر منها

¹Ernest Feydeau., Alger, Op.cit.,[Dédicace à M. Sainte-Beuve] , P.P.A, B.

²Ibid., P.P.1, 43.

اليهود، سلوكهم، الصناعة، ثروتهم اليهوديات مختلف الأصناف، اللباس، تفاصيل عن العادات حفل زفاف يهودي، وفي الأخير القسم الخامس الذي خصصه للحديث عن العبيد وبعض الفئات الأخرى، بدأه بالعبيد، نوعين مختلفين، صناعة العبيد، لباسهم، البساکرة، الإسبان، سكان أحياء الجزائر، ورصد في هذا القسم معلومات مختلفة عن معالم مدينة الجزائر منها ضواحي الجزائر المرتفعات ثم تحدث عن بعض المناطق كسان أوجان بوزريعة وحدائقها، الأبيار، سكاكين مصطفى حيدرة المزرعة، مقهى الحضر والمقبرة¹، وختم بملخص للرحلة، وتعتبر رحلة "آرنست فايدو" من الرحلات الرسمية الهامة عن الجزائر فصل فيها عن المدينة والمجتمع، وتُمثل رصيد تاريخي علمي ثري يفتح مجال لدراسة مدينة الجزائر في القرن التاسع عشر.

1 . 3 . رحلة الصحفي "بول بورد" "Paul Bourde" الرسمية في مرافقة الوفد البرلماني.

الكاتب الصحفي الفرنسي "بول بورد" مرافق الوفد البرلماني الذي زار البلاد وكان يعمل بصحيفة "الأخبار العالمي"، عنوانه رحلته بـ"عبر الجزائر، ذكريات رحلة برلمانية (سبتمبر-أكتوبر 1879)"². «à Travers l'Algérie, Souvenir de l'excursion Parlementaire (Septembre-Octobre 1879)». الرحلة في 22 سبتمبر 1879 جهزت بعثة إلى الجزائر ضمت برلمانيين بمعية محليين، إنطلقت من مرسيليا وكان على متنها نواب من مجلس الشيوخ وهم السادة Lelièvre من مدينة الجزائر، Lucet من قسنطينة Chevassieux من "لا لوار" La Loire ونواب برلمانيين منهم نواب عن مدينة الجزائر ووهران وقسنطينة، ونواب عن عدة مقاطعات فرنسية، وقارب عددهم العشرين نائبا، منهم السيد Girerd عن منطقة "La Nièvre"، نائب سكرتير الدولة لوزارة الفلاحة والتجارة السيد Barodet، النائبين Boudeville و Fousset عن منطقة "La Seine"، عن "l'Oise" النائبين Crozet-Foumeyron و Magniez ونائب منطقة "La Loire" السيد Farcy Devade du Loiret، عن منطقة "Loiret" النائب Gastu وعن الجزائر العاصمة النائب Jacques، وعن وهران النائب Joley (Albert)، عن منطقة "de la Seine-et-Marne" النائب Jozon، عن منطقة "de la Seine-et-Marne" النائب Lecomte، عن منطقة "l'Indre" النائب Légrand (Louis)، عن الشمال Levavasseur عن منطقة "de la Somme" النائب Ménard، عن منطقة "de l'Hérault" النائب Noël Parfait وعن منطقة "d'Eure-et-Loire" النائب Picard (Arthur)، وعن منطقة "des Basses-Alpes" النائب السيد Thomson عن منطقة قسنطينة النائب Tiersot، عن منطقة "de l'Ain" النائب Villain وكذلك ممثل عن منطقة "de l'Aisne". تم طبع الرحلة في باريس بمطبعة "G. Charpentier éditeurs Paris," سنة الطبع 1880، يحتوي

¹Ernest Feydeau., Alger, Op.cit., P.P.79, 173, 203, 229.

²Paul Bourde., à Travers l'Algérie, souvenir de l'excursion parlementaire (Septembre-octobre 1879), Paris, G. Charpentier éditeurs, 1880.

المؤلف على 386 صفحة، به مقدمة وستة عشر عنوانا وخاتمة وينتهي بفهرس الرحلة، وهي رحلة أكثر إماما لأن الكاتب قدم من خلالها كامل أرجاء البلاد من الشرق إلى الغرب إلى المناطق الداخلية، بعد المقدمة أول عنوان كان حول إنطلاق الرحلة من فرنسا ومصاعبها وعبره البحر الأبيض المتوسط والنظرة الأولى لمدينة الجزائر، ثان عنصر حول عنابة، ثالث عنوان تنمة عن عنابة، رابع عنوان حول الطريق من عنابة إلى قسنطينة، خامس عنوان حول قسنطينة، سادس عنوان حول سكيكدة سابع عنوان حول الطريق من قسنطينة إلى بسكرة، ثامن عنوان حول بسكرة، تاسع عنوان حول الطريق من قسنطينة إلى بجاية، عاشر عنوان خصه لإحتجاجات المعمرين المزارعين ومختلف القضايا التي تخص الأراضي والديون، العنوان الحادي عشر كان حول القبائل العنوان الثاني عشر كان حول قضية الأهالي، العنوان الثالث عشر كان حول مدينة الجزائر، العنوان الرابع عشر كان حول بعض الإصلاحات التي تخص الإدارة، العنوان الخامس عشر كان حول الطريق من الجزائر العاصمة إلى وهران، والعنوان السادس عشر كان حول تلمسان وسيدي بلعباس وأخيرا ختم بخاتمة وفهرس للرحلة. وتعتبر رحلته رحلة نموذجية إلى المستوطنة بإعتباره رصد مسار الرحلات العام في تلك الفترة، إذ كانت مدينة الجزائر المحطة الأولى للرحالة ثم قسنطينة وبسكرة ومدن الغرب.

1 . 4 . الرحالة "دوفونتراس" "Armand Trumet De Fontarce" مكلف بمهمة وزارية إلى بسكرة.

وهو عضو في الجمعية الأنثروبولوجية الفرنسية، قام مع ابنه "موريس" عام 1889 برحلة إلى البلاد قبل المهمة الوزارية الموكلة له في 16 ديسمبر 1890 من قبل وزير التربية العمومية والجمعية الأنثروبولوجية لدراسة الآثار البونيقية والرومانية واليهودية والمسيحية، ثم قام برحلة أخرى شخصية عام 1895 وبذلك فهو يعرض رحلته الأولى مع ابنه عام 1889، ونتائج مهمته الوزارية الحكومية عام 1890-1891، ثم يعرض رحلته الفردية في ربيع 1895¹، وهذه الرحلة قادت "دي فونتراس" إلى بسكرة فكانت في مارس 1895 وزار كل من سكيكدة، قسنطينة، باتنة، بسكرة والخروب وكان هدفه نقل جماجم يهود من تونس للجمعية الأنثروبولوجية، ومن خلال هذه الرحلة رصد الرحالة "دي فونتراس" أيضا عدة صور طوبوغرافية وسوسيو-ثقافية عن مدينة بسكرة ومنطقتها، ونشر هذه الرحلة في 10 سبتمبر 1896، ويصفها بالشيقة وكتب عنها بإسهاب وتوسع إذ كانت رحلته إلى المدينة عبر طريق موحش يتميز بالغطاء النباتي الفقير والمقفر مع تغير المنظر أحيانا إذ كان للصخور المرتفعة منظر جذاب حسب تعبيره ولتنوع البيئة وألوانها سحر خاص، ألهم كل من زارها من الرحالة².

¹Armand Rumet de Fontarce., Souvenirs d'Afrique, Algérie, Tunisie. mission officielle, journal de voyage, Bar-Sur-Seine, Imprimerie V° C. Saillard, éditeur, 1896, P.6.

²Ibid., P.7.

1 . 5 . رحلة محافظ مكتبة الجزائر آدريان باربريقي Adrien Berbrugger الرسمية.

آدريان باربريقي من أشهر الكتاب والمثقفين الفرنسيين، كان محافظ مكتبة الجزائر مثقف ولديه العديد من المؤلفات والدراسات عن الجزائر زار "الأمير عبد القادر" وإنبهر بشخصه ونقل صور جليلة عنه، وهي رحلة قام بها "باربريقي" بمرافقة سبعة أوروبيين وثلاث حضر ويهوديان إلى مخيم "الأمير عبد القادر"، ورغم كونها ذات صبغة سياسية وزيارة رسمية للأمير ومبعوث الإدارة الإستعمارية إلا أنه خلال هذه الرحلة رصد معلومات تاريخية هامة عن المجتمع المحلي الذي مثله مجتمع "الأمير عبد القادر" سلطان الغرب، عنوانها بـ "رحلة إلى مخيم الأمير عبد القادر في حمزة وجبال ونوغة (مقاطعة قسنطينة) في ديسمبر 1837 وجانفي 1838"¹.

1 . 6 . رحلة الكاتب السياسي كلاماجرون، "Clamageran".

الرحالة الفرنسي ورجل السياسة الكاتب كلاماجرون زار الجزائر وألف رحلة " إنطباعات رحلة (من 17 مارس و 4 جوان 1873) يتبعه دراسة حول المعاهد القبائلية والإستيطان، طبع سنة 1874". Clamageran, Jean-Jules., L'Algérie : impressions de voyages (17 mars-4 juin 1873) ; suivies d'une Etude sur les institutions kabyles et la colonisation. Librairie Germer Baillière, 1874. هي من الرحلات السياسية الهامة، تم جمعها في هذا المجلد بعد أن نشرها على شكل مقالات في "المجلة السياسية والأدبية" نهاية 1873 وبداية 1874 "La Revue politique et Littéraire" وتعتبر ذات أهمية، تحدث عن الجزائر، كالجغرافية والتضاريس، أهم المعالم العمرانية للمدينة من جوامع ومبان وكل الجوانب السكانية كالفئات الإجتماعية السكان، العادات والحياة الثقافية، وغيره².

1 . 7 . الرحالة "شارل نودبي" "Charles Nodier 1781-1844".

بعد إحتلال الجزائر قام العديد من أفراد العائلة المالكة الفرنسية بزيارات إلى المستوطنة الجديدة وساهمت في التوسع الإستعماري في البلاد إذ قاد الأمير "الدوق دي نور" "le Duc De Nemours" الحملة الثانية ضد قسنطينة سنة 1837، كما قام "الدوق دي أورليون" "le Duc d'Orléans" بعد مشاركته في الحملة العسكرية ضد معسكر سنة 1835 بزيارة ثانية إلى المستوطنة سنة 1839 وكانت زيارة دولة رسمية وكلف الكاتب "شارل نودبي" بجمع وكتابة رسائل "الدوق دي أورليون" حول الجزائر

¹Adrien Berbrugger, « Voyage au Camp d'Abd-el-Kader à Hamza eu aux montagnes wannourhah (province de Constantine) en décembre 1837 et janvier 1838 »

²Jean-Jules Clamageran., L'Algérie : impressions de voyages (17 mars-4 juin 1873) ; suivies d'une Etude sur les institutions kabyles et la colonisation, Paris, Librairie Germer Baillière, 1874, P.5.

من خلال هذه الزيارة، وكانت الرحلة بعنوان كما يصفها الكاتب بعنوان مظلّل وهو "مذكرات حملة رأس الحديد" "Journal de l'expédition des Portes de Fer" وهي مجموعة من الرسائل كُلف الأكاديمي "نودي" بصياغتها، وتعتبر مظللة لأن "نودي" وصف ما لم يرى فعليا وكانت بصياغة "نحن" وبها كم هائل من المعلومات والصور فبين كل صفحتين لوحة مصغرة أو نقيشة وبين كل عشر صفحات لوحة مصورة، وكلف رسامين مستشرقين عسكريين معروفين لرسم هذه اللوحات وهم "دوزات" "Dauzats" "دي كومب" "Decamps" و"رافي" "Raffet"، وكان طبع الرحلة بأعداد كبيرة من قبل الصحافة والمكتبة الملكية، ووزعت أعداد على كل مرافقي الدوق في رحلته ومثلت الرحلة معلم كبير للتمجيد الرسمي "للجزائر الفرنسية"، وتحدث بإسهاب على مختلف المناطق مرفوعة بصور ثرية منها وهران ومناطق الغرب الجزائري عموما، الجزائر العاصمة، قسنطينة وسكيكدة ومنها قاد حملة رأس الحديد، وأبرز الدوق محطات زيارته وأهم ما قام بها أثناء الرحلة من زيارات للقوات الفرنسية وحضور إحتفالات والقيام بحملات عسكرية¹، وهي في مجملها كما ذكرنا أعلاه تمجيد للإستعمار وإشهار لفكرة "الجزائر الفرنسية" خاصة بإعتبارها رحلة رسمية لفرد من الأسرة المالكة.

1 . 8 . الرحالة "إسماعيل إيربان" "Ismayl Urbain 1812-1884".

من أبرز السانسيمونيين، وكان من أهم الشخصيات البارزة من النخبة الإقتصادية والثقافية الفرنسية ما بين 1860-1870، زار المشرق سنة 1833 خاصة مصر وأسلم سنة 1835، لكنه برز في "الجزائر" التي زارها أول مرة يوم 22 أفريل 1837 وعمل مترجم عسكري ثم ملحق بالمكتب العربي وتزوج سنة 1840 من قسنطينة، أصبح في ما بعد من أبرز مستشاري الإمبراطور "نابوليون الثالث" حول قضايا "المملكة العربية"، وناضل ضد سياسة الإدماج التي أعلنتها الجمهورية الثالثة وسياسيات السلب والمصادرة ضد الأهالي من خلال جريدة المناظرات، وتوفي سنة 1884 بالجزائر، وقدم العديد من الكتابات حول الجزائر وعُرف عنه ميوله للإستشراق إذ بمجرد وصوله للجزائر كان يبحث عن معالم الشرق في مدينة فقدت طابعها إلى حد ما بسبب الإستعمار أو كما يصفها في هذا الجانب "فرانك لوران"، ومن أهم ما كتب "حفلة في قسنطينة" وتعتبر ثرية بالمعلومات الأنثروبولوجية عن العادات والفئات الإجتماعية، كما نشر كذلك "مراسلة خاصة، الجزائر 1837" وتعتبر كتاباته ذات أهمية تاريخية رغم تأثره الكبير بالتيار الإستشراقي، إذ إهتم بالمجتمع المحلي ودرس مختلف الجوانب الحياتية ووثق ملاحظاته بموضوعية مقارنة بغيره من الرحالة المؤلفين².

¹Franck Laurent, Le Voyage En Algérie, Anthologie de Voyageurs Français Dans L'Algérie Coloniale..., Op.cit., P.P.53, 54, 55, 67, 71.

²Ibid., P.P.32, 33, 47-52.

1. 9 . الرحلة الدينية للأسقف سوشي L'Abbé Suchet .

هناك العديد من الرحالة من رجال الدين الذين زاروا البلاد ومكثوا بها وكتبوا عنها، ونسلط الضوء على نماذج تكون جامعة لأن عددها كبير جدا وارتبط بالاحتلال الفرنسي وبالتصوير في مختلف مناطق البلاد من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب، منها رحلة الأسقف سوشي بدأها سنة 1839، عنوانها ب: "رسائل تنويرية وفضولية عن الجزائر 1840"، بحجم كبير ما يقارب 440 صفحة: «Lettres édifiantes et curieuses sur l'Algérie 1840» -L'Abbé Suchet, رجل دين فرنسي أثناء زيارته وإقامته بالبلاد رصد "القس سوشي" الكثير من المعلومات التاريخية المتنوعة والثرية عن "الجزائر"، وفي بدايات رسائله كتب قائلا: "...، لدى هذه البلاد فعلا مظهر الجنة على الأرض..." "Ce pays a vraiment l'aspect d'un paradis terrestre"¹، عين "القس سوشي" سنة 1839 على رأس كنيسة سوق الغزل بمدينة قسنطينة، إذ إختار "المارشال فالي" "Le maréchal Valée" أجمل مسجد في قسنطينة وحوله إلى كنيسة حسب تعبير القس²، وارتبطت زيارته للبلاد بتأليف الرسائل التي هي محور رحلته، منذ وصوله في 8 فيفري 1839 إلى الجزائر العاصمة بدأ في التأليف فزار قسنطينة التي وصلها يوم 27 فيفري وألف عدة رسائل عنها خلال عدة فترات متواصلة منها يوم 22 أفريل، ورسالة 2 جوان، 4 سبتمبر، 23 سبتمبر 23 أكتوبر، ثم عاد إلى العاصمة يوم 25 أكتوبر ثم زار "هيبون" (عنابة) في 16 و 28 ديسمبر، وألف رسائل أخرى، بعد زيارة "فيليب فيل" (سكيكدة) في أول جانفي سنة 1840 ألف رسائل عنها، وبعدها رحل إلى العاصمة يوم 4 و 19 و 27 جانفي، ثم رجع إلى "بون" (عنابة) يومي 22 جويلية و 27 أوت [وهنا نلاحظ إستخدامه لتسمية "بون" في حين سنة 1839 عند أول زيارة إستخدم تسمية "هيبون" والفرق هو البعد الديني بين التسميتين بالنسبة له كرجل دين فهيبون مرتبطة بآثار القديس أوغسطين]، ثم ألف رسالة من قسنطينة في 15 سبتمبر وكذلك إثر زيارة فيليب فيل يوم 6 نوفمبر، ليعود إلى قسنطينة سنة 1841 يوم 6 فيفري ليزور العاصمة يوم 5 و 30 جوان، ليعود إلى مرسيليا لحضور الإحتفال بيوم "القديس سان مرتان" سنة 1841 "Le jour de Saint-Martin"، وبذلك ألف القس رسائل عن الجزائر، تحدث عن جوانب تاريخية واجتماعية وصف عمران المدينة وقصر أحمد باي، كما تحدث عن العادات والتقاليد لسكان المدينة وكان تأليفه للرحلة سنة 1840 عقب مكوثه بمدينة قسنطينة، وكما يرى السياسي والرحالة "كزافيي مرميي" أنه من بين رجال الدين الأوائل الذين بفضلهم ترسخت الحملة الفرنسية وكان قدومه للجزائر سنة 1830 وكما يقول في حديثه عن المبشرين ومنهم "الأب سوشي":

¹L'Abbé Suchet, Lettres édifiantes et curieuses sur l'Algérie 1840, vicaire général d'Alger, Tours, A^d MAME et C^{ie}, Imprimeurs-Libraires, 1840, P.7.

²Ibid., P.P.7-10,20.

"Les meilleurs renseignements que nous ayons encore sur les contrées les plus lointaines, les plus inexplorées du globe nous viennent des missionnaires. En 1830, un aumônier, M. Dopigez, accompagnait notre expédition un vicaire général d'Alger, M. Suchet, a visité les diverses parties de notre conquête, et nous devons à ces deux prêtres quelques-unes des pages les plus intéressantes qui aient été écrites sur l'Algérie"¹.

وأهمية رحلة "الأسقف سوشي" وما كتبه عن الجزائر تبرز من شهادة الكاتب السياسي "كزافيي مرمي" عنه، ومعرفته بـسياسية الميثروبول تجاه المستوطنة وإستنتاجاته التي نقلت جانبا من الحقيقة التاريخية.

1. 10. الرحالة الزائر الأب "جان إيريابل" "L'Abbé Jean Hurabielle".

كاتب "الكاردينال لافيغري" قضى كزائر عدة عطل شتوية في بسكرة من 1889-1890 ومن 1896-1897، ومكث ستة أشهر بالمدينة وقد أصبحت بسكرة منتجعا شتويا يقصده مختلف السواح والزائرين من مختلف الدول الأوروبية، وكانت تقام مخيمات منها بريطانية وسويدية وهولندية وأمريكية وألمانية وفرنسية ورحلته الأولى سنة 1889، نشرها بعنوان: "في بلد الأزرق، بسكرة والواحات المحيطة Jean Hurabielle (Abbé)., Au Pays du bleu, Biskra et les oasis environnantes, في أول زيارة للمنطقة كانت القنطرة بنزلها "بارترون" تستقبل الزوار وتوفر كل إحتياجاتهم، وهي مصحة طبيعية بفضل مناخها، وكان ينصح المكوث بها للشفاء من الأمراض، كما أن المنطقة تزخر بالآثار الرومانية "بخربال" و"البرج" على بعد 7 كلم من القنطرة والتي شيدت في عهد الإمبراطور "كاركلا" (211-217) كما كان لطريق السكة الحديدية المشيدة سنة 1888 دور كبير في الجذب السياحي، كما أن قرى القنطرة بها أعداد كبيرة من أشجار النخيل، وتنشط النسوة بالمنطقة في النسيج والحياسة أما الرجال في ممارسة الزراعة من زراعة الحبوب والخضر².

1. 11. رحلة "تيلي جيل" "Tellier Jules".

هي قصة طالب سابق من قسنطينة يروي أيامه الأخيرة، يتحدث عن المدينة والتغيرات التي أحدثتها الإستعمار الفرنسي ويصف إنطباع السكان عن مدينتهم بين الماضي والحاضر لما كانت مدينة عربية مميزة بعمرانها وسكانها وبين ما أصبحت عليه من مدينة أوروبية بعناصر سكانية دخيلة وهذا الطرح ينعكس على البلاد بعد مجيء الاحتلال الفرنسي، عنوان الرحلة: "جنتي عبد الرحمن" Tellier Jules, « Les Deux Paradis d'Abd-Er-Rhman ».

¹Marmier, Xavier., Lettres sur l'Algérie..., Op.cit., P.103.

²Jean Hurabielle (Abbé)., Au Pays du bleu, Biskra et les oasis environnantes, Paris, Augustin Challamel, éditeur 1899, P.P. 5-6, 9, 12, 14.

1. 12. الرحالة "أندريه جيد" "André Gide 1869-1951".

كانت شمال إفريقيا بالنسبة لـ"أندريه جيد" وبالتحديد مستوطنة الجزائر المكان الذي لا يرغب في مغادرته، فمنذ سنة 1893 أي لما كان بسن الرابعة والعشرون إلى غاية 1904 مكث بالجزائر ستة مرات ولعدة أشهر وزار بالجزائر كل من الجزائر العاصمة وضواحيها، البليدة، تيزي وزو، بوسعادة سطيف، قسنطينة، الجنوب القسنطيني في كل من باتنة، تڤرت وبسكرة والتي مكث بها مطولا وزارها في أول رحلة إلى الصحراء برفقة الرسام "بول لورنس" "Paul Laurens"، حيث إكتشف "الشرق الرائع" ونقل الكاتب صور ثرية ومتنوعة عن المجتمع المحلي بكل مكوناته وتفاصيله مساهما في التأريخ المحلي من خلال ما وثقه وما نشره، وكان "أندريه جيد" يشعر بالإمتنان للجزائر، التي مثلت له مكانا للحرية الشخصية¹ والتعبير عن الذات.

2. الرحلات الإستكشافية العلمية والعسكرية.

هي من الرحلات الرسمية إلى المستوطنة قام بها باحثون وعلماء، وإتخذت طابع علمي إستكشافي بدأت بسلسلة "الإكتشافات العلمية الجزائر" "Exploration scientifique de L'Algérie" [سنة 1841-1865، 1844] في عدة أجزاء، جردت معلومات عن الغطاء النباتي والحيواني بالتدقيق لمختلف مناطق البلاد وكذا قدمت دراسات طبوغرافية كما عرفت بالتضاريس بكل خصائصها وقدمت دراسات إثنوغرافية وأنثروبولوجية ودينية عن المجتمع المحلي وكذلك عرفت بالعادات والتقاليد، ونشرت دراسات علمية عن الأمراض، وكانت هذه السلسلة بمثابة قاموس عام مرجعي عن المستوطنة الجديدة فُهِزَسَ لكل المحتويات العلمية والبيئية والبشرية، وكانت مفتاح ومقدمة للدراسات اللاحقة ثم إنتشرت الرحلات الإستكشافية العلمية الفردية حول المستوطنة ومنها من كان برعاية رسمية ومنها الخاصة كان لها أثر معرفي كبير حول المستوطنة.

2 . 1 . قوتيي دومي آدونسون ليون Doumet –Adanson, Léon Gautier

هي رحلة علمية إستكشافية محضة، قام بها العالم "قوتيي ليون" من خلال رحلته رصد جوانب تاريخية وأنثروبولوجية وعمرانية عن مدينة قسنطينة وضواحيها، وكان وصف العالم "قوتيي" وصفا دقيقا فهو رصد حتى لباس السكان الخاص بكل فئة ومنهم الأوروبيين، عنون رحلته الإستكشافية الثرية عن مدينة قسنطينة بـ"رحلة علمية إلى مقاطعة قسنطينة سنة 1880".

¹Jean Hurabielle (Abbé)., Au Pays du bleu, Biskra et les oasis environnantes..., Op.cit., P.711.

Doumet –Adanson,Léon Gautier, « une excursion scientifique dans la province de Constantine en 1880 ».

وتعتبر هذه الرحلة من الرحلات العلمية المميزة عن مدينة قسنطينة التي تلت الرحلات الإستكشافية العلمية المشهورة للجزائر.

2 . 2 . الضابط الطبيب راس Louis-Jean-Max.Reuss .

نعرض هنا كتابات الضباط العسكريين من أطباء وضباط زاروا الجزائر وكتبوا عنها ومنهم من كان يزاول نشاطه العسكري، ورغم أنهم قدموا كتابات تستحق الإطلاع لكن يجب أن نُقرأ بحذر، ومنهم "لويس جون ماكس روس" هو طبيب وضابط في الجيش الفرنسي، زار عدة مناطق من البلاد وقدم وصفا شاملا للمستوطنة والمجتمع، عنوان رحلته بـ "عبر الجزائر 1884"

Louis-Jean-Max.Reuss., A travers l'Algérie 1884, Paris, Librairie Générale de Vulgarisation, 1884.

الرحلة في 230 صفحة وهي ثرية جدا بما تضم من جوانب تاريخية وجغرافية وبشرية، القسم الأول يضم الجانب الجغرافي، المناخ، الإثنوغرافيا، الإدارة، الأعراف، ثم ينتقل للحديث عن المدن بدءا مقاطعة قسنطينة، منها بونة، قسنطينة، سطيف، ميله، بجاية، جيجل، القل، باتنة، تبسة، بسكرة، تقرت و برج بوعرييج، ثم ينتقل للقسم الثاني إلى الحديث عن مقاطعة الجزائر منها مدينة الجزائر، البليدة الشلف، تنس، مليانة، مدية، سور الغزلان، القبائل، الأغواط وورقلة، أما القسم الثالث فينتقل للحديث عن مقاطعة وهران ومنها سيق، وهران، أرزيو، مستغانم، تلمسان، سيدي بلعباس، معسكر، سعيدة تيارت وأولاد سيدي الشيخ، كما أرفق الرحلة بالعديد من الرسومات المميزة والمهمة قرابة إحدى وعشرين رسم، وقدم وصفا دقيقا لكل المقاطعات التي زارها، فمثلا عن مدينة الجزائر يوضح أنها وصفت من قبل العديد من الرحالة، العلماء والأدباء وهي معروفة أكثر من كبرى المدن الفرنسية، وكل المناظر والمواقع أصبحت معروفة بفضل الصور والكتابات¹، والرحلة من أفضل ما قدم الكاتب من خلال صور ومناظر دقيقة عن البلاد ومرفوعة برسومات تجسدية وتوضيحية مهمة جدا وذات قيمة تاريخية.

2 . 3 . الضابط الطبيب جون بيار بونافون Jean-Pierre Bonnafont .

"جون بيار بونافون" طبيب وضابط في الفرقة الشرفية وعضو في الجمعية الأدبية في الجيش الفرنسي خدم في الجزائر، أبرز إعجابه الشديد بالبلاد وقدم وصفا دقيقا لل عمران والسكان، ألف كتابا

¹Louis-Jean-Max.Reuss., A travers l'Algérie 1884, Paris, Librairie Générale de Vulgarisation, 1884, P.111.

قيما حول الجزائر وهو طبيب رئيسي متقاعد في الجيش بعنوان: "الترحال في الجزائر من 1830 إلى 1842، التاريخ، علم السلوك، الروايات الشعبية".

Bonnafont, Jean-Pierre, Pérégrinations en Algérie, 1830 à 1842 : histoire, éthographie, anecdotes, Paris Challamel Ainé Editeur, 1884.

طُبِعَ سنة 1884 يحتوي على 408 صفحة، وألفه "بونافون" بعد ما عمل ومكث بالجزائر إثني عشرة سنة، درس سلوك السكان المحليين بعد تدوين ملاحظات يومية طويلة تلك الفترة¹، وبإعتباره طبيباً كان له إحتكاك بالسكان وخص المرأة بحيز كبير من إهتمامه، والتي يرى أنها كانت تتمتع بمكانة محترمة ودور فعال في المجتمع مُستمد من الإسلام ومن عادات المجتمع المحلي، وكما كان يقول-عكس غيره من الفرنسيين- عبر عن حبه للعرب الذين كان يراهم طبيون ولا ينظرون إليه كرجل سياسة بل كطبيب وإنسان، وأعجب بحبهم لوطنهم وكرههم للمؤسسات الفرنسية الإستعمارية، والتي واجهوها كما واجهوا كل المحتلين من قبل سواء الرومان أو الوندال².

2 . 4 . الطبيب بوديشون Bodichon.

هو الطبيب "بوديشون" الذي زار البلاد، وقدم كتاباً تنظيرياً حول الجزائر وحلل تأثير المناخ على الأعراق، بعنوان: "شروط الصحة التي يجب إتباعها في الجزائر، الصحة العقلية" سنة النشر 1850

Le Docteur BODICHON., Hygiène A Suivre en Algérie, Hygiène Morale, Alger, Imprimerie Rey, Delavigne et Compagnie, 1851.

ويُنظر لكيفية السيطرة على المجتمع، إذ بدأ كتابه الذي يعتبر صغير الحجم بـ44 صفحة بمقولة عن إفريقيا التي يعتبر شعبها عنيف وقابل للتحكم وتُسيره الغريزة³، كما يرى أن للمناخ ودرجة الحرارة تأثير على سلوك السكان ويقدم أمثلة تاريخية عن مختلف الحضارات القديمة التي سيطرت على المنطقة وقدم تحليلاً للوضع العام من كل الجوانب مع تقديم حلول ومقترحات منها ما يخص المستوطنين سواء المشردين الأوروبيين بالمستوطنة والحد من أعدادهم، أو المنفيين السياسيين الفرنسيين في المستوطنة وبناء المستوطنات مع تشجيع الإستيطان، وقدم إقتراحات حول تأطير الأطفال دينياً، كما دعا لتفكيك المجتمع المسلم ومحاربة التشريع الإسلامي والحد من تعدد الزوجات وغيره، وركز على

¹Jean-Pierre, Bonnafont, Pérégrinations en Algérie, 1830 à 1842 : histoire, éthographie, anecdotes, Paris, Challamel Ainé Editeur, 1884, P.1.

²Ibid., P.P.4, 5.

³BODICHON,(Le Docteur)., Hygiène à suivre en Algérie, hygiène morale, Alger, Imprimerie Rey, Delavigne et Compagnie, 1851, P.5.

الأراضي كثيرا وإقترح القضاء على الملكية الجماعية للأرض وتعويضها بالملكية الفردية¹، وهذا ما طبق فعلا في قانون "السيناتيس كونسيليت" الصادر يوم 22 أبريل 1863 الذي فتت البنية التحتية للقبيلة وقضى على الملكية الجماعية للأرض وفرض الملكية الفردية، وفي العموم يعتبر هذا المؤلف الرحلي دراسة طبية مرتبطة بتأثير المناخ على السلوك، يحاول الطبيب "بوديشون" دراسة وتحليل الوضع العام للسكان سواء المحليين أو المستوطنين الأوروبيين ويقدم حلول إجتماعية ودينية وسياسية تخص سكان المستوطنة، لكن يبقى المحتوى عموما عنصري ضد العنصر المحلي ومحاولة للسيطرة عليه بكل الوسائل القانونية والردعية مع تقديم صورة سلبية عن المحليين.

ب: الرحلات الخاصة.

هي رحلات فردية وخاصة، قام بها فنانون ورسامين وعامة ووثقوا رحلاتهم في لوحات وكتابات.

1. رحلات الأدباء، الرسامين والمثقفين.

قامت بها شخصيات ثقافية وأدبية معروفة، إضافة إلى العامة زاروا الجزائر ودونوا رحلاتهم محاولين تقليد الشخصيات العامة المشهورة التي كتبت عن البلاد، وكان بعضها على شكل رسائل رصدت الرحلة والمشاهدات التي مثلت سحر الشرق الحالم الذي جذب فضول وشغف الغرب.

1 . 1 . "جون لوران" Jean Lorrain "في إفريقيا، "ساعات إفريقية" "Heures d'Afrique".

من أهم الرحالة الفنانين والرسامين، زار الجزائر وتونس أو أرض إفريقيا عام 1894، رصد جوانب تاريخية وأنتروبولوجية عن المدينة، وتعد رحلته مصدرا هاما للمؤرخين جمعها في كتاب عنوانه بـ "ساعات إفريقية"، ونشرها سنة 1899 في 359 صفحة، جزأه الأول حول الإبحار من "مرسيليا" إلى "وهران" "Frutti di Mare" من الصفحة 1 إلى 15 وفيه رصد الكاتب جزء عن مدينة وهران، أما الجزء الثاني في الجزائر العاصمة "En Alger" من الصفحة 21 إلى 134، وتحدث كليا عن الجزائر رصد فيه العديد من المناطق التي زارها مع وثق الظواهر المرتبطة بالإستشراق منها "تلمسان"، "سيدي بلعباس"، "وسائل النقل: الحنطور الإفريقية"، "مستغانم"، "السكة الحديدية" "الجزائر العاصمة في الثلوج" "البليدة"، "أشجار اللوز"، "فاطمة"، "وسائل الترفيه العربية" و"أطراف الجزائر العاصمة"، والجزء الثالث "سنة من بعد" "Un An Après" من الصفحة 133 إلى 212، تحدث فيه عن عدة مدن من الجزائر مع إضافة جزئية صغيرة حول تونس، ورصد الطريق العام المعروف لدى كل الرحالة في زياراتهم للجزائر

¹BODICHON,(Le Docteur)., Hygiène à suivre en Algérie, hygiène morale..., Op.cit., P.P.6, 8, 10, 25.

تحدث فيه "من الجزائر العاصمة إلى قسنطينة"، "قسنطينة"، "القنطرة" "تيمقاد" "أصناف من بسكرة" و"الربيع في تونس"، وفي الأخير الجزء الرابع "أربع سنوات من بعد" "Quatre Ans Après" من الصفحة 221 إلى 336، رصد خلالها معلومات أخرى وتقريبا حول تونس فقط، "على متن الباخرة عبد القادر" "أحياء تونس"، "تونس أثناء المطر"، "حين تسافرن"، "تونس الغامضة" "سوسة"، "حين تسافرون" "صفاقس"، "في حواف التل" "طرابلس بلاد البرابرة" و"حين تسافرون".

1 . 2 . قيسطاف فلوبير Gustave Flaubert.

"قيسطاف فلوبير" "Gustave Flaubert" هو من رواد التيار الرومانتيكي، ويرى الناقد الشهير "Émile Faguet" أنه كاتب مميز في أسلوبه، ومن النماذج الأكثر فضولا في إلتسابه للتيار الرومانتيكي وفي إزدواجه ما بين الرومانتيكية والتيار الواقعي مثل "جورج سند" "Georges Sand" مثلا لكنه تميز بتطور متباطئ فهو لا يجمع أبدا التيارين معا في رواية واحدة مثل "بالزاك" "Balzac" على سبيل المثال، فهو إما أن يكون رومانتيكي محض أو واقعي محض ويتنقل من رواية إلى أخرى مما يدل أنه كان موهوبا جدا ولديه ذوق مختلف ونادر، وروايته الأولى المشهورة "السيدة بوفاري" "Madame Bovary" (1857)، أما مؤلفه الخاص عن الجزائر "صالامبو" "Salammbô" فكان رواية أثرية على طريقة الكاتب الروائي والرسام "ثيوفيل قوتيي" لكنها تميزت بطابع أوسع وأقوى وأكثر تراجيدية وجذب¹. رواية "صالامبو" في الأصل هي مخطوط شخصي بيد الكاتب، عنوانها الداخلي "صالامبو، مصادر ومنهج" "Salammbô Sources et Methode" به 22 ورقة فقط، تراجع الكاتب عن نشرها وعوضها بـ "رسالة إلى السيد فروهنر" "Lettre à M.Froehner" وهو محرر مجلة المعاصر في 21 جانفي 1863². كانت رحلته للبلاد عام 1858، وتحدث من خلالها عن تاريخ عدة مناطق ومدن أثناء الاحتلال الفرنسي، وتعتبر رواية "صالامبو" وثيقة تاريخية وأثرية مهمة، كما قدم "قيسطاف فلوبير" أيضا معلومات حول التاريخ الأثري لقرطاج معتمدا على مصادر أثرية علمية، وكان متأثرا برحلاته بالشرق فقدم حول رحلته إلى الجزائر وتونس صور مليئة بالتخيل والتصور الشخصي معتمدا على كُتب وأعمال الفن الحديث، ويوضح "لويس هورتيك" "Louis Hourticq" في مؤلفه "حياة الصور 1927" أن الكاتب الروائي "قيسطاف فلوبير" تذكر في بعض الأحيان وبصفة مباشرة شخصيات ومقاطع قدمها فن الرسم المعاصر له والذي تأثر بطابع الإستشراق، وبالضبط لوحات كل من "دي كومب"، "دي لاكروا" و"هوراص فارني" والتي تعرف عليها شخصيا وعابنها، وأعادت نشرها مجلات كمجلة "الفنان".

¹Émile Faguet., Histoire de la littérature française, depuis Le XVII Siècle jusqu'à nos jours..., Op.cit., P.P.359-360.

²X., Gustave Flaubert., Exposition du Centenaire, [19 novembre 1980-22 février 1981], Bibliothèque nationale, [Paris], 1980,P.64.

وتتميز الروائي "قيسطاف فلوبيير" خاصة في مؤلفيه "السيدة بوفاري" و"رحلة إلى الشرق" أين تتميز بالأسلوب وبنقل ملاحظاته بطريقة مذهلة، فصور "رحلته إلى الشرق" التي يعتبرها الناقد "آلبالات أنطوان" كنزا متميز بواقعيته، وتبقى رواية "صالامبو" كما يقول "فلوبيير" محاولة للوصف وهذا ما يؤكد "لوكونت ليزلي" "Leconte de Lisle" في رسالة وجهها لـ "فلوبيير" حول روايته "صالامبو" إذ يقول في ما معناه أنه طالع كتابه بشغف ووجده متفردا ومثالي وحديث بامتياز، ويضيف مهما يقال "عنك" فأنت شاعر ورسام، ونقلت في "صالامبو" قرطاج وكنت في ذلك ملاحظ، كما يقول حرفيا: "لقد رأيت ورأيت جيدا"، ويقصد هنا دقة الوصف وموضوعيته¹، ويبقى "قيسطاف فلوبيير" من الروائيين المتميزين في عصره بتفرد أسلوبه المعتمد على الكلاسيكيات والأدب القديم ومزجه بالتيار الواقعي ويتجسد ذلك بوضوح في روايته "صالامبو"².

1 . 3 . الإخوة قونكور "Les Frères Goncourt"

عرف الإخوة قونكور "Les Frères Goncourt": "إدموند قونكور" "Edmond Goncourt" و"جيل قونكور" "Jules Goncourt" شغف الرحلة كمعاصريهم لتجديد أفكارهم الفنية في الكتابة والرسم، وقاموا برحلتهم إلى الجزائر سنة 1849 ووصلا يوم 8 نوفمبر، ووثقا رحلتهم عن الجزائر بعنوان "الجزائر ملاحظات بقلم الرصاص 1849"، وهي مجموعة من الأبيات الشعرية والمحاولات والذكريات واللوحات دونت على شكل يوميات، دون الأخوين من خلالها معلومات ثرية عن الجزائر نشرت في المجلة الأدبية الأسبوعية "المنير" "L'Eclair" أول ما نشر ملاحظات 7-8-10 نوفمبر 1849 بالمجلة في عدد 31 جانفي 1852، وملاحظات 16-17-19 نوفمبر 1849 نشرت يوم 14 فيفري 1852 وملاحظات 20-21-23 نوفمبر 1849 نشرت في عدد 6 مارس 1852 في حين آخر مقتطفات من سلسلة 24-26-30 نوفمبر 1849 نشرت في عدد 8 ماي 1852³، كما ألف "جيل" كتابة شعرية مستوحاة من رحلته إلى الجزائر كان بثلاث عناوين أولها شعر بعنوان "عبد الله" "Abdallah" مرفوق برسم لباشا يدخل نشر في مجلة المنير يوم 3 أبريل 1852، كما نشر بنفس العدد مقطع ثان بعنوان "بامبينو" "Bambino" عن طفل فقير، وآخرها "رومنس" "Romance" وهي مقطع مرفوق بلوحة لإمرأة من الجزائر وهي تدخن في حين خادمتها تحضر لها القهوة، يبدأ "إدموند" رسالته بعبارات مميزة عن الجزائر

¹Antoine Albalat., Souvenirs de la vie littéraire, Paris, Arthème Fayard et C^{ie} Editeurs, 1921, P. P.76-77.

²Antoine Albalat., Le mal d'écrire et le roman contemporain, Ernest Flammarion éditeur, Paris, 1895, P.30.

³Pierre-Jean Dufief, Alger, de l'Indigène au héros coloinal,(Cahiers Edmond et Jules Goncourt), Du Pinceau A la Plume,Revue Persé, https://www.persee.fr/doc/cejdg_1243-8170_1992_num_1_1_1474/Le_26/10/2018/à_10H.P.38.

بقوله "... أخيرا وصلنا إلى الجزائر بلد الجمال والأصالة..."، ومضى الأخوين وقتهما في الجزائر في رسم المناظر بالمدينة وهذا ما تؤكد الرسالة التي أرسلها "جيل قونكور" إلى زميل دراسته "لويس باسي" "Louis Passy" بتاريخ 24 نوفمبر، أسبوعين بعد وصولهما للجزائر، وعبر له عن بهجته بالرحلة في بلاد التمور والكسكس والبدو، وأضاف أنه منذ وصوله أرض إفريقيا وهو يتجول في الجزائر بقلم في يد وريشة باليد الأخرى في تعبير عن رصد المشاهد تدوينها كتابة ورسمًا، وبالتالي قدم الأخوين كتابة تصويرية من خلال وصف المعالم العمرانية من مساجد، القصبة، الأحياء كباب الواد وباب عزون المبان، الطرقات، اللباس والسكان المحليين من الحضريات والحضر، كما رصد مختلف فئات المجتمع المحلي والأجانب من مختلف الجنسيات الأوروبية، وكان الوصف متاهيا في الدقة ومن أشهر مقولاته "...يوجد في العالم مدينتين، مدينة باريس مدينة الجميع ومدينة الجزائر مدينة الفنان..." إضافة إلى رسائل أخرى حول الرحلة¹، وما قدمه الأخوين ثري جدا رغم قصر إقامتهما بمدينة الجزائر. رغم أنهما أدبيا حسب الناقد "فاقي إيميل" أقل إبداعا لكن تبوأ مكانة مرموقة في الأدب، وألفوا عدة روايات واقعية تتميز بخصوصية، ومنها روايات "السيدة جارفاسي" "Madame Gervaisais"، "شارل ديميلي" "Charles Demailly"، "مانات سالومون" "Manette Salomon"، "روني موبيران" "Renée Mauperin" وهي الأفضل حسب الناقد "جارميني لاسيرتو" "Germinie Lacerteux"، ورغم ذلك يرى هذا الناقد أن "الإخوة قونكور" حظيا بإعجاب الجمهور الكبير وتميزا فعليا في التاريخ الأدبي بفرنسا². وفي نعي "إدموند قونكور" "Edmond Goncourt" يرى الناقد المتخصص "ليسيان ميهلفالد" "Muhlfeld, Lucien" أن "إدموند قونكور" لم يلق المجد الذي يليق به ورغم أن بدايتهم لم تكن مريحة، فإن "جيل" كان موهوبا وذا خيال خصب وواسع وتميز بطريقة كتابته، أما "إدموند" فأبدع في لوحاته وتميز بقوة الملاحظة، ولم يكن مهتم بالظفر بمكانة مرموقة في تاريخ الأدب لكن كتاباته التاريخية كانت مميزة³. وكان "آلفونس دودي" قريب من "إدموند قونكور"، ويحضر في جلسات الخميس التي يقيمها "Les Jeudis d'Alphonse Daudet" وكان يكن له الإحترام والتقدير، وتميز "إدموند قونكور" بكونه فنانا ذا قيم وحظي بإحترام كبير من معاصريه، وكان مدرسة تكون بها "دودي" وغيره وإعترف منها العديد من الشخصيات الفرنسية الأدبية والفنية الشهيرة في القرن التاسع عشر، وكما يصفه رواده ومعاصريه كان له طريقة مميزة في الحوار والرسم والفن، وطريقته في نقل الأدب إلى الواقعية كانت مميزة، وكان

¹Pierre-Jean Dufief, Alger, de l'Indigène au héros coloinal..., Op.cit., P. P. 38, 37,40, 41.

²Émile Faguet., Histoire de la littérature française, depuis Le XVII Siècle jusqu'à nos jours..., Op.cit., P.417.

³Muhlfeld, Lucien., Le monde où l'on imprime : regards sur quelques lettrés et divers illettrés contemporains, Perrin et c^{ie}, Libraire-éditeur, Paris, 1897, P.P. 158, 159, 163.

الكاتب "إيدموند قونكور" من مُحبي الأديب "شاطوبريون"، وكان يتحفظ كثيرا على شعر "فيكتور هيقو" "Victor Hugo" الذي يراه برجوازي، وبالتالي فهو موجه خصيصا لفئة معينة ومحدودة¹.

1 . 4 . "بيار لوتي" "Pierre Loti".

من الروائيين المستشرقين الذين إرتحلوا وسافروا وإبتعدوا عن باريس وألفوا، وإكتسب "جوليان فيو" "Julien Viaud" المعروف بإسم "بيار لوتي" شهرته بعيدا، بعد إبحاره إلى الجهات الخمس للعالم أين إستلهم أهم وأشهر أعماله²، وإعتمدنا في دراستنا على مؤلفه حول الجزائر بعنوان "ثلاث نساء في القصة، متبوع بسولايمة" "Les Trois Dames de la Kasbah suivi de Suleïma"، هذه القصة عن "سولايمة" هي جزء من رواية حقيقية عن ثلاث نساء من قصة العاصمة متبوعة بسرد قصة "سولايمة" وهي نصوص مأخوذة من مؤلفه "زهور الملل" "Fleurs d'Ennui"، وهي من طبع "قاليمار" سنة 2006. وقصة "سولايمة" كما ذكرنا هي قصة واقعية لفتاة من مدينة وهران كان للكاتب الفرنسي "بيار لوتي" معرفة ولقاء بها، رصد من خلاله تطورات حياتها منذ طفولتها حتى بلوغها، هي قصة مؤثرة تعبر عن واقع إجتماعي وإقتصادي لفئة معينة من المحليين الذين عانوا من الإستعمار وآثاره السلبية، وهنا تكمن أهمية كتابات "لوتي" عن الجزائر، وتوثيقه لواقع السكان المحليين ووضع حياتهم بعد الإحتلال. وشهادة الكاتب "ألبالات أونطوان" "Albalat, Antoine" في مؤلفه الأدبي حول التأليف والرواية عن الكاتب "بيار لوتي" يكفي بالتعريف بهذا الروائي المتميز الذي زار الجزائر في القرن التاسع وكتب عنها وعُرف بالإستشراق وكانت لرواياته بصمة في التاريخ الأدبي ونافذة على الآخر أرّخ من خلالها للشرق وننقل هنا وصف الكاتب بلغته الأصلية مع ملخص ترجمة شخصية، إذ يقول:

«Certains écrivains ne deviennent populaire que le jour de leur réception académique. En leur ouvrant ses portes, l'académie leur ouvre la gloire, et c'est en les consacrant qu'elle apprend définitivement leur nom au public. Pierre Loti n'est pas de ceux-là. Son nouveau titre d'académicien ne décidera pas sa renommée : c'est sa renommée, au contraire qui l'a imposé à l'académie. Il ne s'y pas présenté : Le public l'y a porté, Jamais romancier n'a provoqué un tel succès de larmes, un intérêt si ardent, tant de sympathie universelle. Il n'a pas seulement pour lui l'élite des lettrés et les délicats amoureux du rare : femmes, artistes, jeunes gens, critiques, il a conquis tout le monde» من خلال هذه الشهادة للكاتب فهو يرى أن عكس عموم الروائيين الذين يشتهرون ويتعرف عليهم الجمهور بعد الإعتراف الأكاديمي بهم، فإن "بيار لوتي" لم يُشهره لقبه الأكاديمي بل شهرته هي التي فرضته أكاديميا وال جماهير هي التي حملته لذلك، ولم يكن لنجاحه مثيل فهو لم يؤثر بالنخبة فقط بل

¹ Antoine Albalat., Souvenirs de la vie littéraire..., Op.cit., P.P.38-40,42.

² Ibid., P.31.

أثر بكل فئات المجتمع، إذ يعتبر "بيار لوتي" من بين أهم الشخصيات الأدبية التي ألهمت الجمهور بسحر ريشتها وما يفسر شهرته هو أصالة نصوصه¹.

1 . 5 . "آلفونس دودي" "Alphonse Daudet".

وصل الجزائر يوم 21 ديسمبر 1861 وغادرها سنة 1862، "آلفونس دودي" من مواليد 13 ماي 1840 بنيم الفرنسية، إنتقل لباريس لمواصلة الدراسة عام 1857 أين بدأ الكتابة، ثم بدأ في النشر في الجرائد، وفي شتاء 1861 مرض فذهب في رحلة مع قريبه "هنري رينو" إلى الجنوب لكنه تجاوز الجنوب الفرنسي إلى الجزائر، وظل بها من 19 ديسمبر 1861 إلى غاية 25 فيفري 1862 وألف الرحلة². مكث بالجزائر والبلدية والشلف خاصة مليانة التي تبعد بحوالي 200 كلم عن الجزائر العاصمة وبعد هذه الرحلة الفريدة في الجزائر كتب "دودي" روايته "تارتاران تاراسكان" «Tartarin de Tarascon» (1872-1869)، وكذلك ألف رحلته عن الجزائر التي حملت عنوان الرحلة "رحلة وجديد عن الجزائر" «Récits et Nouvelles D'Algérie» نشرت أول مرة سنة 1862 ثم أعيد نشرها سنة 1873³. يعتبر الناقد "آلفونس دودي" الفنان والشاعر الأكثر واقعية من بين الروائيين المعاصرين له، كل ما كتبه يتميز بالموضوعية ولا يكتب إلا كل ما لاحظته وعاشه وأيضاً يتميز بملاحظة وتسجيل كل ما هو مميز، إذ رسم لوحات واقعية عن المجتمع صادقة ودقيقة بألوان حية ومتعددة في عهد الإمبراطورية الثانية والجمهورية الثالثة، منها "الثري" "Le Nabab" الذي صور فيه عادات الأثرياء، وكذلك "ملوك في المنفى" "Rois en Exil" وهم الملوك المخلوعين والمجتمع المحيط بهم وفي "فرومون صغير وريزلارل البكر" "Fromont jeune et Risler aîné" يصور فيها التجارة الباريسية و"سافو" "Sapho" رصد فيها المحاباة بأصنافها وتميزت لوحاته بالدقة والحيوية خاصة من حيث ألوانها، وأعجب بها الجمهور. وتميزت عائلة "دودي" كعائلة فنية أدبية بكل أفرادها، فالسيدة "دودي" "Mme Daudet" كتبت بعض الإنطباعات والذكريات ويصفها الناقد بالرائعة وثمن كتاباتها، والسيد "آرنست دودي" "M.Ernest Daudet" ألف بعض الروايات المهمة وبعض صفحات التاريخ، وكذلك كان "ليون دودي" "M.Léon Daudet" ابن السيد "آلفونس دودي" إذ ألف هو الآخر العديد من الروايات المميزة والجيدة⁴.

¹Albalat, Antoine., Le mal d'écrire et le roman contemporain..., Op.cit., P.P.159, 160.

²Alphonse Daudet, Récits et Nouvelles D'Algérie, Paris, La Boite à Documents, 1990, P.7.

³Franck Laurent, Le Voyage En Algérie, Anthologie De Voyageurs Français Dans L'Algérie coloniale 1830-1930., Paris, Robert Lafont, 2008, P.387.

⁴Émile Faguet., Histoire de la littérature française, depuis Le XVII Siècle jusqu'à nos jours..., Op.cit., P.P.418-419.

و"آلفونس دودي" كان أكاديميا، عُين فارس الفرقة الشرفية بفضل كتاباته الأدبية¹، ويعتبره الكاتب الناقد الأدبي الفرنسي الشهير "فارديناوند برونيتيار" "Brunetière, Ferdinand" من بين أهم الكتاب الواقعيين في عصره إذ يعكس الواقع في رواياته، وذلك من خلال أعماله الأدبية التاريخية المعروفة². في تقديمه "لذكريات أدبية" أسهب الكاتب "أونطوان آلبالات" في الحديث عن "آلفونس دودي" الذي تميزت كتبه بإلهام القراء سنة 1880 إذ كان لهذا الكاتب الموهوب تأثير واضح على الشباب سواء بشخصه أو بحواراته معهم، ويعتبره البعض أرقى من مؤلفاته، ولقد كان روائيا متحكما ذا روح أدبية مميزة مما جعله مبدع في الفن وفي كل جوانب الحياة التي ألهمت جمهور عريض، وكانت للكاتب معرفة شخصية بـ"آلفونس دودي" منذ 1883، وكان يحضر تجمعه الدائم يوم الخميس أين كان يستقبل الروائيين والرواد ببيته وكان تبادل الحديث معه مثمرا، وما يمكن إستنتاجه أن روايات الروائي "آلفونس دودي" تعبر عن ملاحظات شخصية دونها وقدمها بإنسانية³.

1 . 6 . "أليكسندر دي ما" Alexandre Dumas.

صاحب رواية "Le Véloce" زار المنطقة وتحدث عنها وغلب الجانب التاريخي عليها

Alexandre Dumas, « Le Véloce ».

وهو أديب روائي فرنسي معروف زار البلاد سنة 1846، ألف قصته الشهيرة عن الرحلة التي قام بها إلى شمال إفريقيا، حاول التأريخ لبعض الأحداث ففي قسنطينة "ذهب في رحلة بحث عن التاريخ" كما يقول، كما كان يقضي معظم وقته في المكتب العربي برفقة "الجنرال بيدو" يسجل معلومات عن الحملة الفرنسية ضد المدينة ويتجول في شوارع المدينة رفقة الضابطين "بواسوني" و"ساد" ويسجل ملاحظات أنثروبولوجية وتاريخية عن السكان كما رصد الحياة الإجتماعية بكل جوانبها وهنا تكمن الأهمية التاريخية لهذه الرحلة، وكان "أليكسندر دي ما" من رواد الرومانتيكية بظهور هذا التيار منذ 1830 وألف العديد من الروايات⁴، ويرى الناقد "مارك دي مونتيفو" "Marc de Montifaud" بأنه يتميز

¹Jules Lemaître., Les contemporains : études et portraits littéraires, 4e série, Deuxième éditions, Paris, Librairie H.Legène Et H.Oudin, 1889, P.223.

²Ferdinand Brunetière., Le roman naturaliste, Paris, Calmann Lévy éditeur, 1883, P.P.9-10.

³Antoine Albalat., Souvenirs de la vie littéraire..., Op.cit., P.P.7-9, 12 15.

⁴Blaze de Bury (H) ., Mes Etudes et mes souvenirs, Alexandre Dumas, sa vie, son temps, son œuvre, Paris, Calmann Lévy éditeur, 1885, P.P.3,83.

بمميزات كتابية قوية وواسعة كما تتميز ريشته بسرعة الإبتكار دون أن يفرغ ما في درجه من مخزون مخترعا "القطار السريع في الأدب"¹.

1 . 7 . "قيسطناف بولونجي" Gustave Clarence Rodolphe Boulanger.

الرسام قيسطناف كلارونس رودولف بولونجي (1824-1888) من أبرز الرسامين الفرنسيين رسم العديد من اللوحات حول الجزائر بمواضيع متنوعة، كلوحة "قصبة الجزائر، إستقبال أمير" "Casbah Alger, Réception d'un Emir" 1871، ولوحة "هزيمة القبائل" "La Déroute des Kabyles" تُصور معركة ضد الفرنسيين، ولوحة "إمرة قبائلية في النافورة الماء" "Femme Kabyle à la Fontaine" ومن أجمل اللوحات "لوحة حامل الماء" "Le Porteur d'Eau" يصور من خلالها رجل بلباسه التقليدي يملأ الماء لإمرأة في القصبة بلباس تقليدي يلفها الحايك، ولوحة "جاد والراهية" "Djeid et Rahia" التي تصور الصحراء ليلا والرجل بالبرنوس الأبيض، أيضا لوحة بعنوان "حمدي باي" "Hamdy-Bey" والرجل بملامح محلية ووجه برونزي يرتدي شاش معقود ومتراص، وتتميز لوحاته عن الجزائر بالجاذبية وتبرز جمال المناظر الطبيعية، وقدم الكثير من اللوحات الثرية عن المجتمع الجزائري².

1 . 8 . "أوجان فرومونتان" Eugène Fromentin.

"أوجان فرومونتان" Eugène Fromentin كاتب ورسام فرنسي، ولد بمدينة "لاغوشال" La Rochelle سنة 1820، عُيّن فارس الفرقة الشرفية سنة 1859، وأصبح ضابط سنة 1869، توفي في أوت 1870، تلميذ الفنان "كابات"، وتحصل على ميداليتين في معرضي سنة 1849 وسنة 1857³. زار الجزائر أول مرة دون أن يخبر والديه سنة 1846 وعاد مرة أخرى عام 1847-1848، وتنقل من بليدة إلى واحات بسكرة وعاد محملا برسومات وملاحظات بعد رحلته الثالثة إلى الجزائر سنة 1852⁴ ونشر "صيف في الصحراء" أول مرة سنة 1856، وألفه عقب رحلته إلى الجنوب الجزائري وزيارته إلى الأغواط في صيف 1853 وهو أول كتاب لرسام، أهداه لصديقه المقرب "آرموند دي ميسنيل" "Armand du Mesnil"، وركز في هذا المؤلف على الصحراء والبيئة الصحراوية من غطاء نباتي

¹Marc de Montifaud., Les Romantiques; avec un portrait. De Victor Hugo datant de l'époque romantique gravé par Hanriot, Paris, Imprimerie Adolphe Reiff, 1878, P.31.

²Félix Jahyer., Étude sur les beaux-arts, Salon de 1865, Paris, E.Dentu, Editeur, 1865, P.P.106-107.

³Notice des peintures, sculptures et dessins de l'Ecole moderne exposés dans les galeries du Musée national du Luxembourg, Paris, Charles De Mourgues Frères Imprimeurs des Musées Nationaux, 1877, P.44.

⁴Pierre-Jean Dufief, Alger, de l'Indigène au héros coloinal..., Op.cit., P.35.

وثرثرة حيوانية، وبه 274 صفحة مع الفهرس، وبه قسم أول بعنوان "من مدية إلى الأغواط"، قسم ثان بعنوان "الأغواط"، وقسم ثالث وأخير بعنوان "من تاجموت إلى عين ماضي"، أما في مؤلفه الثاني "سنة في الساحل" الذي نشره سنة 1858¹، فدّون فيه الكثير من المعلومات عن الجزائر وبليدة وضمنه عدة جوانب كالمرأة والأحياء والعمران، ويضم هذا المؤلف 349 صفحة إضافة إلى ورقة الفهرس، وقسم الرحلة إلى ثلاثة أقسام، قسم أول بعنوان "مصطفى بالعاصمة"، قسم ثان بعنوان "بليدة" وقسم ثالث بعنوان "الهضبة"، تحدث عن حيثيات الرحلة التي تدوم ستة وأربعين ساعة في البحر، وأول ما يستقبل الرحالة كما عبر عنه الجميع منظر العاصمة، ويسهب في وصف العاصمة بكل أحيائها ومعالمها كما تعمق في الحديث عن البليدة وعرض عناصر مشوقة كالإحتفالات والضيافة والفانتازيا، وإشارات عن المرأة والمجتمع المحلية، فهي رحلة ثرية عن المجتمع المحلي يستخلص العديد من الصور منها². وكان لرحلتيه عدة طبعات منها كما ذكرنا بدأ من 1865 وصولاً إلى الطبعة الجامعة للرحلتين في مجلد بعنوان: "الصحراء والساحل" وطبع سنة 1887 وبه الجزأين معا، "صيف في الصحراء" و"سنة في الساحل" في 431 صفحة، بالطبعة صور "Edition illustrée" للكاتب نفسه.

Eugène Fromentin, Sahara et Sahel, E. Plon, Nourrit et c^{ie}, Imprimeurs-éditeurs, 1887.

قدم "فرومونتان" مجموعة من اللوحات تعددت مواضيعها، وخص الجزائر بمجموعة من اللوحات أهمها لوحة "أخبار: بلاد أولاد نايل في الربيع" "Courriers ; Pays des Ouled-Nayls au printemps" وهي بإرتفاع 0,86 سم وعرض 1,47 سم عرضت في معرض سنة 1861، وكذلك لوحة "صيد الصقور في الجزائر، قطع الفريسة" "Chasse au Faucon en Algérie ; La Curée." وهي بإرتفاع 1,62 سم وعرض 1,16 سم عرضت في معرض سنة 1868³، وتميز "فرومونتان" كرسام في القرن التاسع عشر بطبعه الفني من خلال ملامح لوحاته المميزة بالخطوط الأساسية "Caractère essentiel" لفن الرسم الهولندي التي أبرزها أكثر في أعماله الفنية⁴، وكذلك من خلال مؤلفاته الأدبية أثبت "أوجان فرومونتان" أنه متمكن ككاتب إستقطاب وتنسيق وإنتاج وهي موهبة ثلاثية عززت إبداعه في فن الرسم، ورغم الملاحظات حول إستخدامه للألوان فهو يبحث بعمق عن لمسة للون الأبيض والزهري

¹Eugène Fromentin, Un Été dans le Sahara, Paris, Librairie Plon, 4^{eme} édition, 1877, P.I.

²Eugène Fromentin, Une Année dans le Sahel, Paris, Michel-Lévy Frères libraires-éditeurs, 1859, P.P.2, 4, 11, 307, 338,

³Notice des peintures, sculptures et dessins de l'Ecole moderne exposés dans les galeries du Musée national du Luxembourg..., Op.cit., P.44.

⁴Ferdinand Brunetière., Etudes critiques sur l'histoire de la littérature française, 3 éditions, Paris, Librairie Hachette et c^{ie}, 1911, P.28.

والأزرق والأشخاص والمناظر¹، وما يميز رحلاته طريقة تقديمها بإعتباره مزدوج الموهبة ما بين فن الرسم والكتابة، إذ يقدم الرحلة بثراء نصها وواقعية ألوان لوحاته التي تنثري النثر ويكملان بعضهما². كان "أوجان فرومونتان" يتعاون مع "مجلة باريس" و"مجلة العالمين"، وكسب شهرته في الرسم والأدب إذ يقول: "...كلما درست الطبيعة كلما زادت قناعتني رغم أعمال "ماريلهاث" "Marilhat" و"ديكومب" بأن الشرق ما زال للإكتشاف،..."، وفي توصيف للأعمال الفنية الإستشرافية يرى أن أصحاب الأعمال الإستشرافية برجوازيين، لأن صورة المجتمع الشرقي الحقيقية والواقعية تختلف عما نقلوه في أنه حين يحاول نقل صورة قريبة من الواقع ويقدمها من منظور عملي"، إذ حمل جزأين من الإنطباعات ومواضيع عديدة للوحاته عكس من خلالها صور عن الجزائر المضيئة بألوانه وفصل فيها بريشة رسمه المميز، وبالتالي قدم الجزائر أفضل من "ماريلهاث"، "ديكومب" و"دولاكروا"، ورآها كشاعر وكاتب وعالم نفس وقدم اللوحات بجماليات ألوانها وبأسلوبها المميز، وكانت لهذه اللوحات شهرة وإنتشار واسع. عُرضت لوحة "صيد الصقور" "Chasse au Faucon en Algérie" في معرض 1863 وتحصل عليها "طومى تيري" "Thomy-Thierry" وأهداها "متحف اللوفر" "Musée de Louvre" رفقة كل مجموعتها وهي موجودة في الطابق الثاني في القاعة التي تحمل إسم المتبرع³، ومن لوحات "فرومونتان" المشهورة عن الجزائر لوحة "خيام زمالة سيدي هامل بالحاج" "Tentes de la Smala de Sidi-Hamel-bel-Hadj"⁴. تميز "أوجان فرومونتان" في كتاباته إلى جانب لوحاته، بتقديم وصف مميز عن الحياة بالمدينة بكل مكوناتها بدءا بالمظهر الخارجي المتمثل في العمران كالمنازل والمقاهي والساحات والواحات وما تحويه من أشجار مثمرة وخضر وصولا إلى الحياة بالداخل بوصف العرب واللباس والعادات في إسقاط للحياة الإجتماعية، ويعتبر هذا المصدر من أهم الكتابات التاريخية خاصة عن مدينة الأغواط التي مثلت نموذج نموذجي عن الصحراء ومركز وزيارة دائم ونافست بسكرة كوجهة سياحية خاصة مع إرتباط الرسام والكاتب الشهير "أوجان فرومونتان" بها، وهي من كتابات الرحلة التي تساهم في التأريخ للمنطقة إذ نقل الصور ورصد الحياة الإجتماعية والدينية والإقتصادية والبيئية، ويمكن القول أنه "مؤرخ مدينة الأغواط" أو "كاتب مدينة الأغواط" إذ كانت رحلته ذات أهمية علمية بما تحتويه من معلومات دقيقة تساهم في كتابة التاريخ الإجتماعي لسكان واحة الأغواط وتعتبر من أهم ما كُتب عن الأغواط ومنطقتها من قبل الرحالة الفرنسيين في القرن التاسع عشر.

¹Maxime Du Camp., Les beaux-arts à l'exposition universelle et aux salons de 1863, 1864, 1865, 1866 et 1867, V^e, Paris, Jules Renouard, Libraire, 1867, P. 19.

²Albert Wolff., La capitale de l'art, (2^e éd.), Paris, Victor-Havard, éditeur, 1886, P. 133.

³Boucher, David, Raphaël, Giorgione, Le musée du Louvre., 1er fascicule, Paris, Pierre Lafitte et c^{ie} éditeurs, 1912, P.249.

⁴Catalogue des tableaux et dessins modernes, composant le cabinet de M. de Tournemine, [expert], Paris, MAULDE et RENOU, 1853, P.9.

1 . 9 . "قاي دي موباسون" "Guy de Maupassant".

قاي دو موباسون" من أهم الرحالة الأدباء الفرنسيين الذين زاروا الجزائر، هو أديب وكاتب في جريدة "Le Gaulois" منذ 1880¹، وحسب الناقد الأديبين فإن التاريخ الأدبي يتناسق مع كتاباته التي تتميز بأنها مفصلة وغير متداخلة ومثلت مؤشر "للتطور الأدبي"، وهو الأكثر حداثة من بين الروائيين الواقعيين ومن "الواقعيين"، ويبقى من أكبر كُتاب الروايات الواقعية، وحسب الناقد "Faguet, Émile" ولد للملاحظة ورسم ما يراه بطريقة عجيبة، وتقرّد بنقل الصور بدقة متناهية وهنا يكمن التميز في الكتابات وسأيرت رواياته مسيرة حياته²، ويتشابه في أسلوبه الكتابي مع "قيسطاف فلوبير"، وتميز بالكتابة الروائية والسفر الذي أثرى كتاباته، ويصفه الناقد "Antoine Albalat" بأنه كاتب قوي وجريء³. رحلته إلى الجزائر كانت يوم 6 جويلية 1881 كمبعوث خاص مكلف بتغطية ثورة "بوعمامة"، فأرسل إحدى عشرة قصة "chronique" للجريدة منذ 17 جويلية إلى 19 أكتوبر 1881⁴، وأورد من خلالها معلومات هامة عن الحياة الاجتماعية للبلاد مع وصف السكان والعادات، عنوان رحلته "في الشمس".

Guy de Maupassant, « Au Soleil ».

رحلته إلى الجزائر كانت سنة 1881 حيث مكث شهرين، وصل العاصمة يوم 9 جويلية 1881، نشرت الرحلة سنة 1884، من طبع "فيكتور هافارد" "Victor Havard"، أرسل عنها مقالات أرسلها للنشر في جريدة "الغاليين" "journal Le Gaulois" وصف من خلالها الجزائر والتنوع السكاني وثرأ العادات والتقاليد، ومن خلالها أيضا قدم أحكاما صادمة عن العرب بعاداتهم وديانهم، كما عبر عن رفضه للإستيطان وانتقد سلبياته على المجتمع المحلي، الطبعة التي بين أيدينا هي الحادية عشر من نفس دار النشر لسنة 1888 مهداة لـ"بول آرنو" "Pol Arnault"، لرواية في 297 صفحة خصصت منها 225 صفحة كاملة للجزائر، والبقية مقتطفات تبدأ من الصفحة 225، تحدث عن طريق الرحلة إلى بلاد الشمس في قسم أول عن الجزائر العاصمة ثم قسم ثان عن مقاطعة وهران، قسم ثالث عن ثورة بوعمامة ثم قسم رابع عن مقاطعة الجزائر العاصمة ثم قسم خامس عن حملة عسكرية إستكشافية في منطقة "زارز" "Le Zar'Ez" وهي رحلة في شكل مهمة عسكرية قام بها "قاي دي موباسون" من حصن "بوغار" رفقة ضباط عسكريين في حدود "بوغار"، "الجلفة" و"بوسعادة" لتحديد نقاط الماء، خاصة مع

¹Philippe Antoine et Marie-Christine Gomez-Géraud, Roman et Récit de Voyage..., Op.cit., P.155.

²Émile Faguet., Histoire de la littérature française, depuis Le XVII Siècle jusqu'à nos jours..., Op.cit., P.424.

³Antoine Albalat., Souvenirs de la vie littéraire..., Op.cit., P.P.249, 253-255.

⁴Philippe Antoine et Marie-Christine Gomez-Géraud, Roman et Récit de Voyage..., Op.cit., P.155.

تخوف إدارة الاحتلال من ثورة في الجنوب نهاية رمضان، ثم قسم سادس عن القبائل بالتحديد منطقة بجاية وأنهى بقسم سابع عن قسنطينة¹، وهو مصدر رحلي مهم بما يحتوي من مادة خبرية عن أحداث تاريخية وصور ومشاهد عن المجتمع المحلي بالجزائر.

1 . 10 . رحلة الفنان الأديب الكاتب والرسام "ثيوفيل قوتيي" "Théophile Gautier".

كان حلم "قوتيي" بالسفر منذ مدة طويلة، فبدأ منذ 1839 بمحاولاته للظفر برحلة إلى الشرق، وكانت له الفرصة لرحلة إلى الشرق دامت ما بين خمس وستة أشهر، وحصل على تمويل لمصر وسافر نهاية أكتوبر 1844، وتكررت الفرصة سنة 1845 إلى الجزائر غادر من مارسيليا ووصل الجزائر يوم 16 جويلية على متن باخرة "فارامون" "Pharamond" وتعرف في رحلته على ضابط صبايحي رافقه في رحلته في الجزائر، وحضر العديد من النشاطات الفنية بالمستوطنة، ثم إقترح "المارشال بيجو" على "قوتيي" وصديقه "نوبل بارفي" "Noël Parfait" مرافقته في حملته ضد بلاد القبائل، فغادرا العاصمة باتجاه "دلس" بحرا ببخرة ووصلوا يوم 24 جويلية إلى مخيم "عين الأربعاء" وإنهر "قوتيي" بالرحلة، واستمرت العمليات العسكرية بالمنطقة إلى غاية 5 أوت وبعد عودته إلى الجزائر العاصمة كانت له جولة إل بلدية مع القائد "بورباكي" أين حضر معه إحدى حضرات العيساوة والتي تطرقنا إليها في الفصل الثاني من القسم الثالث من الأطروحة وبعدها ما بين 14 إلى 10 أوت قام برحلة بحرا إلى وهران، وواصل رحلاته الداخلية البحرية نحو المدن الساحلية إذ إنتقل إلى "فيليب فيل" (سكيدة) يوم 21 أوت، ويشار أنه أرسل قبلا رسالة إلى وزير الحربية بتاريخ 6 أوت يطلب قطعة أرض في وادي الزمامة بالمنطقة في إطار سياسة الإستيطان بعد أن أبدى رغبته في أن يصبح مستوطنا لكن لم يتم إجراءات الإستفادة من إمتياز الأرض، ومن "فيليب فيل" إنطلق إلى قسنطينة وقام برحلته البرية مستخدما الخيل، وزار المدينة وحضر إحدى حضرات العيساوة بالمدينة بعد هذه الرحلة الثرية غادر "قوتيي" البلاد مع رفيقه في السفر "بارفي" يوم 29 أوت عبر ميناء العاصمة على متن الباخرة "شارلمان" "Charlemagne" ووصل يوم 31 أوت إلى ميناء مرسيليا، وفي سنة 1862 عاد "قوتيي" من جديد إلى الجزائر يوم 7 أوت²، وتلقى دعوة لحضور تدشين خط السكة الحديدية الجزائر العاصمة-

¹Guy de Maupassant, Au Soleil, Onzième édition, Paris, Victor-Havard éditeur, 1888, P.1, 92.

²Théophile Gautier. , Voyage Pittoresque en Algérie ; Alger, Oran, Constantine, la Kabylie, Paris, Hetzel éditeur, 1846 .

البلدية بحضور الإمبراطور نابوليون يوم 15 أوت¹، ليعود من جديد إلى باريس في يوم 22 أوت. إشتهر "قوتيي" بمسرحيته "يهودية قسنطينية" وحاول رصد التغيرات العمرانية التي سببتها الإدارة الفرنسية وتأسف عن ذلك، وإهتم كثيرا بالمستوطنة برصد صور ثرية في كل الجوانب الحياة المحلية. وفي تعريف النقاد له هو الأكثر إنضباطا للمذهب الرومانتيكي في عصره، بدأ مساره بأبيات شعرية كـ "البارتيس" "Albertus" و"كوميديا الموت" وكانت رواياته وأسلوبه متميزا بلغة راقية مثل "شباب فرنسا والآنسة دي موبان" إذ برزت من خلاله موهبته الحقيقية سواء بالوصف الكتابي أو بالرسم بالريشة بطريقة قوية واضحة ودقيقة، كرسوماته التخطيطية عن إسبانيا وروايته "إيمو وكامي" "Emaux et Camées" المميزة، كما برز في المسرح كـ "سلسل المسرح"، حوارات الصالونات، الأخبار و"الكابتن فراكاس" "Le Capitaine Fracasse"، وعموما "قوتيي" لم تكن له الملامح العميقة لرجل الأدب²، لكن كانت له نظرة فنية وريشة مميزة في نظره للعالم الخارجي إذ يرصد الصور في لوحاته بواقعية، ومائل "فيكتور هيغو" "Victor Hugo" في الكتابة، وله الأفضلية إذ كان مطلعاً على اللغات القديمة وخدم اللغة الفرنسية مثل "توديي" "Nodier" و"كوريي" "Courier" بإدخال كلمات ثرية في كتاباته وإعادة إحياء الكلمات القديمة، ويبقى "قوتيي" من أكبر كتاب والمؤلفين الروائيين الفرنسيين³ فكان أدبيا ورساما موهوبا ويصفه الكاتب الناقد "Marc de Montifaud" بـ"أسد الرومانتيكية"، ويرى الكاتب أنه لا ينتمي لعصره فقط بل تعداه في أساليبه وتأثره إلى العصر الإغريقي والعصور القديمة⁴، ويصفه "أنطوان آلالات" بالنفرد في رسوماته وأصالتها وتميزها إذ ينقل صور من الواقع كما يلاحظها ويعكسها في اللوحات⁵.

1. 11. "الأكسي دي طوكفيل" "Alexis-Henri-Charles Clérel de Tocqueville"

مؤرخ وفيلسوف فرنسي تنقل إلى أمريكا باحثا عن ديمقراطيتها وعند عودته ألف كتابا بعنوان "الديمقراطية في أمريكا" "La Démocratie En Amérique" كان مؤلفا جديدا في طرحه وملهم، وألف كتابا آخر عن بواكر الثورة الفرنسية بعنوان "النظام القديم" "L'Ancien Régime" وتعمق من خلاله في دراسة وتحليل وضع المجتمع الفرنسي وأكد أنه لم يكن وليد الثورة بل كان نتاج القرنين السابقين لها⁶.

¹Inauguration du chemin de fer d'Alger à Blida, " Le Moniteur universel "; Journal Officiel de l'empire Français, Dimanche 24 août 1862, N°236, P.1.

²Émile Faguet., Histoire de la littérature française, depuis Le XVII Siècle jusqu'à nos jours..., Op.cit., P.357.

³Ibid., P.358.

⁴Marc de Montifaud., Les romantiques; avec un portrait. De Victor Hugo datant de l'époque romantique gravé par Hanriot..., Op.cit., P.P.36-39.

⁵Antoine Albalat., Souvenirs de la vie littéraire..., Op.cit., P.117.

⁶Émile Faguet., Histoire de la littérature française, depuis Le XVII Siècle jusqu'à nos jours..., Op.cit., P.378.

وبعد عودته من رحلته من أمريكا سنة 1831 إلتحق "دي طوكفيل" بالحملة الفرنسية ضد الجزائر، ويرى أن الحملة كانت مبنية على جهل إذ يجب التعرف على المجتمع وتحضيره للتحكم فيه، وهذا ما برز في رسالته الثانية حول الجزائر سنة 1837 إذ قدم تحليل ثري عن المجتمع الجزائري ومواجهته للإستيطان، كما كان لتقريره الشهير للبرلمان سنة 1847 حول واقع الإستيطان والإدارة الإستعمارية وقع كبير في الفكر التنظيري الإستعماري.

1 . 12. "هوراص فارني" "Horace Vernet".

عُرف بـ"رسام الزمالة" أشهر فرد في عائلة "فارني"، رسم كل ما يراه أمامه بمهارة كبيرة سواء المناظر الطبيعية، رحلات صيد، صور الأشخاص ومشاهد عسكرية بدقة متناهية وألوان دقيقة، وأبدع في لوحاته في نقل مشاهد حقيقية، وضاعف إنتاج اللوحات في الفترة من 15 أبريل 1811 إلى 18 ماي 1852 إذ تزايد الطلب على أعماله التي تبرز جهد الرسام وتقانيه الموثق بتاريخ اللوحات¹. وكان "هوراص" محارب عسكري أيضا ويعرف بـ "رسام الجنود"، بإعتبار إنجذاب وإعجاب الجمهور للمشاهد العسكري، والشعبية الكبيرة لـ "هوراص فارني" تكمن في خصوصية لوحاته ووضوحها²، وكل لوحاته ذات المشاهد العسكرية الكبيرة لديها وقع قوي في إبراز بطولات ماضية، ونقل العديد من مشاهد الحروب في تاريخ فرنسا المعاصر، كما رافق الإمبراطور ورسم لوحات معاركه، منها لوحة: معركة "فونتنوي" "Fontenoy"، "فالمي" "Valmy"، "أقرام" "Wagram"، "فريلاندر" "Friedland"، "أنفر" "Anvers" إحتلال "روما" "Rome"، "حاجز كليشي" "La Barrière de Clichy"، "معملي" "Mon atelier"، "صورة للأخ فيليب" "de Le Portrait du Frère Philippe" و "هجوم قسنطينة" "L'Assaut de Constantine". وحافظ "هوراص فارني" على علاقة جيدة مع الإمبراطور، كان شبابه حماسيا بإنتصارات الإمبراطورية ورغم زواجه حديثا فقد حمل البندقية سنة 1814 وحارب تحت قيادة القائد "نابوليون" "Napoléon" ضد الحلف المقدس، كما كان من المدافعين الشرسين على حاجز "كليشي" رفقة صديقه "شارلي" "Charlet" ورصد هذه المشاركة في لوحته الشهيرة "La Barrière de Clichy" فنقل إنطباعاته وأحاسيسه عن مجريات هذا اليوم العصيب، وبهذا يمكن فهم حماسه لهذا النوع من اللوحات الفنية التي تعتبر إعادة إنتاج لإنطباعاته الخاصة وخياله الخصب بعد مشاركته الشخصية الفعالة والبطولية ضد الزحف، ولم يعد بإمكانه الهروب من سيطرة المعارك على لوحاته، ولم يعد له إلا طموح واحد هو أن يصبح الرسام

¹Armand Dayot., Les Vernet : Joseph, Carle, Horace, Paris, Armand Magnier éditeur, 1898, P.108.

²Ibid., P.107.

الوطني لأكبر فترة حربية، ويتموقع وسط الصخب بكل مكوناته من أعلام ومدافع وصور الأبطال¹. ورصد "هوراص فارني" أيضا "إنتصارات" الجيش الفرنسي في حروب التوسع الكولونيالي المعاصرة له كتلك التي شهدتها الجزائر أثناء عملية التوسع الإستعماري الفرنسي، منها معارك قسنطينة والأغواط التي تركت إنطباعا جيدا لدى الجمهور العريض الذي عانى من إحباط وطني منذ "معاهدة باريس"، إذ لم يجد الجمهور إلا مواساة غير كافية روحيا رصدها "كارل فارني" "Carle Vernet" ضد الجنود "الإنجليز"، "البروسيين" و"الكوساك" أي "السلاف" الذين كانوا مخيمين تحت أشجار "ساحة الإليزي". وفي سنة 1820 رافق "هوراص فارني" والده في سفر إلى إيطاليا ودام غيابه عدة أسابيع وقام برحلة "حج"، إذ سافر إلى كل من: "إيطاليا" "Italie"، "القدس" "Jérusalem"، "صحراء العريش بمصر" "El-Arisch en Egypte"، "القسطنطينية" "Constantinople"، "سان بيترسبورغ" "Saint-Petersbourg"، "القوقاز" "Le Caucase"، "الجزائر" "L'Algérie"، "المغرب" "Le Maroc"، "إسبانيا" "L'Espagne" وغيرها من الدول، فكانت هذه الرحلة لقاء مع الذات بالنسبة لهذا الرسام الواقعي المفعم بالحماسة، وكتب عدة رسائل مميزة خلال هذه الرحلة نشرها الكاتب "أميدي ديراند" "Amédée Durande"² وقدمها للقراء. وتعتبر سنوات 1820، 1821، 1822 السنوات الأكثر إنتاجية في أعمال الرسام بفضل أسفاره ورحلاته التي قدم من خلالها العديد من اللوحات في المعارض، وتطرقنا إلى لوحاته عن الجزائر في الأطروحة.

1 . 13 . "أوجان دولاكروا" "Eugène Delacroix".

يُعتبر "أوجان دولاكروا" في لوحاته عن عما يشعر به، ويعكس ذلك في الألوان والمحتوى³، سنة 1830 اعتبر "أوجان دولاكروا" الأكثر مجدا من بين مجموعة كبيرة من الفنانين المعاصرين تمتع بإعجاب بلا حدود، النقطة الملاحظة على "دولاكروا" هي الدراما ويمكن تشبيهه بشكسبير الرسم بخصوصياته المميزة وألوانه القوية⁴، قام برحلته إلى الجزائر وقدم عدة لوحات منها لفرسان عرب وولعرب بوهران، وأشهر لوحات "دي لأكروا" عن الجزائر لوحة "نساء الجزائر في بيوتهم" "Femmes d'Alger dans leur appartement" وورسهما سنة 1833، وعرضها في معرض باريس سنة 1834 وضمت لمجموعة اللوفر، وهي جمع بين الفكر الإستشراقي والتيار الرومانتيكي، وتصور هذه اللوحة

¹Armand Dayot., Les Vernet : Joseph, Carle, Horace..., Op.cit., P.P. 109, 113.

²Ibid., P. 137.

³Marc de Montifaud, Les romantiques; avec un portrait. De Victor Hugo datant de l'époque romantique gravé par Hanriot..., Op.cit., P.19.

⁴Albert Wolff., La capitale de l'art..., Op.cit., P.P.79, 83.

نساء من مدينة الجزائر داخل المنازل بلباس تقليدي بكل حيثياته ودقائق خصوصياته، وهي لوحة تعكس جزئية من الحياة الاجتماعية للنساء الجزائريات في تلك الفترة.

1 . 14 . رحلة أليكسندر فيليكس راثو "Alexandre-Félix, Ratheau".

تعتبر هذه الرحلة من أهم الرحلات التي تتحدث عن الجزائر، وهي عبارة عن رسائل أرسلها الكاتب لصديقه وعددها خمسة وعشرون رسالة، منذ إنطلاقه بفرنسا حتى وصوله ورحيله من الجزائر رسالته الأولى من مرسيليا يوم 16 أبريل 1878 أين كان يستعد للإنطلاق بفرنسا، وفي رسالته الثانية عقب وصوله إلى الجزائر بعد يومين بتاريخ 18 أبريل 1878، وخصص رسالته الثالثة والرابعة للحديث عن الجزائر العاصمة المدينة، وفي الرسالة الخامسة يواصل الحديث عن ضواحي العاصمة ثم ينتقل للحديث في الرسالة السادسة عن بلاد القبائل ويواصل الحديث عنها في الرسالة السابعة، وفي الرسالة الثامنة يتحدث عن سواحل العاصمة وعنابة، وفي الرسالة التاسعة يتحدث عن عنابة وقالة وقسنطينة وفي الرسالة العاشرة يتحدث عن قسنطينة وباتنة، وفي الرسالة الحادية عشر يتحدث عن بسكرة ووحدات الزيبان، والرسالة الثانية عشر عن بسكرة وباتنة، أما الثالثة عشر فيتحدث عن قسنطينة، وفي الرسالة الرابعة عشر يواصل الحديث عن قسنطينة وفي الخامسة عشر عن سطيف وبجاية، وفي الرسالة السادسة عشر عن بجاية ودلس والعاصمة، وفي الرسالة السابعة عشر يتحدث عن الجزائر وبلدية ومدينة، أما الرسالة الثامنة عشر يتحدث مرة أخرى عن العاصمة وضواحيها، وفي الرسالة التاسعة عشر يتحدث عن الجزائر والحجوط وتيبازة، وفي الرسالة العشرين يتحدث عن مليانة وهران والغزوات، وفي الرسالة الواحد والعشرين يتحدث عن لالة مغنية، وفي الرسالة الثانية والعشرين يتحدث عن تلمسان وفي الرسالة الثالثة والعشرين يتحدث عن سيدي بلعباس وهران وفي الرسالة الرابعة والعشرين يتحدث عن وهران وفي الرسالة خامسة والعشرين الأخيرة يتحدث عن وهران ومدينة قرطاجنة الإسبانية ومرسيليا¹، وهي رحلة مهمة يوثق الرحالة منذ ركوبه بامرسيليا ونزوله بالعاصمة إلى غاية مسار رحلته وعودته غربا عبر وهران وإسبانيا ثم مرسيليا.

1 . 15 . الكاتب "بينال آرموند" "Pignel, Armand" ودليله المفصل عن الجزائر.

قدم الكاتب وصف مفصل عن الجزائر العاصمة طرقها وأحيائها، إضافة إلى مدخل تاريخي عن المدينة والبلاد منذ التاريخ القديم، ثم يفصل في طوبوغرافية البلاد ويعرض بإسهاب المدن الجزائرية بدأ بالجزائر العاصمة، عنابة، بجاية، مستغانم، آرزو، وهران، تلمسان، معسكر، القليعة، البلدية، مدينة

¹Alexandre-Félix, Ratheau., L'Algérie vue à tire d'ailes, ou Lettres d'un oiseau de passage, Paris, Challamel Ainé Editeur, 1879, P.P.1, 9.

قسنطينة وسكيكدة، ثم يورد وصفا للسكان والعادات والتقاليد ويتحدث كذلك عن الإدارة والتسيير في المستوطنة بالتفصيل ويقدم الآراء، ويتحدث كذلك عن القضاء بتفصيل ومختلف المصالح الإدارية بالمستوطنة والأنظمة وملكيات الأرض وغيرها من الجوانب، ثم يورد فصل عن الإستيطان الأوربي بالبلاد يعرض الواقع والتطلعات والحلول¹.

1 . 16 . رحلة آرثير كلاباراد "Arthur de Claparède".

تعتبر رحلته من أشهر الرحلات إلى مستوطنة الجزائر، وثق خلالها رحلته إلى المستوطنة
عنونها ب: Arthur de Claparède, « Voyage en Algérie en 1896 ».

أي "رحلة إلى الجزائر سنة 1896"، وهي رحلة مهمة تاريخيا خاصة وأن الكاتب كان نشيطا في التأليف خلال فترة الإحتلال الفرنسي، وقام بالعديد من الزيارات للمستوطنة وكان على إطلاع بأوضاعها وزار الجزائر قبل هذه الفترة، ورغم تركيز حديثه عن المعمرين والمستوطنات الأوروبية بالمناطق الشرقية للبلاد إلا أنه أورد معلومات ذات قيمة تاريخية تمكننا من إستنباط مادة خبرية عن الحياة الحضرية والسكان.

1 . 17 . كتابات آرنست مارسسي "Ernest Mercier".

Ernest Mercier, « Histoire de Constantine ».

وهو مترجم وضابط سابق في الأشغال العمومية ورئيس بلدية المدينة، يعتبر من أهم المؤرخين عن المدينة إذ منذ قدومه إليها عام 1871 إهتم بها وتاريخها، وهو مؤلف معروف بكتاباته عن المستوطنة، وهي ذات أهمية علمية وتاريخية.

1 . 18 . رحلة جيل فارن "Jules Verne".

Jules Verne, « Cinq Semaines En Ballon ».

وهي رحلة قام بها الكاتب الفرنسي "جيل فارن" على متن المنطاد عام 1862، رفقة ثلاث بريطانيين وصف فيها عدة مناطق من البلاد، ودونها ونشرها وهي ثرية بالملاحظات والإنطباعات حول البلاد.

¹Armand Pignel., Conducteur, ou Guide du voyageur et du colon de Paris à Alger et dans l'Algérie, Alger, Chez Bastide et Brachet, 1836, P.P.94, 205.

1 . 19 . رحلة الكاتبة المثقفة لويس ريجيس "Louis Regis".

Louis Regis, « Constantine Voyage et séjours 1880»

هي امرأة مثقفة ومن عائلة ثرية زارت مدينة قسنطينة عام 1880، توجد طبعة رقمية للرحلة في المكتبة الوطنية الفرنسية تتكون من 351 صفحة، في رحلتها زارت الكاتبة عدة مدن منها قسنطينة وهي محور الرحلة، بسكرة، بجاية، مدينة الجزائر، البليدة ثم العودة إلى قسنطينة، توسعت في رحلتها إلى مدينتي قسنطينة وتعرضت لعدة جوانب دينية واجتماعية منها العيساوة، الإخوان، المذاهب الدينية كما تحدثت عن العرب وطرق الدفن وما يقدم في الجنائزات، وبعض امظاهر كالحشيش مع حديثها عن الجانب العمراني وكل المعالم بالمدينة، والعادات كاحتفالات الزواج والطلاق، الحرف والمقاهي العربية المطاعم، وتوسعت في حديثها عن المرأة إذ تطرقت لعدد الجوانب، كذلك تطرقت للفئات السكانية والملاحظ هو أن الكاتبة أسهبت في الحديث عن قسنطينة، وقدمت رحلتها بإسم رجالي مستعار وطبعة هذه الرحلة هي من تقديم "ألفريد ميزيار" من الأكاديمية الفرنسية قدم الرحلة في أربع صفحات وصفها بالدقة والموضوعية، لكن إنتقد حكم "لويس ريجيس" القاسي جدا عن المعمرين الفرنسيين بالبلاد، إذ قال: "أسمح لنا لويس ريجيس بإعتراض واحد؟ ألم يكن حكمها قاس جدا على المعمرين؟"¹، وبالملاحظ هو موضوعية نظرتها للمحلي. تتميز رحلتها بالوصف الدقيق للمناطق التي زارتها منذ قدومها الى البلاد حتى رحيلها، وتفردت الكاتبة بمعايشة السكان والتعرف على فئات المجتمع مقدمة عرضاً دقيقاً وممتعاً عن الحياة الحضرية بالمدينة، مُعبّرة عن إعجابها بالمدينة والسكان والعمران من مساجد، مقابر، مقاهي وحمامات مُفضلة كل محلي وأصيل منتقدة الاحتلال الفرنسي ونتائجه المدمرة للمظهر الحضاري للمدينة خاصة النسيج العمراني إذ هدمت عديد الأحياء العربية لتوسيع الساحات والشوارع وصادرت المباني لصالح الإدارة.

1 . 20 . رحلة الكاتب المثقف "كيفير فلوري" "Cuvillier-Fleury".

من أهم المؤلفات عن الرحلة ما قدمه الكاتب "كيفير فلوري" "Cuvillier-Fleury" في كتاب بعنوان "رحلات ورحالة من 1837-1854" "Voyages et voyageurs 1837-1854" وتم طبعه في نفس السنة، يشمل عدة رحلات ما بين 1837 و 1854 منها ما قام به الكاتب نفسه ومنها ما قام به الرحالة المعاصرين له وقدمها بعد الإطلاع عليها ونشرها في "جريدة الحوار"، ويرى الكاتب أن السفر بات

¹L'Introduction de A. Mézières., de l'Académie Française ; Louis Régis, Constantine Voyage et Séjours, Paris, Calmann Lévy, éditeur Ancienne Maison Michel Lévy Frères, 1880, P. III.

متاحا وأصبح بمقدور الجميع القيام برحلات بوقت قصير مع زيارة العديد من الأماكن، وقام برحلته من بروكسل سنة 1837 وانتهت في الدانوب سنة 1854 ومر خلالها عبر جبال البيريني، إسبانيا الجزائر، اليونان، القسطنطينية والجبل الأسود¹، وفي شهر أفريل 1841 وصل الجزائر ومكث بها شهرين إثنين، وعبر عن أول وصول إلى الجزائر عبر البحر بقوله: "...وتقف المدينة شامخة فوق الصخور وتحيط بها جبال الأطلس يسارا بمحاذاة سلسلة جبال جرجرة بقممها الثلجية..."².

1 . 21 . رحلة الكاتب "هانري دروي" "Henri Drouet".

تحدث عن الطرقات وحديقة الحامة وكل المعالم بالجزائر من مبان ومتاحف، كما تحدث عن داخل المنازل العربية ومختلف فئات المجتمع كالمرأة والعادات والتقاليد كالأحتفالات وغيره من المعلومات الثرية في التاريخ الإجتماعي المحلي، كانت رحلته إلى الجزائر سنة نشرها بعنوان "الجزائر العاصمة والساحل" "Alger et le Sahel" وهي رحلة مهمة إعتدنا عليها في عدة جوانب في أطروحتنا.

Henri Drouet, Alger et le Sahel, Paris, Librairie Hachette et c^{ie}, 1887.

يبدأ الكاتب حديثه عن الرحلة إلى الجزائر التي أصبحت أكثر سهولة من الماضي وياتت "موضة" مع البواخر السريعة التي أصبحت تقطع الرحلة في ثمان وعشرين ساعة بدل ستة وأربعين ساعة كما نقل لنا فرومونتان"، ويضيف "دروي" أن قصر الرحلة فتح الباب لكل فرنسي في زيارة "مستوطنتنا الجميلة والثرية" ففي سنة 1886 قطعت باخرة "لابورقونيي" "La Bourgogne" التابعة لشركة "ترانس آتلونتيك" "Transatlantique" الرحلة في ستة وعشرين ساعة فقط، إذ تتطلق الرحلة من مرسيليا الخامسة مساء وتصل إلى مدينة الجزائر اليوم الموالي على الساعة السابعة مساء³، وبالتالي فالكاتب يشجع على زيارة الجزائر، وحقيقة ما جاء في رحلته مهم جدا وثرى خاصة الجوانب الإجتماعية للمجتمع المحلي. وهناك الكثير من الرحلات التي لم نعرف بها كرحلات "بول أودال" الذي ألف عن المراقبة لالة زينب وكان له كتاب مهم جدا وقيم بعنوان ب" قاموس عن الحلي بالجزائر".

Eudel, Paul. Dictionnaire des bijoux de l'Afrique du Nord : Maroc, Algérie, Tunisie, Tripolitaine. Paris, Ernest Leroux éditeur, 1906.

¹Cuvillier-Fleury., Voyages et voyageurs 1837-1854, Pais, Michel Lévy Frères, Libraires éditeurs, 1854, P.P.1-2.

²Ibid., P.110.

³Henri Drouet, Alger et le Sahel, Paris, Librairie Hachette et c^{ie}, 1887, P.5.

وكتاب آخر عن "التخيم في الجزائر" وهي مصادر أساسية إستخدمناها في دراستنا، كذلك كتابات "إيزابيل إيبهرارد" المستشرقة التي عشقت الجزائر وكتبت عنها، إستخدمنا رحلتها في دراستنا خاصة في الحديث عن مدينة مسيلة، كتابات "ماسكري" وهو من أهم من كتب عن المجتمع الجزائري والطريقة العيسوية بالتحديد وإستخدمنا دراسته في هذا العنصر بالضبط، ومن الرحلات التي لا تعد ولا تحصى والتي أسهبت في الحديث عن مظاهر المجتمع المحلي وأهم والعادات والتقاليد وبالتحديد عن المرأة نجد مؤلف "قاستينو بانجامين" حول المرأة والعادات في الجزائر وهو ذا أهمية علمية يرصد المرأة المحلية ووضعها بدقة: Gastineau, Benjamin, Les femmes et les mœurs de l'Algérie. 1861. وعدد صفحات الكتاب تقدر بـ 365 صفحة، وهو مصدر مهم عن المرأة المحلية ووضعها، وهناك العديد من الرحلات التي إستخدمناها في أطروحتنا، إضافة رحلات أخرى لم ندرجها في هذه الدراسة.

1. 22. الرحالة "إيدا سانت-آلم" "Ida Saint-Elme 1778-1845".

من أهم وأوائل النساء الرحالة المستشرقين زارت المستوطنة في شهر نوفمبر 1830 ومكثت إلى غاية بداية شهر ديسمبر حيث عرجت على الجزائر المُحتلة حديثا من طريق عودتها من مصر ونشرت رحلتها كاملة سنة 1831 بعنوان "مصر الحديثة" "La Contemporaine Egypte" وخصصت الجزأين الخامس والسادس لرحلتها في الجزائر، وهي لم تُظهر نفسها كمستشرقة بقدر ما أظهرت وطنيتها المحمومة وكانت متحمسة للحملة ومن مؤيديها، وتعتبر "إيدا سانت-آلم" ممن إتبعن عادة مستحدثة في الغرب في القرن التاسع عشر وهي الرحالة النسوة إلى المشرق، ومثلن ظاهرة جديدة على المشرق أين جرت العادة على إستقبال الرجال فقط، وكانت ميزة النساء الرحالة هي إختراق الحياة الخاصة للنساء الشرقيات دون عائق خاصة وأن الرجال لم يتمكنوا من نقل صورة الحياة الخاصة للمرأة أو "الحرم" وظلت لغز يجذب فضول الرحالة وقراءهم الغربيين من خلال الرحلات المطبوعة، وتعتبر ما نقلته "إيدا سانت-آلم" في رحلتها إلى الجزائر من أهم الشهادات عن الجزائر المُحتلة حديثا¹، وهي رحلة مهمة لبدايات كتابات الرحلة وقد يمكن إعتبارها من أولى الرحلات إلى الجزائر بعد سقوطها.

1. 23. الرحالة "جون مورياس" "Jean Moréas 1910-1856".

هو ممثل مسرحي "Un Comédien"، زار الجزائر، قسنطينة، باتنة وآثار تيمقاد، أطلق على رحلته "قصة مختصرة" "Un Bref Récit" شكل سلسلة من "ممثلين في رحلة" "Comédiens en Voyage" جمعت سنة 1908 في "إستكشاف وذكريات" "Esquisses et Souvenirs"، قدم من كل جوانب، قليل

¹Franck Laurent, Le Voyage En Algérie, Anthologie de Voyageurs Français Dans L'Algérie Coloniale..., Op.cit., P.P.5, 6.

من الإستشراق من خلال وصف شوارع الجزائر العاصمة وألعاب الخيالة "قنطازيا" في تيمقاد، وقدم بعض الواقعية من خلال الحديث عن بائعات الجسد في الجزائر وطرق السكك الحديدية في قسنطينة وبعض المناظر والآثار في صورة جذابة للسائح المنفتح العارف للبلاد وأهم عناوين أفضل المطاعم والفنادق وغيرها، والمستمتع بجاذبية الجزائر التي مثلت حلم الأدباء واعتبرها الكاتب في هذا الموضوع بـ "الشرق المروض"¹، كانت الجزائر مُلهمة بدرجة كبيرة لهذا الرحالة المسرحي فإنجذب بلباس الحضريات خاصة "الحايك الأبيض"، وأعجب كثيرا بالشيخ العربي الراوي (الحكواتي) في المقاهي الحضرية إذ اعتبره "عجيبا" بقوله "Le Vieux Conteur Arabe fait Merveille"، كما رصد كل مظاهر الحياة بالجزائر العاصمة التي أُعجب بها مع تقديم وصف الأحياء والعمران والسكان، والشيء نفسه عند زيارته مدينة قسنطينة إذ قدم نفس الوصف الكلاسيكي لكل مظاهر الحياة من السكان واللباس إلى العمران والأحياء وما تعج به من مظاهر حياتية يومية، وعبر عن إعجابه الكبير بالبلاد ومظاهرها الاجتماعية والثقافية والعمرانية والتي مثلت الشرق.

1 . 24 . الرحالة "إيزابيل إبيرهارد" "Esabelle Eberhardt 1877-1904".

ألمانية تتحدر من أصول روسية من مواليد جنيف، تحصلت على الجنسية الفرنسية بزواجها بفرنسي من مسلمي الجزائر، بدأت حياتها بدراسة اللغة العربية وتعاليم الإسلام، ثم أقنعت والدتها المريضة بالذهاب إلى الجزائر وأمضت مدة في مدينة بونة "عنابة"، في سنة 1900 إلتقت بمنطقة الواد بـ "سليمان الهني" "Slimène Ehnani" وهو ضابط صف في الجيش الفرنسي، وكانت تشتغل بالصحافة بنشر مقالات في صحف فرنسية محلية، منها جريدة "الأخبار" التي تشر باللغتين العربية والفرنسية وتقوم في نفس الوقت برحلات خصيصا لتلك الجرائد، وتمكنت من زيارة عدة مناطق منها بوسعادة وفي زيارة إلى "عين الصفراء" في 21 أكتوبر 1904 توفيت تحت أنقاض بيتها بعد ما جرفت مياه الوادي عن عمر يناهز سبعة وعشرين عاما، ومثلت "إيزابيل إبيرهارد" مثالا للتمرد ونقد الإستيطان وتعمقت في التصوف وكانت محبة للإسلام والمسلمين خاصة الطرق الصوفية كالطريقة القادرية التي إنضمت إليها في الواد سنة 1900 وبرز مدى إلتزامها بتعاليم هذه الطريقة من خلال كتاباتها، كما نقلت كذلك من خلال هذه الكتابات العديد من صور البلاد كبساتين الواد ومختلف المناطق التي زارتها

¹ Franck Laurent, Le Voyage En Algérie, Anthologie de Voyageurs Français Dans L'Algérie Coloniale..., Op.cit., P.507.

كبوسعادة وعين ماضي وغيرها كثير، كالربيع في الصحراء، مشاهد عن الفنتازيا، صور عن رمضان، صور عن الأطفال... إلخ¹.

1 . 25 . الرحالة "لويس برترن" "Louis Bertrand 1866-1941".

كانت له مكانة في الأدب المخصص للجزائر المُستعمرة، وهو من بين أوائل الكُتاب الفرنسيين الذين عاشوا مطولا في الجزائر وخصص كل أعماله عنها، زار الجزائر أول مرة في عمر الخامسة والعشرين سنة 1891 وجاء للعمل في الجزائر كأستاذ للأدب، اشتهر برواياته الجزائرية التي شهرته مثل "دم الأعراق" "Le Sang Des Races" (1899)، "السينا" "La Cina" (1901) ورواية "ببباثر وبالتازار" "Pépète et Balthazar" (1904)، وتحول لأدب الرحلة أين كتب العديد من الرحلات ما بين الحريين العالميتين وتلقى عدة جوائز أدبية لقاء أعماله كما تلقى لقب "مُتقف الجزائر" في إحتفالات مئوية الإحتلال، وكان من رواد فكرة لاتينية الجزائر، وكتب عن مختلف الجوانب الحياتية للمجتمع المحلي، كما زار مختلف المناطق من الشمال إلى الجنوب، ورصد الآثار والحضارة والمجتمع.

1 . 26 . الرحالة "ماري-آن دي بوفي" "Marie-Anne De Bovet 1860-1935".

مركيزة "بوا-إيبير" "La Marquise de Bois-Hébert" المعروفة بإسم "ماري-آن دي بوفي" نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، امرأة آداب عصرية وابنة جنرال اشتهل بالجزائر والهند الصينية وكانت مولعة بالزخم العسكري لفرنسا ومن غلاة الوطنيين ومهتمة بالسفر إذ زارت الجزائر أثناء الحرب العالمية الأولى، وكانت في الستينات حينها ورغم ذلك كانت لديها الطاقة لزيارة مختلف المناطق والتنقل في العربات في الطرق الصعبة بالأغواط وبين الكتبان الرملية بواد سوف وأسهببت في وصف الحياة اليومية والثقافية والسكان واللباس والعادات من التجارة إلى المقاهي والرقص والموسيقى².

2.رحلات العامة.

هي رحلات قام بها أفراد من عامة الفرنسيين في إطار موجة الرحلة إلى المستوطنة الجديدة وهم فئة من الفرنسيين سحرهم الشرق في طبعته الخاصة بالجزائر "المستوطنة الحلم" أو "بلد السماء الأزرق" والشمس الدافئة والمناظر الطبيعية الخلابة، كما كان السكان المحليين بإختلافهم العرقي واللغوي والديني وإختلاف ثقافتهم فكانوا محل الفضول ومكمن الأسرار بجمعهم لسحر الشرق.

¹Franck Laurent, Le Voyage En Algérie, Anthologie de Voyageurs Français Dans L'Algérie Coloniale..., Op.cit., P.P. 508, 509, 511, 743, 744.

²Ibid., P. P.803, 877.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: دليل ومسار ووسائل نقل الرحلات.

أولاً: القواميس وكتب الجولة.

أ: القواميس: 1: قاموس هيلو الفرنسي- العربي العربي-الفرنسي.

ب: كتب الجولة السياحية.

1. كتاب الجولة "الجزائر، دليل تطبيقي تعريفى بالشوارع مع مخطط لمدينة الجزائر".

2- كتاب الجولة "الدليل من باريس إلى العاصمة في الجزائر".

3. كتاب الجولة "الجزائر العاصمة، بوفاريك، بلدية وضواحيها".

ثانياً: طرق ومسار الرحلات.

أ: الرحلة من فرنسا إلى الجزائر وموانئ الإنطلاق والبواخر.

1. الوصول من مركز الإنطلاق باريس إلى مدينة ليون.

2. السفر من مركز مدينة ليون إلى مرسيليا.

3. طريق الرحلة من مركز مدينة ليون إلى مركزي الإنطلاق "مرسيليا" و"طولون".

4. السفر من مدينة "آفينيون" "Avignon" إلى مركز الإنطلاق مرسيليا.

5. الوصول إلى مرسيليا "Marseille" مركز الإنطلاق إلى مستوطنة الجزائر.

6. الوصول إلى طولون "Toulon" مركز الإنطلاق إلى مستوطنة الجزائر.

7. تأشيرات جواز السفر والإنطلاق.

8. مسار الرحلة بحرا عبر البحر المتوسط باتجاه مستوطنة الجزائر.

ب. مسارات الرحلة في مستوطنة الجزائر.

1: الرحالة ووسائل النقل داخل المستوطنة: 1.1. العربات الإفريقية. 1. 2. قطار السكة الحديدية.

2. الرحلات الداخلية في المستوطنة: 2. 1. فضاءات الراحة.

2. 2. جولة في بعض المنتجعات السياحية.

2. 3. أهم محطات الزيارة في المستوطنة عبر القطار.

2. 3. 1. السفر من وهران إلى الجزائر العاصمة.

2. 3. 2. السفر من الجزائر العاصمة إلى قسنطينة.

2. 3. 3. طريق السفر إلى الأغواط.

ج. رحلة العودة إلى فرنسا.

الفصل الثاني: دليل ومسار ووسائل نقل الرحلات.

للتعرف على مسار الرحلات التي كانت تنطلق من الموانئ الفرنسية باتجاه سواحل المستوطنة نرصد الطرق والوسائل وكل ما يتعلق بالسفر، وما يحمله المسافر من متاع ووسائل تسهل عليه الرحلة وتعتبر القواميس وكتب الجولة السياحية من الأساسيات التي يعتمد عليها المسافرين، فهي عملية وتسهل التواصل مع الآخر وتوفر معلومات مهمة كعناوين النزل وطرق ومسارات الرحلة ووسائل النقل الداخلي من قطارات وعربات وبواخر ما بين المدن الساحلية، وبالتالي تعتبر بمثابة مرشد سياحي للزائر يسهل ويؤمن الرحلة.

أولاً: القواميس وكتب الجولة.

في هذا العنصر معلومات عن القواميس اللغوية وكتب الدليل السياحي المخصصة للزوار.

أ: القواميس.

عرفت دور النشر والطبع حركية نشطة في فرنسا في القرن التاسع عشر، وإرتبطت مجمل الإصدارات بمستوطنة الجزائر منها ما عرض الإنجازات والسياسات في المستوطنة، ومنها ما إهتم بتاريخ الجزائر القديم في محاولة لتثبيت فكرة المدرسة الكولونيالية حول تاريخ المستوطنة وأصل السكان، وغيرها من المؤلفات التي تنوعت مواضيعها، وما ميز حركة التأليف الإصدارات الخاصة بالجانب السياحي للمستوطنة بعدما أصبحت وجهة لكبار الشخصيات الفكرية والأدبية الفرنسية من أدباء ومتقنين وفنانين وكذلك العامة من الفرنسيين، فانتشرت القواميس اللغوية لهجة الجزائرية في ظاهرة مرتبطة بالرحلة والسفر للمستوطنة، وكانت قواميس عملية بها اللغة الفرنسية وما يقابلها باللهجة المحلية أو "الدارجة" لتسهيل رحلات الفرنسيين الراغبين في زيارة المستوطنة ومحاولة تبسيط وتسهيل المعاملات الأساسية للزوار، فنجد بها الجمل الأساسية التي يستخدمها المسافر منها ما تخص السلام أو الخدمات أو العملة.

1. قاموس هيلو الفرنسي - العربي العربي-الفرنسي.

نعرض نموذج لقاموس جيب فرنسي-عربي وعربي-فرنسي موجه لفئات محددة من العسكريين والرحالة والمفاوضين التجار، وهو قاموس عملي موجه للمتكررين بكثرة على المستوطنة نشر في ثلاث دور نشر إحداها في الجزائر وإثنتان في باريس، بعنوان:

Hélot, Léon., Dictionnaire de poche français-arabe et arabe-français, à l'usage des militaires, des voyageurs et des négociants en Afrique, ouvrage honoré de la souscription du Ministre de la Guerre , sixième Tirage, Alger, Juillet Saint Lager , Libraire-éditeur ,/,(Paris, Challamel , et Hachette et c^{ie}) .

وهذه النسخة هي الطبعة السادسة ما يدل على أهمية هذا القاموس الموجه لزوار المستوطنة، في صفحته الأولى العنوان باللغة الفرنسية وفي الثانية باللغة بالعربية: "كتيب اللغتين العربية والفرنساوية للعساكر والمسافرين في بلاد المغرب"، ونلاحظ إختلاف العنوان ما بين النسخة العربية والفرنسية التي تعني حرفيا "قاموس الجيب فرنسي-عربي عربي-فرنسي، لإستخدام العسكريين والمسافرين والمفاوضين في إفريقيا" وهذا راجع لعدم دقة الترجمة، وكتب أسفل الورقة إشارة إلى مكان بيعه بالمستوطنة بباب عزون، وكان لوزير الحرية إشتراك في طبعه أي يكتسي صبغة رسمية بإعتباره موجه للعسكر، والقاموس في 534 صفحة، يبدأ بإيضاحات لغوية حول القواعد وطبيعة اللغة الدارجة التي يراها لا تحترم قواعد اللغة العربية ويواصل ذكر الأبجدية العربية ومقابلها اللغة الفرنسية ونطقها ويعرض الضمائر والأفعال ومرادفاتها بالفرنسية ويقدم قواعد نحوية بإسهاب، ثم قدم الأرقام وعرض الكلمات الفرنسية ومرادفاتها بالعربية بترتيب أبجدي، ويبقى هذا القاموس وسيلة تواصل الفرنسيين من رحالة ومقيمين مع السكان المحليين، مع العلم فالمجتمع المحلي تعايش لغويا مع الدخلاء ما جعل اللغة الدارجة مزيج من مختلف اللغات فحتى الفرنسية أصبحت لاحقا جزءا من الدارجة الجزائرية. والملاحظ أن القاموس بشقيه الفرنسي العربي والعربي الفرنسي مهم وعملي رغم بعض الملاحظات فالجزء الفرنسي العربي به الكلمات باللغة لفرنسية ومرادفاتها باللغة العربية والدارجة وأحيانا بالدارجة فقط أو بالعربية فقط، نأخذ مثلا كلمة "تعود" كما جاءت ترجمتها في القاموس :

¹ Tâoued تعود , Touellef تولف (s') - âoued،عود، Accoutumer

أما الجزء العربي الفرنسي فتتوزع في المفردات والشروح، فبعض الكلمات باللغة العربية وبعضها بالدارجة سواء لمنطقة معينة أو مختلف المناطق، رغم بعض الملاحظات حول دقتها فبعضها خاطئ المعنى وبعضها خاطئ الكتابة وبعضها تركي محض، وهذا راجع لتعدد اللهجة المحلية وتنوعها في مختلف مناطق البلاد، لكن كذلك راجع إلى جهل اللهجة المحلية وحتى أساسيات اللغة العربية من قبل الفرنسيين، مثلا نأخذ كلمة "تأخر" فترجمتها خاطئة وكتابتها بالدارجة خاطئة، فتأخر بالدارجة يقابله

¹Léon Hélot., Dictionnaire de poche français-arabe et Arabe-français, à l'usage des militaires, des voyageurs et des négociants en Afrique, ouvrage honoré de la souscription du Ministre de la Guerre, sixième Tirage, Alger, Juillet Saint Lager , Libraire-éditeur ,/P.5.

توخر أو بطى أو تخلف وليس المعنى الفرنسي الظاهر الذي يعني الإختلاف، مع أن هذا المعنى الأخير الذي قد يكون السبب في الوقوع في الخطأ "تخلف" في الدراجة والمحلية تتشابه مع كلمة الإختلاف في اللغة العربية وهو الوارد في الشرح الفرنسي التالي:

خر. Rac. Différence-تاخير -Différer-تاخر¹

تبقى دراسة القواميس مهمة للمؤرخ رغم أنها تتدرج في تخصص الدراسات اللغوية وعلم اللسانيات وذلك لرصد لغة الحوار في فترة الدراسة وتحليلها لربط المؤشرات التي تحدد المنحى الحضاري للمجتمع.

ب: كتب الجولة السياحية.

كانت كتب الجولة السياحية ذات أهمية كبيرة بالنسبة للمسافرين إلى المستوطنة، فهي أساسية وضرورية لهم، خاصة الذين يمكثون فترات طويلة ويتنقلون بين مختلف مناطق الوطن شمالا وجنوبا وكانت هناك مجموعات عديدة ومتنوعة من هذه الإصدارات، نذكر منها نماذج مهمة.

1. كتاب الجولة "الجزائر، دليل تطبيقي تعريفى بالشوارع مع مخطط لمدينة الجزائر".

به نسختين نسخة لسنة 1920 بـ 266 صفحة ونسخة لسنة 1921 بـ 166 صفحة، نسخ من الطبعتين 20.000 نسخة، وهو نفس الدليل والسبب في إختلاف عدد الصفحات هو الخدمات الإشهارية المدمجة في النسخ والمتمثلة في عناوين مختلف الخدمات من النزل، الإدارات، محلات الأغذية التأثيث وغيرها من المحلات التجارية بكل تخصصاتها، وهذه النسخة بالإشتراك مع الحكومة العامة للجزائر التي ساهمت كذلك في التوزيع المجاني لهذه النسخ عن طريق مكتبها بباريس بشوارع "البيراميد" "Des Pyramides"، وترجمة العنوان بـ "الجزائر على نفسها، دليل فهرس عملي مع أسماء شوارع الجزائر ومخطط المدينة"، وبعده كتب بخط أكبر "الأكثر فائدة، الأفضل في المعلومات، والوحيد الممنوح مجانا مع ذكر عدد النسخ ومكان الحصول عليه ورقم الهاتف.

Alger sur Soi, Guide Annuaire Pratique Avec Indicateur des Rues d'Alger et Plan de La Ville, Le Plus Utile Le Mieux Renseigné Le Seul offert gratuitement, Tirage 20.000 Exemplaires, Le réclamez chez Direction 25,Rue Maréchal-Soult, Alger, Tél :35-73.

وجاء بعنوان مختصر. Alger en poche, Guide algérien et indicateur des rues d'Alger. بإعتباره من كتب الجولة حول مدينة الجزائر العاصمة، يلي العنوان فهرس المحتويات الخاص بالإعلانات ثم

¹Léon Hélot., Dictionnaire de poche français-arabe et Arabe-français, à l'usage des militaires, des voyageurs et des négociants en Afrique..., Op.cit., P.299.

فهرس محتوى الدليل بكل عناوينه التي تخص مدينة الجزائر ووسائل نقلها مفصلة بالمحطات والمواقيت والنقل البحري وعمليات الجمركة وطرق السكك الحديد والمسارات والخطوط بالتدقيق وحتى الخاص بمدينة مرسيليا ومواقيته، ثم شرح لكيفية زيارة الجزائر ووسائل الراحة وتذكير بحقوق وواجبات السائح والمسافر وأسواق العاصمة وأسعار السلع والبريد والتيلغراف والهاتف والشوارع ومحتوى الإشهارات، ثم تفصيل وسائل النقل والترامواي وخطوطه بالمستوطنة وسيارات النقل الفردية، ومن هذه المعلومات المفصلة في الدليل¹ نستنتج أهميته كدليل رسمي للمستوطنة وُضع لخدمة الزوار والسواح الراغبين في زيارتها وتسهيل رحلتهم بتوفير المعلومات التي تخدم إقامتهم في البلاد تماشيا وسياسة الإدارة في تشجيع السياحة والإستيطان، فالحكومة تطبع وتوزع الدليل مجانا على كل الزوار، بعنوان ما يجب فعله في الجزائر، ويصف بالتفصيل الطريق الذي يجب سلكه حين الوصول إلى العاصمة بذكر الطرقات والشوارع والتعريف بالمعالم المحيطة بالتدقيق، مثلا في قوله: "عند أخذ شارع باب الواد نرى "كنيسة السيدة" وهي مسجد عتيق بناه علي بتشين سنة 1622 وبجانبه المدخل إلى القصبة من "شارع فيليب"، وشارع العمالة القديمة في ساحة "سولت بارغ" "Soult-Berg" وهو مركز العاصمة القديمة وشارع القناصل الذي يتجمع فيه القناصل وكان العصب الرئيسي، وهذه الجولة تأخذنا ما بين شارع "باب الواد" أو "شارع البحرية" ومنها نعود إلى "ساحة الحكومة"، ونعبر السوق القديم للأزهار تحت أشجار نخيل بـ"ساحة الإيالة"، وعند "شارع السودان" المؤدي إلى "ساحة مالاكوف" نرى "قصر الشتاء"(المنزل القديم لحسن باشا) وبجانبه الكاتدرائية (مسجد كتشاوة القديم) ومقابله المطرانية القديمة (بيت ابنة السلطان) وهو إقامة قديمة للداي²، وغيره من المعلومات المفيدة للزائر والرحالة للمستوطنة. وتبرز أهمية الدليل من خلال الشرح المفصل للزوار كتفاصيل عن الطرق والشوارع ومخارجها والمعالم الموجودة بها مع لمحة تاريخية عن المباني، وهذا تفصيل تاريخي مهم للتعريف بالمدينة وشوارعها وجزء من تاريخها مما يجعل هذا الدليل يتميز بما يحتويه من معلومات تُفيد الرحالة معرفيا وسياحيا كما تكمن أهميته العلمية في شروح على شكل معلومات تاريخية عامة حول مدينة الجزائر مما يساهم في التأريخ للمدينة وعمرانها برصد معالها التي تغيرت بسبب الإستعمار الفرنسي، كما أن التعريف بثقافة مدينة الجزائر يعتبر ذا أهمية تنقيفية للرحالة والزوار من العامة سواء فرنسيين أو أوروبيين ومثلت مدينة الجزائر محط جذب عام وموضوع كتابات ودراسات قام بها مستشرقون فرنسيون في القرن التاسع عشر مما زاد بالتعريف بها لدى القراء من شخصيات عامة ومتقنين وعامة ومهتمين.

¹Alger sur Soi, Guide Annuaire Pratique Avec Indicateur des Rues d'Alger et Plan de La Ville, Le Plus Utile Le Mieux Renseigné Le Seul offert gratuitement, Tirage 20.000 Exemplaires, Alger, Direction et Administration 25, Rue Maréchal-Soult, Hiver 1920.

²Ibid., P.10.

2- كتاب الجولة "الدليل من باريس إلى العاصمة في الجزائر".

الكتاب هو دليل للمسافر والمستوطن، في مؤشر على كونه موجه للزائر والسكان الفرنسي بالمستوطنة لمؤلفه "بيقنال آرموند"، وهو بعنوان "مسير أودليل المسافر والمستوطن من باريس إلى الجزائر العاصمة وفي مستوطنة الجزائر".

Pignel, Armand. Conducteur, ou Guide du voyageur et du colon de Paris à Alger et dans l'Algérie.

طبع سنة 1836 سنوات الإحتلال الأولى، يحتوي أولا على معلومات حول الوثائق التي تعبئ عند القدوم إلى الجزائر، ثانيا سعر الرحلة من باريس إلى الجزائر، ثالثا المراكز المختلفة للطريق ما بين باريس مرسيليا وطولون، رابعا تاريخ المدن الهامة المتواجدة عبر هذه الطرق، خامسا وسائل الرحلة سادسا وصف جزر البليار وكل مدن إيالة الجزائر، سابعا مدخل تاريخي عن العاصمة، ثامنا وضع المستوطنة، المصادر والإحتياجات وغيرها، تاسعا العودة إلى فرنسا، ملاحظات حول الحجر الصحي وصف سفينة الحجر بمرسيليا وطولون، عاشرا الأوامر الملكية التنظيمية للحكومة والعدالة في الجزائر. مؤلف الدليل موظف سابق في إيالة الجزائر ولديه معرفة بالبلاد ومكث بها فُيبل الإحتلال، إستهل مؤلفه بمقتطف من كلمة رئيس مجلس الوزراء السيد "تيار" "M.Thiers" التي ألقاها أمام مجلس الوزراء يوم 9 جوان 1836، وهي: "...إذا سنحافظ على مستوطنة الجزائر " "Donc Nous Garderons Alger" بعد عرض تقارير عن المزايا الإقتصادية(فلاحية، عسكرية، تجارية وبحرية)للمحافظة على المستوطنة. في مقدمة الدليل بدأ بتشريف وزير الملك الذي حارب للمحافظة على المستوطنة وبتمجيد الجيش الفرنسي، والتمنيات بالتطور للمستوطنين الذين تحميمهم الحكومة وترعى مصالحهم وبالفائدة التجارية لفرنسا التي سوف تغتني بمنتجات التراب الجزائري، وهنا تكمن أهمية هذا الدليل بكونه مؤلف لمؤلف عاش واشتغل بالإيالة قبل إحتلالها، وبالتالي لديه نظرة ذات أبعاد سياسية وإقتصادية عن المستوطنة وركز بشكل لافت على المقومات الإقتصادية للمستوطنة والمكاسب التي يجنيها الميتربول من الإحتلال، ودعى للمحافظة على هذا الإنجاز الذي يفتح الآفاق لتطور وإزدهار الإقتصاد الفرنسي، كما كان دقيق التفصيل في المعلومات التي تخص الرحلة إلى المستوطنة، وكل ما يتعلق بها إنطلاقا من مراكز الإنطلاق بفرنسا من باريس، ليون، مرسيليا وطولون سواء المحطات أو الأسعار وكل ما يخص السفر من رسوم ووسائل النقل ما بين الجزائر وفرنسا ومسارات الرحلة، وبالتالي هو دليل للزائر والمستوطن على حد سواء، هدفه تسهيل وتشجيع الرحلة إلى المستوطنة وتحفيز الإستيطان بالبلاد. ومن خلال إطلاعي على مجموعة من المصادر التاريخية حول الموضوع يعتبر هذا المؤلف من أهم كتب الجولة الموجهة إلى زوار المستوطنة لما يحتويه من معلومات مهمة ودقيقة جدا، فهو يرصد

مسار الرحلة بدأ بالمدن الداخلية بفرنسا التي يمر عبرها المسافرين والتعريف بها وحتى عند الوصول للجزائر، فهو يصف المدن ويقدم لمحة تاريخية عنها تساهم في تعريف السائح بالمناطق التي يزورها. ولهذا المؤلف أبعاد سياسية، فالمؤلف يعتبر من بين أهم المنظرين للإستيطان الذين تعالت أصواتهم للمحافظة على المستوطنة، ويقدم عرضا وتوقعات تصب في إطار الدراسات التنظيرية لتشجيع وتوطيد وإنجاح الإستيطان الأوروبي بالبلاد، ويؤكد أنه بعد مرور سنوات سوف تزول الأحكام المسبقة الحالية حول المستوطنين والمستوطنات ولا مبالاة الباريسيين تجاه الممتلكات الفرنسية في ما وراء البحار وسوف تتحول إلى نظرة إيجابية وسوف تزول الفكرة السائدة حول عدم جدوى جهود المسافرين إلى المستوطنة الذين يخوضون في مجاهل أرض جديدة إحتلتها الجيش الفرنسي بمناخ جديد يغامرون فيها قصد الحصول على ثروة لم يكونوا قادرين على جمعها في وطنهم، ويحاول ربط الإحتلال "بالتحضر" ويقول "تصبو إلى نشر الحضارة في كل مكان وللجميع...، وفي إفريقيا نرغب في تحضير البدو...". ويرى أن الحضارة تأتي بالتعليم الذي يخلق الطموح وهو بدوره يولد المشاريع الواسعة، المؤسسات الكبرى والأفكار الخلاقة التي تطور العمران، وفي تصوره أن كل فئات المجتمع تكون أبنائها لمستقبل أفضل، لكن يقف في طريقهم نقص الإمكانيات ومنها تبدأ خيبات الأمل الإنتحار، الأمراض والأوبئة¹. ويقف عند حقيقة الوضع والأفكار المتضاربة حول الإحتفاظ بالمستوطنة والإستيطان وسوء الأوضاع والأمراض والأوبئة التي تواجه المعمرين الجدد، إضافة إلى جعل المستوطنة مركزا لإبعاد المشردين والمجرمين من الميثروبول، والمغامرين ومن يفتقد للتعليم والكفاءة المهنية، وفي النهاية المستوطن يبحث عن حياة أفضل لم تتح له في بلده، وهذا هو واقع حال المواطنين الفرنسيين القادمين من وسط فرنسا والذين لا يجدون ما يستقطبهم في بلداتهم، فالبنسة لهم الجزائر العاصمة ذات المباني الجميلة والمؤسسات الصناعية والزراعية الثرية والقرى الإستيطانية الناشئة هي فرصة ثمينة، وخلال السنوات الأولى للإحتلال قدمت جموع كبيرة من الفرنسيين من دون مصادر عيش إلى الجزائر ظنا منهم أنها "الدورادو الجديدة"، لكن لحسن الحظ فالبلاد تخلصت من المتطفلين وأصبح بها ساكنة أوروبية منتجة ورغم قلة الإمكانيات ومحدوديتها فبالنسبة لهم "الجزائر الأرض الموعودة"، حققت لهم حياة أفضل². ونلاحظ الخطاب الحماسي للكاتب الذي يؤمن بتغير الأوضاع للأفضل بالنسبة للمستوطنة والمستوطنين، وإيمانه بتوسع الإحتلال والسيطرة على كل الشريط الساحلي للمستعمرة وكل المدن الإستراتيجية التي سوف تفتح آفاق واسعة للإستيطان الأوروبي بالبلاد، ويضيف واثقا أنه سوف يأتي الوقت الذي ستمتلك فيه كل مدن الإيالة، فالسكان الأوروبيون في تطور دائم بهذه المدن، وستفتح أبواب التكوين في مختلف العلوم والفنون لمستقبل أفضل للشباب الأوروبي، وبعد ست سنوات من

¹Armand Pignel., Conducteur, ou Guide du voyageur et du colon de Paris à Alger et dans l'Algérie, Alger, Chez Bastide et Brachet, 1836, P.P.2, 3.

²Ibid., P.4.

سقوط الداوي عانى الإستيطان من سياسة التردد والعراقل، ورغم ذلك تحول مظهر الجزائر العاصمة إلى المدن الفرنسية وخرجت وهران وبونة من الأطلال، وإستمرار العراقل لم يوقف المستوطنين الأوروبيين عن الإستيلاء على أراضي الأهالي، ففي الجزائر العاصمة في كل خطوة منازل مبنية على الطراز الفرنسي، مثلا يوجد "نزل أوروبا"، "نزل الشمال" و"نزل باريس"، وغير بعيد حمامات فرنسية ومقاهي تجارية ومقاهي البورصة، كما إنتشرت محلات كـ "محل باريس" و"محل تارنوكس" وهي بازارات حقيقية حيث تتوفر كل السلع من ملابس، حلويات، ورق... إلخ، وفي الساحات آلات موسيقية وفي الشارع الآخر نجد تجار المواد الإستهلاكية والطبخ وكذلك تجار السلع الجديدة من حلي ومصوغات ومكتبات ودور طبع وغيرها كثير، وعندما الخروج من المدينة يوجد في جهة حديقة الداوي الخيام وبيوت الشعر والسيرك والألعاب، وفي باب عزون كذلك يوجد عربات النقل المزودة بالمقاعد تجرها الأحصنة أو البغال أو الأحمر، ويتوقع الكاتب في المستقبل ربما بعد سنة سوف تكون وسائل نقل حديثة للمسافرين تقطع القرى بسرعة، وعند التقدم في الأودية وحواف الجبال ثرى المنازل المرتفعة الجميلة والمؤسسات الصناعية والمزارع النموذجية والقرى وبيت عبادة مسيحي بمحاذاة مسجد وبعيدا يلها حدائق جميلة مزروعة ومحروسة، ويعول الكاتب على نجاح المستوطنة في وقت وجيز ويأمل أن تهتم الحكومة الفرنسية بسياسة الإستيطان خاصة لما تكون إدارة ذات كفاءة فإنها ستخدم الإستيطان¹. ويحلل الكاتب الوضع العام للإستيطان متسائلا عن مستقبل المستوطنة والتطور الذي سيحصل والإمميزات التي ستتحصل عليها فرنسا، وإنه من المؤكد لو أن الحكومة قبل عشر سنوات من الآن نفذت وعودها بتوطين 100.000 أوروبي سوف تصبح مستوطنة الجزائر الخصبة مخزن الحبوب ومخبئ وإسطبل فرنسا، وبدون شك فرغم ما صرفته الخزينة العمومية لإحتلال السواحل حتى يومنا هذا لا يمثل إلا بضعة ملايين وآلاف الرجال مقابل إستفادة كبيرة للإقتصاد الفرنسي من إحتلال الجزائر فمداخيل جمارك طولون ومرسيليا إزدادت بفضل المبادلات مع السواحل الإفريقية منذ 1830، ويرى أنه في حال تصويت الغرف على الميزانية الكافية للجيش الإفريقي، وإن يتم إنشاء مؤسسات عسكرية في النتيجة وتُسير جيدا فإنها تقود عملية التوسع الإستيطاني وتتمكن من تخفيض المصاريف، وإذا تحقق هذا فالعديد من فيالق الجيش ستضاعف وسيجلب الجنود عائلاتهم ويقومون بزراعة الأراضي. وينتقد الأصوات الداعية إلى إبادة العرب للسيطرة على المستوطنة، فهي ليست عملية إستكشاف أمريكا ولا يتعلق الأمر بطرد العرب، فالإيالة سابقا يمكنها أن تغذي 12 مليون رجل والعرب القاطنين بها لا يتعدون 2 مليون نسمة وبالتالي هناك إمكانية التعايش معهم أو حصرهم وإبعادهم إلى ما وراء جبال الأطلس في حالة عدم تعاونهم مع الفرنسيين، والعرب لن يواصلوا الحرب فهم مضطرون لتربية

¹Armand Pignel., Conducteur, ou Guide du voyageur et du colon de Paris à Alger et dans l'Algérie..., Op.cit., P.P.5-6.

مواشيهم وأحصنتهم والمتاجرة مع الفرنسيين لبيع أصوافهم وحبوبهم¹، ومن خلال هذا التحليل يرصد المؤلف الأهمية الإستراتيجية والإقتصادية للمستوطنة بالنسبة لفرنسا، ويُنظر للسياسات التي سينتجها الميثروبول بخصوص الإستيطان ويشجع على توسيع السياسة الإستيطانية، وبعد هذا العرض ينتقل إلى الدليل المعنون بـ"المرشد أو دليل المسافر والمستوطن من باريس إلى الجزائر العاصمة والجزائر" ويبدأ في جزئه الأول في وصف الطريق من باريس إلى الجزائر العاصمة بعنوان "الرحلة من باريس إلى الجزائر العاصمة" بتدقيق مفصل حول المسافة والمصاريف التي تؤمن الرحلة إلى المستوطنة، ثم ينتقل إلى وصف مسار الرحلة الداخلي في فرنسا بعنوان "الطريق من باريس إلى ليون عبر البوربون" مع إشارات حول المراكز، وفيه معلومات دقيقة منذ الخروج من باريس مع تحديد المسافة بالتفصيل وصولاً إلى ليون، ويقدم لمحة تاريخية حول هذه المحطات، بعدها إستعرض المسار الثاني للطريق بعنوان "الطريق من باريس إلى ليون عبر البورقون" وفيه كل المعلومات الخاصة بالرحلة بدقة كبيرة والمسافة وكذا أسماء كل المدن وصولاً إلى "ليون" ونفس الشيء يواصل في التعريف بهذه المدن. يعتبر هذا الدليل ذا أهمية أفادنا في التعرف على حيثيات الرحلة في فرنسا، أي الجزء الداخلي والرحلة في طريقها الخارجي عبر المتوسط إلى الجزائر، ومكننا من إعادة رسم مشهد طريق الرحلة والتأريخ للرحلة الفرنسية للجزائر، التي شهدت إنفتاح كبير مع تطور وسائل النقل وحركية النشاط البحري وتعدد وسائل المواصلات التي واكبت تطور وتوسع منظور الرحلة إلى المستوطنة، التي أصبحت مركز إستيطاني سياحي بكونها منتج صحي شتوي وصيفي جذب الزوار والمعمرين.

3. كتاب الجولة "الجزائر العاصمة، بوفاريك، بليدة وضواحيها".

هذا المؤلف هو دليل، عنوانه: "الجزائر، بوفاريك، بليدة وضواحيهم: دليل جغرافي، تاريخي وفني، مرفق بخريطة للجزائر وضواحيها لماك كارت" وطبع سنة 1888 بالجزائر، وعنوانه كاملاً هو:

Dallès, Édouard. Alger, Bou-Farik, Blidah et leurs environs : guide géographique, historique et pittoresque (2e édition) ; accompagné d'un plan d'Alger et d'une carte de ses environs, par O. Mac-Carthy. 1888, Alger, Librairie Adolphe Jourdan, 1888.

عند الإطلاع على هذا المؤلف نجده ثرياً من حيث المعلومات التي يقدمها عن المستوطنة، وهي دقيقة ومفصلة، إذ يدرج معلومات تاريخية عن مدينتي الجزائر وبوفاريك، فقدم نبذة تاريخية عن مدينة الجزائر في الفترة التركية سنة 1524 ثم في فترة الإحتلال الفرنسي سنة 1830 ثم سنة 1887 مع التعريف بطوبوغرافيتها ومناخها، وكان الدليل شاملاً لمعالم المدينة، إذ قدم مخططاً للجزائر حتى

¹Armand Pignel., Conducteur, ou Guide du voyageur et du colon de Paris à Alger et dans l'Algérie..., Op.cit., P.P.7-10.

الميناء والأرصفة، عرف بالمقاهي، الحمامات بالعناوين وأوقات العمل، المساجد، قصر الحكومة الشوارع، الطرقات، الزوايا، مكتبة المدينة، المتحف، القصبية، المدارس، مؤسسات التعليم العالي والمنشورات العلمية الدورية وحتى الجمعيات العلمية الناشطة في تلك الفترة، كذلك التجارة والمنتجات الصناعة الفرنسية والأهلية، ثم قدم نبذة عن تاريخ البلدة، التجارة، الصناعة، القرى والمقابر والآثار. وهذا الدليل دقيق، يقدم المكان وإحداثياته ويعتبر أكثر تفصيلا من كتب الجولة المقدمة ويخدم المسافرين في تنقلاته، ويبين بوضوح أماكن تواجد المعالم وعناوينها وكيفية الوصول إليها، وهذا الدليل في طبعته الثانية التي صدرت سنة 1887، أما الطبعة الأولى صدرت سنة 1875 بـ 248 صفحة وينتهي بفهرس ألفبائي مفصل عن مدينة الجزائر بالأسماء والأماكن والضواحي وينتهي الدليل بخريطة للجزائر، ويبدأ المؤلف بكلمة للقراء يقدم فيها كتابه الذي قدم فيه المدينة كما رآها حسب تعبيرة والطبعة الثانية منقحة ولم يغير فيها الدليل بل أضيفت بعض المعلومات المكملة فقط، والفصل الأول معنون بـ "الجزائر، وصف، تاريخ، سكان، مناخ، تجارة" يوجه حديثه للمسافر القادم إلى الجزائر عند نزوله من الباخرة بل وقبل النزول بدءا بمناداة العمال في السفينة "لقد وصلنا" إلى النزول من المركب يلاحظ المسافر الأضواء في الأرجاء التي تحدد المكان وتذكر بشارع "ريفولي" "Rivoli" بباريس وينصح المسافرين بالبقاء في الرصيف حتى الصباح لصعوبة التنقل ليلا، ومن يصل صباحا فالكاتب يترك الإنطباع للمسافر لخصوصية هذه اللحظة، إذ يقول: "...إذا وصلتكم في النهار تقدم الجزائر نفسها مباشرة لا أستطيع أن أصفها لكم، في إعتقادي ذلك مستحيل فكل شخص يرى الصورة بمنظوره الخاص تماشيا وشخصيته وحالته النفسية وإنطباعاته الخاصة...وما يمكنني أن أنصح به المسافرين أنه إذا أراد رؤية الجزائر من الواجهة عليه التوجه إلى نهاية الطرف الشمالي لمدخل الميناء في حدود التاسعة صباحا، وإذا رغبتكم في المناظر الجانبية للمدينة عليكم التوجه إلى المخرج الشمالي لحديقة التجارب.."¹، ثم يصف ميناء الجزائر مع سرد معلومات تاريخية مفصلة حول البناء والتأسيس والنشاط والقدرات وحال الميناء، والملاحظ هو التفصيل الدقيق إذ واصل الحديث عن الميناء من الصفحة رقم 3 إلى الصفحة رقم 9، ويحد أرصفة الميناء شارع الجمهورية وتم بناءه من قبل شركة إنجليزية "Morton Peto" ما بين 1860 و 1864، وكان تخطيطه من قبل مصالح الهندسة العسكرية الفرنسية ويتقاطع هذا الشارع في أعالي نهاية ساحة الجمهورية في طرف رصيف الإنطلاق وفي طرف محطة القطار. في ما يخص إيواء المسافرين ينصحهم بالإستقرار المؤقت في نزل، وإختيار مسكن يتلاءم وقدراتهم وإمكانيتهم في المدينة أو الريف، والأشخاص المرضى عليهم بإستشارة الطبيب لنصحهم حول مكان

¹Édouard Dallès., Alger, Bou-Farik, Blidah et leurs environs : guide géographique, historique et pittoresque (2e édition) ; accompagné d'un plan d'Alger et d'une carte de ses environs, par O. Mac-Carthy, 1888, Alger, Librairie Adolphe Jourdan, 1888, P.P.1-2.

الإقامة، ويدرج قائمة مفصلة للفنادق ومرتبنة حسب المواقع والأهمية بدءاً بالفنادق ذات الترتيب الأول منها نزل: الأوازييس "L'Oasis" بشارع الجمهورية، "الإيالة" بساحة الحكومة، "جنيف" بشارع الجمهورية "باريس" بحي باب الواد، "أوروبا" بشارع الجمهورية و"الأجانب" بساحة الجمهورية، أما الفنادق ذات الترتيب الثاني فيذكر منها: "الوفر" بشارع البحرية، "نزل فرنسا" و"البحرية" بشارع البحرية، "الشمال وإنجلترا" بساحة الجمهورية، "الكون" بشارع باب الواد، "إيزلي" بشارع كارفور، وأرفق هذه القائمة بمعلومات توضيحية عن أصنافها وعناوينها، وتقديم النزل هذا مفصل ولا نجده في كتب الجولة السياحية الأخرى، في مؤشر على المعرفة العميقة والدقيقة بهياكل المستوطنة وزياراته المتعددة لها. ويقدم كذلك معلومات حول المطاعم مرفقة بالعناوين كمطعم "Bordeaux" و"Gruber" بشارع الجمهورية ومطعم "Veau-Dui-Tette" بشارع جنينة، مطعم "Paris" بشارع الألوان الثلاثة، مطعم "Midi" بشارع ماهون وحي باب الواد، مطعم "Constantine"، مطعم "Vieux-Palais" ومطعم "Rovigo" وغيرهم. أما المقاهي والمشارب يعدد مجموعة في مجملها أوروبية، منها مقهى "Bordeaux"، "Café Charles" "Warot"، "Gruber" و"Bar américain" وتقع بشارع الجمهورية، أما "Glacier"، "Europe"، "Tourtel" و"d'Angleterre" بساحة الجمهورية، أما "D'Apollon" و"De La Bourse" وغيرهم بساحة الحكومة. كما يتحدث الكاتب أيضا عن الحمامات ويثري هذا التقديم بالحديث عن كل أنواع الحمامات بالبلاد. ويبرز الكاتب أهمية مدينة الجزائر في وصف يجذب القارئ لما فيه من تحليل واقعي وإسقاط لصورة راقية وشاعرية عن المدينة وإنطباعات الزوار حولها، إذ يقول: "...لا تبحث عن أهمية الجزائر في عدد سكانها أو التجارة التي تجاوزت في نشاطها المدن الساحلية الأخرى، الجزائر أول مدينة أعطت إسمها للمستوطنة، وذات أهمية سياسية بكونها مركز للحكومة الإستعمارية، موقعها متميز وضواحيها خلابة وإعتدال مناخها شتاء، فالسائح يستمتع فيها بالمناظر، والرسام يجد بها إشعاع رسامين كـ"دولاكروا" فرومونتان و"رينيو" "Regnault" إذ يلهمهم البحر الأزرق، منارة بيضاء، مسجد أو رسومات غريبة لزرابي شرقية، والشاعر يشعر تحت أشجار النخيل، والصيد يجد الغزلان التي لم يحلم بها قط، وبها بيوت أنيقة تحيط بها الأزهار والأشجار بإمكانها أن تحتضن الخطى الأولى لطفل..."¹، ويتسم هذا الوصف بالإنطباع الشخصي وبه معطيات تاريخية تؤكد أهمية المدينة كمركز إستراتيجي للمستوطنة. ويستعرض في تاريخ مدينة الجزائر من الفترة القديمة إلى الإحتلال الفرنسي، ثم يورد وصفا للمدينة ثم يعرض مخطط المدينة سنة 1888 وتحسيناتها والأشغال التي مست التحسينات التي بدأت سنة 1846 وانتهت سنة 1854 ويفصل فيها مع توضيح المواقع، ثم يتحدث عن أحياء الجزائر إذ نجد أحياء أوروبية في الجهة السفلى للمدينة وأحياء عربية في الجهة العليا للمدينة أو كما تعرف بالقصبة

¹Édouard Dallès., Alger, Bou-Farik, Blidah et leurs environs : guide géographique, historique et pittoresque..., Op.cit., P.P.14-15.

ومرتفع "روفيقو" وشارع "لالير" وشارع "باب الواد" وهي المعالم الفاصلة بين الحيين الأوروبي والعربي رغم أن هذه التحديدات ليست مطلقة، إذ نجد في المثلث الذي يشكله حي "باب الواد" وشارع "البحرية" والشارع بناء عربي قديم ينصح بزيارته¹، ثم يصف جولة في الجزائر بشوارعها وساحاتها وأحيائها وحدائقها العامة، ويقدم خلالها معلومات مفصلة عن التأسيس والبناء وما يمكن للزائر أن يقيم به والملاحظ أنه يقدم إرشادا دقيقا للزائر حتى حول الأوقات الملائمة للتنزه وما يمكن للزائر رؤيته من مختلف الزوايا والمواقع ويفصل في التعريف بالأحياء والشوارع والمعالم بدقة في عشر صفحات أي من صفحة 30 إلى الصفحة 40 في إمام تام² وشامل ويعتبر وصفه دقيقا جدا ساهم بالتعريف بالمدينة. ينتقل بعدها للحديث عن السكان وأعرافهم، ويعترف أن مصطلح العرق في الجزائر فضفاض ويعتقد أن البعض أعطى تسميات مختلفة لنفس المجموعات الإثنية بناء على المناطق التي يقطنون بها والمهن التي يمتنونها، كالعرب القاطنين بالهضاب ويسكنون الخيام ويتاجرون في أسواق العاصمة ببيع الحبوب وشراء مؤنهم من مختلف المواد الغذائية إذ يتوجهون لمحلات ومقاهي الحضر في شارع "لالير" مرتدين البرانيس، ويذكر القبائلي ويقول أو الشاوي وهو من يقطن الجبال إذ ينزلون من جبال جرجرة لبيع زيت الزيتون والزبيب ويمكن رؤيتهم من باب "إيزلي" بالبالغ محملين بالسلع مرتدين شاشية حمراء، ونلاحظ هنا أنه يخلط في التسميات بين سكان الأوراس "الشاوية" وسكان بلاد القبائل "القبائل" بقوله "القبائلي" أو "الشاوي" أي أن الاختلاف جغرافي فقط فهو يتحدث عن السكان البربر، ويضيف عنصر الحضر والحضري هو ساكن المدن يسير المقاهي والحمامات تراه جالسا خلف حائط المحل يدخن ولونه أبيض شاحب، أما المزابي فأتى للعمل وجمع المال للعودة لوادي ميزاب ولديهم محلات للتوابل والخضر والفحم والحطب ويعرفون بلباسهم المميز وهو عبارة عن كيس (يقصد قشابية) بنية اللون بها خطوط زرقاء وحمراء، أما الزوج فاستقدموا من أواسط إفريقيا للجزائر وكانوا يعملون في النسيج ونسائهم تصنعن نوع من الخبز صغير دائري الشكل به الحبوب لبيعها، ويدير الإسبان والإيطاليين الذين يشتغلون بالصيد وكذلك المالطيين أما البرانية والبساكرة ويقصد بهم السكان من خارج الجزائر وكانوا يقومون بأعمال الحراسة والدفن، ولا زالت سلطات الاحتلال تستخدم الأهالي في أعمال الحراسة، وفي الأخير يذكر اليهود أو كما يطلق عليهم بالإسرائيليين ويعملون في البيع والشراء والصياغة وأحيانا يمارسون كل هذه المهن وهم لا ينتجون ويلبسون لباس غامق يشبه اللباس العربي وبعضهم أصبح يلبس لباس فرنسي ورغم ذلك فهم معروفون بأنهم يهود، وفصل الكاتب في ذكر إثنيات السكان وجغرافيتهم ومهنهم رغم بعض التداخلات في المعلومات، ورصد عدد سكان مدينة الجزائر إذ كان سنة 1851 حوالي 41,402 نسمة وفي سنة 1861 إرتفع لـ 46,468 نسمة منهم 14,288

¹Édouard Dallès., Alger, Bou-Farik, Blidah et leurs environs : guide géographique, historique et pittoresque..., Op.cit., P.P.15, 20, 28,29.

²Ibid., P.30.

فرنسي، وواصل الإرتفاع ففي سنة 1866 وصل إلى 47,314 نسمة منهم 16,661 فرنسي، وإزداد العدد سنة 1872 إلى 48,908 نسمة منها 16,762 فرنسي وأصبح سنة 1875 يقدر بـ 71,199 وإلى 74,792 نسمة بإضافة المجموعات السكانية الأخرى حسب إحصاء 1886، ونلاحظ إرتفاع متزايد لعدد السكان في مدينة الجزائر مع إرتفاع مماثل للسكان الفرنسيين خاصة مع توسع سياسة الإستيطان ثم يخص الحديث عن مناخ الجزائر بتقديم إحصاءات وأرقام حول درجات الحرارة بالمدينة والإمكانات الإستشفائية لمرضى الأمراض الصدرية من خلال دراسة منشورة قدمها الدكتور "سيزاري" "DR Sézary" نشرها في "تشرية الأخبار الطبية" الصادرة سنة 1872 بناء على ملاحظات "الدكتور ميتشال" "Le Docteur Mitchell" ما بين 1837 و 1854 من جهة وملاحظات ضباط سلاح المدفعية ما بين 1856 و 1872، وهي أرقام دقيقة من خلالها أكد "الدكتور سيزاري" أن مناخ الجزائر المعتدل يجعل منها من أهم المدن الصحية وينصح مرضى الأمراض الصدرية من البلدان الباردة بالإستقرار بالجزائر للطفة جوها خاصة فصل أكتوبر أين يبرد الجو بأوروبا¹، ويوجه الكاتب نصحه للزائرين الباحثين عن المتعة والإسترخاء بزيارة مدينة الجزائر شتاءً للتمتع بأشعة شمسها الدافئة وسماءها الأزرق ولياليها الهادئة فالأشجار دائمة الإخضرار ما يحفز الصحة والراحة للبدن والروح، والتنزه ضواحي مدينة الجزائر يخلص من ضغط العيش بالمدن الأوروبية، ويخاطب الزوار بأنهم سيعودون مرتاحين بفضل هذا الجو الهادئ والنقي والمعتدل ويطلب منهم زيارة المستوطنة صيفا، بقوله: "...تعالوا لزيارة الجزائر صيفا لإضفاء اللون البرونزي لأجسامكم..."، ويصف الفكرة بطريقة أدبية إستلهمها من الكاتب والرسام "أوجين فرومونتان" وينصح بقراءة رحلته، وفي هذا الوصف يستخدم الكاتب أسلوب تأثير نفسي يدعو إلى الراحة والإسترخاء ويؤثر على الذات والجسد للتحفيز والتشجيع على زيارة مدينة الجزائر والمستوطنة عموماً، ثم يعرض الكاتب معلومات عن التجارة في الجزائر والصناعة الأوروبية والمحلية ثم يقدم إحصاءات مفصلة عن الحركة التجارية للواردات والصادرات، كما يتحدث عن الصناعات الخشبية صناعة الآلات الموسيقية الصناعات الجلدية، صناعة الأحذية، الصناعات النسيجية، صناعة الحلبي، الصناعات اليدوية، التبغ الفخار وصناعة الأسلحة ويُفصل في هذه الصناعات بالشرح²، ثم يدرج فصل عن الخدمات الإدارية والجمعيات العلمية والجرائد والمسرح والعيساوة ومعالم للزيارة في المستوطنة، كقصر الحكومة ونزل المدينة وقصر العدالة والبنوك والخزينة ومختلف المصالح الإدارية والشرطة والمباني العسكرية والمباني الدينية الإسلامية والمسيحية واليهودية، إذ عدد المساجد والزوايا والكنائس والكاتدرائيات والمعابد اليهودية وفصل في وصفها عمرانيا وتاريخيا، ثم يتحدث عن الجمعيات الأدبية والعلمية والفنية مقدماً نبذة تاريخية عن كل واحدة وهذا التقديم مهم جداً في التعرف على

¹Édouard Dallès., Alger, Bou-Farik, Blidah et leurs environs : guide géographique, historique et pittoresque..., Op.cit., P.P.40-45.

²Ibid., P.P.47-48, 48-57.

تاريخها، أيضا عرف بالمرح ومجمل المسارح بالمستوطنة وتحدث عن العروض بها وكذا عروض العيساوة، والمكتبات كمكتبة المتحف ومكتبة الإدارة العامة ومكتبة المدينة، ثم يقدم مدارس التعليم العالي المختصة في الحقوق والطب والعلوم والآداب، وعرف بالمكتبة الجامعية والمعهد الفلكي والمكتبة العسكرية، والمنشورات الدورية من جرائد ومجلات علمية والمطبوعات، وتحدث عن المعرض الدائم للمنتوجات الجزائرية، وقدم للزوار صورة حقيقية عن ثراء وإنتاج المستوطنة وبه تعريف بإمكانيات المستوطنة الإنتاجية وبالثروات الحيوانية والنباتية¹، كان التقديم مفصل لمختلف المعالم الخاصة بمدينة الجزائر من مبان ومؤسسات ورصد التغيرات التي طرأت على بعضها جراء الإحتلال وفصل في ذلك. وفي فصل آخر يتحدث عن ضواحي مدينة الجزائر، وقدم عرضا للزوار عن الرحلات الداخلية التي يُنصح بها²، منها رحلات من مدينة الجزائر إلى البلدة وقدمها في 114 صفحة أي حتى نهاية الدليل.

ثانيا: طرق ومسار الرحلات.

أ: الرحلة من فرنسا إلى الجزائر وموانئ الإنطلاق والبواخر.

يعتبر السفر إلى سواحل مستوطنة الجزائر شمال إفريقيا أسهل من مناطق أخرى بالمستوطنات الفرنسية لسهولة قطع البحر المتوسط ولطافة الجو، إضافة إلى الجانب التحفيزي للجزائر كثراء عادات السكان التي أصبحت معروفة لدى الجميع وتتنوع التركيبة السكانية، مع تمكن فرنسا من فرض الأمن في المستوطنة، فأصبحت مدينة الجزائر "مفرنسة" وبات السفر إليها مقبولا ومرغوبا وقريبا، وفي العموم للذهاب من باريس إلى الجزائر العاصمة تكفي عشرة أيام، منها ستة أيام للسفر من باريس إلى مرسيليا أو طولون ويوم للراحة في ميناء الإنطلاق، ثم ثلاث أيام لقطع البحر الأبيض المتوسط، وفي حال السفر عبر مكتب البريد يختصر يوم من الرحلة، أما في ما يخص مصاريف الرحلة فهي كالاتي مكتب البريد من باريس إلى ليون 92 فرنك، ومن ليون إلى مرسيليا 15. 67 فرنك، والوجبات والمبيت بالنزل 50 فرنك، والإبحار والمأكل على ظهر السفينة 60 فرنك، إضافة إلى مصاريف الأمتعة 20 فرنك، فالمجموع: 299، 15 فرنك، ومن الممكن ببعض الإجتهد القيام بهذه الرحلة بـ 200 فرنك فقط³. فيما يخص مسارات السفر الداخلي في فرنسا للوصول إلى مرفأ الإنطلاق بمرسيليا هناك طريقتان: من باريس إلى ليون فالمسار الأول عبر "بوربون" "Le Bourbonnais" والثاني عبر "بورقون" "Bourgogne" أما من ليون إلى مرسيليا يوجد طريق واحد مع إعتبار طريق "الرون" "Le Rhône" جزء من الطريق.

¹Édouard Dallès., Alger, Bou-Farik, Blidah et leurs environs : guide géographique, historique et pittoresque..., Op.cit., P.P. 58-128.

²Ibid., P.P. 129-243.

³Armand Pignel., Conducteur, ou Guide du voyageur et du colon de Paris à Alger et dans l'Algérie..., Op.cit., P.P.1-2.

وفصل الكاتب في طول المسافة من "باريس" إلى "ليون" هي تقريبا نفسها على المسارين تسع وخمسون موقف ونصف "Postes" عن طريق "البوربون" وتسع وخمسون موقف وربع عبر "البورقون" أو ما يعادل 120 مكان "Lieues" أي أن "الموقف" "Poste" يعادل "مكانين" "Lieues" إثنين، والمسافة بين "ليون" و"مرسيليا" 43 موقف وثلاثة أرباع أو 90 مكان والطريق من "مرسيليا" إلى "طولون" سبع مواقف ونصف أي 16 مكان، وفي الأخير طريق "مرسيليا" و"طولون" إلى "الجزائر العاصمة" يعادل 180 مكان وبالتالي المسافة من "باريس" إلى "الجزائر العاصمة" 406 مكان¹، والمكان يعادل تقريبا 5 كلم و100 مكان يعادل تقريبا 483 كلم ضرب 4 يساوي 1.932 كلم إضافة 6 مكان يعادل تقريبا 29 كلم أي المسافة كاملة حسب تقييم 1795 من باريس إلى الجزائر تعادل 1.961 كلم²، ويمكن الذهاب من "باريس" إلى "مرسيليا" بطريقتين إثنين سواء عن طريق مركز البريد "La Malle-Poste" ويمكننا أن نطلق عليه مركز الإنطلاق العام أو عن طريق النقل بالعربات "Les Diligences" وتنتقل الرحلات من مركز البريد من شارع "جون جاك روسو" كل مساء على الساعة السادسة وعلى المسافرين تقديم جواز سفره للحصول على مكان وحتى "ليون" يدفع 92 فرنك ويسمح له بـ 25 كلغ من الأمتعة. أما النقل بالعربات فهو أكثر تنوعا وتتعدا في مواعيد الإنطلاق، إذ ينطلق كل يوم صباحا على الساعة التاسعة وكل مساء على الساعة الرابعة، والرحلات الكبيرة تنطلق من شارع "نوثر دام دي فيكتور"، أما مؤسسات نقل "لافيث" "Lafitte" و"كايار" "Caillard" تنطلق من شارع "سانث أورووني" ومن شارع "قرونال سانث أورووني" رقم 18، وثمن هذه الرحلات إلى غاية "ليون" 63 فرنك، وتسمح الإدارة بوزن 25 كلغ من الأمتعة للشخص الواحد والوزن الزائد يُقيم بـ 35 فرنك لمئة كلم حتى "ليون"³.

1. الوصول من مركز الإنطلاق باريس إلى مدينة ليون.

يصل المسافرين من مركز الإنطلاق بباريس إلى محطة "ليون" الساعة الثانية زوالا، وساعة وصول رحلات النقل بالعربات هي نفسها ساعة إنطلاق رحلات "باريس" وأوقات الوصول موازية، فعند الإنطلاق مساء يكون الوصول مساءً وعند الإنطلاق صباحا يكون الوصول صباحا، وبالمدينة عدة

¹Armand Pignel., Conducteur, ou Guide du voyageur et du colon de Paris à Alger et dans l'Algérie..., Op.cit., P.3.

²Un Poste égal deux lieues, pour conversion de lieue en kilomètre par multiplication le nombre de lieue multiplié par 4.828032 égal nombre de kilomètre ou par division le nombre de lieue divisé par 0.20712373074578 égale nombre de kilomètre. Une lieue égale 4.82032 presque 5 kilomètres, 10 lieues égales 48.28032 km, 100 lieues égales 482.8032 presque 483km. Voir Agence web telordesign : Info@conversionunites.com

³Armand Pignel., Conducteur, ou Guide du voyageur et du colon de Paris à Alger et dans l'Algérie..., Op.cit., P.4.

نزل: منها "البارك"، "بلاص دي ثارو" و"البروفنس"، ويعتبر نزل "البارك" الأفضل لأنه يتوسط المدينة ويقدم طعام جيد في حين النزل الأخرى بعيدة نوعاً ما عن المركز وللتوجه للنزل وحمل الأمتعة يوجد كما في باريس الحمالين والعربات لحمل الأمتعة وللقيام بجولات سياحية تقل الحافلات الصغيرة السواح بـ30 سنتيم فقط، وتعتبر "ليون" مقر مقاطعة الرون ثاني أهم مدينة في فرنسا ومن أهم مدن أوروبا. يفصل الكاتب في تاريخ المدينة منذ التأسيس سنة 711 من تأسيس روما أي 43 ق. م يورد الخلفية الإيثيمولوجية للتسمية وكل ما يميز المدينة وتطورها، وتتميز بتضاريسها الطبيعية وجسورها الكبيرة والمتعددة، وبها سبع شوارع كبرى و6000 منزل و245 حي و56 ساحة عامة و25 موقف و17 مرفئ وما يقارب 200.000 ساكن، وهي مدينة تزخر بالشخصيات ذات الشهرة في تاريخ فرنسا ولديها مقومات إقتصادية معتبرة، وينصح الكاتب المسافرين العابرين للمدينة بزيارة أهم وأبرز معالم "ليون" قبل مغادرتها كـ"ساحة بلكور"، "الحديقة النباتية" و"برج فورفيار" والذي يعتبر من أهم معالم المدينة¹. فيما يخص جوازات سفر المسافرين إلى الجزائر، كانت تسلم في باريس من قبل محافظة الشرطة وفي المقاطعات يسلمها ولاية العمالات وليس رؤساء البلديات، فالأشخاص الذين يرغبون في السفر من "طولون" إلى "الجزائر" عبر بواخر الدولة ملزمون بالحصول على تراخيص السفر إلى المستوطنة قبل مغادرة باريس من وزارة الحربية أو وزارة التجارة.

2. السفر من مركز مدينة ليون إلى مرسيليا.

توجد ثلاث وسائل نقل للمسافرين من ليون إلى مرسيليا أولها النقل الرسمي وثانيها النقل بالعربات وثالثها السفن البخارية وتنقل إلى غاية "آفينيون" أو "آرل" "Arles" أو "مرسيليا"، ورحلات النقل الرسمي تنطلق منتصف الليل من أمام نزل "المراكز" في منتصف "ساحة بلكور" وتكلف 67.15 فرنك، وعن طريق النقل بالعربات تكلف أكثر من 42 فرنك وتوجد العديد من الشركات التي تقدم هذه الخدمات وتبقى خدمات البعثات العمومية أسرع والسفن البخارية تنطلق كل يومين على الساعة الرابعة صباحاً ومكاتبها في مرفأ "راتز" "Retz" وثمان الرحلة إلى "آفينيون" يكلف 30 فرنك في حال النزول للصالون و20 فرنك في حال المكوث بالجسر وللذهاب لمرسيليا يكلف الضعف، وتتميز هذه السفن بالتأثير الجيد والتميز والخدمات الجيدة والسرعة ويُنصح بأخذ السفينة إلى "آفينيون" فقط لأن الطريق مريحة، ويُنصح من لم أول يسافر ولم يزر إلا الشمال الفرنسي أن يسافر براً ليتمكن من رؤية المناظر الطبيعية في الرون، أما الأمتعة يجب تسجيلها ودفع ثمن الخدمة مبكراً² بالنسبة لكل وسائل النقل.

¹Armand Pignel., Conducteur, ou Guide du voyageur et du colon de Paris à Alger et dans l'Algérie..., Op.cit., P. P.29-31, 33-35.

²Ibid., P.P.5, 39-40.

3. طريق الرحلة من مركز مدينة ليون إلى مركزي الإنطلاق "مرسيليا" و"طولون".

وفيه تفصيل للمحطات والمسافة بالتدقيق، نقدمها من خلال صاحب الدليل "آرموند بينيال" إذ يقدم تعريف تاريخي عن كل المدن الواقعة بين "ليون" و"طولون"، بدأً بالمدن المحاذية لـ"ليون" حتى "آفينيون" نزولاً إلى "الرون" بالباخرة، وهي نفس المدن الذي يعبرها المسافر برّاً، البداية بمدينة "فيان" "Viennes" وهي مدينة ذات أهمية بعد "ليون"، ذات إرث تاريخي وحضاري بها معالم، ك: "فالنس" "Valence" و"مونتيليمار" "Montélimar" و"أورانج" "Orange"، ثم "آفينيون" التي تصل إليها الرحلات العامة على الساعة العاشرة مساءً، أما العربات فتصل في أوقات مختلفة في اليوم أما السفن البخارية فتصل في المساء عند وقت متأخر قرابة بزوغ الفجر في حال كانت المياه مرتفعة، أما في حالة التأخر فيكون وصول السفينة في اليوم التالي في حدود الساعة الحادية عشر صباحاً، وعند رسو السفينة ينتظرها كل الحمالين بالمدينة وبياشرون في إنزال الأمتعة وحملها سواء برضى المسافرين أم لا، وكثيراً ما تحدث المناوشات بين المسافرين والحمالين الذين حصلوا على إمتياز حمل الأمتعة لمسافري السفينة البخارية وركاب النقل العام إلى النزل وحتى المسافرين الذين لا يحملون أمتعة ثقيلة مثلاً حقيبة صغيرة ومعطف فهم ملزمون بتسليمها للحمالين، ويجب إتباع قوانينهم وعدم التفاوض معهم فثمن خدمتهم مرتفع جداً ويأخذ بالقوة، وينصح الكاتب المسافرين بعد الإصطدام مع الحمالين الآفينيين الذين يعتبرون أشرس وأعنف الحمالين في الجنوب الفرنسي¹، ثم ينتقل المسافر إلى النزل في "آفينيون" وهناك نزلين جديدين "القصر الملكي" و"أوروبا" وينصح بنزل "القصر الملكي"، ويواصل الكاتب وصف "آفينيون"، وهي مدينة كبيرة وجميلة ومن أصل غالي وتنتشر بها الصناعات النسيجية الراقية وهي مدينة تجارية بامتياز ويفصل في تاريخها ثم يذكر معالم المدينة المتمثلة أساساً في المكتبة العامة ومكتب التاريخ الطبيعي الجيد التكوين ومتحف الرسم الذي يحتوي على لوحات فنية مهمة وحديقة للنباتات، مدرسة مجانية للرسم فرع للمعاقين، مستشفى، ثكنات جميلة كائدرائية، نزل كريون، نافورة جميلة، المحيط الخارجي الجميل وجسر آفينيون المشهور²، ثم يتم عبور مدينة "فوكليس" "Vaucluse" المشهورة بمنبعها وهي نافورة محفورة في الطبيعة على شكل حوض بها مروج جميلة وتنتشر بالمدينة عدة نزل يقصدها الكثير من الزوار صيفاً، لكن الطريق إليها من "آفينيون" سيئ جداً. وقبل الحديث عن الرحلة إلى "مرسيليا" عبر "آكس" يضيف الكاتب بعض المعلومات حول مدينة "آرل" "Arles"، وهذا المسار يمر عبر المياه والبر في حال رغب المسافرين الإلتحاق بمرافأ الإنطلاق عبر "الرون"، فمدينة "آرل" هي مقر مقاطعة "بوش-دي-رون" ببناءها ليس جيد وطرقاتها ضيقة وكانت لمدة طويلة عاصمة

¹Armand Pignel., Conducteur, ou Guide du voyageur et du colon de Paris à Alger et dans l'Algérie..., Op.cit., P.P.41-42,48-49.

²Ibid., P.P. 50-54.

للغالبيين، وزينها الإمبراطور قسطنطين بالعديد من الأبنية الجميلة لكنها فقدت رونقها، تنتشر بها تجارة القمح والخمور والفواكه والزيت والأصواف، ومن أهم معالمها المسرح، الكابيتول، المعبدان النصب العمودي الذي يزين نزل المدينة ببقايا قوس النصر، برج رولان، سرايب الموتى أو المقابر، نزل المدينة، المكتبة، مدرسة البحرية، المتحف بمقتنياته التي تعود إلى الفترة الرومانية، قاعة العروض المربط الملكي، الحظيرة الملكية، وآثار المقابر والأعمدة التي نجدها مبعثرة في الشوارع والمتنزهات¹.

4. السفر من مدينة "آفينيون" "Avignon" إلى مركز الإنطلاق مرسيليا.

المسافرين الذين نزلوا بآفينيون يمكنهم الإنطلاق منها في أوقات متعددة عبر عربات النقل إلى "أكس" "Aix" ومنها لمرسيليا، وعند مغادرة "آفينيون" مساءً على الساعة الثامنة يكون الوصول إلى "أكس" صباحاً على الساعة السادسة، وهي مقر تجزئة تابعة لمرسيليا بمقاطعة في "بوش-دي-رون" ومن أجمل المدن بالجنوب الفرنسي، وتتميز بجمال مبانيها وساحاتها، وأسستها روما سنة 636 م. أما في ما يخص الفنادق بالمدينة يُنصح المسافرين الذين يرغبون بأخذ قسط من الراحة في المدينة النزول بـ "فندق الأمراء" قرب بوابة مرسيليا وهو نزل جيد ويقدم خدمات ووجبات جيدة، وتمتلك المدينة مؤسسات تعليمية منها جامعة ومعهد للحقوق وجمعية أصدقاء العلوم، الزراعة، الآداب والفنون، والمياه المعدنية للتداوي خاصة للأمراض الجلدية ومؤسسات صناعية كمصانع الحرير والأفرشة، وتشتهر بتجارة اللوز، الخمور، المشروبات الروحية القطن وزيت الزيتون المشهور بجودته على مستوى البلاد. وأهم معالم المدينة يذكر الكاندرائية، برج الساعة، نزل المدينة، المكتبة مكتب التاريخ الطبيعي، قاعة العروض، مخزن، نافورة ساحة أوربيتال "Orbitelle"، ساحة الروتاند "Rondeau"، ساحة ترينيتي "Trinité"، ساحة ريكولي "Récollets"، والشوارع.

5. الوصول إلى مرسيليا "Marseille" مركز الإنطلاق إلى مستوطنة الجزائر.

مرسيليا هي مركز مقاطعة "بوش-دي-رون"، وميناء البحر المتوسط ومن أكبر المدن الفرنسية بها العديد من الفنادق منها: "فندق الأمراء" الواقع في "شارع رويال"، "فندق فوسبيان" في "شارع طوبانو" "Rue Thubaneau" و"فندق بوش-دي-رون" الواقع بالقرب من "شارع هاكسو"، وكلهم جيدين². ومدينة مرسيليا بها الجزء القديم ويقع في المنطقة السفلى قرب الميناء شوارعه ضيقة، أما الجزء الجديد فهو أكثر أهمية شوارعه أوسع ومنازله منظمة والأرصفة كذلك، وتعتبر مدينة مرسيليا مدينة تجارية

¹Armand Pignel., Conducteur, ou Guide du voyageur et du colon de Paris à Alger et dans l'Algérie..., Op.cit., P.P. 55-57.

²Ibid., P.P. 58-60, 61-62.

بإمتياز كان لإحتلال الجزائر سنة 1830 دور في إزدهارها وثراء سكانها، ومرسيليا من أقدم المدن الفرنسية من حيث التأسيس وكان ذلك سنة 154 من تأسيس روما وإزدهرت إقتصاديا بفضل علاقاتها التجارية مع إيطاليا واليونان، كما إشتهرت بفنونها وعلومها ومن أثار الفترة الكاتدرائية التي تعتبر الأقدم ببلاد الغال¹، للمدينة أهمية إستراتيجية كالميناء الذي يستوعب 3000 سفينة شراعية، وحوضه يصل حتى منتصف المدينة مترامي الأطراف على الجهتين ومتسع جدا وذا بناء متين ومزين بمحلات راقية، وما يميز المكان هو تنوع جنسيات المسافرين فكان مشهد الأزياء المختلفة من كل البلدان لافتا للأنظار، وفي جهة الميناء الذي يصل الساحة بشارع "كانبيار" "Canebière" الشارع الأنشطة التجارية بالمدينة، ويوجد العديد من القوارب الجميلة المغطاة في خدمة المسافرين الذين يرغبون بالقيام بجولات سياحية في المرفأ، وفي الفصول الهادئة تقام على متنها عروض موسيقية، وفي ضواحي مرسيليا توجد منازل جميلة، وخارج المدينة تنتشر المطاعم وأكبر الزبائن بها البحارة وعمال المرفأ، وبالمدينة معالم عدة منها أكاديمية للعلوم والآداب والفنون، جمعية للأطباء، مدرسة للبحرية، حديقة للنباتات، متحف مكتبة عمومية، نزل المدينة، المسرح، معهد الموسيقى، المسمكة الجديدة والساحة العامة وهي مزينة بالأعمدة والأشجار وممرات "ميلان" "Meillan" ومشفى الأمراض المعدية الذي يعد من أهم دور الحجز بالبلاد، وكانت بمدينة مرسيليا المتوسطية تجارة مزدهرة جدا وأهم منتجاتها حلوى النوقة والصابون. وفي ما يخص مسار الرحلة، كانت عربات النقل تتوجه من مرسيليا براً إلى طولون في مختلف الأوقات يوميا وبسعر ما بين 3 إلى 5 فرنك للمقعد الواحد، وهو سعر مناسب جدا في النقل العمومي.

6. الوصول إلى طولون "Toulon" مركز الإنطلاق إلى مستوطنة الجزائر.

طولون عاصمة مقاطعة "فار" "Var" وميناء المتوسط، بها مدينة قديمة وجديدة وفنادق عديدة تقع جلها في ساحة "قوان" قرب شارع "روايال" وأفضلها فندق "الصليب الذهبي" (كروا-دور)، ويحد المدينة من الغرب إلى الشمال جبال مرتفعة وصولا إلى مرسيليا، وتنتشر بها حدائق الحمضيات، وهي مدينة بنيت على مرتفع هضبة وبالتالي محصنة، أهم معالمها الترسانة الحربية ساحة "أرض المعركة" (شون-دي-باطاي) أو "ساحة الأسلحة" بشكلها المربع وصفوف الأشجار المزودة التي تزينها، نزل إدارة البحرية، منزل "بيجي" "Pujet" (النحات المشهور)، نزل المدينة المزين بالمنحوتات، نافورة البروفانس، شارع الأشجار، النكنات، الأسوار المحصنة، سوق الأسماك، المرفأ، متحف التاريخ الطبيعي، مكتبة، حديقة النباتات ومستشفى الأمراض المعدية الذي يقع في جزيرة قريبة من المدينة².

¹Armand Pignel., Conducteur, ou Guide du voyageur et du colon de Paris à Alger et dans l'Algérie..., Op.cit, P.P.62, 63.

²Ibid., P.P. 65- 66, 78, 67-70.

أما المرفأ يوجد به الحصن العسكري أو الترسانة الحربية بكل أجزائها، ومرفأ "طولون" أقل جمالا من مرفأ مرسيليا ويقل به عدد الأجانب كذلك لكن به العديد من المقاهي، وبالميناء عدد قليل من البواخر التجارية بل لا تتعدى أن تكون سفن صغيرة، ورغم ذلك يبقى المرفأ واسع وبطل على منظر جميل ترسو به العديد من السفن الحربية والفرقاطات ولا زال بها في هذه السنة 1836 بقايا هياكل السفن الحربية الجزائرية التي أخذت من الجزائريين أثناء الحملة العسكرية ضد الجزائر، وفي الترسانة يوجد السجن الذي يعتبر الأكبر والأجمل في أوروبا وللدخول للترسانة العسكرية يجب الحصول على إذن من القائد العام، ويمكن الحصول عليه بسهولة بتقديم جواز السفر وحينها يُستقبل الزائر في القاعدة ويرافقه دركي في الزيارة عبر أرجاء المكان كقاعة الأشرعة وغرفة الحبال قاعة سبك المدافع وحضيرة سلاح المدفعية، قاعة العروض أين يوجد كل أنواع البوارج البحرية لكل الفئات وكل الدول، زوارق وقوارب من كل الأصناف، المراسي، الآلات البخارية، الآلات الخاصة بالبحرية في العموم، قاعة الأسلحة أين يوجد العديد من الأسلحة الرومانية القديمة، الأحواض المغطاة لبناء السفن¹.

7. تأشيرات جواز السفر والإنطلاق.

في مرسيليا وطولون قبل البدء في التفكير في الرحلة يجب التقدم إلى محافظات الشرطة لتأشير جواز السفر، والقيام بهذا الإجراء في حال كان الإنطلاق من طولون عبر سفينة تابعة للدولة يجب التقدم إلى الممثل العسكري للحصول على الإذن بالإنطلاق، أو إذا كان بحوزة المسافر إذن خاص تحصل عليه من باريس يجب تقديمه للممثل العسكري ليأشر عليه مع وضع إسم السفينة التي ينطلق على متنها وفي العادة يؤدي المسافرين زيارة لقائد السفينة التي ستتقلهم وعادة ما تكون عشية الرحلة للمسافرين. وينصح المسافرين الذين لا يرغبون في السفر عبر بواخر الدولة أن لا يتوجهوا إلى مرفأ طولون، لأن عدد البواخر التجارية به قليلة جدا وهي سفن بسيطة بحمولات صغيرة وغير مهيأة مع مخاطرة الانتظار طويلاً قبل الإنطلاق وإمكانية أن تكون رحلة غير مريحة إذا كانت السفينة سيئة وينصح بالتوجه إلى مرسيليا للسفر في السفن التجارية، فهي تبحر يوميا ومهيأة بوسائل الراحة، والملاحظ أن حال السفن يماثل عربات النقل بعضها كبير وبعضها صغير وبعضها لا يتوفر على شروط النظافة. وعموما يوجد عدة أصناف من السفن حسب أبعادها، منها: قاذفات، مراكب، مراكب شراعية، سفن باوخر، السفن الحربية ومنها السفن البخارية وبها غرف الضباط فقط مهيأة ولا يوجد بها مراقد وأفرشة للمسافرين الذين لا ينتمون للجيش أو للدولة ولا يتم إيواء النساء، وهذه السفن غير مكتظة كالسفن التجارية، ويترك الضباط غرفة صغيرة لوضع الأفرشة التي تباع على الرصيف بـ6 فرنكات، وفي حال

¹Armand Pignel., Conducteur, ou Guide du voyageur et du colon de Paris à Alger et dans l'Algérie..., Op.cit., P.P.71-72.

السفر مع النساء يجب إحضار أغطية قطنية ولا توجد بها الوسائل الضرورية وتتعهد بها الخدمات¹ ويجب الإستعلام في مرسيليا حول إنطلاق الرحلة في الأرصفة ولدى مكاتب الوسطاء التجاريين والمواثيق، وفي العادة تعلق إعلانات على البواخر المتجهة إلى الجزائر لكن ليست كلها ملائمة للسفر ويتكفل "وسيط الميثاق" بتحديد سعر الرحلة والسعر 40 فرنك للفرد كي يتمكن المسافر من الحصول على فراش وغرفة، ويتوفر ذلك في السفن المخصصة للسفر على المسافات البعيدة، إذ يدفع الفرد الواحد فرنكين مقابل الأكل وفي حال الإستغناء عن وجبات السفن يجب إقتناء المؤونة قبل الإنطلاق لكن قادة السفن يمتنعون من هذا التصرف بإعتبار أن سعر الوجبات هو فائدة لطاقم السفينة إذ أن من بين 100 مسافر يصاب 90 منهم بدوار البحر ولا يتناولون وجباتهم، وينصح المسافرين بزيارة السفينة قبل الإنطلاق للإطلاع على شروط النظافة قبل دفع أي مبالغ وتسليم جوازات السفر للوسطاء ويجب كذلك التأكد من الإنطلاق المرتقب للسفن لأنه في العادة لا تنطلق السفن في الوقت المحدد كعربات النقل، بل الإنطلاق غير محدد بإعتبار أن طاقم السفينة يعلن الإنطلاق مبكرا في حدود أربعة أو ستة أو ثمانية أيام وتظل السفينة مأكثة في المرفأ حتى يتجمع المسافرين، وقد تصل مدة الإنتظار 15 يوما حتى تمتلئ بالركاب، وتنطلق في رحلة تتحكم فيها حالة البحر والرياح وبالتالي عند زيارة الباخرة يمكن معرفة وضع السفينة وهل ممثلة ووقت إنطلاقها²، وفي "طولون" لا يوجد إلا السفن البخارية التابعة للدولة، وتنقل المدنيين وفي العادة تبحر في منتصف النهار ويعلنون إنطلاقهم بضربات مدافع، ويكون المسار في أربعة أيام وأحيانا ثلاثة أيام في حال تحسن الجو، وفي "مرسيليا" في حال كان البحر هادئ ولا يوجد إرتفاع المد البحري تنطلق السفن صباحا، والسفن الشراعية قد تقطع المسار في حال هدوء البحر خلال ستة أو ثمانية أيام وفي حال تهيج البحر وإرتفاعه قد تستغرق الرحلة ضعف المدة وأحيانا أكثر، وعند الخروج من ميناء "طولون" يوجد في الجهة اليمنى جزيرتين من الصخور بشكل هرمي يطلق عليها الأخوين، وهي من بعيد تشبه شجرة التتوب مرتفعة وعند مغادر ميناء "طولون" لا نرى المدينة لأنها مغطاة، ويسارا جزر "هيراس" و"خليج جبنوة" وفي الداخل توجد مدينة جينوى التي تتخذ إسم الخليج، و"كورسيكا" و"سردينيا"، ومجال الإنطلاق في المجال الجغرافي من "طولون" إلى "الجزائر" تترك جزر "البليار" على اليمين، وعند مغادرة "مرسيليا" ومرفئها يصل المسافر لـ"خليج الأسود" إلى اليمين، ثم نجد جزيرة صخرية صغيرة تسمى "قصر إيف" وهي مشفى الأمراض المعدية وتتوجه إليها البواخر القادمة من الشرق ومن بلاد الهند في حالات الحجز الطبي، وتختفي "مرسيليا" عن الأنظار عند تجاوز "قصر إيف" ولا نرى التربة إلا في جزر "البليار" التي تترك في الجهة الشمالية عندما لا يكون المرور من الوسط، من جهة أخرى ولمواجهة دوار البحر

¹Armand Pignel., Conducteur, ou Guide du voyageur et du colon de Paris à Alger et dans l'Algérie..., Op.cit., P.P.79-80.

²Ibid., P.P.82-83.

ينصح البحارة بتناول الطعام قبل الإنطلاق وأثناء الرحلة رغم آلام دوار البحر حتى يتقوى جسم المسافر ويتمكن من مواجهة الدوار، كما يُطلب من المسافرين أخذ كميات من البرتقال لأنها تفيد في مقاومة الدوار، وينصح بالنوم لتجاوز آثاره ويعتبر الدوار من أصعب ما يمر به تقريبا المسافر بحرا ويزول في خضم أربعة أو خمسة أيام وبمجرد النزول إلى اليابسة تزول أعراضه ويشفى الركاب¹.

8. مسار الرحلة بحرا عبر البحر المتوسط باتجاه مستوطنة الجزائر.

بمجرد قطع نصف المسافة ما بين "طولون" أو "مرسيليا" إلى "الجزائر" تظهر جزر "البليار" Iles Baléares التي تمثل جزء من مملكة "آرغون" "Aragon" بمقاطعة "بالما" "Palma" وتتكون من عدة جزر كـ "مايوركة" "Majorque" "مينوركة" "Minorque" "إيفيسا" "Iviça" "فورمونثيرا" "Formentera" "كابريرا" "Cabrera" وكانت تعرف قديما بإسم "بينياس" "Pithyues"، ومناخ جزر البليار دافئ، تنتشر بها زراعة الحوامض والمدن الرئيسية هي "بالما"، "ماهون" "Mahon"، "إيفيس" "كابريرا" "فورمونثيرا" و"بالما" عاصمة جزر البليار، يحيط بها أسوار وميناءه تحميه قلعتين، ورغم أن هذه المدينة ليست جيدة البناء إلا أن منازلها مزينة بشرفات جميلة، وبها منتزهات جميلة كمنتزه "رامبا" "Ramba" وساحة "البورن" "Les Bornes" وهي أمكنة يزورها المسافرين، وأهم معالم هذه العاصمة والتي ينصح المسافرين بزيارتها هي: "قصر الحاكم"، "قصر البورصة"، "نزل المدينة"، الكاتدرائية" وهي بناء جميل بالهندسة القوطية، "قصر محاكم التفتيش" ويقع خارج أسوار المدينة، وبمدينة "بالما" متحف للتاريخ القديم، مكتبة عمومية والعديد من المؤسسات الصناعية والخيرية، وهي معروفة بالحمضيات وعند عبور السفن قبالة جزيرة "بالما" يظهر منتزه الجزيرة على الشاطئ وينقل صورة السكان المتنوعة أما "ماهون" التي كانت تعرف قديما بـ "Portus Magonus" وهي مقر جزيرة "مينوركة" وتتوسط الخليج ذات بناء جيد ومنازلها أنيقة وميناءها كبير يحميه حصن "سان فيليب" "S^T Philippe"، وقبالتها "فيلا-كالوس" "Villa-Carlos" وهي حي معروف في ماهون، كما يوجد بالجزيرة مستشفى الأمراض المعدية وبذلك نلاحظ إنتشار المعرفة التثقيفية للمسافرين وإطلاعهم على أدق التفاصيل الخاصة بالرحلة السياحية لزيارة المستوطنة وتستغرق الرحلة في الحالات العادية ستة أيام وعند الوصول إلى جزر البليار تبقى ثلاث أيام على الوصول إلى الجزائر "الأرض الموعودة للمعمرين" إذ تظهر السواحل الإفريقية وجبال الأطلس أو "رأس كاسين" بمدينة الجزائر، وبذلك يصل الزوار والمعمرين لنهاية الرحلة بوصولهم إلى المستوطنة²، وبالتالي فالرحلة إلى الجزائر تبدأ من داخل الأراضي الفرنسية، الجزء الأول

¹Armand Pignel., Conducteur, ou Guide du voyageur et du colon de Paris à Alger et dans l'Algérie..., Op.cit., P.P.84-85,87.

²Ibid., P.P.88-90, 92.

من باريس إلى ليون والذي ينقسم إلى مسارين الأول عبر "بوربون" ومسار ثان عبر "بورقون" ثم الجزء الثاني من ليون إلى مرسيليا ثم الجزء الثالث نحو الخارج من مرسيليا إلى الجزائر العاصمة أو من طولون إلى الجزائر ويمكن الإشارة إلى رحلات أخرى كرحلة الكاتب "كزافيي مارمي" إلى الجزائر وإنطلق من مدينة "باربينون" "Perpignan" باتجاه "المرفأ الأخضر" ثم "برشلونة" "Barcelone" ثم "بالما" ثم "جزيرة كابريرة" ثم "الجزائر" "Alger" ثم "سطاوالي" "Staoueli"¹، في حين البعض الآخر كان له مسار مغاير، فمثلا الكاتب "بيسي أوغيست" "Auguste Besset" إنطلق في رحلته من مدينة شاني "Chagny" في مقاطعة "ساون لوار" بمنطقة البورقون² سنة 1896 وتنتقل إلى مدينة مرسيليا للإبحار منها، ونزل بشارع "كانبيار" ومنه تنتقل إلى المرفأ القديم للسفر³ إلى مستوطنة الجزائر، ويصف لحظات سفره ووصوله إلى أرض الجزائر بـ"اللقاء السعيد"، وكان مسار الرحلة البحري موحدا عبر "جزر البيليار"، وعادة ما يجذب الركاب بأضواء منارة ميناء ماهون حسب الكاتب، وتواصل الباخرة رحلتها عبر المتوسط، وكان الفضول يكتنف الركاب للوصول لأرض إفريقيا، وعند سماع قائد الباخرة ينادي معلنا عن الوصول إلى اليابسة: "الأرض الأرض" "Terre Terre" في إشارة لوصول المسافرين إلى الجزائر، يشعرون بسعادة كبيرة بعد قضاء تسعة وعشرون ساعة في عرض البحر وقطع مسافة ثمان مائة كيلومتر بين سواحل مرسيليا وشواطئ الجزائر التي تعتبر حلم الرحالة الفرنسيين وأرض الشرق الموعودة⁴. ويمكننا تلخيص مسارات السفر الداخلي في الميثروبول إلى غاية مرفأ الإنطلاق بمرسيليا أو طولون فهناك طريقتان: الطريق الأول من باريس إلى ليون المسار الأول عبر بوربون والمسار الثاني عبر بورقون، ثم يصل المساران إلى مرسيليا أو طولون، والطريق الثاني من آفينيون إلى آكس، ثم الوصول إلى مرسيليا أو إلى طولون، وبعدها الطريقتين نحو الخارج أي من مرسيليا أو من طولون إلى الجزائر، وكانت مرسيليا عاصمة الجنوب الفرنسي والمدينة التي كانت لها صلات تاريخية وإقتصادية مع الجزائر منذ الفترة العثمانية وهي الأقرب كذلك إلى الضفة الجنوبية للمتوسط. وكذلك على الرحالة القيام بتأشير جواز السفر والإنطلاق من مرسيليا أو طولون، وقبل الرحلة يجب التقدم إلى محافظات الشرطة لتأشير جواز السفر، وإذا كان الإنطلاق من طولون يكون تأشير الجواز بسفينة تابعة للدولة ذلك بالتقدم إلى الممثل العسكري للحصول على الإذن بالإنطلاق، وإذا كان للمسافر إذن بالسفر من باريس يقدمه للممثل العسكري ليؤشر عليه مع وضع إسم السفينة التي ينطلق على متنها وعادة يؤدي المسافرين عشية الرحلة زيارة لقائد السفينة التي ستتقلهم.

¹Marmier., Xavier., Lettres sur l'Algérie..., Op.cit., P.3.

²La Commune de Chagny, département de Saône-et-Loire en Bourgogne-Franche-Comté, France.

³Besset, Auguste., A travers l'Algérie d'aujourd'hui..., Op.cit., P.P.12-14.

⁴Ibid., P.P.21-25,28.

ب. مسارات الرحلة في مستوطنة الجزائر.

كانت الرحلة إلى الجزائر بحرا تدوم يومين عبر العديد من البواخر أهمها باخرة "أخبار فرنسا" ويُصح من يسافر إلى الجزائر صيفا بالإنطلاق مساءً لتفادي الحرارة والرياح الشمالية والغبار، وفي الغالب من بين الطرق التي ينتهجها الرحالة في مسار الرحلة في المستوطنة مسار معين عند وصولهم ونزولهم في ميناء الجزائر، أما من ينزلون في ميناء عنابة أو ميناء سكيكدة يتخذون طريق ثاني في مسارهم، وحين ينزل الرحالة في الجزائر العاصمة قد يتخذ مسار الرحلة طرق مختلفة لا يمكن تعميمها باختلاف الرحلات والرحالة فهناك من زار الغرب وركز عليه كثيرا كـ "بيار لوتي"، وهناك من ركز على العاصمة وضواحيها أي وسط البلاد وشرقها، وهناك من ركز على الشرق وتبقى دائما بعض المدن شبه ثابتة في الرحلة، أولها الجزائر العاصمة والمدن القريبة منها كالمدية ومليانة وقسنطينة والمدن المجاورة لها كسكيكدة وعنابة وبسكرة وبصفة أقل الأغواط كـ "أوجان فرومونتان" المعروف بكتاب ورسام الأغواط، والبعض إتخذ مسار مختلف بتغير مسار الرحلة دون إنتظام، فكانت البداية من العاصمة ثم بلاد القبائل ثم عنابة وقالة وقسنطينة ثم باتنة وبسكرة ووحدات الزيبان ثم سطيف وبجاية ثم بليدة ومدية ثم الحجوط وتيبازة ثم مليانة وهران والغزوات ومغنية وتلمسان وسيدي بلعباس ووهران والعودة من وهران بإتجاه مدينة قرطاجنة الإسبانية ثم مرسيليا¹، من جهة أخرى نرصد أهم مسارات السكك الحديدية التي مثلت طريق الرحلة للرحالة الفرنسيين داخلها في المستوطنة، وفي عمومها غربا من وهران بإتجاه العاصمة وتواصل شرقا من الجزائر إلى قسنطينة ثم جنوبا من قسنطينة إلى بسكرة وكان لمسارات السكك الحديدية دور في تنشيط الحركة السياحية بالمستوطنة، ونقاط النزول بالمستوطنة تعددت ما بين ميناء الجزائر العاصمة، وهران، عنابة أو سكيكدة لكن الغالب في ميناء مدينة الجزائر ومن ثمة تتفرع المسارات الداخلية خاصة مع مد خط السكك الحديدية كما ذكرنا وعربات النقل.

1: الرحالة ووسائل النقل داخل المستوطنة.

كان الرحالة ينتقلون بالوسائل المتاحة في المستوطنة، وعند وصولهم يقومون بجولات محددة لمسار.

1.1. العربات الإفريقية.

نرصد وسائل النقل الداخلية من خلال كتابات الرحلة، وإستخدمها المستوطنون والأهالي والرحالة من الزوار داخل المستوطنة، وتقريبا نفسها في فرنسا وتعرف بعربات النقل الإفريقية، في البداية كانت العربات تجرها أحصنة لكن في ما بعد إستخدام السكة الحديدية طُورت العربات إلى شبه قطار بعربات تضم مقاعد، ويصفها الكاتب لوران بإشمئزاز إذ ينقل أن المقاعد المخملية والجلدية مليئة بالغبار

¹Beset, Auguste. , A travers l'Algérie d'aujourd'hui..., Op.cit., P.31.

والأوساخ وفقدت لونها ويرى أن ذلك بسبب المسافرين عبرها شتاء وصيفا من السياح والمعمرين والأهالي، وهي مثقلة بالسلع من رزم الحلفاء إلى أكياس البطاطا والجلبان إلى سلال التمر والبرتقال إضافة إلى الركاب، وتمر عبر طرق مختلفة من المرتفعات إلى المنحدرات ترصد مناظر ثرية أطراف الطريق، كتتوع الغطاء النباتي من حلفاء وأشجار النخيل القزمية والصبار وغيرها في منظر يمتزج بين غبار يتطاير وعربات مهترئة ومثقلة بالسلع والركاب تمر في مشاهد متنوعة بين الحشائش والأشجار¹.

1. 2. قطار السكة الحديدية.

من خلال مختلف الرحلات يستخدم الرحالة القطار من عدة نقاط للسكك الحديدية في المستوطنة، منها خط كل من سكيكدة إلى قسنطينة، من قسنطينة إلى بسكرة، من الجزائر إلى الأغواط ومن وهران إلى الجزائر، وتكون الرحلة فرصة لرصد الطريق ووصف الغطاء النباتي والحيواني والمناخ والمظاهر التضاريسية والعرب والمساكن وكل ما يتم ملاحظته في طريق الرحلة، والمعروف كانت هنالك ثلاث طرق رئيسية للسكك الحديدية تربط المناطق الشمالية بالصحراء، منها طريق من قسنطينة إلى بسكرة، طريق يربط العاصمة بالأغواط، طريق يربط وهران ببشار، ومن بين هذه الطرق الثلاث فطريق العاصمة-الأغواط هو الأكثر أهمية ويمر بغرداية والمنيعية² إذ يمر عبر المدينة ويُعرف بالطريق رقم 8، وطريق الأغواط-بوسعادة يعرف بالطريق رقم 9 وطريق الأغواط-ورقلة هو رقم 10³. والواقع أن طريق السكة الحديدية الرابط بين العاصمة-الأغواط تطور كثيرا منذ إنشائه فأصبحت الرحلة تستغرق أربعة أيام فقط نهاية القرن التاسع عشر في حين عام 1844 عند أول حملة عسكرية للمنطقة دامت خمسة عشر يوما حسب "الضابط دوماس" في كتابه عن الصحراء الجزائرية⁴ وكانت بوسائل نقل تقليدية كالعربات والأحصنة وغيرها، وساهم هذا الخط في زيادة عدد الزوار كما ساهم نزل "السيلستان" "Célestin" ببوغار الذي يستقبل الزوار المتجهين للأغواط في سهولة زيارتها، والمعروف أن مدينة الأغواط التاريخية التي تأسست عام 1629 وكانت تستقطب الزوار فنشطت التجارة المحلية بها والمبادلات وتنوعت السلع وكانت حينها الساحات العامة مكتظة بالتجار الأغواطين⁵.

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique, ..., Op.cit., P.P. 51, 53.

²Jules Maistre, L'Europe et Le Sahara, Montpellier, Imprimerie De La Manufacture de La Charité, 1907, P.3, 4.

³Louis Piesse, Itinéraire De L'Algérie De La Tunisie Et De Tanger, Paris, Librairie Hachette Et c^{le}, 1882, P.103, 120, 121.

⁴Daumas, M.Le lieutenant -Colonel., Le Sahara Algérien Etudes Géographiques, Statistiques et Historique Sur La région Au Sud Des Etablissements Français, Paris, Langlois et Leclercq/, P.16.

⁵Paul Eudel, Hivernage en Algérie, Paris, Bibliothèque nationale, 1909, P.316.

2 . الرحلات الداخلية في المستوطنة.

نقدم معلومات عن أهم الطرق الداخلية في المستوطنة والتي يتبعها الرحالة عند وصولهم، ولما يصل الزائر يقوم بعدة زيارات في برنامج قد يكون عام ونموذجي ففي مدينة الجزائر وضواحيها تقترح عدة رحلات يعددها الكاتب "دالاس" في دليله حول الجزائر وبلدية، مسار الرحلات التي يقوم بها الزوار في المدينة وضواحيها، يبدأ الوصف بأول إنطباع عند الوصول عن الجزائر أرض إفريقيا بسواحلها الجميلة وصفاء مياهها وزرقة سماءها، فيظهر رأس ماتيفو [برج البحري] ويقع على بعد 20 كلم شرق العاصمة] للركاب وصخرة البينون، وبعد الوصول يركب الزوار في عربات النقل، وكان الفضول يدفع الزوار إلى التعرف على عادات وتقاليد السكان المحليين أو "الآخر" إذ يروي الكاتب لقاءه بقائد عسكري على طاولة العشاء رفقة مرافقيه وما قص لهم حول عادات سكان الجنوب والأغواط بالتحديد زاد من فضولهم¹، وهنا يبرز فضول الآخر للتعرف على عادات السكان المحليين وكذا الرغبة في زيارة معالم البلاد والتقرب من السكان وتجربة هذه المغامرة بين الزوار والرحالة الفرنسيين بالبلاد. تقدم المستوطنة فضاءات ثرية للزوار من خلالها يمكنهم الإستجمام في العديد من المحطات السياحية التي يزورها الرحالة والسواح في المستوطنة، ومنها مناطق الراحة والإستجمام وأهم المحطات التي مثلت منتجات سياحية مميزة للزوار في المستوطنة تمثل فضاءات للراحة.

2 . 1 . فضاءات الراحة.

هناك العديد من المناطق والفضاءات التي وضعت لخدمة الزوار، يقوم بها المهتمون على شكل رحلات، وقدّمنا مثال لنموذج عن ضواحي مدينة الجزائر بإعتبار أن العاصمة كانت الأكثر زيارة. **الرحلة الأولى:** "سان-أوجين" "Saint-Eugène"، "سطاوالي" "Staouelli"، "سيدي فرج" "Sidi-Ferruch" "شراقة" "Chéragas"، "الأبيار" "El-Biar"، فبعد عبور تحصينات باب الواد يجب أخذ يمين طريق "مالاكوف" "Malakoff" المحاذية للطريق المؤدي من مدينة الجزائر إلى تيبازة، وعلى الزائر النزول في ممر التحصينات على اليمين والوصول إلى شاطئ يقصده الكثير من هواة السباحة، وقبالته في زاوية الحائط الذي يقطع الطريق نجد في أعلى الحائط بإرتفاع أربعة أمتار لوح رخامي أبيض يحمل تآبين لرجل دين يهودي ويورد الأسطورة التي صاحبت مجيئ هذا الرهبان إلى الجزائر وسرد قصص هجرتهم من إسبانيا أثناء حروب الإسترداد في القرن الرابع عشر ووجود القبرين بهذا المكان مؤشر على وجود مقبرة يهودية، يوالي غربا المقبرة العربية بساحة باب الواد والمدافن الرومانية التي إكتشفت في موقع

¹Paul Eudel, Hivernage en Algérie..., Op.cit., P.31.

الثانوية الحالي في حديقة "مارينقو"، والمقابر اليهودية في طريق "فري-فالون"، وفي حي "بيجو" المقبرة العربية والتركية الواقعة عند مصب نهر "بير-ترارية، وكل هذا يؤكد أنه خلال كل الفترات إلى غاية سنة 1830 أن الجهة الشمالية الغربية لهضبة مدينة الجزائر كانت مكان للدفن لمختلف أعراق السكان أما ممر طريق "مالاكوف" "Malakoff" فهي كانت محمية من البحر بحجارة ضخمة وفي يسارها منازل وأكوخ قديمة، وعلى بعد مائة متر من جسر "واد المراسل" "Oued-el-Mr'asel" توجد مبان تركية قديمة يسكنها اليوم العسكر كما يوجد ثكنة ومقر "لأخوية سان فانسون دي بول" "Sœurs de Saint-Vincent de Paul" وكانت في السابق دار للبارود بنيت على يد مهندس سويدي تم الإنهاء من بناءها سنة 1812، ثم ترتفع الطريق قليلا بمحاذاة حائط المدافن للمقبرة الكاثوليكية والمقبرة الإسرائيلية¹.

الكلم 3 "سان - أوجين" "Saint-Eugène": يبلغ عدد سكانه 3,418 نسمة وهو عند أسفل "بوزريعة" "Bouzaréa" وبه العديد من المنازل الريفية منتشرة يمينا وشمالا وفي جهة شاطئ البحر وأسس بالمنطقة تجمع مدرسي مميز سنة 1887، وكانت المنطقة نقطة إنطلاق للعبات التي تجرها الأحصنة وقطار الطرقات أو الترامواي وكان وسيلة النقل الدائمة من وإلى مدينة الجزائر بإعتبار أن المنطقة كانت مركز للراحة يقصدها سكان مدينة الجزائر، وعند التقدم في مرتفع بيسكاد حيث يوجد به المنازل الفخمة وبعضها موريسكي الهندسة ومزينة بأقواس مبلطة بالرخام الأبيض والأزرق وهي ذات منظر فني مميز، وفي يساره تظهر مرتفعات بوزريعة بغطاء نباتي متنوع وأعلى المرتفع بقايا حصن تركي قديم وبغرب هذا المرتفع يوجد شاطئ دائري معروف بإسم "مرسى الذبان" وكان في القديم ملجأ مشهورا للقراصنة ولا زال حتى اليوم مرسى لسفن الصيد، وقبالة هذا الشاطئ نجد مرتفع بيسكاد يبدو مرتفعا.

الكلم 6 "بوانث بيسكاد" "La Pointe-Pescade": من أشهر المعالم الطبيعية، وملتقى لعائلات مدينة الجزائر التي كانت تأتي للراحة وتذوق الأطباق في مطعم "دومينقاز"، وفي ما بعد هذه النقطة تتناقص المنازل الريفية أما من جهة البحر ومن الجهة المقابلة نجد مرتفعات الساحل بمناظرها الطبيعية.

الكلم 9: هو من أهم المناطق التي يزورها الزوار إذ شجرت إدارة الغابات هذه المنطقة وكان مقر الغابات بباينام يحيط به أشجار الكاليتوس والصنوبر، وقام بزراعتها "شركة الجنود المزارعين".

الكلم 10 منارة رأس "كاسين" "Caxine": ترشد المنارة السفن القادمة من إسبانيا ومن مضيق جبل طارق، ومن المنارة تظهر للعيان حقول العنب في المرتفعات والخمور التي تنتجها ذات شهرة مع إنتشار المعاصر والمخازن لتخزين وإنتاج الخمور².

¹Édouard Dallès., Alger, Bou-Farik, Blidah et leurs environs : guide géographique, historique et pittoresque..., Op.cit., P.P.131, 133-135.

²Ibid., P.P. 131, 136-137.

الكلم 13 و 200 مغارة ما قبل التاريخ في الصخرة الكبيرة: تم إكتشافها والتنقيب بها من قبل عدة أعضاء من الجمعية العلمية للمناخ وتتكون من رواق بطول عشرة أمتار سهل الولوج وغرفتين بقطر من خمسة إلى ستة أمتار، والغرفة الأولى مضاءة إضاءة طبيعية وما عثر بهذه المغارة من "مقتنيات سلتيّة" و"المباري" ومخارز من العظم وهياكل عظمية لمختلف الحيوانات المنقرضة محفوظة في متحف الجمعية المناخية لمدينة الجزائر وكذلك بعض الأدوات الأثرية التي تعود للعصر الروماني. رحلة لدولمن هضاب بني مسوس: من أهم المعالم الأثرية والحضارية التي يزورها الرحالة والزوار والسياح في المستوطنة كإرث تاريخي حضاري معلم سياحي¹.

2. 2. جولة في بعض المنتجعات السياحية.

الواصلين للمستوطنة عبر ميناء الجزائر يتوجهون عادة إلى النزل ثم يقومون بزيارة أهم معالم المدينة مثل القصبة ومبانيها، ثم التوجه إلى المدن المجاورة كبني مراد، البلدية، أخدود جبل الشفة المدية. المدية: بعد زيارة البلدية كانت وجهة الرحالة "أوغيست بيبي" مدينة مدية عبر مضائق الشفة بشلالاتها الشهيرة وبدأت الرحلة بالصعود في مسار الواد الكبير الذي ينزل من الأطلس ومنه تدار مطاحن الحبوب، وتقل عربات الزوار بسرعة بخيولها السبعة إلى مضائق الشفة التي تعج بالعمال في أشغال المكان لمد الطريق من مدية إلى بوغار والأغواط² في إطار مد مختلف شبكات الطرق. الشفة: عن الشفة ينقل الرحالة "أوغيست بيبي" صورا عن المكان، ويمثل المنظر لوحة جميلة من بعيد، من خلال تقطعات "مزگران" "Mazagran" [يقصد المزفران] في منظر للبحر ثم سهل المتيجة ويمتد الطريق بجانب السيل المتدفق على عمق مائة متر من الصخرة التي ترتفع بشكل حاد وحينها تضخمت الشلالات بفعل الأمطار وتتقاطع معها غابات كثيفة بها مجموعات كبيرة من القروء التي تشتت بسبب الأشغال في السكة الحديدية، كما يروي الكاتب المآسي التي سببتها هذه الأشغال على الحيوانات والصخرة المهترئة التي تعتبر مكان خطير بسبب الإنهيارات الأرضية إذ هُدم منذ عام 1859 مائة ألف متر مكعب من الصخور بإستخدام المدافع، وهذا تخريب بيئي أثر سلبا على الحيوانات والنباتات، وكان المسلك صعبا لضيقه ولحركة العبور المكتظة عبره خاصة كونه منطقة سياحية يقصدها عدد كبير من الزوار الفرنسيين، إذ يقول الرحالة: "...على عربتنا التوقف للحظة حتى مرور عربة محملة بالتبن يقودها ثمانية بغال، وكانت عجلات عربتنا على حافة الوادي، وفي الجهة المقابلة عربات قادمة من المدية، وأخيرا خرجنا من مضيق الشفة بعد عبور خمس أماكن،..."³، ومن

¹Édouard Dallès., Alger, Bou-Farik, Blidah et leurs environs : guide géographique, historique et pittoresque..., Op.cit., P.P. 138,139.

²Auguste Besset., A travers l'Algérie d'aujourd'hui..., Op.cit., P.P.50, 51.

³ Lieue تقريبا يساوي 4,5 كلم، أي خمس أماكن تعادلها بالتقريب 22,5 كلم.

بين ما كان يقوم به الرحالة في جولاتهم تغيير خيول العربات خلال الرحلة، خاصة وأن طريق الرحلة طويل وهنا كان على الرحالة "أوغيست بيسي" عبور منحدرات جبل الناظور لساعتين¹، وكان على ارتفاع 950 متر مع إستمتاعه بالإستعراضات الرائعة، ويصف أولا مخطط المدينة والمعروفة بمدينة الجبال ثم يليه الجبال والقمم ذات الألوان الأكثر تنوعًا بتنوع الغطاء النباتي للمنطقة، ويوجد على اليمين جبال زكار المعلمية بالمنطقة والتي يطلق عليها بأرض الفهود لتواجد هذه الحيوانات البرية بها.

2. 3. أهم محطات الزيارة في المستوطنة عبر القطار.

نرصد في هذا العنصر أهم محطات زيارة الرحالة والزوار في مستوطنة الجزائر عبر القطار وبذلك نتعرف على أهم خطوط السكة وأهم المسارات والمظاهر التضاريسية والبيئية للبلاد الموصوفة.

2. 3. 1. السفر من وهران إلى الجزائر العاصمة.

سافر "لوران" من مدينة وهران التي لم يورد لها وصفا بعد ذهابه من مستغانم عبر القطار إلى الجزائر العاصمة، وإنطلق على الساعة التاسعة صباحا ليصل على الساعة الحادية عشر مساء وكالعادة يقدم نقدا لهذه الوسيلة من النقل، التي يراها أقل راحة ونظافة من غيرها وبطيئة جدا كما لا يتوقف على إدراج صورة العربي البائس في كل مشاهد، ويصف هذه الرحلة والطريق بمختلف مناظره من الحلفاء إلى بساتين البرتقال والكروم، وما يثير إعجابه السماء الأزرق و قمم الجبال التي تبدو في الأفق بإختلاف مظاهرها مع إمتزاج ألوان الأفق بها كالقمم الثلجية لجبال الأطلس التي يتحول لونها إلى وردي عند الفجر والأخضر عند الغروب وهذا بسبب إنعكاس لون الغطاء النباتي خاصة الأشجار بها، وهنا تتربع سهول المتيجة وجبال جرجرة المعروفة، وفي رصده للمسافرين يتأسف "لوران" من رؤية المسافرين الإنجليز، البروس والألمان كما صادف ضابطا فرنسيا وشيخا عربيا بحذاءه الطويل وبرنوسه الأزرق، وبعض المعمرين الإسبان وجنود من الصبايحية والزواف، ومتسول وحتى مغربيين وبعض المسافرين العرب بمعداتهم وسلعهم، وهنا نلمس النظرة العنصرية لغير الفرنسيين وخاصة العرب الذين يصفهم بأقبح الصفات ك: تشبيههم بالقردة أو نعتهم بوجوه الماعز، وكان الجميع يأكل في القطار حسب وصفه²، وعبر الكاتب هنا عن مكونات مجتمع الجزائر ما عدا الفرنسيين بعنصرية خاصة السكان المحليين، وتواصل هذا الوصف طيلة رحلته في البلاد، وكان هذا الإنطباع العام بين الرحالة الذين دونوا رحلاتهم.

¹Auguste Besset. , A travers l'Algérie d'aujourd'hui..., Op.cit., P.P.52, 55.

²Jean Lorrain, Heures d'Afrique,..., Op.cit., P.P.72, 73, 75, 76.

2. 3 . 2 . السفر من الجزائر العاصمة إلى قسنطينة.

كان الرحالة يسافرون من العاصمة إلى قسنطينة بحرا عبر سكيكدة أو عنابة وبرا خاصة في القطار حيث شهدت الرحلة عبر هذه الوسيلة المدرجة حديثا روجا كبيرا وسط الزوار خاصة رواد مشاهدة المناظر الطبيعية والإستمتاع بها سواء بتدوينها بالأقلام أو رسمها بالريشة، ففي رحلته من الجزائر العاصمة إلى قسنطينة ينقل "جون لوران" إنطباعات الرحلة عبر القطار إلى قسنطينة "المدينة الباردة" التي يسودها الضباب كما قدمها، عكس الجزائر الدافئة التي مكث بها فيها شهرين وعند إنطلاق القطار ترك خلفه القصب، ويصف المشهد المتكرر بتواصل الممرات الضيقة في الطريق والنباتات البرية وحجارة الغرانيت والأودية الصغيرة بمنسوب مياه ضئيل، ومن بعيد يظهر الرعاة البدو بلباسهم وقطعانهم وكانوا يراقبون القطار، وكما ذكرنا أعلاه حسب وصفه في القاطرتين الأولى والثانية كان القطار ممتلئ بالسلع والمسافرين الأوروبيون ويقول الكاتب أنها تحولت إلى عربة مطبخ، إذ إختلطت روائح اللحم المجفف واللحوم المجمدة والبرنقال والفلفل بمعاطف فرو النساء مع روائح جلد الحقائب، والقاطرة الثالثة تحمل العرب [ويصفهم بالسيئون] والمساجين وكانوا تحت حراسة الصبايحية والدرك، وكانت مدة الرحلة ثمانية عشر ساعة إنطلقت على الساعة الخامسة صباحا، ويضيف في وصفه فئة المصورين الذين في كل مرة يرون منظرا يقفزون لتصويره محدثين إزعاجا للركاب، وبعض الركاب المزعجين كذلك المسافر في سادس رحلة له إلى الجزائر ويقدم على الركاب الإقتراحات ويفرض رأيه حول الفنادق ومسار الرحلة وغيره، وشكل هذا الجو إزعاجا للكاتب، ورغم ذلك عبر عن إعجابه بالمنظر المميز بالمظاهر التضاريسية والطبيعية المتنوعة والألوان المختلفة من الأخضر إلى البني والنحاسي والأحمر وغيره¹، فالكاتب رصد من خلال هذه الرحلة العديد من المظاهر الطبيعية والتضاريسية وكان السفر عبر هذا القطار فرجة للمسافرين والمصورين مع تنوع وثناء المشهد بالقطار.

2. 3 . 3 . طريق السفر إلى الأغواط.

الأغواط هي عاصمة الصحراء بالنسبة للفرنسيين، وهي مدينة قديمة وحاضرة تاريخية، وكانت تحت سلطة العائلات الكبيرة مثل عائلة المرابط الحاج عيسى، عائلة أولاد زنون وعائلة أولاد زرهين وأهم قصورها الأثرية والحضارية منها: تاجموت، عويطة، الصافية، قصر العيران وعين ماضي². وتتطلق من منطقة الأغواط عدة طرق تجارية معروفة بإتجاه الصحراء الكبرى لنقل التمور والأنسجة

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique,..., Op.cit., P.P.155, 156, 157, 158, 159.

²Mary Monge Guillaume Stanislas, Expédition de Laghouat, Alger, de L'Imprimerie de A. Bourget, 1846, P.P.32-33,38, 39-40.

الصوفية وريش النعام وغيرها من السلع ما يجعل الأغواط ذات أهمية إقتصادية وتجارية محضة¹. وللأغواط عدة طرق تعتبر معالم للرحالة والمسافرين وفي الوقت ذاته مثلت عصب الإقتصاد للتجارة العابر للصحراء، منها طريق السكة الحديدية الذي ينطلق من الجزائر العاصمة بإتجاه البليدة وينتهي عند الأغواط²، ويبدأ من البليدة بعلو 210 متر فوق مستوى سطح البحر ثم "موزاية" "Mouzaia" بعلو 542 متر ويصل إلى 940 متر بالمدية "Médéa" و 1.165 متر بنقطة "بن شيكاو" "Ben-Chicao" بمنطقة المدية لينخفض في البرواقية "Berrouaghia" ويصل إلى 615 متر "ببوغار" "Boghar" ثم يرتفع إلى 750 متر بالأغواط، ويرصد هذا الطريق مناظر خلابة تمثل نقاط جذب للسياح، إذ ترى النتيجة والشفة وجبال مدية المخضرة وجنوب بوغار والهضبة الكبيرة للجلفة وأخيرا الأغواط، وما يميز الطريق الرابط بين منطقتي بوغار والأغواط كونها قليلة التساقط تمر منها قوافل قارة من "بوغزول" "Bou-Rézoul" و"كراشم" "Krachem" و"عين وسارة" "Ain-ous-era" و"بوسدراية" "Bou-sédraia" "قلت السطل" "Guelt-es-stel"، "المسيران" "El-Messéran" و"صخرة الملح" "Rocher- de- sel". كما تنطلق من الأغواط عدة طرق بإتجاه الصحراء جنوبا إلى واد ميزاب وورقلة، وبإتجاه الشرق إلى بسكرة وأولاد نايل، وبإتجاه الغرب إلى البيض وأولاد سيدي الشيخ، وهنا تكمن أهميتها الإستراتيجية إقتصاديا وتجاريا بطرقها التجارية التي تمثل عصب الإقتصاد بين المناطق الشمالية والجنوبية كذلك. وصرفت سلطات الإحتلال مبالغ طائلة لربط ومد الطرق بإتجاه الأغواط التي تعتبر منطقة إستراتيجية³، كما عرفت مجمل الواحات الموازية لهذه الطرق نموا إقتصاديا وفكا للعزلة، وساهمت في ربط عدة واحات ببعضها البعض مما رفع من نسب المبادلات الداخلية بينهم⁴، وهذه الطرق التجارية سهلت السفر إلى الصحراء الشرقية، كما فتحت الباب للزوار والرحالة من مختلف الفئات الإجتماعية⁵. ويرصد أحد الرحالة إنطلاقة الرحلة من العاصمة عبر طريق سكة الحديد في القطار الرابط بين

¹Charles Lallemand, L'ouest de L'Algérie, Réseaux Exploités par la Compagnie de L'ouest-Algérien Lignes de L'ouest-Algérien et De la c^{ie} Franco-Algérienne, Paris, Challamel et c^{ie} éditeurs, 1891, P.201.

²Édouard Blanc, Les Routes De L'Afrique Septentrionale Au Soudan, Paris, Société De Géographie, 1890, P.14.

³Charles Lallemand, L'ouest de L'Algérie, Réseaux Exploités par la Compagnie de L'ouest-Algérien..., Op.cit., P.194, 198.

⁴L'Abbé Jean Hurabielle, Au pays Du Bleu Biskra et Les oasis Environnantes..., Op.cit., P.156.

⁵Léon Souguenet, La Route De Timmimoun Heures Algériennes, Bruxelles, Oscar Lamberty, éditeur, /, P.163.

العاصمة والأغواط واصفا المناطق من المدينة إلى بوغار إلى الجلفة وصولا إلى الأغواط ذات "الألف نخلة" وسكانها المحليين وأحيائها ومبانيها البسيطة"¹.

2 . 3 . 4 . جولة في القطار في ضواحي العاصمة.

كان للرحالة "أوغيست بيبي" جولة بالقطار بأهم معالم مدينة الجزائر، إتجه إلى محطة القطار وهناك يصف المشهد الكوسموبوليثي بقوله: "...ننتظر الإنطلاق في قاعة الإنتظار لا تشبه مثيلاتها بفرنسا، تنوع اللباس واللغات يذكرك أنك في قارة أخرى، وأسماء المحطات التي تترك وقعا خاصا في الأذن، "آغا"، "حسين داي"، "بليدة"، "أورليونفيل" [الشلف]، وهران.."، يصف المشهد على طول الطريق، من محطة آغا على يمين الطريق تنتشر حدائق الحامة التي يتوسطها طريق محفوف بالنخيل وصولا للبحر، ويتميز المنظر في منطقة حسين داي، بعدها موقف "ميزون كاري" "Maison-Carrée" [الحراش] ثم الوصول إلى سهل المتيجة، وفي اليمين تظهر الهضاب الخضراء للساحل ويسارا مرتفعات الأطلس، وعلى حواف الجانبين تنتشر أشجار الإيكاليتيس وحقول الحبوب، ومن ثمة الوصول إلى بوفاريك التي تسحر الناظر ببساتين البرتقال وبها محطة بني مراد، وهنا يذكر الكاتب النصب التذكاري لحادثة 11 أبريل 1841 لمقتل الضابط "بلاندون" "le sergent Blandan" رفقة 22 من المرافقين على يد فرسان جزائريين²، وهي إشارة على تمجيد الحملة الفرنسية وترسيخها لدى الزوار والسواح وكذا تدوينها في رحلاتهم ولهذا بعد سياسي مرتبط بالفكر الكولونيالي بداية الإحتلال ويختزل محاولات الميتروبول في إعطاء شرعية للإحتلال وترسيخ فكرة الجزائر فرنسية في مخيلة الفرنسيين، وبعد ذلك وصل القطار إلى بلدية التي تتكأ على جبال الأطلس، ومثلت فرجة للرحالة بورودها وبساتين البرتقال المثمرة في منظر مميز، وتبدو من أعلى قمة الجبل مكسوة بالبياض، وتسمى مدينة الورود تنتشر بها الحدائق، ويوجد الحي العربي به الفنادق أو الأسواق المغلقة، وينقل الكاتب "أوغيست بيبي" إستعراض الفرقة الأولى للمشاة أثناء مراقبة المفتش العام على أنغام موسيقى النوبة العربية ويعتز الرحالة بالعدد الكبير من الضباط الرماة وبميدالياتهم التشريفية ووصف هذا المشهد بالمجيد³.

ج. رحلة العودة إلى فرنسا.

بعد التفصيل في رحلة الذهاب ثم الحديث عن المستوطنة وكل ما يتعلق بها وما يستوجب أن يعرفه المسافر حولها، ينتقل الكاتب في كتابه المرشد إلى رحلة العودة إلى فرنسا فإجراءات العودة هي

¹Jean Chalon, Souvenir D'Alger, Bruxelles, Librairie Classique, 1887, P.95.

²Auguste Besset., A travers l'Algérie d'aujourd'hui..., Op.cit., P.P.41-43.

³Ibid., P.P.44, 47-48.

نفسها التي يتخذها المسافر عند إقلاعهم من مرسيليا أو طولون وتكون العودة بباخرة تابعة للدولة أو باخرة تجارية، ومن يرغب بالعودة على متن باخرة حربية للبحرية يجب تقديم رخصة بالصعود للقائد العام للباخرة والتقدم لمكتب الإستشارة الصحية للتأكد من خلو المسافر من مرض الطاعون والأمراض المعدية وتسمى هذه الشهادة بالتقرير الصحي وتقدم رقعة التصريح بالركوب لمحافظ السفينة التي يسافر عليها المعني، أما إذا كانت العودة على متن سفن تجارية على المسافر التوجه لوسطاء الميثاق المتواجدين في الرصيف البحري وفي شارع القنصلية وفي شوارع الجزائر العاصمة وفي هذه الحالة المسافر غير ملزم بالفحص الطبي، إذ يتكفل المفاوض بكل الإجراءات مع جواز السفر وعلى المسافرين إدراك أن السفر في مستوطنة الجزائر يماثل السفر في فرنسا، وأن جواز السفر وثيقة إلزامية للتمكن من السفر ومحافظ الشرطة هو من يتكفل بمنح جواز السفر أو التأشيرة لدخول أراضي الجزائر. وينقل الكاتب "آرمون بينال" حسرة وألم المسافرين عند الرحيل من الجزائر، بقوله: "...بمشاعر صعبة وحسرة يترك المسافر الجزائر، ببيوتها البيضاء، قبابها مناراتها، حصونها، مروج مصطفى باشا ومنطقة القناصل الجميلة هذه الصورة لا تغيب عن أعين الناظر أبدا ويرغب بالعودة،...والواقع للجزائر جو لطيف وجميل وبها نسمات ذات رائحة طيبة في شوارعها..."، ثم يعاود الحديث عن الحجر الطبي بكل تفاصيله وكيفية تطبيقه في إعلام للمسافرين حول الإجراءات ويصف مشافي الحجر كمشفى مرسيليا وطولون ويوضح عمليات الخروج من مشفى الأمراض المعدية ثم ينهي دليله بمجمل الأوامر الملكية التنظيمية حول المستوطنة وينقل في الدليل خريطة بحرية تبين مسار الرحلة من مرسيليا وطولون إلى الجزائر العاصمة¹.

¹Armand Pignel., Conducteur, ou Guide du voyageur et du colon de Paris à Alger et dans l'Algérie..., Op.cit., P.P.206-208.

القسم الثاني

القسم الثاني: المجتمع المحلي والإستشراق في كتابات الرحلة.

الفصل الأول: الجزائر والاستشراق.

أولاً: كتابات الرحلة والإستشراق.

أ. الرحلة وموجة الإستشراق: تحليل وقراءات.

1. الكشوفات الجغرافية وبداية الطريق إلى الشرق.

2. بدايات الإستشراق.

3. الوصول للشرق: صدمة اللقاء الأول.

4. الإجراءات الأولية بعد الوصول.

ثانياً: الجزائر الشرق الحقيقي بالنسبة للفنانين والعلماء الفرنسيين.

أ. صور الجزائر بين اللوحات الفنية والكتابات الروائية.

1. فرومونتان والجزائر بين الصورة والنص الرحلي.

2. "هوراص فارني" "Horace Vernet" رسام "الزمالة" الأرض الموعودة لموهبته.

3. "قاي دي موباسون" "Guy De Maupassant" وصورة الجزائر بلاد الشمس والمتعة.

ب. صور البيئة والسكان المحليين في الصحراء من خلال الرحلات الإستكشافية والبعثات العلمية.

1. الرحالة الفرنسيين وإستكشاف الصحراء الجزائرية، وأهم المستكشفين في القرن التاسع عشر من خلال كتاب النقيب "ليون لوهيرو" "Léon Lehuraux".

2. الدراسات والرحلات الرسمية والفردية للصحراء، نماذج عن دراسات "دوماس"، وبعثات "بول صولي" وفلاتير"، وأبحاث علماء الأحياء والجغرافيين كالعالم الإحيائي "سبيثزارغ" والجغرافي "الضابط لوش".

-دراسات "دوماس" "Daumas".

-بعثات "بول صولي" "Paul Soleillet".

-بعثات "فلاتير" "Le Lieutenant-Colonel Flatters".

-العالم الإحيائي "سبيثزارغ" في الصحراء، مراحل عالم طبيعي.

-الجغرافي "الضابط لوش" "Le Commandant Loche" وكتابات عن التاريخ الطبيعي للجزائر.

3. المجتمع المحلي بالصحراء من خلال البعثات الإستكشافية والعلمية، نموذجي بني مزاب والشعانية من خلال الرحالة الجغرافي هنري ديفاييري "Henry Duveyrier".

الفصل الثاني: السكان المحليين في نظر الرحالة الفرنسيين : صور وإنطباعات عن المحلي وفضول الآخر.

أولاً: مظاهر الحياة الإجتماعية بالجزائر من خلال كتابات الرحلة.

أ: فضاءات المتعة للرجل المحلي.

1. حي السلاّم بالمدينة العتيقة بقسنطينة: حي المتعة وفضاء التنوع والإمتزاج.
2. بيوت المتعة في الأحياء العتيقة لقسنطينة.
- ب: فضاءات المتعة للمرأة الحضرية من خلال اللقاءات والترفيه.
1. ترفيه وفرجة عربية: حفلة نسوية، غناء، رقص، عرض للأزياء وتجارة.
2. حي بنات أولاد نايل.
- ج: المقابر والأضرحة، صور وإسقاطات.
1. المقابر الإسلامية: صور المقبرة بين الموتى والزوار.
2. الأضرحة والسكان المحليين: رمزية روحية وتعليم ديني.
- د. الإحتفالات المحلية.
1. إحتفال الربيع.
2. إحتفال القديس كلود صورة من صور الاندماج الإقتصادي للسكان الأهالي.
- ثانيا: السكان المحليين في عيون الرحالة الفرنسيين.
- أ. المرأة المحلية والرحالة الفرنسيين.
1. صورة المرأة المحلية والنشاط الإقتصادي: نموذج فاطمة مرآة المجتمع الحضري الداخلي، عارضة للباس، نموذج للرسم ومثال للمرأة والتجارة.
2. صورة المرأة المحلية ومعاناة بيع الجسد، نموذج لتفكك القيم المجتمعية بسبب الإستعمار الفرنسي: نونة، سولايمة وفتيات القصبة.
2. 1. نموذج نونة فتاة تباع جسدها الهزيل في بسكرة.
2. 2. نموذج سولايمة فتاة للبيع في الغرب الجزائري من خلال كتابات بيار لوتي.
2. 3. نموذج نساء القصبة الثلاث، صورة عن الآثار السلبية للإحتلال على أوضاع الجزائريين.
3. صورة المرأة المرابطة، نموذج لالة زينب بين التصوف والتسامح الديني من خلال كتابات الرحلة.
4. صورة المرأة والبئر: من نموذج جون لوران إلى دي لاكروا.
5. صورة ونشاط المرأة الصحراوية، بين الإلتزام الأسري والاندماج المجتمعي.
6. صورة عن لباس الحضريات من خلال نموذج فاطمة لـ"جون لوران".
- ب. صور الأطفال في الجزائر المستعمرة بين الإستحسان والمتعة والإستغلال والإستهجان.
- ج. صور الرجل المحلي بين التشويه عن المقاوم والإعجاب بالمرافق المتعاون.

الفصل الأول

الفصل الأول: الجزائر والاستشراق.

أولاً: كتابات الرحلة والإستشراق.

أ. الرحلة وموجة الإستشراق: تحليل وقرارات.

1. الكشوفات الجغرافية وبداية الطريق إلى الشرق.

2. بدايات الإستشراق.

3. الوصول للشرق: صدمة اللقاء الأول.

4. الإجراءات الأولية بعد الوصول.

ثانياً: الجزائر الشرق الحقيقي بالنسبة للفنانين والعلماء الفرنسيين.

أ. صور الجزائر بين اللوحات الفنية والكتابات الروائية.

1. فرومونتان والجزائر بين الصورة والنص الرحلي.

2. "هوراص فارني" "Horace Vernet" رسام "الزمالة" الأرض الموعودة لموهبته.

3. "قاي دي موباسون" "Guy De Maupassant" وصورة الجزائر بلاد الشمس والمتعة.

ب. صور البيئة والسكان المحليين في الصحراء من خلال الرحلات الإستكشافية والبعثات العلمية.

1. الرحالة الفرنسيين وإستكشاف الصحراء الجزائرية، وأهم المستكشفين في القرن التاسع عشر من خلال كتاب النقيب "ليون لوهيرو" "Léon Lehuraux".

2. الدراسات والرحلات الرسمية والفردية للصحراء، نماذج عن دراسات "دوماس"، وبعثات "بول صوليي" و"فلاتير"، وأبحاث علماء الأحياء والجغرافيين كالعالم الإحيائي "سبيثزبارغ" والجغرافي "الضابط لوش".

-دراسات "دوماس" "Daumas".

-بعثات "بول صوليي" "Paul Soleillet".

-بعثات "فلاتير" "Le Lieutenant-Colonel Flatters".

-العالم الإحيائي "سبيثزبارغ" في الصحراء، مراحل عالم طبيعي.

-الجغرافي "الضابط لوش" "Le Commandant Loche" وكتابه عن التاريخ الطبيعي للجزائر.

3. المجتمع المحلي بالصحراء من خلال البعثات الإستكشافية والعلمية، نموذجي بني مزاب والشعانية من خلال الرحالة الجغرافي هنري ديفاييري "Henry Duveyrier".

الفصل الأول: الجزائر والإستشراق.

من خلال هذا الفصل سنتطرق إلى الجزائر والإستشراق أي الجزائر بعيون رواد التيار الإستشراقي ومن خلاله نستوعب النظرة والصورة التي كُونت حول الجزائر من خلال كتابات الرحالة.

أولاً: كتابات الرحلة والإستشراق.

العديد من الدراسات العلمية مرتبطة بنظرة الآخر والإستشراق، بعضها يخص صورة الإسلام ككتاب "ريتشارد سودرن" بعنوان "صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى"¹ وهو من المؤلفات التي فتحت نقاش حوار الحضارات يعرض من خلاله الصراع الديني وأسباب كره الصليبيين للمسلمين الذي يحدده ببداية القرنين الثامن إلى القرن الثاني عشر، وسماها بحقبة الجهل وفصل في الموضوع بدقة ويعتبر كتاب مهم لفهم صورة الإسلام في أوروبا.

أ.الرحلة وموجة الإستشراق : تحليل وقراءات.

إرتأينا عرض بعض الجزئيات فقط، لأن الإستشراق موضوع واسع جدا والتعمق فيه يأخذنا بعيداً عن موضوع دراستنا، ورغم أنه يتلامس مع ظاهرة الرحلة إلا أننا حاولنا التركيز على الجوانب التي تخدم الدراسة تاريخياً بحيث تكون المعلومات المطروحة دقيقة وتبين العلاقة بين الرحلة والإستشراق وفي نفس الوقت تركز على الرحلة والمجتمع أي لا نخرج عن المجال العلمي المضبوط للدراسة، كما أنه من خلال دراساتنا إستطعنا طرح وتقديم تصور شخصي عن البعد التاريخي والخلفيات الفكرية التي ربطت الأحداث التاريخية في الفترة الحديثة بموجة الرحلة إلى الشرق والإستشراق.

1.الكشوفات الجغرافية وبداية الطريق إلى الشرق.

للرحلة مسارات وخلفيات تاريخية تعود إلى التاريخ القديم أي إلى ما قبل التاريخ ولتوطئة الإستشراق حسب ربطناه بالكشوفات الجغرافية للعالم الجديد والصراع بين الغرب والشرق سواء الحروب الصليبية أو الحركة الإستعمارية الأوروبية الحديثة التي إمتدت إلى العالم الإسلامي، ونتصور أنه للكشوفات الجغرافية أثر واضح في دفع الرحلة حول الشرق خاصة بإتجاه قارة آسيا².

¹ريتشارد سودرن، صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة وتقديم رضوان السيد، دار المدار الإسلامي، بيروت، جانفي 2006.

²Virginie Belzgaou., Les Récits de Voyage..., Op.cit., P. 258.

وبدأ من القرن الرابع عشر مع الانحصار التدريجي للإمبراطورية المغولية وُضع حدا لمعاهدة الصلح المنغولي التي سهلت دخول الغرب إلى آسيا فالطريق البرية أصبحت بالكاد مفتوحة جزئياً أُعيد غلقها في حين كانت الطريق البحرية تحت مراقبة المسلمين (عن طريق البحر الأحمر) الذي يؤدي إلى بلاد الحرير والتوابل، لكن بعد تقدم موجة حروب الإسترداد وبعد إستعادة الملوك الإسبان لشبه جزيرة إيبيريا (إذ بعد سنة 1248 تناقص عدد المسلمين في مملكة غرناطة) وبعد إقامة معاهدات تجارية مع ملوك المغرب الإسلامي الضعفاء، تمكن التجار الإيطاليين من عبور مضيق جبل طارق (Les Colonnes d'Héracles كما كان يسمى قديماً) وفتحت محطات بحرية على السواحل الأطلسية للمغرب الأقصى وبالتالي فتح فترة إستغلال السواحل الغربية لإفريقيا، بهدف مزدوج هو البحث عن طريق بحري يؤدي إلى الهند والصين المحيطة بالقوى الإسلامية من كل الجهات، وأيضاً تأمين منفذ لذهب مالي دون المرور بمنفذ بري والذي تسيطر عليه القوافل الإسلامية التي تتحكم في طرق الصحراء التجارية (طرق القوافل)، فالتوسع الديمغرافي والإقتصادي الغربي مع تطور الإقتصاد البنكي زاد من الإحتياجات للمعادن النفيسة من الفضة والذهب على وجه الخصوص¹، والمعروف أن الجنوبيين حاولوا إكتشاف إفريقيا عن طريق الرحلات الإستكشافية الشهيرة " للإخوة فيفالدي " Les Frères Vivaldi لكنهم إختفوا دون تحقيق نتيجة ملموسة، في حين قامت مملكة البرتغال بدور فعال في الكشوفات البحرية منذ سنة 1415، وخاصة بعد جهود الملك البرتغالي "هنري الملاح" Henri Le Navigateur الذي أسس معهد للبحث بالتعاون مع ملاحه وطواقم إيطالية، إذ بعد فتح القسطنطينية سنة 1453 كان على الأوروبيين إيجاد منفذ بحري جديد، وتواصلت الإكتشافات الجغرافية جنوباً في القارة الإفريقية وكان أهم إنجاز هو إكتشاف "رأس الرجاء الصالح" سنة 1487، وفي سنة 1498 وصل المستكشف "فاسكو دي قاما" Vasco de Gama إلى سواحل "كالكوثا" Calicut الهندية، وفي نفس الوقت برزت فكرة الوصول إلى أقصى الشرق عن طريق الغرب، ومع نتائج النهضة بدأ العلماء الغربيون يكتشفون علوم الجغرافيا للقدماء وإحياءها فبرزت من جديد فكرة كروية الأرض وكذلك إنتشرت الترجمة اللاتينية لكتاب "الجغرافيا" Géographie لـ"بطليموس" Ptolémée في القرن الخامس عشر، كما إنتشرت الترجمة الإغريقية له منذ القرن الثاني عشر إذ كان "كريستوف كولومب" Christophe Colomb يمتلك نسخة منه، ورغم أنه لم يعتمد عليه في التعرف على المسافة الفاصلة بين أوروبا وآسيا واعتمد على بحارة قديم من مدينة صور، فأخطأ في حساباته للوصول إلى الهند من جهة الغرب²، وإكتشف السواحل الإفريقية لكن ملك البرتغال "جون الثاني" Jean II أوقف خدمات "كريستوف كولومب"، الذي إلتجأ منذ 1485 إلى ملوك الإسبان الملك "فارديناند" Ferdinand والملكة "إيزابيل" Isabelle لتحقيق هدف رؤية جديدة في إطار ديني للعالم، وانتظر طيلة سبع سنوات ليكتشف أمريكا رغم أنه إنطلق لإكتشاف

¹Virginie Belzgaou., Les Récits de Voyage..., Op.cit., P.P.258, 259.

²Ibid., P. 259.

الهند وكان ذلك يوم 3 أوت 1492، إذ إنطلق بثلاث سفن إستكشافية تحمل العلم الإسباني وعلى متنها 120 بحارا من مدينة بالوس، ووصل في شهر أكتوبر إلى جزر الأنتيل بأمريكا الوسطى معتقدا أنه وصل إلى الهند، وتزامن ذلك مع سقوط غرناطة فأشدد التنافس الإسباني بزعامة "إيزابيلا" و"فاردناند" مع البرتغال التي حققت العديد من الكشوفات الجغرافية، وسميت القارة الجديدة بإسم "أمريكا" نسبة إلى "أميريغو فاسبوتشي" "Amerigo Vespucci" أول من نشر فكرة وجود أراضي جديدة تشكل قارة، وكان المستكشف الفلورنسي من 1501 إلى 1503 في خدمة مملكة البرتغال ووصل حتى "باطاقونيا" "Patagonie" (تقع 50 درجة جنوبا وهي المنطقة الفاصلة بين الأرجنتين والشيلي، وكليهما يحوز على جزء منها)، عند عودته نشر رحلته سنة 1507 بعنوان "العالم الجديد" "Mundus novus" وما بين سنوات 1519 إلى 1521 تمكن "ماجلان فارناند" "Fernand de Magellan" من أخذ إحدائيات العالم الجديد، كما وصل إلى المحيط الهادئ وتأكد من كروية الأرض، وبعد إكتشاف الأمريكيتين تواصلت الإكتشافات إلى جزر المحيط الهادئ وأستراليا وأواسط أفريقيا، ولم تكتشف منابع النيل إلا إلى غاية منتصف القرن التاسع عشر ميلادي، فكان إكشاف العالم الجديد حدث مؤسس في تاريخ أوروبا الحديث حيث مثل العالم الجديد لأوروبا متنفسا إقتصاديا وحاضنة للحضارة الغربية بتأسيس دول جديدة، كما مثلت مُهدما للحضارة الأصلية عن طريق سياسة الإستيطان وعمليات إبادة جماعية للسكان الهنود، مع توسيع تجارة العبيد وتوطينهم في القارة الجديدة للعمل في الحقول إضافة إلى الصراع الإستعماري بين الدول الأوروبية¹، فكان ذلك من نتائج إكتشاف القارة الجديدة وتزايد المد الإستعماري الحديث في العالم.

2. بدايات الإستشراق.

رغم أن الإمبراطورية العثمانية اعتُبرت عدوة الغرب منذ عصر النهضة، إلا أنها لقيت إهتماما متزايدا في "فرنسا التنوير" من قبل الرحالة الفرنسيين الذين قاموا بدور أساسي في بعث الرحلات التي تحولت في القرن التاسع عشر إلى إعجاب حقيقي بالشرق²، وترى الباحثة الفرنسية "إيريني أبوستولو" "Iriné Apostolou" أن "الإستشراق" ليس وليد القرن التاسع عشر وليس نتيجة فكر التنوير الذي أفسد بإقرار الشرعية الإستعمارية، وهو ليس قولبة حضارة المتوسط الجنوبية مع حضارة المتوسط الغربية. كانت بداية الإستشراق في القرن الثامن عشر، عصر الإكتشاف الحقيقي للرحالة وفناني الإمبراطورية العثمانية، وكذلك بُعيد سنة 1704 بعد ترجمة "أونطوان قالون" "Antoine Galland" لقصة ألف ليلة وليلة، وإحياء سحر الشرق من خلال رسومات الرحالة "ماركو بولو" "Marco Polo"، إضافة إلى عنصر آخر مهم هو إكتشاف "اليونان الشرقي"، وهي تجربة عادة محبطة للرحالة المرتبطين المبهورين

¹Virginie Belzgaou., Les Récits de Voyage..., Op.cit., P.P. 259, 260.

²Moussa Sarga., La Relation Orientale..., Op.cit., P.7.

بالتقافة القديمة الذين يواجهون واقعا مختلفا أين يجدون أنفسهم بين الآثار المهدمة عكس الصورة التي كانت في أذهانهم، وتؤكد الباحثة "إيريني أبوستولو" أن السبب الرئيسي للرحلات إلى الشرق من قبل الرحالة الغربيين في نهاية القرن السابع عشر وكذا خلال القرن الثامن عشر هو دراسة الآثار القديمة. ورغم أن كتابات الرحالة عموما مشوقة لكن تبقى الصورة مؤثرة فهي لديها حضور أقوى من الكلمات إذ تصف المجال بحدود النظر، بينما النص قد يكون مبهما وغير واضح ويفتح المجال للإيحاء والقراءات المتناقضة والتأويلات عكس الصورة التي تفرض نفسها، فهي واضحة وثابتة وساكنة ونهائية¹، ولا تتغير وتحمل بين طياتها شهادة لا نجدها في النص المكتوب، وبالتالي كان لزاما تصنيف فئات الرحالة الذين يمثلون العناصر الفاعلة في كتابة النصوص أو رسم اللوحات، ومنهم عدة أصناف كالفنانون الرحالة والرفاق والرسم والخطاط الذي لا يسافر وغيرهم، وهؤلاء الفنانون أو الحرفيون هم بحد ذاتهم وقعوا تحت تأثير ظروف تدخلهم في عملية النشر، وبالمقابل طبيعة الصور أظهرت ممارسات فردية كالكتشفات الأثرية للنقوش الكتابية، كما عكس الرسامين الأكاديميين حماسة المشاهد والمناظر الطبيعية في لوحات، وعموما نظرة الرحالة الفرنسيين لم تكن مطلقا أثرية، وبالنسبة للغرب تمثل الشرق الحقيقي في مدينتين إثنين مثلثا قطبي عالم الشرق هما القسطنطينية واليونان، وتميزت نتيجة الرحلة للشرق بالثراء في الإنتاج الأدبي والفني، إذ نجد كتابات الرحلة والنقوش والرسومات إذ ظهر ما يعرف بكتب الرسامين²، وحسب الباحثة "إيفليس بارنارد" أن رحلة القرن السادس عشر كان لديهم الوقت الكافي لرصد صورة المنظر الطبيعي أو لرصد صورة المعالم والأشخاص، كما عملوا على مصاحبة السكان المحليين خلال الرحلة للتعرف عليهم وإستيعاب ذهنياتهم والتعرف على حياتهم الإجتماعية، وحاولوا تقديم رؤية شاملة للعالم والكون³، ومن هنا كان التركيز على الشرق من عدة خلفيات تاريخية وأثرية وجمالية جعلتها الرحلة موضوع دراسة ورصد، برزت من خلال كتب الرحلة والدراسات العلمية الأثرية والتاريخية والإجتماعية واللوحات الفنية والصور الفوتوغرافية فيما بعد.

3. الوصول للشرق: صدمة اللقاء الأول.

يصف الباحث "كواشيرو هاتا" Koichiro Hata اللقاء الأول بين الرحالة الغربي والشرق بالصدمة وعادة ما يتساءل المسافرون أثناء طريق رحلتهم سؤال مشترك وثابت : "متى نصل فعلا للشرق"، هذا هو حال الفضول لأولئك الرحالة الذين غادروا بحرا لعدة أيام أوروبا باتجاه الشرق على متن السفن البخارية، فعند رؤية قافلة من الجمال، منارة مسجد شاهقة في السماء، رجال بالعمامات، أو

¹Irini Apostolou., L'orientalisme des voyageurs français au XVIII^e siècle..., Op.cit., P. P.11, 292.

²Ibid., P.P.12, 13.

³Yvelise Bernard., L'orient du XVI^e siècle à travers les récits des voyageurs français..., Op.cit., P.8 .

نساء متحجبات، يبدأ خيالهم في التحمس لرؤية هذا العالم الذي طالما إنتظروه، وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر إزدادت معلومات الرحالة ثراء حول بلدان المشرق منذ رحلات "شاطوبريون" فإزداد عدد الرحالة وأيضاً كتابات الرحلة، ووفدت أعداد كبيرة من الفضوليين للشرق الذي كان وجهة خاصة لبعض الفئات المحددة كالعلماء ورجال السياسة والدبلوماسيين والأطباء وغيرهم، وعند عودة أولئك الهواة لبلدانهم يقدمون ملخصات عن رحلاتهم مدعين تقديم نصائح للراغبين في زيارة الشرق.

4. الإجراءات الأولية بعد الوصول.

في العادة عند وصول الرحالة الغربيين يجدون أنفسهم في وضع غير مريح حسب "كواشيرو هاتا" دون مساعدة ودون مكان للإقامة مع تعرضهم للمضايقات إذ كان يُطلق عليهم "كلاب مسيحيين" لذلك كان من الضروري عليهم عند وصولهم الشرق أولاً إيجاد مكان للإقامة للإحتماء من التحرشات، فمثلا الرحالة الفرنسيين كانوا ينزلون في نزل خاص بهم في شارع فرنسي ونفس الشيء لغيرهم من بقية الجنسيات الغربية، وبذلك إنتشرت ظاهرة تقديم الخدمات للأجانب من قبل السكان الشرقيين، فعادة ما يفاجئ الشرقي الرحالة الغربيين بعرض خدماتهم عليهم عند وصولهم ويسحبونهم مباشرة عقب نزولهم من البواخر دون إستشارتهم أو طلب منهم أو موافقتهم، ونقلهم مباشرة إلى فنادق خاصة بالأوروبيين¹ وتواصلت ديمومة هذه الصور التي لاحظناها من خلال دراستنا وظلت حتى القرن التاسع عشر فبعد إحتلال الجزائر ومع إزدياد حركة الرحلات كان السكان المحليون يعرضون هذه الخدمات على الرحالة كالمراقبة في الخرجات والرحلات وتقديم مختلف الخدمات التي قد نصنفها في ظل الخدمات السياحية. وبعد الإستقرار يقوم الرحالة عادة بزيارة لفنصل بلده الذي يقطن في الحي الفرنسي عموماً، والقناصل يعتبرون حماة الرحالة ويحددون لهم موعد زيارة للبasha، وكان تواجد الأوروبيين في المدينة أمر عادي ومألوف عكس المقاطعات النائية، وسكان المدن متعودين على التواجد الأوروبي أكثر من القرويين². من جهة أخرى لا يجد الرحالة الغربي حرية التنقل في الإمبراطورية العثمانية، ففي المقاطعات تحدد السلطات مسار الرحلة وذلك لضمان سلامة وأمن الرحالة وتقوم السلطات العثمانية بتقييد تحركاتهم ومراقبتهم، وبسبب عدم معرفتهم باللغة المحلية فالرحالة ملزم بإصطحاب مترجم رسمي لتسيير سفره³. ورغم هذه الظروف أعجب الرحالة كثيراً بعظمة البروتوكول العثماني الجليل، فحتى عموماً الحكام الغربيين أيضاً كانوا ينظرون للسلطان العثماني على أنه سلطان نموذجي، وساعد التواصل بين الفئتين على التعامل في ما بينهما، فمثلا كان الشرقيون يستخدمون كعارضين للرسمين أي يقفون أمام الرسام

¹Koichiro HATA., Voyageurs romantiques en Orient, étude sur la perception de l'Autre, Paris, éditions l'harmattan, 2008, P.P.17, 23, 24.

²Ibid., P.P. 31, 37,46 .

³Yvelise Bernard., L'orient du XVI^e siècle à travers les récits des voyageurs français..., Op.cit., P.7 .

وهو يقوموا برسمهم بمقابل مادي¹، وللإشارة فهذا العرض الفني عرفته فئات معينة في الجزائر بعد الإحتلال الفرنسي كتموضع بعض النساء الحضريات كالمرأة المعروفة بإسم "فاطمة" التي إشتهرت في تلك الفترة في هذا المجال وزارها الكثير من الشخصيات الأدبية الفرنسية وكتبوا عنها في أدبياتهم. وعموما الملاحظ أن الرحالة الغربيين رصدوا الموصفات الخارجية وأجسام المشرقيين بصفة عامة دون التعرف على الخصوصيات الفردية أي إعطاء صورة خارجية وظاهرية²، أي أن الشرق الذي يقدمه لنا الرحالة لا ينطبق مع الحقيقة الموضوعية، حيث شوه الرحالة الثقافة والمجتمع الشرقي، وكان كل رحلة يُطلق أحكاما شخصية على الشرق، وبمعنى آخر شوه كل رحلة الإرث الثقافي حسب الوسط الذي ترعرع فيه، ونادرا ما نجد الرحالة يحاول فهم المجتمع المسلم من الداخل مجردا من الخلفيات وكثيرا منهم يسقطون تفكيرهم في الحديث عن المجتمع المسلم، ولا نجد من يحلل بموضوعية وواقعية³.

ثانيا: الجزائر الشرق الحقيقي بالنسبة للفنانين والعلماء الفرنسيين.

في هذا العنصر نعرض إزدواجية الرؤية للفنانين الفرنسيين بين الريشة والقلم، وندرس فس نماذج محددة جهد العلماء من خلال البعثات العلمية الإستكشافية في البلاد والتي لاقت إهتماما ورواجا كبيرا.

أ. صور الجزائر بين اللوحات الفنية والكتابات الروائية.

في هذه الجزئية نعرض مواضيع بعض اللوحات الفنية إضافة إلى بعض الروايات التي جُستت كتمثيلات مسرحية، وإقتصرنا على رائعة "قاي دي موباسون" رواية "في الشمس".

1. فرومونتان والجزائر بين الصورة والنص الرحلي.

ظل "أوجان فرومونتان" معروفا في تاريخ الفن بإسم "رسام الجزائر" ومن الأوائل الذين إكتشفوها وبالنسبة له ليس جزائر الجنوب التائهة في أتون الشمس والرمال لكن الجزائر المتاحة للجميع، جزائر العرب، المدن الساكنة بين الآثار وبساتين النخيل المنسية مثل سلال الحفلة على مشارف الصحراء الجزائر بكل صورها، جزائر ألعاب الفروسية الإحتفالية المميزة، المساجد، معارك الحرب المشتعلة القبائل المرحلة، وصور العرب خارج خيامهم في المحيط الخارجي وداخلها بعاداتهم مع عائلاتهم. فبمجرد ما وطئت قدماه أرض إفريقيا أعجب بها "فرومونتان" وأخذ للأبد بجمالها، وأخرج شغفه في

¹Irini Apostolou., L'orientalisme des voyageurs français au XVIII^e siècle..., Op.cit., P. 260.

²Ibid., P. P.260, 285.

³Yvelise Bernard., L'orient du XVI^e siècle à travers les récits des voyageurs français ..., Op.cit., P.24.

صفحات فصيحة لأنه كاتب جيد ورسام جيد أيضا، كما تُبرزه روايته المشهورة "دومينيك" التي تميزت عن كل ما كتبه معاصريه وكل من قرأها إستمتع بها¹، وحسب "آلبر وولف" تفرد "أوجان فرومونتان" في تقديم "الشرق الحقيقي" أي على صورته الطبيعية وبألوانه الحقيقية، فهو لم يقرأ على إفريقيا من خلال ما كتبه سابقه بل رآها وحكم عليها بفكره كشاعر عاطفي وملاحظ وفي، وتضاعفت موهبته في الرسم بصفة كبيرة مع الأدب، ففي مؤلفاته لا يرسم إفريقيا فقط بل يروي فروسيتها وليس في لوحة ممتعة فقط بل برقة لا تُضاهى في الألوان ويرفقها بمتن وصفي كما يصفها الأديب المهني المتمرس من حيث التدقيق بفنه الخاص، مثل لوحة في هضبة واسعة وأمام الأمير ومرافقيه العرب بأحصنتهم المسرعة محدثين ضجة ويستعرضون ببنادقهم الطويلة لا يوجد أصعب من رسم لوحة معقدة بهذا الشكل أين يتداخل مئات الخيالة في حركات سريعة وفي هذه الأثناء يلاحظ المتفرج ("فرومونتان") ويرصد دقائق الحركات والمشهد رغم هذا الطوفان البشري العابر، البرانيس ترفرف في الهواء، الرجال واقفين أو متكئين في هدوء تام فلا وجود للقلق، شفافية سماء المشرق تنعكس على كل العمل الفني وتعكس عليها نعومة وتناسق وتصبها في إحدى حيثياتها الدقيقة المتعددة، فهذا الشرق لم يبرز في أي لوحة أخرى رسمت عنه قبل "فرومونتان"، فبفضله إنبعثت هذه الجاذبية من اللوحة وأعطت لـ"فرومونتان" المكانة المتميزة التي يحتلها في تاريخ عصره²، ومن خلال أهم أعماله الفنية عن الجزائر تتضح علاقته بها وهذا ما يؤكد الرسام والناقد المختص "ماكسيم دي كومب" "Du Camp, Maxime" إذ يرى أن نفس البلد ونفس الأشخاص بمظاهر متعددة ألهموا "أوجان فرومونتان" في العديد من لوحاته فهو حسب تعبيره "لا يخرج من الجزائر"، فكل لوحاته وجهها لصور لمؤلفيه "صيف في الصحراء" و"سنة في الساحل"، والثابت أنه في كل معرض يُظهر "أوجان فرومونتان" تميزه وموهبته في الرسم³. وما يمكن إستخلاصه حول رسام الجزائر ورسوماته يتعمق "آلبر وولف" في وصف "فرومونتان" من خلال لوحاته إذ يحاول إعادة بناء لحظات رسم "فرومونتان" للوحاته، بقوله أن يده ترسم وذنه شارد مثل الشاعر في الفضاء، فهو عندما يرسم العربي وقت راحته وأحصنته حرة تتجول في المكان قرب الخيام كان متأثر بعظمة هذه الصورة في صمت الصحراء وتحت السماء الساطع أو المتألي بالنجوم إذ يرصده مع ساكنيه بطيبتهم ونقاءهم، ويقدم الشرق في كل مركباته من العرب والطبيعة والمشاهد والحيوانات، وأحيانا الريشة والألوان لا تكفيه لتقديم هذه الصورة فيبدأ في كتابة مؤلفاته التي من خلالها أيضا يعبر عن الشرق بكل جمالية والحقيقة أنه برع في الرسم وفي الكتابة على حد سواء⁴، وفي نفس

¹Boucher. David, Raphaël. Giorgione, Le musée du Louvre..., Op.cit., P. P.247, 249.

²Albert Wolff., La capitale de l'art..., Op.cit., P.P.131-133.

³Du Camp, Maxime., Les beaux-arts à l'exposition universelle et aux salons de 1863..., Op.cit., P. 20.

⁴Albert Wolff., La capitale de l'art..., Op.cit., P.P.135-136.

السياق لاحظ "جيل كلارتيك" Jules Claretie "بصفة صادقة أن "ماريلهات" Marilhat" نقل من الشرق مناظر ببصمات الحزن العميق، "ديكومب" Decamps" نقل مشاهد براقعة، أما "دولاكروا" Delacroix" فنقل عروض ضخمة، وبدوره "فرومونتان" وجد على هذه الأرض المشرقة مكنون شخصي عجز عن إيجاده سابقه وهذا لتفرده بشيء في ذاته أفضى مسحة فنية خاصة وتدرج بهدوء وبإيقاع مميز في رصد الشرق المفضل كتابة ورسماء، ففي هذه الأرض الرائعة، كل شيء مزين بالنباله بعصور من التاريخ، وظل "فرومونتان" باريسي من أصل عريق، نظر برقي وإحترام للعرب "عربه" Ses Arabes [كما يعبر الناقدان David Boucher و Raphaël Giorgione] جسد فيهم الرقي حتى أخمص حواف برانيسهم، فهو لا يحب أن يرى القبيح ويحوّله إلى خيوط من ذهب في مخيلته التي يعكسها في لوحاته التي لا تظهر فيها قساوة الصحراء ولا إتساعها المضجر، والصحراء لا تفقد شيئاً من عظمتها بالنسبة له لأن ذكائه لا تحده الكثبان الرملية ويتجاوز بجهوده الأفق الذي لم يعد فارغاً ليصبح مثل أفق البحر والذي لا يستوعب يكون عاجزاً عن التفاعل فعيون "فرومونتان" تحتفظ بصور الأشياء بعمق إلى درجة غوص روحه في الأرواح وملاحظاته المتأنية لا تهمل شيئاً من الحياة، ودقة أعماله مماثلة للوثائق التاريخية ومؤكدة من قبل كل الرحالة¹، إذ كان ينقل ويجسد ويوثق ملاحظاته بقلمه وريشته. وكان إعجاب زوار المعارض التي عرض فيها "فرومونتان" لوحاته ظاهراً من المختصين والعامة، إذ تنقل لنا الزائرة "ماتيلد ستيفانس" Mathilde Stevens "إنطباعاتها وإنطباعات الزوار، وعبر الزوار عن إهتمامهم بأعمال "فرومونتان" المتميزة فهو إتخذ من الجزائر موضوعاً للوحاته وبرع في نقل المناظر ووصف الطبيعة واللباس والعادات والتقاليد الخاصة بالسكان الجزائريين، ورسمهم بطريقة مميزة وألوان جذابة أبرزت أولئك العرب الشرقيين، وحتى الجنود والعبيد والطبيعة فكل هذه العناصر قدمها "فرومونتان" بلوحات فنية مبهرة، من خلالها تقول الكاتبة "ماتيلد ستيفانس" "فهمت وتذوقت أفريقيا"²، إذ قضى هذا الرسام المتميز معظم حياته وحيدا في إفريقيا صامتا متأملاً يرصد تحولات رجل الشرق فأخذ عنهم وأصبح قليل الكلام مثلهم، وتطبع بالصمت مثل القبائل التي تعيش معزولة في المناطق الشاسعة فهم على يقين بأن الصخب لا يستطيع ملأ الفراغ، كما جُنح للتأمل الذي يزيده تركيزاً مع الصمت لذلك يرى أن للسكان العرب الإحساس الباطني والهدوء والسكينة عكس الفرنسيين فمن خلال رحلاته الطويلة في الشرق قضى "فرومونتان" سنوات في تأمل ما يحيط به ونقل صمت الشرقيين³ وبالتالي إنعكس الشرق على شخصه وطباعه فكلماته كانت بطيئة ومتأنية وحركاته دقيقة وصوته هادئ، يغلق على نفسه في المعمل وكان غارقاً في حلمه الأفريقي بعيداً عن صخب الحياة الباريسية وتوجد أعمال

¹Boucher. David, Raphaël. Giorgione, Le musée du Louvre..., Op.cit., P. 248.

²Mathilde Stevens., Impressions d'une femme au salon de 1859, Paris, Librairie Nouvelle, 1859, P.111.

³Albert Wolff., La capitale de l'art..., Op.cit., P. 138.

كثيرة في محله تؤكد صدق جهوده وإنطباعاته، ولقد لاحظ العربي في بيئته مع صديقه الوفي "الحصان"، فلا شيء يُسعد الفارس العربي بحركاته الراقية والنبيلة إلا حصانه، فرصده في السباق والراحة، والأحصنة العربية التي رسمها وقدمها كانت أصيلة بأحزمتها الرقيقة وأشكالها الحيوية وجلدها البراق الحريري وطريقة إستقامتها ووقوفها بفخر برفع رؤوسها الصغيرة على عنقها العريضة والقوية وحاول تجسيد المشهد بواقعية¹، وأبرز البيئة والسكان المحليين من خلال هذه الأعمال، ومنها نماذج: -في لوحة "الطريدة" "la Curée"، يصور "فرومونتان" ذكريات الصيد بالجزائر الحماسية في الطبيعة. -في لوحة "الصيد العربي" "Le Fauconnier Arabe" عكس فيها "فرومونتان" شخصيته الفنية من خلال أسلوب رسمه المميز، عبر عن المشهد بواقعية من اللباس والمظهر والمشهد الكامل للصيد. - لوحة "المعسكر مع بزوغ الفجر" "Le Bivouac au lever du jour" وهي تعتبر اللوحة الرئيسية "لأوجان فرومونتان"، إذ يصور فيها الفجر بازغ والأفق بأشعته الشاحبة والنجوم مبتعدة في السماء والعرب نيام ملفوفين في برانيسهم قرب الخيام ذات قماش قاتم اللون وتظهر امرأة تلبس وشاحاً أزرق وهي تضمد الأحصنة، فرسام الجزائر يصور العديد من الإنطباعات والمشاهد التي ترصد الصباح المنعش بنسائمه واللون الأبيض للشيخ الذي يستيقظ للصلاة، فكل من سافر إلى الشرق يتوقف عند هذه اللوحة، فالدقة والواقعية منحت أصالة وجدية لهذه اللوحة التي جمعت الدقة المتناهية والشاعرية². -في لوحة "صيد الصقور في الجزائر" "Chasse au Faucon en Algérie"، يتحدث "أوجان فرومونتان" واصفاً المشهد بقوله: "في سباقهم الحماسي قادنا الصيادون إلى مكان مُلهم يثير الإعجاب في هضبة جزائرية، أين ينتشر بساطاً أخضر بأعشاب قصيرة تواجه قمم الصخور التي أحرقها الشمس وكسر صمت ووحدة المشهد حركة وصخب ملأ المكان، نجد مجموعة مبرقشة ومختلطة الألوان، لباس الفرسان طواقم الأحصنة، الأسلحة المزينة تتلألأ وتتداخل نغماتها وأصواتها الواضحة والعنيفة، إنها نهاية الصيد حيث يدلهم ويُسيرهم طريقة طيران الصقور، فجأة وبسرعة البرق إمتطى العرب أحصنتهم وحاصروا الأرنب البري الذي آوى للأرض في حين المفترسون [الصقور] مقيدون بصعوبة من قبل الخدم يرتمون على الطريدة، أما شيخ العرب مع حاشيته والصقر في يده متكئين على الصخر ومتأهبين على سروجهم المزينة بالفضة يشاهدون المنظر، وفي المشهد الآخر الأحصنة باللجام متأهبة للسباق فالرجال والحيوانات شكلوا مجموعة متألقة ومتحمسة ترفرف تحت سماء إفريقيا كل هذا المنظر المتنوع والثري في مجموعة واضحة بألوان براقية تمنح الإنطباع بشرق لامع وأصيل يثير الإعجاب³ وفي تحليله لهذه اللوحة يقول "ألبر وولف" أنه أول ما رآها في معرض 1863، شعر أن الرسام نقل

¹Albert Wolff., La capitale de l'art..., Op.cit., P. 139.

²Du Camp, Maxime., Les beaux-arts à l'exposition universelle et aux salons de 1863..., Op.cit., P.P, 20,21.

³Albert Wolff., La capitale de l'art..., Op.cit., P. 133.

الشرق الحقيقي فيها في منظر طبيعي شاسع، يظهر من خلاله فارس يمتطي حصانه حاملا صقره المتأهب للطيران، وفي هذا المشهد البسيط وضع "أوجان فرومونتان" كل العظمة والشاعرية في المنظر الإفريقي ومنظر العربي، وأضفى على شرقه الخاص صبغة باريسية وخص العرب بمعاملة خاصة وفكره حساس وراق، فكل ما ترغب العين في رؤيته تجده في لوحاته وفي روحه الشاعرية، فهو لديه عين رسام وروح فنان فكل ما يلمسه يرجعه رائعا، ويعكس شخصيته في لوحاته، وهو متميز ونادر إذ يعيش الشرق ويرسمه بريشته، وهذا ما نقله عن العرب وعن التخيم في الصحراء بكل موضوعية فنية.

-في لوحة "المخيم" "Le Campement" نتصور أننا نستمع إلى أغاني العرب الحزينة عبر سهيل الخيول الطليقة، فأفريقيا لا تبعث الحماسة في الرسام بالمقارنة بفنه بل تلهمه في الشعر الذي ينشره على اللوحة، من هنا نلمس جاذبية أعمال هذا الفنان الرسام الشاعر، إذ يلاحظ الحركات ويلونها بإحساسه ويضيف عليها صور جميلة لصفحات مأخوذة من واقع الأشياء في أرض الجزائر بلد فنه¹.

-في لوحة "صيد طائر عذب الصوت" "Le héron" (1860)، وهو طائر عذب الصوت إستلهمها "فرومونتان" من الطبيعة، إذ حاول نقل البيئة بالبلاد بكل عناصرها وحيثياتها، كما أبرز من خلالها إعجابه بالحيوية الكبيرة للصيادين العرب، وقدم هذه اللوحة بدقة متناهية، وتميز وبنوعية رسم جيدة.

-في لوحة "الجملة" يقدم "فرومونتان" ذكاء فني كبير، إذ تحمل هذه اللوحة الكثير من اللمسات العميقة والتي كلما لاحظناها أكثر ودرسناها أعمق نستخرج قراءات جديدة من خلالها، كما يصفها الكاتب بشغف فيقول: "وهنا حلوى الملك الحقيقية التي نتذوقها"، إذ يقدم درجات متفاوتة في ألوان اللباس وتنوع في اللوحات تبهر العين بانتعاشها، وينقل المنظر الطبيعي المذهل من مياه جارية وبساط أخضر.

-في لوحة "سارقي الليل" "Voleurs de nuit" (1861) يقدم صورة أخرى لموضوع مغاير، وهذا المشهد الذي لم يرق كثيرا للناقد "فيليكس جاير" فيما يخص درجة الألوان وخشونة اللصوص العرب البارزة².

أما في ما يخص النص الرحلي، ألف "فرومونتان" مؤلفين مميزين عن الجزائر ومعروفين، هما "صيف في الصحراء" "Un été Dans Le Sahara" و"سنة في الساحل" "Une Année Dans Le Sahel" حول إنطباعات رحلاته، وهما أشهر الرحلات في القرن التاسع عشر عن المستوطنة في إطار كتابات الرحلة، وهما لوحات بريشة مذهلة أعجب بها الكاتب والفنان "تيوفيل قوتيي" "Théophile Gautier"³.

-رحلة "صيف في الصحراء" ما بين 22 فيفري و1 مارس 1857 أعيد طبعها سنة 1877⁴، تقدم الرحلة "صيف في الصحراء" من خلال أجزاء من يوميات رحلة، ونشرت أولا في "مجلة باريس" في

¹Albert Wolff, La capitale de l'art..., Op.cit., P.P. 134-135, 140-141.

²Félix Jahyer., Étude sur les beaux-arts..., Op.cit., P.P.125-126.

³Faguet, Émile., Histoire de la littérature française..., Op.cit., P. 421.

⁴De Spoelberch de Iovenjoul : Histoire des œuvres de Théophile Gautier, T2, /, 1881, P.23.

أعداد خاصة بالفنان من 26 جويلية، 2 أوت و 9 أوت 1857، ثم طبعت الرحلة في كتاب كبير الحجم، بمطبعة "ميشال ليفي" "Michel Lévy" في جانفي 1857 بباريس، وكان للرحلات صدى وأهمية كبيرة حينها، إذ يقول الباحث والناقد الأدبي الفرنسي "Alfred Feuillet" أن الرحلة لم تكن أمرا هينا وليس أيا كان يمكنه السفر إلى البلاد البعيدة، لكن الجميع يريد أن يتعرف على هذه البلاد المدهشة بلاد الشمس والسماء الأزرق التي ينقل لنا عنها الرسامين والكتاب الرحالة أجمل الأوصاف وبالتالي فكل الذين لم يستطيعوا السفر وتعودوا الجلوس على الأرائك في الدفء بمنزلهم وقراءة الرحلات بفضول، ركز الرحالة على تعبير "كنت هنا عشت هذا الموقف"، وهذا إحياء من الكاتب على حقيقة أدب الرحلة الذي ينقلك للبلد الذي زاره وينقل لك صوره في محاولة لجعل القارئ يعيش التجربة. ويرصد الكاتب في رحلته "صيف في الصحراء" صور طبيعية عن المناخ والبيئة الصحراوية، الصحراء بلا حدود والبلاد الشاسعة "بلاد العطش"، وكان يخيم في ضواحي الأغواط في خيام حمراء مخططة بالأسود ومركزة على الأعمدة ومشدودة بالحبال الغليظة في منظر مثير يسافر عبره "فرومونتان"، إذ أصبح دليلا في الهضاب الكبرى لأفريقيا في بلد السماء الأزرق الذي تعلق به وإرتبط به بقوة، وبذلك كان ينقل دقائق الحيات للقاء ويرصد كل ما في البلاد، وكان معجبا بالصحراء وجوها الحار وطبيعتها الجرداء، إذ يقول: تخلصنا ليس من الغطاء النباتي للشمال فقط بل حتى من كل النباتات التي تختفي في قمم الجبال الصخرية...، وتتميز الصحراء بالمظاهر الجرداء وجئت إلى الصحراء أملا أن لا أجد أي شيء فيها من الشمال وفي المنطقة التي أزورها¹، ونقل صور لعدة مناطق معلمية بالصحراء كجسر القنطرة مع حدود هضبة "آجاد" وفي "بوغاري" "Boghari" [قصر البخاري حاليا بولاية المدية]، الذي إستلهم منه أفضل وأروع المواضيع ورسم على الطريقة الروماناسكية "Rembranesque" [نسبة للرسام Rembrandt] لوحة بعنوان "حفلة ليلية رائعة"، إذ توقف في إحدى الليالي في بيت الضيافة للخليفة "سي الشريف"، وهو في نفس الوقت مبنى للقوافل وحصن، فخيم وسط منظر طبيعي تنتشر به نباتات صحراوية مع حرارة الشمس والكثبان الرملية التي تغطي المكان وبعض الحيوانات كانت تأخذ قيلولة فوق الرمال، كما وصف أشجار البطم أو الفستق الحلبي البري ويصف وصوله إلى الأغواط ويقول كانت مغروسة في الرمل وكانت مدينة داخلية ذات طابع صحراوي، وينقل المدينة من الداخل أي البيوت العربية والنسوة خاصة منظرهن في نبع الماء كما نقل الكاتب صور مميزة عن الرجال، وكانت أجسامهم ضخمة ولون وجوههم حنطية من الشمس يلبسون برانس رصدهم

¹ Alfred Feuillet., Flânerie littéraire à travers quelques œuvres récentes, Paris, E. Dentu Libraire-éditeur, 1859, P.P.75, 76.

في طريق رحلته بين تاجموت وعين ماضي، وصادف قبيلة "عربة" في رحلتها حاملة معها متاعها وأسلحتها وكل مقتنياتها، وكان عرضا طويلا ومميزا رصده الكاتب الفنان¹.

2. "هوراص فارني" "Horace Vernet" رسام "الزمالة" الأرض الموعودة لموهبته.

منذ 1833 أبدى "هوراص فارني" رغبته في زيارة الجزائر التي إحتلت حديثا، والتي يعتبرها الأرض الموعودة لموهبته، فسمح له الملك بالسفر إلى الجزائر التي يزورها أول مرة في حياته، وكان ذلك في شهر مارس حيث نزل في ساحل "بونة" على متن السفينة الشراعية الحربية "لاكومات" التي وضعت تحت تصرفه من قبل "الكونت دي ريني" "Le Comte de Rigny" وزير البحرية، وحضر إحتلال "قصة بونة"، وخلقت بينه وبين "الجنرال يوسف" "Le Commandant Yusuf" صداقة ورآه بطلا وسط المعركة وصوره "اليدين عاريتين حتى الكتف ومغطاة بالذهب والفضة والأسلحة البراقة"، بعدها رافق "هوراص" "الدوق دي روفيقو" "Le Duc De Rovigo" وحارب معه قرب مدينة الجزائر، ثم زار هذه المدينة وعاد مذهولا إلى روما حاملا في أعماق روحه حرقه الحنين لإفريقيا التي ستأخذه كليا قريبا. إنطباعه عن أول لقاء مع العرب، يصور مشهد تواجهه بينهم بطريقة ساحرة، إذ ينقل المشهد في رسالة إلى "الجنرال آناهين" "Le Général Atthalin" قائلا: "... رأيت أشباح ضخام باللون الأبيض مروا أمامي كالظلال، في هدوء وصمت لا نسمع حتى ضجيج الأحصنة التي مرت فوق العشب...، في اليوم الموالي أدركت أنني كنت بين ثلاثمائة عربي ومائة تركي مسلحين ببنادق طويلة ومسدسات وغيرها..."، ويصف الرسام مكان المخيم الذي يقابله جبال الأطلس من جهة والوادي من الجهة المقابلة والهضبة أمامه أين تتجول العيون (يقصد الجواسيس)، ورافق المشهد رحيل قبيلة عربية تمر مرتحلة من المكان تحمل أمتعتها وممتلكاتها في منظر مثير للإعجاب، ووصف حالته بقوله: "...إنفجر رأسي... إن رأسي ليس في مكانه..."، وهذا التعبير دليل على حجم الذهول والحماسة الذي طبع شعور الرسام عند رؤيته للعرب رغم أن العديد من الفنانين عبروا عن إنطباعهم لزيارة إفريقيا كـ "دولاكروا" "فرومونتان" و"قيومي" "Guillaumet" إلا أن وصفه كان أقوى، وجسد إنطباعاته حول أرض إفريقيا في لوحاته حول قسنطينة، إيزلي والزمالة وغيرها من المناطق والمعارك الحربية التي حضرها². في الفترة الممتدة بين 1833-1835 عند عودته إلى باريس، بدأ "هوراص" العمل حول الدراسات والرسومات التي دونها ووثقها حول مستوطنة الجزائر أثناء زيارته، ورسم لوحات أبدع فيها، منها: لوحة "عرب يتحدثون تحت شجرة تين" "Arabes conversant sous un figuier" وقد إشتراها "الورد بامبروك" "Lord Pembroke" بـ 8000 فرنك، وفيها تفصيل لمشهد مذهل يومي للعرب في حياتهم.

¹ Alfred Feuillet., Flânerie littéraire à travers quelques œuvres récentes..., Op.cit., P.P. 77, 78, 80, 81

² Armand Dayot., Les Vernet : Joseph, Carle, Horace..., Op.cit., P. 138.

لوحة "إحتلال قصبة عنابة" "La Prise de la Kasbah de Bône"، وثقت هذه اللوحة سقوط عنابة. لوحة "صيد الخنزير البري في الجزائر" "Une Chasse au Sanglier En Algérie"، ترصد عمليات الصيد. وعاد "هوراص" إلى باريس في صيف 1836، وحضر الأيام الأخيرة في حياة والده الذي توفي يوم 17 نوفمبر 1836، وكان لفقدان والده تأثير كبير عليه ولكي يتخطى الحزن سافر إلى الجزائر، ووصل عقب إحتلال قسنطينة، ونزل يوم 12 نوفمبر 1837 في شواطئ "بونة" على متن سفينة "ديادام" "Diadème"، وعند نزوله كانت رائحة دخان البارود تعم المكان الذي كان صاخبا بأصوات المعارك فكان لهذه الأجواء تأثير على إنطباعاته التي حولها إلى أشهر اللوحات الفنية عن الجزائر التي تزخر بها "قاعة قسنطينة في متحف فارسي" "La Salle de Constantine au Musée de Versailles"¹. ومن أشهر الأعمال التي قدمها عن الجزائر مجموعة خاصة عن قسنطينة، بطلب من الملك "لويس فيليب" "Louis-Philippe"، إذ قضى "هوراص" مدة لا تقل عن خمس سنوات في رسم مجموعته الفنية حول قسنطينة ما بين 1838-1842، والتي رصد من خلالها المراحل الثلاثة لحصار مدينة قسنطينة. وأهم ما أنتج عن الجزائر: لوحة لمشهد حربي مميز تحمل عنوان "إبعاد القبائل من أعالي كدية عايطي" "Les Kabyles Repoussées des hauteurs de Condiat-ati"، ولوحة بعنوان "أعمدة الهجوم تتحرك" "des Colonnes d'Assaut se mettant en mouvement"، ولوحة أخرى مشهورة عن "إحتلال قسنطينة"² "La prise de Constantine".

3. "قاي دي موباسون" "Guy De Maupassant" وصورة الجزائر بلاد الشمس والمتعة.

مثلت الجزائر للكاتب الأديب "قاي دي موباسون" بلاد الشمس والرغبات، وذلك من خلال روايته "في الشمس" "Au Soleil"، وهي بعض المقالات نقحت وجمعت ونشرت سنة 1884 بالتحديد ما بين نوفمبر 1883 وجانفي 1884 في المجلة "السياسية الأدبية" وتدرج في أدب الرحلة، في حين جمعت ذكريات الرحلة في ما يعرف بـ "أخبار" بعنوان "Marroca" و "Mohammed-Allouma"، وجمعت أخباره المنشورة في جريدة "Le Gaulois" سنة 1881 ونُقلت لتركب في قصة رحلة مترابطة³، ويرى المختصون أن منشور "الأخبار" هي نوع من الخيال لكن نظرا لمظهرها الواقعي أخذت طابع "أدب الرحلة"، ويبرز المظهر الواقعي للأخبار من خلال المسار الواضح لكل "قصة"، فمثلا "Allouma" هي جزء وسلسلة من الرحلة يورد فيها "موباسون" أسماء حقيقية للأماكن والأشخاص وهذا ما يضفي صفة الواقعية على القصة، فهو تنقل بين الجزائر وبجاية وذكر لمدينة بجاية في هذه القصة، أما أسماء

¹Armand Dayot., Les Vernet : Joseph, Carle, Horace..., Op.cit., P.P. 139, 140,143-145.

²Ibid., P. 146.

³Philippe Antoine., Marie-Christine Gomez-Géraud., Roman et Récit de Voyage..., Op.cit., P.156.

الشخصيات فربطها "موباسون" بغرابة الصفات والعنف الذي أسقطه الأوروبيون عموماً على الأهالي كـ "Mohammed- fripouille" إذ ربط هذه الشخصية بعدم النزاهة والإحتيال، وإسم "ماروكة" كذلك ربطه بعنف المرأة الشابة¹، وهذه صور سلبية جداً عن الآخر. وفي تقديمه لهذه الرواية وصفها الكاتبين "فيليب أنطوان" و "ماري-كريستين قوماز-جيرو" في مؤلفهم "الرواية وكتابة الرحلة" أنها ترصد مسار رحلة "موباسون" والمدن التي زارها ومثلت الرحلة الحقيقية وهي التي مثلت حبكة ورباط ومسار الرحلة ووثق في الفصول عناوين الأماكن فهو يجمع معالم الرحلة التي ترتسم لدى الجميع، بمسار عبر البحر والبر في رمزية للمجال الجغرافي وإضفاء الواقعية للرواية. في الفصل الأول يضع "موباسون" التاريخ الفعلي لرحلته إلى الجزائر، لكن فيما يخص مؤشرات الرحلة كان متردداً حول زمن السرد ما بين الحاضر الذي يركز على الخيال المباشر وبين الماضي الذي يستدعي إعادة بناء الأحداث، وعنون الفصل بإسم شخصية تاريخية حقيقية "بوعمامة" "Bou-amama" لكن سيرورة الرواية كانت متقطعة أحيانا بالزمن المستقبل، كقوله: "هذا السد الذي سينهار السنة المقبلة يغرق المئات ويهدم بلداً كاملاً وفي دليل الرحلة يقدم توضيحات عن مسارات الرحلة، فيصف لنا طريق الرحلة من الجزائر إلى وهران الذي يستغرق يوماً كاملاً بالقطار مروراً بسهولة المتيجة الخصبة المتميزة بظلالها والمأهولة بالسكان وينصح بزيارة "القصة" خلال أمسيات شهر رمضان، وقدم شرحاً لمعني تسميتها الحصن لكن أخذت مفهوم المدينة العربية في ما بعد، ومن خلال روايته يتحدث عن "إستبداد الشمس" ضد الأرض، ومن عنوانه تمثل الشمس "محرقاً" ويعتبرها "المستبد القاتل لأفريقيا" ويعبر عنها أيضاً بـ "ملك إفريقيا المفترس الأكبر والمدمر"، والرغبة المشتعلة لـ "موباسون" لأرض إفريقيا" نجدها تأخذ صورة الرغبة في المرأة التي تترجم في الحقل اللغوي من خلال مفردات الجسم كـ: "الجسم، الفم، الذراع، اليد، الدم، اللحم العيون، الشفاه، الرأس، الملابس، الصوت"، "قلب" امرأة، فتاة، وغيره من المفردات الإيحائية عنها. نستقر عدة قراءات من خلال قصة "موباسون"، فعلى العكس العلاقة مع الآخر والغربة التي تُخلق من التداخل تتضاعف وتتضخم بالتصرف الذي يُبعد التاريخ المنقول عن الوضوح، وبالتالي لن يكون هناك حقيقة أو إستقرار والعلاقة مع الآخر سطحية من هذا المنظور، ففي أدب الرحلة نلاحظ أن الغريب الغربي يتفاجأ بالعادات الشرقية التي يراها غريبة وشادة، وظلت هذه العلاقة رغبة دفينة تسكن "موباسون" لأرض إفريقيا الممتعة، كما أن العلاقة بالمرأة تُبلور وتُحول العلاقات مع الآخر بوضوح². ونستج أن ما رصد حول المرأة المحلية مرتبط بالمتعة، وفي تصورنا أن رواية "في الشمس" هي أهم ما كتب عن الجزائر والرواية الأكثر شهرة وجذباً، من خلالها رصد المرأة والطفلة وجسدت في مسرحية عن يهوديات قسنطينة، وتوجد نسخة ورقية منها مطبوعة ومشوقة من حيث التيار الأدبي للكاتب

¹Philippe Antoine., Marie-Christine Gomez-Géraud., Roman et Récit de Voyage..., Op.cit., P. 156.

²Ibid., P.P. 157, 158, 165, 166.

المتميز بالواقعية، وتمثل في نظري أهم الروايات التاريخية التي كتبت عن الجزائر المستعمرة والتي أبرزت عدة نقاط مرتبطة بالمناخ السياسي والفكري السائد في تلك الفترة، ونظرة الآخر وما مثلته المرأة من تشويق للغرب أخذ توجهات جندرية محاطة بهالة من الزخم حول الشرق، والذي عبر عكس صورة المرأة وصب محتواها في المتعة، وهذا ما لاحظته من خلال شغف "Guy de Maupassant" حتى للطفلة التي تخرج للعب في الشارع بوصف دقائق جسمها الذي مثل بالنسبة له امرأة وليس طفلة. وبالتالي أخذت الجزائر عدة صور تنوعت وتباينت في نظر الرحالة الفرنسيين ما بين صورة الشرق الحقيقي الأخاذ لبلاد العطش كما يطلق عليها "أوجان فرومونتان" إذ مثلت له ملهما لكتابات وأعماله الفنية من لوحات لاقت شهرة كبيرة إلى درجة أنه أصبح يُعرف برسام الجزائر، وما بين صورة بلاد الشمس كما يراها "قاي دي موباسون" الذي مزجها بين الرهبة والرغبة، فهي أرض إفريقيا المحرقة وأرض الفضول والرغبة وبالتالي رغم تعدد الصور فالجزائر عبرت عن سحر الشرق الأخاذ بالنسبة للآخر الغربي في مختلف صوره.

ب. صور البيئة والسكان المحليين في الصحراء من خلال الرحلات الإستكشافية والبعثات العلمية.

نقدم نماذج عن البيئة المحلية والسكان من خلال مجموعة من المستكشفين والعلماء والرحالة والجغرافيين وعلماء الأحياء الفرنسيين، وهي معلومات ثرية وثقت ورصدت مكونات بيئية وبشرية لمختلف مناطق الصحراء الجزائرية.

1. الرحالة الفرنسيين وإستكشاف الصحراء الجزائرية، وأهم المستكشفين في القرن التاسع عشر من خلال كتاب النقيب "ليون لوهيرو" "Léon Lehuraux".

مثلت الصحراء الجزائرية والجهة الشرقية بالخصوص أهمية إستراتيجية للإحتلال الفرنسي برزت من خلال الدراسات العلمية والبعثات الرسمية والرحلات الفردية طيلة فترة الإحتلال، فكان إهتمام الفرنسيين بالمناطق الصحراوية الواقعة في حدود سيطرتهم وممتلكاتهم الممتدة من الشرق إلى الغرب، ومن الجنوب في الحدود المتكسرة عند نفثة "Nefta" والصف "Couf"، إلى منطقتي ورقلة وعين صالح. وبعد الإحتلال الفرنسي للبلاد كان لزاما على فرنسا التقدم نحو الجنوب لتأمين حدود مستوطناتها وإشّدت التنافس الإستعماري حول مناطق النفوذ والطرق التجارية في القارة الإفريقية، وكانت الريادة للمكتشفين البريطانيين كما سيطر الأتراك على بعض الطرق التجارية بغدامس ورحات، فتأجج التنافس بين هذه الأطراف ووجهوا حملات للمنطقة يقودها ضباط ومختصين لإكتشاف الطرق وحصر مصادر المياه، خاصة مع إشتداد التنافس الغربي على المنطقة فكان لسيطرة الأتراك على منطقة غدامس "Ghadamès" عام 1869 ومنطقة "رحات" "Rhat" عام 1874، ثم تأسيس أول زاوية سنوسية

عام 1878 في غدامس، منطلقا لعدة عمليات إغتيال مست ضباط وقادة بعثات فرنسيين بالمنطقة ومسافرين، كمقتل المسافرين "دورنو-ديبري" و"جوبار" "Dournaux-Duperré" و"Joubert" عام 1874 قرب عين آزار "Ain-Azhar"، ومقتل الآباء "الإخوة ريشار" و"بويلار" و"مورا" "PP.Richard" و"Morat" و"Morat" لبعثة "غدامس" عام 1881، كما تعرضت مجموعة أخرى من الآباء للقتل عام 1876 بمنطقة "عين صالح" وهم الآباء "بوشار" مينوري" و"بولمي" "PP.Bouchard" "Ménoret" و"Paulmier"، وقتل الضابط "بالا" "Le Lieutenant Palat" عام 1886 والمستكشف "كاميل دول" "Camille Douls" أيضا قتل في نفس المنطقة¹، وهذا دليل على الصراع بين القوى الغربية بالمنطقة. وبرز أيضا هذا الصراع جليا في الكتابات الفرنسية، إذ يعبر عن هذه الحقيقة "ألفريد بارودون" "Alfred Baraudon" الذي يؤكد تأمر المغرب مع بريطانيا ضدهم، والأترك بعد إستيلائهم على مناطق في المنطقة، إذ يتهم المغرب بتحريض الطوارق على القضاء على "بعثة فلاتير" عام 1882 كما تأمرت معهم بريطانيا التي إنزعجت من التوسعات الفرنسية بالمنطقة، فدفعوا بالمغرب إلى إحتلال "توات" وبتركيا إلى إحتلال "واحة الغات"، ويدعي الكاتب الفرنسي في النهاية أن لفرنسا مهمة راقية تتمثل في نشر الحضارة بالمنطقة بعيدا عن المصالح العسكرية والإقتصادية والتنافس الإستعماري². وكان هناك العديد من الكتب حول الصحراء، يمكن إعتبارهم رحالة وجلهم ضباط عسكريون وصلوا المنطقة بعد الإحتلال الفرنسي في إطار التوسع الإستعماري في البلاد برز جزء منهم كالضابط "لوهيرو" "Léon Lehuraux" ويعتبر نموذجا لهذه الفئة كان برتبة نقيب في مصلحة شؤون الأهالي وألف العديد من الكتب حول الصحراء الجزائرية ليكون من أبرز المختصين في المجال، ومن مؤلفاته:

Les Français au Sahara/ Sur les pistes du désert/Au Sahara avec le commandant Charlet/Le Conquérant des Oasis/Le Nomadisme et la colonisation en Algérie/ Voyage du Gouverneur Général de l'Algérie à Djanet/Chants de l'armée d'Afrique/ Fondateurs d'Empire/Lettres d'un Saharien/Bou-saâda, cité du bonheur /Sahara-Ses Oasis.

وإعتمد على أسس علمية في التأليف، إذ قدم دراسات مبنية على وثائق تاريخية مع تحليل سياسي إستراتيجي، وكان مساعد لأشهر مستكشفي الصحراء من كبار الضباط في الجيش الفرنسي أمثال كل من "De Laperrine" و"De Niéger" و"De Charlet" و"De Duclos"، وقام بدور في المناطق الصحراوية، وعين نائبا أعلى لمصلحة شؤون الأهالي، ورئيس المحكمة الابتدائية لشؤون الأهالي³. من خلال صاحب الكتاب، عرفت الصحراء عدة رحلات إستكشافية في إطار التنافس الإستعماري

¹Édouard Blanc, Les Routes De L'Afrique Septentrionale Au Soudan..., Op.cit., P.23.

²Alfred Baraudon, Algérie Et Tunisie Récit De Voyage Et Etudes ..., Op.cit., P.P.209, 211.

³Capitaine Léon Lehuraux. , Les Français au Sahara, édition les territoires du sud, Alger/, P.I,(Introduction).

الحديث خاصة بين بريطانيا وفرنسا، وتميز المستكشفين البريطانيين في رحلاتهم الإستكشافية وكان هدفهم إفريقيا الشرقية، الوسطى والغربية، وكانت البدايات في إفريقيا الشرقية في ظل العبودية والتنافس على أسواق النخاسة والعبيد بين الأوروبيين التي إشتدت مع إكتشاف العالم الجديد فكانت فرنسا من الأوائل في محاولات التوسع في هذه المناطق "في مهمة إنسانية لتحضير وتحرير السكان"، وفي نهاية القرن الثامن عشر قاد "نابوليون" حملة على مصر لنشر مبادئ الحضارة الجديدة على أرض الفراعنة. وفي 1830 كان لزاما وضع حد لدول الباربرسك، وبمجيء الأوروبيين إلى المنطقة وسيطرتهم عليها¹ وعند حفر قناة السويس سنة 1860 من المهندس "فارديناند دي ليسباس" "Ferdinand De Lesseps" أصبح شرق إفريقيا في إتصال مباشر بأوروبا²، ويرى الكاتب أن التوسع في القارة كان مرتبطا أساسا بالتنافس الإستعماري الحديث بين فرنسا وبريطانيا على وجه الخصوص، فبريطانيا سيطرت على مصر وأعالى النيل، وإيطاليا سيطرت على أريتيريا ومنها طرابلس وصولا إلى السودان، وألمانيا سيطرت على طريق "الطوغو" و"الكاميرون" ووجدت طريقا بإتجاه التشاد، وكذا فرنسا سيطرت على المنطقة، فإستقرت المنطقة الإفريقية بحدودها الجغرافية الجديدة بعد تحديدها وتعزيزها بالمعاهدات. ويعتبر الكاتب أن هذه المنطقة التي وصل إليها الرومان في التاريخ القديم، إنجذب إليها الرحالة الأوروبيون منذ القرن التاسع عشر خاصة الصحاري، وهذه الأخيرة لم يتم التوغل فيها إلا بعد الفتح وبالضبط بعد الغزوات الهلالية [تقريبا منذ القرن الحادي عشر ميلادي]، وكذلك تجار العبيد الذين توغلوا في المنطقة من خلال هذه التجارة خاصة في "توات" "Touat" و"تيديكلات" "Tidikelt"³. ونعرض في هذه النقطة بدايات الإهتمام بالصحراء في إطار التنافس الإستعماري بين الإمبراطوريات الإستعمارية الحديثة فرنسا وبريطانيا للسيطرة على طرق القوافل التجارية والسلع، وبالتالي مد النفوذ على القارة الإفريقية، وللتفصيل في هذا العنصر إعتمدنا على كتاب النقيب "ليون لوهيرو" كما ذكرنا سالفًا، إذ قدم مسح معمق في مؤلفه عن الإكتشافات والمكتشفين الأوروبيين والفرنسيين خصوصا. بداية نعرض محاولات البريطانيين، ففي سنة 1819 قدم ضابط بريطاني للمنطقة وكان برتبة نقيب يعرف بـ"ليون" "Lyon" وكان في حملة إستكشاف في طرابلس، وحاول التقدم نحو بلاد الطوارق، وبعد أربع سنوات حاول ثلاثة من مواطنيه الوصول إلى الصحراء، وهم كل من "دينمان" "Denham" و"كلابارتون" "Clapperton" و"أودني" "Oudney" في محاولة للوصول إلى مدينة "غاث" "Ghat" لكنهم حولوا وجهتهم إلى إفريقيا الإستوائية بإتجاه بحيرة التشاد، في حين أول مكتشف للصحراء يستحق

¹ هنا فكرة العنصرية وسمو العنصر الأوروبي عن الإفريقي المنتشرة في الكتابات الكولونيالية التي ترصد الآخر بدونية واضحة في لغة وتعبير وأفكار الكاتب، ورغم ما قد تجود به كتاباته من معلومات موضوعية إلى حد ما يبقى الجانب الذاتي بارزا، وعلى الباحث غريته وإستنباط الموضوعية كجزء من الكل الذاتي.

² Capitaine Léon Lehuraux , Les Français au Sahara..., Op.cit., P.P.10, 11.

³ Ibid., P.P.12, 13.

الذكر فعلا حسب الكاتب هو الرائد البريطاني "قورطون لاين" "Le Major Gorton Laing" وذلك سنة 1825 أين إشتد الصراع بين "طوارق الناجر" و"الشعانية" وسقط العديد من القتلى بين الطرفين فإنتشر اللأمن بالمنطقة، وبتوصية من القنصل العام البريطاني بطرابلس سافر "لانغ" إلى "تمبكتو" "Tombouctou" مرورا "بعين صالح" "In-Salah"، دون أن يخفي جنسيته أو دينه وقطع الصحراء الشرقية وهضبة "تادمايت" "Tadmait" قبل الوصول إلى العاصمة "تيديكلات"، وكانت هذه المنطقة مركز تجاري مهم حيث تمركز سكان عين صالح، إذ تمر من خلاله قوافل تجارية تتبادل تبر الذهب وريش النعام والعاج والعبيد على وجه الخصوص، مقابل الملح والألبسة الصوفية والحريرية والتوابل والعطور والمر [Le Myrrhe]¹، وإشتهر سكان مدينة عين صالح بالعداء للمسيحيين حسب الرحالة الغربيين، ويعود الفضل في إستكمال "لانغ" لمساره بالمدينة إلى الدليل المحلي "سي عثمان بن الحاج بكري" من الطوارق، ووالده من أبرز الشخصيات الدينية في الناجر وزعيم زاوية تماسين المعروفة. وكان لسي عثمان دور أساسي في ما بعد أثناء المحاولات الفرنسية الأولى للتوسع في المنطقة، ورغم المخاطر والصعوبات وافق "سي عثمان" على مرافقة "النجيب لانغ" في رحلته إلى مدينة "عين صالح" وبفضل حمله للقب "مرابط" تمكن النقيب البريطاني من البقاء حيا في مرافقته لـ"سي عثمان" لكن بعد وصوله "عين صالح" وإنتهاء مرافقة المرابط له، تم خنقه من مرافقه الجديد في طريق "آروان" "Araouan" بعد وصوله "تومبكتو"، وبالتالي إنتهت مغامرة النقيب البريطاني في الصحراء الجزائرية. وفي نهاية سنة 1835 حاول البريطاني "دافيدسون" "Davidson" الوصول إلى "تمبكتو" من الشمال الغربي، وإنطلق من "طنجة" وسلك طريق الشريط الساحلي، ليصل في أفريل 1836 إلى حدود "وادي نون" "Oued Noun" وظل ماکثا هناك طيلة ستة أشهر، إذ لم تمر أية قافلة بإتجاه بلاد السودان وتمكن أخيرا من إستكمال رحلته بالإنضمام لقوافل "تاجمت" "Tadjakant"، لكنه عرف نفس مصير مواطنه "النجيب لانغ" إذ لقي حتفه في ديسمبر 1836 بمنطقة "أولاد عريب" "Oulad-Arib" قرب "واد سوس" "Oued Sous" ببلاد سوس²، وفي مارس 1850 كُلف المواطن البريطاني "جيمس ريشاردسون" "James Richardson"، الذي تمكن سنة 1845 من السفر إلى طرابلس وغدامس بمهمة من حكومة بلاده تتمثل في ربط علاقات دائمة مرتكزة على المبادلات التجارية مع طرابلس وبلاد السودان وإنضم للطببيين الألمانين "هانري بارث" "Henri Barth" [1821-1865] وهو من مواليد هامبورغ، فيلسوف جغرافي، طبيعى أنثروبولوجي، إثنوغرافي، رحالة إلى أفريقيا وأستاذ بجامعة برلين] و"أوفرواق" "Adolph Overweg" فكان مسار رحلتهم "مورزوق" "Mourzouk" و"غات" و"آقاداس" "Agadés" وإتفقوا على الإلتقاء ببحيرة التشاد لكن "ريتشاردسون" لقي حتفه أثناء السفر في مارس 1851 وبعده توفي "أوفرواق" في سبتمبر 1852، بين يدي "بارث" في "كوكة" "Kouka"، وتمكن "بارث" من إتمام

¹Capitaine Léon Lehuraux, Les Français au Sahara..., Op.cit., P.P.14, 15.

²Ibid., P.P.16, 19,20.

مهمته ووصل "تمبكتو" يوم 7 سبتمبر 1853، ومكث بها ستة أشهر وفي أوت 1855 عاد إلى طرابلس بعد القيام برحلة طويلة في إفريقيا رحلة دامت من 1849 إلى 1855، ويعتبر "بارث" أهم الرحالة المستكشفين للصحراء الذين عرفوا بسكان صحراء إفريقيا الشمالية خاصة وأنه عالم متخصص في العديد من العلوم وقدم معلومات قيمة حول سكان الصحراء من الطوارق ومختلف القبائل، مع تقديم معلومات أنثروبولوجية وإثنوغرافية عن القبائل الصحراوية ومناطق توزعهم ومميزات الحياة السياسية والإجتماعية والثقافية والبيئية وغيره من المعلومات الدقيقة والتي تمثل دراسة علمية متخصصة¹. أما محاولات الفرنسيين فكانت منذ سنة 1826 إذ ظهر شاب فرنسي طموح يدعى "روني كايي" "René Caillé" أراد أن يخوض مغامرة الوصول إلى أراضي بلاد السودان وعمره ستة وعشرون سنة فقط حين أراد الوصول إلى عاصمة السودان مرورا بالسنگال والعودة إلى أوروبا بعد قطع الصحراء وتمكن "كايي" من الوصول إلى "تمبكتو" متبعا نفس مسار "النقيب لانغ" ووصل سالما إلى المغرب وإستطاع وضع وتحديد مسار طريق ثابت يربط حوض النيجر بشواطئ البحر المتوسط عبر الصحراء، وتميز "كايي" في عبور الصحراء متغلبا على الصعاب والأخطار بوسائل بسيطة، حيث تمكن من الوصول إلى أماكن لم يصلها أي مكتشف غيره إلا بعد خمسين عاما من مروره بها، ونقل معلومات قيمة ونادرة عن المنطقة والسكان بفضل ملاحظاته الدقيقة، وكل الرحالة الذين زاروا المنطقة بعده أكدوا على دقة ملاحظاته وصدق الحقائق التي أوردها في رحلته، وكان يدعي الإسلام أثناء قيامه برحلته، ويعتبره الكاتب أشهر وأكبر رحلة زار إفريقيا وكتب عنها، خاصة مناطق النيجر العليا، لكن لا يمكن تصنيف هذه الرحلات ضمن أهم الرحلات العلمية لأنه لم يكن مثقفا ولم يمتلك الإمكانات ولا الوسائل العلمية للبحث رغم أهمية رحلاته والمعلومات القيمة التي نقلها، ولكنه لم يرقى لمكانة العالم الألماني "هنري بارث" الذي دشّن مرحلة جديدة للرحلات العلمية بإتجاه النيجر بفضل ملاحظاته². وفي سنة 1852 فكر الحاكم العام "المارشال رندون" "Le Maréchal Randon" في إقامة علاقات تجارية مع السودان بجذب القوافل التجارية العابرة لإفريقيا جنوب الصحراء بإتجاه طرابلس والمغرب وإعتمدت خطته على تعيين ممثلين مسلمين كعمال قنصليين في أهم المدن ك"غات" تمهيدا لوصول الفرنسيين، وبناء على هذا المشروع تتقل أولاد سيدي الشيخ "سي حمزة بن بوبكر" إلى مدينة غات بهدف إقامة علاقات مع الطوارق، ثم إحتمل ورقلة بقومه وحقق في ذلك مجدا، فكافأته الإدارة بمنصب خليفة، وكان شخصية مؤثرة خلف "المارشال رندون" في مساعيه ففي سنة 1854 سافر إلى طرابلس وفي مدينة غات إلتقى بزعيم الطوارق الناجر وحظي بإحترام كبير بينهم، وتمكن من مرافقتهم إلى الجزائر العاصمة، ومن بينهم على وجه الخصوص "سي عثمان" الذي كان دليلا لـ"لانغ" إذ خلف والده في رئاسة زاوية تماسين، ومكث الوفد شهرا كاملا في العاصمة وعاد محملا بالهدايا لزعيم الطوارق

¹Capitaine Léon Lehuraux, Les Français au Sahara., Op.cit., P.P.20,21 .

²Ibid., P.P. 16, 17, 18, 19,20.

"الأمينوكال إخنوخان" "L'Aménoukal Ikhenoukhen"، الذي أظهر حسن نواياه تجاه الفرنسيين عن طريق ممثله "سي عثمان"، وعُقد إتفاق بين الطرفين ينص على حرية تنقل القوافل الفرنسية في بلاد الطوارق في الآهقار ناجر، فكانت أول قافلة إنطلقت من ورقلة في ربيع 1856 تحت قيادة "سي عثمان" وذهب للقاء لزعيم الطوارق "الأمينوكال إخنوخان"، ودخلت مدينة "غات" دون أية مشاكل تذكر، وجابت المنطقة ولم تعد إلى الجزائر العاصمة إلا بعد سنتين من رحيلها، وعند عودتها كانت محملة بالهدايا للحاكم العام الفرنسي من قبل تجار مدينة "غات"، تعبيرا على عمق العلاقات التجارية¹. ومواصلة للرحلات الإستكشافية للضباط الفرنسيين، قام النقيب الصبايحي "دي بونمان" "Le Capitaine de Spahis de Bonnemain" في سنة 1858 بالسفر في المنطقة الممتدة من العرق الشرقي بالواد إلى غدامس "Ghadamès"، لدراسة التجارة بهذه المدينة ووضع أسس إقتصادية للمبادلات التجارية بين الجنوب الجزائري وغدامس ولكن عروضه تم تلقيها ببرود، وفي شهر أوت من نفس سنة 1858 قام مترجم عسكري من الجيش الأفريقي يدعى إسماعيل بوضرية بمحاولات أخرى فاشلة².

2. الدراسات والرحلات الرسمية والفردية للصحراء، نماذج عن دراسات "دوماس"، وبعثات "بول صولي" و"فلاثير"، وأبحاث علماء الأحياء والجغرافيين كالعالم الإحيائي "سبيتزبارغ" والجغرافي "الضابط لوش".

تعددت الدراسات العلمية في مستوطنة الجزائر التي وثقت للحياة في المناطق الصحراوية وتعززت ببعثات رسمية وفردية قادها باحثين وعسكريين وعلماء في الأحياء والجغرافيا، وخدمت هذه الكتابات الحملات العسكرية والتجارة الإستعمارية في المنطقة وكانت مهمة ومثمرة للإدارة الفرنسية في المنطقة داخليا وحتى خارجيا في عملية التوسع في إفريقيا جنوب الصحراء، ومثلت موجة تضاهي الرحلة في المناطق الشمالية والحضرية شجعها ودعمها الإستعمار خدمة للتوسع الإستعماري الحديث.

¹Capitaine Léon Lehuraux, Les Français au Sahara., Op.cit., P.P. 22,23.

²هو حسب إستنتاجي إبن الشخصية الحضرية المعروفة أحمد بوضرية، عند إحتلال الجزائر تقدم إلى المقر العام في 04 جويلية 1830 كمترجم للتفاوض مع "بورمون" على شروط الإستسلام، وكان ضمن لجنة الحضر، وعندما أنشأ "دي بورمون" المجلس البلدي في 6 جويلية 1830 عيّن "أحمد بوضرية" رئيساً له، وفيما بعد عينه "كلوزيل" وكيلاً لأملاك مكة والمدينة، ينظر:

Georges Yver, « Mémoire de Bouderbah », la Revue Africaine, n° 57, Année 1913, Office des publications universitaires, Alger, 1986, p 218.

[وفي هذه المعلومة دليل على عودة أبناء المنفيين من شخصيات حضرية وإنماجهم وفي هذا المثال في الجيش الفرنسي، وهذا ما يفتح باب للبحث في موضوع عودة أبناء المنفيين وأدوارهم في الجزائر بعد الإحتلال]، للإطلاع أكثر حول شخصية أحمد بوضرية ينظر: "سليمة بودخانة: نفي رواد المقاومة الجزائرية إلى الخارج من 1830 إلى 1871 مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة قسنطينة 2005"، ص.ص. 88 - 90.

-دراسات "دوماس" "Daumas".

كان لدراسات "الضابط دوماس" أثر في التعريف بالصحراء كالمظاهر التضاريسية وأنثروبولوجية السكان وأصولهم والحياة الإقتصادية داخل الواحات، وأسهب في الحديث عن الصحراء في كتابه "عادات وتقاليد التل-القبائل-الصحراء"، كما كانت كتاباته مقاربة في كتابه "الصحراء الجزائرية دراسات جغرافية وتاريخية"، ودرس الصحراء بعمق خاصة مدينة الأغواط التي فصل في طرقها منذ الحملة الأولى للإحتلال الفرنسي عام 1844 ودرسها من كل الجوانب الطبيعية والبشرية والإقتصادية وكانت الدراسة متقدمة إذ تعود لعام 1845، وكان لهذا النوع من الدراسات عن الصحراء الجزائرية إنتشارا كبيرا، فعدد كبير من الضباط الذين خدموا في المنطقة ألفوا دراسات عنها كـ"تريمولي" و"كافينياك" وغيرهم، وتعد هذه الدراسات ذات أهمية تاريخية تساهم في التأريخ للمنطقة بإعتبار أنها كتابات لشاهدي عيان شاركوا في الحملات وإحتكوا بالسكان وتعرفوا على البيئة، ورغم الذاتية تبقى وثائق ذات قيمة تاريخية عن المنطقة.

-بعثات "بول صوليي" "Paul Soleillet".

أرسلت سلطات الإحتلال الفرنسي عديد البعثات والرحلات الإستكشافية للجنوب كبعثات "بول صوليي"، إذ تعتبر من أهم الرحلات التي قام بها على الإطلاق في المنطقة¹، وهو من مواليد نيم الفرنسية عام 1842، مارس التجارة وإهتم بدراسة صناعة المنسوجات الشرقية مما قاده إلى زيارة المغرب والجزائر وتونس وطرابلس، وكان مهتما بالرحلات والجغرافيا، لكن في ما بعد وبسبب الحرب تخلى عن مشاريعه التجارية وقرر القيام برحلة إستكشافية للصحراء، وبدأ في التحضير للرحلة وفي هذه الأثناء إنضم للجيش، ولما إنتهت الحرب إهتم من جديد بمشروع الإستكشاف في الصحراء وإقترح مشروع إنشاء مدينة تجارية على شكل سوق كبير مفتوح في الجنوب الجزائري يستقطب قوافل السودان وعرضه على الجمعية الجزائرية العامة بباريس التي كان لها دور الريادة في إرسال البعثات الإستكشافية في الجنوب الجزائري، وأعجبت الجمعية بالفكرة وأوكلت "لصوليي" المهمة الإستكشافية. فغادر نهاية سبتمبر 1872 في أول رحلة للأغواط، وكانت أول عملية إستكشاف للصحراء الوسطى أين زار واحات بني ميزاب والشعانية وجبال العمور، وعند عودته إلى العاصمة في أبريل 1873 عرض تقريره على الغرفة التجارية وعرض أفكاره حول مستقبل التجارة في القارة، ثم أوكلت له رحلة إستكشاف من العاصمة بإتجاه عين صالح وغادر العاصمة في 27 ديسمبر 1873، ورغم الصعوبات قاد المستكشف "بول صوليي" البعثة وزار مدينة الأغواط عدة مرات ورصد عادات الأهالي وكان له

¹Jules Gros, Paul Soleillet En Afrique, Paris, A.Picard et Kaan, 1888, P.P.7, 8, 9,10.

علاقات خاصة مع القادة والسكان¹، ويصف تحضيرات الرحلة الأولى لعام 1872 التي بدأها منذ ست سنوات أي 1866، وفي تقريره للغرفة التجارية أكد على ضرورة التوجه نحو الجنوب، وكانت هنالك محاولات لبعث علاقات تجارية مع بلدان جنوب مستوطنة الجزائر، ويشدد على معرفة الطرق المؤدية لنقاط المراكز التجارية. وكانت لفرنسا بعثة بقيادة القائد "ميرشل" "Le Commandant D'Etat-Major Mircher" وكذلك القائد "بولينيكاك" "Le Capitaine Polignac" عام 1862، تعرفوا فيها على طريق طرابلس-غدامس وطريق غدامس-الواد والتي إكتشفهما "بونمان" و"هنري ديفيري" "MM Bonnemain et Henri Duveyrier"، وتؤمن مرور القوافل التجارية الفرنسية في إطار إتفاقية مع زعماء الطوارق في هذه المنطقة، وكان مشروع "صولي" -كما أوردنا- إنشاء مركز تجاري للتبادل في الجنوب، ويرى أن منشأة "دوك" بالأغواط مثالية لإنشاء هذا المركز التجاري، ويرر ذلك بموقعها الإستراتيجي فهي تعتبر في تواصل مباشر مع البحر عبر طريق الجزائر العاصمة، وفي تواصل مع توات عبر واد ميزاب والمنبعة وعين صالح، كما تتمتع الأغواط بموقع إستثنائي وممتاز بالنسبة للتجارة الداخلية لأفريقيا إذ تمثل نقطة توقف لكل القوافل القادمة من "آقداس" و"كاوفصة" "Kaoufssa" و"الغات" و"تيميمون"². ومن خلال هذه البعثات التي قام بها "بول صولي" للمنطقة تبرز أهمية الأغواط التي تعتبر حصن للإحتلال الفرنسي بالمنطقة للسيطرة العسكرية، ولإستغلال التجارة العابرة للصحراء خاصة مع إشتداد التنافس الأوروبي حول المنطقة.

-بعثات "فلاثير" "Le Lieutenant-Colonel Flatters".

بعد وقت من بدأ بعثات "بول صولي" تداولت فكرة إنشاء سكة الحديد العابرة لأفريقيا ما وراء الصحراء، وقاد "قازو دو فوتيلبو" "M.Gazeau de Vautilbaut" محاولات لبعث المشروع طيلة سنوات 1878، 1879، 1880، كما بدأ في نفس الوقت "ديبونشال" "Duponchel" وهو مهندس في مجهوداته، وإتجه إلى الجنوب ولم يتجاوز الأغواط أي لم يدخل في أعماق الصحراء وكتب عام 1879 تقريراً عن طرق التواصل بين الجزائر وبلاد السودان، وبعد هذا التقرير عينت لجنة لدراسة المشروع وأقرت مشروع سكة حديدية من دكاير إلى النيجر وأرسلت عدة بعثات، منها بعثة "شوازي" "Choisy" إلى المنبعة، بعثة "بويان" "Pouyane" إلى الجنوب الوهراني، بعثة "صولي" "Soleillet" إلى شمال السنغال وأدرار وبعثتين "فلاثير" "Flatters" في الصحراء وجنوب ورقلة.

¹Jules Gros, Paul Soleillet En Afrique..., Op.cit., P.P.7, 8, 9, 10.

²Paul Soleillet, Voyage De paul Soleillet D'Alger à L'Oasis D'In-Salah Rapport Présenté à La Chambre De Commerce D'Alger, Alger, Typographie et Lithographie.A Jourdan, 1875, P.P.10,11.

وكانت الأغواط نقطة إنطلاق لمختلف البعثات كمنطقة إستراتيجية، ف"شوازي" إنطلق في شتاء 1879-1880 ووضع مخطط لطريقي سكة الحديد، الأول من الأغواط إلى المنيعة والثاني من بسكرة إلى ورقلة، وكلف "القائد فلاثير" في القرار الوزاري الصادر في 7 نوفمبر 1879 بمهمة دراسة مد خط السكة الحديدية في الجنوب الرابط بورقلة، ورافقه عسكريون ومهندسون وطبيب، ومنهم القائد "ماسون" والمهندسين "بيرينقر" و"روش" والطبيب "قيار" والمساعدين "برنار" و"بروسار" و"رابودان" و"كابيلو" وإنطلقت البعثة في شهر جانفي 1880، لتصل للصحراء في شهر فيفري، وبعد رحلة طويلة عاد إلى باريس في شهر ماي وقدم تقريراً مفصلاً عن منطقة جنوب ورقلة، وأهم نتيجة جاء بها هي إكتشاف المغارة التي يمر عبرها "واد إيغرغار" "Oued Igharghar"، وهذا إكتشاف مهم جداً بالنسبة للفرنسيين. وبعد نتائج البعثة الأولى قرّرت البعثة الثانية، إذ غادر فرنسا في أكتوبر 1880، واتجه إلى الأغواط أين حمل المؤونة والعتاد، ورافقه مجموعة من مرافقيه في البعثة الأولى وهما "ماسون" و"بيرينقر" و"روش" و"قيار" إضافة إلى بعض العناصر الجديدة ك"سانتان" و"ديانوس" و"ديسميري" و"دي لوجي" و"بوبيقين" و"مارجولي" و"برام"¹، وكانت هذه البعثة كبيرة وكثيرة العدد إذ حمل من الأغواط أربعمئة جمل وخمسة عشر حصان ومائة بندقية وخمس وعشرون ألف خرطوشة وأربعون مسدس ومؤونة مختلفة من أرز وسكر وقهوة وسلع للتبادل التجاري في الطريق، ورافقه إثني عشر من أفضل عناصر الكتيبة ومجموعة من الأهالي وطباخ²، ووصلت البعثة إلى مناطق بعيدة في أعماق الصحراء من الأغواط إلى ورقلة مروراً بعدة مناطق لم يصلها غيره إلى "حاسي إنفال" و"حاسي مسقم"، وكان يعمل على إيجاد نقاط لمد خط السكة الحديدية، ولكن بعثته تعرضت للهجوم والقتل على يد الطوارق بأمر من زعيم الآهقار "الشيخ تيسي" عام 1882، إذ منذ وصوله إلى أعماق الصحراء إعترض الطوارق بشدة على محاولات وصول الفرنسيين لأراضيهم، ورفضوا الإستعمار الفرنسي بمناطقهم، وتعرضت كل البعثات للمقاومة³. وبعد مقتل "فلاثير" كان المجال قد فتح واسعاً للحكومة الفرنسية في الصحراء الوسطى فكُلف "فورو" "M.Foureau" بمواصلة الإستكشافات، وإنطلق من بسكرة يوم 1 جانفي 1883 باتجاه "حاسي مسقم" بعين صالح عبر إلى ورقلة، وواصل طريقه إلى ثقرت في محاولة للتوغل إلى الداخل لكن تواصلت هجمات قبائل الطوارق ضد البعثات المتوغلة في المنطقة، وتعرضوا للهجوم ولم يتمكنوا من إتمام بعثاتهم، وكانت البعثات في كل مرة تتوقف ولا تُتم مسارها ومهامها بسبب مقاومات الطوارق⁴.

¹P.Vuillot, L'Exploration Du Sahara Etude Historique Et Géographique, Paris, Augustin challamel éditeur, 1895, P.P.173, 174, 175, 176, 185,187.

²H.Brosselard, Les Deux Missions Flatters Au Pays Des Touareg Azdjer Et Hoggar, Paris, Librairie Furme Jouvét et c^{ie} éditerus, 1889, P.5.

³Édouard Blanc, Les Routes De L'Afrique Septentrionale Au Soudan..., Op.cit., P.36.

⁴P.Vuillot, L'Exploration Du Sahara Etude Historique Et Géographique..., Op.cit., P.P.213, 214.

-العالم الإحيائي "سبيثزبارغ" في الصحراء"، مراحل عالم طبيعي".

يتحدث الكاتب عن الجزائر في ما يقارب مائة صفحة، قدم خلالها كما من المعلومات التاريخية والجغرافية والإشارات الإجتماعية المهمة عن المجتمع ونشاطاته، فمن الصفحة 503 إلى 512 يبدأ الحديث عن حديقة التجارب بالحامة قرب العاصمة سنتي 1853 و 1864، ثم يتحدث عن غابات الإيدوغ قرب عنابة في الصفحة 520، ثم يتحدث عن الصحراء الجزائرية في الصفحة 527 وبعدها تحدث عن منطقة البحر المتوسط في الصفحة 528 ثم الهضاب العليا من الصفحة 539 وبعدها يتحدث عن المنطقة الصحراوية من الصفحة 541، ثم أشكال الصحراء من الصفحة 555 ثم منطقة الواحات في الصفحة 565 مع توزيع السكان في الصفحة 583، بعدها يعرض عنصر الحياة في الصحراء في الصفحة 589 ثم خاتمة من الصفحة 601، وبعدها جدول ألفبائي بأسماء الأشخاص المذكورين في المجلد بدءا من الصفحة 603، وأخيرا جدول ألفبائي بأسماء الأماكن والسكان من الصفحة 609. بداية يستهل بوصف طريق حديقة التجارب الحامة، ويرصد الكاتب الصورة الشائعة بين الرحالة حول مدينة الجزائر في وصفه، إذ يقول: "عند الخروج من مدينة الجزائر عبر "باب عزون" نمر عبر مدرج الألعاب، مسرح إستعراض القوات أين يوجد إستعراض للخيالة العرب، وفي يسار المدرج يوجد البحر وتظهر التلال الجذابة التي تنتشر بها المنازل الريفية على طول الجهة اليمنى بعضها للحضر وبعضها للأوروبيين، وترى الفرنسيين والحضر والبدو والقبائل يتجولون، يمتطي البعض منهم الأحصنة الحمير الجمال، أو في العربات التي تجرها الخيول، وبعد لحظات نجد مقبرة إسلامية وفي يوم الجمعة تذهب النسوة الحضريات لزيارة المقابر ملتحات ويتجمعن حول القبور، وبعد المقبرة الإسلامية نجد الطريق مظلل ويمتد على طول التلال المغطاة بأشجار الخروع والخضروات الأجنبية الأوروبية، كما تنتشر على طول الطريق روائح أشجار البرتقال، وتتوقف العربات بين شبكة أوروبية ومقهى حضري ملتصق بالصخر ومظلل بأشجار البلوط الشرقية العملاقة، ويبدأ في وصف نباتات حديقة التجارب الحامة بدقة متناهية موردا الأسماء العلمية للنباتات عبر الحديقة سنة 1852¹، ويعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر العلمية عن الجزائر من حيث الوصف العلمي خاصة البيئة النباتية والحيوانية.

-الجغرافي "الضابط لوش" "Le Commandant Loche" وكتابات عن التاريخ الطبيعي للجزائر.

الضابط الجغرافي "فيكتور جون فرونسوا لوش" "Victor- Jean-François Loche" فارس الفرقة الشرفية، عسكري وعالم طبيعي ومختص في الحيوانات والطيور، من مواليد 29 مارس 1806 بفرنسا

¹Charles Martins., Du Spitzberg au Sahara : étapes d'un naturaliste, Paris J.-B. Baillière et Fils, 1866, P.P.503, 504.

وتوفي بعنابة عن عمر يناهز 57 سنة يوم 28 جوان 1863، شارك في المهمة الإستكشافية العلمية للجزائر التي نظمتها الحكومة الفرنسية، وقادها بدءا من سنة 1853 إذ نشر سنة 1858 كتابه "فهرس عن الثدييات والطيور في الجزائر" ورصد فيه بالوصف 357 نوعا من الطيور وقط الرمال، كان مدير المعرض الدائم لمتحف التاريخ الطبيعي للجزائر وحديقة الحيوانات للجزائر، من مؤلفاته عن الجزائر: كتاب "فهرس عن الثدييات والطيور في الجزائر".

Victor-Jean-François Loche (Capitaine), Catalogue des mammifères et des oiseaux observés en Algérie, Paris, A. Bertrand, 1858.

كتاب "التاريخ الطبيعي للثدييات في الجزائر: البعثة الإستكشافية العلمية للجزائر خلال سنوات 1840، 1841، 1842".

Loche (Commandant), Histoire naturelle des mammifères de l'Algérie : exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840, 1841, 1842, Paris, A. Bertrand, 1867.

كتاب "التاريخ الطبيعي للطيور في الجزائر، البعثة الإستكشافية العلمية للجزائر خلال سنوات 1840، 1841، 1842".

Loche (Commandant), Histoire naturelle des oiseaux de l'Algérie ; exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840, 1841, 1842, Paris, A. Bertrand, 1867, (2 vol.)¹.

تم نشر مقتطف من دراسته "فهرس عن الثدييات والطيور في الجزائر" في "حوليات الرحلة الجديدة" بعنوان "الثدييات والطيور الجزائرية" "Mammologie et Ornithologie Algériennes" في 21 صفحة كاملة وبالتفصيل العلمي الدقيق بدءا من الصفحة 142، يقدم عرضا لأهم نتائج دراسته وذلك بعد ما نشر الدراسة في سلسلة "إكتشافات البعثات العلمية إلى الجزائر"، بدأ دراسته بمدخل عام يصف فيه أحجام وألوان الطيور والثدييات بالجزائر عن مثيلاتها بأوروبا، كما يحدد الفرق في غذاءها ومناخها ومناطقها، وقدم تبريرا لهذه الاختلافات البسيطة كتأثير الحرارة في الجزائر في ألوان الحيوانات، كما أورد أسماء الحيوانات المنتشرة كما يسميها العرب وبالتفصيل الدقيق، في حين حافظوا على التسميات العلمية للبعض الآخر وتوسع في ذكر التسميات المحلية للطيور، ويواصل الحديث والشرح مع ذكر الأسماء العلمية للحيوانات المحلية، ثم قدم ملاحظات مفصلة عن كل حيوان بري على حدى مثلا كالخنزير البري، الجمل، الظبي، الغزلان بكل أنواعها، وحتى الأغنام² وغيرها بدقة مما وجد في البرية.

¹Maurice Boubier., L'Évolution de l'ornithologie, Paris, Alcan, coll. « Nouvelle collection scientifique », 1925, P.308, Voy : <https://www.idref.fr/154371424>.

²Victor-Jean-François Loche (Capitaine), Catalogue des mammifères et des oiseaux observés en Algérie, Paris, A. Bertrand, 1858, P.P.142-145, 147,163.

والملاحظ أن التسميات متداولة فعليا بيننا الآن، وهي تسميات صحيحة ودقيقة مما يؤكد إحتكاك الضابط الجغرافي المتخصص في علم الحيوان مع السكان المحليين والبحث المعمق في التسميات مما يجعل دراسته ذات أهمية علمية للباحثين في علم الأحياء والبيئة وعلماء الطبيعة للتعرف على الأصناف الحيوانية من ثدييات وطيور، وتقديم دراسات علمية مبنية على خلفية الدراسات التاريخية وبالتالي التعرف عليها والمقارنة بين ماضي وحاضر الثروة الحيوانية والتوازن البيئي في الجزائر.

3. المجتمع المحلي بالصحراء من خلال البعثات الإستكشافية والعلمية، نموذجي بني مزاب والشعانية من خلال الرحالة الجغرافي هنري ديفاييري Henry Duveyrier.

تعتبر البعثات العلمية من أهم ما قامت به الإدارة الفرنسية ودعمتها رسميا، بإرسال العلماء والضباط والباحثين والمستكشفين، وقدموا دراسات متنوعة عن الإقتصاد والمجتمع، وكانت الصحراء محط جذب المكتشفين والمستكشفين الفرنسيين من ضباط وعلماء ومنهم كما ذكرنا سابقا الضابط والعالم الفرنسي الشهير "هنري ديفاييري" Henry Duveyrier الذي يعتبر من أشهر الرحالة الفرنسيين الرسميين في المستوطنة، ونقدم مقتطف لرحلته المنشورة في الحوليات الجديدة للرحلة، المُعنونة بـ"نظرة على بلاد بني ميزاب والشعانية الغربية"، ووجه الكاتب للدورية رسالة شكر وأكد من خلالها إهتمامه بالترحال في الصحراء، إذ يقول "... رحلتي هذا الشتاء ستكون كالاتي، سأتوجه أولا إلى بسكرة ووادي سوف ثم أقوم برحلة إلى "نفزاوة" Nefzâwa (بلاد الجريد) و"توزر" Tôzer، ثم أعود إلى "وادي سوف" ومنها إلى "توقرت" أين أُنْجِز للرحيل إلى "تماسين" وسوف أذهب إلى "ورقلة" ومنها إلى "بلاد الطوارق"، وهنا يتوقف مخطط رحلتي لأنه بعد "ورقلة" الظروف هي من يتحكم في خطاي والآن يجب أن يكون لي هدف، وهدفي هو إستكشاف جبال بلاد الطوارق "جبال ألب الهقار"، كما سماه صديقي "الدكتور بارث" Le Docteur Barth¹، ونقدم قراءة مختصرة عن الرحلة، إذ يقدم "ديفايري" معلومات مهمة وقيمة عن المنطقة والسكان، يبدأ منشور رحلته من الصفحة 125 من الحوليات إلى غاية الصفحة 141، وهي مقتطف من الدراسة الأصلية للرحلة التي نشرت أول مرة في "نشرية الجمعية الجغرافية" في أكتوبر 1859 وهي نفس السنة التي أعيد نشرها في حوليات الرحلة، يبدأها برسالة مرفقة إلى رئيس الجمعية الجغرافية" حررها من الأغواط يوم 27 أكتوبر 1859 كرد على إستفسارات اللجنة المركزية للجمعية الجغرافية حول مشروع رحلته على خلفية طلبه التمويل من الجمعية، وبطلب خاص للرد على أعضاء الجمعية من "فيكتور أدولف مالت-برين" Victor Adolphe Malte-Brun (هو ابن الجغرافي الدنماركي الشهير السيد كونراد مالت-برين-Conrad Malte-Brun-مؤسس الجمعية

¹Maurice Boubier., L'Évolution de l'ornithologie, Paris, Alcan, coll. « Nouvelle collection scientifique », 1925, P.141.

الجغرافية سنة 1821 وأمينها العام الأول، ليخلفه ابنه الثاني الجغرافي "فيكتور أدولف مالت-برين" الذي أصبح أمينا عاما للجمعية ما بين 1859 إلى 1866)، قدم خلالها للجمعية الجغرافية ملخص عن النتائج المؤقتة لأعماله حول رحلته للصحراء أثناء مكوثه ببني مزاب والشعابنة في المنطقة الممتدة بين متليلي والمنيعية، والتي يأمل أن نتائجها تخدم الجغرافيين خاصة وأن هذه المنطقة لم يصلها بعد الأوروبيون في تلك الفترة وأرفق معها خريطة للمنطقة¹، تحتوي إحداثيات دقيقة وإعتمد في وضعها على معطيات فلكية وقراءاته من خلال البوصلة تظهر فيها الهضاب والحدود الجنوبية وإتجاه الوادي وموقع المنيعية، كما حاول رصد طبوغرافية منطقة "عين صالح" حتى منطقة "توات" جنوبا، وإعتمد فيها على وسائله الخاصة وإعتمد على خريطة "الضابط الإنجليزي وردن لانغ" في تحديد الموقع الفلكي لمنطقة "عين صالح"، وفي تحديد الموقع الفلكي لمنطقة "ورقلة" إعتمد على خرائط أرشيف الحرب. بعد هذه الرسالة يبدأ بوصف منطقة "وادي ميزاب"، من تحديد الحدود الجغرافية للمنطقة إلى الطبوغرافيا والمظاهر التضاريسية من الهضاب وقمم المرتفعات إلى المناخ وطبيعته ودرجات الحرارة والتساقط والظواهر المناخية المألوفة منها، كتساقط الجليد والفيضانات الفجائية للأودية ويوضح أنه لضعف التساقط لا تتكرر هذه الظاهرة كثيرا وحين حصولها تمثل فرحة كبيرة للسكان، كما عرفت المنطقة تساقط كثيف للثلوج في ظاهرة نادرة في شتاء 1857-1858، في حين في فصل الصيف يكون الهواء جاف كما حدد سرعة وإتجاه الرياح في هذا الفصل، وتأثير المناخ على الصحة والأمراض كما فصل في التربة والسطح المتميز بالغطاء الصخري والغطاء النباتي المتميز بالشج وببعض النباتات الصحراوية²، وهنا تفصيل في البيئة والطبيعة ومميزاتها الخاصة بهذه المنطقة الصحراوية. أما الزراعات فتنتشر زراعة النخيل، إذ يوجد أكثر من ثلاثين نوع والأشجار المثمرة كالتفاح والتين والعنب والتين الشوكي، ومن الخضر نجد اليقطين والقرع بأنواعه والبطيخ بأنواعه الأصفر والأحمر الفلفل، الطماطم، الباذنجان، القرنبيط، الجزر وغيرها، كما رصد الطيور التي تعيش بالمنطقة كالغربان والحمام بأنواعه، والزواحف، وهنا تكمن الأهمية الإستراتيجية للمنطقة التي لاقت إهتمام فرنسي كبير. كما عدد مدن وادي ميزاب الخمسة، وهي غرداية، مليكة، بني يزقن، بونورة والعاطف، والمدينة الأكثر الأهمية والتي تمثل مركزا سكانيا وتجاريا هي غرداية فعدد سكانها يتراوح ما بين 12000 إلى 14000 نسمة في تلك الفترة وهي مدينة مبنية بجمالية من الحجارة الكلسية مثبتة بالجير الأبيض، تقع في فناء ممر واسع يقسم المدينة إلى قسمين، إذ يوجد حيين كبيرين واسعين يسكنه العرب، ولغرداية سبعة أبواب أحدها يقع في حي اليهود، تتكون المنازل من طابق واحد تعلوها أسطح وتتوسطها ساحات تلتقي في باحة ترزينا الأقواس، وأحيانا نجد غرفة فوق السطح ولون هذه المنازل رمادي وبعضها مبيض بالجير، وفي أعلى المدينة ترتفع المنارة وتحاديها أخرى أقل إرتفاعا، والأسوار والحصون تشكل منظرا

¹Maurice Boubier., L'Évolution de l'ornithologie..., Op.cit., P.125.

²Ibid., P.P.126, 127, 128, 141.

خلابا للمدينة ويطبعها بطابع خاص، أما بساتين النخيل فتقع على بعد 2 كلم أعلى الوادي مشكلة حزاما أخضرا حول المدينة يمتد على طول الجهة اليسرى للوادي، ويوجد في الهضبة جنوب الوادي آثار مدينة صغيرة محصنة لا تزال تحتفظ بتحصينها وأحد أبوابها، تسمى "أغرام بابا سعد" وهي أثرية. ونستنتج أن غرداية مدينة كوسموبوليتية في وادي مزاب، وهي المدينة الوحيدة في بني ميزاب التي يوجد بها اليهود، ويرتفع عددهم إلى 200 أو 300 نسمة ويسيطرون على الصناعة في المدينة بإستثناء الصناعات الجلدية والنسيج الذي تشتغل فيه النسوة ككل المناطق الصحراوية¹، وتركزت الثروة في يد اليهود وبالتحديد تلك الفئة التي إنحصر نشاطها في تجارة الذهب وريش النعام وبعض سلع واحات توات، ويواصل وصف المدن الأربعة المتبقية في منطقة بني مزاب، وهي أقل أهمية من مدينة غرداية بعدها وينتقل إلى الحديث عن طباع بني مزاب، ويؤكد على نبل أخلاقهم وعزلتهم، تدينهم واجتهادهم في العمل ومدنهم نظيفة، ويمتهنون التجارة بكثرة، كما يتميزون بالتستر على خصوصيتهم الدينية. وما يمكن إستنتاجه كذلك عن المجتمع المزابي وسلطة الجماعة من خلال هذه الرحلة، أنه وكما في الفترات السابقة تمتع بنو مزاب بالإستقلالية في تسيير مجتمعهم وكانت علاقتهم بسلطات الإستعمار الفرنسي علاقة تسديد الضرائب فقط، وكل مدينة تسييرها الجماعة وتتشكل من الطلبة المرابطين في المساجد، والجماعة هي التي تُسير المجتمع المزابي وتخدمه وتقر القوانين وتسهر على إحترام تطبيقها وتعاقب المخالفين وتصدر الأحكام²، وفي ما يخص قانون العقوبات لديهم قانون خاص، فمثلا من يقتل مسلما يدفع دية تقدر بـ 2600 فرنك وينفى من البلاد وتقتطع الجماعة قيمة 200 فرنك من هذه الدية، وإذا كانت الضحية امرأة مسلمة أو يهودي تكون الدية 1300 فرنك، وإذا كانت امرأة يهودية تتخفف الدية إلى 700 فرنك، والعقوبة الأخرى هي غرامة 200 فرنك ونفي من البلد لمدة أربع سنوات لمغتصب فتاة صغيرة أو من يوجه كلاما لإمرأة متروجة، أما من يسرق فيدفع غرامة تقدر بـ 25 فرنك وينفى من البلد مدة سنتين مهما كان الشيء الذي قام بسرقة ويُدفع للجماعة غرامة تقدر بـ 50 فرنك ومن يقوم برمي الحجارة على غريمه يدفع غرامة 10 فرنك وفي حال القيام بضربه يدفع 2 فرنك. كما قدم إشارات عن المجتمع المزابي، فلباس بنو مزاب يشبه لباس العرب، أما تسريحة المرأة فتتميز بتقسيم الشعر إلى ثلاث أقسام ويسرح إلى الخلف وإستخدام قطعة قماش كبيرة تتدلى على جانبي الوجه ولباسهن داخل المنزل نفس لباس النساء العربيات لكن بأكمام قصيرة وأقصر طولا، وفي الخارج يلتحفن ملحفة طويلة وعريضة تغطيهم من الرأس إلى القدمين، ويبدو الرجال ذوي قوة وقامة أطول بالمقارنة بالنساء اللاتي يبدون قصيرات القامة، أما اللغة فهي بربرية تتمزج ببعض الكلمات العربية، كما يحاول الكاتب التعريف بتاريخ المنطقة ويشكو من قلة الوثائق التي تخص تاريخ البناء والتشييد، ويعرج على آفاق التجارة بين بنو مزاب وتوات ويدعو الإدارة الفرنسية لبذل جهود لتوثيق العلاقات مع واحات توات

¹Maurice Boubier., L'Évolution de l'ornithologie..., Op.cit., P.P.129, 130.

²Ibid, P.P.131, 132.

وفرض السيطرة الفرنسية على الصحراء، ويرى أن أحسن طريق يربط بتوات هو طريق متليلي عبر المنية الذي تكثر به الآبار، وإزدهرت بين بنو مزاب وتوات تجارة العبيد والنعام وريش النعام وبيض النعام وتبر الذهب، والحنة والملح وغيره¹، وأثناء الفترة الإستعمارية العديد من الدراسات حول المجتمع المزابي، وكانت المنطقة وجهة للعديد من الرحالة وموضوع ثري لكتابات الرحلة سواء المستكشفين من العلماء أو الضباط العسكريين في محاولة لفرض سيطرة الإدارة الفرنسية على التجارة العابرة للصحراء. ومنطقة الشعانية كذلك رصدها الكاتب، وقدم وصف دقيق لمختلف الجوانب، إذ يوصف المنطقة في حديثه المختصر عن "بلاد الشعانية الغرب"، ويرى أن "الشعانية" يتوزعون على ثلاث مناطق هي "متليلي"، "ورقلة" و"المنية"، وينتمون إلى قبائل "البرزقة"، "بوروية" و"أم ماضي"، وركز الكاتب على المنطقة الواقعة بين "متليلي" و"المنية"، وعُرف الشعانية بتجاهلهم للأوروبيين، ويقطن بمتليلي ما يقارب 1600 ساكن، ويرى الكاتب أن شكل المدينة مُحزن لكن في نفس الوقت منظرها خلّاب فإحدى الساحات تحيط بها منازل جيدة البناء، لكن في أعلى المدينة نجد الخراب والأنقاض، وتعتبر مدينة متليلي أقل إزهارا تجاريا، رغم إمتلاكها لمقومات التجارة بزراعتها وبساتين النخيل المزدهرة على طول 2 كلم، وهي كذلك تاريخها مجهول، وتنتشر الأودية بالمنطقة أشهرها وادي مسك، كما تنتشر الآبار التي ساعدت على سقي بساتين النخيل وبعض المزروعات، أما المنية فتتكون من مدينتين المدينة العليا مبنية على صخرة والمدينة السفلى في ممر قديم بمحاذاة المدينة القديمة "القصة"، وتنتشر بالمدينتين بساتين النخيل والآبار، ويقدر عدد سكان المنية ما بين 1200 إلى 1500 نسمة تلك الفترة، ويختلف بناء بيوت "المنية" عن "متليلي"، إذ تتميز منازل "المنية" ببنائها البسيط ويتكون المنزل من أربعة حيطان من الطين مُسقة بسعف النخيل ومقسمة إلى غرفتين أو ثلاث ويضاف إليها مساحة صغيرة جانب البيت، وهي تعتبر بناءات بدائية بالمقارنة بمساكن "متليلي"، والمنية مدينة بربرية سكنتها قبائل "زناتة" قديما، وأهم القبائل التي تسكنها "أولاد أمبارك"، "أولاد بن المقدم"، "أولاد بلخير"، و"أولاد طرش"، وسكنت قبائل زناتة قديما "قصة المنية" الشهيرة تي تحدث عنها "البكري" والعديد من الآبار المنتشرة في المنطقة، وينهي وصفه بتمني العثور على وثائق لتأريخ وتوثيق تاريخ المنطقة ما بين بلاد بنو مزاب إلى الشعانية²، وهنا حاول الكاتب الخوض في الجانب التاريخي. عموما كانت الدراسات الفرنسية حول الشعانية المجتمع العربي في المنطقة مرتبطة بدراسات المجتمع المزابي ومجتمع الجنوب، وكانت معمقة ومفصلة في عدة جوانب ومثلت هذه الدراسات مادة توثيقية للدراسات التاريخية.

¹Maurice Boubier., L'Évolution de l'ornithologie..., Op.cit., P.P.133, 134, 135, 136.

²Ibid., P.P. 138, 139, 140, 141.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: السكان المحليين في نظر الرحالة الفرنسيين: صور وإنطباعات عن المحلي وفضول الآخر.

أولاً: مظاهر الحياة الاجتماعية بالجزائر من خلال كتابات الرحلة.

أ: فضاءات المتعة للرجل المحلي.

1. حي السلاالم بالمدينة العتيقة بقسنطينة: حي المتعة وفضاء التنوع والإمتزاج.

2. بيوت المتعة في الأحياء العتيقة لقسنطينة.

ب: فضاءات المتعة للمرأة الحضرية من خلال اللقاءات والترفيه.

1. ترفيه وفرجة عربية: حفلة نسوية، غناء، رقص، عرض للأزياء وتجارة. 2. حي بنات أولاد نايل.

ج: المقابر والأضرحة، صور وإسقاطات.

1. المقابر الإسلامية: صور المقبرة بين الموتى والزوار.

2. الأضرحة والسكان المحليين: رمزية روحية وتعليم ديني.

د. الإحتفالات المحلية.

1. إحتفال الربيع.

2. إحتفال القديس كلود صورة من صور الإندماج الإقتصادي للسكان الأهالي.

ثانياً: السكان المحليين في عيون الرحالة الفرنسيين.

أ. المرأة المحلية والرحالة الفرنسيين.

1. صورة المرأة المحلية والنشاط الإقتصادي: نموذج فاطمة مرآة المجتمع الحضري الداخلي، عارضة للباس، نموذج للرسم ومثال للمرأة والتجارة.

2. صورة المرأة المحلية ومعاناة بيع الجسد، نموذج لتفكك القيم المجتمعية بسبب الإستعمار الفرنسي: نونة، سولايمة وفتيات القصبة.

2. 1. نموذج نونة فتاة تبيع جسدها الهزيل في بسكرة.

2. 2. نموذج سولايمة فتاة للبيع في الغرب الجزائري من خلال كتابات بيار لوتي.

2. 3. نموذج نساء القصبة الثلاث، صورة عن الآثار السلبية للإحتلال على أوضاع الجزائريين.

3. صورة المرأة المرابطة، نموذج لالة زينب بين التصوف والتسامح الديني من خلال كتابات الرحلة.

4. صورة المرأة والبئر: من نموذج جون لوران إلى دي لاكروا.

5. صورة ونشاط المرأة الصحراوية، بين الإلتزام الأسري والإندماج المجتمعي.

6. صورة عن لباس الحضريات من خلال نموذج فاطمة لـ"جون لوران".

ب. صور الأطفال في الجزائر المستعمرة بين الإستحسان والمتعة والإستغلال والإستهجان.

ج. صور الرجل المحلي بين التشويه عن المقاوم والإعجاب بالمرافق المتعاون.

الفصل الثاني: السكان المحليين في نظر الرحالة الفرنسيين: صور وإنطباعات عن المحلي وفضول الآخر.

أولاً: مظاهر الحياة الإجتماعية بالجزائر من خلال كتابات الرحلة.

نرصد الملامح الرئيسية للعادات الإجتماعية المحلية، كفضاءات اللقاء والمتعة بالنسبة لمختلف الفئات.

أ: فضاءات المتعة للرجل المحلي.

نقلنا هنا صورة الكاتب "جون لوران" عن فضاءات مدينة قسنطينة وغيرها من المدن التي زارها ورصد بها هذه الفضاءات، ويتركب هذا الأخير من المقاهي العربية والحانات وبيوت المتعة المنشرة بأحياء المدن العتيقة والتي باتت بؤرة لقاء للجنود والعسكر الفرنسيين بكل فرقهم وفئاتهم، إضافة للسكان المحليين والمستوطنين والرحالة والزوار.

1. حي السلام بالمدينة العتيقة بقسنطينة: حي المتعة وفضاء التنوع والإمتزاج.

يصف الكاتب "الوران" بأحد أعرق أحياء المدينة أو كما يسميه بحي السلام وذلك مرتبط بالدرج المرتبط بالشارع المؤدي للأحياء العتيقة بالمدينة، وكان هذا الحي نشط جداً، وبدأ بوصفه بأسلوب شاعري، إذ قال: "...أصوات الطبل (الدبكة) وحفيف الحرير وتموج النسيج، كلمات فرنسية بديئة ضحكات مبحوحة لإسبان أو مالطيون، ترانيم عربية، برانيس بيضاء وألبسة عسكرية براقة، روائح الورود، والقلي، أماكن مظلمة وزوايا شوارع مضاعة، أبواب تحمل آثار الخدوش وقعقة السيوف، خلفها ثقب الباب المشبك ونساء جالسات متزينات، فضاء لا يوصف من روائح المسك والزنجبيل والكحول متداخلة في عرق ولباس الجنود وكانت الخطوات والأصوات تملأ المكان، التدافع والتجمعات، لحشد محتفل يعلو التلاسن بين الحضور، فشارع السلام هو شارع البنات والدعارة على الساعة التاسعة مساءً في قسنطينة القديمة..."، ويعتبر الكاتب هذا الشارع الرائع بمقاهيه العربية النشيطة ومرتاديه وحركته أكثر حيوية من شوارع القصبة بالعاصمة التي يراها ميتة وتنام مبكراً على الساعة الثامنة مساءً إذ تصبح القصبة كحي الأشباح، فقصة قسنطينة تعج بالحركة وتجد العرب والزواف والصباحية بملابسهم المميزة، والأهالي القادمين إلى مدينة الفرح، وفي كل جانب من الشوارع يوجد دكاكين الحلويات والمقاهي العربية، وحشود الجنود الفرنسيين في الحانات المالطية¹.

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique..., Op.cit., P.P. 177, 178.

قدم لنا الكاتب تعريفا بأهم الأحياء العتيقة بالمدينة، ورصد مجمل المظاهر التي صادفته بها، وجذبه التناغم بين الفئات المجتمعية، والشوارع النشطة والأضواء ووصفها بمدينة الفرح، كما بين دخول العادات الدخيلة على النسيج الإقتصادي للمدينة أو إن صح التعبير نسيج النشاط السكاني، كإنتشار الحانات الأوروبية وبيوت الدعارة الفرنسية والإسبانية مع أنه كانت موجودة في الفترة العثمانية لكن أقل حدة بالمقارنة بالفترة الإستعمارية، وما كان لها من تأثير سلبي على المجتمع المحلي ونشر عادات غريبة مرتبطة بالمحتل ومُفككة لمجتمع المدينة المحلي، وهذا ما حدث في المدن الأخرى كذلك في كل البلاد ودون إستثناء، وبدرجات متفاوتة تتناسب وطبيعة المدينة وفضاءها الجغرافي وأهميتها الإستراتيجية بالنسبة للإدارة الإستعمارية وتماشيا مع سياسات الميثروبول في المستوطنة.

2. بيوت المتعة في الأحياء العتيقة لقسنطينة.

هي بيوت البنات والحمامات الحضرية في فضاء ضيق وحركة لا تتوقف وأشخاص بكل الأزياء، حتى من أحياء الخيالة والثكنات يتجولون بهذا الحي قاصدين بيوت البنات، وتقع في بيوت منخفضة على أبوابها شبابيك تظهر من خلفها تجمعات لنسوة مزيّنات يرتدين ألبسة تقليدية، ذات ألوان جذابة جالسات في ساحة مبيضة بالجير تزينها أعمدة كقصور القصص الخيالية مع روائح البخور في المكان، وكانت النسوة ممثلّات الجسم وتقريب جلهن يهوديات، وجوههن مزيّنة بالألوان ويوصلن الحاجبين بالكحل مما يجعلهن جذابات بطريقة غريبة ويضعن أوشحة فضية براقّة ومبهجة بالأخضر والبنفسجي البراق المزيّن، وبعضهن بتسريحات شعر النايليات وبالسلاسل الذهبية المتدلّية على الجبين وظفائر الشعر الطويلة المحيطة بالوجه، وخدودهن حمراء وأيديهن بها الوشم ومخضبة بالحناء¹. من خلال ما رصد الكاتب نستنتج التأثير السلبي للإستعمار في المدينة خاصة مع إنتشار وإزدياد هذه الظاهرة التي كانت محدودة جدا في الفترة العثمانية، وأصبحت جزء من السياحة في المستوطنة وبذلك إزداد الجذب للزوار، كما حاولت الإدارة إغراء الفرنسيين والأوروبيين عموما على الإستيطان في البلاد بجعل المستوطنة في المخيال الغربي مستوطنة الملذات والحياة الممتعة ومستوطنة الأحلام والشرق الساحر، أين يتوفر كل شيء، الأرض، الشمس، الخيرات، وسائل الراحة ودور المتعة والنساء.

ب. فضاءات المتعة للمرأة الحضرية من خلال اللقاءات والترفيه.

كان للمرأة الحضرية فضاء خاص يعتبر مكانا للقاء والمتعة والإطلاع على مستجدات الألبسة والأزياء، وتبادل أطراف الحديث أو عقد الصفقات، وفي تصوري الشخصي صورة المرأة المحلية في تلك الفترة هي مماثلة للفترة العثمانية أي في نهايتها حسب ما رصدناه من خلال دراستنا، لأن الصورة

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique..., Op.cit., P.P. 179, 180.

تُرصَد بتراكمات أجيال وفترات طويلة ولم يكن من الممكن أن تتغير هذه الصورة بمجرد دخول الاحتلال والذي أثر على حياتها، لكنه لم يغير عاداتها التي رافقتها عدة قرون فالمرأة كانت تتمتع بفضاء خاص بها نفتقده اليوم، كما كانت لديها حرية ذاتية مهما كانت محصورة فهي مُبهرة فنجدها تشتت في عقود الزواج شروطاً لا نشترطها اليوم مثل عدم زواج زوجها بامرأة أخرى، أو عدم إرجاع زوجته الأولى، أو تربية أبناءها من زواجها السابق، أو عدم إسكانها في البادية، أو عدم قيامها بأعمال خارج البيت كجلب الحطب والماء، أو عدم إسكانها بعيداً عن بيت أهلها، وغيرها من الشروط التي تتم على حرية وسلطة ذاتية للمرأة في شؤونها ويُخيل لي شخصياً أنها كانت ذات مكانة أفضل من مكانتنا حالياً ووضع إجتماعي مُميز.

1. ترفيه وفرجة عربية: حفلة نسوية، غناء، رقص، عرض للأزياء والتجارة.

ينقل لنا الكاتب حفلة للنساء الحضريات بدعوة من فاطمة ببيتها إذ أرسلت في دعوتهم، وكانت في إنتظار المدعوات جالسة في غرفة الضيوف، وتجملت بمساحيق التجميل خدود وردية وشفاه حمراء فأصبحت كالدمية، وكانت تتقلد الحلي وأسنانها كحبات الأرز وترتدي ألبسة حريرية خضراء وبنفسجية وكانت إحدى الخادومات تتجول بالبخور في المكان، وكان وصول المدعوات بالتوالي وكن جارات فاطمة في الحي وقاطنات القسبة وصديقاتها ومعارفها، فكن يصعدن الدرج بعد نزع لحافهن الحايك وكن متزينات مثل فاطمة، بلباسهن المميز وسراويلهن الحريرية الفضفاضة ويضعن عصاية رأس تميل للون الأزرق تعلق أوشحة حريرية خضراء ووردية، يلقين التحية على بعضهن بوضع الأيدي على العين اليمنى والشفاه ثم يجلسن على زربية من الحصر، وكانت كل مدعوة ترافقها خادمة أما الثريات منهن فترافقهن خادمات أو ثلاث وكل الخادومات يقفن في الحائط، في حين كانت خادمة فاطمة المغربية تقدم القهوة التركية للمدعوات في فناجين صغيرة، مع أصوات فرقة موسيقية تستخدم الناي والمزمار والدربوكة وكانت الفرقة في غرفة منفصلة يفصلها حائط محكم الغلق بيهم وبين النساء اللاتي كن الواحدة تلو الأخرى ينزعن أحديتهن، ويقمن للرقص بحركة ذهاب وإياب في نفس المكان مع تحريك للبطن، وبقيّة النسوة كن يصفقن مع إطلاق زغاريد الفرقة¹.

2. حي بنات أولاد نايل.

إشتهر حي النايليات ببسكرة، وكان يحج إليه الرحالة والزوار أثناء عبورهم للمنطقة ويصفه "لوران" في مشهد يحاكي الأحياء المعلمية والكلاسيكية للدعارة كالأحياء الأوروبية خاصة الفرنسية والإسبانية، صور عن نسوة مدججات بالحلي ومتزينات يجلسن في الشارع يحتسين القهوة ورائحة

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique..., Op.cit., P.P. 123, 124,125.

البخور تملئ المكان، جاهزات للعرض وتكثر الحركة أمام أبواب أماكن المتعة حيث النساء بلباسهن الملون وحليهن وزينتهن بالكحل والحناء يتجولن في الطرقات جالسات الجلسة التركية، وبعضهن جالسات أمام دكاكينهن أمام البخور والروائح فتنبعث من المكان، وينقل "لوران" صورة أخرى عن إمرأتين في حي النايليات ببسكرة الذي يعتبره الكاتب حي جذب ومجد للدعارة ببسكرة، يقول أنهما من مصر وهما أختان تعيشان في الحي، مباركة سمراء وتلبس ثوب من الديباج بأكمام عريضة أما مريم فهي نحيفة بستره حريرية خضراء مطرزة ذهبية، بتسريحة شعر مختلفة بإستعمال الحرير البنفسجي والشاش الأسود، وإهتم كثيرا الرسامون الأوروبيون بهذه التفاصيل فكل قطعة من اللباس لديها قيمة جمالية مغبية من الشرق أين الشمس تسيطر على الألوان، تتجول الأختان يدا في يد في شوارع الحي ويضعون أزهار الرمان وراء الأذن أو في الأنف كسمة من سمات الأناقة الأنثوية، ومن خلال ما رصد الكاتب كانت الأختين تقومان بالعرض للرسامين والزوار وتقدمن القهوة وترقصن في المقاهي وهو عموما نفس ما كانت تقوم به نسوة الحي النايلي إذ كانت الأخت الكبيرة هي المسؤولة "عن بيع أختها الصغيرة" كما يعبر عنه "لوران" وتشتترط على الزوار لفرجة فقط كان يأتيها الجنود والأهالي وقادة القوافل وشيوخ القبائل العربية المجاورة وأعضاء من أفواج المشاة الفرنسيين يدقون على بابها، لكن مباركة كانت تستقبل مساعدتي الجيش وضباط الحامية والرسامين الفرنسيين والسواح الإنجليز الأثرياء وكانت الأختين كما تدعيان حسب تعبير "لوران" تعرضان جسمهما أمام الزوار وتقدمان القهوة فقط. ويتساءل الكاتب عن سبب قيام الأختين بهذا الأمر رغم ثراءهما، فالواحدة منهما ترتدي ثلاث قلائد ممثلة بالقطع النقدية الذهبية بالفرنك والدولار، ويقدمان القهوة في بيتهما ويعرضان جسمهما عاريا للزوار، وفي المساء يرقصن في مقهى عربي ويدفع لهما الرسامون الأمريكيون وسائحون فرنسيين وفرنسيات ثريات يبحثن عن المتعة والفرجة والفضوليين من كل البلاد، وكان مكان العرض عبارة عن مستودع كبير نصفه مقهى عربي ونصفه مكان لتدخين الحشيش وكان ممتلئا بالصباحية والأهالي¹. ومن خلال هذا العرض نرصد صورة أخرى عن المجتمع المحلي بالبلاد، وهذه الصورة نجدها تتكرر في جميع المدن من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب وفي المدن الكبرى والقرى وبين المراكز المدنية والبدوية بالأرياف وهي ظاهرة النايليات أو من مناطق أخرى، وكما ينقل الكاتب حتى الأجنيبات العربيات كالمصريات وبالتأكيد الأجنيبات من كل الجنسيات الأوروبية خاصة الفرنسية والإسبانية، ولا ننسى التنظيم التي حظيت به هذه المهنة منذ الفترة العثمانية وسنت السلطات الفرنسية قوانين تنظيمية أخرى، لكن يبدو أن النايليات كن يمارسن النشاط بحرية خاصة مع تزايد النشاط السياحي وكثرة الزوار إلى المستوطنة من مختلف الجنسيات الأوروبية إذ جعل الاحتلال الجزائر مستوطنة الشرق الساحر مستغلا النساء والأطفال المحليين للترويج للسياحة والإستيطان وضمان

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique, ..., Op.cit., P.P. 207, 206, 208, 209, 210.

مداخل إضافية، كما نلاحظ ظهور بعض المفاهيم والممارسات بين النساء المحليات كموضة العرض للرسامين وحتى الزوار وفتح البيوت للزائرين الرحالة وتقديم القهوة وعرض اللباس والحلي والزينة والحفلات المحلية التي يحضرها الأجانب في فعل إقتصادي جلب مداخل للمرأة في ظل الإحتلال الفرنسي الذي دمر البنى التحتية للمجتمع الجزائري المحلي وفقده وحد من مداخله، وبالتالي جعل الإستعمار الفرنسي من الجزائر مستوطنة للسياحة الإستكشافية والإستجمامية والجنسية غذاها الفضول لمعرفة الآخر وسحر الشرق والإستشراق ونشاط الرحلة والحركة الفنية كالكتابة والرسم خاصة الذي يستلهم مواضيعه من المرأة والمجتمع المحلي.

ج. المقابر والأضرحة، صور وإسقاطات.

1. المقابر الإسلامية: صور المقبرة بين الموتى والزوار.

المقبرة مكان مقدس للسكان، وكانت محط لقاء يجمع أطراف المجتمع في أحزانه، فهي مكان للدفن واللقاء والتعلم والتسول واللعب لفئة الأطفال، ومكان للرقود بسلام للأموات، ومكان للتجمع في سلام للأحياء وبالتالي جسدت المقدس، وحاولنا في هذا العنصر رصد صور إستتبطناها حول المقبرة. أول صورة نستتبطها هي أن المقبرة مدينة الاشباح في نظر الرحالة، وفي زيارة الكاتب "لوران" إلى مقبرة إسلامية أول ما يصفه مشهد لمجموعة من النسوة الحضريات ملتحات، وشدة الرحالة تفاعل الأهالي مع موتاهم وحديثهم إليهم، وهذا ما قرأناه في كل ما كتب من طرفهم حول المقابر وزيارة النسوة وحديثهن لموتاهن، وما يميز المشهد صور النسوة باللباس التقليدي، وكذلك صلواتهن ودعائهن لهم. كما كانت المقبرة فضاء للراحة والتسول، فالمقابر كانت ولا زالت أماكن ذات حرمة وقديسية في المجتمع الجزائري، ومكان آمن للبعض، ويقدم لنا "لوران" صورة عن المقبرة كمكان فسحة وراحة لأحد المتسولين البدو رفقة إبنته الذي جاء لزيارة قبر زوجته ومعه إبنته ذات العشر سنوات، وكانت ترتدي حليا تقليديا يوازي حلي النابليات من الأساور والقطع الذهبية النقدية، وكانت في شكل أميرة صغيرة بعيون سوداء كبيرة ووجه شاحب وأقدام حافية، وحمل معه الطعام وكان يعده ويتكون من القليل من التمر والكسكس في إناء مغطى بورق التين، وكانت إبنته تنتظر الطعام، وعبر الكاتب عن إعجابه والمجموعة المرافقة له بمشهد هذا المتسول البدوي رفقة إبنته التي توجهت نحوهم تطلب النقود¹. من صور المقبرة الإسلامية أيضا، أنها كانت مكان لإقامة الجنائز والدفن وتوزيع الصدقات، إذ يصادف الكاتب "لوران" جنازة في المقبرة أين توافد عدد كبير من المسلمين ببرائيسهم ولباسهم خاصة الجبة، ويصفه بالعرض الطويل في المقبرة عند تشييع جنازة أحدهم، وعبر عن ذهوله للعدد الكبير

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique,..., Op.cit., P.P. 38, 39,40,41.

للموكب الجنائزي، ووصف نفسه بالمحظوظ بحضور تأبين إسلامي بهذا المكان المدهش، وصل الركب إلى المقبرة حاملين نعوش الجثمان الثلاثة في حين لا زال الحضور يتوافد من المدينة، ووصل عدد المشيعين حوالي أربعمئة شخص إضافة إلى من كان في المقبرة، وكان الحزن باديا عليهم وأقاموا الصلاة والدعاء للموتى، ويصف طريقة الدفن بالتفصيل، ونقل حادثة إثر الدفن إذ يقول: "...بعد إنتهاء عملية الدفن كان توزيع قطعة نقدية لكل الحضور وكانت ضجة وتدافع كبيرين..."¹، وهذا من عادات التصديق على الموتى ومؤشر على ثراء عائلات الموتى ومكانتهم الإجتماعية خاصة عدد الحضور. من خلال هذه القراءة كانت المقبرة مكان جامع للسكان، إذ يتجمع أهالي الموتى في زيارات يعتبرها الغربيون وفاء للميت خاصة عند رؤية النسوة في حزن يبكين ويكلمن موتاهن، ولا يقتصر الزوار على النساء بل الرجال كذلك، كما أورده "لوران" في حديثه عن المتسول الذي جاء لزيارة قبر زوجته وقطع عدة كيلومترات للوصول إلى المقبرة والبقاء مع فقيدته لساعات برفقة إبنته، ورصد أيضا صورة جنازة لكن لم يفسر ما رآه خاصة الصدقات التي كانت توزع على الناس بعد الدفن وهذا مؤشر عن الحياة الإجتماعية والعادات بين السكان، خاصة التصديق على الميت بعد تشييع جثمانه، وتبقى هذه الصور التي ينقلها الرحالة صامته في كثير الأحيان وغير مفسرة أو مفسرة بالخطأ لجهل عادات الآخر. من الصور الأخرى المقبرة والزاوية، فعادة ما تكون المقبرة خارج أبواب المدينة، وفي نموذجنا تقع المقبرة بمحاذاة الزاوية، وينقل "لوران" نموذج مقبرة الكبير بالبليدة وتقع خارج القرية في مرتفع والطريق المؤدي إليها مليء بأشجار الزيتون والنباتات، وتظهر من بعيد حجارة القبور البيضاء وقبتي الضريح وعند الإقتراب من المقبرة سمع الكاتب أصوات قراءة الأطفال لآيات قرآنية ولمح الألواح، ووصف المشهد بالمدرسة العربية وأعجب بمنظر الأطفال، وبعدها تعرف على هذه الزاوية الخاصة بالمكان. والصورة الأخيرة التي إستخلصناها هي كَوْن المقبرة الإسلامية مزار وفسحة للأطفال، وهي متداولة ومنقولة من العديد من الرحالة، فنجد بالتوازي مع صورة النساء الحضريات أو العربيات ملتحات في المقابر والحديث مع موتاهم، نجد "جون لوران" ينقل لنا صورة بنات صغيرات في مقبرة البليدة حيث إجتمعن وسط المقابر يرتدين حلي معدنية، ويشبههن الكاتب بالهنديات الصغيريات في مقبرة الدمى، إذ جعلن قبتي الضريح إلى مكان لعب وأشجار الزيتون التي تزين المكان إلى مروج.²

2. الأضرحة والسكان المحليين: رمزية روحية وتعليم ديني.

للأضرحة مكانة لدى السكان المحليين، ونرصد جزء من الصور التاريخية والحضارية المرتبطة بالأنثروبولوجيا الثقافية والإجتماعية والدينية للجزائريين، ومن بين الأضرحة المعروفة في الغرب

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique,..., Op.cit., P.P.41, 42,43, 44.

²Ibid., P.P. 94, 95, 96, 97.

الجزائري ضريح "سيدي بومدين" بتلمسان والذي إشتهر بين السكان ومثل ضريحه مزارا، ويرصد "لوران" الضريح بعد زيارته للمدينة الأثرية المنصورة، ويقع في أنقاض مدينة قديمة يصفها "لوران" بالمدينة الميتة في مسجد مزين بالفسيفساء والبرونز، ويُفصل في وصفه الداخلي إذ إنبهر بالفسيفساء وجمال ألوانها وما يحتويه من معالم، كالبنر والمقتنيات التي تُودع هناك، إضافة إلى منظر الرواد من الزائرات المسلمات للضريح ودعائهن، خاصة اللاتي يعانين من العقم والأمراض وغيره مما يشاع عن بركات المرباط، وما لفت إنتباه الكاتب هو جمال الطريق المؤدي للضريح من بيوت مبيضة بالجير والنباتات والأزهار وإخضرار المكان، والمياه التي تجري في أطراف الطريق والروائح الطيبة بالأرجاء. وعن صورة المرباط نقل الكاتب "جون لوران" في وصفه لوادي الرمال صورة مرباط يعيش في مغارات الوادي ويزوره الناس ويتصدقون عليه ويطلبون مشورته، إذ يعبرون طريق وعر للوصول إليه وكما يقول "تخاف الماعز النزول عبره"، وكان المرباط ذا مكانة وشرف كبيرين بين السكان وإنعزل في مصب النهر أين تتجمع الأوساخ¹، وتعجب الكاتب من مدى إحترام الناس له والمداومة على زيارته وحظي المرباطين بإحترام السكان والملاحظ أن صورة المرباط والولي كانت غامضة بالنسبة للآخر.

د. الإحتفالات المحلية.

نقدم بعض النماذج عن الإحتفالات المحلية التي رصدها الرحالة الفرنسيون بمستوطنة الجزائر.

1. إحتفال الربيع.

الربيع في الجزائر أسر بالنسبة للرحالة الفرنسيين، وهذا ما عبر عنه الكاتب الرسام "جون لوران" الذي بدأ بالحديث عن ربيع الجزائر بإزهار أشجار اللوز المحلية ومنظر العاصمة في الربيع وفي الأحياء من بوزريعة إلى الحراش إلى القصبة وساحة الجمهورية منظر السماء، وإخضرار الساحات والبحر يبهج المكان، في أسطح المباني والمقاهي الممتلئة بالناس من كل فئات المجتمع المحلي والأجنبي، فهو يرصد الجميع من الصبايحية بالمعطف الأحمر الطويل إلى المعمرين بمختلف أزياءهم إلى الأهالي إلى ملمع الأحذية إلى العربات التي تتجول في المكان الدافئ والسماء الصافية إلى المقاهي الفرنسية في الفضاء المفتوح والتي تغطي ساحاتها لحماية مرتاديها من أشعة الشمس إلى المقاهي العربية بكل ما تحمله من سحر، كل هذه الحيثيات ولدت منظرا يمنح شعورا بالراحة والتنوع والثراء والجمال في شوارع العاصمة²، ويرصد الكاتب "لوران" الإحتفال بالربيع بعد إزهار أشجار اللوز وينقل الكاتب بذهول كبير هذه الإحتفالية التي تدوم ثمانية أيام ويفتخر بها الجزائريون كثيرا، إذ بعد

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique..., Op.cit., P.P.34, 35,36, 175, 176.

²Ibid., P.P. 112, 113.

إزهارها يقوم الأطفال ببيع فروع الأشجار مزهرة للمستوطنين والزوار، وتعلق في واجهات المنازل والفنادق في إعلان عن دخول فصل الربيع، ويصف الكاتب المشهد بالياباني، وتتأثر الأزهار في كل مكان وروائحها التي تشبه رائحة العسل والسماء الأزرق وغيره في تعبير شاعري عن المنظر الأسر خاصة الإنتشار الكبير للأزهار التي غمرت المكان، فالأهالي في القصة يمضغون الأزهار أو يتزينون بها على رؤوسهم أو يضعونها أساور في أيديهم والشيء نفسه بالنسبة للمعمرين والزوار، وهذا الإحتفال بفصل الربيع في شوارع الجزائر يحياه كل السكان دون إستثناء¹، ويعتبر هذا الإحتفال الذي رصده الكاتب من أنذر الأحداث التي صادفت الرحالة وتم رصدها، وهي جزء من الإرث الحضاري المرتبط بالعادات والتاريخ الثقافي للجزائر الذي إندثر في وقتنا الحالي ولكنه ظل من التراث العالمي.

2. إحتفال القديس كلود صورة من صور الإندماج الإقتصادي للسكان الأهالي.

تعرض الرحالة إلى التعريف بأحياء وأزقة العاصمة ورصدوا الإحتفالات المحلية والمشاركة بين الأهالي والمستوطنين، ومنها إحتفال القديس كلود الديني بكنيسة السيدة الإفريقية بالجنوب الغربي للعاصمة مقابل منطقة سيدي محمد بعد أحياء باب الواد والحي البحري، أين يكتظ الإسبان والمالطيين وتنتشر الحشائش والأحراش على حواف الطريق والمنازل الفخمة التي تنتشر بحدائقها أشجار النخيل والورود، وهذه المنطقة يلجأ إليها الفرنسيون في العطل للإستمتاع بالراحة والهدوء والبحر، ويرصد الكاتب "لوران" هذا الإحتفال الذي شارك فيه كل السكان حتى العرب، إذ إجتملت النسوة من كل مكان ومن كل الجنسيات وكذلك الحضريات بلباسهن الحريري والأطفال بالسكاكر، وكانت مظاهر الإحتفال على طول الطريق من باعة المرطبات إلى الحانات ومحلات باعة الميداليات و باعة السجق في الهواء الطلق والمشروبات وعصير الليمون، وكان الصراخ يعلو المكان بكل لغات البحر المتوسط وأطفال الآباء البيض يستعرضون في الشوارع، وكان جميع الأوروبيين يصلون في الكنيسة ويدعون للشفاء أو لتحقيق الأحلام، وكنيسة الأم الإفريقية تصلي للجميع المسلمين والمسيحيين حسب تعبير الكاتب². وننقل هذا الإحتفال لنبين دور الأهالي المسلمين التجاري ونشاطهم الإقتصادي، إذ أنهم كانوا يشاركون في المناسبة بالبيع والمتاجرة متجولين وسط المحتفلين، وكانوا محافظين على الصلوات في مؤشر على التمسك بالدين الإسلامي، إذ يقيمون الصلوات في الخارج أثناء نشاطهم كما يصفهم الكاتب "لوران" ويقول يصلون صلاة لا أفهمها، وكان هدف حضورهم هذه الإحتفالية هو لممارسة التجارة وبيع المنتجات والسلع للزوار، خاصة مع الأعداد الكبيرة للمحتفلين ونشاط حركة البيع والشراء بذلك اليوم.

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique..., Op.cit., P.P.107, 108, 109.

²Ibid., P.P. 142, 143,145, 147.

ثانيا: السكان المحليين في عيون الرحالة الفرنسيين.

نرصد السكان المحليين في عيون الرحالة الفرنسيين من مختلف الجوانب الحياتية التي ندرس فيها المرأة والطفل والرجل وكل ما يرتبط بالجانب الإجتماعي التاريخي، ولكن نحاول أن لا ننجذب في المعطيات الإجتماعية كثيرا لسببين رئيسيين كما قدمنا في مقدمة العمل، أولهما فرض الجانب التاريخي وثانيهما تفادي التعمق في دواخل علم الإجتماع مع أنه علم مساعد للتاريخ وجزء متداخل معه ولا يمكن فصله، لكننا فضلنا ترك هذا الجانب للمختصين من علماء الاجتماع.

أ. المرأة المحلية والرحالة الفرنسيون.

شكلت المرأة عنصراً رئيساً في بناء نصوص رحلات لتلك الفترة الزمنية ومكوناً أساسياً للسرد فتميزت مُتون الرحلات بحضور الأنثى فيها حضوراً فاعلاً ومؤثراً ومشاركتها في الفن السردى على وجوه متنوعة وبمستويات متعددة من خلال أدوارها وأوضاعها الإجتماعية المختلفة، وذلك وفق طبيعة التكوين الثقافي والإجتماعي للمجتمعات التي زارها الرحالة آنذاك، وقدرة المرأة على البوح بمكنونها والتعبير عن شجونها وشؤونها في قضايا أنثوية خاصة بها أو قضايا عامة مختلفة ذات علاقة بمحيطها الإجتماعي والسياسي، وهو يعد لونا من ألوان الأدب النسائي الذي يتمحور حول وعي المرأة بذاتها ودورها في الحياة بأبعادها المختلفة، ورغم ذلك فحديث الرحالة العرب والمسلمين عن المرأة جاء متبايناً ومحتشماً لتباين البلدان التي زاروها واختلاف أزمنتهم ومستوياتهم الثقافية وتوجهاتهم الفكرية¹. وتكتسي أهمية دراسة صورة المرأة في المجتمعات المختلفة والأمكنة المتباعدة والحضارات المتباينة وهي في إطار دراسات الأدب المقارن الذي يهتم بالصور التي ينتجها الرحالة عن بلد زاره وكتب عنه وهي صورة قد تطابق الواقع أحيانا أو تتبع من التمثيلات السائدة أحيانا أخرى، ومدونات الرحالة لم تعكس صور المرأة المغيرة للآخرين، بل تجاوزتها إلى إصدار أحكام قيمية مستمدة أساساً من الثقافة الدينية للرحالة العرب والمسلمين وتكوينهم الفقهي، والنصوص المتعلقة بالنسوة أشبه بلوحة كبيرة تضم داخلها صورا صغيرة لا تستقل بنفسها ولكنها تكون جزئيات منها، وتكون بتفكيك بنيتها وإستنتاجها والكشف عن دور المرأة في النسيج الثقافي والإجتماعي والسياسي في المجتمعات التي زارها الرحالة². وخلال فترة الإحتلال الفرنسي حظيت المرأة المحلية بالجزائر بإهتمام كبير من الرحالة الفرنسيين من حيث الرصد والسرد، ونقدم نماذج أساسية ومُميزة للخروج بقراءات متنوعة وثرية عن وضع المرأة.

¹ إنعام زعل القيسي، صورة المرأة في أدب الرحلات من القرن الرابع الهجري إلى نهاية القرن الثامن الهجري (الرؤيا

والتشكيل)، المرجع السابق، ص.2.

² المرجع نفسه، ص.4.

1. صورة المرأة المحلية والنشاط الإقتصادي: نموذج فاطمة مرآة المجتمع الحضري الداخلي، عارضة للباس، نموذج للرسم ومثال للمرأة والتجارة.

آثرنا عرض نماذج مميزة وإستثنائية للمرأة الجزائرية أثناء الإحتلال الفرنسي وبالضبط في القرن التاسع عشر، وحاولنا تقديم نماذج غير كلاسيكية وعرضها من زاوية تاريخية محضة في هذه الدراسة. ما إستنبطناه في دراسة نموذج فاطمة هو أنها أصبحت معلم من معالم العاصمة وفقرة مبرمجة في جولات الزوار، ففي الجو الربيعي للعاصمة تعرف الكاتب "جون لوران" على فاطمة التي تمثل جمال المرأة المحلية التي إتبعته الموضة، وتوطن في بيت موريسكي في حي الثورة، فتحت أبوابها منذ خمس سنوات للزوار مقابل قيمة مالية تتراوح ما بين عشرة إلى عشرين فرنك فرنسي وبفضل فاطمة تمكن الزوار الفرنسيون خاصة سائحي "وكالة كوك" من التعرف على داخل البيوت العربية، وكانت فاطمة ترسل من يبحث على الزبائن بين الزوار في الفنادق الكبرى في العاصمة، إذ تُضيفهم بتقديم فنجان قهوة مجانا وكانت القيمة الكاملة للزيارة نصف قطعة ذهبية أو نصف فرنك ذهبي، وعملت على بيع قطع من الطرز الجزائري والألبسة العربية والألبسة الحربية وقطع من المخمل الشرقي، وكانت أسعارها حسب الكاتب أغلى من أسعار محلات المقتنيات الأثرية بباب عزون وتوافق فاطمة على نزع غطاءها أمام الزوار مقابل خمس إلى ستة قطع نقدية ذهبية، وعُرفت بكونها امرأة الموضة في العاصمة، إذ كانت زيارة فاطمة ضمن برامج السياحة التي تُعرض على الزوار والرحالة القادمين للجزائر العاصمة كزيارة الحمامات العربية ودور الدعارة الإسبانية، ففاطمة الجميلة كانت علامة مصنفة ضمن قائمة الفرجة للزوار، وينقل لنا الكاتب "لوران" لقاءه صدفة في إحدى المرات في شوارع العاصمة فاطمة الأنيقة التي داع صيت جمالها، وحسب وصفه كانت طويلة ورشيقة ترتدي سروال أبيض حريري فضفاض وتلتحف بحايك شفاف في أناقة ورشاقة لم يسبق وأن لوحظت لدى أي امرأة شرقية، تلبس حذاء خفيف ومسطح أسود وترافقها إحدى خادمتها¹، وكان له لقاء بفاطمة في محل "براليس" "Baralice" مقابل البحر في شارع الجمهورية، دخلت فاطمة المحل وتحدثت إليه وعاتبته بلغة فرنسية على عدم زيارته لها منذ مجيئه لمدينة الجزائر، أعجب "لوران" بجمالها ويصف أنها كانت ذات بشرة بيضاء تضع كحلا وذات جمال مميز، أنف مستقيم وشفاه صغيرة ومهتمة بأظافرها وذات عيون سوداء واسعة وجذابة، وأخبرته عن عدد من الشخصيات المشهورة التي زارتها، ككل من "سارة بارنهارد" "Sarah Bernhardt" التي أهدتها قفازاتها كتذكار و"كوبي" "Coupée" و"ليار لوتي" وآخرون، وطلبت منه زيارتها لشرب قهوة في بيتها، وأخبرته أنه عندما يأتي لزيارتها ستريه قفازات "سارة" وواصلت ستعطيك السيدة "براليس" عنواني ووضعت الحايك وخرجت من المحل²، وهذا دليل عن قوة شخصيتها.

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique, ..., Op.cit., P.P. 113, 114, 115.

²Ibid., P.P. 116, 117.

ومن الصور المستتبطة عن هذه الشخصية النسوية المحلية، أنها مثلت سحر الشرق وجسدت صورة من صور ألف ليلة وليلة، وحسب وصف الكاتب "لوران" كان منزل فاطمة يقع في شارع الثورة في الحي البحري في شارع ضيق ومظلم في حي الجزائر القديمة، وباب المنزل منخفض ومطلي بالجبر ولا توجد نوافذ تطل على الطريق، وكان الباب به قطعة برونزية من أجل طرق الباب، وبعد إنتظار جاءت خادمة زنجية وأخبرته بتعذر اللقاء بسبب جنازة صهر فاطمة لكن "لوران" أصر على الزيارة غادرت الخادمة وعادت بعد مدة وكلمته عبر ثقب موجود بالباب، وأخبرتهم بدفع عشر فرنكات للشخص، فدفعوا لها قطعة نقدية ذهبية لتسمح لهم بالدخول للمنزل الذي كان مظلماً وصعدوا الدرج بالشموع، وكان المنزل من الداخل مثل قصور الحكايات الخيالية الشرقية بالساحة والأقواس واللوحات والفسيفساء مع النباتات وأشجار البرتقال التي تزين المكان ونافورة المياه، ويصف ديكور الساحة والمنزل جزء منه يمثل حلم وجزء يعتبر واقع في إشارة إلى جمالية المكان الأخاذ، وتتبعث من المكان روائح العطور والأزهار، وتستعرض ثلاث طيور طاووس بيضاء في الساحة ويوجد قرد مربوط قرب حوض الماء الذي تتجول فيه السلاحف وكانت قد زينته بألوان الزينة في وجهه، وإنتهى المشهد الشرقي الساحر بدخول "لوران" إلى غرفة إستقبال فاطمة لضيوفها إذ كانت غرفة أوروبية محضة بكل مقتنياتها من السرير إلى الخزائن إلى الزرابي تزينها مزهية خرفية مليئة بالورود ومقتنيات أخرى كلها صناعة فرنسية، ومثل المشهد خيبة أمل للكاتب الذي سحره جمال وهندسة الساحة الشرقية ليجد غرفة فاطمة فرنسية وإستقبلته فاطمة بحسن ولباقة، وكانت جالسة على الطريقة التركية وأرجلها مربعة على الديوان [ويقصد بها الأريكة] تستند على وسائد مربعة صغيرة ومزينة، وبأمر منها قدمت الخادمة القهوة للضيوف في فناجين صغيرة، ورشت الضيوف بالعطر في مرش العطر النحاسي التقليدي، وينتقد مرة أخرى الأثاث الفرنسي في غرفة فاطمة حيث ينقطع سحر الشرق على حد قوله¹، فالشرق مبتغاه هنا. وآخر صورة عن فاطمة بين العرض لصورة المرأة الحضرية بلباسها وحليها وبين العرض التجاري ببيع ألبسة تقليدية لزوارها، إذ إستقبلت فاطمة ضيوفها بستره حريرية بيضاء مطرزة بخيوط رقيقة من الذهب، تضع على رقبتها عقد من أزهار الياسمين، تلبس حلي في يديها وأرجلها، وقصت عليه أنها من عائلة ثرية وذات سلطة لكن دُمرت بسبب اليهود، وعرضت عليهم بيع فساتين عربية للنساء من أجل صديقاتهم بفرنسا، وظلت صورة الفناء الشرقية في مخيلة الكاتب، ونزلت معهم فاطمة إلى بهو المنزل حيث المنظر الذي مثل سحر الشرق بالنسبة لـ"لوران"²، من خلال ما سبق فالكاتب أنهى زيارته بإنطباع سيء حول فاطمة، لكن ذلك ينم عن عنصرية الكاتب التي شملت العنصر العربي من خلال رحلته، فهو لم ينظر بإيجابية لفاطمة المرأة التي إستحدثت وضعاً وفتحت بيتها للزوار في تعريف بالعبادات والتقاليد من ملابس ومسكن ومأكل للحضر أي تعريف الآخر بالمحلي، كما أنها كانت سبابة

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique, ..., Op.cit., P.P. 117, 118, 119, 120.

²Ibid., P.P. 121, 122.

في إمتهان التجارة ببيع مقتنيات محلية من ألبة وأفرشة وتطريز محلي للزوار، وهذا تشجيع للسياحة وتعريف بالثقافة المحلية وعولمتها تماما كالطريقة العيسوية ودورها الإقتصادي.

2. صورة المرأة المحلية ومعاناة بيع الجسد، نموذج لتفكك القيم المجتمعية بسبب الإستعمار الفرنسي: نونة، سولايمة وفتيات القصة.

نقدم ثلاث نماذج لفتيات ونساء عاشوا معاناة بيع الجسد بسبب الوضع الجديد المرتبط بالإستعمار من خلال الكاتب "جون لوران" و"بيار لوتي"، وهي نماذج تعبر عن معاناة كبيرة للمرأة.

2. 1. نموذج نونة فتاة تبيع جسدها الهزيل في بسكرة.

من خلال الكاتب "جون لوران" نواصل رصد ودراسة فئة الفتيات والنساء من أولاد نايل، نونة فتاة من أولاد نايل هزيلة جدا تتبع خطى الكاتب ومرافقه متسولة وكان لونها يميل إلى الزرقاء من شدة النحافة، وهذا الحال دليل على البؤس والجوع وهي ذات خمسة عشر سنة، وقبل ثلاث أشهر كانت من أشهر الفتيات طلبا من الزوار وسائحي الإستجمام من مختلف الجنسيات في المنطقة، هي فتاة ذكية تجيد الفرنسية فهما وحديثا، وكانت خلال شهر أوت الماضي تأتي للرقص كل مساء في دائرة الضباط أمام الضباط والصبايحية والزواف الماكثين ببسكرة، يصفها الكاتب بأنها فتاة جميلة تزينها قطع الترتير [مجوهرات الترتير هي مجوهرات كلاسيكية متعددة الطبقات دائرية الشكل في العادة على شكل أقراط أو توضع على الجبين أو أساور] وحلي ثقيلة من الفضة وكمثيلات كانت بتسريحة شعر ثقيلة بوضع حصيرة زرقاء مرصعة بقطع الزجاج والمعدن، وهي زينة لشعر الرأس خاصة بالنايليات تشبه الصرمة. عند لقاءه بها كانت آخر عشرين يوم في حياتها فهي توفيت بسبب المرض، هذه الفتاة التي لم تعيش إلا خمسة عشر سنة إلتقى بها "لوران" للمرة الثانية، أول مرة يروي كيف كانت تستغل منذ سن الثانية عشر إذ كانت تتجول مع وليها ربما والدها أو أخاها في الأحياء ويعرض جسدها للبيع، إذ يقول "كان يبيعها لضباط الحامية، السواح الإنجليز وشيوخ الصحراء الذين يمرون بالمكان بقوافلهم، وخلال النهار كانت تعرض للرسم وفي المساء ترقص في المقاهي العربية الممتلئة بالرحالة..."، وفي لقاءه الثاني بها الذي كان عشرين يوما قبل وفاتها وجدها في حال آخر، هزيلة جدا ومسلوبة الحلي ترتدي لحافا خفيفا من القطن، وكانت تتسول في الشوارع وتمد يدها في حركة عفوية للمارة، كما يعبر عنها بقوله "اليوم وحش معاناة وسابق وحش متعة"¹، والملاحظ أن الصورة التي نقلها "لوران" عن الفتاة النايلية "نونة" مؤلمة جدا لحال هذه الطفلة التي إستغلت براءتها ببيع جسدها وإستغلالها إلى أقصى الحدود، كنموذج للرسم وراقصة في المقاهي إضافة إلى بيع جسدها، فهي فعلا كانت آلة متعة إستنفذت بكل الطرق

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique,..., Op.cit., P.P. 205, 206.

لتموت طفلة في سن الخامسة عشر فقط، وكان هذا حال الفتيات خاصة النابليات في تلك الفترة بسبب الإستعمار الذي رُوِّج للرحلة الجنسية وإستغلال الأطفال المحليين من الجنسين، وتكررت هذه الصورة عن الأطفال وتعرضهم للإستغلال الجنسي من قبل الرحالة والزوار والضباط والمتقنين الفرنسيين.

2.2. نموذج سولايمة فتاة للبيع في الغرب الجزائري من خلال كتابات بيار لوتي.

"سولايمة" قصة واقعية لفتاة من مدينة وهران كان للكاتب الفرنسي "بيار لوتي" معرفة ولقاء شخصي بها، رصد من خلال مؤلفه تطورات حياتها منذ طفولتها حتى بلوغها، وهي قصة مؤثرة تعبر عن واقع إجتماعي وإقتصادي لفئة من الجزائريين الذين عانوا من الإستعمار الفرنسي وآثاره السلبية. قصة "سولايمة" جزء من رواية حقيقية عن ثلاث نساء من قصبة العاصمة متبوعة بسرد قصة "سولايمة"، بعنوان "ثلاث نساء من القصبة، متبوعة بسولايمة" " Les Trois Dames de la Kasbah "suivi de Suleïma"، وهي نصوص من مؤلف "زهور الملل"، والجزء من طبع "قاليمار" سنة 2006. تروي القصة إثني عشر سنة من حياة الفتاة، التي يسردها الكاتب منذ طفولتها يروي رفيقه "بليمكاث" "Plumkett" أول لقاء معها بوهران سنة 1869 في شتاء بارد أمام المقهى الفرنسي في الشارع الرئيسي قدمت الفتاة رفقة أبيها الذي كان يبيع حلي مصنوع من مادة عطرية [قد يقصد بها الكاتب العنبر] ونعال منزلية، وكانت الفتاة الصغيرة بأرجل حافية، يصفها الكاتب "بمخلوقة صغيرة لذيدة" ذات عيون سوداء وشفر عيونها طويل كالدمى¹ ذات شكل محلي محض، كانت تطل مختبئة من وراء برنس أبيها، وبقدم الكاتب وصفا عنصريا للفتاة الصغيرة وهذا ما وجدناه عند غيره من الرحالة الفرنسيين كـ"جون لوران" وغيره، إذ يصف المشهد بـ"...أعطينا قطع السكر لسولايمة كما نمدها لكلب صغير، أولا تخنقي وراء برنس أبيها ثم تُظهر رأسها ضاحكة كالأطفال وتطلب المزيد، ثم تضع السكر في يديها الصغيرة وتأكله مثل قرد صغير.."، ويواصل الكاتب حديثه مع والد الفتاة بقوله: "...أنها جميلة جدا إبتنك الصغيرة، هل تبيعها لنا... وكان هذا الطلب من صميم قلوبنا، كنا سعداء بفكرة أخذ مخلوق الظلام هذا معنا لنجعلها لعبة لكن والدها لم يقبل..²، إن هذه الأفكار العنصرية التي عرضها الكاتب تُعبر عن إزدراء كبير للأهالي والنظرة الكولونيالية المتأججة تجاه السكان المحليين كالتشبيه بالقردة والكلاب والحيوانات عموما، ولم يقتصر هذا التمييز على "بيار لوتي" بل كان لدى الكثير من مواطنيه. وبعد عشر سنوات من أول لقاء جمع "بيار لوتي" بالفتاة "سولايمة" يلتقي بها مجددا في ربيع 1879 عاد الكاتب إلى الجزائر بعد شتاء بارد في فرنسا، أين مكث في بيته ستة أشهر وطال الربيع تلك السنة كما يُعبر عنه، وكان قد أطلق إسم "سولايمة" على سلحفاته التي عثر عليها في جبال وهران

¹Pierre Loti., Les Trois Dames de la Kasbah suivi de Suleïma, Extraits de Fleurs d'Ennui, Editions Gallimard, 2006, France, P.67.

²Ibid., P.68.

وكانت تذكره بالفتاة الصغيرة التي إلتقاها بوهـران وبأرض الجزائر بلاد الشمس، وكانت رحلة العودة إلى الجزائر بإتجاه مرسى لكبير بوهـران، وصل المركب إلى وهران يوم 5 أفريل، وبمجرد نزوله بالمدينة بدأ بزيارة معالمها في إستذكار لآخر زيارة له قبل عشر سنوات، بعد جولته إتجه للمقهى الفرنسي "Soubiran" وسط المدينة، وكان يجلس في الهواء الطلق وكانت تستند على حائط مقابل للمقهى فتاة ذات عيون سوداء شبيهها الكاتب لسولايمة، فنأدى عليها نظرت إليه بتعجب وإلتفتت إليه وإبتسمت متخفية وراء لحافها، ويسرد الكاتب سالتها "هل أنت سولايمة إبنة قدور التي كنت أعطيها قطع السكر قبل عشر سنوات؟ أنظري إلي هل تتذكريني؟"، فردت عليه بأنها هي سولايمة بنت قدور¹، فاتفق على اللقاء بها في اليوم الموالي، وكانت تقطن في الحي الحضري فإستضافته في بيتها المتواضع إذ أن بيوت وهران بسيطة عكس بيوت العاصمة الفخمة، يقع البيت في حي عربي مظلم وتسكن في سطح منزل، وتفتش حصيرة وفراش نوم بغطاء أبيض وتضع مصباح نحاسي صغير على الأرض، وأصبح عمرها ستة عشر سنة وزادتها إبتسامتها جمالا، وكانت ذات جسم رشيق كنساء اليونان قديما ويضفي لباسها جوا شرقيا بالمكان ويسترسل في وصفها ويورد الحديث الذي دار بينهما، وبعد آخر لقاء بينهما غادرت سولايمة إلى بسكرة مدينتها الأصلية ومكثت بالداخل مدة طويلة، إذ كانت رحلة الذهاب شاقة مشيا على الأقدام ثم إنضمت إلى قافلة عربية في الطريق، ويفصح الكاتب عن مشاريع "سولايمة" التي كانت تدخر بعض المال خفية عن والدها لشراء الحلبي وهي قلادة قطع الفرنكات الذهبية والعودة إلى بسكرة والزواج برجل لا يعلم شيئا عما كانت تقوم به، وبذلك تُصبح امرأة ذات مكانة في مجتمعها². ليسرد "بيار لوتي" العودة واللقاء الأخير مع سولايمة "أو كما يطلق عليها "جرادة الصحراء الصغيرة" فبعد سنتين أي سنة 1881 عاد مرة أخرى إلى الجزائر ليكمل قصة "سولايمة" الفتاة التي كان يفكر بها حتى في بلده، أصبح سنها ثمانية عشر سنة فقط، نزل "لوتي" بالجزائر العاصمة وكان برفقة "سي محمد" ونزل "بسيدي فرج" ووصل شهر ماي، وإتجه مع مرافقه العربي إلى المحكمة العسكرية أين حضر صدف محاكمة امرأة كما ينعتهـا "المُسممة" أي التي إستخدمت السم في قتل ثلاث رجال وكلبة الآغا، وقيل له أنها من الدائرة العسكرية من الجنوب بالتحديد بسكرة، قتلت أزواجها الثلاث بالتوالي بالسم وقامت بتسميم كلبة الآغا، وهي تحاكم في المحكمة العسكرية فحضر مع صديقه الجلسة ويصف المشهد عند دخولها قاعة المحاكمة مغطاة وعند إزالة البرنس تعرف عليها، كانت تلبس حلبيـا من أساور وقلائد كما تلبس نساء الصحراء مع تسريحة الشعر مزينة برقائـق معدنية وهي تسريحة خاصة بالمناطق الداخلية، وكانت تقف بكبرياء في قاعة المحكمة وقصت معاناتها من أزواجها الثلاث

¹Pierre Loti., Les Trois Dames de la Kasbah suivi de Suleïma..., Op.cit., P.P.71, 72, 83, 84.

²Ibid., P.P.90, 91,93, 97.

وآخرهم سرق لها كل ما تمتلكه من حلي ذهبي، وفي ما يخص كلبه الآغا فذلك كان ظلما لها¹. يستكمل الكاتب قصة تلك الفتاة الصغيرة التي إنقاهها منذ ثمانية عشر سنة، وسرد حياتها بعاطفية وكانت له مشاعر تجاهها، وعموما من خلال واقع الفتاة "سولايمة" نلمس حجم المعاناة ونستنتج أن وضعها كان كوضع بقية البنات من المناطق البدوية وخاصة أولاد نايل وضواحي بسكرة وحتى النساء من بلاد القبائل ومناطق أخرى، فالمرأة هناك كانت تغادر موطنها رفقة أحد أفراد عائلتها كالأب أو الأخ أو أحد الأقرباء ونادرا وحيدة للعمل في المقاهي العربية والحمامات، أين تتعرض للإستغلال ببيع جسدها وعرضه على الرسامين الغربيين والرقص في المقاهي لجمع المال وإمتلاك الحلي الذهبية الذي يسمح لها بالزواج عند العودة إلى ديارها والحصول على مكانة إجتماعية يثمنها الحلي، ولوضع حد للمعاناة وتأسيس أسرة والعيش بكرامة رغم التعب والمشقة خاصة لنساء البوادي.

2. 3. نموذج نساء القصبية الثلاث، صورة عن الآثار السلبية للإحتلال على أوضاع الجزائريين.

نشير إلى واقع إمراة وإبنتيها رصدها الكاتب "بيار لوتي" وهي قصة ثلاث نساء من قصبية العاصمة، تعود حكايتهم إلى سنوات بعد إحتلال البلاد وإستشهاد والدهم الشيخ بن عبد الله في مقاومة الإستعمار الفرنسي، كانت الأم تدعى خديجة والبنات فاطمة وفايزة، كن يقضين وقتهن جالسات في فناء البيت الذي كان قديما بكل أجزاءه ما عدا خرف الحائط حافظ على ألوانه الزاهية، كانت النسوة الثلاث في ضجر يومي يتزينن بالبستنة الحضرية وحُلِيهن الثقيلة، ورغم الحلي التي يمتلكه إلا أنهن أصبحن فقيرات بعد وفاة والدهن، كما يضعن الأصباغ على وجوههن رفقة تسريحة، ويجلسن في فناء البيت منعزلات ويقمن بإستخراج ماء الورد والزهر أو كما يصفها الكاتب بالعطور، كن يدخلن النرجيلة ويعزفن الموسيقى، ومن خلال وصف الكاتب قد تكون فرقة موسيقية نسوية وذلك نستنتجه من خلال كل ما وصفه حولهن من لباس وإستخدام الآلات الموسيقية والغناء، وكانت النسوة يصعدن إلى أسطح المنازل لتبادل أطراف الحديث، وينقل الكاتب بعض عادات البيوت الحضرية إذ يمر الخباز في الحي ويمر لتسليم الزبائن الطلبات وأحضر للسيدة خديجة وبناتها الخبز، وإستضافته للغذاء في بيتها وأعدت كسكس بالتين والتمر المجفف وبعد الإنتهاء من الأكل يشربن القهوة ويأخذن قيلولة على حصيرة ومساء يصعدن إلى سطح المنزل²، والملاحظ من بين المظاهر الأخرى، التي حلت بالأسر الحضرية عقب الإحتلال والتي مست عموم البلاد هو إمتهان النسوة البغاء بسبب الفقر وموت المُعِيل كما حدث مع عائلة "لالة خديجة" وبناتها، وينقل الكاتب مشاركتهن في إحتفال يوم الأحد الذي شارك فيه البحارة والجنود والتجار القادمين من فرنسا، ولبسن متزينات سترات حريرية مطرزة بالذهب، كما تزين كذلك

¹Pierre Loti., Les Trois Dames de la Kasbah suivi de Suleïma..., Op.cit., P.P.120, 124,125, 127.

²Ibid., P.P.9, 11,13, 15, 17, 28.

بوضع ولبس كل ما يملكن من حُلِيهن¹، وكانت فاطمة قرب الباب عند سماعها غناء ثلاث بحارة فرنسيين، مزينة وجهها الذي يشبه دمي الشمع وعيونها جميلة وأسنانها كاللؤلؤ، وكانت تغطي شعرها بشاش حريري، وتتدلى على جبهتها قطع نقدية فضية تفصلها قطع مرجان، وتضع حلقات عديدة في أذنيها وتزين القطع المعدنية لتسريحتها بأزهار الفل والياسمين وإسضافت النسوة البحارة في بيتهن وينقل الكاتب الحثيثات². ومن خلال ما نقل "لوتي" يتبين حقيقة الوضع بالنسبة لفئة واسعة من الجزائريين خاصة الحضريات اللاتي وجدن أنفسهن بدون مُعيل ودون دخل بعد وفاة أزواجهن وفقر عائلاتهن وإضطرن لفتح بيوتهن للرحالة والزوار، وكن يقمن الحفلات ويقدمن القهوة ويعرضن اللباس الحضري والعرض أمام الرسامين.

3. صورة المرأة المرابطة، نموذج لالة زينب بين التصوف والتسامح الديني من خلال كتابات الرحلة.

تزخر المسيلة بأعلام مثلوا رموزا في التاريخ المحلي للمنطقة والتاريخ الوطني ولم تقتصر صناعة التاريخ على رجال المسيلة بل كان لنسائها دور فعال، برزت من خلاله المرأة في مجالات كانت حkra على الرجال بالتوارث والعادات والأعراف، فكان للمرأة بالمسيلة أثر في التصوف والماربطة كالمرابطة لالة زينب بزواية الهامل والتي عرفت في المنطقة وإمتدت سمعتها إلى كامل أنحاء البلاد وتعددت الكتابات الفرنسية التي إهتمت بها كظاهرة نادرة في البلاد في وقت كانت فيه أوضاع المرأة الثقافية والفكرية مغايرة عموما بالمقارنة مع المرابطة "لالة زينب" التي تميزت بالعلم وقادت الزاوية وتمتعت بالسلطة الروحية بالمنطقة، وحظيت بإهتمام الكتابات الأنثروبولوجية الكولونيالية التي كونت عنها صورة نرصدها من خلال كتابات الرحلة لمتقنين وأدباء فرنسيين زاروا المنطقة وكتبوا عنها وعن زاويتها، وسنحصر هذه الكتابات في نموذجين هما الكاتب Ch.De Galland والكاتب Paul Eudel. فبالنسبة للكاتب "قالون" مثلت المرابطة "لالة زينب" رمزا للتصوف، إذ زار الزاوية والماربطة وقام بهذه الرحلة في 24 جانفي 1897 مع مجموعة من المرافقين وكان عددهم 12 شخصا قاموا برحلة للجنوب الجزائري، رافقه صديقه الرسام قيوشان M. Guiauchain ونقل صورا دقيقة عن المنطقة والسكان ونشر "قالون" الرحلة في مارس 1899 وأهداها للمرابطة "لالة زينب"، و نظمت الرحلة مجموعة الأطلس. وتعتبر هذه الرحلة ثرية بالمعلومات، إذ أَلَم الكاتب بجوانب تاريخية تُكون صورة عن الملمح الديني للطريقة الرحمانية وزاوية الهامل والماربطة "لالة زينب"، وينقل الكاتب الجانب الأسطوري في تأسيس "الهامل" التي أصبحت مركز للطريقة الرحمانية، وكان تأسيسها منذ البداية مرتبط بالمعجزة والروحانيات، وتقول الرواية أن "سيدي عبد الرحمن بن أيوب" كان يقود مجموعة من التائهين المغاربة

¹Pierre Loti., Les Trois Dames de la Kasbah suivi de Suleïma..., Op.cit., P. 34.

²Ibid., P. 29.

في القرن الثامن الهجري، فتوقفوا عند حافة واد للراحة فغرس القائد غصن توت في الأرض ولما هموا بالرحيل لاحظ أن الغصن أفتح أوراقا، فكانت علامة إلهية واستقروا بالمنطقة وسموا قريتهم الهامل. وتعتبر زاوية الهامل من أهم مراكز الطريقة الرحمانية، ولديها أتباع في كل المناطق مؤسسها "محمد بن عبد الرحمن بوقبرين" وعين في الشرق خليفته "سي مصطفى" والذي خلفه فيما بعد "محمد بن عزوز" أصيل البرج بالزيبان، وعند سقوط بسكرة في يد الإحتلال الفرنسي عام 1843 انسحب "محمد بن عزوز" إلى نفقة بتونس أين أسس هناك زاوية ولكن عند مغادرته ترك خمس مقدمين كبار خلفوه¹. وكان الشيخ "سي مختار بن خليفة" من المقدمين الخمسة "سي محمد بن عزوز"، أسس زاوية ذات تأثير في أولاد جلال ببسكرة وكان مقدمه "محمد بن بلقاسم" ويتميز بالعلم والفضائل، إذ تلقى علمه الأول في علوم الدين لدى الشيخ الشهير "بوداود" بأقربو ثم إنتقل إلى لأخذ العلم عن الشيخ "سي مختار" في أولاد جلال أين حظي بثقته وإحترامه، وفي أكتوبر 1862 توفي الشيخ "سي مختار" وترك ستة أبناء صغار في السن وترك الخلافة الروحية لمقدمه الوفي "محمد بن بلقاسم" والذي عمل على تنشيط الطريقة، ثم عاد إلى قريته "الهامل" التي أسس زاويتها حسب الأسطورة سلفه الشيخ "سيدي عبد الرحمن بن أيوب"، وهذه هي رواية حفيده "سي محمد بن حاج محمد بلقاسم" الشيخ الحالي "للهاامل". وكان لتأسيس الزاوية فيما بعد على يد الشيخ "محمد بن بلقاسم" أثر في جعل الهامل مكانا للنسك والصلاة وجوا للرحمة والتسامح، فقدم إليها طلبة العلم من كل مكان وإزدادت شهرة الشيخ "محمد بن بلقاسم" وانتشرت فضائله وأعماله الخيرية بين الناس وداع صيته، وكان يُدرس 400 طالب علم ويتولى الطلبة تعليمهم القرآن واللغة والنحو والصرف وعلم الفلك والدين والأخلاق، وعمل مقدميه على نشر مبادئه وتأسيس الزوايا إذ بوقت قليل قبل وفاته تمكن معاونيه الذين كان عددهم 164 من تأسيس 29 زاوية و168 من الطلبة كونوا 2.091 تلميذ وجمعوا 43000 مريد جديد، وكانت زاوية الهامل المركز الذي ينتشر منه ويتفرع منه بكثافة، فمثلا إخوان "شرفة الهامل" 350 مريد وإخوان جبل "أم السعد" 300 مريد، ومن جهة الشرق الإخوان من "أولاد أحمد" 350 مريد و"أولاد محمد بن أمبارك" 140 مريد ومن "أولاد عمارة" 30، ومن جهة الجنوب "أولاد علي بن محمد" 200 مريد و"أولاد خالد" 450 مريد و"أولاد سيدي زيان" 280 مريد، أما من جهة الغرب "قأولاد غريب" 60 مريد و"أولاد عامر قبالة" 70 مريد ومن "بوسعادة" 500 مريد ومن "رومانه" 100 مريد، والمميز هو وجود العديد من النسوة في الطريقة الرحمانية ويطلق عليهن الخواتات، ومنهن المقدمات أين تمكّن من تأسيس مجموعات هامة. وفي 2 جوان 1897 توفي الشيخ وترك حفيده "سي محمد بن الحاج محمد" الخليفة الروحي، وابنته "لالة زينب" التي ورثت فضائله، ومنه ورثت القيادة الروحية للزاوية وكسبت مكانة مرموقة بين الأتباع.

¹Ch.De Galland., Excursion à Bou-Saada et M'Sila, Paris, éditée par Paul Ollendorff, 1899, P.P.69, 67.

وفي رحلة "قالون" لزيارة الزاوية يقول: "...وإستقبلنا الشيخ الجديد "سي محمد بن الحاج"، وكان الطريق للزاوية جيد ويوجد جسر على الوادي في حالة جيدة من الحجارة وقنوات الري والحدائق الخضراء وهي نتاج أعمال الشيخ التي نادرا ما نجد مثيلا لها لدى العرب، ثم يأتي منحدر تظهر من خلاله الزاوية والمقبرة ويظهر كذلك المريدين والإخوان والطلبة ببرانيسهم البيضاء، ولقد إستقبلنا المرباط والإخوان والمريدين والطلبة والمدرسين وتلاميذ الزاوية في غرفة مفروشة بالزرابي، وقدمت لنا الضيفة وزرنا مكتبة الزاوية الغنية بالمخطوطات والمصاحف، ثم زرنا قبر الشيخ الكبير "محمد بن بلقاسم" وبخروجنا من الزاوية وجدنا ساحة صغيرة أمام أسوار مرتفعة لباب كبير، ثم فتح هذا الباب وكانت هالة كبيرة بظهور المرابطة "لالة زينب" وعمّ الصمت المكان بملابسها البيضاء المرفرفة ببياض ناصع فهي تمثل الملكة والمتدينة والقديسة، تقربت منها وقبلت يدها فرحبت بنا وإستقبلتنا في الداخل، وتتميز بجمال عيونها... ولقد مضى سبعة أشهر فقط على وفاة والدها الشيخ، وعند خروجنا رافقتنا وكان الأتباع يقبلون يدها وطرف لباسها، وكانت تشبه كثيرا والدها ولديها تأثير كبير على المخلصين والإخوان¹. أما بالنسبة للرحالة "بول أودال" فيعتبر "لالة زينب" قديسة الإسلام، وكانت أول زيارة له للمرابطة يوم 2 ماي سنة 1899 في الهامل على بعد 10 كلم من بوسعادة، ويقدم وصفا مميّزا ودقيقا للمرابطة وكان لقاءه بالمرابطة مطولا بالمقارنة مع الكاتب "قالون" مما جعله ينقل لنا صورة موسعة وثرية عن المرابطة يتخلله الإعجاب بشخصيتها، فهو يعتبرها "قديسة الإسلام" ويربط شخصها بأساطير وروحانيات، ويبدأ الوصف بأسطورة تأسيس الهامل التي أوردها "قالون"، ثم يواصل وصفه للمرابطة "لالة زينب" التي ينعتها بـ "معبودة المنطقة"، ويعتبرها قوة فعالة في المنطقة تحترمها سلطات الإدارة الفرنسية التي كانت تعفيها من كل أنواع الضرائب فهي "قديسة الإسلام"، ورثت الفضائل والبركة من الشيخ الكبير للطريقة والدها "محمد بن بلقاسم"، وهو من أصول شريفة وكان لديه تأثير كبير على أتباع الطريقة ويحيط بالمرابطة ما بين 500 إلى 600 فارس لحمايتها وتأييدهم الزاوية، فهم أتباع مسالمين لكن يتحولون إلى محاربين أشداء يضحون بحياتهم من أجل المرابطة، التي كانت تقوم بأعمال خيرية في المنطقة. وينقل لنا "أودال" اللحظات الأولى لوصوله للمكان، إذ تبدو منطقة الهامل من بعيد في الجبال وتبرز الزاوية مغروسة في القمة فتضاريس المنطقة تحصينا للزاوية، وتنتشر الأسطح المجيرة بالهامل وأشجار النخيل تحيط بالمكان²، ويعود الفضل إلى الشيخ "محمد بن بلقاسم" في تطوير الزراعة، إذ كان يحسن التسيير والتخطيط وساهم في تحسين موارد العيش وتطوير الزراعة بإحداث قنوات للري في ضفاف الوادي لزراعة الأراضي الخصبة وأنشأ الحدائق وزرع النخيل وشجع النشاط الفلاحي لسكان المنطقة³.

¹Ch.De Galland., Excursion à Bou-saada et M'Sila..., Op.cit., P.P.68, 70-71,73-74.

²Paul Eudel, D'Alger à Bou-Saada, Illustrations de H. Eudel, Paris, Augustin Challamel éditeur, 1904, P.P.167-168.

³Ch.De Galland., Excursion à Bou-Saada et M'Sila..., Op.cit., P.69.

وينقل لنا صورة بعض السكان العرب في المكان الذين كانوا منتشرين في محيط الزاوية وهم من أتباع وطلبة الزاوية، ولقد إستقبل الكاتب الفرنسي من قبل وكيل الزاوية "محمد بن عبد الله" الذي كان مرفوقا بالإخوان والطالب "سيدي عيسى"، الذي نقل لهم ترحيب المرابطة "لالة زينب" التي إستقبلتهم ووفرت لهم كل وسائل الراحة، ويواصل بقوله: "وعبرنا عبر درج من الحجارة بممشى درج ضيق ومرتفع كما في الأبنية العربية وذهبنا إلى غرف الضيوف، وتوجد باحة كبيرة تستغل كقاعة طعام مفروشة بزرابي من الصوف باللون الأحمر والأخضر وهي من "جبال عمور"، أما التأثيث فهو أوروبي من الديوان إلى الأسرة والكراسي والأرائك المصنوعة بفرنسا، وتوجد طاولة دائرية يغطيها غطاء أبيض كما في القصور الراقية، لقد كنا في داخل فرنسي وقدمت لنا قهوة تقليدية وبينما كنا نشرب هذا المشروب الأعلى في الجزائر، تقدم أكبر ممثل في الزاوية "الخوجة سيدي إمبرك بن بن رقاط"¹، وكلف لمراقفنا مترجم شاب يدعى "محمد بن أحمد" قادنا في زيارة إلى المسجد أين يوجد قبر الشيخ الأكبر للزاوية "محمد بن بلقاسم"، وداع صيت طريقته حتى تونس ونشر في كل إفريقيا الشمالية زوايا لأتباعه تدرس القرآن والدين واللغة ويدرس فيها المقدمين"، وبالتالي كان للطريقة تأثير كبير محليا بالبلاد وبمناطق الجوار. ويعتبر المقدمون والخلفاء قاعدة الزاوية، فهم يمثلون جيش من الإخوان والأتباع الذين يحافظون على السمعة الكبيرة والمقدسة للزاوية، ويقع المسجد خارج أسوار الزاوية قرب قرية الهامل التي حولها الزعيم الروحي للزاوية إلى واحة يحيط به النخيل، وهو مبني بالحجارة وبنيت أعمدته على طراز موريسكي لكن بناءه غير تام ورغم ذلك فهو يواجه عوامل الزمن والطبيعة وظل صامدا، ومنذ خمسة وعشرين سنة بدأ في مواصلة البناء على يد مهندس تونسي، ويأتي الأتباع للصلاة بالمسجد من كل المناطق. ولوحظ وجود رواد نساء في حالات روحانية وبالتالي كان إنخراط النساء في الطريقة بالمنطقة واسعا "كلالة زينب" التي كانت في الأصل منخرطة في الإخوان، وتماشيا وتعاليم الطريقة الرحمانية لا يمكنها أن تفوق رتبة المقدمة في السلم القيادي لكنها كانت تتمتع بمكانة وقوة في الطريقة لا يمكن مضاهاتها. وفي الشارع المؤدي لقصر المرابطة الذي تبدو أسواره العالية من بعيد، توجه "بول أودال" من هذا الشارع إلى بيت "سي محمد بن الحاج محمد" حفيد الشيخ الأكبر "محمد بن بلقاسم" الذي توفي في رحلة بقبيلة صحاري "أولاد إبراهيم" في منطقة "بوغار" عن عمر يناهز 78 سنة، ويسكن "سي محمد بن الحاج محمد" في قصر صغير وبسيط بالمقارنة بقصر قريبته "لالة زينب" ويحيط به أصدقائه وأقاربه، وإستقبله في الطابق السفلي لقصره في غرفة مفروشة بالزرابي وتزينها الأسلحة، ويورد الكاتب قائلا: "دعانا للجلوس في أريكة تبدو أنها إستقدمت مباشرة من باريس، وهو عالم يعطي الإجازات في الطريقة الرحمانية ويتكلم الفرنسية بطلاقة، مثقف وألف عدة كتب في الدين وألف سيرة الشيخ عمه"².

¹Paul Eudel., D'Alger à Bou-Saada..., Op.cit., P.P.171-174.

²Ibid., P.P.175-178.

ومن الصور التي نقلها الكاتب "بول أودال" عن الحلي المحلية، فهو كان في مهمة رسمية من الحكومة لرصد الحلي التقليدية، وتعرف على الحلي التقليدية بالمنطقة وكانت في مجملها بسيطة ومعروفة، ما عدا جبين بصفين من الذهب مرصع بالأحجار الكريمة ووثقها برسومات في قاموسه. ثم يقدم صورة أخرى عن الضيفة في القصر، إذ يقول: "عدنا للقصر الكبير الخاص بالمرابطة للغذاء أين الفخامة النادرة في البلاد، لقد قدم لنا الماء المعدني ومجموعة من الخدم تحيط بنا لخدمتنا وكانت الضيفة فخمة، إذ قدمت لنا في البدء الشربة ثم طبق من لحم الخروف والتمر والبطاطا ثم فطائر من السميد، وقدم لنا الكسكس وبه العنب المجفف ثم المشوي وهو خروف مشوي قدم في طبق من فضة وكان قد ذهن بالزبدة مدة ساعتين، ثم تلاه طبق آخر من عجينة لحم الخروف ثم المحلى وهو من عجينة الفرينة والسكر والعسل واللوز ثم لقيمات البيني وهي هشة ولذيذة جدا، ثم حضر لنا إناء الغسيل بمياهه المعطرة والمناشف الحريرية، ثم جاء وقت القيلولة وبعد ساعة جاء المترجم لإيقاظنا لملاقة المرابطة، وكانت مسافة طويلة تفصلنا عنها إذ مررنا عدة ممرات وساحات لملاقاتها وكانت الطريق عامرة بالطلبة وكأننا في قصر سلطان المغرب"¹، وهذا التشبيه ببلاط سلطان المغرب مؤشر لدلالات عن سلطة المرابطة، وقوة تأثيرها والفخامة التي تحيط بشخصها وكثرة أتباعها والموالين لها. ومن صور الأعمال الخيرية للمرابطة لالة زينب من إطعام الفقراء والمساكين، يصف لنا جزء من أجزاء الزاوية وهو المطابخ، فهي كبيرة جدا وواسعة تشبه مطابخ العصور الوسطى بأوروبا، بها مشوى كبير يتسع لشوي الأبقار وعدة أفران مشتعلة وطاولات طويلة وكبيرة وأحواض كبيرة من الخشب لتحضير الكسكس، ويساعد كبير الطباخين ثمانية مساعدين يلبسون لباس بألوان غامقة، وكل يوم تطعم "لالة زينب" ما بين 500 إلى 600 من عابري السبيل والمساكين والفقراء²، وهذه الأرقام تبين مدى التضامن الذي تبديه المرابطة مع هذه الفئة كما تمثل مؤشرات عن الأوضاع الإقتصادية للسكان في تلك الفترة حيث إنتشر الفقر والعوز، كما تبرز الدور الإجتماعي والإقتصادي للزاوية بالمنطقة. والصورة الأخرى هي قيم التسامح الديني للمرابطة وإستقبالها لزيارات المجاملة، إذ وصل "بول أودال" إلى الساحة الشرفية في إنتظار إستقبال المرابطة له، وهيئت الساحة وفرشت بزرابي ووضعت كراسي حول طاولة وصفت فوقها زربية من الصوف حمراء اللون، ويقول واصفا: "...وبصفتي الأكبر سنا بين الجميع توليت مهمة تحية المرابطة وتقديم مرافقي في السفر لعظمتها المضيئة لنا، وكان برفقتي سيدتين وسيدتين من العاصمة وباريس، وكان المترجم يترجم خطابي الذي حضرته..."، ويضيف قائلاً لها: "...يحفظك الله وتحملك القدرة الإلهية وليكن الله الرحمن الرحيم معك"، وهذا مؤشر على إحترامها.

¹Paul Eudel., D'Alger à Bou-Saada..., Op.cit., P.P.179-183.

²Ibid., P.P.184-185.

فدخلت "لالة زينب" محاطة بنسائها المرافقات ورحبت بهم باللغة العربية وكانت لا تجيد الفرنسية، وكان وجه المرافطة مكشوف وهي امرأة في الثلاثينات من العمر، وجهها نحيف جدا وهي نحيفة نحافة النساك بعيون هادئة لباسها أبيض وثقيل¹ يضيء عليها هالة وقديسية، وكانت مريضة بالحمى المستوطنة المنتشرة بالمنطقة والتي خلفت عدة قتلى في موسم الصيف، ولقد حياها الكاتب بتقبيل يدها وشكرها على كرم ضيافتها لهم، وأخبرها أنها تحظى بإحترام الفرنسيين لأعمالها الخيرية وقدم لها أصدقاءه، ثم شكرتهم على الزيارة وأضاف أنه نادرا ما تتحمل النساء الفرنسيات مشقة السفر ويقمن بزيارة المنطقة، ويصف الكاتب اللقاء بالحرار إذ قال: "...كان لقاءها لنا حارا وحادثتها عن رحلتنا في الحضنة وطريق المسيلة وبوسعادة، وحاورتها على الحلي التي تتدرج في مهمتي الرسمية وبينت لها رغبتني في رؤية حليها الخاص، الذي تكلم الكثير عنه..."، وفي عرضه للفكرة كانت تستمع إليه بهدوء ثم طلبت من خادمتها الزنجية إحضار الحلي التي كانت في إناعين كبيرين من الخشب المخصصة لتحضير الكسكس، في إحداها الحلي الفضية وفي الأخرى الحلي الذهبية منها خلاخل كبيرة للأرجل وأساور مصنوعة في الأوراس وعقود بزايم ببيضاوية وسلاسل مختلفة والتعويذات والطلاسم وأقراط ومختلف الحلي المرصعة بالأحجار، وهنا تكمن ثروة المرافطة وكأنه كنز "تيودورة" جاء من بيزنطة إلى الهامل حسب تعبير الكاتب، وفي الواقع كل هذه الكميات من الحلي هي هدايا من المخلصين والأتباع والرواد من كامل إفريقيا، وتم تصوير مجموعة منها وكانت المرافطة متعاونة معهم ونشرها الكاتب - وأبدت مرافقات السفر إهتماما بصحة المرافطة وقامت بمعاينتها في غرفتها الخاصة وتبين أن المرافطة تعاني من إلتهاب القصبات أو نزلة رئوية ووعداها بإرسال الدواء عند عودتهما إلى الجزائر العاصمة². وبالتالي نستنتج الإحترام الكبير والولاء الذي تلقاه المرافطة من الأتباع والمريدين، والمكانة المرموقة التي حظيت بها المرأة بالمسيلة والزعامة الروحية في المجتمع المحلي، كذلك الدور الديني للمرأة المحلية التي كانت مريدة ومقدمة في الطرق والزوايا والدور التعليمي والإجتماعي والإقتصادي وإنخراطها في الأعمال الخيرية وهذا دليل وعي المرأة وتعلمها ونشاطها وفاعليتها الإجتماعية.

4. صورة المرأة والبئر: من نموذج جون لوران إلى دي لأكروا.

هذه الصورة تكررت العديد من المرات في لوحات الرسامين والكتاب الفرنسيين وتكاد تكون مرتبطة بالمرأة البدوية بالجزائر وملازمة لها في تلك الفترة، فكثيرا ما رصد الرحالة الفرنسيين هذه الصورة وبرزت في لوحاتهم ونصوصهم الكتابية، ففي وصفه للقنطرة يرصد "جون لوران" مشهد عند مدخل القنطرة بمدينة بسكرة، إذ لاحظ تجمع فتيات صغيرات حول منبع مائي ينبع بين الحجارة، مع

¹Paul Eudel., D'Alger à Bou-Saada..., Op.cit., P.P.185-186.

²Ibid., P.P.187-188,190-192.

مجموعة من النساء اللاتي يقمن بغسل الملابس في المنبع، وكانت الفتيات يلعبن في المكان مرتديات أقراط دائرية كبيرة من الفضة ويلبسن أساور في معاصمهن وخلاخل في أرجلهن وكن يرقصن بفساتين قصيرة، وكن يساعدن النسوة في نشر الملابس التي تم غسلها، وكانت الجرار بالمكان لتعبئة المياه عند العودة، وكانت عيونهن جميلة وإعتبرهن الكاتب فتيات جميلات في حين النسوة لم يكن كذلك بفعل الأشغال المتعبة التي تقمن بها ضمن الحياة اليومية في الحياة العربية، فترهلت أجسامهن وكن يضعن وشم دائري ونجوم على جبهتهن، هذه الصورة جعلت منهن غير جميلات في نظر الكاتب، في سن صغير لا يتعدى الخامسة والعشرين باللبستهن الرثة وزينتهن المبتذلة إذ تجد الكحل يرسم العيون بحدة، وعند الإنتهاء من الغسيل تحمله النسوة على أكتافهن مع جرار المياه للإستخدام اليومي¹. وبالتالي رصد صورة النسوة عند البئر لكن صورته فصلها جزأين جزأ مبهز لمشهد فتيات صغيرات في السن وجزأ بئس لصورة نسوة، والملاحظ هو ميول هذا الكاتب للأطفال من ذكور وإناث وإسترساله في وصفهم وكذا إنبهاره بجمالهم، كما أبرزنا ذلك في عنصر أطفال تلمسان وهي صور شادة عن الكاتب. أما الرسام الفرنسي "أوجان دي لا كروا" فقدم هو الآخر لوحة عن امرأة بدوية في البئر، عرفت بين الرسامين وهي صورة رصدها في رحلته إلى الجزائر في صحراء بسكرة لإمرأة تجلب الماء من البئر.

5. صورة ونشاط المرأة الصحراوية، بين الإلتزام الأسري والإندماج المجتمعي.

ينقل الكاتب "لوران" صور عن المرأة وما تقوم به من أعمال-من خلال وصفه لمنزل وعائلة المرافق الشاب العربي أحمد- إذ كان بالغرفة أخوات وبنات عم الشاب أحمد، وكن حسب وصف الكاتب شاحبات اللون يحضرن الكسكس، وينسجن الصوف ويلبسن أحلاق كبيرة من النحاس في الأذنين وسلاسل من الفضة والمرجان مع وشم لنجوم زرقاء على الجبهة ويضعن الكحل في عيونهن². ومن خلال هذ الوصف يتبين النشاط الذي كانت تقوم به المرأة في البادية أو في الصحراء، وهذا إسقاط على واقع المرأة في تلك الفترة عموما وما زال متواصلا حتى يومنا، فالمرأة تهتم بتحضير وصناعة الكسكس وتخزين المؤونة من زيوت وحبوب، إضافة إلى بقية الأشغال اليومية داخل البيت والمساهمة في النشاط الإقتصادي فهي تنسج البرانس لتلبية حاجات أسرتها وتبيع الفائض، وبالتالي فهي تساهم في تسيير شؤون البيت وتقوم بدور فعال في الحياة الأسرية، كما كان للشكل الخارجي نظرة مقتضبة وغير مفهومة، خاصة الحلي والوشم الذي يعتبر موروث ثقافي في المجتمع المحلي. ومن الصور الأخرى التي نقلها الرحالة الفرنسيين عن المرأة المحلية وبالضبط الصحراوية، نرصد صورة عن المرأة البسكزية التي كانت مندمجة في محيطها وتعاملت مع الآخر رغم الإختلاف الديني

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique..., Op.cit., P.P. 188, 189, 190.

²Ibid., P.200.

والثقافي، فمثلا الرحالة "دي فونتراس" نقل مشهدا للنساء في مدينة بسكرة للمرأة البسكرية والصورة الفوطوغرافية، في تنظير للمرأة المحلية وتعاملها مع الآخر، إذ يقول: "...والنساء متحضرات ببسكرة فعند أخذي لصورة فوطوغرافية لإحدى النساء وكانت تغطي وجهها، قالت لي أعد أخذ الصورة فوجهي غير واضح في الصورة الأولى..."¹، وهذا دليل على إندماج البسكريين مع الثقافة الفرنسية وهذا ليس حكم على التعاون مع المستعمر بل دليل على البُعد والعمق الحضاري والفكري لمدينة بسكرة التي كانت مركز تاريخي حضاري وثقافة سكانها الواسعة بإعتبار أنهم عاشوا في مركز حضاري، وبالتالي إنفتاحهم على الآخر واضحا منذ أقدم العصور وهذا هو الفرق بين المراكز الحضرية والأطراف فساكنة المراكز يكونون أكثر إندماجا وذوبانا في ثقافة الآخر مما يعرف بالتواصل الفكري والحضاري.

6. صورة عن لباس الحضريات من خلال نموذج فاطمة لـ"جون لوران".

يواصل "لوران" سرد المشهد الإستعراضي لألبسة فاطمة، فبعد الإنتهاء من حفلة الرقص قامت فاطمة بإحضار صناديق ملابسها، وهي مصنوعة من الخشب وبالتحديد أخشاب شجر الأرز وبعضها من خشب الصندل، ومزينة باللؤلؤ والألوان والرسومات المتنوعة كالأزهار والورود، وتتوالت صناديقها بين النوع القديم التقليدي والنوع الجديد الفرنسي الحديث مثل تلك المركبة من الزجاج والبرونز والمغلقة بالحرير التي وصلتها من محلات اللوفر، وفتحتها فاطمة للحضور وكانت الصناديق تتداول بين النسوة إذ تعتبر خزانة ملابس فاطمة، وضعت فاطمة الحلي في قطع حريرية والنسوة يتفرجن عليها وأُعجبن بصناعة الحلي والأحجار المرقعة بها وبقطع القماش الشرقية من حرير ومخمل، وتعالّت أصوات النسوة بين الإعجاب وتقييم المجوهرات، وفجأة وقفت فاطمة ليبدأ العرض إذ قامت بهدوء بنزع السترة المخملية المرصعة بالأحجار، لتظهر سترة أخرى برتقالية اللون وحريرية مطرزة بخيط فضي، ثم نزعت هذه السترة فإنزلق حزامها وكانت تلبس عدة سراويل، وكانت فاطمة تنزع ملابسها وقامت النسوة بنفس الشيء وكن واقفات، وكن ينزعن ملابسهن الحريرية والشاش بإرهاق كالشرنقات حسب تعبير الكاتب وكن كلما نزعن ملابس تظهر ملابس أخرى، ف دائما توجد سترات تحت السترات وسراويل تحت السراويل مثل إزهار الأزهار الدائم التي تطل تحت البراعم والأوراق في سيرورة دائمة وفي تحول متواصل ومبهر كالفراشة في مراحل نموها، وفجأة في وسط هذا التعري الشرقي نزعت فاطمة آخر سترة حريرية صغيرة بيضاء اللون وكانت ترتدي صدرية باريسية فاخرة بنفسجية اللون بأزهار البومبادور وهي آخر طراز من شارع السلام بباريس وكانت النسوة ينظرن إليها بإنزعاج وإستياء، ثم أعادت لبس ثيابها بمساعدة خادمتها من السراويل الحريرية إلى أقمص الشاش المزينة بالخيط الذهبي والقطع الأخرى من اللباس، وكذلك فعلن النسوة بمساعدة خادمتهم بتلبيسهن وكن يقترحن على

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique..., Op.cit., P.P.310, 323, 327.

سيداتهن ألبسة جديدة لم يروها من قبل وبعد أن إرتدت النسوة ألبستهن، عرضت أمامهن فاطمة ركام من الأقمشة الحريرية والألبسة المطرزة للبيع وكانت على الموضة في محاولة لإقناعهن بالشراء خاصة وأنها تعرض كل جديد، ثم بدأت النسوة النقاش عن الألبسة والأقمشة والعرض الذي أعجبتهن كثيرا¹. ومن خلال هذا الرصد يتبين الإرث الثقافي والحضاري للمرأة سواء اللباس التقليدي، أو الأثاث كالصناديق الخشبية المزينة التي ظلت تراثا حضاريا للجزائر، والمُميز هو الإحتفالات التي كانت تقام على شرف النسوة الحضريات، في عادة تعتبر فريدة ذات أبعاد إنسانية وثقافية وفكرية وإجتماعية وإقتصادية، فالنسوة كان لديهن فضاء خاص للقاء وأكيد تدور المناقشات والحوارات حول مختلف المسائل الشخصية والقضايا العامة الآتية لتلك الفترة، وكذلك الموسيقى والذوق الفني الراقي للنسوة في إستضافة الفرق الموسيقية والترفيه عن الذات وحب العيش وقيمة الحياة بالنسبة للمرأة الحضرية في تلك الفترة والترويج عن النفس من خلال الرقص، كذلك نرصد صورة أخرى عن المرأة وعرض اللباس كمؤشر على إهتمام المرأة بالموضة ومتابعة آخر المستجدات التي تخص إنتاج أنواع الأقمشة وأنواع الخياطة والطرز والحياسة ومتابعة جديد الأزياء، كما أن عملية خلع وتغيير الألبسة ينم على شغف المرأة المحلية بعرض الأزياء وحب الفرجة والمتعة، وآخر مؤشر يعبر عن الفاعلية الإقتصادية ويتمثل في البيع والشراء أي التجارة، فالنسوة يتجمعن لدى فاطمة للتمتع بالأزياء التي من خلالها تعرض عليهن السلع الجديدة ثم تضع أمامهن الأقمشة والألبسة للإختيار والشراء، وهنا يبرز الدور الإقتصادي للمرأة ومساهمتها في إعالة عائلتها، فمثلا نموذج فاطمة التي كانت من عائلة ثرية لكن الإحتلال تسبب في تدهور لوضع المالي لعائلتها، فكان على فاطمة كإمرأة حضرية التحرك والنشاط ففتحت بيتها للأجانب للتعريف بالعادات والتقاليد المحلية ولعرض الألبسة وبيعها للحضرريات أيضا من أجل المتاجرة بالألبسة والأقمشة أي البيع والشراء، وهذه الصور تعبر عن فاعلية المرأة المحلية تلك الفترة.

ب. صور الأطفال في الجزائر المستعمرة بين الإستحسان والمتعة والإستغلال.

رصد الرحالة شريحة الأطفال بدقة لسهولة رصد هذه الفئة، فهي متواجدة خارج البيت حيث كانوا يمضون معظم وقتهم في اللعب بشوارع المدينة، فكان اللقاء بهم سهلا لتدوين ملاحظات عنهم وفي صور الإستحسان والإعجاب يقدم الكاتب "جون لوران" أثناء زيارته لمدينة تلمسان صور مُبهرة عن الأطفال، وأبدى إعجابا شديدا بهم يصل حد الإيحاء خاصة في حديثه عن البنات الصغيرات ويصف ساحات المدينة التي تعج بالأطفال وتصخب بشقاوتهم كانوا يحملون ألعاب مختلفة وتجدهم يستخدمون مقاعد الدراسة يتجمعون في زوايا الشوارع، مثل تجمعات القطط وطباعهم تماثل طباع وشموخ صغار الآلهة المُشبعة بالجمال الإغريقي والسمو الشرقي حسب تعبيره، ويواصل وصفه عن

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique..., Op.cit., P.P. 126, 127,128.

الفتيات ذوات العيون الكبيرة السوداء ورغم صغر السن كن في شكل نساء، وكن حافيات ينظرن بعيون فضولية للغرباء بشكل مميز كالأميرات وكن مترفعات عن الرومي، ويتجولن في شوارع تلمسان وتميّن بشعر ذا لون أشقر وأيديهن مخضبة بالحناء مع وضع حلي من حلقات في الأرجل، أما الذكور فكانوا إجتماعيين فهم يمثلون حسب قول الكاتب "جون لوران" مستقبلا مشروع شاوش أو مترجم أو مرشد في نزل يتعامل مع الزوار الأجانب¹، وتتكرر هذه الصور الإيحائية عن الأطفال خاصة البنات، رصدها أيضا الكاتب الروائي "قاي دي موباسون" في حديثه عن البنات اليهوديات الصغيرات في قسنطينة. وفي صور بحث الفرنسيون عن المتعة في أحياء القصبة بين فتيات نايليات وفتيان صغار، نجد نماذج من الشدود الفرنسي والتعدي على الأطفال والقيم الإنسانية، ففي رحلته ينقل "لوران" بعض الوقائع حول يوميات الفرنسيين في أحياء مدينة الجزائر وهذا ما يحدث في عموم البلاد، إذ كانوا قرابة عشرة فرنسيين جاءوا لتحية صديق لهم في مطبعة فرنسية في الحي العربي بالقصبة، وكانوا يشعرون بالملل، فإقترح عليهم صديقهم فرجة خاصة وكان من بين الحضور وكيل جمهورية عام، محامي بمحكمة الإستئناف، أستاذ مدرسة الطب بالعاصمة، أدريان إثنان، موظف بنك بقسنطينة، عقيد صبايحية وغيرهم، كانوا يدخلون تبغ تركي ويتحدثون عن النساء الفرنسيات والأفريقيات، فقام مضيفهم بجلب فتاتين من بنات أولاد نايل من الحي البحري وهما فتاتين صغيرتين من الصحراء يبيعان جسدهما ويتسولان طيلة اليوم ويتسكعان أمام المقاهي لعرض قراءة الكف، وكانتا متزينات بأساور متألئة وبراقة، وصعدتا إلى الغرفة وكانتا خائفتين ملتصقتين ببعضهما "كالحيوانات المأسورة" بعيون قلقة ومرعوبة وأيدي صغيرة جاهزة للإنقضاض وتسريحات شعر غريبة مربعة وذهبية تصل حتى الحاجبين، وتنزل ظفائر الشعر لتحيط بوجههما الدائري زيتوني اللون ويضعان ستار من الموسلين المطبوع بالأزهار على أكتافهما مثل المعطف يغطي فستان القطن الأحمر اللتان يرتديانه، و"شكلهن كان غبيا" بالنسبة للكاتب وكانتا تنظران إلى الجمع بصمت ودون حركة، ويضيف الكاتب "أننا رأيناها كفاية" فأخذهما المضيف بعد تردد منهما وإصرار منه، وعاد بهما للعرض ثانية لكن هذه المرة كانتا من دون ملابس ولم يترك لهما إلا تسريحة الشعر، قام المدعون بلمس جسد الفتاتان ورصد دقائقهما وتعجبوا من جسدهما الذي يشبه تمثال برونزي، وأسهب الكاتب في الوصف الجسدي والإيحائي للفتاتين، كما يروي جزء من حديثهم ويبدو جليا أن الكاتب تغاضى وتحفظ عن ذكر الحثيات والإسهاب فيها، لكنهم تحدثوا عن إحضار طفل يدعى قدور بعمر الحادية عشر سنة للعرض بينهم².

وكما هو معروف كانت الجزائر قبل الزوار الفرنسيين وكان الفضول يدفع الرحالة والزوار للتعرف على المجتمع المحلي بكل مكوناته، لكن أيضا كانوا يبحثون عن المتعة بين الأحياء العربية خاصة أين يوجد المقاهي العربية والنايليات كما هو مبين في العديد من الكتابات، ورغم أنه لا يمكن القطع والجزم

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique..., Op.cit., P.P.24, 25.

²Ibid., P.P. 129, 130,131, 132,133.

في الوقائع إلا أن نساء أولاد نايل إشتهرن ببيع أجسادهن خاصة مع الظروف الإقتصادية الصعبة للمجتمع المحلي التي تدهورت بسبب الإستعمار وسياساته التدميرية للبنى التحتية والإقتصاد المحلي. والملاحظ أن الفرنسيون كانوا يبحثون عن المتعة بأي ثمن كان، من خلال شهادة "لوران" كان من بين الحضور وكيل الجمهورية ومحامي وأستاذ في الطب رفقة ضابط سام إضافة إلى الكاتب وزميله كأديبين وغيرهم، أي ما يزيد عن عشرة شخصيات ذات نفوذ ومكانة وثقافة ورغم ذلك كانت لهم جلسة سمر مع فتيات قاصرات تجرؤا على رؤية أجسادهما والإستمتاع بهما، ويبدو أن الكاتب أحجم عن سرد كل الواقعة وأكد أنهم عاشروا الفتاتين القاصرتين في تشجيع على بيع الأجساد وفي إعتداء على براءة الطفولة وكانوا يعاينونها كالحیوانات، ونفس الشيء حدث مع قدور الطفل ذا الحادية عشر سنة والذي كان يحرس المكان ودار حديث بينهم حول بلوغه الجنسي، وتوقف الكاتب فجأة عن سرد الواقعة والتي أكد أنها إنتهت بنفس قصة الفتاتين خاصة وأنهم إقترحوا إستقدامه مع الفتاتين، إن ما حدث مع أولئك الأطفال يُنم عن الوحشية واللاإنسانية ضد هذه الفئة من الجزائريين، والتي تغاضى عنها الباحثون ولم نجد إلا الدراسات التي تخص المجازر الفرنسية ضد الجزائريين لكن هذه المجازر ضد الأطفال وضد الإنسانية لم يتعرف عليها العامة من الناس، وهذا هو الوجه الآخر للإستعمار الفرنسي في المستوطنة التي مثلت الشرق بمفاته وإغراءاته وسحره فالمتعة والفرجة والجنس كانت من أسباب الرحلة إلى المستوطنة، وكانت النتيجة سلبية للغاية على السكان المحليين بتهديم القيم المجتمعية. ومن صور الإستغراب والتشويه حول الأطفال الذكور في البادية، يرصد الكاتب "لوران" صورة لأطفال ذكور من الصحراء وبالتحديد في القنطرة ببسكرة وينقل أنه كان حولهم أطفال من عائلة مُضيفهم الشاب أحمد كانوا نصف عراة أي يغطون جزءا فقط من جسمهم بقطعة ملابس، وما إن دخل الكاتب مع مرافقيه توجهوا إليهم طالبين المال من الكاتب¹، ونرى هنا صورة الأطفال التي نقلت بأوجه متعددة وجلها مشوهة، مثل نصف عراة، عند رؤيتهم للأجانب يتسولون "الصوردي"، إلخ، كما ينقل الكاتب الصورة عن الطفل من جنس ذكر بإزدراء، ولكن عند نقل صورة الفتيات عند نبع المياه كان فيه نوع من الإعجاب، وبالتالي في هذه الرحلة صورة الأطفال سلبية ومتضاربة ما بين الإعجاب بأجسامهم في صورة مبتذلة خاصة الفتيات وحتى الذكور وما بين مقتهم في صورة مشوهة خاصة الذكور بالبادية.

ج. صور الرجل المحلي بين التشويه عن المقاوم والإعجاب بالمرافق المتعاون.

حظي الرجل المحلي برصد صورته لكنها لم تكن بنفس صورة المرأة والطفل ولا بنفس التركيز والتدقيق وهي صورة سطحية وسريعة ونمطية، فالعربي يتميز بمظهره ولباسه، أما وصفه فلا يخلو من السلبية ونظرة الإحتقار بإستثناء الذي يتعامل مع الفرنسيين فهو نبيل شكلا ويظهر بصورة إعجاب.

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique..., Op.cit., P. 200.

فصورة الإعجاب للرجل والتي إنتشرت بكثرة مرتبطة بالدليل السياحي والمرافق للرحالة، نقلها الكاتب "جون لوران" عن رجل يدعى أحمد كان دليلهم في الرحلة في منطقة القنطرة، ووعدهم لإستضافتهم في بيته للتعرف على الداخل العربي، إذ يقول : "... أحمد شاب بربري رائع، بعيون بريئة وإبتسامة طفولية يبدو نبيلاً ببرنوسه الصوفي وكأنه أمير، إقترح علينا أمس أخذنا إلى منزله"، وفي الموعد المحدد ذهب معه "لوران" رفقة أمه وعائلة "جيل شيريراث" "Les Jules Chéret" التي كانت ترافقهم طيلة رحلتهم من الجزائر، ويرى الكاتب أن الدليل أحمد كان جذاباً بتصرفات لبقة وأخذهم إلى بيت عمه وأمه وأزواج أخواته وزوجات إخوته وأبناء عمه المتزوجين¹، وهنا أعجب الكاتب بهذا الرجل الذي تحدث لغتهم وتعامل معهم وسمح لهم بزيارة الداخل العربي والتعرف عليه من أثاث إلى عادات وتقاليده إلى نسوة. ومن جهته يرصد الكاتب "قاستينو" أيضاً صورة المرافق "محمد" الذي رافقه خلال رحلته إلى بني حمرة جنوب سعيدة، وكان إنطباع "قاستينو" جيداً في أول لقاء بينهما، إذ وجده يصلي صلاة الظهر وأعجب كثيراً به وظل ذلك المشهد راسخاً لدى الكاتب، وأحضر له محمد التمر وقطف أيضاً التين الشوكي وتوجه به إلى منبع ماء أين وجد بعض النسوة وحدثهن، وأعجب الكاتب كثيراً بهذا المشهد² الشرقي. كما ترصد الكاتبة "إيزابيل إبيرهارد" ظاهرة المرافقين للسياح من أبناء منطقة الحضنة، كالبديوي الكبير الذي قدم نفسه بفتى القايد أي يعمل لحساب القايد والتحق صباحاً بقافلة الزوار في المنزل، وتصفه الكاتبة "بالفتى القوي البنية"، وتفصل الوصف بإعجاب وتدقق من المظهر إلى الصفات والملاح³. ومن خلال كل الرحلات التي مرت علينا نلاحظ تكرار النظرة بين الرحالة تجاه المرافقين من الأهالي أو الدليل السياحي الذي يرافقهم في رحلتهم، فهو يتكلم الفرنسية وينقلهم للتعرف على دقائق وخفايا المجتمع، وبالتالي فهو في تصورهم يتقبل وجودهم ويرافقهم ويندمج معهم ويقاسمهم الطعام وأحياناً يكون متأمرًا معهم ضد السكان لكي يساعدتهم في التعرف خلصة على بعض الخبايا أو ينقلهم لبيته للتعرف على الداخل المحلي، وبذلك رصد الرحالة الرجل المحلي الذي يرافقهم باللفظ واللباقة والجمال والنظافة وغيره من الصفات الإيجابية فقل ما نجد من ينتقد المرافق العربي، إلا في حالة طلب المرافق أجرة مرتفعة حينها فقط يُنعت بأنه غير نزيه، وما عدا ذلك لم يعترضنا أي رحالة ينتقد مرافقه العربي. ومن الصورة الإيجابية الأخرى والتي توازي صورة المرافق أو الدليل السياحي، وهي صورة إيجابية عن القايد أو أبناءه أو أي رجل عربي يتعاون مع الإدارة الإستعمارية، فالرحالة "دي فونتراس" ينقل هذه الصور في جولته ببسكرة أين التقى بقايد المدينة، ويصفه بـ "...رجل ذا منظر جيد له 45 سنة كان

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique..., Op.cit., P. 198.

²Benjamin Gastineau., Les femmes et les mœurs de l'Algérie, Paris, librairie de Michel Lévy frères, 1861, P.P.179, 181.

³Isabelle Eberhardt., Pages d'Islam, Paris, Fasquelle éditeurs, publiées avec une préface et des notes, par Victor Barrucand, 1932, P. 261.

يتجول في المدينة مترجلاً، بلباس عربي برنس بني وفي صدره شريط مزين بزينة الفرقة الشرفية، يرافقه ما بين 8 إلى 10 من الخدم ويتوقف العرب في الطريق لتحيته في منظر من الهيبة والإحترام،¹.. ومن الصور السلبية عن الرجل المحلي صورة تجمعهم في المقاهي الحضرية وتدخينهم الحشيش، فنرى نفس الكاتب "الوران" الذي يثني على مرافقه العربي ينعت العرب في الطريق بنعوت سلبية وينتقد كل شيء فيهم، من اللباس إلى نظراتهم وحديثهم إلى تجمعهم في المقاهي العربية الى تدخينهم الحشيش أي من مظهرهم إلى منظرهم وحتى نفسياتهم وتفكيرهم، وهذا غير منطقي وغير موضوعي بل كان يحقد على العرب ويصفهم بذاتية تغذيها النظرة الإستعمارية للأهلي أو الآخر الذي يجمع كل الصفات السلبية، لأنه محافظ على دينه وعاداته وتقاليده ولم يندمج مع المستوطنين أي لم ينسلخ عن مقوماته وظل يشكل تميزاً في المشهد العام للشارع بلباسه وعاداته وتقاليده، والمحافظة والتمسك بعناصر هويته وبالتالي يُذكر الغريب الآخر الأوروبي المُستعمر والمُعمر أنه صاحب البلاد الأصلي وأنهم دخلاء. والملاحظ أن رصد الرحالة الفرنسيون للرجل المحلي من خلال ما مر علينا من رحلات بصور تكاد تكون قارة وثابتة ومتماثلة، إما صورة العربي في المقهى ببرنسه وشاشه وهو يشرب القهوة أو يدخن الحشيش ويستمتع برقصات النايليات أو القبائليات أو المرأة الحضرية بصفة عامة، أو صورته في السوق أو الشارع بلباسه العربي أي صورة ظاهرية دون التفصيل، وفي ما يخص النشاط الإقتصادي فالحضري إما حرفي أو صاحب دكان، والبدوي ينحصر في صورة الرجل الكسول الذي يجمع زوجات يقمن بالعمل بدلا عنه أو يساعده إلى أقصى الحدود، والصورة الثانية هي صورة الدليل الذي يستقبل الرحالة ويرشدهم في رحلاتهم وهي صورة ثابتة، فدائماً ما يعجب الرحالة بالدليل من لباسه إلى تصرفاته وخصاله وينقل حكاياته، ويختلف الإنطباع فقط في الصورتين الأولى سيء والثانية جيد وكأنما الفرنسيون كانوا ينظرون للأهلي الذي يترك مسافة بينه وبينهم بالرجل المتسخ والساذج والشرير في حين الذي يرافقهم فهو جيد في كل جوانبه في حديثه وفي صفاته.

¹Armand Rumet de Fontarce., Souvenirs d'Afrique, Algérie, Tunisie. Mission officielle, journal de voyage, Op.cit., P.63.

القسم الثالث

القسم الثالث: الموروث الحضاري للجزائر من خلال كتابات الرحلة.

الفصل الأول: العمران والموروث الثقافي في الجزائر.

أولاً: المدينة بين الوصف وسحر الشرق، نماذج عن مختلف مناطق البلاد في كتابات الرحالة الفرنسيين.

أ. نماذج مدن محلية في عيون الرحالة الفرنسيين.

1. مدينة الجزائر، المدينة الكوسموبوليتية وأهم أحياءها.

2. مدينة مليانة في كتابات الرحالة "آلفونس دودي" و"لويس فايو".

3. مدينة الورود البليدة.

4. مدينة قسنطينة في كتابات الرحلة، صور متعددة ما بين مدينة الضباب والدباغة والغريان.

5. المسيلة في كتابات الرحلة، جوانب عن عمران وأنتروبولوجية المدينة في كتابات بول أودال، إيزابال إبيرهارد وجارتريد.

6. وهران المدينة الكوسموبوليتية.

7. تلمسان مدينة الأمراء والجذب ما بين الأطفال والأطلال.

8. مدينة سيدي بلعباس مركز متقدم للقوات الفرنسية في الغرب الجزائري.

9. مستغانم المدينة الفرنسية.

10. بسكرة اللذيذة مدينة السماء الأزرق من خلال الرحالة "نيال أوليدون" "Niel, Odilon"، والرحالة "ألفريد بارودون" "Alfred Baraudon".

11. الأغواط المدينة التي جذبت الرحالة والمستكشفين، وألهمت الرسام "أوجان فرومونتان".

ب. صور ذات أبعاد إقتصادية وسياحية عن سحر الصحراء.

1. صورة الصحراء من خلال القوافل التجارية والأهمية الإقتصادية.

2. النظرة الميثولوجية للصحراء في مخيلة الرحالة والإسقاط الرمزي لصورة البحار والمحيطات على الصحراء.

3. صورة رحلات الصيد والمتعة.

4. سباق المهري صورة من صور الجذب السياحي.

5. الصحراء، صورة للخرجات والتنزه.

6. صحراء بسكرة منتجع شتوي للتخييم والتداوي.

ج. نماذج لمرافق حياتية بالمدينة.

1. المقاهي العربية وفضاءات المتعة، نماذج بالحي العتيق بقسنطينة والأغواط.

2. الحمامات، نماذج حمامات بالمدن كالعاصمة وقسنطينة وفضاءات الإسترخاء والمداواة.

3. الحلاق.

4. مرافق أخرى بالمدينة.

5 . البيت العربي من الداخل، صور عن الداخل بالبيوت في البيئة الصحراوية.
ثانيا: معالم تاريخية للمدن المحلية وأثر التغير العمراني بعد الاحتلال.
أ. المدن الأثرية "المينة" نماذج من الحضارة المحلية.
1. المنصورة.

2. تيمقاد.

3. جسر القنطرة معلم بسكرة التاريخي.
ب. أهم المعالم العمرانية والتاريخية المحلية بالبلاد.
1. قصبه الجزائر معلم جذب تاريخي للرحالة.
2. المدينة العربية بمستغانم.
3. المدينة العتيقة بالأغواط.
4. المدينة العتيقة ببسكرة.
5. قصر أحمد باي معلم أثري وحضاري لمدينة قسنطينة.
6. حديقة السيد لوندون "Landon" بمدينة بسكرة صورة الصحراء الخضراء.

7 . قرية الزنوج ببسكرة.

8. القصور والموروث العمراني والحضاري في الصحراء الجزائرية.

ج. الإستعمار الفرنسي وتغيير المعالم العمرانية.

1. الإستعمار الفرنسي والتغير العمراني لمدينة الجزائر.

2. بسكرة بين الإرث العمراني العتيق والتغير الكولونيالي.

3. الأغواط بين التخريب والتحديث بعد دخول الاحتلال الفرنسي.

4. الفنادق الواجهة المستحدثة بالمدن الصحراوية.

الفصل الثاني: الموروث الديني والبيئي في الجزائر.

أولا: الموروث الديني من خلال قراءات في الطريقة والسياسة الدينية.

أ. الطريقة العيسوية وعولمة الثقافة المحلية.

1. الطريقة العيسوية في كتابات الرحالة الفرنسيين بين الصورة النمطية والميثولوجية.

1. 1. الرحالة الكاتب "شارل كارثورون" "Charles Carteron".

1. 2. الرحالة الكاتب "شارل جوردون" "Charles Jourdan".

1. 3. الرحالة الكاتب "ألفريد بارودون" "Alfred Baraudon".

1. 4. الرحالة الكاتبة "لويس ريجيس" "Louis Régis".

2. الطريقة العيسوية ودورها في التعريف بالثقافة المحلية من خلال السياحة الكولونيالية.

2. 1. الرحالة الكاتب "بول أودال" "Paul Eudel".

2. 2. الرحالة الكاتب "دو فونتراس" "Armand Trumet De Fontarce".

2. 3. الرحالة الكاتب "إميل ماسكوري" "Émile Masqueray".

2. 4. الرحالة الكاتب "هنري دروي" "Drouet Henri".

2. 5. الرحالة الكاتب "إدوارد دالاس" "Édouard Dallès".

ب. القديس أوغسطين والسياحة الدينية.

1. القديس أوغسطين وطريق الحج إلى هيبون.
2. رحلة حج الرحالة الكاتبة Mme Marie Noël إلى هيبون.
3. صورة القديس أوغسطين في كتابات الرحلة لرجال الدين.
3. 1. القديس أوغسطين من خلال رئيس أساقفة كامبري "L'Archevêque de Cambrai".
3. 2. القديس أوغسطين من خلال رئيس الدير سيشي L' Abbé Suchet.
3. 3. القديس أوغسطين من خلال رئيس الدير ليون سيبور "M. l'abbé Léon Sibour".

ثانيا: الموروث البيئي والإستعمار الفرنسي.

أ. الحيوانات البرية ما بين الثقافة الشعبية والواقع الإستعماري.

1. الأسود والنمور في الفلكلور والثقافة الشعبية لسكان البلاد.
2. الأسود والنمور في البلاد أثناء الاحتلال الفرنسي.
3. الأسود معالم جغرافية.
- ب. شهادات الرحالة عن عمليات الصيد المنظم للأسود من قبل المستوطنين والضباط الفرنسيين.
1. أشهر الصيادين الفرنسيين للأسود في البلاد.
2. رحلات الصيد.
3. دور الإحتلال الفرنسي في إنقراض الأسود ومختلف الحيوانات البرية.

الفصل الأول

الفصل الأول: العمران والموروث الثقافي في الجزائر.

أولاً: المدينة بين الوصف وسحر الشرق، نماذج عن مختلف مناطق البلاد في كتابات الرحالة الفرنسيين.

أ. نماذج مدن محلية في عيون الرحالة الفرنسيين.

1. مدينة الجزائر، المدينة الكوسموبوليتية وأهم أحيائها.

2. مدينة مليانة في كتابات الرحالة "آلفونس دودي" و"لويس فايو".

3. مدينة الورود البليدة.

4. مدينة قسنطينة في كتابات الرحلة، صور متعددة ما بين مدينة الضباب والدباغة والغريان.

5. المسيلة في كتابات الرحلة، جوانب عن عمران وأنثروبولوجية المدينة في كتابات بول أودال، إيزابال إبيرهارد وجارتريد.

6. وهران المدينة الكوسموبوليتية.

7. تلمسان مدينة الأمراء والجذب ما بين الأطفال والأطلال.

8. مدينة سيدي بلعباس مركز متقدم للقوات الفرنسية في الغرب الجزائري.

9. مستغانم المدينة الفرنسية.

10. بسكرة اللذيذة مدينة السماء الأزرق من خلال الرحالة "نيال أوليدون" "Niel, Odilon"، والرحالة "ألفريد بارودون" "Alfred Baraudon".

11. الأغواط المدينة التي جذبت الرحالة والمستكشفين، وألهمت الرسام "أوجان فرومونتان".

ب. صور ذات أبعاد إقتصادية وسياحية عن سحر الصحراء.

1. صورة الصحراء من خلال القوافل التجارية والأهمية الإقتصادية.

2. النظرة الميثولوجية للصحراء في مخيلة الرحالة والإسقاط الرمزي لصورة البحار والمحيطات على الصحراء.

3. صورة رحلات الصيد والمتعة.

4. سباق المهري صورة من صور الجذب السياحي.

5. الصحراء، صورة للخرجات والتنزه.

6. صحراء بسكرة منتجع شتوي للتخييم والتداوي.

ج. نماذج لمرافق حياتية بالمدينة.

1. المقاهي العربية وفضاءات المتعة، نماذج بالحي العتيق بقسنطينة والأغواط.

2. الحمامات، نماذج حمامات بالمدن كالعاصمة وقسنطينة وفضاءات الإسترخاء والمداواة.

3. الحلاق.

4. مرافق أخرى بالمدينة.

5. البيت العربي من الداخل، صور عن الداخل بالبيوت في البيئة الصحراوية.

ثانياً: معالم تاريخية للمدن المحلية وأثر التغير العمراني بعد الإحتلال.

أ. المدن الأثرية "المينة" نماذج من الحضارة المحلية.

1. المنصورة.

2. تيمقاد.

3. جسر القنطرة معلم بيسكرة التاريخي.
- ب. أهم المعالم العمرانية والتاريخية المحلية بالبلاد.
1. قصبة الجزائر معلم جذب تاريخي للرحالة.
2. المدينة العربية بمستغانم.
3. المدينة العتيقة بالأغواط.
4. المدينة العتيقة ببيسكرة.
5. قصر أحمد باي معلم أثري وحضاري لمدينة قسنطينة.
6. حديقة السيد لوندون "Landon" بمدينة بيسكرة صورة الصحراء الخضراء.

7. قرية الزنوج ببيسكرة.

8. القصور والموروث العمراني والحضاري في الصحراء الجزائرية.

ج. الإستعمار الفرنسي وتغيير المعالم العمرانية.

1. الإستعمار الفرنسي والتغير العمراني لمدينة الجزائر.
2. بيسكرة بين الإرث العمراني العتيق والتغير الكولونيالي.
3. الأغواط بين التخريب والتحديث بعد دخول الإحتلال الفرنسي.
4. الفنادق الواجبة المستحدثة بالمدن الصحراوية.

الفصل الأول: العمران والموروث الثقافي في الجزائر.

في هذا الفصل نقدم تعريفا بالموروث الحضاري والثقافي للجزائر خاصة المدن والعمران من خلال عدة مظاهر في المدينة التي كانت مركز الرحالة الزائرين للمستوطنة وموضوعا لمشاهداتهم.

أولاً: المدينة بين الوصف وسحر الشرق، نماذج عن مختلف مناطق البلاد في كتابات الرحالة الفرنسيين.

كانت المدن محط رصد الرحالة الذين كانوا يزورونها باحثين عن شيء مميز قد يربط المدينة بالإستعمار تاريخيا أو يفتح المدينة على الإستعمار، أما الحيز الجغرافي للوصف فكان يتسع بين المدينة والريف في كل المدن التي يصلها الرحالة دون تمييز، ويرجع ذلك في تصورنا إلى أن "الفتح"¹ كان هدفاً ومهمة الجميع، أي المشاركة في الإستعمار وتشجيع الإستيطان الفرنسي والأوروبي بالبلاد.

أ. نماذج مدن محلية في عيون الرحالة الفرنسيين.

نعرض صور عن المدينة المحلية وأهم المدن المركزية الشمالية والجنوبية كما نتعرف على البعد الإقتصادي والتجاري للمدن الصحراوية من خلال السياحة وتُعرف بالمرافق الحياتي المحلية بالمدينة.

1. مدينة الجزائر، المدينة الكوسموبوليتية وأهم أحياءها.

عبر الرحالة "أليكسندر فيليكس راثو" عن إعجابه بمدينة الجزائر التي وصلها قادما من مرسيليا بتاريخ 18 أبريل 1878 وتحدث عنها بإسهاب، وفصل في الحديث عن المدينة بأحيائها خاصة الحي الفرنسي الذي بُني حديثا وفرق المدينة العربية القديمة عن المدينة الفرنسية التي بنيت على أنقاض معالم المدينة القديمة وفصل في التغييرات التي طرأت على المدينة العتيقة بسبب التوسع الإستعماري والملاحظ أن مدينة الجزائر مدينة كوسموبوليتية تضم الأعراق من كل الجنسيات وبمختلف الأزياء وبيبرز البرنس العربي بينها وتتداخل معه أزياء العسكر من كل الفئات العسكرية بألبستهم وزيهم العسكري كالزواف والرماء الجزائريون والصبايحية، ويواصل الوصف في الرسالة الرابعة ويؤكد أن شعوره وشعور أي رحالة يزور المدينة أول مرة لا يوصف، فعند رؤية العاصمة وأحيائها والحركية الكبيرة بها وتنوع الأعراق والأزياء والألبسة واللغات ينبهر، وتدهشه هذه المظاهر المميزة جدا² هناك.

¹الفتح "La Conquête" مصطلح إستخدمه الكتاب الفرنسيون بدلا من مصطلحي الغزو "Invasion" أو "

L'Envahissement" والإحتلال "La Colonisation".

²Alexandre-Félix Ratheau., L'Algérie vue à tire d'ailes, ou Lettres d'un oiseau de passage..., Op.cit., P.P.1, 9, 21, 23, 25, 34.

وأول ما يمكن إستنتاجه أن الجزائر العاصمة أو الجزائر البيضاء مثلت المدينة المعلم للإيالة وكان وصول "جون لوران" إليها أين مكث فيها شهرين في فصل الشتاء وتحديدا يوم 16 جانفي ووجد الثلوج تتساقط والأمطار والبرد، وكان المنظر مذهل بالنسبة للكاتب الذي رأى الجزائر تكتسي حلة بيضاء وقدم الكاتب مناخ وتضاريس مدينة الجزائر والمقاهي والقصبة بأسلوب أدبي محض يميل إلى الرومنسية والشاعرية بالتنشيب والمجاز، والجزائر من المدن الأكثر زيارة ووصفا ورصدا من قبل الرحالة الفرنسيين والأجانب، فهي عاصمة الإيالة وعاصمة المستوطنة ومركزها السياسي والإقتصادي النابض. وما يستنتج حول المدينة رصد أحياء ومعالم العاصمة، التي حظيت بإهتمام واضح من الأجانب ومنها حي سيدي محمد ضاحية الجزائر البيضاء المترف، فهي مدينة تبدو بيضاء من بعيد مع زرقة البحر كأنها توضع وشاحا وتبدو من جهة أعالي مصطفى [حي غرب العاصمة وهو سيدي محمد حاليا] منطقة خضراء، وتُشبه بالحضرية النائمة رأسها في بوزريعة وأرجلها في البحر، وفي الأعلى يعلو الغبار شارع "ميشلي" [شارع ديدوش مراد حاليا] بهضبة سوليير بسبب الترامواي من رويسو [العناصر حاليا] إلى آغا [زبوزج الآغا قديما والجزائر الوسطى حاليا] لكن وسائل نقل الحي العربي الضيق والمحدب هي الأحمر التي تحمل على ظهورها الأوساخ والسلع، ويُسهب الكاتب الذي أعجب بحي مصطفى-سيدي محمد-الذي يعبر عن الرخاء بحدائقه وفنادقه الفخمة بخمسة فرنكات الليلة كـ "كيرش" "Kirsch" و"كونتينونتال" "Continental"، والمنازل الفخمة ذات الطراز الموريسكي التي يتم كراءها بعشرين ألف فرنك للفصل للإستشفاء وتمضية الوقت من قبل الأثرياء، وكذلك منازل فرنسية بكل وسائل الراحة، والمشغل التي يكتريها موسيقيون ورسامون مولعون بالضوء، فالجزائر مثلت مكانا للإستجمام ومصيف للراحة والإستشفاء في كل الفصول، ومثلت المباني مثالا للتمازج بين الطراز المعماري المغاربي والشرقي في الجزائر، وينتقد الكاتب التواجد الإنجليزي بكثرة كما لاحظنا ذلك في وسائل النقل وفي كل مكان وكذلك سيطرتهم على دكاكين البقالة والصيدليات ومحلات البوظة فجل المحلات أصحابها إنجليز، في حين خدمة البيوت يختص بها السويسريون وخاصة من جنيف أما الألمان فإختصوا بالفنادق¹، وهنا نلمس الجانب العنصري للرحالة والكتاب الفرنسيين ضد الأوروبيين. ومن الأحياء التي وصفت بكثرة في العاصمة حي منعطفات روفيقو [دبيح شريف] بالقصبة، الذي كان يقع أسفل ثكنة أورليون وتمتد أسواره وحصونه الموريسكية بكل مدينة الجزائر والمرفأ والميناء إلى الجبال البعيدة التي تعكس لونها البنفسجي مع مياه البحر الزرقاء، وفي يسار الحي بيوت القصبة الأخيرة معبأة في الأزقة وتنتهي في ساحة رومبار ميدي أو ساحة الخضارين أين يوجد مقهى حضري راق هو مقهى تركي أكثر منه عربي كراسيه في الساحة، وينجذب إليه الأهالي بالموسيقى الصادرة من الداخل، ثم يوجد درج روفيقو الذي يوصل للبحر والمدينة الفرنسية الجديدة وكان الطريق مليء بأشجار

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique..., Op.cit., P.P.78, 134, 135, 136, 137,138.

الخروب في منظر مميز والحركة نشطة، فالمكان جمع بين المظهر العسكري والعربي الأهلي والفرنسي وتقابلته وتجاوره القصبة التي يسيطر عليها حي الزواف وقصر الداوي الذي حُول إلى ثكنة عسكرية، وأكد "جون لوران" أن مدينة الجزائر أنسته مدينة باريس المرعبة التي تضغط على الأعصاب والذاكرة وتضطرك إلى شرب المخدرات والإيثر والمورفين وغيره والحياة بها قاسية جدا، ويتحسر على مغادرة الجزائر البلد الذي بفضل شُفي وكان يدرف الدموع على فراقه حسب تعبيره¹، والملاحظ أن مدينة الجزائر حظيت بوصف مفصل وبإسهاب من قبل كل الرحالة الذين زاروا البلاد وكان الوصف دقيقا بدءا بمنظر المدينة عند الوصول إلى الإقتراب من ساحل البحر وصولا إلى القصبة والأزقة والأسواق والسكان والمباني المعلمية والقصور، ولا يمكن حصر الوصف لكثيره كما أن الإنطباع تشابه بين الزوار لهذه المدينة الرمز واللغز "مدينة القراصنة" حسب توصيف الفرنسيين عن الجزائر. وكذلك من خلال المشاهد والمقتطفات التي رصدها "لوران" أظهرت أنه كان يمقت الأوروبيون مثل مقتته للعرب واليهود خاصة الإنجليز فهو يشمئز من تواجدهم في وسائل النقل والمحلات والساحات والشوارع، وحتى الألمان وباقي الجنسيات الأوروبية كان يتحدث عنها بعنصرية، ويدخل ذلك في إطار الهجرة الأوروبية وسيطرة الجنسيات الأوروبية المختلفة على المرافق الحياتية خاصة مع قوانين الإستيطان التي تشجع الهجرة الأوروبية وتمنح إمتيازات إقتصادية للأوروبيين وفي ما بعد منح الجنسية الفرنسية لكل الأوروبيون الذين ولدوا بالجزائر، مما جعل الفرنسيون يعتبرون أنفسهم أحق بالبلاد من غيرهم من الأوروبيون، ولم ترقى لهم فرنسة غير الفرنسيين من الأوروبيون وتمتعهم مثلهم بالإمتيازات.

2. مدينة مليانة في كتابات الرحالة "آلفونس دودي" و"لويس فايو".

حظيت مدينة مليانة بإهتمام سلطات الإحتلال الفرنسي، وكانت من المحطات الهامة التي زارها الإمبراطور "نابوليون الثالث" في زيارته للبلاد، إذ زارها يوم الأحد 7 ماي 1865 وصلها عبر القطار إنطلاقا من "بليدة" على طول طريق جبلية، وعند وصوله المدينة إستقبل من طرف السكان وإتجه إلى نزل المدينة وأضيئت المدينة مساء بالأضواء وتعالّت ضربات المدافع المدوية في أعالي "جبل زكار" الذي يحضن المدينة، وتقع المدينة في أجمل المناظر الطبيعية بالجزائر فهي معلقة في الجبل مبنية على صخرة تحيط بها سلاسل جبلية، يحدها من الجنوب "واد الشلف" وتحيط بها من الشرق والغرب هضبة مسقية وخصبة صالحة للزراعة وبذلك فمدينة مليانة تتميز بموقعها الإستراتيجي ومناظرها الخلابة وبساتينها الخضراء² بجمال الأطلس في أسفل جبل زكار الغربي على إرتفاع شامخ مما جعل مناخها قاص في فصل الشتاء، ومنحها هذا الموقع أراض خصبة خاصة محاداتها من الجنوب لواد

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique..., Op.cit., P.P. 147, 148,151.

²René De Saint-Félix, Le Voyage de S.M L'Empereur NAPOLEON III En Algérie, Paris, Eug.Pick, De L'Isère, éditeur, 1865, PP.119-121.

الشلف، وشكلها مربع بها شارع بثلاث طرق واسعة وينتهي الشارع بساحة السوق والمنازل الموريسكية التي أنقذت من الحريق وفي العادة مكونة من طابقين أرضي وأول بالقرميد ومصبوغة باللون الأبيض وكان بمليانة عند دخول الفرنسيين خمسة وعشرون مسجدا منها ثمان جوامع كبيرة حُول مجملها لثكنات عسكرية ومستشفيات وأحدها حُول لمسرح ولم يتبقى بالحي الأهلي إلا ثلاث جوامع، وهي الجامع الكبير والجامع الجديد والجامع الذي يوجد به ضريح الولي الصالح "سيدي محمد بن يوسف" ورغم محاولات سلطات الإحتلال تحويله إلى ثكنة لكنها تراجعت بعد إحتجاج السكان الشديد عليه¹. وسيطر عليها "الأمير عبد القادر" منذ 1834 وعين بها الخليفة "بن مبارك"، وكان إحتلال مدينة المدية في 17 ماي قد عجل من إسقاطها في يد الإحتلال في 8 جوان 1840، وعند قدوم قوات الإحتلال أخلى السكان المدينة وأضرموا بها النيران فوجدها الفرنسيون ركام من الحطام، وكان من الشاق إصلاح بعض المنازل لإسكان الجنود خلال فصل الشتاء، وواصل "الأمير عبد القادر" محاصرتها من 1840 إلى 1841، وكان من الصعب على الفرنسيين المتواجدين بها التواصل مع العاصمة إلا بمرافقة عدد كبير من القوات، أما المؤونة فلم تكن تدخلها إلا بالتفاوض مع "الأمير عبد القادر" ورضاه². وفي شهر أكتوبر 1840 قدم "الجنرال شونقارنيي" "Le Général Changarnier" لنجدة الفرقة العسكرية بالمدينة بقيادة "الكولونيل إيلان" "Le Colonel Illen" والتي قضى عليها المرض، وكان تحت إمرته 1200 رجل توفي منهم 700 ودخل المستشفى 400، ولم يتبقى إلا قلة بالكاد قادرة على حمل البنادق ومثلت مليانة المدينة الأكثر مشقة للجنود الفرنسيين بين كل المناطق التي وصلها الإحتلال الفرنسي آنذاك، ولم يتمكن "الجنرال شونقارنيي" من السيطرة على المدينة إلا عام 1842 برحيل "الأمير عبد القادر" باتجاه الغرب الجزائري لوهران، وبذلك عاد الهدوء لحدود مليانة وفتح طريق "القنطاس" "Gontas" عام 1843 مما سمح للأوروبيين بالتنقل والعبور إلى البلدة وإستقر السكان بالمدينة، وبدأ في ترميم المنازل وبناء المنشآت الجديدة مما أفقد المدينة مظهرها العربي الأصيل، لكنها حافظت على بعض المعالم العريقة كمسجد المرابط "سيدي محمد بن يوسف" الذي يعود إلى أربعة قرون خلت³. أما عن صورة مدينة مليانة في كتابات الرحلة فكانت زيارات الفرنسيين إليها عديدة بعضها برفقة عسكرية في إطار الحملات الرسمية كبعثة إكتشاف الساحل، فكان دخول المدينة برفقة "الجنرال شونقارنيي" أو رحلات شخصية وصُورت مليانة بكثرة كمدينة ساحرة بمواقعها التي تجذب المسافرين⁴.

¹Rozet Et Carette, L'Algérie, Etats Tripoliains, Tunis, éditions Bouslama, 1980, P.62.
Voy : Louis Piesse, Itinéraire De L'Algérie De La Tunisie Et De Tanger..., Op.cit. , P.88, 89.

²René De Saint-Félix, Le Voyage de S.M L'Empereur NAPOLEON III En Algérie..., Op.cit., P.122.

³Ibid., P. 123.

⁴X., Récit Succint d'une exploration Sur le littoral d'Algérie suivi de l'Immortelle défense de Mazagran, Paris, Chez Violet, éditeur, 1841, P.5.

وتلازم هذا الوصف عن مدينة مليانة لدى عديد الرحالة الذين وصفوها بالمدينة الساحرة "بول بورد" Paul Bourde" شبهها ببلاد الأندلس خاصة قرب موقعها بجبل "زكار" الذي أضفى عليها سحرا خاصا وكانت تحيط بها البساتين والأشجار المثمرة، كما إشتهرت بإنتاج عدة فواكه مميزة بذوقها وأحجامها. وتتوفر بمليانة المياه التي تسقي البساتين وتؤمن حاجة السكان، وتوجد بينها وبين خميس مليانة التي تفصلهما 9 كلم ما يزيد عن 14 معصرة زيت وذلك لوفرة الإنتاج وتنوع أنواع الزيتون بالمنطقة، وما يُميز مدينة مليانة هو موقعها المميز والمناظرها الطبيعية والبساتين الخضراء بها، وكان بها 7000 ساكن¹. وكان بناء مدينة مليانة على أنقاض المدينة الرومانية القديمة التي إختفت في القرن الخامس وأعيد بناءها على يد الزيريين في نفس الوقت مع المدينة والجزائر، وهي مدينة محصنة بأسوار وبها بابين مبنيين على أنقاض سور قديم ومُزينين بأشجار، وتتمتع مليانة بمناظر خلابة تتوفر بها المياه طيلة السنة وتمتلك أراضي خصبة وتُمول الشلف والبلدية والجزائر بمختلف المنتجات من خضر وفواكه². ومن الأوصاف المعروفة لمليانة في كتابات الرحلة الفرنسية هي "مليانة الضاحكة"، وكانت تطل على القادمين إليها من خميس مليانة من زاوية ضيقة للوادي فوق صخرة جبل على إرتفاع 740 متر. ومليانة دائرة عسكرية تابعة لمقاطعة "الشلف" "Orléansville"، كانت بها آنذاك مدرسة بلدية وإبتدائية للبنات بإعتبارها مركز مدني لكن ما يعاب عليها هو مرور خط السكة الحديدية بعيدا عنها مما مثل خسارة كبيرة للمدينة، إذ نقلت التجارة إلى "خميس مليانة" رغم الإمكانات الإقتصادية التي تتمتع بها³. ومن الكتاب الرحالة الفرنسيين الذين كتبوا عنها "آلفونس دودي" "Alphonse Daudet"، إذ تعتبر مدينة مليانة من المدن التي لاقت إهتماما كبيرا من الزوار والرحالة، وكانت تقريبا محطة قارة في زيارتهم زارتها شخصيات مشهورة وكتبوا عنها، كما أن عموم الرحالة وثقوا زيارتهم لهذه المدينة كآلفونس دودي" وهو من مواليد 13 ماي 1840 بنيم الفرنسية، إنتقل لبائيس لمواصلة الدراسة عام 1857 أين بدأ الكتابة ثم بدأ في النشر في الجرائد، وفي شتاء 1861 مرض فذهب في رحلة مع قريبه "هنري رينو" إلى الجنوب لكنه تجاوز الجنوب الفرنسي إلى الجزائر وظل بها من 19 ديسمبر 1861 إلى غاية 25 فيفري 1862 ولما عاد كتب عن الرحلة⁴، حيث مكث بالجزائر والبلدية والشلف خاصة مليانة التي تبعد بحوالي 200 كلم عن الجزائر العاصمة، وبعد هذه الرحلة الفريدة في الجزائر ألف رحلته عن الجزائر بعنوان الرحلة "رحلة وجديد عن الجزائر" « Récits et Nouvelles D'Algérie » ونشرت أول مرة

¹Paul Bourde, A Travers L'Algérie, souvenirs De L'Excursion Parlementaire (Septembre-Octobre 1879)..., Op.cit., P.P.330, 331.

²Guide Pratiques Conty, Algérie-Tunisie, Paris, Administration De Guides Conty, 1901, P.P.95, 96.

³Louis Piesse, Itinéraire De L'Algérie De La Tunisie Et De Tanger..., Op.cit., P.P.86, 87.

⁴Alphonse Daudet, Récits et Nouvelles D'Algérie, Paris, La Boite à Documents, 1990, P.7.

سنة 1862 ثم أعيد نشرها سنة 1873¹، ووثق "آفونص دوي" رحلته إلى مليانة فعند وصوله إليها يقول: "... وأخيرا أرى مليانة البيضاء تطل مرتفعة من أعلى "جبل زكار" وتغطيها الغيوم...، سأنقلكم لزيارة هذه المدينة الصغيرة والجميلة، ..."، وكان يوم أحد ممطر لكنه ينقل صورة المدينة بمختلف مكوناتها الاجتماعية، إذ ينزل للساحة ويصف عشرات الفتيات العربيات الصغيرات يلعبن الكرات بأنصاف أجسامهن العارية، يقابلهن رجل يهودي مُسن جاء بحثا عن أشعة الشمس لتدفئ جسمه، كما كان بالساحة العامة أعضاء الفرقة الموسيقية للفرقة الثالثة، ويترك هذه الأجواء لينتقل إلى محل "سيدي عمر" وهو كما يصفه من عائلة عريقة من العاصمة كان رجلا مثقفا حضيا بإحترام السكان وكان محله بمثابة مجلس إذ يُحكمه الناس في قضاياهم وكان محله يمتلئ عن آخره كل ليلة، ثم إنتقل الكاتب إلى الحي اليهودي ونقل وصفا دقيقا عن السكان، فكان الرجال يلبسون قنصوات من القطيفة ومن الأسفل لباس صوفي أزرق، والنسوة بفساتينهم الطويلة والعصابات السوداء على رؤوسهن ويُشبههن بدمى الخشب لجفاء ملامحن، وفي تلك الليلة وجد الحي اليهودي متأجج فالكل خرج إلى الشارع مهرولا بسبب عراك حدث بين رجل يهودي ورجل عربي، فتعالت أصوات اليهود المنادية بالانتقام مؤكدين أن السلطات الفرنسية معهم وتعطيهم الحق، وهذا مؤثر على واقع وضع الأهالي وترك هذه الأجواء وإتجه للمكتب العربي الذي يعج بالأهالي، وبعد إنصرافه من مقر المكتب العربي تساقطت أمطار غزيرة مما إضطره للبحث عن ملجأ فدخل ساحة تابعة لمسجد مليانة مخصصة لعابري السبيل، تدعى "ساحة الفقراء" ورصد صورة واقعية عن الحياة الاجتماعية بالمدينة للفئات المُعوزة، إذ كان بها مجموعة من الناس نائمين على الأرض مكدين، ووجد امرأة شابة بربقتها وأرجلها المكشوفة ترضع صغيرها بلونه النحاسي عاري الجسم وتطحن القمح في مطحنة يدوية من الحجارة بيدها الأخرى وهي تغني بلحن متواتر، كما كان في هذه الساحة برفقتهم مجموعة من كلاب الصيد المحلية المعروفة بـ"السلوقي"، وهذا المشهد يعبر عن الوضع الإقتصادي المتردي للسكان بسبب الإستعمار، ثم إتجه الكاتب لدعوة العشاء في بيت "السيد عمر"، إذ يصف البيت المبني على الطراز الموريسكي بساحته الواسعة التي تزينها ثلاث عيون وبه غرفة طعام كبيرة، وقُدمت له أطباق عشاء تركية منها دجاج باللوز وكسكس بالفانيليا وحلويات، ثم إتجه إلى غرفة الضيافة أين قُدم له المربي والقهوة والغليون، وكان تأثيث الغرفة بسيطا ومميزا بديوان وزرابي وسرير في آخرها وبه وسائد مذهّبة ويضيف قائلا: "...بعد شرب القهوة وتدخين الغليون كان علينا الإنصراف حسب العادة العربية...".

فإنصرف مبكرا يتجول في شوارع المدينة، ثم ذهب للمسرح وهو في الأصل مسجد حسب الضابط "كاريت" به قاعة عرض ينشطها جنود غير محترفين لكنهم كانوا جيدين أما النساء فكان هناك إمرأتين مبتدأتين وهما من يهود مليانة يمثلن في المسرح، ويربط إلحاقهن بالمسرح رغبة في الثراء والشهرة

¹Franck Laurent, Le Voyage En Algérie, Anthologie De Voyageurs Français Dans L'Algérie coloniale 1830-1930., Paris, Robert Lafont, 2008, P.387.

إقتداء باليهودية الممثلة الثرية "راشال" التي وصلت سمعتها إلى الشرق، ولما خرج من المسرح وفي طريقه سمع صراخ فكان تخمينه "أن مالطيين يشرحان الأمور بالسكين" ثم عاد إلى المنزل، وفي الطريق تفوح روائح بساتين البرتقال، ويصف في آخر الطريق مزار في سور المدينة تزوره النسوة صباحا ويعلقن فيه أجزاء من الخيوط والحياك والبرانيس وفضائير الشعر بخيوط من الفضة تتدلى بالحائط¹. والملاحظ أن وصف "آلفونس دودي" للمدينة كان عميقا ودقيقا، إذ وصف كل مكونات المجتمع المحلي من عرب بكل تركيباتهم الاجتماعية سواءا الحضر أو البدو وعابري السبيل وكذلك اليهود والفرنسيين والأوروبيين من مختلف الجنسيات عاشوا بالمدينة مما يرصد الزخم الثري لفئات المجتمع وتنوع الثقافات والعادات من لباس وأكل، وبذلك كانت رحلته مصدرا للتاريخ الاجتماعي للمدينة بها معلومات ثرية وشهادات وصور واقعية تساهم في التأريخ للمجتمع المحلي، ويمكن القول أن "دودي" نقل صورة معمقة عن الحياة الاجتماعية اليومية للمجتمع المحلي بالمدينة وساهم في التأريخ المحلي. أما الرحالة الكاتب والمنظر المعروف "لويس فايو" "Louis Veuillot" فهو الآخر كنب عن مليانة والتي تغنى الشعراء كالشاعر الفرنسي "أوثرون" الذي قال عنها:

Sur Le Bords D'une Plaine immense et fortunée.

Et magnifique à voir au matin de l'année.

Milianah, la ville aux moresques maisons.

Plonge d'un haut sommet sa vue aux horizons.

De son faîte, elle semble, en sa fière attitude,

Garder et commander la solitude.

J.AUTRAN, Milianah, poème, Juillet 1841, (Tomme III ses œuvres complètes)

ويبرز الإعجاب بالمدينة وبتضاريسها ومنازلها الموريسكية وعلوها وارتفاعها الذي يزيد من سموها وهذا الوصف إسقاط لتاريخ المدينة البطولي ضد الإحتلال الفرنسي فالمدينة كانت مقبرة لفرنسيين². "لويس فايو" هو الآخر تحدث مطولا عن مدينة مليانة عقب رحلته للبلاد، إذ زارها ومكث فيها بعض الوقت، ووثق رحلته هذه في مؤلفه المعلنون بـ: "الفرنسيون في الجزائر، ذكريات رحلة في عام 1841" (Les français en Algérie : souvenirs d'un voyage fait en 1841) وهو صحفي ورجل أدب فرنسي معروف من مواليد "بوين ب لوارى" (Boynes (Loiret) في 11 أكتوبر 1813، كان أول أمين عام لنقابة

¹Alphonse Daudet, Récits et Nouvelles D'Algérie..., Op.cit., P.P. 49, 51-53, 56-61.

²Hugues Imbert, Quatre Mois Au Sahel, Lettres Et Notes Algériennes, Paris, Librairie Fischbacher, 1888, P.201.

الصحفيين الفرنسيين وترأس جريدة "الكون"، وكان كاثوليكي عُرف بتعصبه الديني¹، وهو مُنظر سياسي ورغبة منه في التعرف على تاريخ الحملة الفرنسية على مدينة مليانة، تنقل إلى مدينة مرسيليا عام 1841 لملاقاة "الكولونيل إيلان" الذي كان يقود الحامية الفرنسية في المدينة قبل أن يبدأ زيارته للمستوطنة في نفس السنة²، قام بالرحلة عام 1841 وإحتك بالقائد الحاكم العام "المارشال بيجو" وخدم في إدارته ستة أشهر في وقت كانت فيه قوات الإحتلال الفرنسي محاصرة في مليانة، ويوثق للحدث وقال أن فرنسا حينها سيطرت على السواحل لكنها ظلت مسجونة في الداخل في المدن المحصنة فالقوات الفرنسية كانت محاصرة في مليانة من قبل قوات "الأمير عبد القادر" فحتى السكان لم يكونوا يتواصلون مع قوات الإحتلال التي أرهقها "الأمير عبد القادر" والذي لم يكن مرثيا، فكما عبر الكاتب "لويس فايو" بقوله: "...أننا نشعر به في كل مكان دون أن نراه أو نتمكن منه، لقد أرهق قواتنا التي ملأت أشلاءها الطرق والمستشفيات التي لا يعودون منها بعد أن يأخذهم الموت.."، فوضعهم محرج، وفي رسالة لأخيه من المدينة يكتب "لويس فايو" لـ "أوجين فايو" قائلا: "...إحتلت القوات الفرنسية منذ السنة الماضية مدينة في الداخل بجبال الأطلس إنها مليانة، نقلت إليها ثلاث فرق عسكرية ولا خبر عنها حتى الآن، فالإتصالات معها صعبة جدا إذ تبعد عن العاصمة من خمسة عشر إلى ثمانية عشر مكان..."، ويواصل سرد أحداث مليانة المثيرة عن القوات الفرنسية التي حوصرت بها من قبل "الأمير عبد القادر" وتعرضت للموت من جراء الأوبئة وهجمات الأمير، ويوثق شهادة القائد العام لهذه القوات المنكوبة بمليانة، وكان قد إلتقاه بمرسيليا منذ ثلاثة أيام قبيل مجيئه للمستوطنة، إذ إلتقى بالقائد "إيلان" الذي يروي قائلا: "...أنه كان في الحملة التي قامت بملاحقة خليفة "الأمير عبد القادر" على مليانة "بن أمبارك"، وإذ ذاك لم يكن الجيش متيقن من إحتلال المدينة التي أضرم فيها السكان النيران بعد إخلاءها فوجدناها ركام من الرماد، وتركت في المدينة مع ألف ومائتي جندي دون إتخاذ الإحتياطات اللازمة...، كانت المنازل مدمرة ولم نعثر بها إلا على ثلاث جرار صغيرة من الزيت القديم الذي قُسم بين المستشفى وإستخدم لصيانة البنادق...، فإنتشر العطش والجوع وبدأ الوباء يتفشى بين أوساط الجنود..."، وكانت حالة الجنود مأساوية خاصة بتواصل هجمات الأهالي على الحامية العسكرية، وهذا ما يؤكد بسالة المليانيين الذين جابهوا الحملة الفرنسية بكل الوسائل المتاحة، ويواصل القائد شهادته قائلا: "...كنا في منتصف شهر جوان ودرجات الحرارة محرقة، وكان لزاما علينا تهيئة المدينة ومد قنوات الصرف الصحي وترميم التحصينات والمحاربة وحراسة المواشي مصدر التموين والتي كانت هدفا للعرب...، في حين المستشفى كان مليئا بالمرضى الذين يزداد عددهم كل يوم... لكن الوضع تدهور بدخول شهر جويلية بدرجات الحرارة المحرقة والزوابع الرملية طيلة خمسة وعشرون

¹Eugène de Mirecourt, Louis Veuillot, Paris, Gustave Havard éditeur, 1856, P.P.16, 17.

²Hugues Imbert, Quatre Mois Au Sahel, Lettres Et Notes Algériennes..., Op.cit., P.P.201, 202.

يوما متتالية، فانتشرت الأمراض بسرعة فائقة من إسهال وحمى أودت بحياة عدد كبير من الرجال دون إستثناء سواء من المهندسين والضباط وضباط الصحة والجنود والإداريين والعمال، فكانت الفرقة مجبرة على إقحام المرضى في العمليات العسكرية خاصة الحراسة والدفاع عند أسوار المدينة إذ كان عدد كبير منهم غير قادر على الوقوف وحمل السلاح، في وقت كانت فيه هجمات العرب متواصلة ودون إنقطاع ضدهم فكان تبادل إطلاق النار يومي، وفي حدود ثلاثة أشهر أي في شهر سبتمبر إنخفض عدد الرجال بدرجة كبيرة، فرغم إقتراب فصل الخريف ظلت درجات الحرارة مرتفعة وإرتفع معها عدد الموتى، والملاحظ أن العرب كانوا يراقبون الوضع ويتفقدون أعداد حفر الموتى كل ليلة مما إضطرنّا لتعميق الحفر ودفن عدد كبير من الجثث فيها لإخفاء الوضع عن العرب، لكن هذا الحل خلق مشكلا آخر إذ أصبحت الجثث تتدفع خارج الحفر...¹، وفي 4 أكتوبر وصل عدد الموتى ثمان مائة فرنسي من حامية مليانة، وعند الخروج من المدينة بقي مائة رجل فقط ولا أحد منهم قادر على حمل سلاحه وأمتعته....¹، وهذه الصورة التي ينقلها "لويس فايو" تؤكد شدة مقاومة السكان للإحتلال الفرنسي ودرجة تمسكهم بمدينةنتهم ورفض تسليمها للفرنسيين أو الإستسلام لهم، وكانت مقاومتهم البطولية وصلابتهم بحرق المدينة وإخلاءها من أبرز الإستراتيجيات العسكرية التي طبقها سكان مليانة بإمرة "الأمير عبد القادر"، وما أصاب جنود الحامية الفرنسية بالمدينة كان ملحمة بالنسبة للفرنسيين الذين كتبوا بإسهاب عن الحادثة، وما أصبحت عليه مليانة في ما بعد وزيارة الإمبراطور "نابوليون الثالث" هي من أهم معالم السياسة الفرنسية التي أولت إهتمام خاص بمليانة وتحصينها بالعسكر، وهذا مرتبط بدلالات سيادية في حرب فرنسا ضد "الأمير" الذي إتخذ من مليانة قاعدة من قواعد دولته. والملاحظ أن "فايو" إهتم بتاريخ مليانة من زاوية عسكرية، إذ نقل صورة دقيقة عن الحياة العسكرية لجنود الحامية الفرنسية بالمدينة مهملًا جوانب الحياة الإجتماعية، إذ تابع بشغف أخبار الحملة على المدينة ووثق لها بشهادات لفاعلين في صناعة الحدث، كما كان يبدو واضحا الذاتية في الكتابة فهو من الكاثوليك المتعصبين وكان يعمل تحت إمرة "الماريшал بيجو"، وأظهر إنحيازًا واضحا في سرد الأحداث الخاصة بالحملة وإضفاء قدسية وصبغة خالية وملحمية لجنود الحامية الفرنسية بمدينة مليانة. وبالتالي كانت مليانة محط إهتمام الإحتلال الفرنسي، وذلك راجع لموقع المدينة الإستراتيجي عند سفوح جبال الأطلس، وثراءها بالثروات الطبيعية كالأراضي الخصبة ووفرة المياه دفعت سلطات الإحتلال لفتح باب الإستيطان وتشجيع المستوطنين للإسقرار بالمدينة، وبذلك كانت للمدينة أهمية إقتصادية أدت بسلطات الإحتلال إلى تحصينها بقوات عسكرية دائمة لحماية مصالحها الحيوية، فكانت من المدن التي حظيت بإهتمام الرحالة والزوار خاصة "مناظرها الطبيعية الخلابة" إذ لازمها هذا الوصف في كل الكتابات سواء لعسكريين أو أدباء أو مثقفين، وعليه كان لكتابات الرحلة دور في توثيق الحياة

¹Louis Veuillot, Les Français En Algérie, Souvenirs D'un Voyage Fait En 1841, Tours, 2^{eme} édition, A^D Mame et c^{ie}, Imprimeurs-éditeurs, 1847, P.P.3, 27-29,30-31,33-35.

الإجتماعية والإقتصادية بالمدينة، وكانت محطة مليانة مزارا أساسيا لمجمل الرحالة الذين زاروا البلاد منذ فترات متقدمة، فكانت كتابات الرحلة عن المجتمع الملياني سمحت برسم صورة دقيقة عن المدينة وكانت كتابات الرحلة كانت محل إسقاطات فكرية وعقائدية للرحالة والزوار عن المدينة.

3. البلدة مدينة الورد.

مدينة البلدة من المدن الجزائرية التي تغنى بها أشهر الرحالة الفرنسيين ومنهم "ثيوفيل قوتيي" و"أوجان فرومونتان" وغيرهم، مدينة تعبق بروائح الورد إذ عُرِفَت بمدينة الورد وأسرت الزوار، وتقع أسفل الأطلس تغذيها الوديان وتحيط بها الأشجار المثمرة، وجذبت هذه المدينة الرحالة بكل مظاهرها الحياتية من نسوة ملتحات بالحاك ولا يظهر منهن إلا عيونهن وأصوات الدريكة في الشوارع والمقهى العربي أين يجتمع الأهالي، ويرصد الكاتب الرحالة هذه المظاهر بإعجاب وفضول ومنهم "جون لوران" الذي من بين ما تحدث عنه مغني عربي ووصف لباسه التقليدي إذ كان يضع أزهار الياسمين وراء أذنيه ويغرزها في الشاشية، وهذه صورة من الصور التي تناقلها بكثرة الرحالة عن البلدة وسكانها¹. والواقع أن البلدة مدينة موريكية كتب عنها الرحالة والضباط الفرنسيين، وتتميز بموقعها الإستراتيجي وإمكاناتها الطبيعية خاصة سهول المتيجة المشهورة، كما كان لقربها الجغرافي من الجزائر العاصمة دور في كونها محطة من محطات الزيارة التي يمر عبرها الرحالة وبالتالي يدونون ملاحظاتهم حولها.

4. مدينة قسنطينة في كتابات الرحلة، صور متعددة ما بين مدينة الضباب والدباغة والغربان.

رغم ما عرفته المدن الجزائرية في أجزاء منها كالجزائر العاصمة، وهران، مستغانم، سيدي بلعباس، البلدة، فيليب فيل، بونة وغيرها من ظهور النمط العمراني الغربي وباتت نماذج لمدن أوروبية في بناءها، إلا أن مدينة قسنطينة حافظت على الطابع العربي الأصيل بصفة أكبر وتتميز بالقصبة والمتحف وقصر "أحمد باي" الذي يعتبر تحفة فنية خاصة حديقته المميزة رغم إنتشار البناءات الغربية بها أيضا، وتتميز بالصخور المعلقة التي حصنتها وجسورها التاريخية التي مثلت معالم جغرافية، كما أن موقعها بين الصخور ميزها بالجوارح والطيور فالزائر لها يلاحظ إنتشار كبير للغربان والصقور إضافة إلى دور المدينة الإقتصادي إذ كانت قديما مخزنا للقمح وتعتبر أكبر سوق تجاري في البلاد². وبمجرد دخولك للمدينة عند معبر الرمال تنجذب بالسكان، فتجد الحضر بلباسهم الشرقي والبرانيس البيضاء والكراغلة بلباسهم المختلف، واليهود في صورة إيحائية للوحات القديمة فالنساء يلبسن فساتين

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique,..., Op.cit., P.P. 89, 90, 91.

²A.-L. Leroy, Notes et impressions de voyage D'Alger à Tunis, avril 1884-avril 1885, Paris, Adolphe Jourdan, libraire éditeur, 1886, P.P.19-20.

حريرية صفراء مطرزة بالذهب ويرتدين خلاخل فضية كبيرة في أرجلهم، وترى بعضهم يركب على الأحمر أو البغال والكل يتزاحم لعبور الوادي في صورة تتميز بالأصالة، ويوجد في المدينة نزل أوروبا الذي تديره امرأة من الجنوب الفرنسي ويتميز بغرفته الموريسكية الجميلة، وعند التجول في المدينة تجد الحي اليهودي وبه بهو كالدرداب به محلات منخفضة وترى العرب ملفوفين ببرانيسهم، وفي الصباح الباكر لا تصادف أي أوروبي بل العرب والقبائل والأتراك والكراغلة واليهود حينها كان عددهم 18000 أما الفرنسيين فعددهم 1200، وبالوصول إلى باب القنطرة ونزولا إلى وادي الرمال يجذبك جسر كبير بطابقين معلق في الصخور وهذا المكان مدهل إذ تتعجب في السكان الأوائل الذين أسسوا هذه المدينة المعلقة وعاشوا فيها، وتقابلك المنصورة كما تنتشر الطيور المفترسة بمختلف أنواعها والواقع أنها مدينة خلابة، وكانت كل الجهات مزينة بالحدائق الغناء والإخضرار يغطي المدينة¹، وهذه المدينة تتميز بمنظرها الأصيل الإسلامي فمنازلها متلاصقة ومتراصة وكأنها شبه جزيرة، يفصلها عن المناطق الأخرى خندق طبيعي بعمق 150 متر في الصخور وهذه الحفرة هي قاعدة وادي الرمال والذي أقام فيه الفرنسيون جسر مبني فوق أنقاض الجسر الروماني والعربي والتي نرى أطلالها على عمق 25 متر وبالنظر إلى أسفل على عمق 110 متر ترى الطيور المفترسة تحوم في المكان والأعشاش التي تملأ الصخور وترى من بعيد البيوت العربية تحيط بها نباتات الآفاف والتين الهندي، ويتجه الطريق إلى باب القنطرة أين يوجد الشارع الرئيسي ونزل باريس²، وما يجذب تنوع المارة واللباس من عرب ببرانيسهم ويهود بألبستهم التقليدية بألوانها الجذابة والأوروبيين من الجنسين بألبستهم العصرية بقمصان ومعاطف ملونة بالأزرق ومصبوغة ببعض الأصفر، وترى الصباحية بمعاطفهم الحمراء والنساء الحضريات بالحايك ذا اللون الأزرق والأبيض كما تجد في الشوارع الأحصنة والأحمر والبغال وتنتشر المحلات، ويمكن تكوين هذه الصورة في أوقات الصباح قبالة المسرح أين تجد كل الفئات في المكان وكان المنظر رائعا من النزل المقابل للمكان وتنتشر البناءات العالية في المدينة، ولزيارة المدينة يستلزم الصعود والهبوط لأنها مبنية فوق صخرة كبيرة ومنحدرة³، وهذه المشاهد كانت تجتذب الزوار يوميا. وتتميز مدينة قسنطينة بدرجات الحرارة المنخفضة والتساقط تقع على علو 500 متر فهي مبنية على صخرة وتحيط بها الوديان والسيول وقمم جبالها مغطاة بالثلوج، وهذه المظاهر الطبيعية ميزت مناظرها وحافظت المدينة على طابعها العربي بامتياز، إذ ينتشر العرب بكثرة في مختلف أحياء المدينة بلباسهم التقليدي كما يعتبر الحي العربي من أهم الأحياء التي تستقبل الزوار بكثرة من الأوروبيين والرحالة⁴.

¹Ch.Marcotte de Quivières, Deux ans en Afrique, Paris, Librairie Nouvelle, 1855, P.P.80-86.

²Léon Gautier Doumet-Adanson, Une excursion scientifique dans la province de constantine en 1880, relation, Paris, imprimé par la bibliothèque nationale, 1880, P.P.34,35.

³Ibid., P.36.

⁴Rumet de Fontarce, Armand, Souvenirs d'Afrique, Algérie, Tunisie. mission officielle, journal de voyage..., Op.cit., P.P.46-47.

ويمتد تاريخ قسنطينة في التاريخ القديم كما تتميز بطابعها الشرقي الأصيل، وبذلك فموقع المدينة المميز يجعل منها قلعة وحصن أكثر منها مدينة بسيطة وشبهها الفاتح العربي القائد "عقبة بن نافع" بعش الصقر، فهي فوق صخرة تصعد من الأرض في شكل معين غير متوازي طوله من 1200 إلى 1500 متر عرضه 900 متر أو يزيد منحني من الشمال إلى الجنوب مقسم بخندقين بطول 25 إلى 50 متر وتجري مياه وادي الرمال عبره، وعمق الجرف من الجهة الجنوبية 60 متر عند سيدي راشد وبعمق 170 متر في الشمال عند سيدي مسيد، وفي جهة الغرب كدية عاطي التي تربط المدينة بالعالم الخارجي، ويتم اللوج للمدينة عبر عدة مداخل منها باب القنطرة من جهة المنصورة وساحة الصخرة "لابراش" أو ساحة "فالي" من جهة كدية عاطي وهو الباب الوحيد في شرق المدينة وباب الجابية في الأسفل الذي يؤدي لوادي الرمال¹، و"باب الجديد" أو كما أطلق عليه الفرنسيون "باب الصخرة" أو "باب فالي"، و"باب الواد" في الجنوب الغربي²، وانتشرت الطرق الجديدة كالطريق الوطني الذي يصل إلى "ساحة فالي" ويقسم المدينة إلى قسمين غير متوازيين الجهة اليمنى وبها الحي الفرنسي واليهودي والأسواق الخاصة بالأهالي، وفي الجهة اليسرى حيز مثلث محدود يمتد للحي العربي وتحيط به محلات ونزل فرنسية وفي إحدى جهاته يوجد "الجامع الكبير" بمنارته المحلية التقليدية، ويعيش المجتمع في حركية كبيرة فالعرب يتجهون لرحبة الصوف لأشغالهم وهو الحي التجاري للأهالي به محلات للصناع والحرفيون والباعة والتجار، والفرنسيين يتجهون لأشغالهم، والعربيات تنقل المسافرين لمحطة القطار، وتجد الحرفيون العرب يصنع بعضهم الأحذية التقليدية المطرزة والألبسة والبرانيس وبعضهم تدرس الدباغة والحدادة³، وتتميز المدينة بالقصبة كمعلم معماري أثري محلي وهي من الأحياء الحيوية تجاريا، وتقع شمالا في المكان الأكثر ارتفاعا بالمدينة كالقلعة وفي عام 1844 لم يتبقى إلا القليل من أطلال وبقايا القصبة، إذ كانت كل المناطق المرتفعة من المدينة تبدو أطلال وبقايا مهدامة ينتشر بها العمال، وفي أعلى نقطة من القصبة بنى الفرنسيون مستشفى يأوي 1200 مريض⁴. ومن أهم الصفات التي أطلقها الرحالة على قسنطينة مدينة البرد والضباب، إذ يبدأ الكاتب "جون لوران" وصفه لقسنطينة بالجو البارد والضباب والصقيع الذي يلف المدينة، ومن نافذة غرفته بالفندق ينقل المشهد العام صباحا، كمنظر العرب ملفوفين في البرانيس البيضاء كالأشباح والشيخة تملأ المكان، وكانت الفرقة الموسيقية لجوق الزواف الثالثة تعزف الموسيقى من الساعة الثامنة إلى التاسعة يوم أحد قبل الصلاة الكنسية، وكانت بالمكان حانة يتدافع فيها العسكر من أهالي ورماء، وكان

¹ Alfred Baraudon, Algérie et Tunisie récit de voyage et etudes, Paris, librairie plon, 1893, P.P.113-114.

² Jean-Joseph-François Poujoulat, Voyage en algérie : études africaines, Paris, (nouvelle édition), librairie d'éducation, 1868, P. 240.

³ Alfred Baraudon, Algérie Et Tunisie, récit de voyage et etudes..., Op.cit., P.P.115-117.

⁴ Poujoulat, Jean-Joseph-François, Voyage en algérie: études africaines..., Op.cit., P.P. 243-244.

المصلين متجهين إلى الكنيسة من نساء الموظفين والضباط وأبنائهم عائلات بأكملها¹، وكما هو معروف فمدينة قسنطينة من المدن التي تمتاز ببرودة الطقس والضباب وذلك لموقعها المرتفع بين الصخور فيمكن تشبيهها بالمدينة الراقدة في عش صقر بين الصخور المرتفعة، هذا ما شد إليها الزوار والرحالة وكتبوا عنها ورصدوا البيئة والسكان بكل دقائقها خاصة العمران والمنشآت الحياتية اليومية كالمقهى والحمام، وبالتالي رصد الحياة الاجتماعية والثقافية والتنوع البيئي النباتي والحيواني والمناخ. كما كان لأحياء المدينة القديمة تنوع وثراء في المشهد جذب الرحالة، ومنهم "جون لوران" الذي توجه إلى أزقة المدينة العتيقة التي كانت قديمة جدا بالمقارنة بأحياء القصبة بالعاصمة، في هذه الأحياء يوجد كل شيء من اللحم المقدد والمنشور إلى محلات الأقمشة والحريير ومحلات الحلويات والمسك لدى تجار من بني مزاب الذين يعرضون التوابل والسلع على المارة والزبائن، يجاوره صانع نحاس ومطرز، وفي أوكار وهي مقاهي عربية يجتمع فيه رجال من مختلف الأعمار منهم شباب وكبار السن، وفي الشارع يتدافع المارة منهم باعة لكل السلع وينعتهم الكاتب بالمتسولين، كما صادف في الشارع الزوج واليهوديات ووصفهم بتسريحة شعرهن الغربية بالظلال المبهرة والرباط الأسود على رؤوسهن ينعكس على ألبستهن الحريرية وكن ضخام الجسد، وكان الكاتب يتحسس من اليهود ومن نظراتهم المرعبة فهم لا يتقون بأحد وبتزايدون وينتشرون بكثرة، وفي كل مكان كانوا يتجولون بالمعطف الحريري الأخضر بنظرات حادة كأنهم ينقضون على الفريسة، ويضيف الكاتب أن هذا الجنس الغريب إذا لا تكون أفواههم بخيلة تكون حيوانية، وكان يهرول للخروج من قيتو اليهود ووصل بعد خروجه من حي اليهود إلى ساحة حيث تظهر بوضوح معالم وادي الرمال مع صفاء السماء وإنقشاع الضباب عن هذه المدينة التي تشبه بتضاريسها عش النسر، والمناظر المميزة لوادي الرمال بمياهه ومنحدراته². وواصل الكاتب "جون لوران" وصف وادي الرمال مع ذهول واضح من تضاريس ومنحدرات وكهوف الوادي وكيف يقطعه الأهالي بوضع قطع من الحجارة، والتقى بثلاثة رجال من بسكرة يقطعون الواد وكان وصفه دقيقا جدا ومميزا لمنظر الرجال الثلاثة أثناء العبور، وتصور من سقط فيه أو من أسقط فيه من النساء والرجال في فترة حكم "أحمد باي"، متناسيا أحداث الإحتلال الفرنسي لقسنطينة والعدد الهائل من الأهالي الذين رموا بأنفسهم في وادي الرمال بعد سقوط المدينة هربا من الإحتلال الفرنسي. ومن الحرف المرتبطة بقسنطينة والتي إشتهرت بها كما هو معروف، هو الدباغة وكان منظر معامل الدباغة يجذب الزوار، وفي رحلته يرصد "جون لوران" هذه الظاهرة وأطلق عليها مدينة الدباغين، وتقع معامل الدباغة خارج أسوار المدينة، وتبدو من بعيد أحواض ملونة عند مصب وادي الرمال، أين توجد المخازن الكبرى، ونظرا لذلك يصف الكاتب المدينة بالمريضة وغير الصحية بسبب الصباغة والمياه المتسخة المنبعثة من أحواض الدباغة، إذ إنتشرت بها عدة أمراض معدية وبائية كالمالريا

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique..., Op.cit., P. 162.

²Ibid., P.P. 164, 165, 166, 167, 168.

وكانت ولا زالت مدينة قسنطينة مشهورة بالدباغة، وكان للأحواض الصخرية دور في إزدهار هذه الصناعة خاصة توفر الثوة الحيوانية واليد العاملة المتخصصة وقدم هذه المهنة بالمدينة، كما كان للصناعات الحرفية التي تستخدم الجلد دور في إستمراريتها والمساهمة في النشاط الإقتصادي بالمدينة. من المشاهد الأخرى التي إستهرت بها المدينة هي غريان وادي الرمال، إذ كانت الغريان تملأ سماء قسنطينة وإشتهرت بها منذ الفترة الإستعمارية، وكانت هذه الطيور تحوم في سماء وادي الرمال والتي لا زالت حتى الآن، وكان منظرها يجذب الرحالة الفرنسيين وحتى غيرهم وكل زوار المدينة وهي طيور تتبع الجيفة وكان منظرها مخيفاً ولافتاً للزوار، وهي في واقع الأمر مثلت جزءاً قاراً من ديكور المدينة ومكوناتها البيئية الطبيعية التي تم رصدها الرحالة والكتاب الفرنسيين في الكتابات واللوحات الزيتية¹. وتعتبر مدينة قسنطينة من المدن العتيقة ذات التأثير العثماني، توجد بها مدينة عتيقة وقصبة وشوارع ضيقة تشبه قصبة الجزائر العاصمة وتلمسان وغيرها من المدن، وأعجب بها الكاتب "جون لوران" كمدينة عتيقة، وبحركتها الإقتصادية والتزامم البشري الكبير بتنوع السكان بين المحليين والأجانب واللباس والمرأة، كما إنجذب لمعالمها كالحمامات والمقاهي، ويعتبرها مدينة حية عكس العاصمة.

5. المسيلة في كتابات الرحلة، جوانب عن عمران وأنثروبولوجية المدينة في كتابات بول أودال، إيزابال إبيرهارد وجارتريد.

تعتبر المسيلة من المناطق الحضارية الثرية تعاقبت عليها عدة حضارات تاركة آثاراً وعمراناً وكان للكتابات الأجنبية إهتماماً كبيراً بها خاصة كتابات الرحلة الفرنسية في القرن التاسع عشر التي تعددت حول المنطقة والبلاد عموماً في إستكشاف المستوطنة، فكان الإهتمام بالجانب الجغرافي والأنثروبولوجي والحضاري خاصة الآثار القديمة لإرتباطها بالتيارات الفكرية والدراسات الأثرية التي تعددت وتنوعت، فالعديد من الكتابات المعمقة والدقيقة كتبت عن عمران المسيلة، وهناك مجموعة من الدراسات المتخصصة التي تناولت جوانب دقيقة من آثار وعمران المسيلة كالمجلة الأثرية لقسنطينة التي إعتبرت المسيلة مدينة أثرية لهضبة الحضنة² وتناولت في عدة أعداد آثار المسيلة كالعهد الثالث مثلاً الذي أسهب في الحديث عن قلعة بني حماد³، وبذلك حضيت المسيلة بعدد الكتابات التي إعتبرتها معلماً حضارياً في المنطقة وإرثاً ثقافياً في البلاد، فما كان زائراً يفد إلا وزارها ومثلت جزءاً

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique..., Op.cit., P.P. 172, 173, 174.

²Société archéologique, historique et géographique du département de Constantine. Auteur du texte. Recueil des notices et mémoires de la Société archéologique de la province de Constantine, volume17, Constantine, Alessi et Arnolet, Libraire-éditeur, 1875, P.60.

³Société archéologique, historique et géographique du département de Constantine. Auteur du texte. Recueil des notices et mémoires de la Société archéologique de la province de Constantine, volume46, Constantine, Alessi et Arnolet, Libraire-éditeur, 1912, P.113.

ثابتا في مسار وطريق الرحلات التي تمر عبرها إلى وسط البلاد والمناطق الداخلية أثناء فترة الاحتلال الفرنسي خاصة في بداياته، ولطالما كانت المسيلة من المدن التي تحيط بها المناطق الجافة محط جذب للرحالة وكانت المرأة بحليها وزينتها أكثر ما يثير الفضول¹، فكانت المسيلة في الفترة الإستعمارية مركز بلدية أهلية تضم 13.187 نسمة منهم 23 فرنسي و4 أوروبيين أجنب و13.160 مسلم، وتقع في الشمال الغربي للحمزة في الضفة اليمنى لواء المسيلة الذي يأخذ إسم واد القصب في الأسفل، وبها مكتب للتيليغراف وطرقها ضيقة، بها صناعة السروج والأحذية التقليدية الجلدية الصفراء والحمراء والأحذية الخاصة بالخيالة، وبها سوق مقصود بكثرة من قبل العرب والقبائل، وبها العديد من المساجد والأشجار المثمرة والنباتات، لكن أهم زراعتها هي زراعة الحبوب وتزخر بالمياه وكانت هناك العديد من الدراسات لبناء سد عند واد القصب الذي تتجمع به كميات هائلة من المياه، وبالمسيلة آثار لمدن قديمة كالبشيلقة أو زابي القديمة والتي عرفت في التاريخ القديم²، وكان للكتابات دور في تعريفها. ويرصد الكاتب الفرنسي "بول أودال" "Paul Eudel" عمران وأنثروبولوجية مدينة المسيلة، كجزء من تاريخ مسيلة المدينة التاريخ الاحتلال، فمنذ 1841 تمكن الجنرال "نيقريي" "Négrier" بعد مقاومة شديدة من إخراج قائد "الأمير عبد القادر" الذي كان متحصنا بالمدينة، وفي 1845 تمكن الجنرال "بيدو" "Bedeau" من بسط سلطة "آل المقراني" بالمسيلة، ثم تولى في ما بعد الحمزة "الخليفة أحمد بن المقراني"، ولكن منذ ثورة 1871 أصبحت القيادة للقائد "سعيد بن بو داود" وهو قريب الباش آغا "المقراني"³، ثم إنتقل الكاتب "بول أودال" للتعريف بأحياء وشوارع المسيلة من خلال كتاباته، إذ يقدم وصفا دقيقا للمسيلة التي يجري بها وادي القصب ويصب من جبال المعاضيد ويجري في المدينة وتلتقي ضفتيه في جسر حديدي، وفي الجهة اليمنى يسكن ما يقارب 120 فرنسي ومئات اليهود المجنسين بين حيين للأهالي هما العرقوب والكوش، وفي الجهة اليسرى يوجد أربعة أحياء تشكل المدينة العربية يسكنها أربعة آلاف ساكن، وهذه الأحياء هي شطاوة، الجفرة، رأس الحارة، كرباط تليس وبالمدينة ساحة كبيرة بها مقهى ونزل بسيط بأسرة نحاسية لا يتوفر لا على الكهرباء ولا الغاز، أما مقر السلطات المحلية ففي منزل كبير يسيرها السيد "Brugnier-Roure"، والساحة العامة واسعة تزينا النباتات ونافورة، وتتوزع محلات الجزارين والعطارة ومقاهي ومحلات الفخار وتبيع مختلف أواني المطبخ كالبرمة والكسكاس، أما الشارع اليهودي فإنه يشبه القيطو أو المخيم تنتشر فيه الأوساخ ويسكنه اليهود وهم متسخين وترى الذباب في وجوه أطفالهم، ونساءهم لا يزلن يلبسن اليماني وهي

¹Émile Masqueray, Souvenirs et visions d'Afrique, E.Dentu éditeur, Paris, 1894, P.82.

²Niel Odilon. Géographie de l'Algérie, T1, (2e éd.)Bône, imprimerie Dagand, 1876, P.P.410-412.

³Paul Eudel, D'Alger à Bou-Saada..., Op.cit., P. 48.

عصابة سوداء على الرأس تشد الجبهة وتغطي الشعر، وتنتشر بينهم البدانة¹، أما الحي العربي فيحصنه صور من الطين المجفف والطريق تغطيه الحجارة، وتنتشر في المدينة الطرق الضيقة والمنازل التي تغطي منظر المدينة وهي متراصة وقليلة الارتفاع والأسقف مزينة بفروع الزيتون وأبوابها بالية مرقعة بالمسامير أقفالها بسيطة، ومن الداخل عمود من الخشب لإغلاقها ومن الخارج حلقة حديدية لغلق الباب والمفتاح في العادة عبارة عن قطعة من الخشب مزينة بالمسامير وعادة تظل الأبواب مفتوحة في النهار، ويمثل الجسر الحديدي نقطة إلتقاء الحي اليهودي والعربي، وتتميز منازل المدينة بقرميدها الأحمر وتنتشر في الأسطح النسوة ينشرن الغسيل وفي الساحات الداخلية للمنازل تحضر النسوة الكسكس، ومن أهم معالم المدينة المساجد، إذ يوجد بالمدينة الكثير من الإخوان وتنتشر المساجد بالمسيلة إذ يصل عددها إلى 17مسجداً، منها مسجد عمر بن عبيد وهو حديث ومسجد كربة تليس وهو في جزءه مجدد، والمسجد الأهم والأقدم هو المسجد العتيق مسجد بوجملين وفي داخله أعمدة من الحجارة تسند السقف وتشبه أعمدة مسجد قرطبة وللوصول لسطح المسجد عبر 25 درج ومن جهة أخرى تنتشر بمدينة المسيلة بكثرة بساتين المشمش والرمان وأشجار النخيل ومحيطها مُخضر. وأهم ما رصد الكاتب حلي المرأة المسيلية، إذ يعتبر "بول أودال" من المهتمين بالحلي المحلي وألف قاموساً² ثريا حول الحلي في الجزائر، قدم من خلاله وصفاً دقيقاً للحلي المحلية التقليدية مع التسميات والشكل بإدراج رسومات مفصلة للحلي إذ صور كل الحلي التي تصادفه في رحلته للجزائر، وفي رحلته للمسيلة رصد حليها من خلال حديثه عن صائغي مشهور يدعى عمار لطرش وهو من الصومام من بلاد القبائل يسكن في الجهة المقابلة من الجسر في الحي العربي في بيت صغير، يقوم بصناعة الحلي للسكان كل حسب طلبه بإتقان، ومن الحلي التي يصنعها المنتيقة وهي حزام نايلي والكتاب والتقليبة أو السخاب والعلاقة والمشرف والمقاييس برأس لحنش وأدوات أخرى كيد الضربان وهو طلسم من الفضة مصنوع من قوائم الضربان تحمي صدر المرضعة من الجراثيم، والمروود وهو من قرون الغزال يستعمل للكحل³، ولقد فصل الكاتب في هذا الجانب التراثي المحلي، كما رصد تعاونية للنسيج. ومن المعلومات التي رصدها "بول أودال" أيضاً عن سكان المسيلة العادات والتقاليد، إذ كان لسكان المدينة كغيرهم من السكان المحليين مميزات ثقافية وأعراف وعادات تدخل في إطار الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية والمتعلقة بالإحتفالات والإعتقادات، ونذكر هنا معتقد خاص بنساء المسيلة رصده الرحالة "بول أودال" ووثقه في رحلته إذ إهتم بتقديم معلومات أثرية وأنثروبولوجية ذات أهمية، ومن بين العادات زيارة قبة "عبد القادر بن حمود" وهي معلم من معالم المدينة ترتبط به أساطير ومعتقدات

¹Paul Eudel, D'Alger à Bou-Saada..., Op.cit., P.P.49-52.

²Paul Eudel, Dictionnaire des bijoux de l'Afrique du Nord : Maroc, Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Paris, Ernest Leroux éditeur, 1906.

³Paul Eudel, D'Alger à Bou-Saada..., Op.cit., P.P.53-55.

في المجتمع، وكان قرب الضريح سياج محاط بالأشرطة الحربية وبداخله عمودين من الخشب معلق بها حلقتين من الحديد، وكانت العادة بإمساك المتزوجين حديثا للحلقتين وضربهما ببعضهما البعض في عهد على الوفاء، لكن بعض الرحالة نقل تفسير آخر لهاتين الحلقتين مرتبط بالخصوبة فالنساء اللاتي لم يتمكن من الإنجاب كن يتعلقن بالحلقتين وفي حال تمكنهن من الإمساك بالحلقتين بكننا اليبدين معا فإنهن يكن على قناعة بالإنجاب خلال السنة¹، وهنا عرفنا على معتقدات محلية محضة. كما ترصد الرحالة "إيزابال إيبهارد" في حديثها عن المسيلة قصة تراثية بالمدينة، إذ تروي الكاتبة قصة الشاب الفرنسي الذي يدعى "Roberto Fraugi" الذي أسلم في المنطقة وأوردت قصته بعنوان: "M'tourni" من الصفحة 260 إلى الصفحة 267 الذي تنقل إلى المنطقة وعاش سكانها المتميزين بالطيبة والبساطة بعد تلقي عرض للبناء في المنطقة من قبل "القايد"، وتصف رحلة وصوله إلى المسيلة-كما يروي- بعد ليلة طويلة من المشي وصلت القافلة وكان فصل الصيف والحرارة شديدة كأنها تتبعث من الأرض، وكان الهدوء يعم المكان ما عدى صرير الضفادع في الساقية وظلال النخيل في المكان وكان العرب مستقلقين على الأرض في الهواء الطلق هروبا من الحرارة والعقارب، وانطلقت القافلة إلى الوادي أين توجد البيوت الطينية بالقبب الصحراوية، وعبروا البساتين العربية للقرفالة ووصلوا إلى الهضبة التي تبدو وردية فارغة وغير منتهية وواسعة على طول النظر²، وبعد الإنطلاق أشار لهم المرافق قائلا هذه هي هضبة الحضنة وهناك في أسفل الجبل بوسعادة، ومن بعيد تظهر مجموعة من الأكواخ رمادية اللون حول بناء به قبة ضيقة ومرتفعة، وفي مرتفع محادي يوجد برج القايد وهو عبارة عن حصن مربع بأصوار مشقوقة مبيضة بالجير، وأسفل المكان ترى أشجار النين مرتفعة حول مجرى للماء الفاتر وتصب مياه في الساقية أين يتجمع الملح الأحمر والملح الصخري الأبيض بمجموعات كبيرة مبهرة في المكان، وهذا الوصف رصد منظر المدينة وبيئتها التي عاش فيها "المتورني" نصف سنة بين "أولاد مضبي" السمر وعيونهم كالصقور -حسب وصفه- ويرتدون قنانيير طويلة بخيوط سوداء وكانوا معه في ورشة البناء، وينقل صورة العمال العرب أو كما يقول "الخماسون" الذين كانوا يجتمعون مساء في حلقات للحديث والغناء، ومنذ بداية إحتكاكه بهم لم يشعر بالإختلاف وإكتشف إنسانيتهم من خلال دينهم وإيمانهم، وكانت علاقته بهم وطيدة فعند إنتهاء أشغال البناء في فصل الشتاء عبر عن حزنه وكان شعور الخماسين والصناع مماثلا، وفي إحدى الليالي لما كان مع الجماعة يستمتع لمذاح كفيف من "أولاد نايل" عرض عليه الرجال البقاء بينهم وكراء منزل رجل توجه للحج يدعى "عبد القادر بن حمود"، وإقترحوا عليه بناء مسجد وبناء قبة سيدي بريبر فقبل العرض وإستقر بالمنطقة ثم إستقر بالتحديد في منطقة عين منيدية، وأصبح يرتدي اللباس العربي وأسلم على يد صديقه ومرافقه "صديق" وتسمى إسمها عربيا وهو محمد قصد الله وتزوج بأخت صديقه "صديق"

¹Paul Eudel, D'Alger à Bou-Saada..., Op.cit., P.P. 59-64,66-67.

²Isabelle Eberhardt, Pages d'Islam..., Op.cit., P.P.261-262.

المسماة فاطمة الزهراء ولم يرجع لبلده، وبعد ثلاثين عاما أصبح شيخا كبيرا زاهدا ومؤمنا وحقق حلمه في أرض الحصنة المسلمة¹، وترصد لنا الكاتبة جزء من صورة المدينة التي تستقبل الآخر وتدعوه لقيمها الدينية والإجتماعية في تسامح وتكافل جعل الآخر المغاير ثقافيا يندمج في المجتمع المسيلي كما نرصد مؤشرات إجتماعية وثقافية وإقتصادية وعمرانية من بناء وتشديد قاده سكان المدينة المحليين. ومن خلال كتابات "العمة جارتريد" "Tante Gertrude" نرصد زلزال 3 ديسمبر 1885 وهو حدث قل من كُتب عنه، وتروي العمة "جارتريد" في رحلتها المعروفة "رحلة العمة "جارتريد"² عن آثار هذا الزلزال المدمر بمدينة المسيلة والمدن المجاورة، بقولها: "...يوم 3 ديسمبر 1885 في المساء ضربت هزة أرضية الجزائر في منطقة تعادل ثلثي المساحة الكلية للبلاد، تمتد شرقا جنوب باتنة وغربا جنوب معسكر...". ونقلت معلومات حول كل من باتنة، بسكرة، سطيف، بجاية، برج بوعرييج، مسيلة، بوسعادة، الأريعاء ناث إيراثن، سور الغزلان، ثنية، الحراش، بوفاريك، الجزائر العاصمة، بلدية، مدية، بوغار، الشلف معسكر وسعيدة، وحسب المعلومات المستقاة فإن زلزال 3 ديسمبر كان له العديد من الهزات الارتدادية المتباعدة نوعا ما بعدد من الذبذبات الناتجة من الشرق إلى الغرب، ففي بسكرة مثلا كان إتجاه الذبذبات شمال شرقي وجنوب غربي، وفي باتنة وسطيف كان شمال جنوبي، أما المسيلة فكانت المنطقة الأكثر تضررا من الزلزال ولم يسجل رعبا مماثلا بين السكان وقوة الذبذبات الإهتزازية، وكانت الهزات الارتدادية متتالية وقوية وتواصلت طيلة شهر ديسمبر، وإبتدأت الهزات في المسيلة منذ منتصف الليل أين بدأت الأرض تهتز بقوة، حيث عرفت المسيلة يوم 4 ديسمبر 1885 على العاشرة صباحا خمس وعشرون هزة إرتدادية حسب التقرير الرسمي الإداري، وكانت الأصوات الصادرة من أعماق الأرض مريبة وكانت الهزات الأرضية متتالية بصفة متواصلة وفي ليلة 4 إلى 5 ديسمبر في حدود الثانية صباحا حدثت هزة أخرى، ويوم 5 ديسمبر نهارا على الساعة الواحدة حدثت هزة أخرى قوية زادت من أضرار الهزات الأولى العنيفة، وشهدت ليلة من 5 إلى 6 ديسمبر ويوم 7 ديسمبر هزات أخرى لكن ضعيفة، ويوم 10 ديسمبر كانت محسوسة لكن يومي 11 و 12 ديسمبر كانت أكثر قوة ووصلت الهزات إلى سطيف وبرج بوعرييج وتسببت في العديد من الإنهيارات الأرضية، وتواصلت الهزات في هذه المنطقة المضطربة من الجزائر بشكل متواصل في المسيلة وسطيف يومي 25 و 26 ديسمبر، وفي ليلة 25 ديسمبر ويوم 26 ديسمبر في بوسعادة، وكانت الأضرار مدمرة في هذه المناطق المتضررة إذ تعرضت المباني إلى العديد من الإنهيارات كباتنة التي سقط بها جرس الكنيسة منذ الهزات الأولى وتهدمت بها بعض المباني، وفي مدينة بوسعادة تصدعت جل المباني وإنهار 10 منازل

¹Isabelle Eberhardt, Pages d'Islam..., Op.cit., P.P263-267.

²François Desplantes, Les récits de tante Gertrude, Rouen, Megard et c^{ie} Libraires-éditeurs, 1890.

وسقطت ضحيتين إثنيتين، في حين في منطقة برج بوعريريج إنهار 54 منزل بالقصور و 11 بالمرايطين منهم 4 في الببيان و 4 في برج رديز، وفي المنصورة تضررت بعض المنازل¹، أما الطريق الرابط بين المسيلة وبرج بوعريريج قُطع في عدة نقاط عرفت إنهيارات كبيرة كما إنهار جسر واد اقصب الحجري بشكل كبير، وتم إخلاء محطة الحامة للقطار في طريق السكة الحديد بسطيف، لكن في المسيلة كانت نتائج الهزة الأرضية عنيفة ومدمرة ووصفت "بالرهيبة"، وجاء في التقرير الإداري الرسمي أنه في يوم 4 ديسمبر أنه من بين 1200 منزل دمر 341 بيت و 294 تصدعت والبقية مهدد بالسقوط وسقط جزء منها فعليا ليلة 4 إلى 5 ديسمبر، وفي ما بعد بسبب الهزات الارتدادية اللاحقة إنهار البرج الإداري وإنهارت المدينة العربية على السكان، وتم دفن 35 ضحية أخرجت من تحت الأنقاض وجرح عدد كبير من السكان، والواقع أن المسيلة كانت مهيئة لهذه الكارثة بإعتبار أن مبانيها من الطوب والطين المجفف فكان إنهارها تقريبا كليا، وكما يصفها الرحالة "فايسات" "M.E.Vayssettes" أن شوارعها تشبه جل القرى البربرية أو الصحراوية، فهي متعرجة ومضمة وتنتهي بطريق مسدود وتحتوي هذه المدينة السعيدة على أبراج منحنية وهي بأعداد كبيرة على الأقل عشرة أبراج وهي عبارة عن منارات مبنية من مربعات من الطوب في شكل طبقات متراسة بطول متر من القاعدة إلى القمة، وكان من الواضح أن هزة أرضية عنيفة زعزعت توازن الأرض غير المستقر والبناء قديم جدا وهش وهذا ليس غريب فالمسيلة جاثمة في منحدر ضفتي واد القصب وأصبحت اليوم ركام من الحطام، وعمليات تنظيف الحطام في بداياتها أما سكان المسيلة فقد نصبوا خيام حول المدينة ولم يبدأوا بعد ترميم منازلهم المتضررة، ومن المتوقع أن تتخذ الإدارة الفرنسية إجراءات تعزز من إعادة بناء المدينة وتساهم في الحد من نتائج كارثية في ضرب الزلزال المنطقة مرة أخرى، وكان للمسيلة وضعية إستثنائية تجاه الزلازل فعند وقوع زلزال بداية سنة 1885 أين مست الهزات البحر المتوسط، شعرت المسيلة في 31 جانفي بهزة مدتها ست ثوان متجهة من الشرق إلى الغرب تسببت في هدم ستة بيوت، كما شعر بها سكان سطيف وهي ضمن المنطقة الضعيفة محددة في خط دائري يمر من برج بوعريريج وسطيف وبوسعادة، وتحتل المسيلة مركز المنطقة المعروفة بشط الحضنة أو شط السيدة أين تنخفض على مستوى البحر بـ 350 متر في حين الشطوط المجاورة أكثر إرتقاعا كشط البيضاء الذي يرتفع عن مستوى البحر بـ 880 متر، وتعتبر هضبة الحضنة من أهم الهضاب وبها العديد من المرتفعات وتبدو المسيلة محاطة بالجبال²، كما يتبين لنا أن المسيلة حظيت بعدة كتابات تصفها وتصف ساكنتها بإعتبار أنها كانت محط جذب يقصدها السواح والزائرين، إذ مثلت صورة نمطية للمدن الداخلية التي تجذب الزوار الذين يكتبون عنها بدافع الفضول، كذلك إرتبطت صورة المسيلة بالبداوة ومثلت نموذج المدينة العربية الأصيلة المتمسكة بالعادات والتقاليد والدين، ومن جهة أخرى فتحت هذه المدينة أمام

¹Desplantes, François, Les récits de tante Gertrude..., Op.cit., P.P.33-35.

²Ibid., P.P.36-39, 40.

الإستيطان الأوروبي، فمثلت مركز إقتصادي جذب العمال الأوروبيين، وكان لقدوم العمال الأجانب فرصة للإندماج مع السكان فانتشر الإسلام بين بعضهم وعاشوا المجتمع المحلي المتميز بالبساطة والمسالمة، ولمدينة المسيلة أهمية إستراتيجية الحيوية كبوابة الصحراء ومركز للتحكم في المناطق الجنوبية، مما جعل الإستقرار بها وتوفير مراكز الإتصال أمر ضروري بالنسبة للإدارة الفرنسية.

6. وهران المدينة الكوسموبوليتية.

وهران المدينة الواقعة غرب الجزائر مثلت لمجمل الرحالة الفرنسيين المدينة الجامعة لضفتي المتوسط، إذ بعد الإحتلال الفرنسي جمعت تعدد الأوجه ما بين السكان المحليين والإسبان والفرنسيين وانتشرت الثقافة واللغة الإسبانية إلى جانب الثقافة المحلية، فمثلت من خلال الكتابات فرجة للرحالة الزوار رغم أنها لم تكن موضوع متكرر لكتابات الرحلة كقسنطينة أو بسكرة أو الجزائر العاصمة مثلا. وننقل ما رصده الكاتب "جون لوران" عنها إذ يبدأ وصفه للمنظر العام للمدينة الذي ينبض بالحياة والحركة، ويقول في مختصر الحديث: "...في جولة حول البركة في وقت الإستعراض اليومي لفرقة الجوقة الموسيقية للزواف، كل وهران موجودة هنا تحت أشجار الكاليتوس المنتشرة في الممرات كل سكان وهران من الحي الفرنسي والحي الإسباني، نساء الضباط بلباس صيفي يحملن مظلات شمسية شفافة، يهوديات وهران بجوه ميتة بعقال أسود على رؤوسهن يرتدين فساتين من الساتان البنفسجي والمخل دون شكل وبها اليرقات ويلفن أجسامهن في شالات، وكذلك الأجنيات يرتدين ملاءات وأحذية صفراء وكذلك منظر المربيات الماهونيين المنحدرين من مايورقة وجزر البليار عموما يضعن أوشحة من الدونتال على رؤوسهن، وكل هذه العناصر ملتفة حول الفرقة الموسيقية العسكرية للزواف بلباسها المميز تكون مشهدا مميزا وسط مدينة وهران مع تواجد بعض السكان المحليين ببرانيسمهم،... ومنظر المدينة ساحر مع البحر المتوسط والسماء الزرقاء..."¹، وبالتالي فالمدينة قدمت للرحالة مشهدا متنوعا وثريا، وجذبت الآخر بحركية شوارعها ونشاطها وبمنظر السكان المحليين والأجانب المتنوع.

7. تلمسان مدينة الأمراء والجذب ما بين الأطفال والأطال.

في رصده لمدينة تلمسان قدم "جون لوران" في الجزء الثاني معلومات ثرية عن البلاد في رحلته المعلنون بـ "في الجزائر العاصمة" "En Alger" في ما يزيد عن مائة صفحة أين نلمس ثراء وتنوع المعلومات حول مستوطنة الجزائر، وأول ما يجذبه في تلمسان هم الأطفال، ومن خلال وصفه يظهر جلها الجانب الإيحائي للأطفال المحليين من خلال الوصف الجسدي لهم، إذ يقول: "...جاذبية تلمسان هي أطفالها" "Le Charme de Tlemcen se sont ses enfants"، أولئك الأطفال المحليين بأجسامهم

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique..., Op.cit., P.P. 15, 16.

الممثلة والعارية والجدابة بلونها البني، يضعون على رؤوسهم الشاشية وعيونهم جميلة ووجوههم دائرية ذات لون أسمر، وأسنانهم بيضاء كالأرز وشعرهم ذا لون أحمر ملون بالحناء ومجدد بجاذبية، وكانوا يلعبون في مجموعات في المدينة ما بين الأدرج، يبدون نشطين ذكور صغار السن يلبسون جبب طويلة وأرجلهم حافية، وبنات صغيرات في سن الثانية عشر يلعبن في الخارج ويتميزن بجمالهن الجذاب مرتديات الحلي في أرجلهن، وقريبا من هذه الساحة النزل الفرنسي وبطل من بعيد الحي العربي أو المدينة العربية التي تتميز بعمرانها ويصفها بالمدينة الصامتة خاصة في منتصف النهار إذ كانت الشوارع فارغة وأبواب البيوت لم تكن مغلقة بإحكام وتفتح بدفعها فقط ويراهن سهولة الولوج ويتساءل بفضول عن ما يوجد بها من أسرار¹، ويصف الكاتب "جون لوران" تلمسان بمدينة الأمراء لفخامتها وثراءها بالعمران والآثار والحضارة، وهي بذلك مدينة شرقية بإمتياز من منظور الرحالة فهي مدينة نشطة وحيوية ويقدم الكاتب مشهد لعناصرها ومكوناتها من الأتراك والمشور إلى الباعة والحرفيين وأصحاب الدكاكين والمساجد المدهونة بالجير والمنازل والسماء الأزرق المتوسطي، وما لفت إنتباهه هي المساحات الخضراء المحيطة ببيوت الأهالي من أشجار تين وحدائق في منظر مميز، إذا من خلال وصفه الملم عن تلمسان نلمس الصورة الحقيقية والإنطباع الذي إنتاب "جون لوران" عن المدينة التي تمثل نموذجا شبه قار في كتابات الرحالة الفرنسيين خاصة المثقفين من كتاب ومفكرين ورواد المدرسة الواقعية في الأدب والفن، إذ يقول: "...إنه إحساس غريب تحت هذه السماء الزرقاء الآسرة، وسط الأراضي الخصبة ترقد هذه المدينة الصامتة البيضاء لقرون محصنة بين أسوارها نائمة وسط البساتين الخضراء ومنازل مساجدها، تمام المدينة تائهة في دفي المكان..."، وهنا يبرز سحر الشرق الحقيقي الذي بحث عنه الرحالة الفرنسيين في الجزائر من خلال رحلاتهم وزياراتهم.

8. مدينة سيدي بلعباس مركز متقدم للقوات الفرنسية في الغرب الجزائري.

زار الكاتب "جون لوران" مدينة سيدي بلعباس التي كان بها أربع ثكنات عسكرية وكان يراها مدينة حزينة وشبه خالية، ومثلت للفرنسيين حصن إستراتيجي عسكريا من قبائل بني عامر المعادية إذ تعتبر مركز متقدم أي مركز حماية ضد العصاة، أسسها "الجنرال بدو" "Le Général Bedeau" سنة 1843 وهي مدينة موحشة وشوارعها فارغة بإستثناء مقهى للضباط يعتبره الفرنسيون بأئس بطاولاته الحديدية والحرارة الشديدة داخله، لكن في منتصف النهار تحدث حركة واسعة محدثة ضجة كبيرة بين كل فئات المجتمع المحلي والأجنبي وهو لحظة توجه الجميع من معمرين وقبائل وبدو وجنود فرنسيون من الزواف ومن الفرقة الإفريقية ومن الصبايحية بلباسهم الأزرق المميز إلى المقاهي الحضرية أو العربية المحلية في الحي العربي خلف ساحة الكنيسة، أين تعبق بالمكان روائح المسك والعطور من

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique..., Op.cit., P.P.21, 22.

المقاهي العربية التي تعج بالعرب ببرانيسهم البيضاء الطويلة كالأشباح حسب تعبير الكاتب وكذلك جنود الصبايحية مجتمعين بمعاطفهم الحمراء وأقال أحذيتهم الطويلة المُشعة مع أضواء التبغ في ظلمة المكان وأصوات الدربوكة والرقصات وإنبعاث رائحة المسك المنتشرة في كل بلاد الشرق¹، ومن خلال ما رصده الكاتب في هذا المشهد الخاص بالمقهى العربي بسيدي بلعباس نلمس نظرة ذاتية مبنية على الإزدراء والحقء ضد المسلمين عموما وذلك من خلال وصف رائحة العطر التي يضعها العرب ويراهها سيئة جدا لدرجة أنه ينعتها بالعطر القمامة "Cette espèce de pourriture d'encens" الذي ينتشر في كل بلاد المسلمين، كما يصف بذاتية تصرفات العرب في المقهى في حين يتغاضى عن سلوك الفرنسيين خاصة الجنود منهم، ويبرز الكاتب بوضوح المشاعر السلبية تجاه السكان الأهالي المحليين وكرر هذه الصورة في كل المدن المحلية التي زارها وفي وف كل فئات المجتمع المحلي.

9. مستغانم المدينة الفرنسية.

يصف الكاتب "جون لوران" طريق الرحلة والمناظر الطبيعية بمختلف مظاهرها من نباتات وحيوانات، ووصل إلى مدينة مستغانم كما يسميها "مستغانم الفرنسية" "Mostaganem la Française" التي شيدها الفرنسيون قبالة البحر، وانتشرت بها الثكنات العسكرية والمنازل الفخمة للضباط الفرنسيين المتقاعدين، وكان بناء المدينة كباقي المدن الأخرى في مستوطنة الجزائر التي شيدها فرنسا، إذ يتميز وسط المدينة بالأقواس والساحات الخضراء والحدائق بورودها وكراسيها والمسرح البلدي وغيره من المباني المنتشرة في كل المدن، وعلى طول طريق البحر إنتشرت المنازل الفاخرة وكانت بطراز فرنسي أكثر منه موريسكي بأسطح قرميدية ومطلية بالجير ومنها بيوت قدامى ومتقاعدي الجيش الفرنسي مع إنتشار الحدائق والساحات الخضراء في جو إفريقي لطيف كما يصفه الكاتب وهنا ندرك أن المدينة غلب عليها النمط المعماري الأوروبي بسبب الإستعمار، ومن جهة أخرى رصد "جون لوران" في مستغانم بنو ميزاب إذ كانوا يمارسون النشاط التجاري ببيع مختلف السلع في دكاكين تقع قرب نزل المدينة، وشمل الوصف فيزيولوجية بنو ميزاب الذين يعتبرهم يختلفون عن العرب فهم حرفيون وتجار والملاحظ أن "جون لوران" قدم عنهم صورة إيجابية²، وهذا الإنتشار لبنو ميزاب في كامل البلاد من المناطق الشمالية حتى الجنوبية كان لممارسة النشاط التجاري وإرتبط تاريخيا بالدولة الرستمية وسيطرتها على التجارة الصحراوية أو التجارة العابرة للصحراء، وكذلك تفكير بنو ميزاب وصفاتهم المسالمة والروح الإقتصادية والتجارية المكتسبة تاريخيا وحضاريا لديهم، وما يستنتج من خلال كتابات الرحلة أن مدينة مستغانم كانت مركز عسكري مُحصن مثل مدينة سيدي بلعباس ومدينة فرنسية.

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique..., Op.cit., P.P. 23, 24, 45, 47, 48, 49.

²Ibid., P. P.62, 61.

10. بسكرة اللذيذة مدينة السماء الأزرق من خلال الرحالة "نيال أوليدون" "Niel, Odilon"، والرحالة "آلفريد بارودون" "Alfred Baraudon".

يصف الكاتب "نيال أوليدون" بسكرة بجغرافيتها الطبيعية، إذ يبدأ الوصف بواد القنطرة الذي يتميز بصخوره التي تملأ المكان، في يمينه جبل "تيلاتو" "Tilatou" وفي شماله جبل "قاوس" "Gaous" وتتحد الطريق بمنفذ "كول" الذي كان يتوجسه التجار بسبب إنتشار قطاع الطرق حوله وكانت المدينة ذات أهمية بالنسبة للإستعمار الفرنسي إذ يوجد بها الخط الخاص بالتليغراف الذي يصل بسطيف، كما يوجد بها مكتب للبريد ومركز للدرك ومحافظ الشرطة، وهذا دليل على كون المدينة مركز مدني يماثل المراكز المدنية الكبرى في الجزائر المستعمرة، ومن بين أهم الواحات بالمنطقة التي تم وصفها والتعريف بها من قبل الكتاب والرحالة الفرنسيين نجد "واحة الوطاية" بمعنى الهضبة الممتدة على مدى البصر أي أنها لامتناهية وواسعة بها الآثار ويوجد بها النخيل وتنتشر بها زراعة القطن وحقول الحبوب وتتميز بتربية النحل وبها نموذج هو مزرعة السيد "دي فور" "M.Dufour"، كما تزدهر بها الصناعات النسيجية كحياكة البرنوس والحايك، ثم نجد "مجاز الصفاء" آخر نقطة من الأوراس والتي تعطي منظر مميز من الأعلى تبدو فيه واحات بسكرة كنقاط خضراء أما الواحات البعيدة فتبدو كنقاط سوداء وتمثل أبواب الصحراء¹، وكان للكتابات الفرنسية ذكر دقيق ومفصل لواحات الزيبان وهي مقسمة لأربعة واحات زاب البسكرة والزاب الشرقي الذي ينقسم إلى قسمين والزاب القبلي والزاب الظهرأوي، فالزاب الشرقي وهو وسط الزيبان يتكون من تسع واحات هي: "علياء" "Alia"، "الوماش" "Oumach"، "الشنمة" "Chetma"، "الدراعة" "Drâa"، "سيدي عقبة" "Sidi Okba" "الزربة" "Zarta"، "تهودة" "Thouda"، "سريانة" "Seriana" و"سيدي خليل" "Sidi-khlil"، وتتميز منطقة "سيدي عقبة" بمعلم شهير هو المسجد العتيق، ويعود للقرن السابع ميلادي وبه زخارف مميزة ويعتبر مزارا للمسلمين ويتميز بقدسية خاصة، ويوجد به ضريح الصحابي الجليل "عقبة بن نافع الفهري"، وبه مدرسة قرآنية للتدريس وتحفيظ القرآن الكريم وعلومه، والزاب القبلي به تسع واحات هي كالتالي: "مليلي" "Melili"²، "زاوية مليلي" "Zaouiet-Melili"، "بيقو-الزاوية" "Bigou-Ez-Zouia"، "أورلال" "Ourlal"، "المناحلة" "El-Menahla"، "بنتهيوس" "Ben-Thious"، "المخادمة" "El-Mekhadma"، "ليوة" "Lioua" و"صهيرة" "Sahira"، أما الزاب الظهرأوي به سبع واحات هي: "بوشقرون" "Bou-Chagroun" "ليشانة" "Lichana"، "فرفار" "Farfar"، "طولقة" "Tolga"، "البرج" "El-Bordj"، "فوغالة" "Foughala" و"العمرى" "El-Amri"، وعوّضت "واحة ليشانة" المتميزة بالزراعي ذات الأصباغ رائعة والتمور الجيدة "واحة الزعاطشة" لما دمرت عام 1849 وكانت تبعتها بضع أمتار فقط، فبعد إعلان "بوزيان شيخ

¹Niel Odilon, Géographie de l'Algérie..., Op.cit., P.396.

²Ibid., P.P. 401-402.

الزعاطشة" الجهاد إلتقت حوله القبائل وواجهوا قوات الإحتلال مدة 52 يوم إلى غاية سقوطها في 26 نوفمبر 1849 على يد كل من الكولونال: "كانروبير" "Canrobert"، بارال "Baral" و"لورمال" "Lourmel" وكذلك الحال بالنسبة "لواحة العمري" التي إنتفض سكانها عام 1876 فتعرضوا لقمع كبير قاده ضدهم الجنرال "كارتوري دي تريكور" "Carteret de trécourt"، ومن جهة أخرى حضارية بصفة كبيرة أرخ الكثير من الرحالة "لواحة طولقة" التي كان بها مدرسة قرآنية وإنتشرت بها صناعة الأغذية والأحذية التقليدية، أما "أولاد سيدي صالح" فإستقر قرابة 300 منهم بجنوب بسكرة ويمثلون جزءا من سكان الزيبان وإرتفع عددهم إلى 19000 نسمة، وجزء من الزيبان الشرقي تمتد أراضيها إلى غاية الحدود التونسية ويشمال واد سوف تكون قاعدة منفصلة من ست واحات وهي: ليانة Liana، قصر Kekar بادن Bades، زريبة الواد Zeribet-El-oued، زريبة أحمد Zeribet-Ahmed وعين ناقة Ain-Naga¹. أما الرحالة والكاتب الفرنسي "ألفريد بارودون"، يورد وصفا دقيقا ومفصلا لبسكرة، إذ في مسار رحلته خصص فصلا كاملا لطريقه من قسنطينة إلى بسكرة وتحدث عن عادات وتقاليد السكان، ورصد نمط المعيشة وأنواع الملكية ونظام إستغلال الأرض والحياة الإقتصادية للسكان العرب من تجارة وزراعة فصورة القوافل المنتشرة على طول الطريق تتم على التجارة المزدهرة للسكان خاصة وأن المستوطنات الأوروبية في تجمعات منفصلة عن المدن العربية، والملاحظ أن هذه الدراسة دقيقة فعن مدينة بسكرة لوحدها رصد لها عدة صفحات من صفحة 169 إلى صفحة 186 ثم يواصل الحديث عن سيدي عقبة من صفحة 187 إلى صفحة 211، وقدم دراسة معمقة طوبوغرافية وإقتصادية وإجتماعية، ودرس الزراعة والإنتاج الزراعي ومواسم الحرث والجني وأنواع التربة ونوعية المحصول وغيره من دقائق الأمور في مختلف المجالات، إذ عبر "ألفريد بارودون" السلاسل الجبلية المؤدية لممر القنطرة وعبور الجسر لا يتطلب إلا بضع دقائق، ويضيف: "...ثم يسحرنا منظر خلاب بهضبة دائرية تحيط بها جبال من كل الجهات خالية من الغطاء النباتي لكنها بنهايات منحنية يغلب عليها اللون الرمادي، وفي المنحدر تظهر نقاط ملونة لسلسلة جدران ترابية تتخللها واحات من النخيل بإخضرار متناسق على مساحات تضيق وتتسع... إنها واحة القنطرة التي تمثل أول غطاء نباتي في الصحراء، ثم ينتهي منظر الواحات لنجد من جديد الصحراء الشاسعة مرتفعات صخرية ورمال وأودية جافة رغم أننا لم ندخل الصحراء بعد مرورنا بجبل السلوم وجبل الملح..."²، وفي وصفه لبسكرة يورد "ألفريد بارودون" صورة أسطورية للمدينة بدأ بالتسمية ومظاهر الواحة والشوارع والسكان والظواهر الإجتماعية، فهو يربط تسمية بسكرة بالخمير وبلغة جذابة ربطها بالوصف المميز للمدينة بسماءها الأزرق وأشعة شمسها الدافئة والحياة الهنيئة

¹Niel Odilon, Géographie de l'Algérie..., Op.cit., P.P, 403-404.

²Alfred Baraudon, Algérie Et Tunisie Récit De Voyage Et Etudes..., Op.cit., P.P.162, 167-168.

والممتعة وواحاتها الشرحة المشابهة لجنة عدن، فهي في نظره مكان للراحة تفصل الشمال عن الجنوب وتمثل محطة للراحة للتجار المتجهين لمجاهل الصحراء، فكما يسميها "بسكرة اللذيذة" Biskra la "délieuse" التي تزخر بأوديتها الجارية وواحاتها الخضراء¹، وواحات بسكرة تمثل غابة بـ 140.000 نخلة و 6000 شجرة زيتون ويزرع بينها الأهالي الخضر والحبوب، ويمر واد بسكرة أو واد القنطرة وسط ثلاث قرى من جهته اليمنى ويروي الزراعات بها وبالصفاة اليسرى للواد توجد واحة فيلياش وهي منطقة مخضرة²، وكان الوصول إلى بسكرة وأولى الجولات السياحية، من الصور الثابتة، إذ كان الزوار يقتطعون تذاكر لبسكرة عبر القنطرة ويكون الوصول في وقت قصير من القنطرة عبر نفق أو نفقين للولوج للواحات الخضراء الواسعة، وتوجد في هذه الواحات قريتين عربيتين بمنظرهما الشرقي الجميل ثم ينقطع المنظر قرابة ست ساعات وليلة كاملة أين يصلون إلى بسكرة، وفور الوصول يتغير المنظر إذ يتفاجئ الزوار بالمكان كما يصف "دي فونتراس" بقوله: "...كنا نتصور أننا في مكان خال لكن وجدنا عند نزولنا من القطار مجموعة من العرب يتكلمون الفرنسية ويعرضون علينا حمل أمتعتنا كما في الدول الأكثر تحضرا،...وتوجهنا لنزل الصحراء ونقلتنا عربة ورافقنا المرشد العربي للنزل "شعبان" وهو يجيد التكلم بالفرنسية ووضعنا برفقته برنامجا للرحلة، وكان النزل نظيفا وهادئا، وبعد العشاء أخذنا "شعبان" في جولة بدأناها من مقهى عربي أين حضرنا رقصة للنايليات وكان المقهى مملوء بالعرب ويقوم بالرقص فتيات صغيرات يلبسن ثياب بألوان فاتحة وبعضهن يضعن الحلي على رؤوسهن..."³. ومن جهة أخرى كانت المدينة ناشطة إقتصاديا إذ كان بمدينة بسكرة سوق مغطى على الطابع الشرقي فيه مختلف السلع، واستقرت أعداد كبيرة من الأهالي في المدينة الفرنسية يحترفون صناعة الزرابي والبرانيس والحياك والصناعات الجلدية، والأوروبيون فيمارسون تجارة البقالة والمواد الإستهلاكية والخمور والمشروبات، والميزابيون يجلبون لبسكرة التمور الجيدة والحياك والبيض وريش النعام والمروحات والأقمشة من تونس، والشعانية يشترون القمح والشعير وبعض الصناعات الأوروبية⁴. وبالتالي نستنتج أن بسكرة كانت منتجعا شتويا يقصده مختلف السواح والزائرين من مختلف الدول الأوروبية، وكانت تقام بها مخيمات للتخييم منها مخيمات بريطانية وسويدية وهولندية وأمريكية وألمانية وفرنسية، وهي ذات أهمية إستراتيجية كمركز إقتصادي للإستعمار الفرنسي وكذلك كمركز إستيطاني إتمدت عليه سلطات الإحتلال لجذب مزيد من المستوطنين، وهذا يبرر المكانة السياحية التي حظيت بها كمركز سياحي ومنتجع شتوي جذب الزوار الأوروبيين من مختلف البلدان وكسبت شهرة كبيرة.

¹ Alfred Baraudon, Algérie Et Tunisie Récit De Voyage Et Etudes..., Op.cit., P.P196-170.

² Niel Odilon, Géographie de l'Algérie..., Op.cit., P.402.

³ Rumet de Fontarce, Armand, Souvenirs d'Afrique, Algérie, Tunisie. Mission officielle, journal de voyage..., Op.cit., P.49.

⁴ Ibid., P. 399.

11. الأغواط المدينة التي جذبت الرحالة والمستكشفين، وألهمت الرسام "أوجان فرومونتان".

تقع الأغواط على بعد 448 كلم جنوب العاصمة وعلو 741 متر على مستوى البحر¹، وأصبحت بلدية مختلطة يوم 6 نوفمبر 1868، كانت تضم 4.304 نسمة منهم 110 فرنسي و194 يهودي و30926 أهلي و227 أجنبي، وكان الجنرال "ماري مونج" "Le Général Marey-Monge" أول من زار المدينة من الفرنسيين عام 1844، وكان سقوطها عقب حصار "الجنرال بيليسي" سنة 1852². وفي ما بعد إزداد عدد سكانها، ويعتبرها الرحالة مدينة عربية كبيرة وجميلة بها ما بين 5000 أو 6000 ساكن إذ كانت مركز لتجمع سكاني للأهالي من 13 إلى 14000 نسمة، مبنية على مرتفعين بمدرجين متقابلين بها بساتين النخيل والأشجار المثمرة مسقية على مساحة 200 هكتار³، تضم غابة بها 30 ألف نخلة وبها منازل مسورة مميزة البناء لكن عقب الإحتلال تغيرت ببناء ساحات وأحياء فرنسية⁴، فكانت الأغواط من المدن التي حضيت بإهتمام الرحالة والمستكشفين الفرنسيين منهم المستكشف "بول صولي" الذي إنطلق من مرسيليا يوم 6 سبتمبر 1872 ووصل يوم 30 سبتمبر إلى الأغواط واتخذها مركزا لتحضير الرحلات، وأورد وصفا لطوبوغرافية المدينة وعبر عن جمالها وشساعاتها، إذ يتوسط المدينة ساحة كبيرة مليئة بالنخيل والعُليق وتنتهي عندها، وتلتقي كل طرق المدينة ومجملها واسعة، ويسكنها العسكر الذي يعتبر عددهم كبير من مختلف الفرق العسكرية والمدفعية وفرق متقلة ويسكنها أيضا الأوروبيين والأهالي، وبها قاضي مالكي للسكان أما اليهود والأوروبيين فيحكم بينهم قائد الدائرة، والملاحظ هو إسهاب "بول صولي" في دراسته عن الأغواط سواء طوبوغرافيا أم أنثربولوجيا إذ خصص لها جزءا مهما من كتابه، وكانت الأغواط مقرا لإنطلاقه إلى أعماق الجنوب⁵، وهذا دليل على الأهمية الإستراتيجية للمدينة كونها مركزا للإحتلال لتأمين المناطق الصحراوية للمستوطنة، كما كتب العديد من المؤلفين عن الأغواط وصفا وتعريفا، فالمدينة كانت عادة ما تتضرر بالتساقطات المطرية النادرة، فالكاتب "آرنست فالو" "Ernest Fallo" أثناء زيارته للمدينة عام 1887 شهد تساقطا للأمطار الفجائية أدى إلى إنهيار العديد من البيوت بالأغواط فإنهار أكثر من مائة بيت، وكان بناء البيوت بأبعاد متغيرة بشكل مربعات بها نوافذ ومسقفة بعليات عادة ما تشكل مناظر مميزة لرجال على الأسطح يقومون بعمليات الصيانة أو أشكال لنسوة بملابسهن الرفرافة

¹Guide Pratiques Conty, Algérie-Tunisie, Paris, Administration De Guides Conty..., Op.cit., P.155.

²Louis Piesse, Itinéraire De L'Algérie De La Tunisie Et De Tanger..., Op.cit., P.P.116, 117.

³Charles Lallemant, L'ouest de L'Algérie, Réseaux Exploités par la Compagnie de L'ouest -Algérien Lignes de L'ouest-Algérien..., Op.cit., P.P.202, 206.

⁴Guide Pratiques Conty, Algérie-Tunisie, Op.cit., P.159.

⁵Paul Soleillet, L'Afrique occidentale Algérie, Mزاب, Tildikelt, Avignon, Imprimerie De F.Seguin Aîné, 1877, P.P.4, 5, 6, 9.

يتجولن على الأسطح وحظيت المدينة بتحصينات لحمايتها من الغزاة¹، كما مثلت أهمية إستراتيجية للإحتلال كما ذكرنا، إذ كان حصار المدينة من قبل "الجنرال بيليسي" "le Général Pélissier" عام 1852 من الأحداث التي ميزت تاريخ الحملات العسكرية للتوسع الإستعماري في الجنوب، وسقطت المدينة يوم 4 ديسمبر 1852²، وظل هذا الحدث متداولاً بين الكتاب والزوار وخلده الرسام الفرنسي المشهور "هوراس فارني" "Horace Venet" في لوحة عن سقوط الأغواط عام 1852³، كما حظيت مدينة الأغواط بإهتمام كبير من قبل سلطات الإحتلال الفرنسي فالصابطين "كاريت" و"روزي" "Carette et Rozet" في حديثهما عن المصادر الجوفية للمياه وصفا الأغواط : "بالمدينة المهمة ومركز واحات القصور، تضم عين ماضي... وتتلقى المياه من رافد يصب في واد الجدي.."، وهو مصدر أساسي للمياه بالأغواط ويحصل السكان على المياه الجوفية سواء بحفر الآبار أو من الأودية التي عادة ما تتلشى في الرمال⁴، وتعتبر القصور والواحات مصادر أساسية للمياه الجوفية الدائمة رغم ندرة أو إنعدام التساقط في كثير الأحيان، وتستخدم في الشرب والري غير أن سلطات الإحتلال وخدمة للمراكز العسكرية كان لزاماً عليها حفر آبار لتغطية إحتياجاتها من المياه⁵، كما تجلت الأهمية الإقتصادية في التجارة إذ مثلت واحات الأغواط مراكز للتبادل التجاري لمنتجات الصحراء ومنتجات المناطق الشمالية للبلاد، وكانت هذه الواحات سيدة التجارة بين المنطقتين⁶، فكانت شحنات السلع القادمة من الأغواط تجلب إهتمام الزوار إذ يصف "بول آدال" إحدى شحنات الأحصنة العربية الأصلية القادمة من الأغواط إلى مدينة الجزائر العاصمة⁷، إذ تميزت بها عدة طرق تجارية تنطلق من الأغواط مجموعة من الطرق التجارية باتجاه الصحراء لنقل التمور والأنسجة الصوفية وريش النعام وغيرها من السلع مما يجعل الأغواط مدينة ذات أهمية إقتصادية وتجارية محضة⁸، كما تكمن أهمية المدينة في موقعها الإستراتيجي ويحدها من الشمال "جبال العمور" ومن الشرق "أولاد نايل" ومن الجنوب "بني ميزاب" ومن الغرب "قبائل الأغواط كسال"، وتضم مدن وقرى يسكنها عديد القبائل ومن مدنها وقرىها "الوطاية"

¹Ernest Fallot, Par-Delà La Méditerranée Kabyle – Aurès – Kroumirie, Paris, Librairie Plon, 1887, P.95.

²René De Saint-Félix, Le Voyage de S.M L'Empreur NAPOLEON III En Algérie..., Op.cit., P.70.

³J.Chalon, Souvenir D'Alger..., Op.cit., P.95.

⁴Rozet et Carette, L'Algérie, L'Univers ou Histoire et Description De Tous Les Peuples, De Leurs Religions, Mœurs, Coutumes, Etc, Paris, Firman didot frères, éditeurs, 1850, P.150.

⁵Le Colonel Noëllet, L'Algérie En 1882, Paris, Librairie Militaire De J.Dumaine, 1882, P.P.76, 77.

⁶A.Gleyze, Géographie Elémentaire De L'Afrique Du Nord, (Maroc, Algérie, Tunisie), Marseille, Librairie Ferran Jeune, 1913, P.121.

⁷Paul Eudel, Hivernage en Algérie..., Op.cit., P.42.

⁸Charles Lallemant, L'ouest de L'Algérie, Réseaux Exploités par la Compagnie de L'ouest -Algérien Lignes de L'ouest-Algérien..., Op.cit., P.201.

"تاجموت"، "الحويّة"، "العسفاية"، "عين ماضي" و"قصير الحيران"، ومن قبائلها "قبيلة العرابية" الكبرى و"قبيلة سيدي عطالله" و"قبيلة الغزلية"، والأغواط بها ما بين سبعمئة إلى ثمان مئة بيت على حافة جبل يجري في شرقه "واد مزي"¹، وقام الإحتلال بعمليات تهيئة للطرق والممرات، وكان لسد "مزي" دور في زراعة أكثر من 1000 هكتار لم يكن مزروع من قبل، وبالتالي كانت الأغواط تمثل مركز متقدم للإحتلال الفرنسي في الجنوب الجزائري، وتحتل مركز وسط إذ تقع على نفس المسافة بين الحدود الشرقية والغربية للبلاد، وكانت مركز لقوات عسكرية قارة دائمة الإستعداد بجاهزية عالية طيلة الوقت بتعداد يتراوح ما بين 15 إلى 18000 رجل، وموقعها الوسط في الجنوب من العاصمة يجعلها مركز عسكري وإداري هام يؤمن حراسة ومراقبة الجنوب ففي خضم ساعات فقط يتمكن هذا المركز العسكري من تموين القوات الفرنسية التي تقود الحملات العسكرية دون إرهاق أو تعريض الجنود إلى المصاعب والأخطار في مواجهة قبائل الصحراء المتمردة، كما إختيرت الأغواط كمركز لتكوين قوات المهري². وكان للكاتب والرسام الفرنسي "أوجان فرومونتان" رحلة لمدينة الأغواط إذ تحدث بإسهاب عنها، ويعتبر من أهم الشخصيات التي زارت البلاد وكتبت عنها، فكانت رحلته عام 1853 عنونها "صيف في الصحراء" بدأ الرحلة من المدينة إلى الأغواط، ووصف طريق الرحلة لـ"بلاد العطش" كما يسميها وصفا دقيقا منذ وصوله إلى مشارف الصحراء وإقترابه من الأغواط، إذ توقف في عدة نقاط يُدون ملاحظات ويرسم لوحات عن المنطقة، ففي بوغاري إستضافه القائد "سيدي الجيلاي" ووصف "الضيقة" وأشاد بكرم سكان الصحراء، ووصل الأغواط يوم 3 جوان وأول ما لاحظته هو المقبرة التي تتقدمها كما في كل المدن العربية تقع خارج الأسوار، ووصف المدينة بدقة وعبر عن إعجابه الشديد بعمرانها فهي مسورة بتحصينات تتخللها خضرة البساتين المنتشرة بكثرة³، وتكتسي هذه الرحلة أهمية علمية كبيرة بما تحتويه من معلومات ثرية ودقيقة تساهم في كتابة التاريخ المحلي الإجتماعي لسكان واحة الأغواط وضواحيها.

ب. صور ذات أبعاد إقتصادية وسياحية عن سحر الصحراء.

نقدم صور عن أهمية الصحراء الجزائرية الساحرة بالنسبة للإحتلال خاصة إقتصاديا وتجاريا.

1. صورة الصحراء من خلال القوافل التجارية والأهمية الإقتصادية.

كان إهتمام الفرنسيين بالمعادن والثروات فقام "أوكتاف لو كونت" "Octave Le Comte" وهو صيدلي عسكري بتحليل تربة الأغواط، ودراسة الثروات الحيوانية والنباتية كالماشية من أغنام وجمال

¹M.Le lieutenant –Colonel Daumas, Le Sahara Algérien Etudes Géographiques, Statistiques et Historique Sur La région..., Op.cit., P.P.16, 17.

²Charles Lallemant, L'ouest de L'Algérie, Réseaux Exploités par la Compagnie de L'ouest -Algérien Lignes de L'ouest-Algérien..., Op.cit., P.P. 201, 205, 206.

³Eugène Fromentin, Un Eté Dans Le Sahara..., Op.cit., P.P.10, 16, 89, 100, 105.

بكل أنواعها والتمور، وتتوعد الدراسات حول تكيف الثروة الحيوانية مع الطبيعة الصحراوية، فكان البعض يعتبر الصحراء تخدم مصالح فرنسا وأوروبا بثرواتها¹، كما نادى جزء كبير من المهتمين بالمنطقة وتاريخها بضرورة التوغل في أعماق الصحراء حفاظا على المصالح والإمكانيات التجارية "كالأب لويي" "L'Abbé Ch.Loyer" الذي كان قس في الأغواط وعضو في الجمعية الأثرية في نونث الفرنسية وعضو اللجنة المركزية للإستيطان، إذ تأسف على السياسات التي أهملت المناطق الداخلية للصحراء مذكرا بالقائد "الماريشال روندون" "Le Maréchal Randon" الذي حاول أن يؤسس لعلاقات مع الطوارق لما كان حاكما عاما للمستوطنة، ويتحسر "الأب لويي" عن الفرص التي ضيعتها فرنسا ويدعو إلى حماية مصالحها التجارية في المنطقة خاصة تجارة القوافل العابرة للصحراء مع بلاد السودان، إذ تنقل هذه القوافل البضائع الثمينة من إفريقيا الوسطى سنويا خاصة ريش النعام الذي يمثل مادة أولية أساسية للتصنيع بفرنسا والتي كانت تصرف في أسواق تونس والمغرب الأقصى فهو يعتبرها تضييعا لفرص هامة كان بمقدورها تشغيل آلاف العمال بالمصانع الفرنسية².

2. النظرة الميثولوجية للصحراء في مخيلة الرحالة والإسقاط الرمزي لصورة البحار والمحيطات على الصحراء.

مثلت الصحراء لبعض الفرنسيين صورة غامضة مليئة بالأسرار، فطريق الصحراء الشاسعة والمتزامية الأطراف إنعكس في صورة متداخلة بين الخوف والإعجاب الشديد بالواحات³، في حين البعض الآخر أعطى إسقاطا لصورة العالم الجديد على الصحراء، وكما يصف الكاتب "ليون فارهاق دي ناير" "Léon Verhaeghe de Naeyer" بقوله: "...طريق الصحراء يذكرنا بتلك الطرق المحرقة لسلسلة "جبال سييرا نيفادا" التابعة للمستوطنات الإسبانية في العالم الجديد... La Sierra Nevada d'Espagne"، ويبرز الكاتب صورة الإعجاب بالصحراء في تمثيل التشابه بين المظاهر التضاريسية للصحراء بالمحيط، إذ يضيف: "...صورة المحيط هي الوحيدة القادرة على إعطائنا فكرة عن الفرجة والمتعة التي منحت لنا"، كما شُبهت الصحراء بالبحر من خلال هذا السرد، إذ يقول: "...هي بحر من الرمال أوسع من المتوسط.... وشساعة الصحراء تبدو كجزر بها نقاط ملونة تمثل الواحات..."⁴. وتكرر هذا التشبيه لدى العديد من الرحالة الذين كتبوا عن الصحراء، والبعض الآخر كالقائد الفرنسي "إقزافيي مارميي" "Xavier Marmier" الذي ربط هذه الإستكشافات من دراسات عن الصحراء وبعثات

¹Jules Maistre, L'Europe et Le Sahara..., Op.cit., P.P.7, 8, 9.

²M.L'Abbé Ch.Loyer, Les Touaregs, Paris, Benjamin Duprat, 1863, P.6.

³A.Gascard, Compte-rendu d'une Excursion en Algérie, Rouen, Imprimerie Emile deshays et c^{ie}, 1889, P.14.

⁴Léon Verhaeghe de Naeyer, Vingt Ans d'Etape, Bruxelles, Librairie Européenne C.Muquardt, 1888, P.P.253, 254.

ورحلات بالاكتشافات الجغرافية المذهلة للعالم الجديد التي قام بها "كريستوف كولومب"، فهو يشيد بالضابط "كاريت" الذي عرفنا على الصحراء بواحاتها وقبائلها المزارعة والمُصنعة وقوافل التجارة والحج بها، والكولونيل "دوماس" الذي عرفنا على كل مقاطعاتها ومدنها ودقائق النظام القبلي¹، أما الصحراء للبعض الآخر مثلت صورة للإسترخاء والمتعة والصيد، كرحلات صيد الغزلان والنعام الذي كانت تنظم برفقة الخيالة العرب المولعين بالصيد².

3. صورة رحلات الصيد والمتعة.

من الصور المستقاة عن الصحراء صور الصيد، إذ أن رحلات الصيد في بسكرة من أهم عناصر الجذب للزوار فمثلت صورة للإسترخاء والمتعة والصيد، كرحلات صيد الغزلان والنعام الذي كانت تُنظم برفقة الخيالة العرب المولعين بالصيد، ويستخدم نوع من كلاب الصيد المحلية المعروفة بإسم "السلوقي" في عمليات صيد الغزلان، أما صيد النعام فيكون بمساعدة الخيالة إذ يجمعون النعام ويلاحقونه ويُستغل ريش النعام وذهنه الذي يستخدم كدواء للأمراض وتُستهلك لحومها، وكانت رحلات الصيد تُحضر مسبقا ومثلت متعة خاصة للزوار، كما كان لكرم السكان المحليين الذين يستقبلون الزوار في خيامهم أثر واضح في تعلقهم بالمنطقة التي تداخلت وتوالت صورها في مخيلاتهم³.

4. سباق المهري صورة من صور الجذب السياحي.

كان لسباق المهري دور كبير في الجذب السياحي بالمنطقة إذ كانت مؤسسة تربية الخيول ببسكرة تنظم دوريا سباق الخيول في واحة "بني مرة"، كما كان يُنظم سباق المهري والذي أسسه "الكاردينال لافيغري" سنة 1890 وكانت تُقدم مبالغ كبيرة للفائزين بالسباق، كما كان سنة 1891 في سباق المهري الذي حاز صاحبه على قيمة مالية تقدر بـ 1000 فرنك فرنسي مقابل اجتيازه لمسافة تقدر بـ 366 كلم من ورقلة إلى بسكرة في 36 ساعة و 20 دقيقة فقط، ومسار هذا السباق من ورقلة أو تقرت إلى بسكرة وكان السباق يدور في أجواء تقليدية ترافقها الموسيقى المحلية ويرتدي الخيالة لباس تقليدي أصيل، كما كانت تقام رحلات الصيد في المنطقة التي كانت غنية بأنواع عديدة من الطيور البرية والحيوانات من أرانب برية وغزلان⁴، وكان للرحالة والزوار إهتمام كبير بهذه النشاطات الترفيهية في الصحراء الكبرى الجزائرية إذ تدرج في برنامج ومخطط الرحلة منذ الوصول إلى المستوطنة.

¹X.Marmier, Lettres Sur L'Algérie..., Op.cit., P.87.

²Le Père Charmetant, Les peuplades Kabyles et Les Tribus Nomades Du Sahara, Montréal, Des Presses à Vapeur De La Minerve, 1875, P.26.

³Ibid., P.P.26, 27,28.

⁴Jean Hurabielle (Abbé), Au Pays du bleu, Biskra et les oasis environnantes..., Op.cit., P.P.89-90,92, 94.

5. الصحراء، صورة للخرجات والتنزه.

كانت الصحراء ملاذا للترويح عن الذات والإكتشاف، إذ كان الرحالة بعد وصولهم وإستقرارهم بالنزل يقومون في اليوم الموالي بجولات في المنطقة، وهذا ما يورده الرحالة "دي فونتراس" في رحلته إذ يسرد قائلا: "...في اليوم التالي جهز لنا شعبان المرشد رحلة في الصحراء وحضرنا المؤونة من مأكّل ومشرب تأهباً للمسير، فإنطلقنا في الجبال المجاورة للقنطرة وعند وصولنا لبرج السعادة ظللنا هناك مدة في الأعالي ما يوازي 20 كلم في المرتفعات¹، ثم وصلنا "واحة الشقة" لقضاء الليلة وكل المياه النابعة من برج السعادة وبسكرة تصب في هذه الواحة، وهي بذلك الواحة الثانية الأكثر إخصراباً بها حقول القمح وعند الخروج منها يتغير المنظر، وكان السير عبر طريق مخطط يمر من خلاله يومياً بريد توقرت-بسكرة يحيط به بعض النباتات والأشجار البرية التي تمثل غذاءاً للماشية العابرة من هذا الطريق، وتمر القوافل التجارية من هذا الطريق وهي بأعداد كبيرة بعضها يتوجه لبسكرة محملاً بالتمور وبعضها يتجه نحو برج السعادة وتوقرت محملاً بالقمح، وفي الطريق نجد عظام وهياكل الجمال التي مرت من الطريق ونفقت، وهذا البرج هو مبنى عسكري مربع الشكل وهو حصن أقامته السلطات العسكرية الفرنسية لإقامة الفرق العسكرية المتجهة من بسكرة إلى توقرت، وعين قايد بأمر من الحكومة لفرض الأمن ومراقبة المنطقة وكان يجيد الحديث بالفرنسية، ويعتبر هذا البرج مركزاً للعبور والإستراحة يقصده الزوار الفرنسيين ويزودهم بالمياه والمؤن، إذ انتشرت الآبار على طول الطريق ويرتوي منها المارة والعابرين من زوار وتجار، ورصد الرحالة حياة البدو في الخيام المنتشرين في الصحاري وكانوا يربون المواشي ويتغذون على حليبها ولحومها ويحضرون منها القديد كما يستهلكون القمح المجلوب من بسكرة، والملاحظ أن سكان المنطقة يعانون من أمراض العيون....²، وهذا ما كرره عديد الرحالة.

6. صحراء بسكرة منتجع شتوي للتخييم والتداوي.

أصبحت بسكرة مزاراً قاراً للسائحين بفضل خصائصها ومثلت مركزاً للتخييم والتداوي لتتحول إلى منتجع شتوي جذب السائحين الفرنسيين والأوروبيين، فكان الزوار يقتطعون تذاكر لبسكرة عبر القنطرة ويكون الوصول في وقت قصير من القنطرة عبر نفق أو نفقين للولوج للواحات الخضراء الواسعة وتوجد في هذه الواحات قريتين عربيتين بمنظرهما الشرقي الجميل، ثم ينقطع المنظر قرابة ست ساعات وليلة كاملة أين يصلون إلى بسكرة، وفور الوصول يتغير المنظر إذ يتفاجأ الزوار بالمكان كما يورد الرحالة الفرنسي وعضو الجمعية الأنثروبولوجية "دي فونتراس"، وهذا ما عرضناه مما أوردنا من رحلته

¹Jean Hurabielle (Abbé), Au Pays du bleu, Biskra et les oasis environnantes..., Op.cit., P.P.6, 49-50.

²Armand Rumet de Fontarce, Souvenirs d'Afrique, Algérie, Tunisie. Mission officielle journal de voyage..., Op.cit., P.P. 51-53.

إذ يقول: "...السواح الفرنسيون كانوا يتصورون بسكرة مكان خال لكن يتفاجؤون عند نزولهم من القطار بواقع مغاير، يجدون مجموعة من العرب يتكلمون الفرنسية ويعرضون عليهم حمل أمتعتهم كما في الدول المتحضرة، ثم يتوجهون إلى الفندق وأشهرهم في بسكرة نزل الصحراء وتنقلهم العربات،..." كذلك من المظاهر الملاحظة وجود المرافقين أو المرشدين السياحيين من العرب وكانوا يجيدون اللغة الفرنسية في تعاملاتهم مع الزوار الفرنسيين أو الأوروبيين، ويبرمجون رفقتهم جولات سياحية وخرجات ترفيهية إلى واحات بسكرة، كما أعجب الرحالة بحالة الفنادق التي كانت في مستوى نظيراتها الأوروبية وأحيانا أفضل منها بكثير من حيث النظافة والهدوء، وعادة بعد الوصول والإستقرار بالنزل والإستراحة من السفر يخرج الزوار بعد وجبة العشاء في جولة تبدأ من مقهى عربي والإستمتاع برقصة الناياليات¹. وبالتالي كانت بسكرة منتجع شتوي خاصة للطافة جوها وشمسها الدافئة وحماماتها المعدنية الطبيعية الحارة والتي كانت مكانا للتداوي للأمراض الجسدية والنفسية، كما يصفها "ألفريد بارودون" بصورة أسطورية بداية من التسمية ومناظر الواحة وشكل الشوارع بها وطبيعة السكان، كما يربط تسمية بسكرة بالخمير وأضفى وصفا شاعريا عن المدينة مستخدما لغة جذابة، وركز في وصفه على مميزات المدينة المناخية خاصة السماء الأزرق وأشعة الشمس الدافئة والحياة الهنيئة والممتعة والهادئة والواحات الشرحية المشابهة لجنة عدن فهي تزخر بالأودية الجارية والواحات الخضراء، فبسكرة في نظره مكان للراحة تفصل الشمال عن الجنوب وتمثل محطة ومركز للراحة يتوقف بها الزوار والرحالة والتجار المتوجهين لمجاهل الصحراء، وأطلق عليها إسم "بسكرة اللذيذة" "Biskra la délicateuse" كما ذكرنا سابقا²، وبالتالي كانت بسكرة منتجع سياحي هام قضى بها أيضا الرحالة الزائر الأب "جان إيريابل" "L'Abbé Jean Hurabielle" كاتب "الكاردينال لافيغري" عدة عطل شتوية من 1889-1890 ومن 1896-1897، ومكث ستة أشهر بالمدينة خاصة وأن بسكرة كانت منتجعا شتوي يقصدها الرحالة والسواح والزائرين من مختلف الدول الأوروبية، وكانت تقام بها مراكز تخييم منها مخيمات بريطانية وسويدية وهولندية وأمريكية وألمانية وفرنسية كما ذكرنا سابقا وذلك لإعتدال المناخ الذي يعتبر صحيا. ومن محطات بسكرة القنطرة التي إشتهر بها نزل "بارترون" وتستقبل الزوار وتوفر كل إحتياجاتهم، وهي مصحة طبيعية بفضل مناخها الذي يعتبر بمثابة الشفاء من الأمراض وكان يُنصح المكوث بها، كما أن المنطقة تزخر بالآثار الرومانية "بخريال" و"البرج" على بعد 7 كلم من القنطرة فقط، كما كان لطريق السكة الحديدية المشيدة سنة 1888 دور كبير في الجذب السياحي للمنطقة³.

¹Jean Hurabielle (Abbé), Au Pays du bleu, Biskra et les oasis environnantes..., Op.cit., P.P.6, 49-50.

²Alfred Baraudon, Algérie Et Tunisie Récit De Voyage Et Etudes..., Op.cit., P.P.196-170.

³Jean Hurabielle (Abbé), Au Pays du bleu, Biskra et les oasis environnantes..., Op.cit., P.P. 5-6, 9, 12, 14.

ج. نماذج لمرافق حياتية بالمدينة.

تعددت مرافق المدينة الحياتية التي رصدها الرحالة الفرنسيون وبرز منها المقهى والحمام وبيوت المتعة المنتشرة في المدن والتي مثلت محطة قارة للرحالة في زيارتهم للبلاد خاصة فضول الآخر والذي كان ملهما للفنانين عموما من كُتاب مؤلفين وأدباء ورسامين لنقل الصور ورسم اللوحات الفنية وكتابات الروايات الأدبية والمسرحية والقصص.

1. المقاهي العربية وفضاءات المتعة، نماذج بالحي العتيق بقسنطينة والأغواط.

في وصفه للمقهى العربي ينقل لنا "جون لوران" الصورة يوم الجمعة أين يجتمع بين صورتَي الصلاة والمقهى، يوم صلاة الجمعة الذي يمثل يوم الأحد بالنسبة للعرب يوم الذهاب إلى المسجد حيث يترك المصلون الأحذية خارجا ويمنع المسجد على الرومي، فثلا في الجامع الكبير يجلس العرب على زرابي في الساحات الداخلية لسماع الخطبة والقرآن الكريم في خشوع تام، في الحين في الخارج ينقل لنا صورة العرب القادمين من كل مكان في هذا اليوم الذي يعتبر يوم صلاة وراحة، إذ كانت الشوارع تضج بالعرب القادمين من مختلف المناطق للتسوق وشرب القهوة والإستمتاع فالكاتب يصفه "بيوم الإحتفال والراحة"، ويرصد الكاتب مشهد البدو بالقشابية الصوفية وبعض المغاربة بالألبسة الملونة والشباب من الأهالي بالبرانيس البيضاء الناصعة مع وضع وردة النرجس أو الورد في جانب الأذن تحت غطاء الرأس أو الشاش والجنود بزيهم التركي لأن السلطات تمنحهم يوم الجمعة للراحة، فكل قاطني المشور خارجا ويصفهم الكاتب بمنظر السعداء داخل المقهى أين يلتقي الجميع وتتقاطع المناظر لمختلف الفئات، ويتبادلون التحية وسط أنغام الدربوكة والناي الصادرة من خلف المقهى واقفين متراسين يحتسون القهوة والشاي مستلقين على زرابي تشبه الديوان أو السرير وبوجوه مبتسمة¹. وفي وصفه لمقهى عربي في الحي العتيق بقسنطينة يقدم الرحالة "جون لوران" المشهد العام مركبا، إذ تزداد الحركة بين بيوت الأهالي وروائح العطريات بالحمامات الحضرية، خاصة مع توجه فرقة الرماة في ضوضاء إلى المقهى العربي بالحي لشرب القهوة، يجلسون على حصائر ويمتد المقهى بين طرفي الشارع وكان منظر العرب مميز إذ كانوا يلبسون البرانيس ويضعون على رؤوسهم الشاش ويصدر من المكان أصوات الطبل والغناء العربي وبه راقصتين من بلاد القبائل تلبسان لباس من الشاش مع أوشحة فضية مبهرجة وبراقة وكان المقهى يعج بالعرب، وكانتا يرقصن الرقص التقليدي بالبطن والأرداف ويقمن بحركات يشبهها الكاتب بالصعقة الكهربائية، وأعضاء الفرقة يصفقون مع تعالي أصوات المزامير والطبول، وكان هذا المقهى يرتاده متعاطي الكيف حسب تعبير الكاتب، وبالتالي يقدم

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique..., Op.cit., P.P.25, 26,27.

الكاتب صورة عن المرافق الحياتية بالمدينة العتيقة، والصورة البارزة التي رصدها هي المقهى العربي والمخدرات، فهو إعتبره مقهى يرتاده متعاطي الكيف في تشبيه يجمع عدة صور منها صورة العربي بلباسه التقليدي، صورة الآلات الموسيقية، صورة الغناء العربي، صورة الراقصات ولباسهن وأصولهن صورة الرقص وحركاته، وصورة الروائح المنبعثة من المكان كرائحة القهوة والكيف، فقدم لوحة شرقية بتأثير الإستشراق وسحر الشرق الذي جذب الكثير من الرحالة الفرنسيين والأوروبيين إلى المدينة بدايات الإحتلال إلى غاية نهاية القرن التاسع عشر أين وصلت الرحلة ذروتها، ويضيف مستغربا أن المحليين يشربون القهوة كما يدخنون الأفيون والنجيلة "مثل الشرقيين الحقيقيين" حسب وصفه، ويجلب الحضور دخول الحضريات مزيّنات بلباسهن وحليهن وزينتهن ووجوههن بالوشم كما تتعالى أصوات العراك بين مرتادي المقهى من زواف وجنود الفرقة الإفريقية والأترك وباقي الحضور¹، كما يقدم الكاتب رسدا ذاتيا للمقهى ومرتاديه، فصورة المقهى تقريبا قارة لدى عديد الرحلة فهو مكان الراحة والمتعة ما بين موسيقى وغناء ونساء يقدم عروض أكثر ما يقال عنها إباحية في تشويه صريح لصورة المرأة المحلية سواءا الحضرية أو النائية، وبالتالي فالمدينة تعج بالألوان والفئات السكانية التي تتجول يوم الجمعة في ساحاتها في منظر مميز ونادر يمثل لوحة فنية بأبعاد إجتماعية وثقافية وإقتصادية، وهذا ما نستقرأه من مجمل كتابات الرحلة عموما عن صور المجتمع المحلي بالجزائر والتمازج الفئوي الكبير بين سكان المدينة المحليين والأجانب وحجم التنوع والثراء الثقافي لسكان البلاد. وفي مشهد آخر لجلسة بمقهى عربي، ينقل الرحالة "أوغيست بيسي" الدخول مساءا للحي العربي، إذ توجه مع رفاقه إلى مقهى عربي أو كما يسميه "طم طم" "tam-tam"، وكان هو ورفاقه فقط من الأوروبيون الموجودون بالقاعة التي كانت تعج بالعرب الذين قارب عددهم المائة جالسين متربعين وسط القاعة في صمت، وفي آخرها توجد منصة بها مجموعة من الحضريات يقارب عددهن عشرة نساء يغنين بصوت مرتفع وجميل، بينما ثلاث موسيقيين يصدرن أصوات مزامير ويضربون الطبول². في مشهد آخر عن مقهى عربي بالأغواط، وفي تنقله في شوارع المدينة نقل الكاتب "أوجان فرمونتان" صورة المقاهي وكان الأهالي جالسين على الزرابي وكانت الكراسي منخفضة ويستهلكون القهوة ويدخنون، وكان المنظر متنوع ما بين الصباحية والخيالة والأهالي ببرانيسهم البيضاء، وتعرف الكاتب على بعض ممن رافقوه في السفر وهم ثلاثة أهالي "علي" و"مبارك" و"مخلوف" كانوا يحتسون القهوة في المقهى³، وبالتالي فالمقهى العربي إتخذ صورة متماثلة ما بين الشمال والجنوب، في أساسيات التأثير كالجوس على الحصائر وتقديم القهوة والتدخين ووصلات الغناء والرقص للنايليات وغيره، مع التجمع الكبير للأهالي في المقهى، ويبدو مظهره كمكان كوسموبوليتي جمع الأهالي بلباسهم التقليدي ومختلف

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique..., Op.cit., P.P. 180, 181, 182, 25, 28,29.

²Auguste Besset, A travers l'Algérie d'aujourd'hui..., Op.cit., P.P.47, 49.

³Eugène Fromentin, Un Eté Dans Le Sahara..., Op.cit., P.110.

أطراف المجتمع المحلي إضافة إلى الفرنسيين من السكان والزوار والرحالة والجنود، فالمقهى مكان جامع لكل أطراف المجتمع بالجزائر في الفترة الإستعمارية.

2. الحمّامات، بعض النماذج بالمدن كالعاصمة وقسنطينة وفضاءات الإسترخاء والمداواة.

يعتبر الحمّام من أهم المرافق الحياتية اليومية في حياة السكان المحليين وهو متوارث منذ فترة التاريخ القديم وبالتحديد الفترة الرومانية، وحافظ السكان على تقليد الحمّام وأصبح عادة حياتية يومية للأيام العادية والمناسبات الدينية والإجتماعية، وأصبح جزء مهم من حياة السكان المحليين في الجزائر. وهناك العديد من الحمّامات التي رصدناها من مؤلف "إدوارد دالاس" حول البلاد، ومنها الحمّامات الفرنسية والحمّامات الحضرية، ويبدأ بتقديم الحمّامات الفرنسية بالمدينة كحمّامات "حمة" المتواجدة بشارع "حمة"، حمّامات "باريسية" في شارع "باب الواد"، حمّامات البحرية بشارع البحرية، حمّامات فرنسية في شارع السودان، وحمّامات البازار التي تقع في شارع شارتر، أما الحمّامات الحضرية يذكر ثمان حمّامات بشارع "تومور" وإثنان بناحية "قائد الأركان" وحمّامات "الباب الجديد"، "بوتان"، "القصبة" "سيدي رمضان" وتعمل من السادسة مساء إلى منتصف الليل مع الرجال ومن منتصف النهار حتى السادسة مساء مع النساء، ثم يقوم بشرح مفصل للحمّام بغرفته وعادات الإستحمام منذ الدخول للحمّام حتى الخروج منه، وهو تفصيل دقيق ينقل من خلاله تجربته الخاصة في الحمّام¹، وفي هذا العنصر يقدم الحمّامات الفرنسية والعربية معا بإعتبار ميزة الحمّام كثقافة وتقليد قار ذا أهمية إجتماعية وثقافية وحتى ذا أبعاد سياسية في المجتمع المحلي، وتبقى عادات الحمّام متماثلة في الحمّامات الواقعة في الأحياء الفرنسية والعربية وهذه الأخيرة كانت الأكثر جذبا لتمييزها، والملاحظ كذلك أن الحمّامات لم تعد نشاط خاص بالأهالي فقط بل دخل الفرنسيون هذا المجال الذي مثل عامل جذب وفضول للآخر. وتاريخيا مثل الحمّام موروث حضاري في المجتمع المحلي، إذ رصد "جون لوران" نسوة ملتحات في الحي العربي متوجهات إلى الحمّام، فهو مفتوح للنساء من منتصف النهار إلى غاية السادسة مساء في حين يعج ليلا بالرجال المولعين بالحمّام والتدليك والنوم²، فكما هو معروف فالحمّام من المرافق اليومية الحياتية لدى السكان الموروثة من الإرث الحضاري والتاريخي للبلاد منذ الفترة الرومانية، فهو مكان لقاء ونظافة وتمضية الوقت والإستجمام، ويعتبر مكان لقاء إجتماعي من خلاله تتداول الأخبار بين المرتادين وتتم خطبة النسوة وعقد الصفقات وغيرها من الأمور الحياتية وبالتالي يمثل مكان حيوي يجمع فئات المجتمع المختلفة ويمثل فضاء جامعا للتواصل والتشاور وتبادل الأخبار وتقوية الروابط الإجتماعية والمصهارات وتوسيع النشاطات الإقتصادية ومنه كسب الحمّام أهمية في المجتمع المحلي.

¹Dallès, Édouard. Alger, Bou-Farik, Blidah et leurs environs : guide géographique, historique et pittoresque..., Op.cit., P.P. 9-11.

²Jean Lorrain, Heures d'Afrique..., Op.cit., P.70.

وانتشرت الحمّامات في كل مناطق البلاد واشتهرت حمّامات الشرق الجزائري، وينقل الكاتب الرحالة "جون لوران" تجربته في حمّام بمدينة قسنطينة فبعد ليلة من التعب بسبب رحلته من الجزائر إلى قسنطينة، توجه صباحا إلى أقرب حمّام عربي للإستحمام والإسترخاء وإستلقى على الحجارة الساخنة ينتظر التصبين والتدليك، وكان "صياد الفندق" [ويقصد شخص يوجه الزوار في جولاتهم مثل الذهاب إلى الحمّام أو المقهى، فهو يوازي الدليل وبالأحرى يصطاد الزبائن أين يوصيه أصحاب المحلات وغيره مقابل أجرة لإصطحاب السائحين والزبائن] قد وجهه لحمّام عربي يقصده ضباط الحامية والزوار الفرنسيين، وإستغرب الكاتب من مهارة المدلكين العرب فهو دخل الحمّام على الساعة التاسعة وخرج على الساعة العاشرة ونصف وإنتابه شعور أنه أصبح شابا بعشر سنوات فهو خرج من الحمّام تاركا وراءه تعب وإعيائه حسب تعبيره، وأبدى إعجابه الكبير بهذه العادة وبهذه المؤسسة الخدمائية الصحية¹. من جهة أخرى إنتشرت بالبلاد أيضا الحمّامات المعدنية التي مثلت مصحات طبيعية لمداداة مجموعة من الأمراض كما إعتبرت فضاءات للإسترخاء والراحة، وكما ذكرنا فالحمّامات المعدنية مثلت معلما سياحيا وصحيا وإستشفائيا في كل البلاد وكان إهتمام الفرنسيين كبير بهذا النوع من الحمّامات الطبيعية المنتشرة في ربوع البلاد شمالا وجنوبا وشرقا وغربا، وعرفت بها العديد من كتابات الرحلة بل وكانت محطات أساسية في زيارات الرحالة خاصة القادمين من أجل الإستشفاء، ومن المناطق التي مثلت مراكز للتخييم والإستشفاء مدينة بسكرة بهواءها اللطيف واشتهر بها حمّام طبيعي رصده الرحالة "دي فونتراس"، إذ يقول: "...على بعد 7 كلم شمال غرب المدينة يوجد حمّام الصالحين والمعروف لدى الأوروبيون بإسم "العين الساخنة" وسط حوض مربع تحيط به خمسة أحواض مخصصة للقائد الأعلى والضباط والمرضى العسكريين والمدنيين وللأهالي، وتبلغ درجة حرارة المياه 44 درجة مئوية غنية بالمغنيزيوم والحديد وتساعد مياهه على الشفاء من أمراض المفاصل، في حين المناطق المحيطة بالنبع جرداء، ولكن رغم ذلك فعلى بعد 500 متر من الأحواض نجد بحيرة صغيرة وعميقة ومياهها تحافظ على مستواها وهي مالحة كمياه البحر تماما ولونها يميل للسواد، مما يعطي تفسيراً للأصول البركانية لهذه البحيرات"².

3. الحلاق.

جذب مشهد الحلاقة لأحد الزبائن الكاتب "جون لوران" الذي تعمق في الملاحظة والوصف، إذ يقول: "... في عتبة دكان كبير وأبوابه مفتوحة نرى رأس ووجه رجل مغطاة بالصابون... والزبون جالس دون حراك، والحلاق ممسك بإصبعيه أنف الزبون كالسفاح وهو يحلق رأسه ووجهه بآلة حلاقة مذهلة

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique..., Op.cit., P.P. 163,164.

²Niel Odilon. Géographie de l'Algérie..., Op.cit.P.P399-401.

وأمام حائط المحل ينتظر زبائن آخرين دورهم في صمت جالسين على الأرض وأرجلهم مربعة¹، وهذا المشهد الذي ينقله الكاتب يمثل منظر يومي لدى السكان المحليين، فالحلاقة من أساسيات النظافة الشخصية التي أوصى بها الدين الإسلامي أضف إلى كون الحلاق شخص يتميز بمهارات تطبيقية ومعرفة علمية عامية، فهو لم يكن يخلق شعر الرأس واللحية فقط بل كان طبيب أسنان وممرض فعادة ما يُطَبَّب المرضى من الأهالي ويضمّد الجروح ويقوم بمداواة الالتهابات وغيرها من الأمراض المنتشرة والتي كانت تعالج بالتطبيق الشعبي وبالتالي حظي الحلاق بمكانة مرموقة في المجتمع المحلي حينها.

4. مرافق أخرى بالمدينة.

حاول الرحالة الفرنسيون رصد كل مظاهر الحياة الحضرية والمرافق الحياتية التي تمثل جزءا من حياة السكان اليومية، بعضها بتفصيل والآخر بإشارة وذلك تماشيا ووضع الرحالة ومكانة المرفق وحاولنا رصد بعض المشاهد عنها ومنها ما لم نضع له عنوانا رغم الإشارة إليه ضمينا من خلال الرحلات كالمساجد والدكاكين التي مثلت جزءا من المشاهد اليومية التي ينقلها الرحالة، فالمساجد قل ما كانت تنتهك حرمتها ولا يستطيع الرحالة غير المسلم الدخول للمسجد كما عبر عنه "أوجين فرومونتان" الذي عبر عن إحترام قدسية المسجد وأنه لم يسترق النظر إليه، ورغم أن عديد الرحالة نقلوا إشارات عن المساجد كالحديث عن العرب يوم الجمعة وصلاتهم في المسجد وساحاته كما نقله "جون لوران"، أو وصف الأذان كما نقلته "لويس ريجيس"، وغيرهم وبالتالي فالمسجد كان حاضرا ضمينا في المشاهد التي نقلها الرحالة دون إستثناء، كمكان مقدس وجامع للمسلمين لتأدية الصلاة والعبادة والتعلم. والحال نفسه بالنسبة للدكاكين التي مثلت مصدر رزق وعيش للأهالي، وكانت كذلك من الوصف الضمني للسكان في حياتهم اليومية فعند وصف الرحالة للرجل المحلي سواءا عربي أو مزابي أو يهودي ومختلف عناصر المجتمع الحضري وحتى البدوي يأتي ذكر الموصوف في الدكان، فالتاجر تجده ناشر سلعته في حيز الدكان الضيق جدا والمملوء بالسلع، والبعض من أصحاب الدكاكين يجلسون أمام عتبة باب الدكان لضيق المكان قصد بيع سلعهم، وبعضهم يجلس داخل الدكان في مكان ضيق، وبعض الرحالة رصدوا صور متعددة لأصحاب الدكاكين فمنهم من يدخل النرجيلة أو يحتسي القهوة أو يتبادل أطراف الحديث بمظهره ولباسه الحضري المُميز والمُطرز وملامحه المحلية في مشهد يجذب للشرق البعيد وذلك بالسلع المحلية المعروضة وجلها تقليدي وشكل الشارع أو الزقاق المميز عمرانيا، وهذه المشاهد تصور جانب من الحياة اليومية والإقتصادية والاجتماعية والثقافية للسكان في تلك الفترة وترصد إنطباع الآخر حول السكان المحليين والصورة المُصدرة للغرب.

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique..., Op.cit., P.70.

5 . البيت العربي، بعض الصور عن داخل البيوت في البيئة الصحراوية.

كان البيت العربي من المعالم التي تم وصفها، إذ يقدم الكاتب "أليكسندر راثو" وصفاً لأحد بيوت العاصمة من الداخل التي تتلائم مع عادات البلاد ومناخها حسب تعبيره، وكان يطل على الخارج ممر مقبب ينتهي بباب المنزل وهو ضيق ومزين بتوصيلات بالية تفتقد إلى التزيين والزخرفة وبها رسم يد وترتبط بحال صاحب البيت، فالأثرياء تكون بيوتهم مزينة والفقراء تكون بيوتهم بسيطة، كما يوجد بالبيت أقواس تدعمها أعمدة ويوجد بالرواق مقاعد يجلس عليها الضيوف والخدم أو أهل البيت، وهذا الرواق يؤدي إلى ساحة مربعة بالبيت تؤدي إلى درج البيت وهي ساحة مبلطة وبها بئر أو حوض مياه وتلتقي الأعمدة بالبيت في مساحات مشتركة وتكون مفتوحة على المطبخ والفرن، أما الدرج يقود للطابق الأول والذي يعتبر صورة طبق الأصل عن الطابق الأرضي أي تتوسطه ساحة داخلية بأربع واجهات وتتميز أعمدة هذا لطابق بكونها أقل عرضاً من أعمدة الطابق الأرضي ومزينة أفضل والغرف تطل على الباحة التي تضيئها وبها نوافذ خارجية، كما يوجد طابق ثانٍ يليه سطح وأروقة البيت مزينة برسومات الأرابيسك المميزة ويرتفع علو الرسومات إلى غاية متر في الحائط بمربعات خزفية ذات ألوان مضيئة والأروقة مسقفة بألواح ملونة ومزينة. وتتحصر الحياة في داخل فالبيت يكاد يكون منعزلاً عن العالم الخارجي، وينعش الحوض بساحة البيت كل المنزل وكانت النسوة يقضين الوقت في الداخل ومساءً يصعدن للسهر بالسطح¹، وهي عادة يومية لدى الحضريات خاصة صيفاً. ووصفت البيوت الصحراوية كذلك، إذ يصف الرحالة "ألفريد بارودون" داخل البيوت الصحراوية الذي يوازي البيوت بالبلاد في العموم، إذ يقول: "... دخلنا بيت أحد السكان وفي العادة غرفة واحدة تستخدم كغرفة نوم وطعام ومخزن في وقت واحد، وهي بسيطة بها بعض التمور والأواني البسيطة ومدفئة من الطوب ويحيط بالبيت حديقة بها أشجار النخيل، وتعيش العائلات مجموعة في بيت واحد ويقومون بالإعتناء بالنخيل وممارسة الزراعات المعاشية²، وتأدية الأعمال اليومية بصفة مشتركة وجماعية، وبالتالي فالكثير حاول وصف الداخل العربي أو بيوت السكان من هندسة وتأنيث وترتيب في محاولة للتعرف على كيفية العيش وتحضير الطعام والمؤونة وغيره من الأمور الحياتية اليومية التي رصدها الآخر لفهم المجتمع المحلي والسيطرة عليه، إذ رصد الكاتب "جون لوران" الغرف وغرفة المؤونة والتأنيث ويصف وصوله ومرافقيه إلى بيت الشاب أحمد في القنطرة ببسكرة إلى الحي العربي ودخلوا المنزل أول غرفة عالية وواسعة بأعمدة واسعة بدون نافذة والأرضية غير مبلطة، وتقابلها غرفة أخرى مفتوحة على فناء داخلي مضيئة جداً وكان هذا الضوء ينعكس على الغرفة التي كانوا جالسين فيها ما خلق هالة

¹Alexandre-Félix, Ratheau., L'Algérie vue à tire d'ailes, ou Lettres d'un oiseau de passage..., Op.cit., P.P.35, 36, 37.

²Alfred Baraudon, Algérie Et Tunisie Récit De Voyage Et Etudes..., Op.cit., P. 171.

من الظلام والنور ويوجد بالغرفة فرن للخبز وجرار بعضها بها الزيت والأخرى بها الحبوب وبجانبيها صناديق مملوءة بالتمر، ولا يوجد أثاث بالغرفة بل جلود ماعز معلقة في السقف عن طريق أعمدة ثلاثية من الحطب وحصائر للنوم¹، ومن خلال هذا الوصف فالببيت العربي من الداخل كان متماثلاً تقريباً في كامل البلاد فلا فرق بين المناطق الصحراوية والشمالية، فالببيت ينقسم إلى غرفة مؤونة وغرف معيشة وفناء مع استخدام ما تجود به الطبيعة في البيئة المحيطة من أخشاب وطين وسعف نخيل أو حشائش تسقيف كالديس والحلفاء، وتميزت البيوت العربية بالفناء خاصة في المناطق الصحراوية أين يتمازج منظر الرمال وإخضرار البساتين، ويصف الكاتب "جون لوران" فناء بيت مرافقه العربي بالقنطرة، ففناء البيت مفتوح على بستان كبير مليء بالإخضرار به عدة أنواع من الأشجار المثمرة ومسيج بسور من الطين به أشجار النخيل وتتخللها أشجار الليمون والمشمش التي تعد حشائش تسقيف كالديس²، ونقل الكثير من الرحالة عن الصحراء وبساتينها التي مثلت منظراً مفاجئاً للرحالة الذين ينبهرون بمنظر الرمال اللامتناهي وفجأة تطل عليهم مناظر بساتين خضراء لا متناهية كذلك في مشهد متناقض وجذاب.

ثانياً: معالم تاريخية للمدن المحلية وأثر التغير العمراني بعد الإحتلال.

جذبت المعالم التاريخية من آثار لمختلف المدن الحضارية الرحالة والزوار الذين إهتموا بها وقدموا وصفاً خارجياً وتاريخياً لها، وأطلق البعض عليها تسمية "المدن الميتة" أي الأثرية وحاولوا ربط تاريخاً بالجزور اللاتينية كما ذكرنا، كما أبرزوا التغير العمراني لهذه المدن العتيقة بسبب الإحتلال الفرنسي الذي هدم جزءاً للبناء والشيد وإستغل جزءاً آخر خدمة للإدارة والإستيطان بكل مناطق البلاد.

أ.المدن الأثرية "الميتة"، نماذج من الحضارة المحلية.

في حديثه عن المدن الأثرية أطل الكاتب "جون لوران" الوصف الدقيق للمدن الأثرية في المستوطنة، إذ أسهب في الوصف وإعتمدنا على نموذجين مصغرين لمدينة المنصورة وتيمقاد، ويبدأ الوصف بالمظهر الخارجي، فمثلاً في المناطق الصحراوية يبرز سور المدينة بلون أحمر وأجزاء خضراء تمثل أشجار العنب والفواكه والخضر، وفي المناطق الشمالية تبرز عادة أسفل المرتفعات بساتين التين والزيتون والعنب والقمح والشعير ويحيط الصبار بالمكان أو يُسور محيط المدينة بأسوار صغيرة، وعادة ما تحيط بالمكان قنوات المياه المحفورة على عمق كبير لسقي المنطقة الزراعية وكذلك يستغلها السكان في حياتهم اليومية.

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique..., Op.cit., P. 199.

²Ibid., P. 200.

1. المنصورة.

يبدأ الكاتب الوصف بآثار ما تبقى من الصور الخارجي المحصن للمدينة الأثرية، وهي تتربع على مائة هكتار كانت بها المباني الفخمة والقصور والمساجد وقبب وحمامات وذلك من خلال ما تبقى منها من الآثار، كما يسرد جزء من تاريخ المدينة وما تعرضت له من حصار وحروب وتهديم وإعمار وهذا الجانب التاريخي يعتبر جزئية قارة في كتابات الرحالة الفرنسيين، إذ يقدمون نبذة تاريخية حول كل المدن التي يزورونها ويوثقون لها في عملية تأريخ الآخر للتاريخ المحلي وعادة ما يكون مغلوطة أو منبثق من مصادر غريبة أو ذات توجهات فكرية كولونيالية في محاولة لإعادة بناء التاريخ المحلي بذاتية بأقلام الآخر، ويرى "جون لوران" أن تلمسان تبقى ملكة بلاد المغرب "Tlemcen La Reine du Maghreb" وهناك من مواطنيه الفرنسيين كذلك من ألف كتابا بعنوان "تلمسان جوهرة بلاد المغرب" "Tlemcen la Perle du Maghreb"، هذه المدينة التي حافظت على مميزات العمارة من خلال منارات مساجدها وظلت آثارها شاهدة على أمجادها، وما تبقى منها كسور المدينة وأجزاء الأبراج وقطع الفسيفساء المتناثرة للمساجد التي تهدمت أسقفها وإستغل المكان السكان والمعمرين في زراعة الكروم يلوم العرب الذين أسرههم الجامع الكبير ولم يعودوا يهتموا بتلك الآثار¹.

2. تيمقاد.

يقدم "جون لوران" رسدا للمدينة الأثرية تيمقاد ويعتبرها بومبيي الصحراء، بآثارها الشامخة من أعمدة وساحات وأحواض سباحة وعيون ومسارح ومعابد وقصور وحمامات، وكان زارها وانتقل إلى باتنة أين تعرف على هذه المدينة وآثارها، بالنسبة للكاتب تيمقاد هي جوهرة الحضارة المندثرة ويحيط بها أسرار غامضة وأسطورية²، وكانت موضوع العديد من الكتابات لمختصين ورحالة من العموم. وكما هو معروف فالكتابات الإستعمارية كانت تفتخر بالآثار الرومانية الموجودة بالبلاد كما كانت تجهز بعثات علمية أثرية تقوم بالحفر والتنقيب وتدوين الآثار والنقاش التي تعود إلى الفترة، وجل الاكتشافات موثقة في المجلة الإفريقية والمجلة الأثرية وذلك في إطار النظرية الإستعمارية التي تريد أن تثبت بأن الجزائر قديما كانت رومانية وربطها بالمسيحية، كما أن البعض ذهب إلى حد القول أن أصول سكان بعض المناطق رومانية وأنهم أحفاد الرومان وحاولوا جعلهم في مرتبة أحسن من باقي السكان، وغيره من الحقائق الكلاسيكية والنظريات التي إنتشرت في تلك الفترة في محاولة لربط المستوطنة والسكان بأصول غريبة لتبرير الإستعمار وزرع فكرة إعادة إحياء الإرث التاريخي الروماني بالمنطقة، لذلك تقريبا فكل المناطق الأثرية التي تعود للتاريخ القديم في الجزائر تمت الإشارة إليها

¹Jean Lorrain, Heures d'Afrique..., Op.cit., P.P.29, 30,31, 33.

²Ibid., P.P. 194, 195, 196.

والكتابة عنها وإعادة رسم لوحات فنية حولها في محاولة لترميم وتجديد صورتها وبعث الحضارة الرومانية وتمجيد سياسة رومنة الجزائر ببعث سياسة الفرنسة لإحياء التراث الروماني الغربي للمحلي.

3. جسر القنطرة معلم بسكرة التاريخي.

أطلق السكان على جسر القنطرة تسمية محلية هي "قم الصحراء"، وهو الممر الرابط بين الصحراء والهضاب العليا في حين كان الرومان قد أطلقوا عليه اسم "كعب هيرقل" "Le Talon d'Hercule" وتجري به المياه في وادي يتموضع تحت جسر روماني مزين¹، ويصف "نايل أوليدون" قرية القنطرة "Le calceus Herculis" كما يطلق عليها الرومان، وتمتد على طول 5 كيلومتر ويسكنها 2000 ساكن، بها كتابات نقشية تذكر بمرور "لواء أوقيست" إذ نجد بها آثار تعود للحقبة من أعمدة وبقايا أبنية تؤكد أهمية القنطرة بالنسبة للرومان، وبعد دخول الإسلام إنتشرت بها المساجد وترتفع على مستوى البحر بـ 517 متر، وتضم 15000 نخلة وأعداد كبيرة من أشجار المشمش والطريق المؤدي إليها الموازية شمالا للوادي في حالة جيدة، وشيدت مستوطنة فرنسية على أطرافها تزينها الأشجار المثمرة وتنتشر بها مزارع الزراعات المعاشية التي تحيط بالمنازل المستوية والمنحدرة في منظر جميل أين يوجد "فندق برترون" "Auberge Bertrand" وتديره امرأة فرنسية في تلك الفترة، وفي أقاصي القرية نجد الطريق يضيق ويلتقي بممر منحوت بفعل المياه يسميه العرب بـ "قم الصحراء" -كما ذكرنا- ثم يتحول مسار الطريق من الضفة اليمنى للضفة اليسرى للقنطرة على عمود واحد أدخلت عليه تغييرات في عمليات الترميم الحديثة وبذلك تغير منظرها الأولي إلى عمودين حديثي النشأة في الجهة² الخالية أما في الوسط فنكتشف منظرا خلابا، وفي اليمين والشمال يرتفع حائطين من الصخور بإرتفاع 60 متر في العلو، والغطاء الغربي مغطى بغطاء نباتي ثري ومتنوع ثم فجأة يتغير المنظر في صورة صحراوية تقاوى الزائر وهذه هي واحة القنطرة الأثرية المحلية التي كانت مركزا حضاريا وتاريخيا.

ب. أهم المعالم العمرانية والتاريخية المحلية بالبلاد.

رصد الرحالة الفرنسيون عدة مظاهر في تاريخ البلاد خاصة وأن الجزائر تزخر بإرث حضاري ثري ومتنوع ومنه العمران، ونتعرف على بعضه في دراستنا من خلال عدة نماذج منها قصبة مدينة الجزائر وقصبة مستغانم وبعض المدن العتيقة كالأغواط وبسكرة وإضافة إلى بعض المعالم العمرانية البارزة في تاريخ الجزائر كقصر أحمد باي بقسنطينة الذي يعتبر من أجمل القصور في البلاد التي تعود للفترة العثمانية، ومثلت هذه المعالم إرث ثقافي وحضاري في تاريخ البلاد جذب الرحالة والزوار.

¹ Alfred Baraudon, Algérie Et Tunisie Récit De Voyage Et Etudes..., Op.cit., P.P.162, 167.

² Niel Odilon, Géographie de l'Algérie..., Op.cit., P.395.

1. قصبة الجزائر معلم جذب تاريخي للرحالة.

جل الزوار الفرنسيين وغيرهم ممن زار الجزائر منذ بدايات الإحتلال كان يزور القصبة التي مثلت معلما تاريخيا هاما، فهي رمز التواجد العثماني بالبلاد أي السلطة البائدة وفخر الفرنسيين السلطة البديلة المحتلة، ففي حديثه ينقل الرحالة "بيسي أوغيسست" "Auguste Besset" حيثيات زيارته للقصبة "حصن الدايات" كما يطلق عليها، ففي الصباح الباكر لأول يوم بعد وصولهم للجزائر قام بزيارة للقصبة رفقة مرافقيه وضابط عسكري خصص لهم يوما لزيارة القصبة "LA KASBAH"، وفي هذه الزيارة يقدم لنا تفاصيل عن المكان الذي لطالما مثل حصن مدينة الجزائر العاصمة وحصن داياتها ومركز لخزينتها، كما يصف قصر الداوي حسين الذي فقد معالمه وظل محافظا في خطوط العريضة على الطابع الموريسكي كما في إسبانيا، فالفناء الداخلي للقصر محاط بأعمدة رخامية مزينة ولا زالت محافظة على فخامتها رغم ما أدخل عليها من تغييرات من قبل إدارة الإحتلال بإستخدام رخام غير أصلي، ومما أورد الرحالة إضافة إلى تغيير معالم البنايات والقصور وضع الجامع الذي كان يصلي فيه الداوي رفقة الإنكشارية إذ أصبح مليئا باللبسة العسكر والخيام والأكياس، ويعبر عن المشهد بالإنحطاط بقوله: "...ماذا نرى؟ الإنحطاط؟" ويعبر عن حزنه لما وصل إليه هذا المعلم، ثم إنتقلوا إلى القاعة الكبرى التي كان يستقبل فيها الداوي السفراء¹.

2. المدينة العربية بمستغانم.

يصف "جون لوران" المدينة العربية بمستغانم ويشبهاها بالقصبة في العاصمة، وتبدو من بعيد كمكعب أبيض ينحدر إلى البحر، فالبيوت المتلاصقة بأسطحها تذكر ببيوت القصبة بالعاصمة ووقعها في منطقة تحيط بها الوديان والمنحدرات يذكر بقسنطينة، وتتعدم الطرقات في الحي العربي مجرد ممرات بين البيوت الطينية أين تكثر الإنهيارات الطينية والحشائش الإفريقية، هذه هي المدينة العربية التي تتخذ مظهر قرية حسب الكاتب، ويوم الأحد كانت المدينة صامتة².

3. المدينة العتيقة بالأغواط.

في وصفه لمدينة الأغواط ينقل الكاتب الرسام "أوجين فرومونتان" أنها مدينة خربها ودمرها الإحتلال الفرنسي بهدم أجزاء كبيرة منها، لكن الجهة الشرقية من المدينة لم تتعرض للتخريب بشكل كبير، فالأسوار الخارجية تعرضت لبعض الضربات فقط والباب الذي لم يقصف ظل محافظا على معالمه، وكان به أعمدة حديدية وقفل من الخشب وكانت بين الأسوار الرمادية نوافد مغروسة في

¹Auguste Besset, A travers l'Algérie d'aujourd'hui..., Op.cit., P.P.32, 33.

²Ibid., P.P.68, 69.

الأسوار مربعة الشكل في بيوت وأبنية مجبرة بالأبيض فعمت الحرارة والهدوء، فلا يرى الكاتب إلا الناس في الشوارع المتراسة والضيقة والمرصفة بالحجارة وفي الجهتين تتوسع الشوارع لتطل على الواحة بمنظرها الجميل¹، وكان الكاتب ن أشد المعجبين بهذه المدينة التي كانت مصدر إلهام للوحاته.

4. المدينة العتيقة ببسكرة.

المدينة العربية أو بسكرة العتيقة التي كانت مدينة مزدهرة في العصور الإسلامية، حسب المؤرخين والرحالة العرب لكنها تعرضت للتخريب على يد الأتراك، وكانت تنتشر بها صناعة الزرابي والحياك والبرانيس وكل أنواع النسيج، ويزرع سكانها التمور ومختلف المحاصيل المعاشية، ومنازلها كانت مبنية من الطين ومتباعدة عن بعضها البعض، وتميز المسجد العتيق ببسكرة بأنه كان يجمع سبع أحياء ويضم مدرسة للتعليم الديني، وفي الجهة الغربية توجد آثار القسبة التي دخل منها الإحتلال الفرنسي عام 1844 وكانت مبنية من الطين يحيط بها مجرى كبير وجاف كان يطلق عليه الأهالي بحر بسكرة، وكان يعبئ مياه الوادي للري لكن بمجيء الأتراك كان جافا فحولوا مجرى الوادي في رأس الماء، وأسفل الحصن التركي توجد المقبرة وبالقرب منها الحجارة التي توجه مياه الوادي إلى قنوات الري التي تغذي الواحة والمدينة، وعلى بعد 500 متر من بيوت بسكرة ترى واحة بني مرة وهي مشثلة حكومية أهملت ثم إستأجرت²، وبالتالي كانت المدينة العتيقة عرضة للتخريب بسبب الإستعمار.

5. قصر أحمد باي معلم أثري وحضاري لمدينة قسنطينة.

نتعرف على نظرة الآخر للقصر كمعلم من معالم المدينة العمرانية في الفترة العثمانية وندرس هذه الكتابات من حيث الدقة والموضوعية والدور الذي كان لها في التعريف بالمعلم وحفظه في الذاكرة الشعبية للمدينة، إذ مثل قصر "أحمد باي" معلم بمدينة قسنطينة ومحطة دائمة في برامج زوار المدينة إذ جذب الرحالة والزوار الذين يأتون خصيصا لزيارة هذا المعلم، كما أخذ حظه في الكتابات فلا يتجاوز أي كاتب زار المنطقة وحظي بكتابات لا تعد ولا تحصى تختلف دقة الوصف الخارجي والداخلي حسب كل كاتب لكن إلتقى وإتفق الكل في الإعجاب الشديد به وإعتبره معلم المدينة، ومنهم من تأسف على الوضع الذي آل إليه بسبب سياسة الإدارة الفرنسية، التي طمست معالمه وسلبت مقتنياته ووضعت في خدمة الموظفين وطردت سكانه، ولقد تعددت الكتابات التي وصفته بدقة في مختلف الفترات في القرن التاسع عشر وذلك منذ سقوط المدينة في يد الإحتلال الفرنسي، ونسرد هنا مجموعة من الشهادات لكُتاب فرنسيين زاروا القصر في مختلف الفترات وجلها في القرن التاسع عشر.

¹Eugène Fromentin, Un Eté Dans Le Sahara, Paris, Librairie Plon, 1856, P.109.

²Niel Odilon, Géographie de l'Algérie..., Op.cit., P.400.

قام الكاتب والفيلسوف "بوجولا" بزيارة للبلاد في شهر أفريل 1844، ونقل في صورة موضوعية الكثير من الصور التي تعلق عن الذاتية في الطرح، ففي وصفه للقصر أورد جوانب لم نجدها عند غيره من الكتاب منها حادثة سلب الفرنسيين لأثاث القصر وتأسفه الشديد على الأطلال التي تنقصها روح "الباي أحمد" الذي ترك قصره بعد سقوط المدينة، وأصبح "بورجولا" يراه قصرا خالوا دون روح وتأسف على نساء القصر اللاتي تشردن بدخول الفرنسيين للمدينة وإستيلاءهم على القصر وذخائره من أثاث وأموال، وأصبحن في وضع يدعو للشفقة ويبدأ الوصف بقوله: "...قصر "أحمد باي" قريب من باب الصخرة، وهو قصر على الطراز الشرقي مبني بأعمدة ومنحوتات جلب بعضها من إيطاليا وبعضها أخذ من البيوت القسنطينية كمنزل "صالح باي"، وجدرانه الداخلية مغطاة بالرخام أو الرسوم الزخرفية تمثل مدن شرقية كإسطنبول والإسكندرية والجزائر العاصمة، وبها رسوم للمعالم الرئيسية للشرق كالأساطيل..."، ويواصل بحسرة مضيفا: "...وهذا القصر يمثل عالم صغير منظم قبل أن يستولي الفرنسيون على الزرابي الرفيعة والخزفيات الفاخرة التي كانت به والأثاث الفاخر، وكان من الممكن أن نتصوره كألف ليلة وليلة، لكن الغرف أصبحت تبدو كمراقد والغرفة التي كانت تمثل غرفة الحريم أين كان يسهر الباي مع نساء القصر سلبت مقتنياتها وزينتها ولم يتبقى منها شيء، وغابت الروح التي كانت تعم المكان وأصبح قصر "أحمد باي" كنز أو بيت راحة للضباط الفرنسيين..."¹، وكما أوردنا فشهادة "بورجولا" موضوعية أبرز التغيير الذي طرأ على القصر بمجيء الفرنسيين الذين سلبوا الأثاث وحولوا القصر للضباط وشردوا سكانه من النساء، وبالتالي أصبح وضع القصر مؤسف بإعتباره معلم. ويورد الكاتب "شارل ماركوث دي كيفيار" الذي زار القصر سنة 1855 وصفا هاما عن القصر، ويبدأ الوصف بوضع القصر حاليا، إذ سكن قصر "أحمد باي" بعد سقوط المدينة في يد الاحتلال الفرنسي القائد العام، وسكنه "الدوق أومال" وكان على الحال الذي تركه عليه "أحمد باي" فهو كالواحة وسط الأنقاض، الأعمدة من الرخام ورسوم الجدران ملونة بألوان شرقية بالأحمر والأخضر ورسومه بالطابع الباروكي [وهو أسلوب فني ساد في القرن السابع عشر تميز بالزخارف والحركة والحرية في الشكل] يظهر فيه الأساطيل والقلاع والمدافع، وقام بهذه الزخارف سجين مسيحي يدعى "رفائيل"، وبه ثلاث ساحات واسعة في المخرج مزخرفة وتحيط بها الأعمدة وبها حدائق غناء مزروع فيها مختلف الأشجار المثمرة اللذيذة، والغرف بسيطة في تأثيثها، ويرى متأسفا أنه كان بالإمكان المحافظة على هذا المعلم التاريخي بقليل من الإرادة والحزم لتتمين الإنجازات المعمارية والأعمال الفنية للقصر "أحمد باي"².

أما الكاتب "شارل كارتورون" الذي زاره في حدود 1866 يدقق الوصف ويبيدي إعجاب شديد ببناء القصر من خلال ما كتبه عن القصر أثناء زيارته له، إذ تحول القصر إلى سكن القائد العام الفرنسي

¹Poujoulat, Jean-Joseph-François, Voyage en Algérie : études africaines..., Op.cit., P.P.250-251.

²Marcotte de Quivières, Ch., Deux ans en Afrique..., Op.cit., P.P.88-89.

للمقاطعة، ويبدأ الوصف من الخارج بقوله: "...ليس به مدخل معلمي كباقي البيوت العربية بل كان للداخل كل الجمال، مدخله بسيط من باب عادي يليه درج ثم تليه ساحة تسمى ساحة القصر، به حديقة بها أزهار ونباتات وأشجار محلية وبه حوض من الرخام والنافورات وعيون المياه، ويحيط به رواق مسقوف (سرداب) وبها أقواس تسندها أعمدة من الرخام المنحوتة، وهذا الرواق أكثر إرتفاعا من الحديقة إلى درجة أنك ترى الأزهار عند أرجلك وتصلك روائحها الزكية، وفي الجهة الموازية للحديقة نجد أسس البنايات مرتفعة نوعا ما بها زجاج مربع الشكل بألوان مختلفة بين الأزرق والأخضر والأصفر، ويؤطر مداخل أبواب بأعمدة منحوتة تؤدي لغرف مضاءة من الأعلى..."، ثم يوضح أن هذه الغرف حاليا أصبحت غرف خاصة بالموظفين كالقاضي والأمناء والمكلفين بمختلف المهام العسكرية والإدارية، ويواصل الوصف: "...وتعلوها رسومات بالأحمر، والرواق المسقوف يزداد اتساعا في شكل غرفة موريسكية مفتوحة على الحديقة ومتصلة بدرج، وقبالة هذه الغرفة والحديقة نجد القصر الذي تتميز نوافذه بعمارة عربية لكن من الداخل نجد تزيين فرنسي..."، وهنا في إشارة إلى التغيير الذي طرأ على داخل القصر بعد تحويله إلى مساكن للموظفين، ويواصل: "...باستثناء غرفة الأسلحة التي جمعت بها أعلام وأجهزة موسيقية كانت تؤخذ من العدو بعد الإنتصار عليه...، وللوصول للصالون نمر عبر شبابيك ذات طراز عربي تمر من خلاله أشعة الشمس أو ضوء القمر أو أضواء الفوانيس في منظر رائع..."¹، وهنا نلمس الإعجاب الشديد لهذا الزائر الفرنسي للقصر وتأسفه على ما قامت به سلطات الإحتلال من إدخال تغييرات على التأثيث، وإستخدامه لصالح الإدارة الفرنسية بالمدينة فهي لم تحافظ عليه كمعلم خاص بالمدينة، وساد هذا الإنطباع لدى الرحالة عن التأثير السلبي جدا للإحتلال. والكاتب "شارل فيرو" والذي يُعتبر عمله عن قصر "أحمد باي" من أهم الأعمال التي درست القصر بعلمية وتدقيق رغم أنه ليس أول من كتب عن القصر إلا أنه أهم من كتب عنه من خلال دراسة علمية، فهو باحث أثري ساهم في إنشاء المجلة الأثرية التي كانت تصدر بقسنطينة وتعتبر مصدر أساسي في دراسة تاريخ الجزائر بأبحاث علمية أثرية وتاريخية مثلت قاعدة الدراسات عن البلاد والمدينة في مختلف الفترات منذ القديم إلى الوسيط إلى الحديث والمعاصر، وفي مختلف الجوانب التاريخية والأنثروبولوجية والإجتماعية والسياسية والإقتصادية، وكان لها صدى كبير، ونشر الباحث "فيرو" الدراسة الأثرية في المجلة الأثرية سنة 1867 وكان عنوان الدراسة: "دراسة أحادية لقصر باي قسنطينة" Monographie du Palais du Bey à Constantine في 63 صفحة، وهي دراسة وافية عن القصر من التأسيس إلى مواد البناء والزخارف وحتى الجانب التاريخي كذلك، وأبدى "شارل فيرو" إعجابه الشديد به كمعلم بالمدينة ومحط جذب وإعجاب الرحالة والزوار الذين يخصصون الوقت لزيارة

¹Charles Carteron, Voulez-vous connaître l'Algérie, tous les usages des Arabes, leur vie intime et extérieure, ainsi que celle des Européens dans cette colonie, Par C. Carteron 1866, Paris, Macon, imprimerie de romand, 1866, P.P.258, 261, 263.

هذا المعلم ويأتون للمدينة لرؤية القصر، وكما كان نشر العمل على شكل كتاب بعنوان "زيارة لقصر قسنطينة" وطبع ببائيس سنة 1877 في 55 صفحة «Visite Au Palais De Constantine» وجاء بمحاور تفصيلية مرتبة تسهل البحث وتوفق في جوانبه من التقديم التاريخي إلى الوصف الخارجي والأعمدة إلى تاريخ البناء والزخارف ومواد البناء والأروقة الغرف والحدائق، وأرفقه بروسومات الرسام "كاتيناتشي" "Catenacci"، وهذا العمل الأثري التاريخي قيم ومهم، ويعتبر "فيرو" القصر من أهم المعالم الأثرية في كل البلاد ويتميز بالدقة والإنسجام بالمقاربة مع بناءات أخرى تعود إلى العهد التركي، فهو أسماهم وأرقاهم على الإطلاق وينم على ذوق جزائري محض وإدراك وإحترام للخصائص الاجتماعية والمناخية للبلاد، فالقصر من الخارج بسيط ولا يوحي بأنه قصر بل يبدو كمَنْزل عادي وبسيط لكن بمجرد الولوج إلى الداخل تجد فرقا كبيرا، فهو يغرق في الهواء والضوء والأعمدة المتعددة التي تبهر الزائر، وما يزيد المكان رونقا هو جمال الحدائق بأشجارها ونباتاتها والأروقة المسقفة التي كانت تمثل مكان السهرات مما يخلق جوا ساحرا ويمائل ألف ليلة وليلة¹ بالأضواء التي تملأ المكان من خلال الأعمدة، ففي زيارته للقصر سنة 1837 بفترة قصيرة بعد الإنتهاء من بناءه عبر الشاعر الفرنسي الكبير "هوراس فارني" "Horace Vernet" عن إعجابه الشديد بالقصر وتصميمه المميز من الداخل. وعمل "فيرو" على رصد شهادات السكان لتجميع معلومات حول بناء القصر، وأورد تاريخ البناء وإستيلاء الباي على المنازل المجاورة لمنزله العائلي لبناء القصر وجلبه لرسامين وعمال، ففي موقع القصر كان هناك عدة بيوت تجاور "بيت أم النون" البيت العائلي الذي ولد فيه "الحاج أحمد باي" إذ كان لهم منزلين في هذا الحي، فبعد توليه البايلك سنة 1826 وقيامه برحلة الحج وزيارة "مصر" أنس "الحاج أحمد باي" القصور الشرقية كما كان لدار سلفه "صالح باي" تأثير كبير عليه، فعمل فيما بعد على بناء قصره، وبدأ في المقايضة والشراء للمساكن المجاورة لبيته العائلي "دار أم النون" للحصول على المساحة الكافية لبناء قصره، ثم أرسل تاجر جينوي يدعى "شيافينو" "schiaffino" وكان يعيش في "بونة" -عنابة- إلى "إيطاليا" لشراء الأعمدة الرخامية والمنحوتات لتزيين القصر، وأدخل هذا التاجر السلع عبر ميناء عنابة ووضع الباي تحت تصرفه الرجال والبالغ لتحميلها لقسنطينة ورغم المشقة والحذر وصلت السلعة إلى "قسنطينة" دون أن تتلف أية قطعة منها مع مرافقة الحراسة لها، واشترط "شيافينو" القمح كثمن لخدمته ونقله عبر "عنابة" إلى "ليفورن"، وبدأ العمال الأهالي مباشرة في العمل وإستغل السكان في الصخرة خاصة في جمع كميات القمح الهائلة التي طلبها التاجر الجينوي، وكان لهذا الوضع أن تقدم السكان الذين سلبت منازلهم ونهبت مقتنياتهم الثمينة والمنحوتات بشكوى "للداي حسين" ضد "الباي أحمد"، فرد هذا الأخير أنه عوض السكان وقايض معهم الأثاث، وبعد سقوط الجزائر عام 1830 أصبح "أحمد باي" القائد المطلق وواصل مشروعه وإستولى على المنازل المجاورة

¹Charles Féraud, Visite Au Palais De Constantine, Paris, Librairie Hachette et c^{ie}, 1877, P.2.

لحديقة قصره وياشر في هدمها، وهدم كذلك الأملاك التابعة للحبوس لضمها لقصره وبذلك إستولى على 28 منزل و4 دكاكين ومشغل للحياكة، وتولى "قايد الدار" الإشراف على البناء، وجلب بناءون محليون من قسنطينة مشهورين ومهرة كما إستقدم بناء قبائلي عمل في "الإسكندرية" و"تونس" وتولى الإشراف على الجوانب الفنية من زخارف ونجارة وحدادة، وإستقدم أيضا من تونس عمال يهود قاموا بتركيب الزجاج والمرايا، أما التسقيف فتولاه عمال من الحامة والأخشاب إستقدمت من بلاد القبائل الشرقية وباتنة، كما أرسل "شيافينو" دفعة ثانية من الرخام والخزف من "ليفورن" و"تونس"، ثم أدرك "الحاج أحمد باي" أن إحتياجاته تفوق بكثير توقعاته فبدأ يفكر في طريقة أخرى لتوفير السلع من الرخام والخزف والمنحوتات والأبواب والنوافذ، وكانت بيوت قسنطينة تزخر بمثل هذه المقتنيات فشرع في رصد هذه المقتنيات وزيارة البيوتات وأخذ ما فيها من لوازم لقصره ومن أكثر البيوت المسلوقة منزل "صالح باي" في ضفاف الرمال، كما ألزم يهود المدينة بتوفير الزجاج الملون، وبذلك ولتعمير قصره سلب "أحمد باي" أكثر من نصف بيوت المدينة¹، وهذا دليل فعلي على ضخامة القصر وإحتياجاته. وفي العموم أورد "فيرو" وصفا دقيقا للقصر نلخصه في نقاط، فهو في شكل مربع بمساحة 5609متر في جهته السفلى المنخفضة مبنى سفلي وإسطبل، وفي القصر ثلاث أجزاء للسكن بطابق يفصلهم حديقتين وبها مساحات خاصة بحريم الباي، والأسوار عالية تحجب الرؤية وكل الفتحات كانت مغطاة بشبابيك حديدية أو بسياج من الأعمدة الحديدية، أما الغرف فتحيط بالأروقة المسقفة وتلتقي في الساحة أما النوافذ التي تطل على الخارج فأعدادها قليلة جدا، أما الترتيب الهندسي للطابق الأرضي والطابق الأول فهو مماثل، وتظهر الزخارف التي رسمها الأهالي في الجداريات، وعند الدخول عبر "باب الدرب" تظهر منازل بسيطة يسكنها المملوكين الذين يعتمد عليهم الباي لحراسته والعبيد والخدم من الجنسين بأعداد كبيرة تحت إمرة "قايد بريبة"، ويوجد في الجهة اليمنى ممر يؤدي إلى المحكمة وبها قاعة للمحاكمة أين يفصل فيها الباي الخصومات، وفي الجهة اليسرى يؤدي ممر إلى بيت "دار أم النون" أين تعيش والددة الباي وزوجاته الشرعيات الأربعة، وفي المقابل يوجد الباب المؤدي للقصر وهي "مدخل الحريم" ويؤدي إلى بهو ينتهي بفناء داخلي موصول بجهاته الثلاث بالمساحات الأخرى كما يتميز القصر بمقصورة الباي التي تطل على الفناء وتمثل صورة رائعة بها 12 نافذة وتقابل المقصورة غرفة كانت مخصصة لإعداد قهوة الباي، كما يزخر القصر بالفوانيس، وتتميز القصر بإحتواءه على حوض للمياه تستحم فيه نساء القصر ويوجد خزان للمياه كانت تربي فيه أسماك صغيرة حمراء تهتم بها النسوة²، كما يدقق "فيرو" الوصف في الأروقة وتزيين تيجان الأعمدة وتناسقها ونباتات الحديقة وكان للروسومات المرفقة لهذا العمل أثر كبير في قيمته، وبالتالي فالكاتب يعتبر القصر تحفة. أما الكاتبة "لويس ريجيس" فزارت المدينة سنة 1880 وإحتكت بسكانها وكان لها نظرة موضوعية

¹Charles Féraud, Visite Au Palais De Constantine..., Op.cit., P.P. 3-9.

²Ibid., P.P.9, 12, 13, 15, 18, 20,31.

ودافعت عن الطابع المحلي وشجعت وحاربت سياسة الإدارة الإستعمارية التي قضت على الخصائص المحلية للعمران بتهديم وتوسيع المباني والمصادرة لصالح الإدارة، وفيما يخص القصر فهي إعتبرته يجذب الفضول، "فلويس ريجيس" تراه: "...قصر آخر باي للمدينة قبل سقوطها في يد الإحتلال الفرنسي، وبني هذا القصر بأجزاء من حجارة تعود للمباني الرومانية في المدينة"، لكن الإدارة الفرنسية جعلت من الغرف الكبيرة في الطابق الأرضي ثكنات لإسكان الصبايحية ومربطاً لخيولهم، وتواصل رصد علامات التغيير التي سببها الإستعمار الفرنسي على المعلم إذ طمست معالمه كالأيات القرآنية التي زينت أبوابه لم يتبقى منها الكثير عام 1880، وتواصل قائلة: "...إن الذوق الراقي للباي يبرز من خلال بناءه للقصر، كان يصبو لشيء خيالي إلى درجة ولوجه لبيوت الأهالي وأخذ لكل ما هو مميز لوضعه في قصره، وكانت له الفكرة الفريدة بإحضار أكثر من ألف عمود من إيطاليا من الرخام الأبيض الملون بالزهري بالتيجان المنحوتة بدقة، وحملت على ظهور البغال في رحلات طويلة وشاقة والأعمدة المستقدمة من بعيد أضفت جمالا على القصر العربي وتمازجت في تناسق وإنسجام مع الأبواب والنوافذ الخشبية ذات الألوان الدامغة والتي جيء بها من هنا وهناك، وأكبر متعة في القصر هما الحديقتين المربعتين اللاتي يفصلن بهو القصر إلى نصفين، فبمجرد الدخول للقصر تلاحظ على الجهتين اليمنى واليسرى للقصر يفصلهما بلاط من الرخام وصفوف من الأعمدة، وتوجد في الطابق الأرضي والطابق الأول أروقة مسقوفة تؤدي إلى غرف الحريم، والجدران مزينة بالرخام بألوان حية وجذابة، وفوقها توجد بهو وغرفة ضيوف واسعة ومفتوحة للتهوية تقام فيها السهرات في الصيف على ضوء القمر ويزيد صوت خرير المياه الصادر من الحديقة رونقا على المكان¹، وأعجبت به الكاتبة. أما الزائر الآخر "ألفريد بارودون" الذي زاره في نهايات القرن التاسع عشر أي في حدود 1893 فإنه ينقل لنا صورة للقصر، يُبرز دور وجهود الحاج "أحمد باي" في بناء قصره الذي أصبح معلما في المدينة متميز بتصميمه وزخارفه، إذ يقول: "...عمل "أحمد باي" على بناء قصر كبير ولذلك هدم 40 منزلا للحصول على المساحة الكافية المقدرة بستة هكتارات، ويعتبر هذا القصر النموذج الوحيد الأثرى والأكبر من بين كل قصور الجزائر في الهندسة المدنية العربية...الرخام والأعمدة والزجاج المربع الملون مستورد من إيطاليا عن طريق التاجر الجينوي "شيفافينو"..."، ويدقق في التفاصيل عن العمالة والسلع إذ قال: "...أما بلاد القبائل والأوراس فزودته بأخشاب الأسقف، والسلع جلبت عبر ظهور البغال من بلد غربي وهو إيطاليا عبر تونس وكان العمال من بلاد القبائل أو العبيد المسيحيين، وكلف البناء "أحمد باي" قيمة كبيرة جدا وصلت إلى مليون ونصف بياستر Piastres بما يعادل ما بين سبعة إلى

¹Louis Regis, Constantine Voyage et séjours 1880, Paris, Calmann lévy, éditeur, 1880, P.P.102-104.

ثمانية مليون فرنك فرنسي..."، في تأكيد على تميز القصر أورد وصف الشاعر الفرنسي الكبير "هوراس فارني" الذي يعتبر من أشهر الشخصيات في القرن التاسع عشر ويقول: "... فـ "هوراس فارني" كان يطلق على هذا القصر بـ "قصر ألف ليلة وليلة"، "... ثم يواصل الوصف بنفس طريقة غيره من الكتاب، ويضيف: "... من الخارج يبدو القصر عادي لكن من الداخل فهو كالفرديوس، والقصر مرتفع بطابق ومفصول بخمس ساحات محاطة أحيانا بصفيين من الأعمدة ومحولة إلى حدائق ومياه تجري في أحواض رخامية تقابلها أشجار الرمان والريحان وأشجار اللبلاب بأوراقها الكبيرة التي تلتف حول الأعمدة، فلا يوجد أجمل من هذا المنظر تحت المربعات الزجاجية الإيطالية الملونة بالأخضر والأصفر والأزرق تعكس ألوانها على إرتفاع مترين، والأسقف مكونة من روافد صغيرة من الخشب يدعم الأسقف ملمومة ومزخرفة برسوم، وتوجد أعداد كبيرة من الأعمدة الرخامية مزخرفة منتشرة في أرجاء المكان وعلى الأبواب منقوشة آيات قرآنية، وفي زاوية الفناء توجد مقصورة صغيرة يستمتع فيها الباي للموسيقى، أما الجدران فمزخرفة برسومات مختلفة ما بين الزهور والفواكه والمدن والمناظر الطبيعية من رسم أحد المساجين وهي زخارف متنوعة يظهر هرم من المنازل البيضاء تعلوها أشجار النخيل على حافة بحيرة خضراء أو زرقاء تمثل البحر مع نقاط صفراء تمثل المدافع، وكانت الزخارف بوسائل بسيطة تنوعت ما بين ريشة الرسام وأصابعه وكانت الرسوم الجدارية الوحيدة في الجزائر، أما الغرف ففيها القليل من الأثاث وهذا القصر يمنح الهدوء والراحة والسكينة"¹، ونلاحظ الإعجاب الذي أبداه الكاتب بالقصر فهو ذهل بجماله ووصفه بـ "الفرديوس" وذلك لتمييزه عمرانيا وحضاريا وفنيا وجماليًا والملاحظ كذلك أنه دقق الوصف حتى أسماء النباتات ذكرها وكذلك مصادر السلع ومواطن العمال. وبالتالي تبرز القيمة التاريخية لقصر "أحمد باي" كمعلم تاريخي أثري في المدينة، فهو مثل إرث ثقافي وحضاري للمدينة ويعتبر معلم محلي ووطني ومميزات القصر جعلته يتميز بالتفرد سواء من خلال البناء أو التصميم والزخرفة بأسلوبه الباروكي وبالجداريات التي مثلت التفرد في كامل التراب الجزائري فرغم الوقت القصير الذي أنجز فيه القصر إلا أنه كان إنجازا مميزا في المدينة، وبغض النظر عن عدم التناسق في بعض الجزئيات كعدم تشابه كل الأعمدة الرخامية وإختلاف نحوت تيجانها إلا أن القصر مثل تحفة فنية محلية أنجزها البناؤون الجزائريون المحليون بكفاءة ودقة وإتقان، وتمكنا من التعرف عليها وعلى دقائق خصائصها من خلال الكتابات التي كان لها دور في التعريف بهذا المعلم والمحافظة التوثيقية عليه، كما لا ننسى الدور العلمي لهذه الدراسات بفضل الملاحظات والرسومات المرافقة للأعمال خاصة دراسة الباحث "شارل فيرو"، ويمكن القول أخيرا أن قصر "أحمد باي" من خلال بناءه جمع عدة مكونات محلية وأجنبية خارجية فإستخدام قطع من الرخام أو الأبواب والنوافذ والمنحوتات من بيوت السكان، فالقصر يجمع ويحفظ الموروث الثقافي والخصائص الحضارية للمدينة

¹ Alfred Baraudon, Algérie Et Tunisie Récit De Voyage Et Etudes..., Op.cit., P.P.129-131.

ومن خلاله نتمكن من رصد عادات البناء الفاخر في بيوتات كبرى العائلات القسنطينية عبر مقتنياتها الثمينة المكونة للبناء كالأبواب والنوافذ والأعمدة الرخامية والحجارة أو التزيينية كالخزفيات والمنحوتات التي إستغلها " أحمد باي" في قصره، ويبقى هذا القصر كما ذكرنا معلما حضاريا محليا في البلاد.

6. حديقة السيد لوندون "Landon" بمدينة بسكرة صورة الصحراء الخضراء.

قام الرحالة "دي فونتراس" بزيارة ملكية السيد لوندون "Landon" التي أصبحت معلما في المدينة وهي تبعد حوالي كيلومتر وهو نسيب "الجنرال لوماروا" "Le General Lemarrois"، وهي حديقة كبيرة على إرتفاع 400 متر جنوب مدينة الزوج على الضفة اليمنى للوادي، وتعتبر حديقة جميلة بها أشجار النخيل والزان والكاليتوس وغيرها من الأنواع الأخرى والحمضيات من برتقال وليمون وبها مياه جارية بغزارة على طول السنة، ويخدم بهذه الملكية عدد كبير من المزارعين، ومنزل "السيد لندن" بالحديقة هو مبنى جميل تحيط به حديقة ومياه ونباتات في منظر رائع فهو كالحديقة البريطانية وسط الصحراء¹ وأصبح معلما تاريخيا بالمدينة ميزها تلك الفترة وزاره كل الرحالة ولا زال قائما بها حتى يومنا هذا.

7 . قرية الزوج ببسكرة.

يواصل الرحالة "دي فونتراس" رحلته الإستكشافية إلى مدينة بسكرة بزيارة قرية الزوج التي تجاور المدينة الفرنسية، وهي تلي المدينة الفرنسية وتنتهي بالمزرعة النموذجية "السيد لوندون"، ويوجد بقرية الزوج مختلف الفئات العمرية، وعادة ما كانوا جالسين على أمام أبواب بيوتهم، وبعض النسوة ينسجن البرانس وكانت كل البيوت بائسة فهي مجرد أكواخ من الطين المجفف²، وهذا الحي يشبه القيثو وكان له أهمية بمدينة بسكرة إذ مثلت هذه الفئة عنصر فعال في الأشغال اليومية للسكان ومختلف الأنشطة.

8. القصور والموروث العمراني والحضاري في الصحراء الجزائرية.

مثلت الصحراء أهمية إستراتيجية للإحتلال الفرنسي برزت من خلال الدراسات العلمية والبعثات الرسمية والرحلات الفردية طيلة فترة الإحتلال، فكان إهتمام الفرنسيين بالصحراء الواقعة في الحدود الجغرافية لمناطق سيطرتهم وممتلكاتهم الممتدة من الشرق والغرب عند الحدود التونسية والمغربية ومن الجنوب كما ذكرنا سابقا³، وتجسد الإهتمام على شكل دراسات وكتابات، وكان لدراسات

¹Armand Rumet de Fontarce, Souvenirs d'Afrique, Algérie, Tunisie. Mission officielle journal de voyage..., Op.cit., P.P.59, 60, 400.

²Ibid., P. 400.

³Le Général Daumas, Mœurs et Coutumes de l'Algérie Tell-Kabyle-Sahara..., Op.cit., P.P.241, 242,243.

"الضابط دوماس" أثر في التعريف بالصحراء كالمظاهر التضاريسية والأنثروبولوجية للسكان وأصولهم والحياة الإقتصادية داخل الواحات وأسهب في الحديث عن الصحراء في كتابه "عادات وتقاليد التل-القبائل-الصحراء"، كما كانت كتاباته مقاربة في كتابه "الصحراء الجزائرية دراسات جغرافية وتاريخية" ودرس الصحراء بعمق خاصة منذ الحملات الأولى للإحتلال الفرنسي عام 1844، وكان لهذا النوع من الدراسات عن الصحراء الجزائرية إنتشارا كبيرا إذ أن عددا كبيرا من الضباط الذين خدموا في المنطقة ألفوا دراسات عنها ك"تريمولي" Trumelet و " كافينياك" Cavaignac وغيرهم، وتعد هذه الدراسات ذات أهمية تاريخية تساهم في التأريخ المحلي بإعتبار أنها كتابات لشاهدين عيان شاركوا في الحملات وإحتكوا بالسكان ومهما كانت كتاباتهم ذاتية ففيها جزء من الحقيقة على المؤرخ إستنباطها. وكانت مجمل الدراسات تدور حول المظاهر التضاريسية، المناخ، مصادر المياه والقبائل الساكنة للمنطقة، فالصحراء في عمومها تضم الجبال الموازية للبحر في المناطق الشمالية والمنخفضات والمدن والقبائل المرتحلة، بها العروق والشبكات يكثر التساقط في المناطق المقابلة للتل أما المناطق الواقعة في أقصى الجنوب فينذر فيها، تتخللها بعض الوديان التي تتغذى من موسم الأمطار ويكون جريانها بين الجبال الموازية للبحر من الشمال إلى الجنوب بإستثناء "واد جدي" و "واد مية"، ففي المنطقة الأولى من الصحراء تتوزع المراكز السكانية التي يزيد عددها عن المناطق التالية على تباعد بمساحات جرداء وقافرة، وبذلك مثلت نقاط الآبار مراكز للراحة ومعالم للمسافرين والطرق إذ يتكرر وجودها على مسير كل ثلاثة أيام، وكل واحة لديها مدينة رئيسية تحيط بها القصور Les Ksours وهي قرى مرتبطة بها وتجاورها خيام القبائل المتحالفة التي تظهر في الربيع بقطعانها وتهاجر من جديد في موسم الصيف إلى المناطق التالية لشراء الحبوب، وتعود دوما في شهر نوفمبر لقضاء الشتاء مع دويها تحت الخيام¹، وسكن الصحراء الرحل وسكان القصور الذين يمثلون الحضر المستقرين، ومجمل التجمعات السكانية مسورة وتحيط بها أشجار مثمرة، وتتوزع المناطق الخضراء في حدود المراكز السكانية². وبالتالي كان لهذه القصور أهمية إقتصادية كبيرة برزت من خلال الكتابات الفرنسية، التي إعتبرت القصور مطامير الرحل الذين يهاجرون إلى المناطق التالية لممارسة المبادلات التجارية، فيجلبون القمح مقابل التمور إذ يبادلون ثلاث حمولات من التمر بحمولة واحدة من القمح، رغم أن سكان القصور يزرعون الحبوب إلا أن الإنتاج غير كاف كما يمارسون بعض الصناعات اليدوية البسيطة التي تمثل سلع للرحل، وبالتالي كانت حاجة الطرفين متبادلة لبعضهم³، كما مثلت القصور مناطق للتخزين إذ

¹Le Général Daumas, Mœurs et Coutumes de l'Algérie Tell-Kabyle-Sahara..., Op.cit., P.P.241, 242,243.

²Rozet Et Carette, L'Algérie, Etats Tripoliains..., Op.cit., P.71.

³Le Docteur Félix Jacquot, Expédition Du général Cavaignac Dans Le Sahara Algérien En Avril Et Mai 1847, Relation Du Voyage, Exploration scientifique, Souvenirs, Impressions, Ect., Paris, Gide et J.Baudry, Libraires-éditeurs, 1849, P.P.262, 265.

كان الرجل يتركون فيها مؤنهم ومقتنياتهم الثمينة في حفظ سكان القصور بإعتبارها مناطق آمنة تحميهم وتحمي ممتلكاتهم من السلب على يد القبائل المعادية¹، وإزدهرت بالقصور الحياة الإقتصادية وانتشرت الأسواق داخل القصور وتعددت فمثلا في الأغواط كان هناك سوقين الأول خاص بقبائل "السرغين" يدعى "سوق القاع" والثاني خاص بقبائل "الهالف" يدعى "سوق لخيار" والذي كان به فندق به أقواس يستظل بها التجار أثناء التداولات التجارية، وكان يؤم هذا السوق "العربة" و"العمور" و"أولاد خليف" و"أولاد الشعاب" و"المخالف" و"أولاد نايل" و"الرحامن" و"بني ميزاب" و"الغازلية" و"أولاد مختار" و"أولاد سيدي عطالله" و"السعايد" و"أهل بوسعادة" و"الشعانة" وغيرهم من القبائل الصحراوية وكان "بنوميزاب" يحضرون البارود والعبيد و"الغازلية" يحضرون عبر توقرت الأسلحة، وسكان "بوسعادة" يحضرون الصوف والزيت، والقبائل البدوية المرتحلة تحضر الزبدة والتمور والحبوب الآتية من التل والمواشي والأجبان وغيره، أما الشعانة فيوجهون العبيد إلى المناطق التلية للبيع أو المبادلة بالحبوب وكان سكان الأغواط يشترون هذه السلع أويبادلونها بمنتجاتهم من الحياك بكل أنواعه وجبب الصوف التي تنسجها النسوة، مقابل بعض المصنوعات الحرفية من فؤوس ومحاريث وسكك وآلات وتوابل وعطور والبن وغيرها والتي كانت تأتيهم من تونس عبر توقرت ثم أصبحت تأتيهم مباشرة من الجزائر العاصمة، وكان بوسط القصور الحرفيين من حدادين ونجارين وبعض الدكاكين الصغيرة، كما كانت تتواجد عائلات يهودية تمارس الصياغة والنسيج والصباغة، وبعد الحصاد يتجه سكان القصور في مجموعات مصغرة إلى المناطق التلية للتزود بالحبوب والتبادل التجاري²، والملاحظ أنه كانت مجمل التجمعات السكانية مسورة وتحيط بها أشجار مثمرة، وتتوزع المناطق الخضراء في حدود المراكز السكانية³، وتمثل غابات النخيل والأشجار المثمرة والمتنوعة بأعداد كبيرة وهذا ما يعكس صورة "القصور" كقصر مدينة الأغواط، الذي يصفه "بول آدال" أنه قصر عتيق ويمثل معلما سياحيا ومزارا دائما للسواح والزوار لمدينة الأغواط إذ تم بناءه عام 1629 من قبل تجار أغواطيين على الطراز الصحراوي وبه سوق ودكاكين، كما هو النموذج في مختلف القصور الصحراوية⁴، وتمثل القصور والواحات عموما مصادر قارة ودائمة طبيعية وإصطناعية⁵، بها المياه إذ تنتشر في هذه القصور الآبار الإرتوازية بأعداد كبيرة جدا والتي زاد إستخدامها بعد التوسع الإستعماري بالمنطقة⁶، خدمة للإستعمار.

¹Le Docteur Félix Jacquot, Expédition Du général Cavaignac Dans Le Sahara Algérien En Avril Et Mai 1847, Relation Du Voyage..., Op.cit, P.262.

²M.Le lieutenant –Colonel Dumas, Le Sahara Algérien Etudes Géographiques..., Op.cit., P.P.20, 21.

³Rozet Et Carette, L'Algérie, Etats Tripoliains..., Op.cit., P.71.

⁴Paul Eudel, Hivernage en Algérie..., Op.cit., P.316.

⁵X.Marmier, Lettres Sur L'Algérie..., Op.cit., P.76.

⁶Jean Hurabielle (L'Abbé), Au pays Du Bleu Biskra et Les oasis Environnantes..., Op.cit., P.155.

ومن القصور التي عدتها الكتابات الفرنسية ووصفتها وعرفت بها وبمناطقها نذكر نماذج محددة منها. **قصر الشارف بالجلفة:** يقع في منطقة الجلفة وكان مركز لقبائل أولاد نائل القاطنة ما بين شرق بوسعادة حتى الزيبان على حدود بحيرة زراز إلى جبال العمور غربا، وتزرع هذه القبائل الحبوب وتمد قنوات الري ويملكون المواشي والإبل في فضاءات واسعة ونشطت النسوة في النسيج، ولديهم علاقات تجارية مع الصحراء إذ ينقلون للثمل التمور وريش النعام والمنسوجات، ولديهم مداشر وقرى في جبال الصحاري على إرتفاع 15000 متر يستخدمونها كمخازن وبها حوالي ما بين مائة إلى ثلاث مائة ساكن منهم بعض الأوروبيين وهذه المداشر تحيط بها حدائق وزراعات، وقصر الشارف يقع على بعد 60 كلم شمال غرب الجلفة وشرق عين الحمام، وهي عين وسط الأنقاض الرومانية وتجاوره قرى ومداشر أخرى كقرية الحمراء على بعد 44 كلم في الجنوب الغربي وقرية زكار على بعد 40 كلم جنوبا وقرية المجابرة على بعد 36 كلم في الجنوب الشرقي والتي رمت عام 1854، وعلى بعد 75 كلم توجد العمورة في الجهة الجنوبية لجبل بوخليل على إرتفاع 1400 متر وتتبع منه شلالات تسقي بساتين القصور¹. ومن قصور الأغواط قصور تابعة للمدينة تنتشر في "سلسلة جبال العمور"، وهي قصور تنتمي لكنفدرالية "لروانيس" وأهم قصورها "العاسفية" و"تاجموت" و"تاجروزة" و"عين ماضي" و"المائة" و"قصر الحيران" ولهذه القصور نفس المظهر العمراني للقصور الصحراوية²، خاصة البساتين المنتشرة في الواحات والتي يعبر "بول صولي" عن جمالها الخلاب واللون الأخضر الذي يعكسه سعف النخيل الذي يُلطف الجو ويعكس أشعة الشمس، وبذلك تصور منظر متناسق بتعدد ألوان مكونات الواحة³. وكانت لمدينة الأغواط مظهر القصور قبل الإحتلال الفرنسي، وكان بناء البيوت بأبعاد متغيرة بشكل مربعات بها نوافذ ومسقفة بعليات عادة ما تشكل مناظر مميزة لرجال على الأسطح يقومون بعمليات الصيانة أو أشكال لنسوة بملابسهن الرفرافة يتجولن على الأسطح، وحضيت المدينة بتحسينات لحمايتها من الغزاة⁴، وما ميز قصورها "قصة بني سالم" التي كانت بمثابة قلعة محصنة بها أربعة منازل كبيرة بطابقين إذ تطل بعلياتها على القصور⁵، وكانت القصور مبنية من الطين المجفف وتحمي الأبواب الخشبية تلك القصور المحصنة، إذ تنتشر بها في الشوارع⁶، ونذكر بعضها ومنها خصوصا. **قصر تاجموت:** وتعني "المطر" وهي على بعد 31 كلم شمال غرب الأغواط، بنيت على ربوة صغيرة ينبع منها واد مزي، وأسس هذا القصر الأغواطيين الفارين من الحروب الداخلية، وبه مئات المنازل

¹Louis Piesse, Itinéraire De L'Algérie De La Tunisie Et De Tanger..., Op.cit., P.P.115, 116, 118.

²Guide Pratiques Conty, Algérie-Tunisie..., Op.cit., P.160.

³Paul Soleillet, L'Afrique occidentale Algérie, Mزاب, Tildikelt..., Op.cit., P.P. 5,6.

⁴Ernest Fallot, Par-Delà La Méditerranée Kabyle – Aurès – Kroumirie..., Op.cit., P.95.

⁵C.Trumelet, Les Français Dans Le Désert Journal D'une Expédition Aux Limites Du Sahara Algérien..., Op.cit., P.410.

⁶Ernest Fallot, Par-Delà La Méditerranée Kabyle – Aurès – Kroumirie..., Op.cit., P.95.

تحيط بها بساتين جميلة، وكما يقول الكاتب الفرنسي "أوجين فرومونتان": "...لم أرى أي قرية عربية في تنظيمها وتتسق منظرها الجميل الذي يبعث على السعادة كتاجموت، فهي تغطي هضبة صخرية مثلثة الشكل قاعدتها يكسوها غطاء أخضر يمثل الأشجار المثمرة والنخيل....، ويحيط بهذه البساتين أسوار خارجية تفصل بينها مسافات متقاربة، وهي عبارة عن تحصينات متداخلة بأشكال هرمية تزيد رونا وتميزا.... تتداخل فيها الألوان لتعكس لونين رمادي مع بزوغ الفجر ليميل للذهبي مع طلوع الشمس...، وبالمدينة قبتين واحدة بيضاء والأخرى حمراء.... وتماثل تاجموت لوحة شرقية بتموج جبالها وتمازج الألوان..¹، ويوصف هذا القصر بأنه جميل وصغير²، وحتى "بول صولي" في بعثته الإستكشافية للمنطقة وصفه ببساتينه الجميلة المليئة بالأشجار المثمرة والمتنوعة وتجارته المزدهرة³.

قصر عين ماضي: هي على بعد 60 كلم غرب الأغواط في جبال العمور، وهي مدينة صغيرة تقع على ربوة مرتفعة ودائرية محصنة بشكل هلال وهو سور شديد التحصين تتخلله قبة محلية والبساتين المحيطة به، وتعرض هذا القصر للضرر في فترات عديدة بسبب الصراعات، ويعود للعائلة التجانية⁴.

قصر الحويطة: أو الحائط الصغير يقع على بعد 42 كلم جنوب شرق عين ماضي، هو قصر يتكون من 40 إلى 50 بيت، مبني فوق مرتفع يطل على منبع مياه يروي البساتين ويصب في خزانات القصر.

قصر العسافية: ويقع على بعد 10 كلم شمال شرق الأغواط، وعرف القصر منذ القدم صراعات مع الأغواط وتروي القصص الشعبية عن كرولونوجيا هذا الصراع، بأنه سكان الأغواط إلتجأوا للولي الصالح "الحاج عيسى" للقضاء على العسافية مقابل قيمة من المال، ففضى الولي على قصر العسافية لكن الأغواطيين لم يوفو بوعدهم للولي ولم يسلموا له المال، فمستهم لعنة الإنقسام والدمار عام 1842 في الصراع التاريخي بين "الحاج العربي" خليفة "الأمير عبد القادر" و"أحمد بن سالم" حاكم الأغواط.

قصر الحيران: أو قصر الحقائق، يقع على بعد 30 كلم شرق الأغواط بالتحديد في الضفة اليمنى لواد جدي، وبه مئات البيوت وتحيط بها الحقائق الأسوار، وبني هذا القصر منذ ستون سنة مضت على يد "أحمد بن سالم" ودمر جزء كبير منه مثل قصر العسافية على يد الخليفة "الحاج العربي" عام 1842.

قصر عنتيلة: يقع على بعد 44 كلم في الضفة اليسرى لواد عنتيلة المنحدر من واد جدي، وهو من القصور المعروفة وتنتشر به بعض البيوت، ويبعد 78 كلم عن مدينة "مسعد" عاصمة قصور أولاد نايل.

قصر مسعد: هو عاصمة قصور أولاد نايل المعروفة ويقع عند سفوح جبال "ثنية لحر"، ويوجد بها سكن القايد، وينتشر بالقصر 130 بيت جلها متكون من طابق أرضي وعلية، وتفصل هذه البيوت شوارع

¹Louis Piesse, Itinéraire De L'Algérie De La Tunisie Et De Tanger..., Op.cit. , P.119.

²M.Le lieutenant –Colonel Daumas, Le Sahara Algérien Etudes Géographiques, Statistiques et Historique Sur La région Au Sud..., Op.cit., P.27.

³Jules Gros, Paul Soleillet En Afrique..., Op.cit., P.22.

⁴Louis Piesse, Itinéraire De L'Algérie De La Tunisie Et De Tanger..., Op.cit. , P.P.115, 116, 118, 119.

ضيقة تحيط بها حدائق وبساتين معروفة بخصوبة أراضيها وتنوع الزراعات المنتجة بها ويقوم بزراعتها رجال القصر، أما النسوة فيمارسن مهنة النسيج وحياكة البرانس، ويتوسط القصر مسجد عتيق من طابقين بالطابق الأول مسكن القائد وتعلوه قاعة الصلاة وهو مبني من الآجر الأحمر وبه منارة جميلة. **قصر البارود:** ويقع في الشمال الشرقي لقصر مسعد ويبعد عنه قرابة 300 متر فقط، يقع هذا القصر على يسار "واد حمويّة"، ولم يتبقى منه إلا الأطلال في تلك الفترة، إذ دمر عن آخره وهجره السكان. **قصر دماذ:** ويقع على بعد 400 متر شرق الضفة اليمنى لواد حمويّة، ويعتبر "قصر دماذ" أقل أهمية من "قصر مسعد" يوجد أسفل "جبل قادة"، وللإشارة فواد حمويّة يسقي بساتين كل من "قصر مسعد" و"قصر دماذ"، وينبع من "جبال لعمور" ويصب غربا في "واد جدي"، وعندما تجف مياهه تترك "خندق" تنصب فيها قبائل "قصر دماذ" خيامها لجمع الإتاوات على القوافل المارة بالمكان كجزء من نشاطها. **قصر عين سلطان:** ويقع على بعد 120 كلم، وهو قصر به بساتين مسقية من "واد ناصر" وأقل أهمية. **قصر عمورة:** يقع على بعد 130 كلم بإحدى قمم جنوب غرب "جبل خليل"، و"قصر عمورة" موطن البساتين والفواكه المتنوعة والجنان المخضرة والزراعات المتعددة والمعاشية لسكان القصر ونشاطهم. **قصور أولاد نايل:** هي ملتقى واحات المنطقة يمر خلالها "واد جدي"، فهي منطقة زراعية مسقية منتجاتها وافرة، ويجاورها منبع "واد دمد" وبها سهوب واسعة ومراعي للمواشي والغزلان، وهذه القصور هي موروث الأصالة لأولاد نايل التي تعتبر من أكبر القبائل المحلية المحافظة على تراثها الحضاري. **قصر أولاد جلال:** تنتشر الواحات بالجهة السفلية "لواد جدي" وجنوب الزاب الظهري، وهذا القصر الأكثر سكانا بما لا يقل عن 1400 بيت، وكل بيت يحيط به بستان النخيل ويمتلك كل واحد بئر¹. **قصر المنيع:** يحتل القصر الهضبة العليا من المرتفع الصخري للمنطقة، وهذا القصر مسور بالصخور وجواره بئر عميق، وبه طريق رئيسي واحد تنتشر بأطرافه الدكاكين التي نحت بعضها في الصخور، وهي مخازن للقبائل المرحلة تخزن فيها مختلف أنواع المؤونة من تمر وحبوب، وينتهي هذا القصر بساحة مثلثة الشكل تمثل القصبه بها جامع صغير، وجنوب القصر وسط النخيل يوجد بعض المخازن الهشة مبنية من الطوب مغطاة بسعف النخيل بما يقارب خمسون بناء "الروارحة" وهم مهاجرين من "التوات"، وتتخلل هذه البناءات بعض القباب المصبوغة بالأبيض تمجيدا "لأولاد سيدي الشيخ" الزعماء الروحيين بالمنطقة، وتنتشر البساتين بهذا القصر وبها قرابة 10 آلاف نخلة وأشجار مثمرة من مشمش ولوز ورمان وتين إضافة إلى مربعات من القمح والشعير والخضر، وتتوفر بها المياه بكثرة وعلى عمق بسيط جدا، كما مثل هذا القصر محطة إلتقاء للقوافل التجارية المتجهة لـ "عين صالح" وقوافل "تيميمون باتجاه "ميزاب" وقوافل "الشعانية" المتجهة إلى "تيديكلت" و"قورارة"²، وبذلك أصبحت

¹Guide Pratiques Conty, Algérie-Tunisie..., Op.cit., P.159.

²Ibid., P.163.

المنبعة في فترة وجيزة محطة هامة للإنتلاق نحو أعماق الصحراء والقاعدة الخلفية لـ"عين صالح"¹. قصر عسلة: تُذكر بقاياها بالمباني القوطية القديمة مغروس في صخرة، بها الأشجار المثمرة والمياه والحبوب المزروعة كالشعير الذي يغطي مساحات واسعة، ويمر من القصر "واد عسلة" الذي يتوسط الحقول والتي تتنوع ما بين الخضر والفاكهة المختلفة من بصل وطماطم والبطيخ بأنواعه من الزراع المعاشية، ويتغنى "كافينياك" بهذا القصر الذي مثل واحة خيالية بجمالها وثرائها، وهو بالنعامة². ويمكن القول أن الجزائر تعتبر مهد حضاري يمتد عبر التاريخ، تجسد بتراث حضاري غني وموروث ثقافي متنوع ينعكس من خلال العادات والتقاليد والآثار العمرانية خاصة القصور في المناطق الصحراوية التي مثلت موروث ثقافي حضاري محلي وكان لها دور إقتصادي وحضاري في المحافظة على الهوية الوطنية والتراث المحلي بالمنطقة الصحراوية.

ج. الإستعمار الفرنسي وتغيير المعالم العمرانية.

غير الإحتلال المعالم العمرانية بالبلاد خدمة للإستيطان والتوسع الإستعماري وطمسها كليا.

1. الإستعمار الفرنسي والتغيير العمراني لمدينة الجزائر.

يُعبّر الرحالة الكاتب السياسي "كزافيي مرمبي" بحزن شديد على مظهر المدينة العتيقة بالجزائر العاصمة، وأول ما يتحسر عليه هو تغيير وجه مدينة الجزائر التي أصبحت فرنسية وطمست معالمها المحلية بسبب تأثير وهيمنة العمارة الفرنسية وحتى الشوارع طغى عليها العنصر الغربي، ومنذ وصول الكاتب إلى باب عزون لاحظ التغيير الكبير وكما قال "...لا يوجد ما يخفي إدراك نشاط فرنسا اللامتناهي بصفاتها المسيطرة والميول المبتذلة" وأضاف قائلا: "...ارتفعت الفنادق الراقية على أنقاض البيوت العتيقة التي كانت تملأ المكان.."، ومن مظاهر فرنسة الشارع الجزائري يذكر الكاتب "...تأثير البصمة الباريسية، مقاهي بالبطاقات وبأسعار ثابتة، مقاهي وأرائك، سلع تتماشى والموضحة، الحلاقين عربات النقل وغيره، واللافت في كل هذا هو التنوع العرقي للناس في الشوارع بين العربي، اليهودي المرأة الحضرية، سكان الجبال القبائل، الحضر، البساكرة، الفرنسيين والأوروبي كالمالطيين والإسبان وغيرهم³، والملاحظ أن الكاتب عبر بصدق رغم كونه في مهمة رسمية لكنه لم يساند ما قامت به الإدارة الفرنسية من تشويه للجانب العمراني المحلي الأصيل للمدينة العتيقة، بل إنتقدها بشدة وعبر بموضوعية قل ما نجدها لدى الرحالة الرسميين والموظفين والذين إستقادوا من تمويل حكومي لرحلتهم.

¹ Alfred Baraudon, Algérie Et Tunisie Récit De Voyage Et Etudes..., Op.cit., P.210.

² Le Docteur Félix Jacquot, Expédition Du général Cavaignac Dans Le Sahara Algérien En Avril Et Mai 1847, Relation Du Voyage, Exploration scientifique, Souvenirs, Impressions..., Op.cit., P.P.119, 120, 124,125.

³ Xavier Marmier, Lettres sur l'Algérie..., Op.cit., P.P.40, 41, 42.

2. بسكرة بين الإرث العمراني العتيق والتغير الكولونيالي.

من الصور المنقولة من قبل الرحالة صورة مدينة بسكرة "الأهالي" كما يصفها الرحالة الكاتب "ألفريد بارودون" تقع بعيدا في اتجاه الجنوب الشرقي وتمتد على طول خمسة أو ستة كيلومتر على طول الوادي، وهي مقسمة إلى أحياء غير متساوية الشكل لكن تتشابه في المظهر وتحمل أسماء القبائل التي تسكنها وتفصل الأحياء فراغات كبيرة، وهي الواحات التي تسقيها قنوات مياه محفورة تتغذى على مياه الآبار وتنمو بها أشجار النخيل وتسورها حيطان من الطين¹، وبالتالي لمعرفة التحول العمراني نعرض رصد الرحالة الفرنسيين لواقع مدينة بسكرة الصحراوية التي تغير عمرانها منذ دخول الإحتلال الفرنسي وتشويه المدينة العتيقة كغيرها من المدن، فالرحالة "ألفريد بارودون" هو الآخر يرصد المدينة بعد التغييرات التي طرأت عليها عقب الإحتلال الفرنسي لها الذي غير معالمها، فكما سماها "بسكرة الحديثة" بقوله: "...بسكرة الحديثة وهي قرية كبيرة تعود لسنة 1844، شوارعها واسعة وعلى حوافها أبنية ذات طابق بطوب ملون بالأبيض وأسطحها بالقرميد، وفي الوسط نجد ساحة جميلة بأشجارها الاستوائية وترويه مياه جارية مما زاد المنظر جمالا وتوجد كنيسة بطراز روماني راق يقابلها نزل الصحراء وتحيط بهم منازل تزينها الأقواس، وبعيدا عن المدينة في مجاز الصفا قامت سلطات الإحتلال بتغيير معلم آخر بالمنطقة إذ عوضت البرج التركي ببرج فرنسي²، وبذلك فالمدينة العتيقة والقصة التركية لم يتبقى منها الكثير، وكانت تنتشر الحدائق بين الأسوار والمنازل متراسة ومنخفضة وهذه هي بسكرة وكل الواحات الجنوبية التي تتشابه في البناء وفي الأسوار وواحات النخيل والحدائق والبساتين التي تلون المكان بالخضرة، وفي تعريفه للمدينة يكتب رحالة آخر "تيال أوديلون" معلومات تعبر عن التغير العمراني لبسكرة العتيقة من خلال السكان والبناءات والهياكل الفرنسية المستحدثة والتي غيرت كثيرا وجه المدينة إذ قال: "...بسكرة، Biskra، Piscina، Besketer، besketra، عاصمة الزيبان والمقر الرئيسي لتجمع البلدية المختلطة تضم 7.367 نسمة منهم 168 فرنسي و22 إسرائيلي و93 أجنبي أوروبي و7.084 مسلم، وتوجد بها محكمة وكنيسة ومدرسة ومكتب عربي ومستشفى عسكري ومكتب بريد ومكتب للتيليغراف وسوق كبير..."، هذه هي بسكرة التي تقع على إرتفاع 111متر على مستوى البحر على ضفاف وادي القنطرة الذي يحمل تسمية واد بسكرة والذي يلتقي بواد عبدي ويوجد ببسكرة ثلاث مراكز سكانية متباينة هي المدينة الفرنسية ومدينة الزنوج ومدينة العرب، ومن معالم التغير العمراني الواضح بسبب الإستعمار المدينة الفرنسية التي إزدهرت حديثا بفضل مجهودات القائد الأعلى "كروزي" "Crouzet"، فإنتشرت المياه في كل الجهات ونظمت الساحات والحدائق العامة بنباتاتها المختلفة النادرة وتزينها أحواض بنافورات كما زين الطريق العام بنباتاته مجموع المنازل

¹ Alfred Baraudon, Algérie Et Tunisie Récit De Voyage Et Etudes..., Op.cit., P.170.

² Ibid., P.P. 170, 177.

المتشابهة من الطين المجفف، وأهم معالم المدينة الكنيسة والمدرسة والسوق المغطى الذي يستند لأقواس تتوسط ساحة تحيط بها المباني العربية ومبنى الضباط ونزل الصحراء الذي يلقي توافد أعداد كبيرة من السواح خاصة البريطانيين في موسم الإصطياف الشتوي، ويميز المدينة في الشمال الشرقي كمعلم دخیل حصن "سان جرمان" الذي أسس عام 1849 ومشيد من الحجارة بشكل مربع وطويل، له قدرة إستيعاب كل السكان الأوروبيين ببسكرة وتضم تحصيناته عدة ثكنات كبيرة وبه منزل القائد العام ومراقد الضباط وخزانات كبيرة ومخازن الأعلاف¹، وهذه إشارات واضحة عن حجم التغير العمراني الذي مس المدينة، كذلك تحدث رحالة ورجل الدين الأب "جان إيرايل" عن المدينة الجديدة أو الحديثة في بسكرة وهي مدينة فرنسية بامتياز، بها عدة شوارع حديثة كلية تزينها الأقواس وانتشرت البنايات العامة التي بنيت من صخور "جبل ماوية"، وكذلك الطرق في حين كان السكان البسكريون يستخدمون الطوب والطين المجفف في البناء، أما الحدائق والساحات فزينت بنباتات إستوائية ومدت قنوات لسقي هذه الحدائق والساحات²، وقدم الكاتب صور من معالم المدينة الحديثة ببسكرة بدقة وتفصيل فمن البنايات الحديثة بالمدينة مستشفى "لافيجري" والإقامة العسكرية القديمة بالمدينة و"دار ضياف" و"النزل الملكي" والمدرسة والدائرة والسوق المغطى والكنيسة، وفي الشرق يوجد حصن "سان جرمان" بحصونه في الجهات الأربعة به ثكنات ومستشفى مختلط، وبدأ في بناء هذا الحصن سنة 1849 وكان الإنتهاء منه سنة 1851 وهو حي عسكري وتحصين للمكان، وضم داخل أسواره نزل القائد وحضيرة فرقة المدفعية والهندسة العسكرية ومخازن المؤونة والسلاح وعلف الخيول وبه المستشفى والخزينة ومؤونة المدفعية ومساكن الضباط، وكذلك خزانات مياه ضخمة محفورة في الأرض تكفي مياهها لثلاثة أو أربعة أشهر وهذا الحصن هو ملجأ المدينة الفرنسية ويمكنه الصمود في حصار لعدة أشهر، كما تحيط به حديقة مميزة بنباتاتها وبها مدرسة للنبات تديرها أخوات كنيسة "القديس فانسان" و"القديس برينو". ومن المعالم كذلك سوق المدينة الفرنسية وبه حركية ونشاط إقتصادي، يعرض مختلف السلع حتى المستقدمة من باريس ومنها المحلية التي تختلف من منتجات تقليدية إلى النباتات والحيوانات الصحراوية والملح، كذلك حديقة "M.Landon de Longeville" التي تدرقنا إليها وتعتبر من أبرز معالم المدينة وتتميز بتفردها وأصبحت مقصدا للزوار ومعلما تعريفيا بالمدينة، كما يوجد أيضا ببسكرة معلم آخر هو "دار ضياف" المذكور أعلاه، وهو أول مشروع لشركة بسكرة ووادي ريغ ويمثل قصر على الطراز الموريسكي يجمع أجمل القطع المماثلة لقصر "أحمد باي" وقصر "حسن باشا" وقصر "الحمراء" بغرناطة، خططه المهندس الشهير "بالي" "A. Ballu" فكان تحفة فنية فريدة وهو في طرف المدينة في الجهة الداخلية للواحة ويمثل تحفة عمرانية متميزة في المدينة، وكان الإنتهاء من بناءه سنة 1893.

¹Niel Odilon, Géographie de l'Algérie..., Op.cit., P.P.397-398.

²Jean Hurabielle (Abbé), Au Pays du bleu, Biskra et les oasis environnantes..., Op.cit., P. 36.

ورغم الطابع الحديث للمدينة من بناءات وسوق عصري ومحلات المزايين والدكاكين العربية والمقهى الموريسكي إلا أن الزائر للمدينة العتيقة وقصورها تبقى معالم المدينة بإمتياز فالمدينة العتيقة في قلب الواحة ولا زالت آثار هذه المدينة البربرية في المكان بقصورها الستة أو السبعة التي كان يطلق عليها بسكرة القديمة¹، وما يمكن إضافته هو أن حتى الوضع الإقتصادي للسكان المحليين بعد الإحتلال تغير سلبا حسبما أورده الرحالة الفرنسيون فمثلا الرحالة "ألفريد بارودون" يقول في شهادته أن البسكريون كانوا يتبادلون التمور بحبوب التل وأوضاع السكان ساعت منذ مجيئ الفرنسيين وقل عدد العائلات الميسورة والملاكين، فإنخفض عدد العائلات المتنفذة وأبيدت في أغلبها ودمرت من قبلنا نحن الفرنسيون، أما العائلات المتبقية فلم تتمكن من إسترجاع ثرواتها وتحسين أوضاعها بعد بيع السلطات القضائية لأراضيهم وممتلكاتهم فتدهورت حالتهم وساءت كثيرا²، وبالتالي تغير وجه المدينة المحلي بسبب التغير العمراني لخدمة الإستعمار، وبذلك فمن خلال هذه الشهادات نرصد التغيرات التي طرأت على مختلف مناطق البلاد ومنها المناطق الصحراوية كما كان الحال بمدينة بسكرة عقب دخول الإحتلال الفرنسي سواء من الناحية الديمغرافية أو الجغرافية إذ أبيدت واحات وعوضتها أخرى ورحل سكان من مناطقهم مما أحدث تغيير ديمغرافي على المنطقة، وكذلك التغير العمراني الأوروبي الذي عوض البنايات التقليدية المحلية في ظل الإستيطان الأوروبي وبناء الفنادق الذي إرتبط بالحركة السياحية الترويجية للمنطقة في إطار سياسة تشجيع الإستيطان بالصحراء، وبذلك تغيرت عدة مناطق.

3. الأغواط بين التخريب والتحديث بعد دخول الإحتلال الفرنسي.

أما بخصوص الأغواط يصف أحد الرحالة إنطلاقة الرحلة من العاصمة عبر طريق سكة الحديد في القطار الرابط بين العاصمة والأغواط واصفا المناطق من المدية إلى بوغار إلى الجلفة وصولا إلى الأغواط ذات "الألف نخلة وسكانها المحليين وأحيائها ومبانيها البسيطة"³، وبالأغواط بساتين النخيل التي تتخللها الأشجار المثمرة من تين وخوخ ورماني وغيرها بها قبة "سيدي الحاج عيسى" إذ يردد الفرنسيين رؤيا هذا الشيخ عن قدوم الإحتلال الفرنسي للمنطقة، وكانت المدينة على شكل قصور بها سبعمائة منزل مبنية بالطين المجفف بكل بيت ساحة داخلية وباب خارجي منخفض مسنودة بالبيوت المجاورة ومتراصة ببعضها البعض، ويعتبر هذا التصميم من البناءات مميز ويمثل "قصر بن سالم" نموذجا مميزا لهذا النوع من العمران وهو حصن بأربع بيوت كبيرة ذات طابقين مجتمعة حولها البيوت وتطل أسطحها على جزء مهم من المدينة وبه أربع مساجد وفندق وسوق مغلق للسلع، والأغواط

¹Jean Hurabielle (Abbé), Au Pays du bleu, Biskra et les oasis environnantes..., Op.cit., P.P.36-41, 47.

²Alfred Baraudon, Algérie Et Tunisie Récit De Voyage Et Etudes..., Op.cit., P.P.171-177.

³J.Chalon, Souvenir D'Alger..., Op.cit., P.95.

مقسمة إلى قسمين يسكن كل جزء فرع قبيلة تفصلهما ساحة بها النخيل والقصر يحيط به صور بإرتفاع أربعة أمتار ومسور بدورين لتعزيز الحماية والتحصين يصل إرتفاعهما إلى ثمانية أمتار تتخللها أربعة أبواب، كما أنه بالأغواط عدة أحياء منهاره كحي " أولاد زرين " الذي يعاني من الإهمال¹، وما يميزها هو المقبرة التي تتقدمها كما في كل المدن العربية إذ تقع خارج الأسوار وهي أول ما يلاحظه الرحالة عند وصوله للمدينة، وما يميز المدن الصحراوية كما في بسكرة والأغواط هو البساتين الخضراء المحيطة بالمدينة، كما عبر عنه "أوجان فرومونتان" إذ أعجب بعمران الأغواط المدينة المسورة بتحصينات تتخللها خضرة البساتين المنتشرة بكثرة²، لكن بعد دخول الإحتلال الفرنسي سادت وسيطرت صورة الخراب للأغواط إذ نُعتت بالمدينة الميتة، ففي وصفه لمدينة الأغواط التي وصلها يوم 3 جوان رصد الرحالة "أوجان فرومونتان" صور مختلفة منها عن المدينة في منتصف النهار إذ كانت كل أبوابها مغلقة، كما نقل بأسف شديد صورة الخراب الذي لحق بالمدينة عقب الحملة الفرنسية ضدها، إذ يقول: "... قيل لي لما وصلت أنني في مدينة ميتة وبموت عنيف جدا، إذ لاحظ بعض الأبواب التي بها آثار ضربات المدافع داخلها مظلم والأسوار مشققة والمنازل فارغة، كما زار زاوية "سيدي الحاج عيسى" التي كانت مسرحا لمعركة الأغواط ليوم 3 ديسمبر، وكانت حالة المكان المُدمر تشهد على الحصار الذي عاشته المدينة³ والدمار الذي لحقها وخرب أهم معالمها وجزء كبير منها. وبعد أربعة عشر شهرا من الإحتلال الفرنسي بدأت معالم الوجود الفرنسي تبدو ببروز بناءات ذات طراز أوروبي كمنزل القائد الأعلى للدائرة، وتم الإستيلاء على عدد كبير من بيوت الأهالي وهيئ للضباط والقوات والمرافقين والعاملين والطباخين وللمعمرين كذلك، مما خلق صورة متداخلة بين الأهالي والمعمرين بأزياء محلية وأجنبية فأصبحت شوارع المدينة بمظهر غير تقليدي⁴، كما نلاحظ هذا التغير مما نقله الكاتب الرسام "فرومونتان" عن مدينة الأغواط، فعندما توجه إلى منزل القائد التي يوجد في مدخلها نخلة، وجد الساحة تعج بالجمال والعمال العرب، كما يوجد بالأغواط منزل ضيافة أقام به وإنتقل منه يوم 4 جوان 1853، وبالمدينة كذلك مساكن جميلة، ووجد السلطات تحضر في بيت لإستقبال الزوار ولفتح مكتب عربي وكان بالبيت ساحة وإسطبل وطابق به الغرف⁵، بخصوصيتها. وبالتالي تعددت صور ومشاهد الصحراء في كتابات الرحالة الفرنسيين، وكانت بلاد العطش من المحطات المهمة في الرحلة إلى المستوطنة، كتب عنها الرحالة بمختلف أطيافهم من كتاب ورسامين وإشتهرت من مدن الصحراء في الكتابات مدينة بسكرة التي مثلت منتجعا شتويا للتخييم السياحي

¹C.Trumelet, Les Français Dans Le Désert Journal D'une Expédition Aux Limites Du Sahara Algérien, Paris, Garnier Frères, Libraires éditeurs, 1863, P.410.

²Eugène Fromentin, Un Eté Dans Le Sahara..., Op.cit., P. P. 100,105.

³Ibid., P.P.105-107, 117.

⁴C.Trumelet, Les Français Dans Le Désert Journal D'une Expédition Aux Limites Du Sahara Algérien..., Op.cit., P.P.410, 411.

⁵Eugène Fromentin, Un Eté Dans Le Sahara..., Op.cit., P.112.

والصحي ومدينة الأغواط التي زارها وكتب عنها الكثير وأشهرهم على الإطلاق "أوجين فرومونتان" وكما عبر الرحالة عن هذه المناطق بأن الزائر ينتابه شعور وكأنه يزور مدن غابرة في التاريخ من خلال الأسوار الطينية التي تميل للصفرة الباهتة ويعتمد البناء على الطوب المجفف، والمنازل بدون طوابق وبسيطة في بناءها وأبوابها في الغالب مربعة، كما تنتشر كيلومترات من الأسوار المحيطة بالواحات والفاصلة بين القصور، ويعتبر النخيل عنصر ثراء الواحات فهو يملأ المكان كما تنتشر زراعة الخضر والفواكه، وكان الفضل للرحالة في الحديث عن السكان فمن خلال ما أورد الرحالة "ألفريد بارودون" يرى أن البسكريون مسالمون رغم أنهم يحملون معهم السكاكين والبنادق الكبيرة والتي تعتبر موروث ثقافي وحضاري ويرتدون البرانيس وأقمصة مصنوعة من الصوف مفتوحة دون أكمام وقصيرة وتربط بحبل حول الخصر، والنساء لا يغطين وجوهن ويلفن أجسامهن في الحايك وينتشر الأطفال في كل مكان، وأهم ما أوردته الرحالة في هذا الجزء هو جانب حضاري إذ أكد أن السكان كانوا يجيدون اللغة الفرنسية وأنهم في رمضان كانوا يسألونه عن الساعة باللغة الفرنسية بطلاقة.

4. الفنادق الواجبة المستحدثة بالمدن الصحراوية.

كان "بالقنطرة" نزل "بارترون" وهو معبر لإستراحة الزوار قبل دخولهم بسكرة، كما كان بها "نزل الصحراء" المعروف فعند عودة الرحالة "دي فونتراس" من جولته بالصحراء إلى مدينة بسكرة نزل به إذ مثل جزءا من البيئة الصحراوية وكانت الغزلان تتجول في حديقته، ومسير النزل "شابير" "Chabert" ضابط سابق في كتيبة المحاربين الأفارقة، ومثل هذا النزل معلم من معالم مدينة بسكرة ذكره ووصفه العديد من الرحالة¹ الذين زاروا بسكرة ومكثوا به وأعجبوا به كثيرا وبحديقته المميزة، وكذلك الحال بالنسبة للأغواط التي كانت مزارا للسواح الفرنسيين، إذ ساهم طريق السكة الحديدية الرابط بين العاصمة والأغواط في زيادة عدد الزوار بها، وكذلك شأن نزل "السيلستان" "Célestin" ببوغاز الذي يستقبل الزوار المتجهين للأغواط، أضف إلى معالمها الأثرية "كالقصر" وأسست عام 1629، وكانت تستقطب الزوار مما نشط التجارة المحلية وكانت الساحات معبئة بالتجار الأغواطيين².

¹Niel Odilon, Géographie de l'Algérie..., Op.cit., P. 57.

²Paul Eudel, Hivernage en Algérie..., Op.cit., P.316.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: الموروث الديني والبيئي في الجزائر.

أولاً: الموروث الديني من خلال قراءات في الطريقة والسياسة الدينية.

أ. الطريقة العيسوية وعولمة الثقافة المحلية.

1. الطريقة العيسوية في كتابات الرحالة الفرنسيين بين الصورة النمطية والميثولوجية.

1. 1. الرحالة الكاتب "شارل كارثرون" "Charles Carteron".

1. 2. الرحالة الكاتب "شارل جوردون" "Charles Jourdan".

1. 3. الرحالة الكاتب "ألفريد بارودون" "Alfred Baraudon".

1. 4. الرحالة الكاتبة "لويس ريجيس" "Louis Régis".

2. الطريقة العيسوية ودورها في التعريف بالثقافة المحلية من خلال السياحة الكولونيالية.

2. 1. الرحالة الكاتب "بول أودال" "Paul Eudel".

2. 2. الرحالة الكاتب "دو فونتراس" "Armand Trumet De Fontarce".

2. 3. الرحالة الكاتب "إميل ماسكوري" "Émile Masqueray".

2. 4. الرحالة الكاتب "هنري دروي" "Drouet Henri".

2. 5. الرحالة الكاتب "إدوارد دالاس" "Édouard Dallès".

ب. القديس أوغسطين والسياسة الدينية. 1. القديس أوغسطين وطريق الحج إلى هيبون.

2. رحلة حج الرحالة الكاتبة Mme Marie Noël إلى هيبون.

3. صورة القديس أوغسطين في كتابات الرحلة لرجال الدين.

3. 1. القديس أوغسطين من خلال رئيس أساقفة كامبري "L'Archevêque de Cambrai".

3. 2. القديس أوغسطين من خلال رئيس الدير سيشي "L'Abbé Suchet".

3. 3. القديس أوغسطين من خلال رئيس الدير ليون سيبور "M. l'abbé Léon Sibour".

ثانياً: الموروث البيئي والإستعمار الفرنسي.

أ. الحيوانات البرية ما بين الثقافة الشعبية والواقع الإستعماري.

1. الأسود والنمور في الفلكلور والثقافة الشعبية لسكان البلاد.

2. الأسود والنمور في البلاد أثناء الاحتلال الفرنسي. 3. الأسود معالم جغرافية.

ب. شهادات الرحالة عن عمليات الصيد المنظم للأسود من قبل المستوطنين والضباط الفرنسيين.

1. أشهر الصيادين الفرنسيين للأسود في البلاد.

2. رحلات الصيد.

3. دور الإحتلال الفرنسي في إنقراض الأسود ومختلف الحيوانات البرية.

الفصل الثاني: الموروث الديني والبيئي في الجزائر.

أولاً: الموروث الديني من خلال قراءات في الطريقة والسياسة الدينية.

إستنبطنا من دراستنا مظاهر الموروث الثقافي للبلاد من خلال الكتابات الفرنسية، وتعتبر الطرق الصوفية من المؤسسات التي رافقت المجتمع الجزائري في جل فتراته التاريخية وكان لها دورا فعّالا.

أ. الطريقة العيسوية وعولمة الثقافة المحلية.

تعتبر الطرق الصوفية مؤسسات دينية واجتماعية وثقافية واقتصادية وحتى سياسية ذات أهمية في حياة السكان المحليين، وكان لهذه الطرق الدينية في الفترة الإستعمارية صدى واسع، فمثلت محط جذب للرحالة والزائرين للبلاد الذين توافدوا جموعا للمستوطنة الجديدة التي إعتبرت مكسبا للإستعمار الفرنسي في القرن التاسع عشر، وجسدت الشرق بسحره وأسراره للمتقنين الفرنسيين من أدباء ورسامين زاروها تباعا وكتبوا عنها رحلات رصدت واقع المجتمع المحلي، وكان للطرق الصوفية جانبا كبيرا من هذا الاهتمام ونتعرف على دور الطريقة العيسوية في الجذب السياحي ومساهمتها بالتعريف بالطرق الصوفية في الجزائر من خلال كتابات الرحلة، إذ كان كل الزوار يحضرون "حضرات" للعيساوة التي مثلت محطة أساسية في برامج الزيارات إلى البلاد، ونرصد نماذج لبعض الرحلات لما كتبه حول الطريقة العيسوية وإبراز دورها الإقتصادي في الجذب السياحي وعولمة الثقافة المحلية، ونعتمد في ذلك على مجموعة من الرحلات المعلمية والمهمة في التأريخ للمجتمع المحلي بمختلف مكوناته وعناصره وهي مصادر كتابية تحدثت عن الطريقة العيسوية بإسهاب وأبرزت دورها الديني الثقافي بالمجتمع. فمثلا رحلة الرحالة الفرنسية "لويس ريجيس" وهي امرأة مثقفة ومن عائلة ثرية زارت مدينة قسنطينة عام 1880 وقدمت معلومات قيمة في رحلتها بالوصف الدقيق للمناطق التي زارتها منذ قدومها إلى البلاد حتى رحيلها، وتفردت الكاتبة بمعايشة السكان والتعرف على كل الفئات الإجتماعية مقدّمة عرضاً دقيقاً مفصلاً وممتعاً عن الحياة الحضرية بالمدينة، ومن بينها وصفا مميزا للطريقة العيسوية ولروادها وطقوسها أثناء الإحتفال والحضرات.

1: الطريقة العيسوية في كتابات الرحالة الفرنسيين بين الصورة النمطية والميثولوجية.

كان الرحالة ينظرون بفضول للمجتمع المحلي ومنها الطريقة العيسوية، التي قدمها البعض في صور نمطية والبعض الآخر قدمها في شكل صورة ميثولوجية محضة، ونحاول رصد هذه الصور. فكان لها صورة النمطية في منظور بعض الرحالة الفرنسيين، وكان للمرابطين أثر كبير في المجتمع ويتمتعون بسلطة روحية خاصة ذوي الأصول الشريفة إذ مثلوا النبل الديني، وتمتع بعضهم بالقدسية

ويطلق عليهم "الغوت" أو "القطب" وبالمقابل ظهرت الطرق الصوفية والإخوان التي كان لها تأثير كبير في أوساط المجتمع، إذ إزداد عددها وتوجد منها المحلية المحضة ويزداد تأثيرهم يوميا ويتضاعف عدد مريديهم وأتباعهم¹، وتُبرز الكتابات الفرنسية إنتشار الطريقة وتوسعها وإحتواءها للمريدين ومدى تأثيرها على الأهالي وتصف المريدين بالمطيعين، ويقول الكاتب "نويلا" "Noëllat": "...تتمتع الطرق الصوفية بسلطة كبيرة... فالأهلي يتبع الطريقة ويطيع المقدمين ويشاورهم في أمور حياته وينصاع لأوامرهم بصورة كاملة..."²، وتأثير الطرق الصوفية على الأهالي دليل على مكانتهم وقوة الإرتباط بينهم. وإنتشرت الطرق الصوفية بالبلاد وكان في فترة الإحتلال الفرنسي على مستوى الجزائر 23 طريقة بفروعها و355 زاوية و22 شيخ أو مرابط و1955 كمقدم و849 شاوش و186.974 من الأتباع المريدين، وتأتي مداخيل الزوايا من الأتباع والرواد والحبوس والعطايا والصدقات وعطايا الزيارات³. وبذلك تعتمد الزوايا على مريديها في لتحصيل المداخيل التي تُؤمن نشاطها خلال السنة، فعقب الحصاد تبدأ الزاوية في جمع الزيارة والمحاصيل المتنوعة كالحبوب والزيت والزبدة والصوف والملابس والأغطية والحيوانات والأموال من مريديها وأتباعها⁴، ويقود الشيخ الطريقة ويليه الخليفة وهذا الأخير يساعده المقدم الذي يتكفل بإيصال توصيات شيخ الطريقة للإخوان عن طريق الرقاب أو الشاوش، أما المدرسين فهم تحت إمرة الشيخ أو المرابط وهذا التدرج في السلطة من الشيخ إلى الوكيل مروراً بالخليفة والمقدم⁵، وبالتالي نلاحظ أن للطرق الصوفية هيكلية خاصة يمثل شيخ الطريقة هرم السلطة ويتمتع بالسلطة المطلقة إذ يمثل خليفة ووريث مؤسس الطريقة، ويليه -كما ذكرنا- المقدم الذي ينحصر دوره في الإهتمام بالأوراد والحضرات ويليه الإخوان أو الأتباع وعددهم كبير ودورهم إتباع تعاليم الطريقة بقواعدها وأذكارها ودفع الزيارة وطاعة المقدم والشيخ، ويتمتع شيوخ الطرق بالذكاء والحنكة والورع وحسن المعاملة وهذا يظهر في تسيير الإخوان والتأثير عليهم، كما يبرز من خلال فرض النظام المتبع للطريقة وخدمة المجتمع، كما أنّ لعلمهم وخوارقهم تأثير على المريدين⁶، ولطالما كان لهم تأثير سياسي كبير وسلطة روحية وزمنية وشكلوا هاجسا لسلطات الإحتلال الفرنسي إذ شاركوا في العديد من الثورات، وصحيح أن بعض الطرق كالقادرية والتيجانية كانوا مسالمين لسلطات الإحتلال في حين كانت الرحمانية والسنوسية من الطرق التي حاربت الإحتلال الفرنسي بشراسة في الصحراء الوسطى⁷. وكان للطرق الصوفية تأثير كبير على الحياة السياسية فهم في نظر بعض المنظرين الفرنسيين كـ "كلاماجرون" "Jean-Jules Clamageran" السبب الرئيسي لإندلاع عدة ثورات كثورة 1871 الكبرى إذ

¹ Alfred Baraudon, Algérie Et Tunisie Récit De Voyage Et Etudes..., Op.cit., P.155.

² Noëllat, (colonel), L'Algérie en 1882..., Op.cit., P.71.

³ Ch.De Galland, Excursion à Bou-Saada et M'sila..., Op.cit., P. 67.

⁴ Noëllat, (colonel), L'Algérie en 1882..., Op.cit., P.73.

⁵ Ch.De Galland, Excursion à Bou-Saada et M'sila..., Op.cit., P.P.68, 69.

⁶ Alfred Baraudon, Algérie Et Tunisie Récit De Voyage Et Etudes..., Op.cit., P.P.156-157.

⁷ Ibid., P.158.

يقول: "...في السنوات الأخيرة إنتشرت الطرق الصوفية بشكل واسع وللأسف حاربتنا وكان لها دور كبير في ثورة 1871...، ويلتف حولها المريدين من مختلف الأطياف الإجتماعية... فهي سيطرت على الزوايا والجماعة في القرى، وسيطروا على العقول وإرادة الناس...¹، وبذلك يربط المُنظرين والمؤرخين الفرنسيين الزعماء الروحيين بالثورات والتمرد ويبحثون عن سبل للتحكم فيهم لبسط سيطرة الإحتلال على المستوطنة الإستراتيجية وذلك بإخضاعهم بجملة من القوانين القمعية أو التحالف معهم. فالرحالة الفرنسي "إيدموند دوئي" "Edmond Doutté" قدم العيساوة بأنهم معروفين لدى السياح الفرنسيين بفضل ممارساتهم وطقوسهم التي تجذب الزوار، ويواصل التعريف بالطريقة بالحديث عن التأسيس وشيخها "سيدي محمد بن عيسى" الذي مات ودفن في "مكناس" بالمغرب في القرن السادس عشر، وشكلت الطريقة مصدر قلق لسلطان المغرب في حين عند إنتقالها للجزائر كانت مسالمة فالطقوس التي يمارسونها تعتمد على أكل الزجاج وإدخال آلات حادة في أجسادهم وإحراق أنفسهم بالنيران وعض أنفسهم بالحيوانات السامة، ويرى أن هذه الطقوس مزيج من الدجل والشعوذة والتتويم المغناطيسي، ولا يوافق "إيدموند دوئي" كل ما يقال عن العيساوة ففي عرضه لرأي "روبار هودان" "Robert Houdin" الذي زار البلاد وكتب عن العيساوة، [وهو أشهر حاو فرنسي في القرن التاسع عشر وعرف بمجدد السحر الحديث وهو مخترع كل الخدع الحديثة] ففي إحدى مهامه الرسمية للجزائر إذ جاء لمعاينة العيساوة أقر "روبار هودان" أن عروض العيساوة تتدرج في فنون الشعوذة والخفة وإعتبرهم في مجملهم صادقين، وكان العيساوة منتشرين في كل الجزائر عدد مريديهم يزيد عن 3500 من الإخوان، وينتمي المريدين إلى الطبقات الدنيا من المجتمع وجزء كبير منهم من العمال والحرفيين كما هو الحال في تلمسان² بها أعداد كبيرة للمريدين والأتباع والرواد تجمع الطبقات الدنيا في المجتمع في فضاء الطريقة، وبذلك يمثل العيساوة ثالث أكبر طريقة في البلاد من حيث كثرة الإخوان والمريدين³، وهي من أهم الطرق الصوفية بالبلاد وبها أعدادا كبيرة من المريدين من كل فئات المجتمع خاصة الطبقات الكادحة الدنيا من عمال الجلود والخماسة وهي طبقة الأتباع الأكثر إنصياعا وطاعة. في حين رصد البعض الآخر من الرحالة الفرنسيين صورة ميثولوجية للطريقة العيسوية، وكانت صورة الطريقة العيسوية بحضراتها وطقوسها صورة مركبة ممزوجة بالفضول والخيال بل كانت جزءا أسطوريا في مخيلة الآخر الذي إرتحل زائرا للبلاد للتعرف على مجتمعها، وإنجذب بهذه الطريقة دون غيرها

¹Jean-Jules Clamageran, L'Algérie : Impressions de Voyages (17 mars-4 juin 1873) ; suivies d'une Etude sur les institutions kabyles et la colonisation..., Op.cit. , P.220.

²Edmond Doutté, Algérie, L'Islam algérien en l'an 1900, Alger-Mustapha, Giralt Imprimeur-Photographeur, 1900, P.P.73-74.

³Charles Brosselard, Les "Khouan": de la constitution des ordres religieux musulmans en Algérie, Alger, Imprimerie De A.Bourget, 1859, P.8.

وأورد هذا الجانب مجموعة كبيرة من الرحالة والكتاب الفرنسيين الذين أبرزوا الجانب الأسطوري للطريقة العيسوية وعرضوها من زاوية تاريخية بالحديث عن الشيخ المؤسس ووصف الطقوس الروحية للطريقة.

1. 1. الرحالة الكاتب "شارل كارثرون" "Charles Carteron".

إنبهر برؤية العيساوة في إحدى جولاته، إذ يقول: "... وفي تجوالي في الحي العربي لمحت تجمعا للأهالي في الظلمة فتقدمت منهم، ورأيت رجالا في حالة روحية محضة وعلمت أنهم "العيساوة" يجتمعون كل جمعة في حلقات روحية في المسجد، فإنضمت إليهم ودخلت معهم ونقلت المنظر وكانوا يقومون برقصات روحية على وقع الموسيقى، ثم إندمج بعضهم وكانوا يقومون بحركات تفوق الطبيعة فبعضهم يضع قضبان الحديد الساخنة في أنوفهم وبعضهم يبتلع الزجاج وبعضهم يبتلع الأفاعي بعد أن قاموا ببعضهم في مختلف مناطق الجسم وبعضهم يبتلع الجمر وبعضهم يرمون أنفسهم برصاص المسدسات، وكلما ازداد الألم إزدادت النشوة الروحية ونادرا ما يموت أحد أعضاء "العيساوة" من جراء هذه الممارسات ولا تفسير لهذه الحالة المرتبطة بالقوى الخارقة للعيساوة¹، وهنا يبدو الكاتب مبهورا ومندهشا ومعجبا بالطريقة ويطقوس حضراتها الغامضة والمثيرة والمشوقة والتي مثلت فرجة.

1. 2. الرحالة الكاتب "شارل جوردون" "Charles Jourdan".

أورد الرحالة جانب تاريخي أسطوري عن مؤسس الطريقة الذي تمتع بالكرامات وقضى وقته في العبادة في المسجد، ويقال أنه كان فقيرا ومتعبدا يكثر حمد الله والتكبير فرزقه الله الأبقار والمحاصيل والرزق الذي يجده أمام بيته حتى أنه يخرج دلو الماء ويعيده مملوءا بالذهب، وحضي بالكرامات والمعجزات والتف حوله المريدين والأتباع وشكل قلقا لسلطان المغرب "مولاي إسماعيل" الذي تصادم معه وأمره بمغادرة المدينة²، ونقل الآخر صورة أسطورية عن شيخ ومؤسس الطريقة مما يفسر البعد الأسطوري في تفسير طقوس العيساوة من طرف الكتاب الفرنسيين.

1. 3. الرحالة الكاتب "آلفريد بارودون" "Alfred Baraudon".

ينظر بعض الزوار الفرنسيين السياح "للطريقة العيسوية" على أنها طريقة غامضة، إذ يقول الرحالة "آلفريد بارودون": "...الكل سمع عن "العيساوة" وعن ممارساتهم وطقوسهم الغريبة فالبعض يراهم كالفديسين تحركهم أنفاس إلهية تحميهم من الآلام والبعض يعتبرهم قبس إلهي، وهي صورة سامية من

¹Carteron, Charles., Voulez-Vous Connaître l'Algérie, Tous les Usages des Arabes, Leur Vie Intime et Extérieure..., Op.cit., P.P.263-264.

²Charles Jourdan, Croquis algériens, Paris, A. Quantin Imprimeur-éditeur, 1880, P.P.280-285.

النسك والتصوف والزهد تجعل من المريد في حالة روحية خارقة للطبيعة الإنسانية...¹، ويواصل عرض لمحة تاريخية عن الطريقة بالحديث عن المؤسس ويرافق التوتنة بجانب أسطوري عن أصل التأسيس والحضرات، بقوله: "...وأسس الطريقة "سيدي محمد بن عيسى" الذي سكن مكناس بالمغرب الأقصى وعُرف بالكرامات، ومن كراماته أنه كان فقيرا وكثيرا ما يجد في بيته الأبقار ولما يجلب المياه من البئر يجد الدلو مملوءا بالذهب، وكان له قصص غريبة تحدث معه...، ويحكى أنه في "البيرم" أي "عيد الفطر" كان يحيط ببيته مجموعة من المريدين فخرج من بيته وأخبرهم أن الله يطلب تضحية بشرية فدخل أحد الإخوان المخلصين وسمع صراخه وسال الدم في الحي، ثم ظهر "سيدي عيسى" وطلب من مريديه تضحية أخرى فتقدم مريد آخر وتواصل تقدمهم حتى وصل عددهم إلى أربعين مريدا ضحوا بأنفسهم للشيخ ولكن لم يمت أي منهم، ويعودتهم أمر كل واحد منهم بذبح كبش واحتفالا بهذا الحدث تقام "الحضرة" وهي أساس هذه الفرقة والتي تتكون من أربعين عضو..."، ويرى الكاتب أنه من وجهة نظر دينية فهذه الطريقة لا تختلف عن بقية الطرق الدينية إلا بكونها تتميز بطقوس صوفية أين تندمج الروح الإنسانية وتسمو روحانيا في صور سامية، والمريد ملزم بالذكر إذ يؤدي ما يزيد عن ثمانية عشر مرة من الأذكار في اليوم وبعضها يتكرر حتى ومائة مرة، ويصف الحضرة والمسجد الذي يجتمعون به فهو بسيط جدا ويتوسطه الموسيقيين وفي جهة المحراب يوجد كبار الطريقة يجلسون على زريبة حمراء وبينهم شاب يرتدي لباس مميز، ويقابل الموسيقيين من الجهة المقابلة حوالي ثلاثين شخصا من مختلف الأعمار مجتمعين على طول خط واحد واقفين وأيديهم وراء ظهورهم متراصين يحركون أجسادهم ويضربون بأرجلهم وهم يرددون الأذكار، وبالتدرج تسارعت الحركات وبدعوا في تحريك رؤوسهم إلى الخلف والأمام وتسارع النسق وإزداد التهليل والتكبير والذكر، ثم انفصل أحدهم عن الحضور وكان يكبر ودخل حالة النشوة وتبعه مجموعة من المريدين، وكانت ترافقهم موسيقى القرب والطبل وبدأ بعضهم في المشي بأقدام حافية على أوراق التين الشوكي دون أن يشعروا بألمه وبعضهم في حالة روحية أكثر عمقا، وبعضهم يأكل الزجاج وبعضهم يغرس مسامير في أيديهم وأكتافهم، كما أنهم يلدغون أنفسهم بالأفاعي.....، ثم يؤشر لهم المقدم بالتوقف فيتوقفوا بعد أن يقبلون برنسه ويأخذ برؤوسهم بين يديه ويحدثهم، ثم إنتهت الحضرة وخرجنا...²، ونلاحظ أن وصفه دقيقا. والملاحظ أن الطقوس الدينية التي يؤديها العيساوة لطالما كانت لغزا محيرا للرحالة والكتاب الذين لم يستوعبوا تفاعل الجسد والروح وتجاهل الألم في الحضرات، فبعضهم عرض فكرة دراسة الألم لدى العيساوة في أبحاث علمية كما يقترح "بول أودال" إذ يقول في رحلته بالجزائر: "...كنت أحادث "الدكتور

¹ Alfred Baraudon, Algérie Et Tunisie Récit De Voyage Et Etudes..., Op.cit., P.306.

² Ibid., P.P.307-308, 309.

رينو " Le Docteur Raynaud" حول مقترحي، أعتقد أن دراسة طبية عن عدم إحساس العيساوة بالآلم مهمة جدا،...¹، وهنا يبرز إهتمام ودراسة الفرنسيين لكل الظواهر الموجودة في المجتمع المحلي.

1. 4. الرحالة الكاتبة "لويس ريجيس" "Louis Régis".

في حين الكاتبة الفرنسية المثقفة التي زارت البلاد "لويس ريجيس" "Louis Régis" أعطت صورة مغايرة للعيساوة فهي لم تنتظر لهم بقدسية أو تصوف وسمو ديني، إذ زارتهم وحضرت لفترة وجيزة إحدى حضراتهم في ليلة أول جوان 1880 بقسنطينة وتسرد الزيارة مع لمحة تاريخية عن العيساوة، إذ تقول: "...في الحادية عشر ليلا في حي عربي زرنا مسجدا صغيرا أين تقام مراسيم الإحتفال بالمولد النبوي الشريف،...المسجد الأول الذي نزلنا فيه تقام فيه "الطقوس المريعة" للعيساوة وهو غرفة كبيرة وبسيطة مضاءة بالشموع وبها أعلام معلقة في السقف، ويجلس المقدم وهو شيخ كبير في السن على زريبة في الأرض ووضعت شموع أمامه، وفي وسط الغرفة مجموعة من العيساوة يعزفون على آلات موسيقية في حين بقية المريدين يسبحون ويذكرون الله، وفي آخر الغرفة مجموعة من المريدين الشباب في صف واحد نزعوا أحديتهم وبرانيسهم وكانوا متراصين،...² ويقرؤون الأذكار بصوت مرتفع... والعيساوة معظمهم من أصول مغربية وعمال الجلود، يحضرون لحضراتهم بتدخين "الحشيش" مما يحدث لهم خلا في عقولهم أثناء أداء طقوسهم،...ويمكن إعتبارهم أقل تدينا بين المسلمين والأكثر ورعا، ينتقلون في الغرفة وينزعون الشيشان من رؤوسهم وتتدلى شعورهم على أكتافهم ويبدأون في الرقص الروحاني، وعندما يتهيجون يرمون أنفسهم أمام أقدام المقدم الذي يهدئهم بالمسح على أكتافهم والبعض الآخر يبتلع المسامير،...في حين يضرب على الطبل ويبخر المكان بروائح العطور ويأكل بعضهم الزجاج والحيوانات السامة في حين البعض الآخر يقطع جسده إلى نصفين بالسيف،...ثم إنسحبنا من تجمع المجانين هذا وكنا سعداء بالخروج إلى الهدوء..."، ثم تحاول إعطاء لمحة تاريخية عن الطريقة ومؤسسها الذي ترجع كما تقول إلى ثلاثة قرون ومؤسسها من أصل مغربي من مكناس³. والواقع أن "لويس ريجيس" ربطت الطريقة بالخرافة والبدعة والخروج عن الدين وإتهمت مريديها بالجهل والضلالة، وهي تفردت بهذا التصور بالمقارنة بغيرها من الكتاب الفرنسيين الذين كتبوا عن الطريقة. وبذلك حظيت الطريقة العيسوية بعدد الكتابات حولها وحول طقوسها، وعرف الكثير من الكتاب بها كمؤسسة دينية كان لها دور إجتماعي تضامني خدمة للأتباع الفقراء من الأهالي ودور سياسي في مواجهة الإستعمار إضافة إلى الدور الديني بكل جوانبه العقائدية والروحية كما كان لها دور إقتصادي.

¹Paul Eudel, Hivernage en Algérie..., Op.cit., P. 180.

²Louis Régis, Constantine voyages et séjours, Calmann Lévy éditeur, Paris, 1880, P.P.12-13.

³Ibid., P.P. 14-15.

2. الطريقة العيسوية ودورها في التعريف بالثقافة المحلية من خلال السياحة الكولونيالية.

في إعتقادي أن للطريقة العيسوية دور كبير في التعريف بالموروث الثقافي والفكري للبلاد من خلال طقوسها التي مثلت عامل جذب للزوار الفرنسيين من سياح وكتاب، شدهم التواصل الروحي للمريدين والقوى الخارقة التي ميزتهم في حضراتهم عن غيرهم من الطرق الأخرى، فكان الزائر يدرج حضور حضرة للعيساوة كبرنامج قار في رحلته للبلاد ورافق الدهول والإعجاب الحضرات على الدوام. وكان إندماج الطريقة العيسوية في الحركة الإقتصادية للبلاد، فمثلت ركنا هاما في الإقتصاد المحلي والترويج السياحي بإستقبالها للسياح والسماح لهم بحضور الحضرات الدينية إلى درجة تكيفهم مع الوضع الثقافي للبلاد وتميزت بتقديم عروض للحضرات في المسرح، كما نقل العديد من الرحالة الفرنسيين عروض العيساوة، ونقدم في هذا العنصر نماذج لبعضهم في مقنطفات مختصرة.

2. 1. الرحالة الكاتب "بول أودال" "Paul Eudel".

وهو من أشهر الكتاب الفرنسيين الذين كتبوا عن الجزائر في الفترة الإستعمارية وألف عدة مؤلفات تنوعت ما بين الرحلة في بوسعادة وما بين القاموس للحلي الجزائري وما بين التعريف بالبلاد في الفصل الشتوي، وفي كتابه "منتجع شتوي في الجزائر" "Hivernage en Algérie" يتحدث عن الطريقة العيسوية، وكتب عن إحدى عروضها التي حضرها، إذ يقول: "...في المسرح البلدي برمجت عروض يوم 13 فيفري بالعاصمة، منها مسرحيات وعروض رقص...، وعرض للعيساوة الذين كانوا ينتظرون دورهم في العرض وأحضروا معهم العقارب لإستخدامها في العرض، وكان يرافقهم مسؤول أخبره أن شيخ الطريقة منحهم الفضل بعدم الإحساس بالألم،..." ويواصل الكاتب وصف المشهد بقوله: "...أثناء العرض أدخل أحد المريدين سكيناً في وجهه ولم يتدمى، والآخر قضم الزجاج في فمه ولم يتأذى، وآخر أكل أوراق التين الشوكي ولم تؤديه الأشواك، وآخر ابتلع قطعة حديدية حادة ولم يحدث له أي شيء، وفي الأخير تقدم شيخ في عرض مميز إذ خلع الشاشية وملابسه وأمسك بشعلة وقام بها بحركات ومررها حول جسمه دون أن يتأذى..."¹، وهنا "بول أودال" رصد الصورة الخارجية للعيساوة دون ما يبدي تصويره الخاص حول الممارسات بل كان معجبا ومبهورا دون ما يقدم تفسير.

2. 2. الرحالة الكاتب "دو فونتراس" "Armand Trumet De Fontarce".

يقدم العيساوة عروض على الطلب للسياح والزوار القادمين في أوقات خارج العروض الدورية وهذا ما ينقله الرحالة الفرنسي "دو فونتراس"، إذ يروي طلبهم لفرقة العيساوة لأداء عروض إستثنائية لهم

¹Paul Eudel, Hivernage en Algérie..., Op.cit., P.P.167-170.

عقب قدومهم، إذ ينقل بقوله: "...لنستمتع بعروض العيساوة خاصة عند أكلهم للعقارب مثل الجمبري كان علينا التوجه للعيساوة قبل عرضهم الذي سيقام بعد ستة أيام، ولقد تعودوا على تقديم عروض خاصة...، ورغم أنهم يمثلون طريقة دينية تضحى بالنفس من أجل الدين والنبي فإنها لا تتردد في ربح الأموال بتقديم عروض طقوسهم مقابل الأموال للسياح،..." ويواصل سرد الحدث بقوله: "...وفي المساء كان كل السكان قد سمعوا أن أوروبيين قد طلبوا العيساوة في عرض خاص،...وتنقلنا مساء للزاوية التي سيقام بها العرض ووصلنا مكان العرض، ورغم أن العيساوة كانوا حاضرين في معرض باريس العالمي لسنة 1889 إلا أنهم كانوا أكثر تشويقا في عروضهم بالجزائر...، وكان في آخر القاعة الشيخ والمقدم،...وكان المريدين بسرراويل فضفاضة ومعاطف رمادية أو زرقاء وكانوا ينتظرون إشارة البدء، وبدأ العرض بضرب الطبول والتهليل والتكبير وبدأت الطقوس الغريبة بأكل الزجاج والجمر وإبتلاع آلات حادة دون التعرض للأذى¹، وهي نفس الصورة التي نقلها غيره من الرحالة الفرنسيين.

2 . 3 . الرحالة الكاتب "إميل ماسكوري" "Émile Masqueray".

تكرار لعروض الحضرات العيساوية بالطلب يرصد كاتب آخر عرض العيساوة المتنقل، ونعرض رحلة الكاتب الفرنسي "إميل ماسكوري" التي تعتبر من أهم الرحلات التي رصدت الحياة الاجتماعية في البلاد، ومثلت كتاباته عن الجزائر المستعمرة مصدر هام من كتابات الرحلة، وأنهى كتابه عام 1892، وفي رحلته للصحراء إستضافه "الحاج محمد" ورافقه "مسعد" بعد ما تلقى خبر بعبور مجموعة من العيساوة يفوق عددهم العشرين مريدا يمرون عبر "عمورة" باتجاه "مسعد" في نواحي "المسيلة" فرافق "ماسكوري" "الحاج محمد" لمدينة "مسعد" أين تقام حضرة العيساوة وإنضم إليهم، وكانوا مرفوقين بآلاتهم الموسيقية وآلات العرض والحيوانات السامة التي تستخدم في العرض، وعند وصولهم كان الناس ينتظرونهم عند أطراف القرية في حي قديم وكانوا متجمعين رجالا ونساء وأطفالا، وجُهِز المكان لإقامة العرض وأشعلت النيران وأحضرت الآلات الحادة والفؤوس والسيوف وأكياس الأفاعي والعقارب والطبول²، وبدأ العرض بالذكر والتهليل والتكبير يصاحبه الضرب على الطبول في حين قام أحدهم بتسخين الآلات الحديدية، وبدأ بعض المريدين يندمجون في الحضرة ويهللون مع الذكر ويدخلون مرحلة اللاوعي والروحانيات، كما بدأ في إستخدام الآلات الحديدية المسخنة في النار وغرسها في صدورهم وأكتافهم وأيديهم ويغرسونها حتى الرقبة ويطنون بأقدامهم على الجمر ويحملونه في أيديهم ويأكلونه، ثم إنضم البقية تباعا ثم رميت لهم السكاكين والآلات الحادة وأوراق التين الشوكي المملوءة

¹Armand Rumet de Fontarce, Souvenirs d'Afrique, Algérie, Tunisie. Mission officielle, journal de voyage..., Op.cit., P.P. 112-113,116-117,120.

²Émile Masqueray, Souvenirs et visions d'Afrique..., Op.cit., P. 143.

بالأشواك، وفتحت كذلك أكياس الحيوانات السامة وكان العيساوة يأكلونها ويغرسون الآلات الحديدية الحادة الساخنة في أجسامهم دون التأذي إلى درجة أن مرید آخر يغرس السيف في بطنه ولم يحصل له أي شيء بل وقف مهللاً ومكبراً بنصر الله، وآخر إستل عينه اليمنى وتنقل بين الحضور حاملاً إياها بيده ثم أعادها مكانها وآخر غرس سكيناً في جسده وآخر غرس آلات حديدية في جسده ولحق سيفاً ساخناً، وينقل "إميل ماسكوري" صورة المتفرجين على العرض من الناس إذ كانوا هادئين حتى الأطفال منهم رغم قربهم من الحيوانات السامة إلا أنهم لم يتوجسوا منها بل كانت ثقتهم كبيرة بالعيساوة الذين إقترب أحدهم وأكل العقرب الذي كان قريباً من المتفرجين، وكان الشيخ يحتضن المریدين ثم ينهضون أصحاء دون أذى، وتواصلت الحضرة بدخول المریدين وإستخدامهم للآلات الحادة والسيوف وتواصل التكبير وأنتهى المنظر بالنسبة "لماسكوري" بالرعب والخوف وإضطّر للخروج من الحضرة بعد رؤية الطقوس الغريبة التي تفوق الطبيعة¹.

2 . 4. الرحالة الكاتب "هنري دروي" "Drouet Henri".

كذلك يصف الكاتب الرحالة الفرنسي "هنري دروي" المساهمة الإقتصادية النشطة للطريقة العيسوية في الحركة السياحية بالبلاد، خاصة مع إزدهار الوضع الثقافي إذ كانت تقام الإحتفالات والعروض الترفيهية بكثرة في الجزائر، وكان إندماج العيساوة لافتاً للأنظار فهم كانوا في شراكة مع كل الجمعيات الثقافية والسياحية الناشطة في البلاد، فمثلاً عند تنظيم فرع الجمعية الجزائرية لنادي التسلق إحتفالاً بقدم أعضاء فرنسيين، إستأجروا العيساوة لتقديم عرض لطقوسها وترافقها وصلات رقص ويضيف "هنري دروي": "...وبكوننا سياح لنا الإمتياز بحضور الحفل الذي أقيم في بيت عربي كبير فإمتلاء المكان بالمتفرجين إذ تجمع الرجال في الساحة متراسين ببعضهم البعض أما النساء فجلسن بقرب الراقصات في باحة الطابق الأول، في حين بعض المتفرجات الأخريات من الزنجيات والحضریات كن متراسات في الغرف التي تطل على ساحة البيت، وتجمع الموسيقيين فوق زرابي وكونوا نصف دائرة وبدأوا العزف بست طبول وقيطارتين وربابين وكانوا ينشدون أثناء ذلك، وبدأ العرض برقص رجلين بتحريك رؤوسهم يمينا وشمالا وبعد بضع دقائق فقط بدأ في الغوص في الروحانيات..."²، ثم بدأ الرحالة في سرد حضرة العيساوة في محاولة لفهم ما يحدث وتفسيره وأضاف: "...وقدم لهم أحد الأتباع أوراق التين الشوكي لأكل أشواكه والعقارب،... ثم تقدم آخر وثقب خده وأذنه بإبرة ولم يتدمى... وبعضهم يلعب بالنار ويأكلون الجمر ويشعلون النيران في أجسادهم دون ما يتأذون ثم تقدم آخر وبتر بطنه بالسيف دون ما يتأذى لقد إعتقدنا أنه قطع نصفين لكن لم يحدث له

¹Émile Masqueray, Souvenirs et visions d'Afrique..., Op.cit., P.P.154, 156-159, 161-162, 165.

²Drouet Henri, Alger et le Sahel, Paris, Librairie Hachette et C^{ie}, 1887, P.P.127-128.

شيء حتى أثر الجرح لم يترك على جسده، وكان ذهول المشاهدين كبيرا إلى درجة الغثيان وفقدان الوعي من شدة عنف المناظر، وهو يعتقد أنهم لاعبي خفة لهم مهارات في الخداع البصري¹...".

2. 5. الرحالة الكاتب "إدوارد دالاس" "Édouard Dallès".

يقدم "إدوارد دالاس" الطريقة على أنها غير مهتمة بالحياة السياسية، ويعتبر عروضهم جماهيرية ينظر لها العرب على أنها عروض للتسلية أكثر منها عروض دينية، والملاحظ أن ألعابهم البهلوانية لا تتغير لكنها تجذب الأهالي دوما وينقل الكاتب عرضا خاصا أقيم خصيصا للكاتب والرسام الفرنسي المشهور "ثيوفيل قوتيي" "Théophile Gautier" الذي زار البلاد، ويضيف "إدوارد دالاس": "يجب أن ننقل لوحة سامية عن طقوس العيساوة التي أقيمت "لثيوفيل قوتيي" وكان العرض في مزرعة "جيرواو" "Gerouaou" قرب البلدة سنة 1845 في بيت قايد إحدى قبائل المتيجة، وكان العرض بحضور "القائد بورباكي" "Le commandant Bourbaki" و"ثيوفيل قوتيي" هذا الرسام والكاتب المميز، وبدأ العرض بوصلة موسيقية أدتها الفرقة تحية للحضور وكان العزف مميزا، وكانت ساحة العرض واسعة ومضاءة بشموع ومصابيح...، وكانت نسوة القبيلة مصطفات على الأسطح لمتابعة العرض من بيوتهن...²، ثم يواصل الكاتب وصف العرض برصده للعيساوة إذ يقول: "...العيساوة كانوا متجمعين بعدد ثلاثين من الإخوان يحيطون بالمقدم، والذي بدأ المديح بصوت متوازن مع ذكر الأذكار الخاصة بالطريقة ويعيد معه الإخوان وترافقهم ضربات الدريوكة بالتدرج، وبدأت النسوة في الزغردة مما زاد من حماس العيساوة الذين بدأوا في رفع أصوات الذكر والمديح وتسارع تواتر الطبل، وبدأ العيساوة في تحريك رؤوسهم بتسارع وتغيرت تعابير وجوههم وبدأوا في الإنزماج وفقدان الوعي والسمو الروحي يرددون التكبير والتهليل بالمناداة على الله بقولهم: "الله الله"، وتزايدت تسارع ضربات الطبل ومعها إشتد إنزماج العيساوة... ثم بدأ العرض أحد أفراد العيساوة وله مكانة رفيعة في الطريقة وكان في حالة روحانية سامية أين انفصل الجسد عن الروح وتسمو الروح في حالة نشوة روحية...، ووصل العيساوة حالة النشوة الروحية لآداء طقوسهم...³، وفي وصفه للطقوس نلمس إعادة بناء تاريخهم الميثولوجي عند طلبهم من المقدم الأكل فيأمرهم بأكلهم السموم من الأفاعي والعقارب، وهذا ما ترويه أسطورتهم عن شيخ الطريقة "سيدي محمد بن عيسى" الذي أمر أتباعه ومريديه بأكل السموم ولم يتأذوا، فطقوسهم في تصوري مرتبطة بإرثهم التاريخي والمحافظة عليه بإعادة إحياءه، فهو كالتأريخ الحي الدائم في

¹Drouet Henri, Alger et le Sahel, Op.cit., P.P.129-130.

²Dallès, Édouard, Alger, Bou-Farik', Blidah et leurs environs : guide géographique, historique et pittoresque..., Op.cit., P.P.99-101.

³Ibid., P.P.102-106.

صورة متتابعة لحفظ موروّثهم الثقافي والحضاري وحفظ تاريخ طريقتهم، وهذا ما تؤكده شهادة الكاتب الفرنسي "إدوارد دالاس" الذي ينقل الطقوس بهذه الجزئية، إذ يقول مواصلاً: "...بعد إنزماج الإخوان يتقدمون من المقدم ويطلبون منه الأكل، فيأمرهم بأكل الحيوانات السامة من أفاعي وعقارب ويقدمها لهم فيأكلونها دونما تردد بل بلذة كبيرة،... وأنا أنقل الطقوس بموضوعية وواقعية،... ثم يقومون بلعق فؤوس ساخنة أخرجت من أكوام النيران، ويأكلون الجمر وبعضهم يبتلع الزجاج المهرّوس في الكسكس كما يأكلون أوراق التين البربري بأشواكها، وكانوا مندمجين في طقوسهم مع التهليل والتكبير كما كانوا يصوبون الرصاص لأجسادهم العارية دون التأذي، وكانت تشجيعات النسوة وزغاريدهن نعم المكان... ثم تم التضحية بكبش في الساحة وإتهامه العيساوة نيئاً...، وإستمرت الحاضرة قرابة ساعتين...، بعد هذا الجهد فرش العيساوة الأرض وناموا جميعاً من شدة التعب...¹، وهذه صورة تفوق الطبيعة عن العيساوة الذين يتميزون بهذه الممارسات والطقوس في حضراتهم، وكانت محل جذب وإهتمام من الآخر والملاحظ عن هذه الطريقة هو التميز في الجمع بين الدين والروحانيات والنشاط الإقتصادي.

ب. القديس أوغسطين والسياحة الدينية.

حضيت بونة بعديد الكتابات التي إعتبرتها معلماً حضارياً في المنطقة وإرثاً ثقافياً إنسانياً وعالمياً تجسد في معلم المدينة والبلاد في التاريخ القديم وظل حاضراً عبر الفترات حتى وقتنا الحاضر "القديس أوغسطين"، هذه الشخصية المحلية ذات البعد الإنساني والعالمي قدمت إضافات عديدة في الفكر الديني والفلسفي وأهم نظرية هي فكرة حركية التاريخ الدائمة من بداية الخلق إلى نهايته، وحضي بدراسات عالمية ومحلية².

1. القديس أوغسطين وطريق الحج إلى هيبون.

كانت الرحلات الدينية من أهم نتائج الإحتلال إذ بدأ في القيام برحلات الحج بصفة دائمة إلى الآثار المسيحية بالمستوطنة وبصفة خاصة قبر "القديس أوغسطين" بهيبون، وهذا ما يبينه خطاب "الكاردينال لافيغري" في إفتتاح مؤتمر الجمعية الإقتصادية والإجتماعية بباريس في 13 جوان 1889، إذ أكد على العدد الكبير لهذه الرحلات في حديثه على مدى التأثير الفرنسي في المستوطنة وتعمق فرنسا

¹Dallès, Édouard, Alger, Bou-Farik', Blidah et leurs environs : guide géographique, historique et pittoresque..., Op.cit., P.P.107-109,111.

² كنت إقترحت شخصياً موضوع "القديس أوغسطين بين السلطة الرومانية والمجتمع المحلي" كموضوع مذكرة تخرج
 ماستر 2 في قسم التاريخ الموسم الجامعي 2010/2011 بجامعة عنابة، وتم المحافظة على العنوان بحذافيره في
 رسالة دكتوراه الطور الثالث بجامعة قالمة في الموسم الجامعي 2017/2018.

في دواخل البلاد، والدليل كما يقول ليس فقط ذكريات الرحلات إلى الأماكن المقدسة لآداء الحج بل كذلك رحلات المنجذبين بسحر الشرق والمتأثرين بتيار المستشرقين إلى المستوطنة التي أصبحت طريقا للحج¹، ورصدت طريق رحلات الحجاج تاريخ المنطقة الحضاري والحياة الاجتماعية والموروث الثقافي مما يضفي أهمية علمية لهذه الكتابات التي توثق للمنطقة، ومكنتنا من تكوين صورة عن "القديس أوغسطين" والمكانة التي حظي بها وصورته في عيون الرحالة الفرنسيين وكيفية رصدها، كما نتبين مدى دقة وموضوعية كتاباتهم التي بينت مساهمة رحلات الحج إلى هيبون في التعريف بالقديس ومدينته وتأثير هذه الرحلات، والأساس هو تثمين الموروث الثقافي المحلي والتأريخ للمدينة والمنطقة. ولطالما تميزت العبادة والشعائر الدينية لمسيحيي إفريقيا وتمتع علمائها ومُنظريها في الديانة المسيحية بشهرة كبيرة ك: "ترتيليون" "Tertullien"، "القديس سيبريون" "Saint Cyprien"، "القديس أوغسطين" "Saint Augustin"، "القديس فيلجنس" "Saint Fulgence"، "النُصب التذكاري لعبادة مريم العذراء" الذي يرجع للفترة القديمة، والتمثال الذي يعود للفترة القديمة لمريم العذراء الذي وجد بقرطاج وشهادات المؤرخين وكتاباتهم كالمؤرخ "بروكوب" و"النصب الثلاث" التي أنشأت لمريم العذراء في إفريقيا في عهد "الإمبراطور جوستينيوس"، فكانت إفريقيا أرضا للحج تستقطب جموع الحجاج المسيحيين كالحج إلى "السيدة الإفريقية"، ومسيحيي إفريقيا قديما كان لديهم رجال دين معروفين² ك "القديس أوغسطين" ويُوصف بأنبل شخصية في شمال إفريقيا، ولد بتاقاست ودرس بمادور ثم قرطاج مكث بإيطاليا عاد إلى أفريقيا عام 388م، وألف عدة كتب وواجه فكرا في كتاباته المانويين والدوناتيين بصفة خاصة³. كما تركز هذه الدراسات على إنتشار المسيحية في البلاد شمالا وجنوبا، ففي أقصى الجنوب يذكر "الأب لويي" "Charles Loyer" أن المسيحية إنتشرت في المناطق الجنوبية حتى في منطقة الطوارق وكان يُطلق عليهم "مسيحيي الصحراء"⁴، والمعروف أن الإستعمار أرسل بعثات تبشيرية لهذه المناطق. ففي بداية الفترة الإستعمارية عمل الإحتلال الفرنسي على ربط المستوطنة الجديدة بالميتروبول، وكان المرسوم الملكي لـ 22 جويلية 1834 بمثابة الربط السياسي الرسمي، وواكبه جهود كبيرة للربط الديني والثقافي من خلال البعثات الدينية والآباء البيض الذين تشبثوا بفكرة إحياء المسيحية وربط شمال إفريقيا بالإرث الروماني العرقي والديني، ومنذ القرن الثاني للميلاد أصبحت إفريقيا رومانية فإنتشرت

¹Georges Picot, Le cardinal Lavigerie et ses œuvres dans le bassin de la Méditerranée et en Afrique : discours prononcé, le 13 juin 1889, dans la séance d'ouverture du congrès de la Société d'économie sociale, Paris, Au secrétariat de la société d'économie sociale, 1889, P.2.

²Le Cardinal Lavigerie, Notice sur le pèlerinage de Notre-Dame d'Afrique à Alger, Alger, E.Gaudet, (2e éd. revue, corrigée et augmentée), 1924, P.P.15-16.

³Ernest Mercier, Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830), T1, Paris, Ernest Leroux éditeur, 1888, P.141.

⁴Loyer, Charles, Les Touaregs, Paris, Benjamin Duprat, 1863, P.16.

المستوطنات الرومانية في كامل إفريقيا، وكانت الطرق مبلطة وازدهرت المراكز السكانية وتغلغت الفرق العسكرية الرومانية حتى أعماق الأطلس والمناطق الداخلية¹، وحافظت الآثار الرومانية من معالم ونصب ومعابد على خصائصها المعمارية خاصة الكنائس الصغيرة في المناطق الريفية بكل خصائصها²، وحاول المنظرين والسياسيين الفرنسيين إستغلال هذا الإرث الحضاري خدمة للإستعمار.

2. رحلة حج الرحالة الكاتبة Mme Marie Noël إلى هيبون.

من أهم رحلات الدينية لهيبون رحلة حج الكاتبة الفرنسية "ماري نوال" وترصد مسار الحج وصورة القديس لدى الحجاج، وتركز على الصورة النمطية المرتبطة بإفريقيا الرومانية في محاولة لإسقاطها على نموذج الجزائر الفرنسية، إذ قبل وصفها لرحلة الحج رصدت بذاتية مؤشرات عن المجتمع المحلي وتقلت بين الفترات لتركز على صورة "الملك النوميدي يوغرطة" المُنهزم والمكبل من طرف "القائد الروماني ماريوس" المُنْتصر، ثم تعرض فترة "القديس أوغسطين" وجانبها من حياته وآثاره لتعود إلى الفترة الوندالية التي قضت على "القديس" وفتحت باب الإضطهاد بين الطوائف المسيحية بعد سيطرة المذهب الأريوسي وإضطهاد الكاثوليك، لتعرج على الفترة البيزنطية "المنقذة" وتنتهي بالفترة الإسلامية أين تواصل الكاتبة سردها بذاتية بعيدة عن الكتابة العلمية محاولة تركيب صورة مُستهجنة عن السكان المحليين وعن دينهم الإسلامي، فمن خلال رحلتها نستنتج المكانة الكبيرة "للقديس أوغسطين" بين الحجاج فهو المخلص ويمثل القاعدة الروحية للعقيدة المسيحية بين الأتباع المؤمنين وقامت برحلتها الأولى في فصل الربيع من شهر مارس وكانت متحمسة تبحث عن الروحانية بين آثار "القديس أوغسطين" ومثلت لها رحلة حج أهمية كبيرة، إذ تقول: "...مكثت ساعات بين الأنقاض المقدسة، وجلست بين ظلالها أكتب هذه الملاحظات عند قبر القديس أوغسطين، أين كتبت هذه الصفحات، بالنسبة لي هي ذكريات عزيزة قضيت خلالها عزلة مقدسة بين السماء والأرض،..."³، من خلال هذا التقديم تبرز الأهمية الكبيرة لرحلة الحج لكل حاج يتوجه لآداء رحلته الدينية في "هضبة هيبون" التي يرقد في أرضها "القديس أوغسطين"، وتبدأ الرحالة الوصف بالمدينة "هيبون" وآثارها الرومانية أين يرقد القديس بالهضبة المغطاة ببساط أخضر وتنتشر بها الحشائش والشجيرات الصغيرة

¹P. Mauroy, Question d'Alger en 1844 ; précédée d'un précis de la domination romaine dans le nord de l'Afrique, et suivie d'un appendice sur le commerce de l'Algérie avec l'Afrique centrale; Paris, Imprimerie de J.B Gros, juin 1844, P.12.

²Comité des travaux historiques et scientifiques (France), Recherche des antiquités dans le Nord de l'Afrique : conseils aux archéologues et aux voyageurs / instructions adressées par le Comité des travaux historiques et scientifiques aux correspondants, Angers, imprimerie, A. Burdin et c^{ie}, 1890, P.154.

³Mme Marie Noël, Pèlerinage à Hippone, Limoge, F.F.Ardant Frères, 1869. P.P.5-6.

وتجري بها الأودية، إذ نجد بالمنطقة سهول خصبة وتحيط بها تلال بمناظر خلابة، وترى الكاتبة أن المدن الساحلية تتميز بمناظر طبيعية جميلة كالعاصمة "التي نصل إليها مسرورين ونغادرها بحزن" كما تعبر عنه، وكذلك وهران وفيليب فيل-سكيدة-ومستغانم وغيرها بها مظاهر طبيعية جميلة يُعجب بها الزوار وتترسخ في ذاكرة الساعات الأولى للوصول للبلاد لدى الزائر المنهك من تعب السفر صور متعددة ومتدرجة من الأفق الواسع إلى صور محددة كأسطح المنازل الحضرية المتراسة وأشجار البرتقال في الحدائق وصورة الميناء الممتلئ بالناس وما يميز المنظر قوراب صغيرة يقودها بحارة مالطيين¹، وتواصل الكاتبة رصد صورة المدينة سواء الجانب الطبوغرافي أو البشري أو العمراني والأثري كذلك، فعند الوصول إلى "هيون" نجد التلال تغطيها أشجار الزيتون التي ترتفع عاليا في السماء وتصل تموجاتها إلى غاية البحر، وفوق هذه التلال بنيت مدينة "بالقديس أوغسطين" وتطل الشمس على هذه "المدينة النائمة" وتحيط بها الأشجار المثمرة وتملاً رائحة أزهارها الزكية كل المكان. وتسرد قائلة: "...كان ضجيج القوراب يرتفع من المدينة "بونة" التي بنيت حديثاً غرب آثار "هيون" وترتفع المدينة تحت السماء الأزرق وتقع القصبه فوق التلة، ويطلق عليها سكان المدينة بلاد العناب التي دخلتها فرنسا يوم 26 مارس 1832 وإشتهرت الهضبة التي كانت تحيط بها بالخصوبة، ورغم أن المدينة قسم منها محلي وقسم فرنسي فهي راقية وأصيلة وتوجد قرب المنازل العربية القديمة مساكن ومبان وسبالات مبنية ضمن المعايير المعمارية الحديثة..."، وهنا إشارة إلى التغيير العمراني الذي حل بالمدينة بسبب الاحتلال، وتتحدث الكاتبة عن السكان برصد المظاهر الثقافية والاجتماعية والنشاط الإقتصادي، خاصة "السوق" الذي حظي بصورة جذابة لدى الرحالة الفرنسيين الذين إنبهروا بالمنتجات الفلاحية كالخضر والفواكه المحلية، وتواصل وصفها بقولها: "...في هذه الشوارع المبلطة حديثاً والمملوءة بأشخاص من كل أنحاء العالم، تجد الفرنسيات بزيهن الأوروبي والحضريات بالحاك من الموسلين الأبيض والمالطيات بزيهن الخاص واليهوديات بلباسهن التقليدي وكن يخبئن رؤوسهن تحت المجوهرات لأن التلمود يمنعهن من كشف رؤوسهن،...والفرنسيين من عسكريين وضباط،... والبدو بلباسهم التقليدي وكانوا يغطون رؤوسهم بالشاش أما الحضر فيرتدون برانيس وبأيديهم مروحة من الريش والتي لم يتغير شكلها منذ وقت "حسين داي"²..."، وما شد إنتباه الرحالة في حياة المدينة صباحاً هو السوق إذ تزامن يوم إقامته مع جولتها في أحياء المدينة، وعبرت عن إنبهارها بالمشهد ووصفته بالمنظر الفريد الذي لا ينسى وتصور المشهد بقولها: "...وبما أننا في الصباح عشنا منظراً لا ينسى إذ كان وقت السوق إنه عرض فريد بالنسبة لنا،...منهم عرب من الصحراء بلباسهم وجمالهم مُحملة بحمولات من القمح رابطة أمامهم،...غيرهم يبدون فقراء يبيعون الدواجن والزبدة وفواكه الجبل المجففة ولا يتكلمون الفرنسية بتاتا كلغة منفصلة بل يتحدثون بعدة لغات ويتواصلون جميعاً، والتجار

¹Mme Marie Noël, Pèlerinage à Hippone..., Op.cit., P.P.7-10.

²Ibid., P.P.12, 13,14.

يتبادلون الحديث مع المارة ومنهم المالطيين بكل فئاتهم،... وما أذهلنا وفرة وتنوع السلع وثراء البلاد إذ تجد أهرامات من الفواكه وSlال الخضر وأكاليل العناب،... هذه البلاد الثرية أين تنتشر في المروج بساتين البرتقال والليمون الذي يشع لونه الذهبي في إنسجام مع لون قطيفة السلال الأخضر، والتمور والرمال والبطيخ المصفوف بإنسجام على الأرض، وكانت رؤية المتجولين في السوق من السكان تجذب الفضول وكانوا يحاولون المارة لشراء سلهم¹، وهذه معلومات ثرية رصدتها الكاتبة عن النشاط الإقتصادي والإنتاج الزراعي لسكان المدينة والمناطق المجاورة لها، كما أنها رصدت حيثيات دقيقة من الحياة الإجتماعية والدينية كالآذان والمؤذن وقاربت بين المسلمين والمسيحيين في العبادات كآداء الصلاة، فهي أشارت للآذان وصوت المؤذن المميز وسمعت أول مرة فاستعلمت عنه وعن وظيفته وكانت تشاهد منارة المسجد من النزل الذي كانت تقيم فيه، فوصفت شكل المؤذن وكان يضع شاشا وشبهته بالقصص الشرقية القديمة، وأضافت أن المؤذن يتواجد في كامل تراب الجزائر فأينما يكون المسجد يكون المؤذن حتى في المناطق التي لا توجد بها مساجد يجتمع الناس للصلاة في ساحاتها بعد آذان الصلاة، ثم إنطلقت هي الأخرى للصلاة في الكنيسة والدعاء..."، وهنا نلمس جهل الكاتبة بتعاليم الدين لإسلامي التي يبدو أنها تتعرف عليها أول مرة بمجيئها للجزائر، وبعدها تصف بإسهاب رحلة الوصول إلى هيبون لآداء الحج إلى قبر القديس، وقدمت وصفا دقيقا ومفصلا ساهم في التعرف على طبيعة المكان وغطاءه النباتي والزراعات المحلية المنتشرة في المنطقة والثروة الحيوانية، إذ أسهبت في وصف المنطقة بتعابير شاعرية من الطبيعة إلى الآثار العمرانية للمدينة الأثرية "هيبون" وبالتالي كان لتوثيقها لعمران المدينة وسكانها دور في التأريخ المحلي برصد مجموعة صور متنوعة. وتضيف بقولها: "...في اليوم الثاني من وصولنا ذهبنا إلى "هيبون" فخرجنا من "بونة" مشيا على الأقدام تماما كالحجاج الحقيقيين وسلطنا طريق طويل وسط حقول ومزارع الأوروبيين وكانت الحرارة مرتفعة في المكان، لكن الجو كان منعشا يذكركنا بربيع فرنسا ونسيم البحر يحمل معه رائحة البرتقال والليمون التي تلطف من حرارة الجو،... ويوجد بالمكان نهر صغير يسمى "البوجيمة" "La Boudjima" يجري على حواف الطريق وتنمو به شجيرات الدفلى وتمنح المكان منظرا جميلا،... ويزيد المشهد إنتشار المروج في السهول والمرتفعات والتلال ويكسوها بساط أخضر يذكركنا بأيام الربيع والسافانا الموجودة في العالم الجديد...."²، وبالتالي فالكاتبة أعجبت بالإخضرار الذي يغلب على المشهد وكان للعالم الجديد تمثيل متكرر في المستوطنة شمالا وجنوبا من قبل العديد من الرحالة الفرنسيين، ثم تنتقل صورة الرعاة بالمنطقة بقولها: "...نرى من بعيد أعداد كبيرة من المواشي ترعى في المكان وكان الراعي يرتدي برنس،... وتنتشر حقول القمح والشعير والخضر والمراعي والمروج المزروعة التي تغطي الهضبة وتبدو على طول النظر وكأنها فراشات متوضعة، وتظهر بالمكان أزهار الفول البيضاء

¹Mme Marie Noël, Pèlerinage à Hippone..., Op.cit., P.P.15-17.

²Ibid., P.P.18-19, 20.

والسوداء التي تزين المنظر،...ومن وقت لآخر نلمح البدو الرحل في الهضبة ومن بعيد خيال الخيالة العرب الذين يظهرون ويختفون من بعيد كنعامات الصحراء،...¹، ثم تتقلنا لوصف آخر إرتبط بالموروث الثقافي والفكري والحضاري للمنطقة ويصب في الأنثروبولوجية الدينية والثقافية وخص النساء بصفة خاصة، إذ رصدت المرأة المحلية بصورة مميزة ومنفتحة على الآخر وملتزمة بعاداتها وتقاليدها، بقولها: "...ومنذ لحظات في طريقنا صادفنا بناء صغير أمامنا، بني بطريقة غريبة تبدو الشمس معلقة من خلاله مركب من صفائح بيضاء ولامعة، وعند مدخل هذا البناء تقف الحضريات بلحافهن الأبيض من نسيج قطني ناعم-الموسلين-وبقربهم عجوز عربية تحضر طبق الكسكس التقليدي وتتحدث اللغة الفرنسية بطلاقة إذ تبادلوا معها الحديث...، وهذا البناء المميز هو قبر مرابط وكانت النسوة في زيارة للقبر وحضروا غذائهم بالمكان، وكانت العجوز تشرح للحجاج الفرنسيين العادات، أما النسوة الحضريات فكن صامتات وخجولات يغطين وجوههن بالحايك،...وغير بعيد عن القبر مررنا على واد "بوجيمة" وهو جسر روماني قديم معاصر للفترة الرومانية ورُمم بطريقة غير لائقة...ومثل هذا الجسر للرحالة قدسية كبيرة إذ تعتبره عايش كل الأحداث ومر من خلاله القديس عديد المرات فهو يحمل بصماته،...وتحت أعمدة الجسر يأخذ العرب قيلولتهم أمامهم جمالهم،.... ومنظر حقول القمح والطيور التي تملأ المكان والسفن تذكر بالقرى الفرنسية...، وتضيف معلومات حول المدينة الأثرية "هيون" وكذلك النصب الديني للقديس وتصف المكان بدقة كبيرة ومسار الحج، إذ تكتب: "...بعد عبورنا جسر "بوجيمة" وصلنا إلى موقع المدينة "هيون" التي تتميز بغطاء نباتي متنوع من نباتات وأشجار وتحيط بالطريق المؤدي للثلة أشجار الزيتون التي تضيف رونقا على الطريق، أما المكان فبعد دفن رفاة القديس سنة 1842م يزه النصب وهو بسيط به المذبح من الرخام الأبيض والعارضة دائرية وتمثال من البرونز محاط بسياح، وكان لنصب هذا التمثال بين آثار هيون أثر كبير فهو يسيطر على الهضبة ويطل على البحر ويحمي المدينة النائمة،....وتنتشر أشجار الزيتون حول النصب وكان الحجاج يأخذون أكاليل وحبات الزيتون،...وتنتصب آثار كثيرة لهييون وبقايا أثرية أخرى قرب البحر كذلك ويعتقد الحجاج أن هذه الأسوار تمثل بقايا كنيسة السلام المشهورة التي كان القديس أسقفا لها لعدة سنين،....وإنتشر بالمكان نبات الصبار والتين ونبات الآس العطري والمصطكي ونجيل الهند العطر والعناب وغيرها من النباتات التي تملأ المكان، وكان المكان مذهلا إذ نلمس إنسجام المظهر البري وثرأ حدائقه من النباتات والأشجار والشجيرات والحشائش المتنوعة التي تميز المكان إضافة إلى خصوبة التربة،...وكانت منازل الحضر بيضاء اللون يعلوها القرميد وهي ضيقة ويقابلها البحر بزرقته ونسيمه اللطيف، وهذا من عظمة الخالق....²، وتواصل الكاتبة السرد الذي جمع عدة صور عن المدينة والسكان في مسار رحلتها وحجها وتصف الإحتفال بيوم القديس وتقدم صورة عن

¹Mme Marie Noël, Pèlerinage à Hippone..., Op.cit., P.21.

²Ibid., P.P. 22-26,27, 30-32,35-36.

المدينة التي فقدت الهدوء في هذا اليوم لكثرة وفود الحجاج إليها، إذ تقول: "...يوم 29 أوت عيد القديس فقدت فيه ريوه هيبون هدوءها وأصبحت مكتظة بالحجاج في ذهاب وإياب، وبدأ الإحتفال بإحياء التضحية المقدسة بالصلاة بين الآثار، وكانت مزينة بالورود والروائح الممتزجة بين الياسمين والجيرانيوم البري بالكنيسة غير المقببة التي تتسرب عبرها أشعة الشمس في منظر مميز..."¹. وتعترف أنه منذ أيام فقط لم يكن الحجاج يتوقعون بأنهم سوف يحتفلون بعيد "القديس أوغسطين" بهيبون بسبب موجة الحرائق التي اجتاحت المنطقة بمرور رياح "السيروكو" لكنهم تمكنوا من الإحتفال بعيد القديس في مدينته هذه المرة، ونلاحظ أن الكاتبة تقدم معلومات متنوعة ما بين الوصف للمدينة والسكان ومعلومات عن تاريخ المدينة في العهد الروماني وعن القديس الذي قدمت لمحة عن تاريخ حياته وعائلته ومساره في طريق الإيمان، وهي بذلك تقدم لمحات تاريخية عن القديس وتوثق للمدينة. والملاحظ في رحلة الحج تنقل الكاتبة صورة القديس والمدينة حتى في نظر المرافقين الذين إنلت بهم في الطريق وكان يرأس قافلة حجاج وهو من مرسيليا السيد "ستيفانوني" "M.Stefanoni" الذي وصف المدينة وأكد أن تاريخ "القديس أوغسطين" يعرفه الجميع وما كان يريده هو التعريف بهيبون فقط التي كانت حينها مدينة مزدهرة، وهي نصف شرقي ونصف روماني في وسط التلال الخلابية، وكان ميناءها مفتوح على الجميع تنتشر بها الحدائق في السبوس والبوذية، وكان لديها آثار ومبان رائعة كالقصر والمياه المعدنية وخاصة كنيسة السلام غير المكتشفة بعد، ويضيف أن تاريخ المدينة في عهد القديس يلزمه فصول كثيرة هذا العبقرى الذي لفت إنتباه كل العالم إلى أبريشته، إذ لما كان كاهنا بها زار هيبون مجلس أساقفة إفريقيا برئاسة أسقف قرطاج، كما زاره العديد من الشخصيات المشهورة وقدموا إحترامهم له كرجل دين وعالم كنسي كما وجد العديد من الناس السلام على يديه² وبذلك قدمته الكاتبة في صورة مهيبة بالقدسية والإحترام، وإرتبط هذا التقديس بالإيمان وبصورة القديس الإنسان والعالم وبمدينته الفاضلة "هيبون" التي تعتبرها جزءا منه خاصة الأماكن التي عاش فيها فهي تشعر بوجود القديس في كل مكان فقدست القديس والمدينة على حد سواء، وفي العموم كانت معلوماتها متداخلة ما بين الحديث عن رحلة الحج وعن القديس وتاريخ المدينة ووصف المدينة عمرانيا وبشريا، بتقديم السكان الحضر المحليين ووصفهم ووصف مظاهر الحياة اليومية كزيارة الأضرحة ووصف المرأة ثم السوق وما يحويه من صور أدهشت الكاتبة سواء التنوع في السلع أم الفئات الإجتماعية الناشطة في السوق، كما شد الكاتبة التنوع النباتي والحيواني والخيرات الطبيعية للمنطقة خاصة حقول القمح والشعير والأشجار المثمرة المتنوعة، وهذه الصورة كررتها عدة مرات أثناء وصف رحلة الحج، وتبقى الرحلة ذات أهمية تاريخية وثقت لتاريخ المنطقة ولشخص القديس الذي يعتبر رمز محلي ومعلم ديني وإنساني عالمي حمل للعالم قيم روحية ربطت بين ضفتي المتوسط ووحدت الشعوب في طريق الحق

¹Mme Marie Noël, Pèlerinage à Hippone..., Op.cit., P.P.65-66.

²Ibid., P.P.52-53.

والإيمان، وبذلك رصدت إشارات حول صورة المدينة وساكنيها المتنوعة من محليين ومستوطنين أوروبيين والذين أصبحوا جزءا من صورة الحياة اليومية بالمدينة وتبرز المظاهر الأخرى التي تحدد الملامح الاقتصادية للمجتمع المحلي، وبالتالي كانت رحلة حج وتاريخ لمنطقة هيون ثرية بتوثيقها.

3. صورة القديس أوغسطين في كتابات الرحلة لرجال الدين.

نقدم نماذج عن صورة القديس من خلال كتابات الرحالة لرجال الدين الفرنسيين في تلك الفترة.

3. 1. القديس أوغسطين من خلال رئيس أساقفة كامبري "Archevêque de Cambrai".

يربط صورة "القديس أوغسطين" بهييون المدينة ويرى أن ذكرى القديس متواصلة في هذه المدينة التي كان أسقفا بها وعمل على نشر المسيحية بها مدة أربعين عام، ابن "القديسة مونيك" الذي إنتهت حياته على يد الوندال، وبشغف كبير وفخر تقام مراسيم إحياء يوم القديس ويوم الصلاة أسقف الجزائر-الذي نصب يوم 28 أكتوبر 1838 M.A.A.Dupuch وتقام في قبر القديس وكان أول من طالب بإقامة كنيسة تكريما للقديس وسانده كل أساقفة فرنسا، وبعد زيارته إلى قبر القديس التي وصفها المطران "بالجليلة" وصف زيارته إلى آثار قبر القديس وكان المكان محافظا على بعض أعمدته في حالة جيدة، ويصف روحانية المكان أين قام بدفن جزء من عظام القديس بعد 1240 سنة وأنهى صلاته مباركا المؤمنين¹، ويتحدث عن الآثار الرومانية بالمنطقة إذ إنتشرت الحضارة الرومانية في البلاد بكل مكوناتها من الفنون البدخ والآداب، ويفسر بذلك القانون الإمبراطوري الذي منع المنفيين من الإستقرار في إفريقيا ويرى السبب بـ "لأنهم سيجدون الرخاء والملاذات ولغة روما" وهذا الوضع دام إلى غاية القرن الخامس، ويضيف أنه كانت كل المدن من الساحل إلى الداخل كقرطاج وسيرتا وشرشال القيصرية مزينة بالمعابد والكنائس والعمران الروماني كأعمدة النصر، وانتشرت بها المظاهر الحضارية كالسيرك وألعاب مصارعة الحيوانات والمصارعة القتالية، كما إنتصرت المسيحية مع الإمبراطور قسطنطين². وفي الفترة الإستعمارية كان الحج إلى قبر القديس يلقي إقبالا كبيرا من الفرنسيين المتدينين وعملت الكنيسة على تأطيره، فكما يصف الكاتب الحج سنة 1839 أين كانت ترافق الكنيسة المرضى والحجاج إلى الضريح منطلقين من "فيليب فيل" - سكيكدة- وكان الجو مهيبا بين الحجاج، وصور المطران مدينة هيون وآثارها الرومانية كالجسر الروماني والغطاء النباتي خاصة أشجار الزيتون والعناب، إذ كانت تعرف بين السكان بحديقة القديس أوغسطين وكانت ممراتها مزينة بأشجار الكرز والزيتون

¹Égron, Adrien-César, L'Algérie chrétienne, Lille, L.Leffort, Imprimeur-Libraire, 1847, P.P.192-194.

²P.Mauroy, Question d'Alger en 1844..., Op.cit., P.13.

والعناب واللوز والبرتقال والليمون، وانتشر الحجاج في تداخل بين الآثار الرومانية المترامية في المكان وكما يصفها المطران تحديدا بـ"الأطلال العملاقة"، وكانوا مرتدين ملابس الإحتفال والسعادة تغمر وجوههم مرفوقين بالفرقة الموسيقية العسكرية والجنرال وقائد الأركان والقضاة وضباط البحرية والخيالة وكانت خزانات المياه الرومانية تملأ المكان ويفتخر المطران بإحياء هذه المراسيم المهيبة¹، وتمثل رحلته شهادة حية ومصدر توثيقي هام عن المدينة والقديس ووصف لمراسيم الإحتفال الرسمية والحج.

3. 2. القديس أوغسطين من خلال رئيس الدير سيشي L' Abbé Suchet.

زار "رئيس الدير سيشي" مدينة هيبون يوم 16 ديسمبر 1839 وكان يُطلق عليها "بلاد نوميديا" وأرسله أسقف العاصمة لزيارة كل من هيبون وقسنطينة وبجاية كنائب عام كنسي للزيارة والتقصي، إذ إنطلق من مدينة الجزائر عاصمة إلى "بونة" ويروي دقائق سفره ومرضه أثناء الرحلة وكان يصلي "للقدّيس أوغسطين" لحمايته وشفاءه في أرض القديس المباركة التي قضى بها 12 يوما في الصلاة وقراءة الإعتراقات في جو هادئ، وبهرته الآثار الرومانية المقابلة للبحر والمكان الذي كان ينتقل فيه القديس ويزور الأساقفة ما بين روسيكادا وشرشال والعاصمة، وأعاد تصوير جزء من حياة القديس وأحيائها بإعتراقاته وصلواته في محاكاة لتوبة القديس²، وقبل مغادرته المكان المقدس كما يصفه قام "الأب سيشي" بتفقد مبنى الكنيسة الذي رعاه الأسقف العام للجزائر بمساعدة وأموال أساقفة فرنسا وكانت الأعمال في بداياتها إذ إرتفعت بعض الأعمدة فقط من البناية، ومن خلال وصفه وأفكاره المطروحة تتبين القيمة الروحية الكبيرة للمدينة الأثرية "هيبون" و"للقدّيس أوغسطين" لدى رجال الدين الفرنسيين الذين كانوا يعتبرون أنفسهم أحيوا التراث المسيحي للقدّيس في المستوطنة وبشمال إفريقيا عموما سواء بالحج والزيارات أو البناء والترميم لآثار القديس والمدينة، وهنا تكمن الأهمية الروحية للقدّيس والمدينة التي تستقبل الحجاج من رجال دين والعامة، وكان هدفهم إعادة إحياء التراث المسيحي بالبلاد وسرد تاريخ المنطقة والقدّيس أثناء رحلة حجهم في المدينة خاصة مع تنامي ظاهرة الحج إلى آثار هيبون مع إعادة دفن رفاة القديس بها، فتزايد عدد الحجيج مع تزايد الترتيبات الرسمية الخاصة بموسم الحج، لتصبح تظاهرة دينية رسمية وإحتفالية سنوية يحضرها الكثير من الزوار، كما لا نسى البُعد السياسي المرتبط بإحياء الماضي اللاتيني بمستوطنة الجزائر عرقيا وحضاريا وتاريخيا.

¹Égron, Adrien-César, L'Algérie chrétienne..., Op.cit., P.P.194-196.

²Suchet, Abbé, Lettres édifiantes et curieuses sur l'Algérie, Tours, A^d et c^{ie} Imprimeur-Libraire, 1840, P.P.94 -97.

3. 3. القديس أوغسطين من خلال رئيس الدير ليون سيبور M. l'abbé Léon Sibour.

من خلال تقديم "الأب سيبور" تكمن الأهمية الروحية والعلمية للقديس والكنيسة في نظر رجال الدين الفرنسيين وعلى رأسهم أسقف مدينة الجزائر "الأب ديبيش"، الذي بدل قصارى جهده لإحياء تراث "القديس أوغسطين" وحماية آثاره والإعتراف بدور الكنيسة الإفريقية الديني كما يؤكد "الأب سيبور" و ينعتها "بأم العلوم"، ويصف "الأب سيبور" تأثره بالقديس إذ يقول: "... في هيبون أين إقتنيت أثر "القديس أوغسطين" لقد إرتبطت بخطواته، وتابعت طريق القديس وحيثيات حياته كأسقف وموثق لقد درفت الدموع وتلوت صلوات الحمد وإختلجتني المشاعر الجياشة، وشدني دموع وصلوات المصلين في الكاتدرائية "كاتدرائية السلام"،...ولقد قضيت بها ساعات عديدة في القراءة والتأمل،...، وهنا ينقل "الأب سيبور" صورة الحجاج ومراسيم الحج ومكانة "القديس" واللافت هو رصده للمدينة وآثارها فالمستوطنة مثلت لهم مكان مقدس بقوله "...كانت لي الرغبة في زيارة الجزائر المستوطنة المقدسة للطريق الديني"¹، ويحاول إظهار دور فرنسا في إسترجاع بقايا القديس وهي بمثابة إعادة السلام لروحه بإعادته إلى المهد والوطن وسعادة رجال الدين كانت كبيرة بهذا الإنجاز، ويصف مراسيم دفن رفاة القديس سنة 1842 في إحتفال رسمي كبير ومهيّب، حضره مجموعة من أساقفة فرنسا يترأسهم أسقف الجزائر العاصمة، ويصف "الأب سيبور" الرحلة بالتفصيل من ميناء سطورة إذ إنطلق الوفد يوم 30 أكتوبر على أمل الوصول إلى بونة عشية "عيد القديسين" ورافقهم مجموعة من الأساقفة وقيادة الأركان، وبدأ في سرد الإحتفالات التي واكبت إسترجاع رفاة القديس لإفريقيا إذ يُشبه أسقف العاصمة بنابوليون ويعتبر الشمس حليفته إذ أشرقت في ذلك اليوم، وعبر عن الحدث "المجد والنصر الفرنسي في هيبون" الذي واكب إعادة رفاة القديس في أول نوفمبر وتزين الشاطئ المؤدي لمدينة القديس ويؤكد على حضور كل سكان بونة إلى المراسيم إذ حضر الأهالي وإختلطوا بالأوروبيين، ويحدد بقوله: "... ولاحظنا الجميع مختلطين الأوروبيين وسكان بونة الحضر والبدو من القبائل المجاورة وقبائل المناطق الجبلية كذلك أتوا جميعهم بمحض إرادتهم لحضور قداس التأبين،..." ويضيف: "...كانت الآثار تملأ المكان ولمرور بقايا القديس من المكان قدسية خاصة مرتبطة بالأحداث التي عاشها القديس والتي يحييها مروره اليوم عبر جسر أبوجيمة، واكبه غناء مقدس وتأثر الأساقفة بشدة وبارك أسقف بورديو البقايا المقدسة في حين أدى الصلاة أسقف الجزائر وأعاد له عصا القس في الجسر، وكانت أشجار الزيتون تملأ المكان..." ويصف المدينة هيبون التي إسترجعت الحياة وعند الوصول للمكان بارك أسقف بورديو المذبح وصلى، وما ميز المكان تنوع الحاضرين بألبستهم وأعراقهم ولغتهم ودينهم، فالعربي

¹M. l'abbé Sibour, Léon, Lettres sur la translation à Hippone de la relique de saint Augustin, Paris, La Bibliothèque Royale, 1844, P.P.8-10, 12.

بالبرنس بجانب الضابط الفرنسي بزيه العسكري الرسمي والنساء باليستهن المنمقة والمتنوعة الممثلة لكل الدول الأوروبية التي ينتمي إليها سكان المدينة فجد الشاشية العربية الحمراء واللباس الأسود اليهودي وحضر السكان حتى البدو كذلك كانوا تحت أشجار التين بلباسهم المميز الحايك، وكان خطاب أسقف بورديو موجه للجنود وبعد الخطاب بآرك كل الأساقفة البقايا المقدسة وأثناء الفترة المسائية تفرقت جموع المصلين وغادر الجمع هضبة القديس¹، وكان وصفه شاملا لكل الحاضرين وبذلك عرضنا مجموعة صغيرة من النماذج عن الرحلات الدينية التي قام بها رجال دين رسميين لكنها كانت ثرية بالمادة الخيرية ومتنوعة، من خلالها لاحظنا تنوع وتعدد الرحلات الدينية لصريح القديس ولمدينته وكان لثرائها مساهمة في التعريف بالقديس وبدور أساقفة الجزائر في إحياء الإحتفالات الدينية وكان لها دور في جذب الحجاج وتنشيط السياحة الدينية بالبلاد، وإعادة إحياء التقاليد المسيحية التي إرتبطت بالقديس وإرثه الديني الإنساني العالمي، وقام بهذه الرحلات أساقفة وكهنة ورجال دين معروفين "كالأب سيشي" و"الأب سيبور" وكان لهما دور في التعريف بالإرث الإنساني للقديس وأبرزت هذه الرحلات جهود أسقف الجزائر العاصمة "الأب ديبيش" ودوره في ضم جهود أساقفة فرنسا لإسترجاع رفاة القديس وإعادة إحياء التراث الأوغسطيني الإنساني في المستوطنة، إذ كان بناء كنيسة السلام دور في إحياء الإحتفالات الدينية ورحلات الحج لربوة هيبون، كما عالجت هذه الرحلات التي قادها رجال دين ومسؤولين في المؤسسات الكنسية بالمستوطنة جوانب دينية محضة تخص شخصية القديس وتاريخ مدينته ودور أساقفة الجزائر الفرنسية في إحياء التراث الديني المسيحي بالمستوطنة ومحاولة الترميم والبناء وترسيخ الإحتفالات الدينية وتشجيع الحج لآثار القديس في ربوة هيبون، خاصة بعد إسترجاع بقايا من رفاة القديس لبث روحه في المكان وإعادة إحياء تراثه الإنساني وخدمة الكنيسة الكاثوليكية في المستوطنة، والملاحظ كذلك أن مسار رحلات الحج متشابه إذ ينطلق من العاصمة بحرا إلى "بونة" وتتوحد الفئات الإجتماعية للحجاج والتي مثلت مختلف الطبقات من المجتمع الفرنسي ذات التوجهات الفكرية المختلفة والإنتماءات العرقية ليس من فرنسا فقط بل حتى من مسيحيي أوروبا.

ثانيا: الموروث البيئي والإستعمار الفرنسي.

يعتبر التاريخ كما يقول مؤرخ الحوليات الشهير "مارك بلوك" مهنة من خلالها يعمل المؤرخ على كتابة تاريخ منطقة ما أو حدث ما بإعتماد الوثائق التاريخية، لكن كذلك يكون الإعتماد على الشهادات وهنا تبرز مهارة المؤرخ في إستخلاص الحقائق وكتابة التاريخ، إذ أصبح الإعتماد على الشهادات اليوم من الدراسات الرائجة في البحوث التاريخية الحديثة وتكون بالتوازي مع مادة أرشيفية، وهذا ما ساعتمد

¹M. l'abbé Sibour, Léon, Lettres sur la translation à Hippone de la relique de saint Augustin..., Op.cit., P.P.104-111.

عليه في دراسة هذا العنصر والتي كان منطلقها الشهادات المرتبطة بالذاكرة الشعبية من روايات تعود إلى الأجيال الأولى التي واكبت الإحتلال الفرنسي للبلاد وتداولتها الأجيال عن أسود ونمور وفهود كانت تجول في الغابات وتقترب من المنازل لمهاجمة المواشي خاصة الابقار في مختلف المناطق الجبلية فكانوا في صراع دائم مع هذه الحيوانات لحماية مواشيهم التي مثلت مصدر رزقهم وأساس إقتصادهم، ومنهم من قضى حتفه بالغابة من قبل هذه الحيوانات المحلية ذات الرمزية لسكان الجزائر.

أ. الحيوانات البرية ما بين الثقافة الشعبية والواقع الإستعماري.

في هذا العنصر نُعرِّف بالموروث البيئي للجزائر، وإرتبط فعليا بالثقافة الشعبية للسكان إذ تعلق بالحياة اليومية والمشهد البيئي، لكن الإحتلال الفرنسي كان سببا مباشرا في إنقراض الحيوانات البرية المفترسة بالبلاد، وتسبب في خلل إيكولوجي وبيئي كبير بالمناطق الجبلية.

1. الأسود والنمور في الفلكلور والثقافة الشعبية لسكان البلاد.

مثلت الأسود جزءا من الموروث الثقافي وإرتبطت بالمعتقد والفلكلور الشعبي كترويض الأولياء الصالحين لها أو تمحور القصص الشعبية حولها، فأحدى الروايات الشعبية تصور قدرة الولي الصالح "سيدي بومدين" الذي روض أسدا كان قد أكل حمار أحد سكان جبال الأطلس، فأمسك به من رقبتة وسلمه لصاحب الحمار مُروضا، وقال له خذه سوف يقوم لك بأعمال الحمار ومنذ ذلك اليوم أصبح الأسد يتبع صاحبه كالكلب الوفي حتى عاد هذا الأخير للولي الصالح راغبا في التخلي عنه فكلم "أبا مدين" الأسد وحذره من أذية الناس وإن فعل فإنه سيرجعه عبدا من جديد لهذا الشخص ففر الأسد بعيدا ولم يعد ثانية¹، كما مثل الأسد مخيالا شعبيا خصباً فكان يتحدث أو يفهم الحديث كما جاء في رواية عن أسد أصبح صديق صياد أسود مشهور إسمه "حسين" في فترة "أحمد باي"، وكان صيادا لمدة إحدى عشر سنة إصطاد خلالها عدد كبير من هذه الحيوانات ومات مقتولا من قبلها، تقول الرواية أنه صادق أسدا سماه "سيدي جليل بن جلاد" ولما تواجه معه دون سلاح حادثه وكان الأسد مسالما معه ولما توفي الصياد إختفى الأسد من المكان²، فالأسد هنا مثل رمزا عقائديا للسكان إرتبط بكرامات الأولياء وشجاعة الأقوياء وحظي هذا الحيوان بإحترام بين أوساط السكان، وإرتكزت أحاديث السكان في الخيام على الأسود وترسخت لديهم معتقدات فكرية عنها، ويصفها مطولا الأديب الفرنسي الشهير "أليكسندر ديما" في رحلته إلى البلاد عام 1849 فالعرب في نظره صيادون مهرة يحترمون الأسود كثيرا، ويطلقون عليه تسمية "الجان بن الجان" لقوته ودهائه، كما كان الإعتقاد سائدا أن الأسود تغير

¹Alphonse Certeux, E.Henry Carmoy, Contribution au folk-lore des Arabes. L'Algérie Traditionnelle, T1, Paris, Maisonneuve et Leclerc, Challamel Ainé, 1884, P.P.119-120.

²Ibid., P.P.176-177.

أكلها أربع مرات في العام ففي الثلاثي الأول من السنة يأكلون الشياطين وفي الثلاثي الثاني يأكلون لحوم البشر وفي الثلاثي الثالث يأكلون الصلصال وفي الثلاثي الرابع والأخير يأكلون الحيوانات ويسرد "أليكسندر ديما" بعض الإعتقادات التي إرتبطت كذلك بالأدب الشعبي، فالعرب يعتقدون أن الأسود تحمل كل فرائسها على أكتافها ما عدى الخراف التي تضطر لجرها عقابا لها فبعد أن تفاخر أمام الحيوانات بقوته ناجى الأسد الله بأن يمدّه بالقدرة على حمل كل فرائسه على كتفيه وذكر كل الحيوانات بإستثناء الخراف التي نساها فعاقبه الله بلعنة جرها، وذكر كذلك أن العرب يأكلون لحوم الأسود ويعتقدون بقدرتها على مداواة بعض الأمراض غير أن ذلك لم يكن صحيحاً، وفي إطار الإعتقادات كثيرا ما كان المرابطين وال دراويش ومدعي الولاية ما يستأنسون الأسود ويروضونها لتصبح حيوان مرافق مما يزيدهم إحتراما وتبجيلا من السكان¹، وإشتملت المعتقدات كذلك على تبادل الأحاديث بين الرجال والأسود، فالعربي لما يجد أسدا في طريقه يترجل عن حصانه الذي يرتعد لمجرد رؤية هذا الأخير، ويكلم الأسد وعادة ما يقول له أنت شجاع وأنا كذلك فأتركني أمر بسلام ولما يرى الأسد أن الرجل كان شجاعا ولم يخف منه يتركه يمر دون أن يؤذيه، وتعددت أوصاف الصراع بين الإنسان والأسد فالأسد يحيط بفريسته ويحاصرها ثم يهاجم في ذهاب وإياب قد يتوجه لشرب الماء والعودة ثم ينقض على الضحية فإن كان رجلا يبدأ في إلتهايم أعضائه التناسلية أولا وإن كان امرأة يبدأ بالصدر وعادة ما يترك الأضلع مرمية دون أكلها ويأخذ ما تبقى من الضحية، وفي حالة تمكن الضحية من الفرار أثناء محاصرة الأسد له سواء بمساعدة قافلة أو شخص آخر شجاع فإن هذا المُنقذ الشجاع يواجه الأسد ويكلمه مقتريا منه ويقول له مخاطبا أنظر إلي أنا شجاع مثلك ولكن لا تأكل هذا الجبان الخائف منك لا تُذل نفسك بأكله وسأربطه بالحبال وأخذه عبدا لي فعندما يرى الأسد الرجل الخائف مكبلا يرضى ويمشي مبتعدا، وقد يواجه الأسد رجلا شجاعا يتظاهر بالجبن ولما يهاجمه ينقض عليه بخنجره أما إذا واجه الأسد جماعة من الصيادين فإنهم يستفزونهم بنعته بالجبان فيواجههم بكل شجاعة، وكان الصيادون يُوجهون مقتفي أثر لرصد آثار الأسد عند ظهوره في منطقة ما، وعند رؤيته من يراه يقول ليس هنا وبذلك يستعدون للهجوم الجماعي ويقول الرائي كذلك للإعتقاد السائد أن الأسود تفهم الكلام وتتعرف على صوت من أخبر عن مكانها فتنتقم منه وتقتله، ويقدم "أليكسندر ديما" إعتقادا مميزا حول العلاقة بين المرأة والأسد فالعرب يؤمنون بأن الأسود تخاف من النساء فنادرا ما تهاجم امرأة إلا في حالة الجوع الشديد، وكثيرا ما تُرى النسوة وهي تطارد الأسود وتضربها بالعصي²، وهذا الوصف جاء في كتابات من سبقه ك"الدكتور شو" في مؤلفه "رحلة في إيالة الجزائر في القرن الثامن

¹Alexandre Dumas, Impression de voyage : Le Véloce ou Tanger, Alger et Tunis, Paris, [s.d], 1855, P.P. 393-394.

²Alphonse Certeux, E.Henry Carmoy, Contribution au folk-lore des Arabes. L'Algérie Traditionnelle..., Op.cit., P.P.174, 175, 176.

عشر" إذ يقول: "... قرأت في بعض الكتابات عن البلاد أن النسوة يتمكن من مخالطة الأسود ولا يحتمن إلا بعصي يحملنها، ويتمن من ترويضهم دون خطر ويحمين المواشي ولذلك يتكفلن برعايتها دون الرجال...¹" وهذه من الإعتقادات. وما يمكنني ملاحظته أن هذه المعتقدات هي مزيج من الرابط الديني والأنثروبولوجي في الموروث الثقافي الشعبي للسكان، الذي يمنح قدرات غير عادية وكرامات للأولياء الصالحين ورجال الدين ويقدس الشجاعة سواء خست إنسان أو حيوان، وكذلك يضيفي قدسية للمرأة التي تمتعت بحصانة إلهية ضد هذه الحيوانات المفترسة، وأربطها بتفسيرات عقائدية وحضارية تعود لفترات ما قبل التاريخ في التفكير الإنساني القديم، الذي يعتبر المرأة رمز الخصوبة ويعطيها قدرات خارقة فهي الأرض والأم والقاعدة الجامعة للمخلوقات، وهذا ما يفسر مجمل التفكير الشعبي للمجتمعات القديمة التي تجدرت في عمق التاريخ وكانت جزءا من الحضارة الإنسانية إذ تمثل ثقافتها مزيج من الفكر الوثني القديم والتراكم الحضاري والبعد الديني في النسق الفكري الإنساني.

2. الأسود والنمور في البلاد أثناء فترة الإحتلال الفرنسي.

نقدم نماذج من شهادات لكتابات الرحالة الفرنسيين والتي تنوعت وتعددت وكانت جزءا هاما في التأريخ لهذه الفترة، وكانت بدايات التعريف بالمستوطنة الجديدة مباشرة وبصفة مكثفة بعد الاحتلال من خلال إصدارات عامة وخاصة عرّفت بالطبيعة والسكان، وأكدت على تواجد الحيوانات البرية المفترسة في غابات البلاد أثناء دخول قوات الاحتلال الفرنسي، فالجزائر بلد شاسع تميز بتنوع التضاريس والغطاء النباتي والحيواني ويصف ذلك الكاتب الفرنسي "آرسان بارتاي" في كتابه عن الجزائر بقوله: "تعيش بغابات الجزائر الأسود والفهود والنمور بمختلف أنواعها...²"، وهذا ما تكرر في تعاريف الرحالة بالبلاد كالرحالة "جون شالون" الذي زار البلاد عدة مرات وكتب عنها، ففي وصفه لثروات البلاد من غطاء نباتي وتنوع حيواني قال: "...، نذكر بعض الحيوانات التي تمثل تميزا كالأسود... والنمور أو نمور إفريقيا أو النمور الكبيرة...³"، وفي مختلف المناطق الجبلية كان إنتشار هذه الحيوانات على إمتداد البلاد ما بين المناطق الساحلية والداخلية، ففي منطقة الشمال الشرقي حسب ما جاء في وصف الرحالة "بنجمين قاستينو" الذي زار الجزائر مرتين ما بين عامي 1852 و 1858 نقل صور عميقة عن المجتمع الجزائري في كتابات متنوعة وثرية، إذ يبدأ وصفه للبلاد بقوله: "... لدى الجزائر الصحراء والواحات والبحر والجبال ودائما سماءها جميل وصافي، أرضها خصبة، وغابات البلوط بها مليئة

¹Docteur Thomas Shaw, Voyage Dans La Régence D'Alger au XVIII^e siècle, traduit de l'anglais par E. Mac Carthy (1830), Alger, editions G.A.L, 2007, p.56-67.

²Arsène Berteuil, L'Algérie Française, Histoire-Mœurs-Coutumes-Industrie-Agriculture, Tome Premier, Paris, Dentu, Libraire-éditeur, 1856, P.11.

³J.Chalon, Souvenir D'Alger..., Op.cit., P. 39.

بالأسود والفهود،.....¹، وهذه صفة قارة بغابات البلاد التي كانت تعيش بها هذه الحيوانات البرية ويضيف قائلاً في قصة يرويها عن ضابط من الصباحية في السنوات الأولى للإحتلال كان له عشيقه من بونة فرت معه وبنى لها كوخ في غابة "الإيدوغ" ويزورها كل ليلة، ولما تأخر عنها في إحدى الليالي خرجت باحثة عنه ففاجأها فهد وإنقض عليها وتوفيت بسبب هذا الهجوم، ويستغرب تعايش سكان "قرية بيجو" بجبل "الإيدوغ" مع هذه الحيوانات المفترسة، وكان معظمهم يشتغل في شركة إستغلال البلوط بالمنطقة²، وشهادة الكاتب وغيره المنقولة تؤكد المجال البيئي لهذه الحيوانات بالبلاد. والملاحظ أحدث تواجد هذه الحيوانات في مجال جغرافي واسع نوع من تداخل المشاعر للرحالة الفرنسيين ما بين الإعجاب والخوف والأسى خاصة لعمليات الصيد، ففي جبال الأطلس شكلت هذه الحيوانات هاجسا للرحالة حسب وصف الرحالة "ماركوث دي كيفيار" الذي عبر عن تخوفه من الرجوع إلى المنطقة بسبب أحد النمر المعروف بها³، في حين أن الضابط الفرنسي المعروف "تريميلي" تأسف كثيرا على ما تلقاه هذه الحيوانات من عمليات صيد أدت بها إلى الإنقراض ويحمل المتسببين في هذه الممارسات المسؤولية الأخلاقية عن ذلك، وهذا ما عبر عنه في رحلة إلى الهضاب في منطقة الغرب قريبا من منطقة "سعيدة" في أراضي "الحساسنة الشراقة" بسبب إنتشار عمليات الصيد في المنطقة يقودها خليفة الحساسنة⁴، وباتجاه الداخل كذلك في المناطق الصحراوية توافرت هذه الحيوانات وكانت رؤيتها من ضروريات الزوار بالتوازي مع عمليات الصيد المنظم⁵ من قبل الإدارة الفرنسية والعسكريين.

3. الأسود معالم جغرافية.

في عديد الرحلات يكون الحديث عن الأسود مقتربا بمناطق تواجدها فأصبحت معالم عُرفت بها المناطق أي كانت حيوانات معلمية، ويكون الحديث عنها مُعنونة في الرحلة ك: "أسد جبل بوعيزل" الذي تحدث عنه المؤلف "آدولف بودان" في كتابه عن "جون كاستيراس" مغامرة ثلاث إخوة، كانوا قد جاؤوا إلى البلاد في إطار الإستيطان الرسمي، إذ توجهوا إلى هذه المنطقة بحثا عن عمهم الذي كان صيادا للأسود وكانت هذه المهنة منتشرة جدا وتكرر ذكرها في عديد الكتابات وإشتهر بعضهم وكُرم بعضهم الآخر من قبل سلطات الاحتلال، وهذا ما سنذكره لاحقا وعند وصول الإخوة قريبا من منطقة تخييم عمهم تقابلوا مع الأسد وكان وصفه دقيقا عند ظهوره من بين الأحراش وكان أسداً ضخماً، وفي مطاردة مع الصياد الذي قضى عليه ببندقية صيد فأرداه قتيلا ويصف منظر الأسد ميتا في بركة دماء

¹ Benjamin Gastineau, Les Femmes et les Mœurs de l'Algérie..., Op.cit., P.5.

² Ibid., P.P. 8, 9.

³ Ch.Marcotte De Quivières, Deux Ans En Afrique..., Op.cit., P.305.

⁴ C.Trumelet, Les Français Dans Le Désert..., Op.cit., P.P. 145, 146.

⁵ L'Abbé Jean Hurabielle, Au pays Du Bleu Biskra Et Les Oasis Environnantes..., Op.cit., P.95.

بعد ما حاول النهوض لكنه سقط أرضاً، وبذلك قتل صياد جبل "بوعيزل" أسد بوعيزل الشهير¹، أو "أسد بليدة" كما تحدث عنه الرحالة "هينغ إيمبير" إذ عبر عن بهجته العارمة لرؤية هذا الأسد الذي يعتبره ملك الصحراء ويعيش في شموخ في جبال الأطلس²، والملاحظ أنه في هذه الفترة بدأت أعداد الأسود تتناقص من شدة وتيرة الصيد فهذه الرحلة كانت عام 1888 أين أصبحت رؤية الأسود من المشاهد النادرة، والشهادات التي رصدها المؤلف "بنجمين قاستينو" -كما بينا أعلاه- من خلال رحلته إلى البلاد نستخلص حقائق حول الدور السلبي والهدام الذي قامت به سلطات الإستعمار الفرنسي في الجزائر وبيئتها من غطاء نباتي وتنوع حيواني إذ كانت السبب المباشر في إنقراض الحيوانات البرية المفترسة في الغابات، وبالتالي يؤكد "قاستينو" على تواجد الحيوانات البرية المفترسة في غابات البلاد أثناء دخول قوات الاحتلال الفرنسي، كما إنتشرت الأسود بمنطقة القالة ولقيت شهرة كبيرة في تلك الفترة وهذا ما يؤكد بدء "جون بيار بونافون" في رحلته من القالة بداية الاحتلال، ورصد المجتمع والبيئة بالمنطقة ومنها الأسود التي كانت بأعداد كبيرة وهي ذات نوعية جيدة، وكما يصفها بقوله:

"On sait que les Lions de la Calle dont la race est superbe, étaient autrefois très recherchés pour les ménageries ; seulement au dire des indigènes, ils étaient très difficile à prendre ".
وكان الأهالي يعانون من هذه الأسود خاصة عند مهاجمة قطعانهم ويقومون بالحراسة ليلاً ويطلقون الرصاص لإخافتها، ولم يلتقي الكاتب بهم أو يراهم لكن سمع زئيرهم ليلاً مراراً³، أثناء مكوثه بالمنطقة.

ب. شهادات الرحالة عن عمليات الصيد المنظم للأسود من قبل المستوطنين والضباط الفرنسيين.

نقل الرحالة الفرنسيون شهادات وحقائق عن عمليات الصيد المأجور بأثمان باهضة من قبل إدارة الاحتلال الفرنسي لصائدي الأسود والنمور سواء من المستوطنين المدنيين أو الضباط العسكريين ننقل بدورنا نماذج منها كأدلة تاريخية عن دور سلطات الاحتلال الفرنسي في إنقراض هذه الحيوانات البرية بتشجيع الصيد وتحديد مكافآت مالية للصيادين خدمة للإستيطان ولمصالح المستوطنين الفرنسيين، فعمليات الصيد كانت حرة وغير محدودة بالنسبة للمستوطنين الذين كانوا يقومون بالصيد العشوائي وإستهدفت بالدرجة الأولى الحيوانات البرية التي إنقرضت بسبب هذه الممارسات التي يصفها الرحالة "ماركوث دي كيفيار" بالإبادة⁴، ويعتبر هذا الوصف دليل على الدور السلبي الذي قامت به الإدارة الإستعمارية في إنقراض هذه الحيوانات من السلسلة الحيوانية في الغابات الجزائرية، وذكر أنه

¹Adolphe Badin, Jean Casteyras Aventures de trois Enfants en Algérie, Paris, Bibliothèque D'éducation et de Récréation, 1888, P.P. 285-288.

²Hugues Imbert, Quatre Mois Au sahel, Lettres et Notes Algériennes..., Op.cit., P.170.

³Jean-Pierre, Bonnafont, Pérégrinations en Algérie, 1830 à 1842 : histoire, éthographie, anecdotes..., Op.cit., P.P.3, 4.

⁴Ch.Marcotte De Quivières, Deux Ans En Afrique..., Op.cit., P.19.

قام بعدة رحلات صيد منظمة خمس أو ست مرات في منطقة جبال الأطلس في آخرها طارد أحد النمر التي وصفها بالرائعة¹، والملاحظ في هذه الرحلة المقدمة المتميزة للمؤلف "شارل ماركوث دي كيفيار" الذي عرف المنطقة وركز بشكل ملاحظ على الأسود وكما يُسميها "ملك الحيوانات" والنمر ناقلًا مقاطع لدراسات عن هذه الحيوانات بأوصاف دقيقة وإعجاب كبير، ويتحدث عن تعاملات السكان مع الأسود التي تأتي قرب منازلهم ليلاً لتقترب حيواناتهم خاصة الأبقار أين يخيفونها بالنار فقط لتبتعد عن مواشهم²، وهذا الوصف يتطابق مع الروايات الشفهية عن تعامل سكان جبال منطقة سكيكدة مثلاً مع هذه الحيوانات لحماية مواشهم، والملاحظ عدم إستعمال الأسلحة للتصدي لها عكس المستوطنين والإدارة الإستعمارية التي شجعت الصيد والصيداين، وكما أكد الكاتب الفرنسي "أليكسندر ديما" أن عدد الأسود تناقص بشكل كبير في فترة الصيادين "جيرار وبومبونال"، وبالتالي نرصد بعض ما جاء ذكره في كتابات الرحالة كشهادة الرحالة "جون شالون" الذي قال: "...نذكر بعض الحيوانات التي تمثل تميزاً للأسود والتي تناقصت أعدادها في المستوطنة لعدة أسباب منها مصلحة المزارعين الأوروبيين في القضاء عليها لجلودها الثمينة، وكذلك مكافئة السلطات لصائدي الأسود بمبالغ مالية معتبرة، وكذلك بنادق الصيد التي عرفت تطوراً متواصلاً مما زاد في نجاح عمليات الصيد"، والشئ نفسه للنمر التي عرفت عمليات صيد واسعة...، ويواصل قوله: "أما النمر أو نمور إفريقيا أو النمر الكبيرة فتعرضت لحرب شرسة قادها المستوطنون من أجل المكافئة والجلود، كما كان المستوطنون يرون أن زوجاً من الأسود والنمر يكلفهم ثوراً في اليوم فكانت مكافئة قتل هذه الحيوانات تتراوح من 40 إلى 60 فرنك حسب القيمة التي تحددها البلديات"³، ومن هذه الشهادات تتضح الرؤى حول عمليات الإبادة الرسمية.

1. أشهر الصيادين الفرنسيين للأسود في البلاد.

إشتهر عدة صيادين كـ"جيرار قاتل الأسود" الذي كان للكاتب الشهير "أليكسندر ديما" موعداً معه بمدينة قالمة وبعد وصوله إلى مدينة عنابة عام 1849 إتجه لملاقاته، وعند وصوله إلى قالمة كان "جيرار" في رحلة صيد لقنص لبؤة وشبليها في ضواحي منطقة سكيكدة، فلحق به "أليكسندر ديما" ويروي بشغف كبير عن رغبته في لقاء هذا الصياد ومتمتع صيد الأسود، إذ يقول: "لقاء جيرار زاد من فضولي ولكن كذلك الأمل في صيد أسد هو ورغبتني الكبيرة"⁴، وكذلك يُعرف البرلمان "بول بوردون" بأشهر الصيادين الفرنسيين بالبلاد كـ"جيل جيرار" -الذي ذكره "ديما"- و"بارتويسي" و"بامبونال" و"الشاسيين"، ويعتبرهم من أشهر الصيادين في ذلك العصر، وقاموا بمجمل عمليات الصيد في منطقة

¹Ch.Marcotte De Quivières, Deux Ans En Afrique..., Op.cit., P.305.

²Ibid., L'Introduction, p. IV-V.

³J.Chalon, Souvenir D'Alger..., Op.cit., P.39.

⁴Alexandre Dumas, Le vélocé..., Op.cit., P. 393.

الشرق ما بين حدود عنابة وقالمة وسكيكدة، وكانوا السبب المباشر في إنقراض هذه الحيوانات من المنطقة فكان صيدها لجلودها وخدمة لمصالح المستوطنين¹، لحماية مواشيهم وحيواناتهم بالمزارع.

2. رحلات الصيد.

إن هذه الرغبة في رؤية الأسود وصيدها كانت مطلب جميع الزوار الفرنسيين إلى البلاد فالأسود مثلت فرجة، وزاد تناقصها من فضول الزوار لتدارك الأسطورة قبل زوالها وهذا بالضبط ما يمكن رصده في رحلة "هينغو إيمبير" الذي تحدث عن أسد البليدة - سالف الذكر - أين قلّ عدد الاسود ويصف مظهر الصيد بقوله: "... في بليدة يوم 25 أفريل... أخيراً رأيت الأسد... كان مربوطاً بحبل وعرضه العرب على المارة ورُبط في زاوية "سيدي محمد الرحبي"،... وظل في حماية الزاوية... وتلقى التقديس منها ليصبح حيواناً مقدساً..."، ويؤكد على تناقص أعدادها بقوله أنه أصبح من الصعب الآن العثور على الأسود في شمال إفريقيا أو النمر أو الفهود، فالإستيطان توسع على مساحات شاسعة من الأراضي وكذلك تحصل المعمرين على القسط الأكبر من مكافآت الإدارة الفرنسية عن قتل هذه الحيوانات المضرة بمصالح المستوطنين وأبعدوا ما تبقى منها إلى الصحاري، فالإحصائيات تؤكد أنه ما بين 1873 إلى 1886 تم قتل 200 أسد ولبؤة وكذلك 1000 فهد وغيرها من الحيوانات البرية لجبال الأطلس كالنمر بمختلف أنواعها والضباع وحيوانات أخرى²، كما أورد البرلماني "بول بوردون" إحصاءات عن عمليات القتل ضد هذه الحيوانات والمكافآت التي يتلقاها الصيادون، فعدد الفهود كان أكثر من الأسود والنمر يقتل منها ما بين 120 إلى 150 نمر سنوياً وشجعت الإدارة الأهالي على صيدها فهي تدفع ما بين 40 إلى 60 فرنك على الأسد الواحد أو الفهد، ومثلت جلود هذه الحيوانات سلع قيمة كانت تباع في الأسواق وحتى في المعارض كالمعرض الذي زارته بعثة برلمانية، وينقل أحد الأعضاء أنه في مدينة عنابة كانت في إحدى أجنحة المعرض الفلاحي والصناعي قاعة مليئة بجلود الحيوانات نجد منها ثلاث جلود رائعة لأسود وبأسعار مرتفعة، فجلد لأسد عادي يباع بـ 1500 فرنك وآخر به فراء أسود على الرقبة وهو نادر جداً قدر سعر بـ 2000 فرنك، كذلك جلود الفهود المميزة تباع بأسعار أقل ما بين 300 و 400 فرنك³، والملاحظ أنه كثيراً ما كانت عمليات الصيد تتم في المناطق الداخلية بالتعاون مع فرسان عرب يرافقون الزوار الفرنسيين مع الضباط، تحدث عنها الكثير من الرحالة سواء مدنيين أو حتى عسكريين كما ذكرنا أعلاه في شهادة الضابط المعروف "ثريميلي"، الذي وصف رحلة صيد في منطقة الغرب قرب "سعيدة" بأراضي "الحساسنة الشراقة" التي يقودها خليفة هذه

¹Paul Boude, A Travers L'Algérie, Souvenir De L'excursion Parlementaire..., Op.cit., P.49.

²Hugues Imbert, Quatre Mois Au sahel..., Op.cit., P.P.170-172.

³Paul Boude, A Travers L'Algérie, Souvenir De L'excursion Parlementaire..., Op.cit., P.P.52, 40.

القبيلة وحضرها الضباط الفرنسيون وكانت بمباركة مرابط القبيلة¹، وبالتوغل إلى المناطق الداخلية الصحراوية كذلك شارك قادتها في عمليات الصيد وينقل مؤلف كتاب "بسكرة" صورة عن رحلات الصيد والقنص في المنطقة والزخم الكبير الذي يواكبها، ويعتبر رحلات الصيد من أكثر المناسبات تشويقا للهواة والزوار من السياح الذين يتوجهون لبسكرة التي تتمتع بطبيعة ثرية ومتنوعة بها مختلف الحيوانات القاطنة بالمنطقة وحتى المهاجرة كبعض الطيور التي تهاجر إليها، كذلك توفر الحيوانات البرية كالأسود والنمور والفهود ما بين جبال الأطلس والزيان التي كانت تصطاد بين الفينة والأخرى غير أن المؤلف يتأسف عن النتائج السلبية للصيد المنظم في هذه المناطق، فهو يضيف موضحا أنه أصبح من الصعب العثور على الأسود الأطلسية في شمال إفريقيا لندرتها وإنقراضها بسبب الصيد² هذا وكانت بأعداد كبيرة ورؤيتها من ضروريات الزوار بالتوازي مع عمليات الصيد المنظم³ لكن للأسف إنقرضت.

3. دور الإحتلال الفرنسي في إنقراض الأسود ومختلف الحيوانات البرية.

كثيرا ما صادفني من خلال قراءاتي لكتابات رحالة فرنسيين وأجانب زاروا الجزائر في السنوات الأولى للاحتلال شهادات عن الحيوانات البرية في البلاد سواء أسود أو نمور وفهود وغيره، وإعتمدت الشهادات الكتابية المؤكدة لتواجد هذه الحيوانات البرية في أراضي مستوطنة الجزائر، والتي إنقرضت بفعل الصيد المنظم الذي قاده سلطات الإستعمار الفرنسي ضد هذه الحيوانات في الغابات المستوطنة وبذلك سببت حلقة مفقودة في التنوع البيئي الحيواني في البلاد، وهذا ما يعتبر جريمة ضد البلاد وثرواتها وتعد على الطبيعة فالإستعمار الفرنسي لم يقم بإبادة السكان فقط بل دمر الطبيعية والتوازن الإيكولوجي، وبالتالي يبرز الدور الذي قام به الإحتلال الفرنسي في إنقراض الثروة الحيوانية للبلاد من خلال عمليات الصيد المنظم ضد الأسود والنمور والفهود والذي قاده ضباط الجيش الفرنسي، ومثل فرجة بالنسبة للزوار من خلال شهاداتهم عن عمليات صيد منظم وقتل لهذه الحيوانات التي مثلت جزءا من التنوع البيئي وموروث ثقافي وإقتصادي للبلاد، وذلك منذ القرن الثالث قبل الميلاد حين كانت الأسود النوميديّة تُصدر إلى روما في عهد "الملك ماسينيسا" وكانت لها شهرة في العالم القديم إلى غاية دخول الاحتلال الفرنسي، وعززت شهادات الرحالة الذين رافق بعضهم الضباط في عمليات الصيد وبعضهم روي له عنها ويبقى الثابت هي شهاداتهم عن دور السلطات الفرنسية في التسبب المباشر في إنقراض هذه الحيوانات من غابات البلاد، وتمثل هذه الحيوانات البرية خصوصية بيئية في

¹C.Trumelet, Les Français Dans Le Désert..., Op.cit., P.146.

²L'Abbé Jean Hurabielle, Au pays Du Bleu Biskra Et Les Oasis Environnantes..., Op.cit., P.P.94-99.

³Ibid, p.95.

البلاد خاصة الأسود المحلية والمعروفة بسلالة "أسد الأطلس الجزائري"، وآخر أسد من هذه السلالة قتل في "سد فم الغرزة" بمنطقة بسكرة في القرن التاسع عشر، في حين آخر أسد أطلسي شوهد بجبال سوق أهراس كان عام 1911، وظل في المناطق الجنوبية ببانتة "بجبال لارباع" حتى عشرينات القرن العشرين حوالي سنة 1920، وهذه السلالة تمكنت من البقاء بأعداد قليلة جدا إلى غاية القضاء عليها من قبل سلطات الاحتلال الفرنسي وإنقرضت في القرن العشرين من الطبيعة البرية في حدود عام 1943 بسبب الصيد المنظم من قبل الإدارة الإستعمارية، والجدير بالذكر أن هذه السلالة المنقرضة بالجزائر حافظت عليها السلطات الألمانية في حدائقها وماتزال تعرض بها اليوم في الحدائق العامة. إذا من خلال هذه الدراسة نلاحظ أن سلطات الاحتلال الفرنسي في البلاد قادت عمليات صيد منظم ضد الحيوانات البرية، إضافة إلى التجاوزات القانونية للصيد بفتح وتشجيع وتأطير هذا الصيد طيلة أيام السنة دون إحترام فترات التكاثر في تعد كبير على قوانين الطبيعة، والإستغلال السلبي لهذه الحيوانات سياحيا بتنظيم عمليات صيد للسواح الوافدين للمستوطنة بمرافقة عسكرية، مما خلق طبقة من الصيادين المحترفين في صيد أسود البلاد والإشهار لهم بين المستوطنين والزوار، وذلك لتشجيع عمليات الصيد رسميا بمنح مكافآت مالية تدفعها الإدارة للصيادين سواء الضباط من العسكريين أو المدنيين من المستوطنين، كما كان ما يعرف بالحملة المدنية للصيد لصالح المستوطنين لحماية مواشيهم من الإقتراس من قبل هذه الحيوانات وصدور التعليمات الإدارية لحماية المستوطنين ومصالحهم من محاصيل ومواشي خاصة، إضافة إلى المتاجرة القانونية التي فتحتها سلطات الاحتلال لجلود هذه الحيوانات البرية وتشجيع عمليات الصيد وإدماج الأهالي فيها، وإعتبار هذه الحيوانات البرية حيوانات مضرّة وحصر مفهوم الضرر التي تسببه بتهديد مصالح المستوطنين خاصة المواشي وبالتالي القضاء على سلالة حيوانية خاصة بالمنطقة إنتشرت وإشتهرت منذ ما قبل التاريخ، فالجزائر فقدت أهم ثرواتها البيئية بسبب الاحتلال الفرنسي ويمكن تصور التنوع البيئي والحيواني وواقع غاباتها اليوم لو لم يكن للاحتلال الفرنسي وجود ببلادنا.

القسم الرابع

القسم الرابع: الآخر والتأريخ المحلي.

الفصل الأول: نظرة الآخر للأهالي بين الصراع التاريخي وفضول الإكتشاف وحتمية التواصل.

أولاً: نظرة الآخر.

أ. نظرة الغرب للشرق.

1. نظرة خيالية ومادية ما بين الشرق في صورة ألف ليلة وليلة والشرق المترف.

2. النظرة الفوقية وغير العادلة والذاتية ما بين صورة الاختلاف والغربة والسلبية والمغالاة في الحكم على الأهالي.

3. النظرة الكلاسيكية والمصطنعة ما بين الشرق المريض والنظرة المضادة والمشوهة للشرق.

ب: نظرة الشرق للغرب.

1. نظرة الشرقيين للرحالة الغربي: الآخر، "الغريب".

2. صورة إيحائية عن الأوروبيين والآخر: "حيوانات عرض أم حيوانات مفترسة".

3. الرحالة الغربي طبيب في نظر الشرقيين.

ثانياً: الخطاب الكولونيالي وإقصاء الآخر.

أ. الصورة والتواصل.

1. صورة الأهلي.

2. الآخر في ظل التواصل.

3. حاجز اللغة والتواصل بين الغرب والشرق، نقل الصورة بداية "مهمة مدمرة".

ب. العلاقات والصدام.

1. الصدمة الثقافية.

2. علاقات الثقافة العربية والغربية.

3. قراءة في التسلسل التاريخي لعلاقة الشرق والغرب وتطورها.

الفصل الثاني: دور الرحلة في توثيق التاريخ المحلي.

أولاً: الرحلة والتأريخ.

أ. الرحالة بين ذاتية الإبداع الأدبي والحقيقة التاريخية.

1. أدب الرحلة بين الرواية الأدبية والحقيقة التاريخية وتعميم كتابة التاريخ.

2. الرحلة والتوثيق من منظور نجمة بن عاشور وقراءة عن الكتاب الرحالة لمدينة قسنطينة.

3. قراءة في حركية الرحلة لمستوطنة الجزائر.

ب. الجزائر ما بين الإستشراق والنظرة الإستعمارية.

1. قراءة عن مستوطنة الجزائر وكتابات الرحلة ما بين الفكر الأدبي والكولونيالي.

2. فكرة لاتينية الجزائر في كتابات الرحلة في بدايات القرن العشرين.

3. الرحالة المتأخرون بدايات القرن العشرين ومحاولات إحياء الإستشراق.

ثانيا: الرحلة بين الصورة الفوطوغرافية والبطاقة البريدية واللوحة الفنية.

أ. الصور الفوطوغرافية ونص الرحلة.

1. الرحالة والصورة الفوطوغرافية.

2. الصورة الفوطوغرافية والتوثيق.

3. تفاعل الصورة الفوطوغرافية مع نص الرحلة والحقيقة التاريخية.

ب. البطاقة البريدية والموضوعية التاريخية.

1. البطاقات البريدية ما بين التصوير والخيال الجنسي الإستعماري.

2. البطاقات البريدية والصور الفوطوغرافية المبتذلة والمشوهة عن المرأة المحلية.

3. صورة المرأة المحلية ما بين المغالطات والواقع من خلال اللوحات الفنية.

الفصل الأول

الفصل الأول: نظرة الآخر للأهالي بين الصراع التاريخي وفضول الإكتشاف وحتمية التواصل.

أولاً: نظرة الآخر.

أ. نظرة الغرب للشرق.

1. نظرة خيالية ومادية ما بين الشرق في صورة ألف ليلة وليلة والشرق المترف.

2. النظرة الفوقية وغير العادلة والذاتية ما بين صورة الاختلاف والغربة والسلبية والمغالاة في الحكم على الأهالي.

3. النظرة الكلاسيكية والمصطنعة ما بين الشرق المريض والنظرة المضادة والمشوهة للشرق.

ب: نظرة الشرق للغرب.

1. نظرة الشرقيين للرحالة الغربي: الآخر، "الغريب".

2. صورة إيحائية عن الأوروبيين والآخر: "حيوانات عرض أم حيوانات مفترسة".

3. الرحالة الغربي طبيب في نظر الشرقيين.

ثانياً: الخطاب الكولونيالي وإقصاء الآخر.

أ. الصورة والتواصل.

1. صورة الأهلي.

2. الآخر في ظل التواصل.

3. حاجز اللغة والتواصل بين الغرب والشرق، نقل الصورة بدايةً "مهمة مدمرة".

ب. العلاقات والصدام.

1. الصدمة الثقافية.

2. علاقات الثقافة العربية والغربية.

3. قراءة في التسلسل التاريخي لعلاقة الشرق والغرب وتطورها.

الفصل الأول: نظرة الآخر للأهالي بين الصراع التاريخي وفضول الإكتشاف وحتمية التواصل.

أولاً: نظرة الآخر.

أ: نظرة الغرب للشرق.

في هذا العنصر نقوم ببناء فكرة عن النظرة إلى الآخر وتصنيفها من خلال قراءتنا في عدة جوانب لتبسيط الأفكار وإيضاحها، ففصلنا النظرتين أولاً نظرة الغرب للشرق وجزأناها إلى عدة أوجه تُعبر عن الفكر الغربي تجاه الشرق المبني على قاعدة الإستشراق والقائم على سحر الشرق، لكن قدم صور بعيدة عن الواقع لأسباب مختلفة كعدم معرفة الشرق والصدمة من اللقاء الصامت الذي يولد إنطباعات غير موضوعية، وثانياً رصد بعض الصور عن نظرة الإنسان الشرقي للغربي "كمتلازمة الطب" فهذه المهنة يربطها الشرقي بالغربي ويعتبره طبيباً حتى لو لم يكن كذلك، ولمحاولة فهم سبب ظهور هذه الفكرة نقف عند الحالة الإقتصادية والثقافية للعالم الإسلامي أو الشرق في تلك الفترة التي تميزت بالركود وقابليتها النهضة الأوروبية وبعدها الثورة الصناعية والتقدم التكنولوجي الغربي على الشرق، كما صنفنا من خلال هذا العمل بعض الأوجه عن النظرة للآخر، لخصناها في عدة أفكار قدمناها بتبسيط حتى تتضح رؤية النظرة للآخر، منها عكس الشرق في ألف ليلة وليلة وتترادف وتتوازي مع الشرق المترف ومنها غير العادلة والذاتية والظاهرية أي الخارجية الشكلية والمجلفة ومنها المرتبطة بخلفيات فكرية مخزنة لدى الغربي عن الشرق كتترادف الشرق والمرض.

1. نظرة خيالية ومادية ما بين الشرق في صورة ألف ليلة وليلة والشرق المترف.

ترسخت لدى الرحالة الغربيين صورة خيالية أنتجتها الذاكرة الجماعية إذ قدمت صورة عن الشرق أكثر منها عن العرب فمثلت عالم الخيال وترسخت مع بداية القرن التاسع عشر، وقبلها كان الرحالة يصفون ما يشاهدونه لكن في القرن التاسع عشر بحث الكتاب الذين قرأوا قصة ألف ليلة وليلة على ذلك العالم الغامض والمُشوق بهذه القصص، ومنذ 1830 أصبح المشهد الشرقي النموذجي مشهد عام فالكتاب ينشرون الرموز الشرقية كالخمار والجمل أو المنارة في كل كتاباتهم لإضفاء جمالية على ما ينتظرون رؤيته كما في ألف ليلة وليلة فكل شخصيات القصة موجودة، لتزيين الصورة المنتظرة فالرحالة يريد أن يجد دائماً ما يعرفه ويصبو إلى إحياء الشخصيات الخيالية للشرق الغامض والمُشوق ويتلهف لرؤية الألوان المحلية والأحياء العتيقة في فرار من الحداثة مجسداً التناقض بينها وبين التقليدي، وكانت الكتابات تتماشى وألف ليلة وليلة التي مثلت موساة وملجأ لمتذوقي الفن والحالمين

بإحياء الشرق والخيال¹، وبالتالي فنظرة بعض الكتاب كانت مرتبطة بخيال شخصي مرتكز على قراءات مثلت خلفية لتصورات ملهمة كانت أساسا لكتاباتهم عن الشرق، وعكست الشرق في رواية ألف ليلة وليلة والتي مثلت للبعض الشرق الحقيقي وبالتالي تكونت النظرة عن الآخر من منطلق شخصي. كما كانت النظرة المادية التي تمثل الشرق المترف نظرة مكملة لسحر ألف ليلة وليلة، فمن خلال قراءتنا إستنبطنا صورة أخرى للشرق مثلت صورة الترف والثراء، رصدها الرحالة عبر الوصف والسرد وعبروا عنها بلوحات فنية ومقاطع في كتابات، بعضها إرتبط بصور قصور وعمران الإمبراطورية العثمانية وجمالياتها مع بدايات الرحلات للشرق وتداخل مع ظاهرة الإستشراق وكان ذلك بالنسبة للغرب الفرنكفوني والأنجلوساكسوني على حد سواء، وإرتبط بعضها بالخيال والخرافات والأساطير كصورة على بابا ووكره المليء بالحلي والجواهر والذهب، فتعمقت وتجدرت هذه الصورة بين العامة من الغرب وتمازجت مع صور متعددة وجذابة لسحر الشرق.

2. النظرة الفوقية وغير العادلة والذاتية ما بين صورة الاختلاف والغربة والسلبية والمغالاة في الحكم

على الأهالي.

الواقع أن بعض الرحالة كانت لديهم نظرة فوقية للمجتمع الشرقي أي كانوا يعتبرون أنفسهم أعلى مرتبة من الشرقيين، كما نقل البعض تأكيدهم على الاختلاف الكبير بين العادات الشرقية والغربية فمثلا في ملاحظاتهم حول المظهر الخارجي يستغربون في الآسيويون لأنهم يحلقون رؤوسهم ويتركون لحاهم عكس ما يقوم به الأوروبيون، وكذا رجال القاهرة الذين يُشبهون ألبستهم بلباس النساء في حين نساءهم يلبسون سراويل ففي 1830 عندما إشتهرت وانتشرت دراسة العادات، وقدم الرحالة الإنجليزي "مادن" "Madden" مجموعة من الاختلافات الجدرية وعددها بخمسة عشر تصرف، ولخصها بقوله أنه يمكن إعتبار أن الاختلاف يندرج في عدوانية متداولة تجاه أعراف وعادات المسيحيين، ولتهذيب فكرة العدوانية المتداولة أظهر خصائص وتصرفات متناقضة تماما فهو يقول أن ما يعتبره الأوروبيين "وحشية" هو في نظر الشرقيين شجاعة، كما نسبوا للدين الإسلامي صفة "التعصب" ووصفوا كبرياءهم بالتعجرف وعتوا حبهم "بالشهوانية"، وبعده بفترة عدد المؤلف "إيركهارت" "Urquhart" ستة وثلاثون إختلاف بين العادات الشرقية والغربية وإستخلص نتيجة تشاؤمية وإستهزائية، وبعد 1850 واصل الملاحظون إستنباط المتناقضات خاصة نقطة الحلاقة وتصرفات أخرى كنزع الحذاء قبل الدخول إلى المسجد والقبعة في الكنيسة ووضع الخمار بالنسبة للنساء اللاتي يحجن رؤوسهن ووجوههن ماعدا أجسامهن، ولكن في القرن التاسع عشر أصبحت مظاهر الإختلاف هذه معروفة بالنسبة للرحالة الذين

¹Joëlle Redouane., L'Orient Arabe vu par les voyageurs anglais..., Op.cit., P. 222.

أصبحوا لا يتوقفون عنها إلا لإستغلال هذه الجوانب وعموما ملاحظي نهاية القرن التاسع عشر كانوا يؤكدون على كل ما يبدو عبثي وغير معقول وكارثي في تصرفات الشرقيين، فمثلا يستغرب الرحالة من النظام المعقد لزراعة الأشجار التي تحتاج إلى ثلاثة رجال مثلا وينتقدون بحدة الحكومة التي تلزم مواطنيها بالدفع مقابل خدمات عمومية، وبالتالي من الصعب الفهم الحقيقي لمعاملات الشرقيين¹. وما يمكن إضافته كذلك هو النظرة غير العادلة للغربي تجاه الشرقي، إذ يقول "سارقا موسى" "أن مأساة الغرب هي أنه لم يلتقي بالآخر ولم يعرفه كما هو، كما يعبر عنه "آلان لوبيشون" "Alain Le Pichon" في كتابه "النظرة غير العادلة" الذي يقدم فيه نقد جذري للنظرة الأنثروبولوجية للغرب إذ إتهمه بفقدان أهدافه وإنحساره في فئة غريبة، ويوضح "سارقا موسى" أنه من خلال العديد من روايات أدب الرحلة إلى الشرق في القرن التاسع عشر يرى إمكانية للحديث عن ظهور "نظرة مضادة"، وانتقد نظرة الرحالة المرتبطة بالشعور بالذنب الجماعي المتعلقة بذكريات الإستعمار وانتقاد نظرة الغرب المتعجرفة تجاه الشرق واللقاء الحقيقي في شكل إكتشاف جاء متأخرا، والتي لم تعني أن الغرب كانت له نظرة غير مهمة عن الشرق وكذلك كانت نظرة "شاطوبريون" "chateaubriand" للآخر نظرة مبنية على إختلاف الآخر، كذلك يوجد بالتأكيد في القرن الثامن عشر سلسلة خيالية مبنية على نموذج "رسائل فارسية" (1721) لـ "Montesquieu" الذي يقترح على القارئ الأوروبي نظرة غريبة على مجتمعاتهم، وفي القرن التاسع عشر ظهرت ترجمة إنجليزية وفرنسية لكتب الرحلة التي كتبها الشرقيون الذين سافروا إلى الغرب، فكان "مورايت" "Moraite" إستثناء في المسار بتغيير النظرة واللقاء بين المشرق والرحالة، إذ يوجد نوعين من اللقاء الأول مبطن أو محاط بنظرة مركزة على الذات كنظرة "شاطوبريون" الذي يدمج مواضيع تصف الآخر لكي يبرز المسافة التي تبعد وتفترقه، أما الثاني على العكس كان خلل هوياتي لديه والذي من المفروض أن يظل سيد النظرة ويرتكز على الوعي الذي كان لدى الرحالة الفرنسيين في الظهور كأجنبي بالنسبة للشرق، وهاتين النظرتين تعايشتا في أدب الرحلة طيلة القرن التاسع عشر والتطور للنظرة الثانية كان بهدوء خارج كل النظريات وباستقلالية عن الكتاب الكبار بين "المسار" لشاطوبريان سنة 1811 الذي جعل من الآخر سلبيا أين كانت صورة منحنة بين الأنا، وبين "رحلة للشرق" سنة 1835 لـ لامارتين "Lamartine" الذي يعتبر العالم الشرقي كمكمل أساسي للغرب وتوجد العديد من النصوص التي تعبر عن تطور ملحوظ في الذهنيات مهما كانت إضافات أو العناصر المشتركة لهذا الشعب الشرقي أو ذاك، وهو لم يندثر تماما من الإطار العام للشرق لكن كان يتوج بنظرة خاصة تشهد عليها العديد من كتابات الرحلة في سنوات 1820، إذ أصبح موجود عنصر مفاجئة في اللقاءات التي لا يتصور الرحالة بتاتا التحكم فيها، وهذا الإعتراف المتأخر للنظرة للآخر من قبل الرحالة الفرنسيين مرتبط تاريخيا بالمصلحة الجديدة للمسيحيين في العالم الإسلامي مع تطور الصحافة

¹Joëlle Redouane., L'Orient Arabe vu par les voyageurs anglais..., Op.cit., P.P.219, 220.

في الإمبراطورية العثمانية وترجمة الأعمال التاريخية الأوروبية إلى اللغة التركية ورحلات العرب والأتراك على وجه الخصوص إلى فرنسا، وهذه العناصر كانت السبب في هذا الوعي حسب "Bernard Lewis"، ومصطلح الأجنبي "L'Etranger" حسب "سارقا موسى" استخدمه الرحالة في حد ذاتهم للتعريف بأنفسهم وكيف نُظر إليهم من قبل الشرقيين، وأحد النصوص الأكثر ترجمة لهذا الرأي نص كتبه "Jean-Vaast DeLaroière" وهو طبيب لحق بـ"لامارتين" في أول رحلة له في الشرق وكان مغمور بالسعادة لمرافقته لهذا الشاعر الكبير وبعد تحرره من مرافقته في إحدى رحلاته بلبنان حيث مكث هذا الأخير ببירות، تنقل الكاتب إلى الجبل وحده أين استدعاه رجل دين مسيحي (أسقف أيفاك) لعلاج أحد أقاربه، في طريق العودة من الجبل وحيدا يصف "دولاروار" نظرة الجبلين المتفاجأة تجاهه ووصفها بالنظرة الفريدة للجبلين تجاه شخصه الذي يختلف عليهم في اللباس واللغة وكانوا فضوليين تجاهه حسب وصفه، ويضيف وعندما يواجهون لك الكلام وتخرج من فمك أصوات غريبة لم يسمعوها من قبل يكون إستغرابهم كبيرا وترسم على وجوههم تعابير لا تمثل لا تعاطف ولا كره بل إستغراب كبير، مما يجعلك تشعر بعدم الإرتياح لهذا اللقاء وتشعر حينها كم هو الإنسان المعزول ضعيف وكم هو بحاجة إلى جيرانه ليكون قويا ويعتمد على نفسه، وهذا الشعور لا يمكن وصفه ليس الخوف أو التأكد من الذات لكنه شعور عدم الراحة والفراغ ويجعلك تبحث عن مجتمع يفهمك بوضوح وكان الرحالة سعيدا بالعودة إلى أصدقائه، وعموما تميز الرحالة بالفضول إلى درجة أنه يصبح غريبا عن ذاته، وهذا يبرز من خلال مصطلحات يطلقها على الآخر كمختلف، غريب جدا، خارج (أجنبي) وبالمقابل كان المسافر مذهولا ويرى نفسه في موضع الاختلاف ويرصد أمثلة مختلفة لصور وإنطباعات بين الصدمة لرؤية الآخر وعدم الإكتراث خاصة نظرة السكان الأصليين للرحالة بفضول إلى درجة أن "نارفال" "Nerval" كان يلبس لباسا شرقيا لتفادي نظرات السكان الفضولية، وظل الرحالة متقربا يجيد الملاحظة مقدما صورا منقولة تظهر ردة فعل السكان عند رؤية الرحالة "الأجنبي"¹. إضافة إلى إنتشار النظرة السلبية عن الآخر وهي نظرة المغالاة والذاتية في الأحكام على الأهالي ويعتبر التقرير الذي أعده رجل القانون "غبريل كولان" "Gabriel Colin" حول السكان نموذج توضيحي دقيق حول طريقة تفكير ورؤية الآخر (المُسْتَعْمَر الفرنسي) للجزائري المسلم (الأهلي المُسْتَعْمَر)، وهي تقريبا نظرة شبه موحدة نرصدها من محامي ورجل قانون قدم محاضرة أمام مجلس القضاء حول عادات العرب بالجزائر، ويرى صاحب التقرير أن مصير المستوطنة مرتبط بالتعرف على سكانها وقدم تقريراً جذاباً بعيداً عن النظريات العلمية، ويرى أن عادات العرب متجانسة عكس عادات الأوروبيين غير المتجانسة لإرتباطها بالطبقات الاجتماعية، في حين عادات العرب متجانسة مستقلة عن الطبقة الاجتماعية للفئات المجتمعية التي ينتمي إليها الأفراد ويمكن الحكم على الجميع من خلال شخص

¹Sarga Moussa, La Relation Orientale, Enquête sur la communication dans les récits de voyage en Orient..., Op.cit., P.P.59, 60,62 ,61, 63,64.

واحد لكن الفرق الوحيد بين الجنسين حسب صاحب الخطاب، والذي يعود إلى الخلف بمقدمة عن مكانة المرأة قبل الإسلام وقبر الإناث ويضيف أن هذا الوضع تغير بعد ظهور الإسلام ودور الرسول صلى الله عليه وسلم في إجتثاث هذه العادات المرتبطة بالجاهلية، لكن يرى أن القبيلة ظلت تفضل الذكر على الأنثى إذ يصاحب مولد الذكر فرح وسعادة كبيرتين في القبيلة عكس الأنثى التي ظل البعض يراها عارا وعبئا على القبيلة ويضيف أن مكانة الرجل كانت أرفع من مكانة المرأة في المجتمعات العربية¹، ومن خلال هذا التقرير نلمس بعض المغالاة في الحكم عن الآخر من أول تصور للكاتب بإمكانية إسقاط الحكم الخاص بالفرد على المجتمع، وهذا التفكير غير مؤسس ويبتعد عن العلمية في دراسة المجتمعات باعتبار العلوم الاجتماعية تركز على العينيات الفردية وتفصل الحالات في الدراسة والحكم والتعميم لا يكون إلا في الإستثناء، كذلك الحكم المسبق المرتبط بالمستعر أو بالنظرة الكلاسيكية للآخر، إضافة إلى تقديم معلومات عامة عن الدين الإسلامي والطوقس الدينية مع الحكم الكلاسيكي عن المرأة والرجل والعلاقات الأسرية والعلاقة بين فئات المجتمع.

3. النظرة الكلاسيكية والمصطنعة ما بين الشرق المريض والنظرة المضادة والمشوهة للشرق.

قدم الغرب الشرق على أنه مريض فهو يعادل مرض الطاعون فالفرنسيون كانوا يمتنعون عن لمس جثث الشرقيين خوفا من وباء الطاعون²، وهذا التفكير من سلبيات الغرب وكان على الرحالة تجاوز هذه النظرة بداية القرن التاسع عشر ويضاف إلى هذا توجس السكان الذين يلتقون بهم، وأحيانا تكون ردة فعلهم عنيفة لممارسات يجهلون معناها فمثلا في كل مرة كان يقوم فيها الرسام الشهير "الكونت إيستورمال" "le comte d'Estourmel" برسم قلعة كان يُنظر إليه كأنه محرض وينبهونه بعنف أحيانا، وكما حدث معه في اليونان في منطقة "باتراس" "patras" كان يرسم قصر فأطلق عليه الجنود النار، وهذا النشاط التصويري لطالما لقي توجس من الشرقيين، فهم يعتبرونها نوع من الجوسسة من قبل الرحالة الأوروبيين، إذا ما اعتبرنا ردة الفعل العنيفة مبررة في الإطار الإستعماري مثل ما هو الحال في المغرب العربي بعد إحتلال الجزائر سنة 1830 ودورة العنف التي عرفت من إحتلال عسكري ومقاومة وعقاب وإنتقام وغيره، ويبدو واضحا ومؤسسا فعندما ذهب "أوجين دولاكروا" إلى المغرب سنة 1832 تعرضوا للرمي بالحجارة من أطفال المنطقة، فأوقفت كل القرية وأطلق سراحهم مقابل خمسون بياستر³ وهذه الرواية نشرها "دولاكروا" في مؤلفه الشهير "دفتر رحلة إلى المغرب" والذي

¹Gabriel Colin., Loge La justice, Mœurs des arabes d'Algérie / conférence faite par le F. Gabriel Colin, Paris, Imprimerie Alexandre Pichon, 1893, P.P.3-4.

²Sarga Moussa, La Relation Orientale, Enquête sur la communication dans les récits de voyage en Orient..., Op.cit., P.P.75, 74.

³Ibid., P.P.75, 74, 77.

تم طبعه في مطبعة "بلون" المعروفة بباريس 1960¹، ولعدوانية الشرقي للغربي أسباب مرتبطة بتعاملات الرحالة في حد ذاته ولكونه غريبا في "الشرق الأوسط" ولبعض صور الإستهزاء من الشرقيين تجاه الرحالة، فتكونت هذه النظرة السلبية بالتدريج وتبقي هذه اللقاءات في مجملها ترمز للعدائية². كما نرصد النظرة المصطنعة والمشوهة التي كونها الرحالة الغربي عن الشرق، فمثلا "إيركهارت" أكثر الرحالة البريطانيين صراحة أكد أن الرحالة الغربيين كانوا ينقلون الملاحظة المصطنعة فهم يجتمعون بالضرورة في هذه النقطة، وبالمقابل البعض وصل في نشر قصص قديمة تعتبر جزء من التراث الروماني أو السادي التابع للقسنطينية، ففي منتصف القرن برزت مجموعة تصر على تأكيد الاختلاف والتضاد بين العرب والأوروبيين، وبالمقابل لم يتقبل العالم الإسلامي التقارب بحدة وبعدها إتهم العرب بهذا الرفض متتاسين مثلا أن بعض العادات الأوروبية كشرب الخمر مُحرم في الدين الإسلامي ومتضاربة حتي مع قيمهم الإجتماعية، أو ما يراه مثلا الأوروبيين عديم الجدوى أو منافي للسلوك هو أساسي ومقبول بالنسبة للعربي الذي لا يستطيع تبني أي عادات أو قيم أوروبية من غير أن يُخل بنمط حياته، وهذا من مسببات ردة الفعل المريبة إضافة إلى المناخ والعادات والدين واللباس المختلف فبالنسبة للعربي أو الغربي لا يوجد أي تشابه أو نقاط مشتركة تجمعهما، وكان لبعض الرحالة آراء في هذا الموضوع الذي يرصد إنطباعات خاطئة للرحالة الغربيين عن الشرق وليست بالضرورة واقعية، فهي شوهت الشرق، إذ يرى "اللورد ديف قوردن" "L. Duff Gordon" أن الشرق الذي وصف من قبل العديد من الرحالة الرسامين والفنانين شوه بلوحات حماسية بعيدة عن الواقع وأشعار لا تعبر عن الصورة الحقيقية للشرق، كالرسومات التي تصور دائما الشرقي بالغليون وفي كسل كبير رغم أنهم في الواقع نشطين جدا، فمنذ 1860 الإستعلاء الإنجليزي والغربي عموما على الشرقيين كان واضحا وفي نهاية القرن التاسع عشر ظل الشرق غير مفهوم بالنسبة لهم، وهذا مرتبط بنظرة الغرب وتعاملاته كما يعبر عنه الشاعر البريطاني الشهير "كيبلينج" "Kipling" إذ يرى أن الرجل الأبيض حمل ثقيل ويعبر عن صعوبة اللقاء أو التواصل بين الغرب والشرق بقوله "الشرق هو الشرق والغرب هو الغرب ولا يلتقي أبدا الثنائي"، وفي الواقع التفكير الأوروبي يركز على إعتبارات جغرافية وعرقية، لا تمكن من فهم الشرق وبالتالي رغم العدد الكبير من الكتابات والرحلات ظل الشرق غير مفهوما³ وغامضا بالنسبة للآخر، وظل التصادم قائما ليس فقط مع رحالة عوام بل حتى مع رحالة مثقفين وكتاب وشعراء ورسامين وغيرهم من زار المشرق وكتب عنه وقدم صورته للآخر عبر مشاهد تراوحت بين الذاتية والفوقية مع الإستغراب والفضول، لتظل هذه الصورة ملازمة للشرقي الغريب والمثير باختلافه.

¹ carnet de voyage au Maroc, in : Journal d'Eugène Delacroix, Paris, édition .André Joubin Plon, 1960, T1, P.135.

² Sarga Moussa, La Relation Orientale, Enquête sur la communication dans les récits de voyage en Orient..., Op.cit., P.P. 76,77.

³ Joëlle Redouane, L'Orient Arabe vu par les voyageurs anglais..., Op.cit., P. 221.

ب: نظرة الشرق للغرب.

هنا أيضا نحاول رصد النظرة المضادة للغرب من قبل الشرقيين، وهي صورة مستتبطة مما كتبه الغرب عن نظرة الآخر لهم من خلال قراءاتهم للشرق و"صدمة اللقاء" كما يعبر عنها مجمل الباحثين الغربيين وخاصة رواد الدراسات المتعلقة بالإستشراق في القرن التاسع عشر على وجه الخصوص.

1. نظرة الشرقيين للرحالة الغربي: الآخر، "الغريب".

من خلال دراستنا نستنتج صور كونها الشرقي عن الأوروبي، ومنها صورة الآخر الغريب والمختلف في شكله ولباسه وعاداته ولغته ودينه، وبالتالي توجس الشرقي من الغربي في بدايات اللقاء وكان الفضول متبادل بين الطرفين قبل التعرف والتعود على الآخر، ليصبح الرومي عنصر غريب ومختلف يجذب فضول الشرقي، وليصبح الشرقي في المقابل موضوع لكتابات الرحلة والروايات واللوحات الفنية والجداريات والمسرحيات وكل إنتاج فكري وأدبي، وتطورت صورته بالتدريج ما بين الإستغراب والغربة والفضول لتصبح نظرة نوعية مع بروز التيار الإستشراقي.

2. صورة إيحائية عن الأوروبيين والآخر: "حيوانات عرض أم حيوانات مفترسة".

في قراءتنا لهذا التشبيه الذي من خلاله يعبر الباحث "كواشيرو هاتا" "Koichiro Hata" عن زيارة الرحالة الأوروبيين لمختلف المناطق بتشبيه أدبي مميز، نرى أنه يرصد صورة اللقاء الأول أو التعرف للسكان المحليين أو المشاركة للأوروبيين بالدهوة كأنهم حيوانات عرض، لكن يعكس صورة الأوروبي بالحيوان المفترس ولهذا التشبيه الكثير من الدلالات التاريخية التي ميزت العلاقات السياسية والإقتصادية والتاريخية بين الشرق والغرب خاصة في القرن التاسع عشر، وعن لقاءات الرحالة الغربيون بالسكان فهم حقيقة لم يزوروا كل البلاد بل النواحي التي زاروها قليلة وعادة ما يتوجهون لبعض المدن الكبرى والمواقع السياحية أين تجذبهم الآثار والمعالم التاريخية أما في كل عموم المنطقة فزياراتهم إليها قليلة، ولم يتعود السكان على رؤيتهم، فمثلا "ماكسيم دي كومب" "Maxime du camp" الذي زار قرية صغيرة مصرية يقول أن كل سكان القرية يلتفون حول المسافر كما لو كان شخصية كبيرة، وفي تلك الفترة أيضا عدد الرحالة من النساء كان قليلا ومحدودا ومجيء الأوروبيات أحدث فضولا كبيرا لدى السكان الأصليين، وعموما ردة فعل الأهالي العامة للأوروبيين بريئة وأحيانا حتى طفولية فهم يكتشفونه فقط بشغف وكأنه مخلوق يدعو للفضول، وهذا التصرف مرتبط بجهلهم شبه

الكامل بالأجانب الغربيين وعدم معرفتهم بهم¹، وتقاديا لهذا الفضول كان الرحالة الفرنسيون أثناء إقامتهم بدول الشرق يلبسون لباسا شرقيا للتنقل بحرية² في مناطق زياراتهم.

3. الرحالة الغربي طبيب في نظر الشرقيين.

يعتبر السكان الشرقيين أن الرحالة الغربيون أطباء، إذ يجد الرحالة نفسه في موقف مفاجئ ويكون محرجا في التعامل مع الأهالي تجاه هذه النقطة، وقد يكون ملزماً على تقديم خدمات طبيب وهذا ما حدث مع الكثير من الرحالة، والوضع نفسه في الجزائر خاصة الفترة العثمانية أين كان الرحالة طبيب ويقدم الخدمات للباشا وأين ما ذهب، والملاحظ أن الرحالة كانوا يُعرفون في الشوارع بمظهرهم أي لباسهم بمعنى أن مظهر الرحالة كان رمزا في الشوارع ويعرف باللباس التشفييري، ويرى الباحث "كواشيرو هاتا" أن أغلب الرحالة الأوروبيون قد لا ينتبهون بالضرورة لمميزات المدينة الشرقية عند وصف المدن في كتاباتهم لتلك الفترة، وقلة من القراء فقط كانت تلاحظ إقصاء المجال العمراني في تلك الكتابات³، وكذلك حسب الباحث "سارقا موسى" في حديثه عن مهمة الأطباء فالحقيقة أن كل رحلة كان يُعتبر طبيبا من قبل الشرقيين وحتى فوق رغبته فهو طبيب رغما عنه وبمجرد أن يُظهر الرحالة قدراته الطبية يصبح مطلوبا من الجميع، ومجمل الرحالة الذين لم يكونوا كذلك عبروا عن دهشتهم وفي نفس الوقت إرتياهم وإرتياكهم من الموقف وبعضهم تقمص الدور، وكان الطبيب يُعتبر "مخلوق فوق الطبيعة" وبسرعة يكتسب الرحالة "سمعة ساحر"، فالشرقيون يعتبرون الرحالة الأوروبيون موهوبون ولديهم قدرات خاصة على شفاء المرضى وبعض الرحالة تقمص فعلا دور الطبيب، وبالتالي فالرحلة مهما كانت وظيفته إعتبر صاحب قدرات خاصة تجعله "شخص مهيب" وذا مكانة في نظر السكان الشرقيين الذين يتعامل معهم ويرتبط ذلك بعدم معرفتهم بالدخلاء ولا بعلومهم ومعارفهم العامة. وفي العموم هذه هي القوى الإيجابية التي من المفروض أن يمتلكها الرحالة، علاوة على ذلك "صورة الشافي" التي يكتسبها، ويبدو أحيانا كـ "كاهن"، والواقع النظرة للآخر المتوجسة تكون في الإتجاهين معناه ليس فقط عند زيارة الرحالة الغربي للمشرق ولكن أيضا عند زيارة الرحالة الشرقي للغرب مثلا البدويين الثلاث في باريس الذين تخيلوا أن الفرنسيين سوف يأكلونهم⁴ وبالتالي يمكن القول أن النظرة للآخر تختلف من طرف إلى طرف، فالشرقي يسقط صورة المقدس وصاحب الخوارق على الرحالة الغربي الذي يجد نفسه طبيبا في الشرق، عكس الصورة النمطية للغرب حول الشرق الذي إرتبط

¹Koichiro Hata, Voyageurs Romantiques en Orient..., Op.cit., P.P.4 3,44.

²Irini Apostolou, L'orientalisme des voyageurs français au XVIII^e siècle..., Op.cit., P. 295.

³Koichiro Hata, Voyageurs Romantiques en Orient..., Op.cit., P.154.

⁴Sarga Moussa, La Relation Orientale, Enquête sur la communication dans les récits de voyage en Orient..., Op.cit., P.P.65, 67, 68,69.

بالمرض والجهل والشهوات، وهذا يرجع إلى الخلفيات الفكرية والتاريخية والحضارية للمجتمعين وإلى الصور النمطية المتداولة عن الآخر لدى الطرفين من مختلف الفئات.

ثانيا: الخطاب الكولونيالي وإقصاء الآخر.

نحاول عرض الخطاب الكولونيالي لفهم السياسة الإستعمارية في الجزائر والمرتبطة بالفكر الإستعماري والإستيطان الأوروبي، ودور المنظرين الإمبرياليين للتوسع الإستعماري الحديث الذي إرتبط بالنظرة الفوقية والخطاب الإقصائي للسكان الأصليين ودينهم وعاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم، وكان للخطاب الكولونيالي نظرة إقصائية تامة للإسلام ويعود هذا التصور إلى الخطاب المتناقض ويظهر التأثير الفعلي له على حياة السكان الأصليين، والحديث على الإنجاز الإستعماري يسمح أكثر من أي شيء آخر بالفهم الجيد لكيفية إستمرار الصورة النمطية في الذاكرة الجماعية الكولونيالية وضرر بعض الأحداث التي لم يكن من الممكن مرورها دون أن تلاحظ، والملاحظ وجود تناقضات بين هذا خطاب والواقع الجزائري كإخراج أعمال المؤرخين التي تبرر في مجملها بالقرار الممارس في الميثروبول حول مصير المستوطنة، هذه الوضعية كان لها تأثير واضح في بناء صورة عن الإستعمار وكانت دائما في توافق كلي مع الشرعية وكان هناك توافق وعلاقة وثيقة بين مبرر الخطاب بحيث محتواه يتوافق مع المواضيع التمجيدية للوطن الأم (الميثروبول) وهذا بالذات يطرح التساؤل حول كيفية تصور أن مجتمع ما أو مجموعة إثنية أو إجتماعية تتمكن من بناء الحاضر على تقديمات للتاريخ تتناقض مع الواقع وهذا ما يلاحظ من خلال أعمال المؤرخين المعاصرين وجميعهم يحاولون إخفاء هذه الحقيقة ولا يربطون الخطاب الكولونيالي بالواقع الإستعماري رغم أن هذا الخطاب واضح في مضامينه، وكأنهم لا يستوعبون أن الإستعمار أحدث تغيرات وسلب السكان المحليين مواردهم ولم يروا المصير المأساوي للسكان المسلمين، وأكد أن الأوضاع لم تُقدم بوضوح لأن الإيديولوجية الإستعمارية تبرر سلب الأراضي بأن السكان المحليين يعيشون في مناطق واسعة جدا وتزيد عن إحتياجاتهم وبالتالي تأخذ الإدارة الإستعمارية الأراضي الزائدة عن حاجتهم، وهذا التناقض الذي ينطلق منه الباحث "جون فرونسوا قيوم" Jean-François Guilhaume في تحليله لإقصاء السكان العرب¹، وهو التناقض الذي يساعد في فهم وتحليل الخطاب الكولونيالي المبني على فكرة إبعاد العربي وكأنما يوجد وطنين من الجزائر مختلفين، الجزائر الأولى ما قبل الإحتلال المسلمة متخلفة وجرداء ويتداخل هذا الوصف في حد ذاته مع السكان الأصليين فالأرض جرداء وكأنما السكان البرابرة الهمجيون (Les Barbares) هم السبب، والجزائر الثانية جزائر المستوطنين الجزائر الحقيقية لأنه قبل الإحتلال لم يكن هناك شيء !

¹Jean-François Guilhaume, Les Mythes Fondateurs de L'Algérie Française, Paris, éditions L'Harmattan, 1992, P.231.

وهذا تأكيد على فكرة سمو وتعالى (La Supériorité) الحضارة الغربية فهنا الجزائر تنمو بعيدا عن حصرها في المجال المستغل من قبل المستوطنين، وهذه الجزائر الثانية تتداخل في الواقع مع البلد بأكمله الذي تصرحه فرنسا جزءا من ملكيتها والتي بها المسلمون مبعدون أكثر فأكثر وهذا ما يجب إعتماده عند التفكير في الوضعية الكارثية للمسلمين المرتبطة بعدم توازن النمو بين مستواهم المعيشي ومستوى الأوروبيين، هذه الفكرة عن الجزائر المُقسمة (Dichotomique) ترسخت في الذاكرة الجماعية للمستوطنين الذين يُلحقون الجزائر ببلدانهم وترجمت في الخطاب الكولونيالي بتناقض بين ماضٍ مُنته وحاضر واعد، والملاحظ أن المستوطنين يرون أن "جزائر المستوطنين" هي الجزائر الشرعية الوحيدة والآخر (الأهلي) سُلِب وتلاشت صورته وماضيه، وهذا عكس رؤية المؤرخ الذي يرى أن الجزائر مستوطنة فرنسية محددة بحدود جغرافية، وفي معالجته للمعطيات الإحصائية المقارنة التي تسمح مع مرور الوقت بمعرفة السكان مثلا سياسة حصر المسلمين يُنظر إليها بأفق تاريخي أو مثلا نقص المنتج الفلاحي... إلخ، فالمؤرخ يقارن الجزائر بما كانت عليه سنة 1830 وكيف أصبحت فيما بعد وهذا في إطار البحث التاريخي والوثائق المتوفرة فمن خلال عناوين دراساتهم تبرز عدة قراءات تبين الفرق في وضع البلاد قبل وبعد الإحتلال، كعنوان أطروحة المؤرخ "شارل روبر آجرون" "CH.R. " "Ageron" "الجزائريون المسلمون وفرنسا" "Les Algériens Musulmans et La France" أو عنوان كتاب "لاكوست" و"نوشي" و"برونون" "Y.Lacoste"، "A.Nouschi" و "A.Prenant" "الجزائر ماضي وحاضر" "L'Algérie, Passé et Présent"، من خلال العناوين فقط تبرز مبادئ وأفكار أولئك الكتاب المؤرخين وحقيقة الأوضاع والمتغيرات في ما قبل وبعد الإحتلال الفرنسي للبلاد، وهذا ما يتجاهله المستوطنون. بالمقابل بالنسبة للذاكرة الجماعية الكولونيالية الجزائر لم تكن موجودة قبل 1830 لكن وجدت في إيالة الجزائر التي كانت مقرا للقراصنة ولنظام سياسي مستبد لسيطرة أجنبية على مجموعة عرقية مختلفة عنهم تماما، وتنتشر في رقعة جغرافية غير محددة والتي كانت دوما منطقة عبور أين كان كل محتل يطرد محتلا غيره، ويبدو أن المستوطنين عرّفوا أنفسهم بأنهم جزائريون "Des Algériens" أما غيرهم فهم الأهالي "Des Indigènes"، عرب أو بربر أو أيضا أفراد قبيلة لكنهم لا يشكلون بتاتا شعبا جزائريا. وكان واضحا في المنطق الكولونيالي أن الجزائر تنحصر في الأراضي التي سيطر عليها الإستعمار أي جزائر المستوطنين وألحقت بالمناطق المستوطنة أو الفضاء الإستيطاني أما بقية المناطق أين طرد الأهالي فهي تمثل أراضي غير مُعرفة وبدون أهمية، وبالتالي نستوعب الخطاب الكولونيالي الذي لم يأبه للحالة المزرية للمسلمين لأنه خارج حدود الجزائر، وبالتالي إرتكز الإستعمار بشكل دائم بعلاقة مسيطرة تمنع أي محاولة للإصلاح لصالح السكان الأصليين، وكان ثابتا في السياسات الإستعمارية منذ ملكية جويلية¹ وأمرا راسخا لدى ممثلي الإدارة الإستعمارية أن الجزائر يجب أن تظل ملكية فرنسية

¹Jean-François Guilhaume, Les Mythes Fondateurs de L'Algérie Française..., Op.cit., P.P.232, 233.

ومنها ما جاء به نابوليون وهي فكرة "المملكة العربية" وأعلن نفسه ملكا على الفرنسيين والعرب وكانت النتيجة عكسية، وذلك بإستغلال الأراضي من قبل الفرنسيين أي الإستيطان ومن جهة أخرى مثلت هذه الأرض الأفريقية التي تبين مدى قوة فرنسا أوروبا وإعُتبرت "المستوطنة الفخر" للفرنسيين، كما كان للأوروبيين الرغبة في الإستقرار بها وطلب أراضي تسد حاجاتهم تماشيا والتوسع الإستعماري، وفي بحثه عن الخلفيات التاريخية للخطاب الكولونيالي يرى "Jean-François Guilhaume" أنه يركز على فكرة التطور والتحضر، بإعتبار أن الوعي الوطني في فرنسا منذ فترة الأنوار صُقل بشكل كبير على فكرة الأمة الفرنسية المكلفة بمهمة نشر الحضارة في العالم، وقدم المستوطنون أنفسهم كممثلين لهذا النموذج، وفي هذا السياق يظهر التطور الفرنسي بكونه أرفع بالمعرفة ولكن أيضا بتميزه بفضيلة العمل وهذا المبدأ مأخوذ من مفهوم عالمية فكرة تكيف الإنسان مع بيئته وترويضها أي الإنتصار على الطبيعة وتحضير المتوحش وفي النهاية تجاوز الإنسان لنفسه، أي ظهور الإنسانية التي تحررت من الحيوانية وهذه الرؤية مبنية لا محالة على فكرة تحرير الإنسان بالعمل ومن هذا المنطلق بنى الخطاب الكولونيالي فكره من هذه المفاهيم¹ كالتطور والعمل وبما أن العمل هو شرط التطور سمح للإنسان بالتعرف على الحرية كما عرفها فلاسفة التنوير (التحكم في طبيعة الطبيعة الخاصة)، وبالتالي من خلال الخطاب الكولونيالي فقيمة الجزائر رُبطت بالعمل المتواصل "للأبطال" إذ كانت شرعية ملكية العمل كمفهوم في إطار الإيديولوجية المُعترف بها في فرنسا وتترجم في الأصل في أسسها الإيديولوجية للحق الطبيعي، وهذه الظاهرة ترتكز على نظرية العقد الإجتماعي وقام الباحث "ماريونستراس" "E.Marienstras" بمحاولة تحليلها، ففي ما يخص الأساطير المؤسسة للأمة الأمريكية قدم عدة مبررات مضافة وإيديولوجية تعمقت في تفكير رجال 1789 (الثوار) في فرنسا، حيث لم يكن هناك تفاهم بين المستوطنين والبلد الأم (الميثروبول) ولم يتمكنوا من إحداث القطيعة مقارنة بتلك التي أحدثها مؤسسي الأمة الأمريكية مع السلطة البريطانية، وهذا لأسباب يصعب تبريرها ولهذا يمكن أن نفترض مع "قانتان" "J-C Vantin" الأحداث الأساسية التي تفرق الوضعين، لأنه في الجزائر "الأقلية الأهلية تمثل الأكثرية التي يجب أن تؤخذ بعين الإعتبار"، وكان جليا أن الضرورة ألزمت المستوطنين الإعتماد على حماية الميثروبول للتمكين من السيطرة وهي في الواقع مرتبطة بصورة مضادة أو عكسية مع مؤسسي الأمة الأمريكية الذين تمكنوا من الربط مع أجدادهم البريطانيين، لكن ثوار 1789 كانوا مُلزمين بإعادة تعريف الأمة الفرنسية ولم يكن إشكالا بالنسبة إليهم بأخذ الإرث الذي يُكون الحدود الجغرافية الوطنية بالرجوع لمفهوم الأجداد، وكننتيجة حتمية للواقع معرفة مفهوم متوارث جماعي حيث موضوع الأخوة مسجل في كل أماكن الذاكرة الوطنية ومن وجهة أخرى الإعتقاد المشترك أن أجداد الفرنسيين هم الغال لأنهم كانوا يعيشون في نفس الرقعة الجغرافية مما يؤثر على أن الفرنسيين يؤمنون

¹Jean-François Guilhaume, Les Mythes Fondateurs de L'Algérie Française..., Op.cit., P.234.

بفكرة حقوق المحتل الأول" فتاريخ فرنسا كما هو مؤسس رسميا وكما يوجد في المناهج الدراسية يبدأ مع الغال، فالهوية الفرنسية مبنية على أسطورتين مؤسستين من جهة إيديولوجية المحتل الأول ومن جهة أخرى¹ الإيديولوجية التي تؤسس لحقوق شعب في إحتلال أراضي بناءا على مفهوم العمل والتطور، هذا حيث أن الإيديولوجيتان تتعايشان دون إشكال عندما يتعلق الأمر بالتراب الوطني لكنها تصبحان غامضتان عندما يتعلق الأمر بمستوطنة يقطنها سكان أصليون والصراعات التي خلقها الإستعمار الفرنسي بين القبائل والعرب مبنية على هذا الأساس، إذ يجب التوضيح أن مصطلح "القبائل" "le terme kabyle" في حد ذاته يبدو في قالب "مفرنس" يعني جمع قبيلة باللغة العربية وهناك العديد من النظريات حول أصلهم ويدل مصطلح القبائل على سكان الجبال بالتحديد، وبالتالي فالفرنسيين هم من خلق هذه التسمية حسب "شارل روبير أجرون" وبعد رحيل "راندون" "Randon" أصبحت القبيلة القبائلية تتكون من تجمع عمراني للقرى لنتمدد إلى حجم فيديرالية من الحلفاء وأصبحت ترأس إداري أو قيادة إدارية تتكون من تجمع أمناء القرى وقائد من درجتين "أمين الأمناء"، ويؤكد نفس الكاتب بأنه يوجد إعتقاد جزائري متداول بأن هذه الوضعية هي نتيجة إستراتيجية وضعتها الحكومة الفرنسية تهدف إلى التفرقة بين أفراد المجتمع حتى تسيطر عليه بشكل أفضل، وهذه الفكرة للحماية من أي تحالف مفترض بين المتكلمين باللغة البربرية والمتكلمين باللغة العربية وهذا ما كان يقدمه المساندين لفرضية تميز القبائل لكن كانت غير مسرح بها، وحاول "أجرون" جاهدا تحديد ما إذا كان ما يسمى بـ"الأسطورة القبائلية" مرتبط أم لا بسياسة فرنسية واعية وتماشيا مع المسار التاريخي تمكن من تحديد وتوثيق تاريخ ظهور الأسطورة القبائلية بقوله "ولادة السراب القبائلي" الذي حدد ظهوره في فضاء نقاشات سنوات 1860-1870²، وهذه النقاشات بين العسكريين والمدنيين تتعارض مع محبي الأهالي أو مساندي الأهالي من العسكريين ورغبة المدنيين في إمتلاك أراضي جديدة، ويرى الكاتب أن تعميم فكرة "الأسطورة القبائلية" من قبل المدنيين كانت لمواجهة العسكريين المساندين للأهالي، وذلك بطلب إلحاق القبائل حتي يتمكنوا من التطور في تعاقد مع الطبيعة الحقيقية للتحضر الفرنسي بناءا على الإمكانيات التي يمتلكونها، والكلام الذي كان يقال عن القبائل بطريقة تقريبا "ساذجة" حسب الكاتب يمثل جزء من النرجسية التي ميزت الخطاب الكولونيالي، لأنه يترجم فعليا الإرادة الواضحة في خلق تشابه بين القبائل والفرنسيين إعتبارا على بعدهم الإيديولوجي، وهذه الأفكار توضح أساسا الخطاب الكولونيالي لإستعمال محلي وموجه لتبرير التوسع الإستعماري، والعناصر المقدمة من طرف "أجرون" تسمح بتحديد المظهر الأساسي لهذه المجادلات والمواضيع المشابهة لتلك التي إستخدمت كتبريرات للسياسات المعارضة، ولكن في سنوات 1890 أي الفترة التي برز فيها الإستقلاليون الذين

¹Jean-François Guilhaume, Les Mythes Fondateurs de L'Algérie Française..., Op.cit., P.235.

²Ibid., P.236.

وضعوا الإنجاز الإستعماري في خطر تناقصت مساندة القبائل، ثم إزدهرت قليلا قبيل الحرب العالمية الأولى في الميثروبول، وفي الوقت الذي ظهرت فيه أولى التحركات المناهضة للإستعمار من قبل "الشباب الجزائري" يؤكد الكاتب تغير الوضع بصفة عامة، إذ أنه رغم أن فكرة سمو "البربر" لم تختفي تماما إلا أن الرأي الأوروبي في تلك الفترة لم يكن يفرق بين الأهالي العرب والقبائل في ما يخص المطالبة بالحقوق، والملاحظ في هذه الفترة إختفاء فكرة أن القبائلي قابل للدمج والإلحاق. ويدحض "آجرون" فرضية فتح المناطق القبائلية على الإدارة المدنية سنة 1880 ويضع الحقيقة الإستعمارية في مكانها، فحسبه الإدارة الإستعمارية لم تضع بتاتا¹ سياسة حقيقية تسمح للقبائل بالاندماج مع الأعراق الأوروبية لأن مصلحة الأوروبي تتنافى ومصلحة الأهالي القبائلي، والواقع حسب الدراسات الحديثة فالأسطورة القبائلية كانت نتيجة لإستراتيجيات سياسية واعية ومتداولة للإدارة الإستعمارية لكنها لم تبرر لماذا غيبت هذه الأسطورة في الذاكرة الجماعية الكولونيالية، لأنه بأي حال من الأحوال لم يكن لبربر الجزائر مصير مختلف عن مصير أهالي الجزائر الآخرين، وكان ظاهرا أنه هناك من إعتقد بوجود قابلية فطرية لدى السكان الجبليين في التحضر مما دفعهم لتقديم القبائل لهذا المشروع وبالتوافق مع المشروع الإدماجي للميثروبول، وبما أنه لا ينتظر شيء من العرب كان الأمل في سرعة فرنسة القبائل، وأكد كان في الجزائر الناطقون بالعربية والناطقون بالبربرية لكن أساسا الخطاب الكولونيالي كان يرى الآخر في العربي²، وبالتالي فالخطاب الكولونيالي الذي كان وليد الفكر الفرنسي المبني على أسس وقيم تاريخية راسخة في فكر بناء الأمة الفرنسية وقناعتها الحضارية مثل وسيلة من وسائل إقصاء الآخر وإسقاطه في صورة مركبة ومتداخلة مليئة بالزخم الإثني والثقافي عن الآخر الذي صُنف بدونية وهي نتيجة حتمية لهذا الفكر، فالفرنسيين حاولوا إجتثاث الهوية الثقافية والإيديولوجية المحلية والدينية بالجزائر، ورغم ذلك كان الإسلام موحدا ودافعا في محاربة الإستعمار³. في حديثه عن أثر الإستعمار في تغيير مظهر المغرب العربي، يُعنون المؤرخ والمفكر "أندريه نوشي" في كتابه "المتوسط في القرن العشرين" "La Méditerranée au 20^e siècle" عنصرا بـ "المظهر والإستعمار" يؤكد أن الإستعمار تسبب في إحداث تغيير كبير في أراضي المغرب العربي لصالح الأوروبيين القادمين للمنطقة مع الجنود، ومست أيضا المساحات المزروعة وتجفيف المستنقعات وإنشاء السدود مع إدخال معايير جديدة في الزراعة وخلق مظهر جديد أحادي الزراعة المتخصصة تغطي مساحات واسعة من الكروم، الحبوب، القطن، الحمضيات، الزيتون وزراعات البقول الموجهة للأسواق كما أن الإستيطان شتت معطيات الحقوق العقارية الإسلامية بإدخال قانون الحالة المدنية مع

¹Jean-François Guillaume, Les Mythes Fondateurs de L'Algérie Française..., Op.cit., P.237.

²Ibid., P.238.

³Camille., et Yves Lacoste., Maghreb peuples et Civilisations, Paris, éditions La Découverte, 2004, P.97.

حقوق الملكية المستوحى من القانون الروماني¹، فانتشرت قرى المعمرين أو التجمعات السكانية الإستيطانية الرباعية الشكل أو المضلعة ومبنية على الطريقة الأمريكية بشوارع مزينة بالمنازل على الطريقة الأوروبية بحدائق بها الفواكه والخضروات الضرورية للعائلة، وفي مركز القرية توجد ساحة عادة بها محل موسيقى وكنيسة ومدرسة أو عدة مدارس، وبعيدا مقر الجندرية أو الدرك وعلى طول الشوارع تتوزع محلات جزارة وبقوليات، مقاهي، مخازن، صيدليات، الخردوات ومواد غذائية يتزود منها الأهالي، وهنا حاول الإستيطان أن يكون رمزا للتعمير، ففي 1914 كان يعيش مليون أوروبي بالمدن إذ أن محاولة فرنسا تعمير الأرياف باءت بالفشل، في حين الإستيطان الإستغلالي نجح بإعتبار إرتفاع الإنتاج الزراعي مع إرتفاع منتج المناجم ونشاط التجارة، ومن هذا المنظور كانت الجزائر نموذجا للإستغلال الأمثل لتونس، وفي كلتا البلدين أخذ الفرنسيون الأراضي الأكثر خصوبة: [الجزائر 2، 3، مليون هكتار وتونس 855000 هكتار]، وهينوا السود لأراضي الإستيطان، فكانت أراضي المستوطنين الأوروبيين لزراعة الحبوب والكروم تتربع على مئات الهكتارات [في القطاع القسنطيني مثلا البعض تجاوز ألف هكتار] وكذلك إحتكار الشركات العقارية الكبرى في المستوطنة [شركة جنيف والشركة الجزائرية] التي تمتلك آلاف الهكتارات والإحصائيات تؤكد حجم الإحتكار الأوروبي في إطار الإستيطان للأراضي، إذ يحوز الأوروبيون الذين لا يزيد عددهم (26153) أوروبي أي بنسبة لا تتجاوز (4%) من السكان يمتلكون 2،3 مليون هكتار أي بنسبة (23،4%) من 9،8 مليون هكتار مزروعة، في حين المسلمين البالغ عددهم (617544) أي بنسبة (96%) يحوزون على الأراضي المتبقية، بالتالي بمتوسط 89 هكتار للأوروبيين و 12 هكتار للمسلمين فقط، في حين أن الملكيات الأوروبية الأقل أي ما يقارب الثلث تمتلك في المتوسط أربع هكتارات (4) أي ما يعادل 2% من المساحة الإجمالية، في حين خمس الأوروبيين يمتلكون 74% من الأراضي بمعدل 318 هكتار من المساحة العامة، وبالتالي الأوروبي يمتلك الأراضي أكثر من الجزائري فالأوروبيون لديهم الزراعات المكثفة للبقوليات والفواكه والأراضي الأكثر خصوبة والأفضل ربا بمساحات متساوية وإنتاجهم أعلى نسبة من إنتاج الجزائريين، فتقنياتهم في الزراعة متطورة ويستخدمون الآلات الزراعية في حين الجزائريين كانوا يمارسون زراعة تقليدية بوسائل تقليدية وتتضرر محاصيلهم من التغيرات المناخية وواقع المزارع الجزائري نفسه في تونس والمغرب²، وكان موازيا لسياسة الإستيطان بل إلزاميا بناء مدن إستيطانية إذ توجد ببلاد المغرب المستعمر الجزائر وتونس نوعين من المدن، المدينة القديمة العربية الإسلامية بعمرائها وسوقها وتقريبا إندثرت هذه المدن بالجزائر بسبب الإستعمار الفرنسي، والمدن الحديثة ذات الطابع الكولونيالي وإستنسخت المدن الأوروبية منذ منتصف القرن التاسع عشر

¹André Nouchi, La Méditerranée au 20^e siècle, Paris, Armand Collin, 1999, P.18.

²Ibid., P.19.

بالساحات وأماكن الراحة والإستجمام، والنموذج الأقدم للمدينة الإستعمارية هي مدينة الجزائر حيث توسعت بها المدينة الأوروبية أسفل ونواحي القصبه وشوها التهديم المتكرر وأنشأ الإستعمار عدة في الجزائر ك بون "Bône" [عنابة] وفيليب فيل "Philippeville" [سكيدة] وغيرها ك معسكر "Mascara" وسطيف "Sétif"، وبرزت مدن جديدة إقتصادية ك أورليون فيل "Orléansville" [الشلف] في وادي الشلف وكولومب بشار "Colomb Béchar" [بشار] في الجنوب الوهراني، وأصبحت قرى صغيرة دوائر ناشطة إقتصاديا بالأسواق وغيرها من المرافق، وبرزت هذه الظواهر مع بناء السكة الحديدية¹، وعموما حافظت المدن الكولونيالية على مجتمع المدينة الإسلامي أو جزء منها وأضافوا إليها المجتمع الجديد لإنذماج بعض الأهالي في العالم السوسيو إقتصادي الجديد الذي مس بلدهم بسبب الإستعمار، كما في بعض المدن الإسلامية أين إزداد عدد أصحاب رؤوس المال المحليين الأثرياء وبرز في الجزائر أيضا أهالي صناعيين، في مجال الأغذية أو التبغ وتجار أثرياء ومعهم كبار الموظفين المحليين وأعضاء الحكومة المعيّنين من طرف الإدارة [المجلس الأعلى، غرفة الزراعة، المفوضيات المالية المجالس العامة، المجالس البلدية] أو قداماء الأعيان أو خلفائهم المرتبطين بالقوة الإستعمارية، أو الرجال الجدد الذين إعتلوا المناصب بفضل حمايتهم الأوروبيين وهم غير محبذين من أبناء جلدتهم وهم حسب "نوشي" يمثلون برجوازية مشبوهة تُدين للمستعمر وتخضع له حتى عند ترأس مطالب سياسية. وفي المدن الأوروبية يعيش الأوروبيون منفصلون في أحياءهم العليا ومسؤولي الإدارة كبار الموظفين رجال البنوك، رؤساء المؤسسات، المفاوضين، أعضاء الحكومة أو المجالس الكولونيالية، البرلمانيين أو كبار الملاك العقاريين يعيشون جميعا في المدن، ومحامين وموثقين مشهورين وبعضهم يجمع عدة مهام فمثلا في قسنطينة كان "السيد مورينو" "E.Morinaud" محامي ورئيس البلدية ومن كبار الملاك في المنطقة ومدير أهم جرائد المقاطعة ونائب وكان تأثيره كبير على كل المنطقة، كذلك في مدينة بون "Bône" "السيد بارطايانا" "J.Bertagna" من كبار الملاك ورئيس بلدية وشريك عدة مؤسسات ومفوض مالي، فظهرت برجوازية حقيقية و متماسكة مؤسسة بقوة في البلاد تحميها تشريعات وضعت على مقاسها: مثلها موظفين، محامين، موثقين، ضباط، تجار، معلمين، وتأتي بعدها طبقة متوسطة من صغار العمال والموظفين والتجار، وأخيرا طبقة العمال والعاملين في ظروف صعبة ويثبت الأرشيف حجم الصراعات بين العمال وأصحاب المصانع ومن بين أولئك العمال نجد الأجانب والنساء وكانت روايتهم قليلة جدا خاصة العمال الأهالي²، وهناك فئة أخرى في المدن الكولونيالية وهم اليهود وكانت لهم مكانة خاصة ويتكلمون العربية والفرنسية، وتجنسوا منذ صدور "مرسوم كريميو" "le décret Crémieux" في 24 أكتوبر 1870 وتمتعوا بحقوق المواطنة الفرنسية، وشكل اليهود عالم مغلق في المدن وبعيدا عن كونهم جميعا أثرياء عكسوا إنشقاق المجتمع الأوروبي مع وجود طبقة عاملة واسعة

¹André Nouschi, La Méditerranée au 20^e siècle..., Op.cit., P.30.

²Ibid., P.31.

تعيش في الأحياء المنكوبة، ويعيش هذا المجتمع المنغلق في قيطوهات وتنحصر المصاهرات في ما بينهم أي نادرا ما نجد إنتشار الزواج متعدد الإثنيات بينهم فهم يتزوجون في ما بينهم فقط، ولديهم أفكار متعصبة عن الشرف والمرأة وكان الدفاع عن المرأة إلزامي يصل حد القتل إذا إقتضت الضرورة. وإرتكز المجتمع بالمستوطنة حينها على الإختلافات العرقية، إذ نجد الفرنسيين أولا ثم الأوروبيين المتجنسين بالجنسية الفرنسية بعد صدور قانون 1889 ويطلق عليهم في الجزائر تسمية "بالفرنسيين الجدد" ويأتي بعدهم الأوروبيون الأجانب وبعدهم اليهود وأخيرا الأهالي، وعموما في المدن سيطر المال وبرز أصحاب رؤوس الأموال إلى درجة خلق نموذج لمجتمع المدنية الكولونيالي وظلت مكانة الأوروبيين أفضل من غيرهم وحسب وظائفهم، فكان الموظفون السامون يتمتعون بإمتيازات ويحضون بمزايا من الريع الكولونيالي وكان من حقهم كل سنتين السفر المجاني للميثروبول لقضاء العطلة بفرنسا، وكانوا معفيين من الضرائب المباشرة وتمسهم الضرائب غير المباشرة في حين الأهالي يدفعون ضرائب مباشرة وغير مباشرة وكانت البلديات تستفيد من مداخيل الضرائب المفروضة على الأهالي¹.

أ. الصورة والتواصل.

نقدم في هذا العنصر صور التواصل التي رصدها الآخر من خلال مؤشرات تاريخية ثرية.

1. صورة الأهلي.

بالنسبة للبعض مثلت بلاد المغرب أرض معركة بين الشرق السامي والغرب اللاتيني منذ الأزل وبالتالي حاول الفرنسيون إزالة كل خصوصية للمنطقة ومحو شخصيتها، فالإيديولوجيين الإستعماريون حاولوا صنع صورة لإفريقيا الشمالية بالتمديد للغرب أو الإلحاق للشرق، وهذا ما يميز الخطاب الكولونيالي، والواقع عانت المنطقة من كونها مشرق الغرب الأول ومثلت الرؤية الأخرى التي جاء الإستعمار من أجلها دون إستسلام وحاول تقريبها من الآخر، وفرض المستعمر معاملات في هذه المنطقة من إفريقيا أو الشرق الثاني وهذا يؤكد سوء النوايا واللاوعي، فقد حاول الإستعمار جعل الإنسان المغاربي رجلاً أقل غرابة ومألوفاً بالنسبة للآخر لجعل عملية الإستعمار ممكنة²، وكانت صورة الأهلي بالنسبة للمستوطن مرتبطة بالبرابرة "Les Barbaresques" وصورة المعمر بالنسبة للأهلي مرتبطة بالرومي "Le Roumi"، وفي الأصل صورة الأهلي ثابتة في المخيلة الإستعمارية فهم البرابرة

¹André Nouschi, La Méditerranée au 20^e siècle..., Op.cit., P.32.

²Daniel Rivet, Le Maghreb à l'épreuve de la colonisation, Paris, Hachette Littératures, 2002, P.12.

الذين إرتبطوا بهم بعلاقة حرب منذ قرون ومن خلالها إكتشفه الغرب بفضل روايات الأسر المعاصرة وفي علاقات الرحلة لرجال العلم وكُتاب المقالات المعاصرة للملكية الأورليستية أين قدموا طويلا حقائق زائفة أو كما يصفهم الكاتب "Daniel Rivet" بقوله "...يصقلون فئات تحليلية حادة للقطع في أوردة الجزائر"، وهذا التشبيه الأدبي تعبير جلي وواضح عن الفكر الإستعماري الذاتي والمُنحاز في تقديمه لصورة الأهلي، وتعددت هذه الصورة حسب الكاتب منها "أرستقراطية تركية، برجوازية حضرية العوام من الواحات، الرجل الجبلي المجتهد من جبال القبائل، الفارس الخيال العربي الكسول من الهضاب والمزابي المهووس بالتجارة الصحراوية"، ومن خلال مجموع هذه الصور النمطية يتباهى المثقفون الفرنسيون بإستنباط أفكار لأساطير فلسفية، ويكفي مقارنة كتابات "دو طوكفيل" "De Tocqueville" الذي يتخيل بلاد القبائل كأنها في معهد للديمقراطية على طريقة "روسو" ومن "دوما" "Daumas" محب الخيالة العربية وثقافة الفروسية إلى "فرومونتان" الرسام والكاتب، وبالتالي حاول الإستعمار المُحضر المُزيف تشويه الجزائر الموجودة بعمق في مخيلة الطبقات المثقفة الفرنسية. وعموما عند أخذ صورة الجزائر في المخيال الميثربولي إضافة إلى اللمسة الغرائبية التي تبهر الكتاب والرسامين الباحثين عن عقب الشرق، يضاف حدث سقوط زمالة "الأمير عبد القادر" على يد "الدوق دومال" "Duc d'Aumale" سنة 1843 الذي صور الحرب في المستوطنة وأعطى زخما للصورة الشعبية عن سكان الجزائر، وهي صورة ممزوجة من عدة عناصر منها الأتراك، "الرملة الأهالي"، "الزواف" (الذكور السيئون لفرنسا المؤهلين باللباس العسكري) وكذلك "الفرقة الأجنبية" التي إرتبطت نشأتها بإحتلال البلاد ونشرت فكرة أن فرنسا فقدت الكثير من الدماء وصرفت ذهبها في "أراضي إفريقيا". وكانت هذه النتيجة لتقرير "طوكفيل" الشهير سنة 1847، ومن جهة أخرى كثرة الإنتقادات حول السياسة الجزائرية "لباريس" و"بيجو" "Bugeaud"، لكن التبرير الأدنى لصالح الإحتلال تضاعف بفكرة معادلة الربط بين الجزائر وفرنسا، وكانت الجزائر وراء الغرائبية لدى الكثير من الفنانين الفرنسيين إذ قُدمت الغرائبية على طريقة شاسيريو¹ نسبة إلى Théodore Chassériau [هو رسام فرنسي مشهور من مواليد 20 سبتمبر 1819 وتوفي في 8 أكتوبر 1856، تتلمذ على يد "D'Ingres" وكان من معجبي "Delacroix" وصديق لـ "Théophile Gautier"، تميز في المعرض العالمي لسنة 1855، وهو كلاسيكي ورومنسي مستشرق وكان فاعل وشاهد على فترة خصبة للفن الفرنسي تميز في تصوير الوجوه أو كما يعرف بالرسم التاريخي والنقوش وفي فن الزخارف الكبرى المستخدمة في المباني المدنية والدينية، وشبهه "ثيوفيل قوتيه" بالهندي الذي درس باليونانية القديمة، وزار الجزائر سنة 1846 فزاد فضوله للغرائبية².

¹Daniel Rivet, Le Maghreb à l'épreuve de la colonisation..., Op.cit., P.P. 12,133.

²Christine Peltre, Théodore Chassériau, Collection monographies, Gallimard, Paris, 2001, (Présentations site Gallimard : www.Galliamrd.fr/catalogue/Monographies/Theodore-Chasseriau).

كما مثلت المستوطنة بديل مصر "بونابرت" من خلالها يجد المستشرقون منفذاً لإنتظار الالتقاء بين الحضارات لكن بمؤشرات خاطئة إذ أرادوا تقديم عربي التنوير وعربي الرومنسية مع التركيز على الفترة العثمانية التي كانت في نظرهم فترة الإنحطاط، فكان الحلم بإخراج العربي من عزلته وإعطائه مشعل الحضارة وريثة الثقافة القديمة التي نقلها لأوروبا عند خروجها من العصور الوسطى، وم شروع التحضر الذي ميّز فترة الحملات على مصر وجد في الجزائر فرصة الظهور من جديد، لكن كانت هناك صدمة ثقافية مع البحر المتوسط المسلم، مثل الهند البودية (الفيدية) وبلاد فارس الزرادشتية، إذ كانوا ينتظرون في أوروبا "نهضة شرقية" حسب مصطلح "إيدقار كيني" "Edgar Quinet"، والأمل في لقاء بين الشرق والغرب أثر على الفهم الأصلي للسكان الحضر من قبل الفرنسيين الذين قادوا حملة الإحتلال، ففي البداية كان تقديم الإنسان المغاربي مثالي ورافقت هذه الصورة بدايات الحملة من الفرنسيين الأوائل فالعربي لم يأخذ بعد الصورة العنصرية التي تبناها المستوطنون وهي صورة المتخلف وأيضاً يأخذ معنى الزنجي "Le Bounoule" غير المتحضر والجاهل، بل هو رجل حرب حارب ببسالة كفارس نبيل العدو الذي عومل بالمثل، لأن الفرنسيين كانوا أمام رجل يتقن الحرب وركوب الخيل ويعيش بنبل بين الخيمة والقصر¹، لكن الصورة الرومنسية للعربي لم تقاوم أمام الصدمة الإستيطانية كما تشهد عليه الصور الفوتوغرافية والبطاقة البريدية والأدب، وكانت الجزائر على وجه الخصوص في صورة الوريث للحضارة الشرقية وكان الأهلي شرقي وأصبح نموذج لعرق منحط الذي تتسامح فرنسا مع وجوده لأنه لا يمكنها أن تفعل غير ذلك، فهي مهد حقوق الإنسان ولا يمكنها أن تعامل السكان الأصليين كالهنود الحمر في أمريكا وإزدادت هذه الفكرة إنتشاراً ما بين 1860 و 1890 وكانت أكثر في الجزائر التي سيطر عليها الأوروبيون الذين شاركوا في إدارتها وكانوا مستوطنين للأراضي، وما بين 1860 إلى 1950 مع تزايد المد السياحي تطورت صورة مبنية على التصورات الخاطئة والأحكام المسبقة والنظرة العنصرية للأهالي، فالمتعاملين معهم من القياد يعتبرونهم كشخصيات ألف ليلة وليلة أما غيرهم فهم أقل درجة ويشبهونهم بالحيوانات، وبالتالي فالنظرة النمطية للأهالي من قبل المستوطنين تزداد خشونة لما يخرج الأهلي عن الإطار العام للتعريف به، لأن المستوطن يرى أن الأهلي المثالي هو الخاضع للإستعمار والمرتبط بولائه لفرنسا فتصبح صورته أكثر تشوهاً، والأوروبي يسقط تخوفاته المتعلقة بالسيطرة على الخاضعين وجهله بالسكان المحليين يزيد في تقسيم صورة الآخر، لأنه كلما زاد ضغط المعمر كلما زادت معارضة الأهلي ويتعمق الشعور بأنه متمرّد، غير قابل للتحكم وهذا ما عبر عنه "دو موباسون" "De Maupassant" سنة 1888 حين قال "لما أفكر في هذا الشعب المهزوم الذي نخيم بينه أم هو الذي يخيم بيننا والذي نفرض عليه قوانيننا وقواعدنا وعاداتنا ونجهل كل شيء عنه....."²، وهنا يتبين أن "دو موباسون" يتخوف من الأهالي

¹Daniel Rivet, Le Maghreb à l'épreuve de la colonisation..., Op.cit., P. 19.

²Ibid., P.22.

وعندما يطرح السؤال من يخيم مع من؟ فهو يوحي إلى حقيقة الإستعمار وأن الفرنسيين غرباء بين الأهالي ويعترف بتعدي الإدارة الفرنسية على خصوصية السكان بفرض القوانين الفرنسية والقواعد والعادات، وهذا إقرار ضمني منه كشخصية أدبية فرنسية على عدم شرعية الإستعمار رغم أنه وعدد كبير من المثقفين والمشاهير من الكتاب والرسميين زاروا المستوطنة في إطار حملات دعائية للإستعمار، خاصة بعد الصراع الذي سيطر على المؤسسات القانونية الفرنسية والبرلمان حول الإستعمار ما بين معارض ومؤيد، إذ مثلت الفترة الممتدة من 1830 إلى 1870 فترة التردد بالنسبة للإدارة الفرنسية حول المستعمرة أما فترة الجزائر الفرنسية فكانت في الفترة ما بين 1870 إلى 1930. وعموما تميز تعامل المعمر مع الأهلي بالغلو واللاإنسانية، هذا ما إنتقده "جيل فيري" سنة 1891 وسماه "الإستغلال بسماء مفتوح" أي إستغلال كبير وواضح للجزائريين المسلمين، كما إنتقدهم "ليوتي" ¹ Lyautey، [هو Louis Hubert Lyautey ضابط من مواليد 17 نوفمبر 1854 بمدينة نانسي الفرنسية وبعد إنهائه لدراسته الحربية بسان سير Saint-Cyr سنة 1873 أرسل إلى الجزائر، ومكث بها سنتين أين كان ضابط في صف الخيالة، وعاد بعدها إلى فرنسا أين أرسل في مهمات أخرى ليعود من جديد إلى الجزائر سنة 1903، وفي سنة 1912 أصبح القائم العام بشؤون فرنسا بالمغرب وأطلق عليه إسم "ليوتي الإفريقي" وانتخب عضو الأكاديمية الفرنسية في 31 أكتوبر 1912، وتوفي في فرنسا في 27 جويلية 1934²] إذ إنتقد تفكير المعمرين المزارعين بالجزائر وإتهمهم بأنهم "لديهم تفكير دنيء نفس الشيء بالنسبة لدعاة نظريات العرق الأدنى درجة الموجهون للإستغلال دون رحمة".

2. الآخر في ظل التواصل.

في بدايات الإحتلال كان المعمرين المغمورون يعيشون في المجتمع في أطراف المدن وفي الأرياف لكن تدريجيا قل التواصل، وبعض المعمرين فقط ظلوا علي تواصل مع السكان كما أكده "جاك بارك" Jacques Berque الذي عاش في الجنوب الوهراني (ولد "بفرندة" Freneda يوم 4 جوان 1910 وتوفي في "سان جوليان أو بورن" Saint-Julien-en-Born بفرنسا يوم 27 جوان 1995)، والسكان المحليون لم ينسوا أبدا أن فرنسا مستعمرة لبلادهم، وكانوا يُورثون هذه الحقيقة لأبنائهم جيلا عن جيل وكانوا يتفادون التعامل مع المستوطنين وهذا ما عبر عنه "فرومونتان" و"ليوتي"، لكن في منتصف القرن التاسع تكلم "بول آشار" Paul Achard في الجزائر العاصمة عن "نظرة غير مبالية من المهزوم" وهذا يعني أن السكان المحليين كانوا محافظين على مسافة بينهم وبين المستوطنين، فهم يمثلون الإحتلال إذ قاوم الأهالي الإستعمار بالسلاح كما أبدوا مقاومة ثقافية وخدمانية فرفضوا التعليم

¹Daniel Rivet, Le Maghreb à l'épreuve de la colonisation..., Op.cit., P.22.

²[http://www.academie-francaise.fr/Les Immortels/Louis-hubert-lyautey : Louis...](http://www.academie-francaise.fr/Les%20Immortels/Louis-hubert-lyautey%20%3A%20Louis...), Grand Officier de la légion d'honneur, Militaire Maréchal de France, N0 520.

والتطبيب الفرنسي، وحددوا قيمهم الثلاث والتزموا بها وهي الإيمان واللغة والقيم الأخلاقية وتمسكوا بها في مواجهة الإحتلال فهم كانوا ينظرون للمحتل بنظرة توجس¹، لكن بعد قرن تحدث "جاك بارك" على بعض العادات الأوروبية التي تنبأها بعض السكان "المتطورون" الذين يفتخرون "بأوروبيتهم" للهروب من النظرة الفضولية للمستوطنين، في المقابل كان الأهالي كانوا يستهجنون من يتعاون منهم مع الإحتلال وإعتبروهم خونة كما إنتشرت أغاني إستهجان عن أولئك الذين يتعاونون مع "الرومي"، وفي الجزائر كان السكان يطلقون على الذين يشربون الخمر منهم ويلبسون المعاطف ويرافقون الأوروبيون تسمية "المتورني" "Le M'tourni" أي الذي "قلب معطفه" وهي من الكلمة الفرنسية "إنعطف" "Tourner" أي ينعطف ويدور وهنا تأخذ معنى الخارج عن دينه وعاداته وتقاليده [أطلقت هذه التسمية كذلك على الفرنسيين المعتنقين للإسلام واشتهرت قصة المتورني الذي تحدثت عنه إيزابيل إبيرهارد²] وفي المغرب يطلقون على الجزائريين المنقلبين تسمية "الواسطي" "Ouasti" أو الواسطي أي ليس مؤمن حقيقي وليس كافر، أو ينعتوهم "بأصحاب النصارى" "Shab Nçara" ومرافقيهم، ويرى البعض الآخر أن الإنسان المغربي لم يبق حينها محصورا في فكرة المستوطن الأوروبي وريث الرومي فقط بل أدرك أن النضال في مواجهته يجب أن يكون أيضا بإمتلاك وسائله وهي الحضارة المادية أو التحضر أو "التمدن"³.

3. حاجز اللغة والتواصل بين الغرب والشرق، نقل الصورة بداية "مهمة مدمرة".

في المراحل الأولى للتواصل المكثف ما بين 1835 إلى 1840 يأس الرحالة من محاولة فهم العالم العربي وذلك لغياب وسائل التواصل حتى بالإشارة أحبطت النوايا، وبعد ظهور "السياحة في الشرق" سنة 1840 الرحالة لم يدرسوا "العربي" إذ كانت المشاهد إيمائية وغير مفهومة وهذا بسبب جهل اللغة، فلم يفهم الرحالة السكان الأصليين فالسواح كانوا متسرعين ويستلزم الأمر سنوات لنسيان الإنطباع الأول الذي عادة ما يكون سلبي، ويصعب إدراك حقيقة أن المجتمع الشرقي له نظام ومنطق يفسر كل المعاملات والعادات والأعراف، ويوضح الرحالة البريطاني "إيركهارت" الأمر ويرى أن الأوروبي الذي يقضي يوم في الشرق يُقدم وصفا بكلمات من لغته ولتحويلها إلى أفكار عليه أن يشعر بمشاعر الشرقي ويُعبر عنها بلغته وهي أجنبية للشرقي وهذه مهمة "مدمرة" فعندما تختلف الإنطباعات تتعدم إمكانية الوصول إلى لغة مشتركة، وبسبب هذه الصعوبة في التواصل يصبح كل طرف غير محبب للآخر، فحُرم الغربي من إمكانية الإعجاب بما هو جيد والمقبول أصبح غير جيد وسيئ فهمه

¹Daniel Rivet, Le Maghreb à l'épreuve de la colonisation..., Op.cit., P.P.23, 26.

²Eberhardt, Isabelle, Pages d'Islam..., Op.cit., P.P.261-262.

³Daniel Rivet, Le Maghreb à l'épreuve de la colonisation..., Op.cit., P.P.27, 28.

وهذا الإضطراب الناتج عن اللغة سبب في ما بعد عدوانية مفهومة وسوء ظن متبادل أنتج ردة فعل مبررة وسوء الفهم هذا سبب عراقيل حدث من إلتقاء وتفاعل الرحالة الغربي مع بالسكان المحليين¹.

ب. العلاقات والصدام.

نرصد في هذا العنصر طبيعة العلاقات والصدام الثقافي بين الطرفين لفهم خلفيات العلاقات.

1. الصدمة الثقافية.

في هذا الخصوص نتحدث الباحثة "جوال رضوان" Joëlle Redouane عن الصورة الافتراضية للشرق التي شكلها الفكر الغربي وعلاقتها بالواقع، فعند أول لقاء تنتج الصدمة والرفض وهذا الأخير مبني على قاعدة خلفية مرتكزة على قصص ألف ليلة وليلة التي قرأها الرحالة الغربي والذي لا يعرف من الأدب العربي إلا روايات البطولة والفروسية كقصة عنتر بن شداد أو معلومات عن فصاحة العرب فهم جعلوا العالم العربي مثالي قبل زيارته والتعرف عليه في الواقع، في حين واقع العالم العربي مختلف عن الخيال الغربي وواقعي بخصائصه كعالم غير آمن يميزه عدم الراحة والمعاناة، رغم ما يحتويه من طبيعة ومناظر وعلوم وفنون وبالتالي عرف رحلة القرن التاسع عشر خيبة عند زيارة المشرق من الناحية الجمالية بصفة خاصة، في حين الغرب كان ينهض بالفنون من رسم ومسرح وهندسة وآداب وكانت تقام المهرجانات والإحتفالات والفعاليات الثقافية المتنوعة في المجتمع والتي تلقى الإعجاب والتوافد الكبير من المجتمع الغربي كما كان الإهتمام متزايد خاصة بالآثار، كانت الصدمة من المجتمع العربي الذي لم يكن يهتم بهذه الجوانب فالمساجد لا ترمم والآثار مهمة لا يحافظ عليها ولا تعطى لها قيمة علمية وتاريخية، وبالتالي ظهر العالم العربي فارغ ثقافيا وفنيا وفي الواقع كل طرف يعتقد أن عالمه هو الأفضل ويرى عالم الآخر أدنى من عالمه المثالي وكل عالم يطلق أحكام ذاتية عن العالم الآخر، وبالتالي تتعمق الهوة بين العالمين وتتعمق فجوة جهل ومعرفة الآخر فمثلا في ظل هجوم الرحالة الغربيين على المجتمعات العربية تكون ردة فعلها الإنعزال لحماية نفسها، وعدم فهم المجتمع العربي جعل الرحالة يطلقون أحكام ذاتية كذلك الخلط بين بعض العادات البعيدة عن الدين الإسلامي أعطى صورة سلبية، مثلا عند محاولة تعميم عادات البدو التي لا تحترم الشريعة الإسلامية وجعلها قاعدة لإطلاق أحكام بعيدة عن الواقع وغير موضوعية وهذا خلق شعور عدم الإرتياح والقلق بين الطرفين²، ويرى الباحث "سارقا موسى" أن الرحالة الفرنسي كان يفتعل الصدمة الثقافية لقرائه بحديثه عن لباس المرأة الشرقية، نفس صدمة الأميرة العراقية "ماريا ثيريزا أسمر"

¹Joëlle Redouane, L'Orient Arabe vu par les voyageurs anglais..., Op.cit., P. 220.

²Ibid., P.P. 275,276, 277,278.

"Maria Theresa Asmar" مسيحية سافرت إلى روما بعد حجها إلى القدس، وصلت مدينة ليفورن "Livourne" سنة 1832 وكانت "مصدومة" برؤية النساء يتجولن دون حجب وجوههن، ويُحدث التواصل الأول مع الشرقيين النفور إضافة إلى رفض التواصل الجسدي الذي يبيده الرحالة الغربيين تجاه الشرقيين، ويميزه الاختلاف الثقافي الذي تكلم عنه "إدوارد سعيد" "Edward Saïd" ورغم ذلك إعتبر الشرق كنموذج ثقافي من خلال وصف بعض رحالة القرن التاسع عشر، وفي محاولة لتقريب العالمين نادى فكر "السانسيمونية" بتقوية العلاقات بين الشرق والغرب والتحضير "لتوحيد الشرق والغرب" بحيث تتمازج الحضارة الغربية مع الحضارة الشرقية، وكان لمنظر السانسيمونية الشهير "إسماعيل أيربان" "ismayl urbain" الذي أسلم في القاهرة سنة 1835 محاولات لتحقيق حلم التمازج الثقافي للعالمين¹.

2. علاقات الثقافة العربية والغربية.

عرفت العلاقات تحولات في القرن التاسع عشر فالغربي كان يرى في العربي "همجي أو باللفظ اللاتيني بارباري" "Barbares"، وبالتالي في نظرهم العربي كان في منتصف الطريق بين التوحش والتحضر متناسين أنه سحق من قبل حضارات الآخر الغربي الأجنبي المسيحي الذي أوقف تطوره وتغلب عليه، إضافة إلى التحولات الكبرى في دول أوروبا كحملة "نابوليون بوناپارت" على مصر وإنتشار أدب الرحلة بعد 1840 في إطار مهمة تحضير² الآخر الشرقي والمسلم العربي، والملاحظ أن "المهمة التحضيرية" كانت في إطار التوسع الإستعماري والإمبريالية والتغيرات التي مست الشرق بعد سقوط الدولة العثمانية ومعركة ملاء الفراغات والأماكن وتوازن القوى ما بين الإمبراطوريات الإستعمارية الأوروبية الحديثة، وترى الباحثة "جوال رضوان" في حديثها عما إصطلحت عليه "بالصدمة الثقافية" أن العالمين سارعا إلى الإبتعاد عن بعضهما البعض منذ القرن التاسع عشر مع بروز عامل القوة والتوسع الإستعماري، ومحاولة الغرب نشر الثقافة والدين المسيحي بين الشرقيين والتقنيات وإعتبارها قيم عالمية ورغبتهم في خلق إطار سوسيوسياسي لضمان تطور الأمة وبالموازاة مساعدة الفردانية على الإزدهار، وبالتالي كانت الرغبة في نشر التنوير وفي نفس الوقت حاول العرب الهروب إلى الماضي والتمسك بالقيم الإسلامية والمحافظة على الإطار المجتمعي والسياسي التقليدي³ المتعارف عليه والسائد بين المجتمعات الشرقية المحافظة، وبالتالي كان التصادم بينهما والصدمة الثقافية والتي كانت قاعدة للعلاقات بينهما إذ يغذيها الصراع المؤسس دينيا وتاريخيا وحضاريا وسياسيا بين العالمين الشرقي والغربي، ولم يقتصر على تلك الفترة بل إمتد حتى الفترات المعاصرة وأسس لعلاقاتهما.

¹Sarga Moussa, La Relation Orientale, Enquête sur la communication dans les récits de voyage en Orient..., Op.cit., P.P.70, 74, 83,99.

²Joëlle Redouane, L'Orient Arabe vu par les voyageurs anglais..., Op.cit., P.P.278, 279.

³Ibid., P. 279.

3. قراءة في التسلسل التاريخي لعلاقة الشرق والغرب وتطورها.

الأعمال المدروسة هي مقاطع من تاريخ طويل جمع جزئي الكرة الأرضية الشرق والغرب وإرتكزت الدراسات على أسئلة محورية تخص النظرة للآخر والأوجه المرصودة وكيفية تقديم الكتابات للشرق، ويطلق المفكر "إدوارد سعيد" مصطلح الإستشراق الحديث، ويرى أن الإستشراق الحديث وُلد مع نقطة إتصال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ورغم أن المفهوم الجوهري والأساسي للإستشراق ظهر منذ 1799 إلا أن الإستشراق لم يُسجل ويثبت إلا سنة 1838 في قاموس الأكاديمية الفرنسية والتعريف العلمي الذي يقترحه "إدوارد سعيد" للإستشراق هو مزدوج القطب أي ذو قطبين، فهو يرى أن الإستشراق من جهة موضوع للدراسة من خلاله كان الشرق يُعالج بانتظام كموضوع دراسة واكتشاف وتطبيق، ومن جهة أخرى مثل الشرق مجموعة أحلام، صور ومفردات يستخدمها من يريد الحديث عما يوجد بالشرق، وبالتالي يعتبر الإستشراق علم ومجال بحثه الشرق كما يعتبر أيضا قاموس مُتصور مُسبقا يغترف منه كل باحث ودارس، وكان الكُتاب الغربيين يبحثون عن الرومنسية السامية في الشرق من خلال الرحلات وازدادت الرغبة لرؤية الشرق والتعرف عليه بعد تأسيس المجلة العلمية المعروفة جدا "مجلة العالمين" عام 1829 وتنتشر دوريا وبانتظام في أعدادها الرحلات أو تقارير عن الرحلات وأيضا ما تنشره جريدة "الكون" من 1824 إلى 1827 وبتوسع النشاط الإستعماري بعد سنة 1830، ومن جهة أخرى أصبح الوصول للشرق سهلا بفضل تطور وسائل التواصل، وكان البحث عن إغتراب "le dépaysement" الغريب "l'étrange" في الخارج "l'étranger": أي الأجنبي الدخيل، وبالتالي زاد إهتمام الغرب بالشرق، ومن جهة أخرى فالرومنسيين الذين يرغبون في تجربة الواقعية يتحمسون للرحلة في فضاء مزدوج الأبعاد الزمنية، وكان الحج في الأرض المقدسة يعبر عنه كليا بصفة سليمة وروحية أو أدبية وبالتالي أصبحت الرحلة إلى الشرق مرحلة أساسية في المبادرة الفنية الروحية، وظهرت طبقة جديدة من الرحالة وهي طبقة الرحالة الكُتاب كما أن الشرق واصل في تلقي عدد من المؤسسات والمشاريع السياسية والتجارية¹، فإفتح أكثر على الآخر وتعزز اللقاء والتواصل رغم التصادم.

¹Véronique Magri., Le discours sur l'autre..., Op.cit., P.P.7, 23, 24.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: دور الرحلة في توثيق التاريخ المحلي.

أولاً: الرحلة والتأريخ.

أ. الرحالة بين ذاتية الإبداع الأدبي والحقيقة التاريخية.

1. أدب الرحلة بين الرواية الأدبية والحقيقة التاريخية وتعميم كتابة التاريخ.
2. الرحلة والتوثيق من منظور نجمة بن عاشور وقراءة عن الكتاب الرحالة لمدينة قسنطينة.
3. قراءة في حركية الرحلة لمستوطنة الجزائر.

ب. الجزائر ما بين الإستشراق والنظرة الإستعمارية.

1. قراءة عن مستوطنة الجزائر وكتابات الرحلة ما بين الفكر الأدبي والكولونيالي.
 2. فكرة لاتينية الجزائر في كتابات الرحلة في بدايات القرن العشرين.
 3. الرحالة المتأخرون بدايات القرن العشرين ومحاولات إحياء الإستشراق.
- ثانياً: الرحلة بين الصورة الفوطوغرافية والبطاقة البريدية واللوحة الفنية.

أ. الصور الفوطوغرافية ونص الرحلة.

1. الرحالة والصورة الفوطوغرافية.
 2. الصورة الفوطوغرافية والتوثيق.
 3. تفاعل الصورة الفوطوغرافية مع نص الرحلة والحقيقة التاريخية.
- ب. البطاقة البريدية والموضوعية التاريخية.

1. البطاقات البريدية ما بين التصوير والخيال الجنسي الإستعماري.
2. البطاقات البريدية والصور الفوطوغرافية المبتذلة والمشوهة عن المرأة المحلية.
3. صورة المرأة المحلية ما بين المغالطات والواقع من خلال اللوحات الفنية.

الفصل الثاني: دور الرحلة في توثيق التأريخ المحلي.

أولاً: الرحلة والتأريخ.

نقدم في عدة نقاط طرح تحليلي عن تأريخ المجتمع المحلي من قبل الرحالة ودوره في التوثيق.

أ. الرحالة بين ذاتية الإبداع الأدبي والحقيقة التاريخية.

نتعرف على كتابات الرحلة بين الرواية والتأريخ ودورها في توثيق تاريخ المجتمع المحلي.

1. أدب الرحلة بين الرواية الأدبية والحقيقة التاريخية وتعميم كتابة التأريخ.

عرفت الكتابات التاريخية حول المجتمع المحلي العديد من الإشكالات التي طرحت على خلفية صراعات إستوغرافية وإيديولوجية أدت إلى تشويش إنعكاس نزيه حول إستوغرافية أفريقيا وأساسياتها وبالتالي من الصعب تحديد بدقة مجموعة من النصوص التاريخية، فالروايات على الماضي الإفريقي وضعت قبل أو أثناء الفترة الإستعمارية فهي لا تحصى وبطبيعة متقلبة منهم باحثين، مستكشفين مسافرين سطحين، باحثون ميدانيون من علماء الأجناس أو مؤرخين وكتاب وهواة للتأريخ دون تكوين جاد، خاصة مجموعة من العسكريين الذين جمعوا معلومات عن العادات والتقاليد المحلية وعدد كبير منهم لسبب أو لآخر كانوا يشعرون أنهم حُلّ لهم كتابة تاريخ إفريقيا¹، وحسب الباحثين Philippe Antoine و Marie-Christine Gomez-Géraud هناك نوعين من كتابات الرحلة أحدهما مرتبط بالمغامرة المُعاشة شخصياً والآخر مرتبط بكتابات الرحلة أو أدب الرحلة، فثلاثية الرواية والمغامرة والتأريخ تطرح التساؤل حول الحقيقة في نوع كتابات الرحلة التي كانت نتاج مغامرات، والملاحظ أن روايات المغامرات واصلت في القرن التاسع عشر تحولاتها لترقى إلى كتابات رحلة، ونوعين من الكتابة كتابة أدبية وكتابة المغامرات المُعاشة وبينهما وحدة تهم المؤرخ، والقراءات الروائية تمثل مكانة مركزية في كتابات المغامرات المُعاشة لأن كل مغامرة عيشت واكبتها نوع روائي أعطاه شكلها²، وفي تحليلها لأدب الرحلة تعتبر "فيرونيك ماغري-مورق" (Véronique Magri-Mourgues) أن رحلة "صيف في الصحراء للكاتب" أوجان فرومونتان من روايات الرحلة التي تعبر عن يوميات الرحالة الراوي³ والسؤال

¹Sophie Dulucq, Ecrire L'Histoire de L'Afrique à L'Epoque Coloniale (XIX^e-XX^e siècles), Paris, éditions Karthala 2009, P.6.

²Philippe Antoine et Marie-Christine Gomez-Géraud, Roman et Récit de Voyage..., Op.cit., P.P. 67, 68.

³Véronique Magri-Mourgues, Le Voyage à pas comptés, pour une poétique du récit de voyage au XIX^e siècle, Paris, Honoré Champion, 2009, P.30.

المطروح كيف يكون التداول بين الكتابات ما بين الواقعية والخيالية؟ حقيقة التداخل ما بينهما واضح وملمس وكل ملخص للواقع أو محاولة لتقديمه هي حتما مرتبطة بنموذج ولا يمكن أن تكون إنتاج مضبوط، في حين حتى الصورة الفوتوغرافية التي تعتبر الأكثر واقعية تقع بسهولة في إمتحان الموضوعية أيضا والملاحظ أنه عند محاولة توضيح الرؤية وإبراز وضعية الأعمال المكتوبة تتأرجح ما بين الوضعين والنوعين فمرة تنجذب للوضع الخيالي ومرة للوضع الواقعي، وذلك تجنباً للحكم القطعي الذي يرى في الكلمة المكتوبة والشفهية مأخذ ووجه من الخيال فنظرة الجنوح للخيال في الكتابات كالتقرير وكتابات الرحلة التي يقوم بها عسكري أو جغرافي أو مؤرخ تُتهم بخلوها من الموضوعية وحتى دليل الرحلة، والبعض يظهر في تسمياتهم وأوصافهم تناقضاتهم مثل الرواية التاريخية أو الرواية الواقعية، فالرواية التاريخية تقترح وتقدم نسخة أصلية وتظل مُعترف بها بفضل نقاط الإرتكاز على الأسماء أو المعلومات المكانية والظرورية فالنموذج المُكون من التاريخ يعتبر ركيزة للأدب، والرواية الواقعية تستعير بطريقة مبهمة عناصر الواقع لبناء عالمها الخاص، وبين هذين الإثنين تتموقع كتابات الرحلة الأدبية التي تتطلب مُماثلتها بنموذج إبداعى أو إبداع فني في هذا النوع من الكتابات، فهي معلم مُعترف به بفضل الأسماء والتواريخ رغم حالة عدم تطابق تواريخ الكتابات مع تلك الحقيقية التي قام الرحالة فعليا، بإعادة بناءها زمنيا قابل للتصحيح والتحديد وحينها يمكن للمؤرخ أن يتساءل عن مدى مطابقة الأحداث بين التاريخ المفترض كمُكون للأحداث الحقيقية التي عاشها الرحالة والعلاقة بينهما، وهل الكتابات وفيه لتاريخ الرحلة؟ بالإضافة إلى أسلوب الكاتب هل هو مرتبط بإخراج العمل؟ وفي حال وجود معلومات غير كرونولوجية للأحداث المؤسسة للرواية هل هي مجرد صدفة أم تدعو للشك في واقعية أحداث الرحلة، وبصفة عامة شفافية وموضوعية الراوي هي التي تمثل جوهر التحليل فالرحالة يختار مجموعة من الأحداث ويرويها ويبني من خلالها رحلته بذاتية وعشوائية، والتجاذب بين الخيال والحقيقة في كتابات الرحلة تتطوي ضمن الكتابات الواقعية مثل السير الذاتية التي إنتقدها البعض بأنها كتبت بنوايا براغماتية وهذا ما يعني في حد ذاته محتوى واقعي¹، وقد تكون كتابات الرحلة كرواية جغرافية في قالب الرواية التاريخية بهذه الخصوصية قد تأخذ الأماكن أسماء شخصيات وفي المقابل تشغل أسماء الأماكن نصوص الرحلة، ففي هذه الكتابات تمثل الأسماء إسقاط للشخصيات التي تُستخدم كمسار للرحلة، مثل روايات "شتاء في مايوركة" و"رحلة إلى الشرق" لـ"نارفال" و"صيف في الصحراء" لأوجان فرومونتان و"الطريق من باريس إلى القدس" لـ"شاطوبريون" و"رحلة إلى الشرق" لـ"لامارتين" Lamartine ومثلوا أهم النصوص الواقعية، وهنا نلمس توازن بين الرحلة الجغرافية والرحلة المكتوبة، وبالتالي قدمت كتابات الرحلة خطاب أطر تقديم واضح للعالم وكتابات الرحلة هي كتابات وصفية ذاتية وتتميز بخاصية مميزة من الرواية السرد الذاتي وتتميز بأن الراوي هو

¹Véronique Magri-Mourgues, Le Voyage à pas comptés..., Op.cit., P.36, 37, 38, 40.

الشخصية الأساسية في الرواية¹، ويعتمد الرحالة على أسماء الأماكن والأشخاص وهي مرتبطة بإسم مكان معين أو إسم شخصية تاريخية حتى يستوعبها القارئ²، وللدب مهمة وصفية ويقدم مواضيع ذات الإهتمام لكل فئات المجتمع من العالم إلى عالم الطبيعة إلى الفنان إلى الأثري، وتم تقديمها لأول مرة بتميز في واقعهم وتحدثت أحياناً قلم الرصاص أو الفرشاة الأكثر مهارة ودقة³ ويعتبر صالامبو" العمل الوحيد الذي ألفه "فلوبير" في رحلته إلى الشرق ونشرها بعد سنوات في عام 1861، ففي عام 1863 في ضوء النقاش الذي صاحب الرواية أثار سؤال حول شرعية العمل الأدبي في مواجهة التاريخ ووثائقه وفي مواجهة واقع الماضي الذي يظل مجهولاً، وإلى أي مدى يحق للكاتب الأديب تتبع الآثار التي تركها التاريخ ومزج ذكريات الرحلة الشخصية بالمصادر الأثرية والصور الملتقطة التي وثقت للماضي، وبالتالي يسمح أدب الرحلة بالمزج بين الواقع المعاش والماضي المتخيل بطريقة تسمح بإعطاء القارئ أدلة واضحة بحكم التعريف، فمثلاً "فلوبير" مزج بين التاريخ وصوره الخاصة عن الرحلة مثلاً "صالامبو" هي رواية تاريخية تعرض الجانب الخلاب والأسطوري والمألوف للتاريخ⁴ والمعرفة. وفي ما يخص تعميم المعرفة التاريخية أو الكتابة التاريخية لمؤرخين ومختصين من كتاب ك"أوغيست بيسي" وعلماء الآثار المختصين ك"آرنست فايدو"، ننقل تحليل تاريخي عن حدث تاريخي مفصلي وهو الحملة الفرنسية في نظر الرحالة "بيسي أوغيست"، إذ تطرق الرحالة الفرنسيين إلى عدة مواضيع، منها التاريخية والاجتماعية والدينية والثقافية مع التعمق في المجتمع خاصة العادات والتقاليد، ومن المواضيع التاريخية التي أعيد بناءها والحديث عنها الحملة الفرنسية ضد الجزائر وحادثة المروحة كما تحدث عن القسبة وقصر الداوي الذي تعرض لتخريب معالمه وتشويهها وزار القاعة الكبرى التي كان يستقبل فيها الداوي السفراء، وهنا يستذكر قصة السفير الفرنسي "دوفال" "ambassadeur Deval" وكما يقول: "...وها نحن في القاعة الكبرى للقصر أعلى أين واجه الداوي سفيرنا، والتي إتخذت حجة لإحتلال الجزائر، في هذا الموضوع يسمح لنا القارئ بوضع النقاط على الحروف فالحملة مقررة منذ مدة وأعلم سفيرنا بضرورة إختلاق صراع في أسرع وقت، وحتى تلك الفترة كانت علاقات القنصل "دوفال" مع الداوي جيدة، ولإختلاق مشكل عند قيامه بزيارة رسمية لتهنئة الداوي في عيد الفطر يوم 27 أبريل 1827 إستفسره الداوي عن عدم تلقي رد من الملك الفرنسي لثالث رسالة أرسلها له فأجابه القنصل أن ملك بلاده لديه أمور أهم من الرد عليه، مما أدى إلى غضب الداوي الذي طرده من مجلسه مشيراً إليه بمروحته، ثم كان الحصار الذي دام ثلاث سنوات وأنفقت خلاله فرنسا سبعة ملايين فرنك سنوياً، وفي

¹Véronique Magri-Mourgues, Le Voyage à pas comptés..., Op.cit., P.P.44, 45, 57, 72, 89, 111.

²Ibid., P.P.141, 172.

³Marta Caraion., Pour Fixer La Trace, Photographie, Littérature Et Voyage Au Milieu du XIXe siècle, Paris, Droz éditions, 2003, P.149.

⁴Ibid., P.P. 250, 252, 253, 254, 256.

ماي 1830 إنطلق 644 مركب إلى السواحل الإفريقية ووصل السواحل الجزائرية بعد عشرين يوما بسبب الرياح، وفي 14 جوان أنزل 37.639 جندي بقيادة القائد العام "دو بورمون" le commandement du "général de Bourmont" في سيدي فرج ويشير إلى خزانة القصبية التي نهبها الفرنسيون ولم يتبقى منها إلا صفائح ذهب بقيمة 20.368.635 فرنك وصفائح فضة بقيمة 19.315.821 فرنك¹، ويختتم جولته بزيارة التحصينات المدفعية التركية وحسن الإمبراطور وكل معالم المدينة العتيقة التي تعود للفترة العثمانية، كما يرصد منطقة الأبيار وكانت منطقة راحة ببيوتها الفخمة بالحدائق وكانت المكان المفضل للزوار وعند الإنتهاء من الجولة عاد إلى المدينة عبر باب عزون أين يوجد تمثال "المارشال بيجو" الذي مثل رمزا للحملة وللتوسعات الإستعمارية في البلاد²، وعالج الكاتب موضوع تاريخي مرتبط بإحتلال الجزائر ويبيّن المغالطة التاريخية وحقيقة الإحتلال المخطط له وعرض رأيه بموضوعية. ونرصد كتابة التاريخ من خلال نموذج المؤرخ وعالم الآثار "آرنست فايدو" الذي وثق للحياة الإجتماعية والثقافية والسياسية للجزائر من خلال رحلته، ويعتبر البحث في التاريخ وإحياء معالمه ليس مجرد محاولة لترويج المعرفة التاريخية فقط فهدفه لا ينحصر في جعل بعض المواضيع الغامضة مفهومة وممتعة للقارئ بل تقديمها بطريقة مستحدثة تنتج فلسفة تاريخ حقيقية، وتؤرخ فعليا للحدث التاريخي. والتاريخ في نظره هو إنعكاس لجذب لا يقاوم عاشه الإنسان في العصور البعيدة الغامضة التي لا يمكن تفسيرها، ويعتقد أنه جزء من الحنين إلى المصادر قبل أن يكون نظام معرفي فالتاريخ به حدس عميق يدفع الإنسان لأصوله³، وبذلك نجد أن آرنست فايدو عالم الآثار والمؤرخ والكاتب يُحول النقاش الأثري إلى موضوع أدبي والجدل الذي أثاره "آليكسندر دي ما" حول رواية "صالامبو" إذ إنَّقد "فلوبير" بسبب عدم دقته الأثرية ويتباين بينها وبين تجربته الخاصة كمسافر، في حين أن "فايدو" كسب موضوعية من خلال أبحاثه الخاصة في مجال التاريخ القديم خاصة في مؤلفه "تاريخ العادات الجنائزية ودفن الشعوب القديمة" إذ طور "فايدو" نظرية للدراسات التاريخية التي يسميها "التاريخ الحميم"، ويفضل دراسة الأعراف والعادات على تاريخ الأحداث والتاريخ السياسي وإختار رسم صورة غير مسبقة من العصور القديمة، وهو موضوع إهتمام عالمي يمس جميع كل الفئات السكانية من الأكثر تواضعا إلى الأكثر مجداً ويسمح بالتعرف على الحياة اليومية للجميع وإستجواب الإنسان والتعرف على عاداته من الموت إلى المعتقدات المرتبط بها⁴، والواقع أن التاريخ والسير الذاتية

¹Auguste Besset, A travers l'Algérie d'aujourd'hui..., Op.cit., P.P.34-37.

²Ibid., P.P.38-39.

³Marta Caraion, Pour Fixer La Trace, Photographie, Littérature Et Voyage..., Op.cit., P.295.

⁴Ibid., P.P.287, 288.

الشخصية في العموم تبقى نسبية وذلك لإمكانية أن يكون الرحالة كاذبا أو ذاتيا أي ينقل صور زائفة كما يمكن للنص أن يمثل الواقع¹.

2. الرحلة والتوثيق من منظور نجمة بن عاشور وقراءة عن الكتاب الرحالة لمدينة قسنطينة.

الباحثة الجزائرية الأستاذة "نجمة بن عاشور" التي تعتبر من أوائل الباحثين الذين عالجوا الموضوع وقد أشرنا إليها في مقدمة الأطروحة، ترى في كتابها "قسنطينة وكتابتها الرحالة" أن كتابات الرحلة مصدرا للتوثيق التاريخي، فبعد الإحتلال كانت قسنطينة مسرحا للتغيرات الاجتماعية والنسيج العمراني إذ دُون الكتاب ملاحظات ومعلومات عن المدينة تخص المظاهر الثقافية وتحولاتها، وزار المدينة مجموعة من الشخصيات الفنية المشهورة آنذاك مثل "أليكسندر دي ما" (الأب)، "أوجان فرومونتان"، "قيسطنط فلوبيير"، "قاي دي موباسون"، "ثيوفيل قوتيي" و"جون لوران" وغيرهم وترى الباحثة أن جل الرحلات ماعدا رحلتي "ليون الإفريقي" و"الدكتور شو" كانت تتميز بطابع جمالي خاص يميز أولئك الفنانين والشعراء والرسميين، لكن ترى أن كتابات "أوجان فرومونتان"، "قيسطنط فلوبيير" و"ثيوفيل قوتيي" تميزت بأخذ ملاحظات أو رسومات جسدت في أعمال كاملة منشورة ومرسومة بعد العودة إلى فرنسا، فمثلا ملاحظات "قيسطنط فلوبيير" إستخدمها في روايته "صالامبو" وكذلك الحال بالنسبة لـ "ثيوفيل قوتيي" الذي إستخدم ملاحظاته في تأليف مشاهد مسرحية بعنوان "يهودية قسنطينة"، كذلك "أوجان فرومونتان" عندما عاد من الجزائر أو بالتحديد من نواحي الجزائر العاصمة وقسنطينة وجنوب البلاد إلى باريس قام برسم لوحاته الشهيرة حول قسنطينة كلوحة "ساحة صخرة قسنطينة"، وبالتالي هذه الإستفادة الأدبية والتصويرية ساعدت الفنانين في رصد معلومات هامة حول مدينة قسنطينة²، وبالتالي كانت للقيم الجمالية والصفات الفنية أثر في الإنتاج الأدبي والفني إذ ألهمت هذه الرحلة "ثيوفيل قوتيي" الذي أنتج نصين مشهورين أثناء مكوثه بقسنطينة الأول بعنوان "رقصة موريسكية" والثاني بعنوان "رقصة الجن" وتعتمد هذه الأخيرة على أسماء أماكن محددة بالمدينة، أما الكاتب "لويس بارترون" "Louis Bertrand" فنموذج آخر من الكتاب الذين زاروا المدينة وقدمها من خلال أفكاره بإعتباره متحدث بإسم الإيديولوجية الكولونيالية فهو من مؤيدي الإستيطان والمدافعين عنه، وبالتالي فحسب الباحثة فكتابات الرحلة تقدم المدينة دون المرور من زاوية الخيال مع أنها متأثرة بكتابة عاطفية، ومن جهة أخرى فكتابات الرحلة لديها أهمية منهجية من حيث أنها تسمح بالوصول إلى معالجة الجانب التاريخي في النص، ففي الواقع الرحالة ينطلق من مكان أو حدث أو عادات

¹Philippe Antoine et Marie-Christine Gomez-Géraud, Roman et Récit de Voyage..., Op.cit., P.5.

²Nedjma Benachour-Tebbouche, Constantine et Ses écrivains-Voyageurs, Alger, Chihab Editions, 2015, P.P.10, 11.

إجتماعية أو ثقافية يرصدها الرحالة الشاهد، ويستدعي التاريخ وعلم الاجتماع والمظاهر الثقافية فهذه العناصر تعتبر ديكور المحتوى الإجتماعي لكتابات أدب الرحلة، وبالتالي هذا يسمح بفهم كامل وأفضل للأحداث المنقولة مما يستوجب كتابات أكثر مصدريّة وهذه الخطوة التي تربط أدب الرحلة بالمحتوى العام غير قابلة للتغيير وهي واضحة بوضوح في الأبعاد المصدريّة، والملاحظ أن هناك أحيانا إستراتيجية للكتابة مع صبغة جمالية لتدوين الملاحظات الإجتماعية والمظهر التوثيقي الذي لا يؤثر على الإبداع الفني للنص وبالتالي وضع وتكييف النص بكتابات في قالب ثري يستحق الإطلاع وشهد الرحالة تغير الأوضاع السياسية والإجتماعية في المدينة منذ القرن التاسع عشر، وبالتالي وثقوا تحول المجتمع من إنتقال إلى آخر فمثلا عادة صيد حيوان الضربان التي وثقها "فلوبير" بعنوان "صيادي الضربان" "Chasseurs de Porc-épic" وحتى "كاتب ياسين" تحدث عنها لاحقا وهي عادة قسنطينية محضة إندثرت، كذلك "فلوبير" و"دوماس" و"قوتيي" وثقوا حادثة رمي سكان قسنطينة أنفسهم من على الجسور المعلقة عقب سقوط مدينتهم سنة 1837 وهو في الواقع كان هروب السكان بإستخدام الحبال للنزول أسفل وادي الرمال فلقى الكثير حتفهم، وأطلق الرحالة الفرنسيون على هذا المشهد المريع الذي ربط بالخوف والرعب بحادثة "هروب سكان قسنطينة عبر الواد" وخلدوا المشهد في تاريخ المدينة كما أسقط "فلوبير" هذه الحادثة على مشهد حربي في روايته الشهيرة "صالامبو"¹.

3. قراءة في حركية الرحلة لمستوطنة الجزائر.

حسب قراءة الكاتب الباحث "فرانك لوران" "Franck Laurent" في كتابه "الرحلة إلى الجزائر" يرى أنه بعد مرور خمسة عشرة سنة من إحتلال الجزائر والتوسع الإستعماري في البلاد وبعد إنشاء البنى التحتية من مرافق ووسائل النقل، كانت بداية جديدة للجزائر أين برزت الميثروبول وبرزت الحاجة إلى جزائر الأدبيات وجزائر رائعة وحالمة، وفي الواقع في السنوات الأخيرة للحكم الملكي بدأت حركة سياحة أدبية تضخمت بسرعة لتنافس الجزائر في منتصف القرن شرق المتوسط في التمثيل أو الإستحضار الأدبي للعالم الإسلامي، وكان هناك فترتين من تاريخ الرحلة إلى الجزائر، الأولى ميزتها الرحلات الكبرى لكل من "فرومونتان" "Fromentin" و"قوتيي" وتغطي سنوات 1845-1860² وكانت هذه الرحلات المتنوعة مبنية على البحوث للتعرف على المجتمع وإعتمدت على المناظر وركزت على إظهار العمران ذا الطراز المحلي الموريسكي وعلى نمط الحياة المحلية والممارسات الدينية والأساطير المحلية، وفي المقابل كل مظاهر الإحتلال الفرنسي والتوسع الإستعماري طغت على صورة الشرق

¹Nedjma Benachour-Tebbouche, Constantine et Ses écrivains-Voyageurs..., Op.cit., P.P.11, 12, 13 .

²Franck Laurent, Le Voyage En Algérie, Anthologie de Voyageurs Français Dans L'Algérie Coloniale, 1830-1930, Editions Robert Laffont, Paris, 2008, P.P.XV , XVI .

وفرضت صورة مصطنعة عن السكان المحليين وعاداتهم وثقافتهم، وحاول الرحالة إبراز وخلق صورة الشرق وحسب الباحث "فرانك لوران" لم ينقل الرحالة الكتاب الصورة الواقعية بل دائما نجد محاولة إقحام الشرق مثلا "قوتيي" في وصفه للرقص المحلي و"فرومونتان" في صورة تساقط الأمطار على الجزائر العاصمة وغيرها من الصور، وإستتكر أولئك الرحالة التواجد الفرنسي المفرط في الصور التي رصدها، إذ قال "قوتيي" في رحلته معبرا عن عدم رضاه بتواجد الفرنسيين بأعداد كبيرة "الجزائر بلد جميل لكن يوجد الفرنسيين بكثرة" "L'Algérie est un pays superbe où il n'y a que les Français" و"de trop"، ومن المعروف أن هذا الجيل الأول من الكُتاب الرحالة الفرنسيين المنتمين إلى التيار الرومانتيكي والذين زاروا البلاد حاولوا جاهدين رسم الجزائر دون الفرنسيين، لكن بعض الإيديولوجيين المتقنين الكُتاب والنقاد الأدبيين خاصة في العشرية الأولى للقرن العشرين الذين أرادوا إعطاء هوية ثقافية للجزائر الفرنسية أو اللاتينية للجزائر، إذ إتخذوا من المستشرقين الرومنسيين خاصة كل من "قوتيي" و"فرومونتان" أعداء لفكرهم وتوجهاتهم الإيديولوجية والسياسية، ولم يتوقفوا عن تقديمهم ومهاجمتهم¹، ومن بينهم الكاتب "راؤول بارفو" الذي قام برحلته إلى بسكرة في 7 أكتوبر 1889 عرض من خلالها العديد من الصور والمحطات، ويعتبر من المهتمين بتاريخ الجزائر ومن مشجعي الإستيطان الإستصاليين فكريا، وحاول من خلال رحلته تقديم كل ما هو إيجابي عن الإستيطان وحاول تمجيد منجزات المستوطنين، إذ عبر من خلال المعرض الفني حول الجزائر عن إعتراضه على المشاهد المقدمة حول الجزائر ويرصد بإستغراب وإستهجان الصورة التي حاولت الإدارة الإستعمارية ومُنظريها نشرها عن المستوطنة، إذ يقول عن المعرض "... ماذا نرى عن الجزائر؟ الجانب الشرقي الوسائد المخملية، الجلود، الزرابي الأهلية، وكل هذه المقتنيات تتلأأ بألوان قوية تجذب الزائر الذي يرى الجزائر من جانبها العربي فقط..."²، كما إنتقد الكاتب "راؤول بارفو" الرحالة من الرسامين والفنانين المتقنين، والذين قدموا صورا يعتبرها "مشوهة" عن المستوطنين، وإتهمهم بعدم التعرف على الحياة الحقيقية "للجزائريين" الذين بنوا البلاد ويقصد هنا المستوطنون وليس السكان الأهالي، فجزائريو 1860 الذين رسمهم "دودي" بلباسهم وشربهم الخمر واستلقاءهم في الحقول تغيروا، و"موباسون" الذي إعتبر المستوطنون مجرمين متعصبين و"إيميل زولا" وغيرهم فالمستوطنين لم يكونوا سعداء بهذه الرسومات التي قدمتهم بسلبية، ويقدم الكاتب نفسه على أنه رسم المستوطنين بنية حسنة وبصدق وبموضوعية ويعتبر أنه قام بمجهود كبير لنقل الحقائق والدليل كتابه هذا³، وهذا مؤشر على تعصبه. ومنذ 1860 حتى نهاية القرن تغيرت نظرة الكُتاب للجزائر ولم تعد مُلهمة وأصبحت الوجهة إليها

¹Franck Laurent, Le Voyage En Algérie, Anthologie de Voyageurs Français Dans L'Algérie Coloniale..., Op.cit., P.P. XVI, XVII.

²Raoul Bergot, De Paris à Biskra, Paris, Imprimerie Parisienne, 1889, P.VII.

³Ibid., P.P.XII, XIII, XIV.

مُعَمَّمة خاصة مع تطوير البنى التحتية للسياحة وتعدد شركات النقل البحري التي تؤمن رحلات دائمة من مرسيليا إلى الجزائر العاصمة، وهران، عنابة وسكيكدة، كما كان للتنظيم الجيد وتوفير وسائل الأمان للمسافرين دور في زيادة عدد الزوار عكس ما كان يحدث في بدايات الرحلات باتجاه الجزائر وعلى الأرض كان لتطور المواصلات وشبكة الطرق ووسائل النقل من عربات النقل التي نظمت ولم يعد الزوار ينتقلون بين المدن الساحلية بالبواخر بل بالطرق البرية، كما كان لمد طرق السكك الحديدية منذ 1880 دور كبير في جلب وتسهيل تنقل الرحالة والزوار وسيطر النقل عبر السكك الحديدية على طول خط وهران-الجزائر-عنابة، وحوالي 1900 إمتد جنوبا حتى عين الصفراء جنوب وهران إلى تقرت أو جنوب قسنطينة حيث إنتشرت السياحة الصحراوية وكان على الزوار التوغل أكثر جنوبا في الصحراء للإستمتاع بسباق الخيل والمهري خاصة مع تطور الإيواء، ولا نستثنى مشاهد الضيفة والكرم التي ذكرت في مختلف كتابات الرحلة وكانت من بين عناصر الجذب السياحي للمنطقة، الواقع أن البنى التحتية من الفنادق ومراكز الإيواء التي تستقبل السياح تطورت في الجزائر كما في الميثروبول وكان في البداية فنادق في القرى الإستيطانية مماثلة لتلك في المقاطعات الفرنسية ولكن منذ 1890 أصبح بالمستوطنة فنادق عالمية وأصبح السفر إلى الجزائر مثل السفر إلى أرقى المناطق السياحية بالميثروبول أو إلى إيطاليا، ورغم أنه في تلك الفترة لم تعد المستوطنة تجذب كما قبل خاصة مع سيطرة العمران الأوربي والفرنسة وأصبح بعض الكُتاب من رواد التيار الواقعي والطبيعيين وحتى رواد المذهب الرمزي كانوا يستهزؤون بسابقيهم من الرحالة والكُتاب الأوائل من المستشرقين والرومنسيين منتقدين الصور الخيالية التي نقلوها والمفعمة بالمثالية والبعيدة عن الواقع، وبالتالي منذ 1860 تغيرت النظرة للجزائر من قبل العديد من الرحالة الكُتاب دعاة الحداثة ووصف "فرانك لوران" كتاباتهم بـ"أدب رحلة كاذب"¹، وبسبب الإستيطان وطغيان المشهد الغربي الدخيل على صورة البلاد لم تعد الرحلة إلى الجزائر ملهمة كما من قبل خاصة منذ 1860 إلى 1900 بإستثناء الصحراء، وبالتالي لم يعد هذا العالم الجديد يجذب الرحالة مهما كانت توجهاتهم وآراءهم تجاه الإمبريالية الإستعمارية والإستيطان.

ب. الجزائر ما بين الإستشراق والنظرة الإستعمارية.

نقدم قراءة في الإستشراق من خلال النص الرحلي عبر نموذج الكاتب "أوجان فرومونتان" الذي يعتبر من أهم الكتاب المستشرقين الفرنسيين الذين زاروا الجزائر عدة مرات وكتبوا عنها مؤلفات رحلية ذات أهمية تاريخية وأنتجوا لوحات فنية مميزة برزت من خلالها تأثير التيار الإستشراقي على الكاتب الرسام لكنه عكس صورة الإستشراق على الجزائر وعبر عنها بكل إحترام وصدق وموضوعية تاريخية.

¹Franck Laurent, Le Voyage En Algérie, Anthologie de Voyageurs Français Dans L'Algérie Coloniale..., Op.cit., P.P.XVII, XVIII.

1. قراءة عن مستوطنة الجزائر وكتابات الرحلة ما بين الفكر الأدبي والكولونيالي.

في السنوات الأولى للإحتلال ولأهداف أدبية مرتبطة بالرحلة عمل عدد من المستشرقين الكبار أمثال "دولاكروا" "Delacroix" "كارل فارني" "Carle Vernet" و"دي كومب" "Decamps" على زيارة الشرق الذي يبعد عن مرسيليا يومين فقط وعكس مواطنهم من الكتاب الكبار الذين إرتحلوا للشرق وكتبوا عنه مثل "لامارتين" "Lamartine" و"دونارفال" "De Nerval" كانت الجزائر مرتبطة بالجدال السياسي، بالإشاعات والمعارك والحملات وأبدى الكتاب والمنتجين رغبتهم خلال عشرية 1840 في جزائر غير تلك التي تُروج لأمجاد الجيش الإفريقي، أو مستقبل المستوطنة، أو دراسات العلماء والأنثروبولوجيون والأثريون بل يبحثون عن جزائر خلابة وذاتية وجزائر بإنطباع الرحلة الحقيقي والواقعي، وهذا التنظير شجع الكثير من الكتاب الكبار مع إنتشار التيار الرومنسي فزاروا الجزائر وكتبوا عنها كأمثال "قزافيي مارمي" "(1809-1892)، "أليكسندر ديما" "(1802-1870)، "ثيوفيل قوتيي" "(1811-1872)، "أوجين فرومونتان" "(1820-1876) و"إيدموند وجيل دي قونكور" "(1822-1896) و"(1830-1870) وكانت الدفعة التي أحيت عالم آخر مع محو وإزالة الواقع الكولونيالي برسم الجزائر دون الفرنسيين¹ وهي الجزائر الحقيقية. وفي عشرية 1860 تغيرت الرحلة إلى الجزائر مع توفر وتطور البنى التحتية من وسائل نقل وفنادق فأصبحت الجزائر وجهة سياحية، خاصة مع إنتشار سلسلة كتب الدليل السياحي بصفة أكبر منذ 1862 وإزداد عدد الكتاب المشهورين الذين قاموا برحلات إلى الجزائر وكتبوا مؤلفات عن رحلاتهم ونشروا كتابات أدب الرحلة² تحاول خلق صورة الشرق البعيد وتقريبه في صورة الجزائر أو "الشرق المروض" أو "المستأنس"، ومن أبرز الرحالة ضمن هذه الفترة الرحلية نذكر كل من الكاتب "آرنست فايدو" "(1821-1873)، "آلفونس دودي" "(1840-1897)، "قاي دي موباسون" "(1850-1893) "جون لوران" "(1855-1906)، "إيميل ماسكوري" "(1843-1894) و"جون مورياس" "(1856-1910) وكان للرحالة دور في تعميم تصور غريب عن السكان المحليين أو "الأهالي" وفرض صورة نمطية عن السكان وترسيخها في أدب الرحلة، فتم تحويل صورة العربي النبيل والشجاع إلى صورة منحطة وسلبية بأوجه متعددة، مست السلوك والمظهر منها صورة الحضري الناعم والمخنث، صورة البسكري الصعب والعنيف، صورة القبائلي المزارع والجبلي الفض، صورة البدوي قاطع الطريق الملحمي والغنائي في الصحاري بإختصار الصورة المظلمة للأهلي الهائم في شمس الجزائر الفرنسية، وواكب هذا التقديم الصورة الإيحائية للمرأة كصورة المرأة الحضرية الجذابة والغامضة والإيحائية في إسقاط لصورة ألف ليلة وليلة الراقصة القديمة والمقدسة المبهرة والتي وضعت

¹Franck Laurent, Le Voyage En Algérie, Anthologie de Voyageurs Français Dans L'Algérie Coloniale..., Op.cit., P.141.

²Ibid., P.347.

في قالب العاهرة مع صورة مبتذلة ومعمة تماشيا والتيار الأدبي الطبيعي والرمزي، وهذه الصور تعكس عنصرية واضحة تجاه المجتمع المحلي بكل فئاته ومقوماته ومكوناته وعاداته وتقاليده في خطوة سلبية وذاتية تحط من قيم الجزائر المحلية¹. ومن جهة أخرى الملاحظ أنه منذ منتصف 1840 تضاعفت مساحة أراضي التوسع الإستعماري في المستوطنة، وأصبحت الصحراء وجهة وواجهة آمنة للإستعمار وتحولت محطة للسياحة والزيارة والإعجاب، ومن أبرز الرحالة الذين كتبوا عن الصحراء منهم الزوار والضباط والباحثين، ذكرنا بعضا منهم أمثال الضابط "أوجان دوماس" (1803-1871) صاحب الدراسات المشهورة عن الصحراء الجزائرية بطبيعتها وسكانها وعاداتهم، وأيضا الرحالة المعروفين كـ"أوجين فرومونتان" و"إميل ماسكوري" كما ذكرنا سابقا، إذ بعد إجتياح شمال الجزائر من قبل الإحتلال وتشويه المظاهر الحياتية وطغيان العنصر الفرنسي والفرنسة عموما في العمران والشوارع ومختلف مظاهر الحياة ظل الجنوب معزولا وكان عالم منفصل، إذ حافظ على خصوصياته مقارنة بالشمال وذلك بفضل بقاءه بعيدا عن التوغل الكلي للإحتلال ونقاء المنظر المحلي من عناصر الفرنسية والتغريب، وهذا ما جذب الرحالة الكُتاب إلى الجنوب فكل من زار الجزائر يرغب في زيارة الصحراء وكما يُعبر عنه سحر الصحراء باحثا عن نقاوة المشهد من التواجد الإستعماري، وحسب تعبير "فرانك لوران" كان الرحالة يبحث عن الجزئية الأنثروبولوجية للمجتمع الصحراوي لرصد مشاهد حالمة عن الصحراء مثل الغراميات في الخيام وإثنوغرافية الرجل والمرأة وغيره، وظلت الصحراء صامدة في وجه التغيرات والتغريب وظل معها الإعجاب بالصحراء ثابتا، وكانت بعض النصوص المؤسسة للصحراء بدءا من "دوماس" منذ 1845 و"فرومونتان" منذ 1853 الذي كان من أكبر المُعجبين بالصحراء من خلال الكتابات واللوحات وتواصلت الصورة الأسطورية للصحراء إلى غاية زيارة "إميل ماسكوري" سنة 1870 والذي نقل صورة رومنسكية جداً عن الصحراء، وظلت هذه الصورة سائدة طيلة فترة الإحتلال وتداولها العديد من الرحالة. ومنذ 1900 أي بداية القرن العشرين برز مجموعة من الرحالة في شهادات عن الجزائر من خلال أدب رحلة واقعي وذاتي نجده في كتابات كُتاب الميثروبول، ولا شيء يضاهي ويقترب من كتابات "إميل ماسكوري"، "أوندي جيد" (1869-1951) و"إيزابيل إيبهرارد" (1877-1904) وإرتباطهم العاطفي الكبير بـ"الجزائر العربية" التي كتبوا عنها كتب بشغف كبير بعد ما مكثوا بها وقضوا بها فترات طويلة². وما يمكن إستخلاصه عن هذه النقاط من خلال هذه الرحلات المصدرية التي تمثل مخزون هام للمادة الخبرية الأساسية للبحث ذات قيمة تاريخية ساهم أصحابها في التعريف بالمجتمع الجزائري المحلي بتوثيق دقائق الحياة الإجتماعية بدافع الفضول والمعرفة، فكان لهذه الشهادات المكتوبة في شكل رحلات أو روايات أو لوحات زيتية دور أساسي في

¹Franck Laurent, Le Voyage En Algérie, Anthologie de Voyageurs Français Dans L'Algérie Coloniale..., Op.cit., P.P.XIX, XX.

²Ibid., P.P.515, 517, .XXIII, 673.

التاريخ لمجتمع المدينة المحلي خاصة مع بداية التوسع الإستعماري والإستيطان، وعمل الإحتلال على فرنسة المجتمع المحلي بتغيير الوجه العمراني والنسيج السكاني فكانت هذه الشهادات والصور المنقولة من طرف أولئك الرحالة ترصد المجتمع المحلي الحضري والريفي بكبرى المدن كالجزائر وقسنطينة وغيرهما من المناطق الداخلية والصحراوية ورغم تباين درجات الموضوعية فيها إلا أنها حاولت توثيق التاريخ السياسي والإجتماعي والثقافي بمختلف التوجهات الفكرية والعقائدية ونلمس تأثير التيار الإستشراقي لدى الرحالة الفرنسيين في كتاباتهم عن المجتمع الجزائري رغم أن البعض يرى أن المنطقة لا يمكن أن تكون جزءاً من المشرق لأسباب جغرافية لكن لا يمكن نفي الارتباط التاريخي بينهما، وفي نفس الوقت أصبحت المنطقة أسطورة كالشرق أو كجزء إستعماري بالنسبة للكتاب خاصة منتسبي التيار الواقعي، وكانت نقطة التحول في القرن التاسع عشر مع الرحالة من الكتاب والرسامين تقريبا منذ سنة 1850، وكان للبعض فكرة تمديد الإستشراق وأصبحت الجزائر أسطورية وأهم مثال نموذجي هو "أوجان فرومونتان" رائد الفكر الإستشراقي الذي إعتبر الجزائر الشرق الحقيقي وتعززت نزعته الإستشراقية خاصة لكونه كاتب ورسام¹، والملاحظ أن مستوطنة الجزائر إستقبلت الصحفيين والسياح والفنانين والكتاب والرسامين الذين جاؤوا مستكشفين للمستوطنة الجديدة فأصبحوا معجبين ومأسورين بها، وعكسوا الشرق على الجزائر ثم نقلوا سحرها الشرقي للآخر الغربي.

2. فكرة لاتينية الجزائر في كتابات الرحلة في بدايات القرن العشرين.

مثلت الثلاثين سنة الأولى من القرن العشرين ذروة التمجد للجزائر المُستعمرة، التي وجدت التوازن السياسي والإقتصادي والإجتماعي، وبدأ الحلم في أبديتها مع بروز شعب جديد من مختلف مناطق أوروبا عدا فرنسا كإسبانيا، إيطاليا وكورسيكا، وحاولوا الإندماج إضافة إلى يهود البلاد الذين تجنسوا وأصبحوا مواطنين فرنسيين وفرضوا أنفسهم وثقافتهم، في حين أنزل للظل "مشكل الأهالي" أو "واقع العرب" وطفّت أساطير حول الهوية، بعضها يرى فرنسية الجزائر أي "فرنسا في بلاد الشمس" وإرتباطها بالميثربول الأم وإعتبارها جزء لا يتجزأ منها ومثلت نقطة إرتباط عاطفي وثيق بالنسبة لدعاة هذه الفكرة، والبعض جاء بفكرة مغايرة هي "الجزائر اللاتينية" التي جمعت منذ الإحتلال الأوروبيون من مختلف الجنسيات وأحييت رومانية الجزائر في إعادة للهوية المتوسطية والغربية واللاتينية للجزائر. ونقل كُتاب الرحلة لتلك الفترة هذه التحولات والتصادمات وعبروا على المجد والفخر الإستعماري وجاملوا المُعمرين، ويرى النقاد هشاشة البناء النصي في كتاباتهم لإنحصار فكرتهم ظاهريا وزوالها

¹Nadia Chafik., Une Autre Lecture Du Maghreb à Travers L'Art Scriptural et Pictural Français du 19^e siècle, Thèse présentée à la Faculté des études supérieures en vue de l'obtention du grade de Philosophie Doctor (Ph.D) en études françaises, Montréal, Canada, 1988, P.P. III, IV.

بالمقارنة مع لوحات البؤس للسكان المحليين التي طغت على المشهد العام للمستوطنة وحطمت فكرة المُحضِر المثالي للقوة الإستعمارية مع إستمرار سيطرة وتطبيق فكرة الشعب المغلوب على السكان المحليين، وبالتالي كان واضحاً أن هذا المجتمع لم يكن هادئاً إلا من جهة ووجه واحد وكان مؤشراً للانفجار الإجتماعي والسياسي والثقافي منذ سنوات 1930¹، ومن أكثر رواد ومروجي هذه الأفكار من خلال كتابات الرحلة الكثير من الرحالة نذكر منهم كل من "لويس برترن" "Louis Bertrand" (1866-1941) و"ماري-آن دي بوفي" "Marie-Anne De Bovet" (1860-1935) التي أبرزت الفكرة في نموذج لفتاة من بوسعادة تدعى زيدانة التي نعتتها بنجمة مشهورة وذلك من خلال رحلتها إلى بوسعادة، إذ تحدثت الكاتبة "ماري-آن دي بوفي" عن "زيدانة" امرأة وصفتها بالنجمة وهي من "أولاد نايل"، وناقشت الفكرة الأنثروبولوجية الكولونيالية التي تُرجع أصول هذه القبيلة إلى جدور يونانية-وهذا ما إعتزنا عدة مرات أثناء قراءتنا لعدد كبير من الرحلات- فالكاتبة تنعت "زيدانة" باليونانية وبُنبل مظهرها، وإستقبلتهم في منزلها المميز وصعدت الكاتبة الدرج لسطح البيت أين جلست على الأرض المفروشة بزرابي محلية رفقة مرافقيها وقدمت لهم "زيدانة" القهوة وكانت تلبس لباساً تقليدياً من المخمل المطرز بخيوط الذهب وملحفة من الموسلين الأبيض والحلي مع تسريحة الشعر بالسرمة المزينة بالفضة والحريش الناعم وكانت برفقتها أختها وخادمتها، وقدموا رقصات شرقية للضيوف مع وصف الكاتبة للفرقة الموسيقية الحاضرة والموسيقى والآلات الموسيقية المستخدمة والزغاريد التي كانت تطلقها "زيدانة" وأختها، كما وصفت شاباً مرافقاً من أولاد نايل يدعى أحمد مستخدماً "المُكحلة" أو البندقية ومثلت هذه الزيارة فرجة شبهتها الكاتبة بالأوبيرا²، والملاحظ أن الكاتبة قدمت عناوين مشابهة لعناوين الرحالة الرسام والكاتب "أوجان فرومونتان" ك الجزائر والساحل، الأغواط، كثران سوف بوسعادة، الجنوب الوهراني، واحات الفقيق، غابات الأوراس، الأوراس الشرقي والأوسط وجبال ششار وغيرها من المناطق، وكانت الكاتبة تبحث عن أي دلائل عن لاتينية البلاد والدليل تركيزها على تسمية "زيدانة" باليونانية، كذلك تشابهت بباقي الرحالة الكتاب في وصف مضيفتها من المنزل إلى اللباس إلى الزينة والملامح إلى الرقص الشرقي والموسيقى المحلية ولم تتغاضى عن وصف الرجل النابلي محاولة ربطه بصورة الرجل الشرقي، جامعة بذلك صورة الشرق المفقود في الجزائر لكن بلمسة لاتينية على البلاد حاولت إسقاطها على قبائل أولاد نايل بربط أصولهم بأصول يونانية تظهر في الصفات الجسدية والعادات والأعراف خاصة مع إختلافهم في بعض العادات الحياتية عن القبائل المجاورة، وبذلك حاول الكثير ربطهم بجدور يونانية قديمة في محاولة لتثبيت فكرة لاتينية الجزائر وإعطاء شرعية للإستعمار.

¹Franck Laurent, Le Voyage En Algérie, Anthologie de Voyageurs Français Dans L'Algérie Coloniale..., Op.cit., P.801.

²Ibid., P.P.912, 913, 914, 915.

3. الرحالة المتأخرون بدايات القرن العشرين ومحاولات إحياء الإستشراق.

حاول الرحالة الفرنسيين للجزائر بداية القرن العشرين إحياء ظاهرة الإستشراق ونموذجنا هو رحلة لضابط عسكري يدعى "دي بوردوناي" "O.De La Bourdonnaye" زار الجزائر وقدم أدب رحلة أو رحلة مكتوبة يمكن أن نعتبرها إحياءا لرحلات بداية الإحتلال الفرنسي، وذلك من خلال فهرسها وعناوينها وهي نموذج لإحياء التيار الإستشراقي والنص الرحلي الذي إنتشر بداية فترة الإحتلال، وقدم الكاتب "دي بوردوناي" الرحلة في نص سلس وقصير بنحو 100 صفحة فقط وبفهرس بسيط بدأه بـ"السوق العربي" ثم "الحمام" ثم "حفل زفاف بتلمسان" ثم "جولة في البلاد" ثم "رحلة صيد برفقة كلاب الصيد المحلية بالهضاب العليا" ثم "ضيعة" ثم "فن الحرب عند العرب" ثم "فنتازيا" ثم "إنذار" وأخيرا "الجيش" ومن المعالم الرمزية في مسار النص الرحلي الإستشراقي نرصد صور ثابتة ومعلمية عن الجزائر من قبل الرحالة الفرنسيين لخصناها في خمسة نقاط أساسية من خلال هذا النص الرحلي المتأخر الذي يمثل حد الدراسة في القرن العشرين إذ يعود لسنة 1904، وهي خاصة في مجملها بالمجتمع المحلي. أول معلم يرصده الكاتب السوق العربي الذي يعتبر فضاء للجذب، والنموذج هو السوق العربي بالغرب الجزائري وبالضبط في "لالة مغنية"، وكان هذا السوق يقام يوم السبت أين يأتيه أعداد كبيرة من المتسوقين حتى من المغرب، وتعرض فيه مختلف السلع كالبنادق بأنواعها وغيره وكان منظر العرب بلباسهم المميز في الأحياء الطويلة والواسعة يجذب الكاتب إذ كان فضاء السوق يعادل 300 متر في الطول و100 متر عرض، والسوق مكتظ بالناس والحيوانات والتي تُراقب صحيا وكل من يدخل السوق يدفع رسوم كما كانت الرقابة العسكرية شديدة وكان يُفصل بين الزوار المغربيين والجزائريين، وكان السوق يعج بالسلع منها الخضر الموسمية المختلفة أين يصطف الباعة على الأرصفة والطرق لعرض مختلف السلع كما كان الحرفيون يعرضون مختلف صناعاتهم اليدوية، ويمتأل السوق مع ساعات الفجر الأولى إلى غاية منتصف النهار¹، وبالتالي مثل السوق منطقة حركية إقتصادية نشطة. ثان معلم رصده الرحالة هو الحمام والذي مثل سحر الشرق بالنسبة للرحالة وأصبح الحمام من الضروريات في حياة المسلمين، وكانت الفترات مقسمة بين الجنسين من منتصف النهار حتى الساعة سابعة مساء مخصصة للنساء ومن الساعة السابعة مساء حتى منتصف النهار للرجال، وتتوجه النسوة إلى الحمام بلباسهن التقليدي ملتحفات بالحايك وتبدو الشاشية على رؤوسهن والحلي في أرجلهن ويقصد هنا الخلخال، وفي المساء يتركن المكان للرجال حيث يمثل الحمام مكانا للقاء وتمضية

¹O.De La Bourdonnaye, Dans Le Bled, Esquisses Algériennes, Paris, Henri Charles-Lavauzelle, Editeur Militaire, 1904, P.P.7, 8, 9 10, 12.

الوقت وشرب القهوة ببيت الراحة، وبالحمام غرفة ثانية تعرف ببيت البخار ويسمى بها السكان بيت السخون ويتميز الحمام بمعمارهِ العربي البسيط تزيّنه الأقواس التي تحط بقاعة المراقِد ويرثي الكاتب وضع الحمام الذي زاره بتلمسان رغم خصوصيته لكن الزمن غير ألوان الخزف والزخارف به، ومن بين عمال الحمام الموصوف رجل شيخ يعد القهوة والشاي ويحفظ أغراض الزبائن الثمينة، وينقل الكاتب زيارته للحمام فعند وصوله إستقبله "فتى الحمام" ومنحه "القباق" وهو نعل الحمام مصنوع من الحطب و"القوطة" وهي منشفة ويقفاده إلى غرفة البخار الحارة أين تصل درجة الحرارة إلى الخمسين درجة وبدأ "الكياس" أي المدلك في تدليكهُ مستخدماً "الكيسة" أو قطعة قماش مخصصة للتدليك و"غسل الطفل" أي صابون طبيعي من الصلصال، وعند الإنتهاء يسترخي الكاتب ويحتسي كأساً من الشاي بالنعناع البري ويأخذ قيلولة، ولا يتوانى الكاتب عن نصح الزوار بالحمام ويشرح لهم تفاصيل عادة الحمام¹. ويرى "مالك شبل" أن الجزائر كانت بلد الحمامات والمنابع المعدنية وزارتها شخصيات فرنسية كبيرة من أجل الإسترخاء والتداوي -كما ذكرناه في دراستنا- كـ"أندريه جيد" الذي كان يعاني من مرض صدري وكان مداوماً على الحمامات، وكان الحمام بالجزائر ذا طابع عمراني تركي رغم محافظته على خصائص الحمام الروماني لكن أعاد الأتراك إدخال ثقافة الحمام كما كانت عليه بالقسطنطينية وأضيفت إليه فسحات في الداخل من حدائق ونوافير عمومية، وإعتمد السكان المحليون هذا التحديث العمراني، ومثل الحمام فضاء للخصوصية قبل أن يصبح مكاناً عمومياً للمسلمين بإعتبار أن الإسلام يرتكز في تعاليمه على الطهارة، وحسب الرحالة الفرنسي الشهير "جون تيفنو" "Jean Thévenot" (1667-1633) مواطن "لويس الرابع عشر" -الذي أدخل القهوة إلى فرنسا- في وصفه للإمبراطورية العثمانية أكد أن كل قرية بها على الأقل حمام وهذا المبدأ طبق في إيالة الجزائر²، وبالتالي كان الحمام معلم للزوار ومحطة في زيارتهم مع إعجاب كبير بهذا الموروث الثقافي للبلاد الذي جذبهم. وثالث معلم رصده الكاتب هو الزفاف العربي أين يبرز المُخيال الغربي بين متعة السرد وفضول إكتشاف حياة الآخر الإجتماعية، إذ يصف الكاتب حفل زفاف بتلمسان ولم يكن متفرداً بذلك فكل الرحالة الزوار وصفوا حيثيات ودقائق حفلات الزفاف في مختلف مناطق البلاد، بدأ الوصف من الحمام أين حضر موكب عروس إذ صادف مروره أمام "حمام بن زرجب" مجموعة من الناس تنتظر خروج العروس من الحمام ومعها حصان مسرج بسرج فضي وفرقة موسيقية تؤدي ألحانها بآلاتها التقليدية "المزمار والدف أو الطبل" مرفقة بمغنيين، وكان بعض الأطفال يحملون الشموع على حاملات

¹O.De La Bourdonnaye, Dans Le Bled, Esquisses Algériennes..., Op.cit., P.P.15, 17, 18, 19, 20, 21, 22, 23, 24.

²Malek Chebel, Dictionnaire amoureux de l'Algérie, Paris, Editions Plon, 2012, P.P.101, 102, 103.

خشبية كالشمعدان وتختلط أنوارها بضوء إشتعال قطعة قماش خصيصا لخلق الأضواء، ويتجول المحفل بالعروس في أحياء المدينة وكانت العروس تلبس برنسا أبيضاً بقبعة مزينة بالحرير الأزرق الذي يغطي جبينها، وتتزوج الفتيات في سن مبكر ويتوقفن في سن الثانية عشر عن الخروج إلى الشارع ليتزوجن بعدها بسنة أو سنتين، ويرافق العروس صديقاتها حتى إتمام مراسيم الزفاف ويرافق الموكب الأهازيج والعناء والزغاريد والموسيقى والألعاب النارية، وتعتبر المراسيم مماثلة لتلمسان في غيرها من المدن وعند وصول العروس إلى بيت الزوجية ينفك الموكب وفي المساء تحضر خادمة البيت "لباس العروس وهو عبارة عن "سرّال" كدليل على إتمام الزواج¹، وحفل الزفاف موروث ثقافي وإجتماعي للسكان إعتبره الرحالة الأجانب مشهداً ممتعاً بكل إحتفالاته ويرصده الأغلبية من الرحالة رصداً سطحياً من خلال المشاهدة مع عدم فهم وتفسير المراسيم، ويبقى من عناصر البهجة والجذب. رابع معلم رصده عن الرحالة السكان المحليون والترفيه الذي كان مقسم بين رحلات الصيد والفنطازيا إذ يرصد الكاتب رحلة صيد بإستخدام كلب الصيد المشهور محليا وهو السلوقي الذي يتميز بمهاراته في الصيد، ويسهب الكاتب في وصفه ويعتبر أن حضور رحلة صيد يتواجد بها كلاب السلوقي هي من أكثر الأمور فضولا إذ مثل السلوقي محور رحلات الصيد، وكان الصيادون يجوبون المكان بالأحصنة وعند رؤية الصيد سواء غزلان أو أرانب برية أو بعض الحيوانات البرية الأخرى يتركون المهمة للسلوقي في إحضار الصيد، كما كان السكان يعتمدون على السلوقي للقضاء على الحيوانات البرية المضرّة بحيواناتهم كإبن آوى والثعلب التي تقترب من مساكنهم إذ ينضمون لذلك حملات صيد بتأطير من المكاتب العربية، فالعربي دائماً متأهباً للصيد والسباق ويحمل معه بندقيته وبعض العلف من الشعير لفرسه ويغادر دواره، وبمجرد سماعه بخبر حفلة في دواره أو مكان مجاور يعود مسرعاً للإحتفال بما يُعرف بالفنطازيا وهي صورة من صور الإحتفال التي تقام بحركات معينة من ذهاب وإياب وسباق مع إطلاق طلقات بارود من البنادق أو كما يطلق عليها السكان "المكحلة" وهي إسقاط لحركات حربية قتالية وتقام في حفلات الزفاف والأعياد الدينية والمناسبات السعيدة لكبار القوم وتُعبّر عن فرح وسعادة كبيرة، ويُفصل الكاتب في سرد المشهد من عمليات إطلاق النار وتتنظيف البندقية والحركات التي يقوم بها الخيالة إذ مثلت الفنطازيا فرجة ومتعة للسكان الذين يستمتعون بمشاهدتها من شيوخ ونساء وأطفال، وأعجب الكاتب بالفنطازيا وعبر عن إحترامه لهذه الرياضة القتالية التي يمارسها السكان التي تعبر عن الإستعداد للحرب والقتال من خلال الكر والفر وتنظيف وملاّ السلاح². وخامس معلم رصده الكاتب هي الضيفة التي تعتبر صورة من صور ألف ليلة وليلة ويروي الكاتب إستضافته أو إقامة "ضيفة" على شرفه من قبل صاحب الخيمة التي كان ماكثاً بها في رحلة صيده

¹O.De La Bourdonnaye, Dans Le Bled, Esquisses Algériennes..., Op.cit., P.P.25, 26, 27, 28, 31.

²Ibid., P.P. 43, 46, 47, 48, 75, 76, 77, 78, 79.

بعد الرجوع من رحلة صيد الأرانب البرية، وأسهب في وصفها كما تحدث عن زيارة قائد إحدى القبائل له رفقة حفيده، وهنا ينقل الكاتب بعض عادات السكان كطريقة إلقاء التحية بين الرجال وذلك بالمصافحة ثم تقبيل اليد، وحال المرأة المحلية التي لا تخرج إلا للحمام أو لزيارة المقابر وتهتم بالمهام المنزلية مع وصف لباسهن خاصة الحايك الذي يغطي النسوة من الرأس إلى القدم، وكن نادرا ما يظهرن أمام الأجانب في حين الأطفال كانوا يتجولون بفضول أمام الزوار، ثم يعود لوصف الضيافة التي كان بصدد الحديث عنها ويواصل وصف المشهد عند دخول الخيمة حيث جلسوا على الأرض والتفوا حول صينية نحاسية كبيرة مستديرة مزينة بالزخارف، وقدم لهم الخدم القهوة ويحدد التسمية "القهوة الحضرية" "Le Kahoua, Café maure" في فناجين صغيرة وعبر عن إعجابه الشديد بها كمشروب يسبق الأكل عكس ما يشربه الغربيون قبل الأكل، ورصد عادات الأكل والإحتزام وكان الجميع يشارك في الضيفة من صاحب الضيفة وأهل بيته وخدمه إلى سكان الدوار حتى الحيوانات الأليفة، وقدم للزوار المشوي وتفرد الكاتب بوصف طريقة الشوي وتقديم الخراف الثلاثة في صحن الأكل وهو قصعة خشبية كبيرة مع الكسرة والشربة والعديد من الأطباق، كطبق لحم الخروف مع الخضر وطبق اللحم بالفواكه المجففة كالشمش والجنب والعديد من الأطباق التي لم يتوقف الخدم عن إحضارها ولم يتوقف الكاتب عن الأكل بالملعقة الخشبية -كما يقول- وقدم الماء مع الأكل كما يصف في القرية والقلعة مصنوعة من جلد الماعز لحفظ الماء كما يشربون في حياتهم اليومية اللبن، وختمت الضيافة بتقديم الكسكس الذي عادة ما يقدم نهاية الضيافة ويمكن تقديمه في بدايتها أو وسطها، ثم قدم لهم الشاي يزينه أوراق النعناع ثم عاد الكاتب مع مضيفيه إلى الصيد¹، ومن أمثلة الضيفة النموذجية التي وثقها الكاتب ضيفة رسمية لرئيس الجمهورية الفرنسي "إميل لوبي" "Emile Loubet" بدوار خيضر بتلمسان في أبريل 1903 أين حظي الرئيس الفرنسي بضيافة كبيرة تعرّف من خلالها على الطبخ العربي، وحسب الكاتب كانت الضيفة في العموم مماثلة وتقام عند زيارة وحضور شخصيات مهمة ويصفها بالكبيرة جدا حيث حضر مشوي الخراف وصغار الجمال والأغنام والغزلان وإستهلكت كميات كبيرة جدا من الحطب لهذا الغرض، كما حضر آلاف "القومية" تقريبا ما بين خمسة آلاف إلى ستة آلاف من مناطق بعيدة حتى دائرة الجلفة وحضروا بلباسهم التقليدي المطرز لرؤية الرئيس الذي كان يجلس تحت الخيمة وشعر وكأنه في ألف ليلة وليلة أمام إستعراض الخيالة الممتع من سباق وحركات مميزة للخيول مع أصوات البارود التي ملأت المكان²، وصوّر الزيارة المصور الفرنسي المعروف "ليون بوي" "Léon Bouët" منذ الوصول إلى المغادرة إذ ووثق بالصور الضيفة التي قدمها الكاتب "O.De La Bourdonnaye"، وكان الوصف المُقدم دقيقا جدا ومطابقا لما جاء في الصور

¹O.De La Bourdonnaye, Dans Le Bled, Esquisses Algériennes..., Op.cit., P.P.55, 57, 59, 60, 61, 62, 63, 64, 66, 67, 68.

²Ibid., P.P.69, 70, 71.

وبذلك توثيقه للضيقة والإستعراض إحتفاءا بزيارة الرئيس¹ كان دقيقا بالوصف الكتابي والتصويري. وما يمكن إستخلاصه أن الرحلة إلى الجزائر لم تتغير من حيث المحتوى والرصد لمختلف جوانب الحياة اليومية للمجتمع المحلي بإستثناء متغير الإطار السياسي للفترة والفكر الكولونيالي الترويجي للجزائر الفرنسية وإمتدادها اللاتيني خاصة مع تغير الوضع السياسي الداخلي للمستوطنة وقانون الإستقلال المالي الذي ولد النزعة الذاتية للمستوطنين وشجع الفكر الكولونيالي المتعصب والعنصري.

ثانيا: الرحلة بين الصورة الفوطوغرافية والبطاقة البريدية واللوحة الفنية.

نقدم في هذا العنصر قراءات في النص الرحلي بين الصورة بمختلف أوجهها الفوطوغرافية والبطاقات البريدية واللوحات الفنية التي رسمت فئات المجتمع المحلي ونقلت صور متباينة ما بين المغالاة والخيال الشرقي، ورغم ذلك فهي تمثل جزء التوثيق التاريخي ومصدر للتأريخ المحلي.

أ. الصور الفوطوغرافية ونص الرحلة.

نقدم في هذا العنصر عرضا حول الصور الفوطوغرافية ونتعرف من خلالها على الرحالة والصورة التي إنقطها وكيف وظفها في النص الرحلي ومدى مصداقيتها ونسبة الحقيقة التاريخية بها.

1. الرحالة والصورة الفوطوغرافية.

علاقة الرحالة الفرنسيين والصورة إرتكزت على قاعدة الرحلات الأولى للشرق إثر تصاعد موجة الإستشراق منذ القرن الثامن عشر إلى الشرق، التي بدأت أساسا بالرسم على لوحات وتطورت إلى الصورة الفوطوغرافية مع تطور الوسائل التكنولوجية، وركز الرحالة على فن تصوير المناظر الطبيعية سواء في الأرياف أو المدن أو التاريخ الطبيعي، وصور الآثار القديمة التعريف بالعمارة الدينية المعالم المساكن، وسكان شرق المتوسط، وترى الباحثة "إيريني أبوستولو" أنه في هذه الفترة خلال القرن الثامن عشر تعدلت صورة المشرق المتوسطي في الرحلة، منها دراسات الحالة للأماكن أو المشاهد التي تسجل مرور الإستشراق المماثلة لبعض الحقائق الأنثروبولوجية وشهادة العلوم التجريبية والأنثروبولوجية لعصر التنوير، والباحثة تطرح فكرة الصورة مقابل الكتابة أي هناك تنافسية حقيقية بين الصورة والنص، فهي تعرض فكرة "السفر في نظر الفنان" وهذا الطموح المعلن وضع حدود للكتابة

¹Léon Bouët, [Recueil. Voyage du président Loubet en Algérie et Tunisie. Avril 1903].P.22-30 :18 Photos.

الأدبية وخلق مواجهة بين الصورة والنص¹، والإنتاج الفني للصور في القرن الثامن عشر وما بعده لم يكن محصوراً في معمل الرسم الإمبريالي لكن كانت تُنتج أيضاً في غيرها من معامل محلية أين يعمل بها فنانون من جنسيات أوروبية مختلفة منهم رسامين يونانيين وأرمينيين، وهذا للتمكن من تلبية طلبات الرسم الكثيرة لمواضيع عن الشرقيين، وعلاوة على ذلك صور الآخر ومختلف الرسومات تُعبر عن الذات كما أبرزه الرحالة الفنان، فأحيانا تظهر مشاهد إستقبال الرسام-الرحالة من الشيوخ والقادة العرب.

2. الصورة الفوطوغرافية والتوثيق.

الصورة هي وسيلة جيدة للتوثيق آليا وبصفة موضوعية ونموذج للدقة والنقل المباشر للصورة في حين كتابات الرحلة صنفّت طويلا في الأدب لتقاربها مع الواقع وتعود الصور في شكلها العام وتقديمها مهما كانت فوطوغرافية شمسية أو تصويرية إلى وجه موحد يظهر التصور التوافقي بين السلسلة اللفظية ومشهد العرض للناس، أي تعيين أفق الممارسة الكتابية في تكافؤ بين الكلمات والصور ولهذا يمكننا القول أنه لقراءة وإستنتاج لوحة فنية يلزمنا مجلدا لوصف وتفرغ ما تحمله اللوحة عن نظرة، إذ يذكر الكاتب الأديب الفرنسي "لامارتين" في رحلته للشرق أنه يمكن أن يكون الإحتجاج بالرسم طريقة "لتزيين" المناظر الطبيعية التي تبحث عن شكل من أشكال الضمان الثقافي، لكنها غالبا ما تكون مجرد وسيلة لإستحضار مشهد الأماكن الأخرى بطابعها البصري بدقة بترتيبها الرسمي ويكتب الكاتب الأديب "شاطوبريون" إذ يقول: "...هذا هو التناقض الإنساني عندما أعبر مرة أخرى البحار وأمنح لنفسي تباعا الأمل لجمع الصور باحثا عن الألوان لتزيين اللوحات التي من المفروض تجذبني ربما بسبب الأحزان أو الإجفاف...، أكثر من مجرد إشارة إلى الفن ما نتحدث عنه هنا هو قدرة العالم على صنع صورة وقدرة الكلمات على ترجمة هذه الصورة.... ولا يوجد شيء أكثر إمتاعا وأكثر تنوعا وأكثر إفادة من موكب الناس من مختلف الفئات وهم ذاهبون إلى أعمالهم ويحيطون تباعا بنافذة العربة كما في مفتاح رئيسي مثل ما يجدد على الدوام منظر النقوش والألوان المائية..."²، كما يشير للأمر الكاتب الأديب "ثيوفيل قوتيي" بقوله "...أن الإطار ثابت والعالم يمنح ذاته صور متجددة دائما، ما الذي يمكن أن يكون أكثر من عملية التصوير التعسفي والمغالطة للواقع إلا الاختلاف والتعدد الدائم في العناصر الوظيفية للمعايير، أكثر من النقوش أو الألوان المائية أن الأمر يتعلق هنا بقدرة العالم على تكوين صورة كاملة محصورة بحدود الإطار وعرض النظرة"، ومن جهة أخرى نرى لدى البعض الدعوة إلى إعادة بناء خيالية للماضي إذ تتكون الصور التي أحضرها المصورون الأوائل الذين زاروا الشرق وصوروه أساسا من الأنقاض، حيث تم رفض هذه الصور المقدمة في الأدب كما في فن الرسم من

¹Irini Apostolou, L'orientalisme des voyageurs français au XVIII^e siècle..., Op.cit., P.14.

²Ibid., P. P. 275,292,293, 56, 57.

خلال اللوحات ويبين المصورون التدفق الحتمي للزمن والإنسان فهو يؤدي بعفوية إلى تبجيل الحضارات المختفية ويؤسس لعدة تصورات ملهمة عنها، لأن الزائر القارئ للآثار أو الأنقاض يكره الخراب ويميل دائما إلى إعادة ترميمه وإلى فعل الإنشاء، في محاولة لإعطاء صورة الكمال للمشهد وصورة تطوير نشاط القراءة المشبعة وإختراع معنى لتحديد الآثار من أي مكان دون دلالة، فالأنقاض تثير النشاط التأويلي لأن الأثر المادي من الماضي ويميل الزائر إلى إعادة إحيائه وكهدف أساسي إعادة بناءه¹، وبالتالي تخضع الصورة الخاصة بالآثار القديمة إلى تحديد علمي وعدد معين من الإختيارات الفنية أو الجمالية تشهد على الإرادة في إظهار المباني بشكل كامل وموضوعي قدر الإمكان، وفي نفس الوقت تظهر طبيعة الصورة ذاتها قادرة على تضخيم نداء الماضي فإذا كان التصوير الفوتوغرافي يحفز المؤرخ فإنه يشارك أيضا في حركة تؤدي إلى إثارة وهمية الماضي² وبذلك فالصورة الفوتوغرافية تتأرجح بين الواقع والخيال وكان لمقال بـ"بودلار" "Baudelaire" الشهير عن التصوير الفوتوغرافي شرح مفصل لهذه الفكرة والمعنون بـ"التصوير الفوتوغرافي بين الواقع والخيال" أين يمكن إعتبار علاقة التصوير بالواقع واضحة لثلاثة أسباب والتي تم التعبير عنها بطرق مختلفة أعيد تأكيدها في القرن التاسع عشر بواسطة معظم المؤلفين الذين أخذوا موقف مع أو ضد الإختراع الجديد أولاً ويبدو أن الإنتاج التلقائي للصورة يلغي الشخصية المتأصلة في الأنماط التقليدية ثم تشابه الصورة والمرجع من ناحية والتواصل الإيجابي مع المرجع لحظة التسجيل من جهة أخرى أدت إلى إنشاء رابط مزدوج بين التمثيل والواقع الحقيقي الممثل، وهذا الرابط المزدوج وفقاً للمصطلحات التي أنشأتها "بيرس" "Peirce" [المفكر الأمريكي شارل ساندرز بارس "Charles Sanders Peirce" من أشهر المفكرين ومنظر في السيميائيات والفلسفة ولد بـ كامبريدج "Cambridge" بماساشيوسا "Massachusetts" سنة 1839 ويعتبر مؤسس التيار البراغماتي، كما يعتبر مبتكر في العديد من المجالات وبالخصوص في كيفية تصميم مناهج التحقيق والبحث وفلسفة العلوم، وعكس غيره كان يرى أن البراغماتية منهج لتوضيح الأفكار القائمة على إستخدام الأساليب العلمية لحل المشكلات الفلسفية] في نهاية القرن الرمزية المميزة للرسم مع خصوصية محددة للبصمة، وأخيرا آلة التصوير للدعم المادي الغامض للكاميرا ويتم تصنيعها بنفس طريقة عمل العين البشرية مع ميزة الحفاظ على الصور التي لا تحتفظ بها شبكية العين³، وتشرح وتفسر هذه الإفتراضات إبهار الصورة الفوتوغرافية (حتى لو كانت ناقصة وغير واضحة وغير ملونة كما في القرن التاسع عشر) على النفوس والعقول وأصبح التصوير الفوتوغرافي أداة الأحلام للوهم المرجعي (في الواقع مستحيل) تجسيدا لخيال يؤسس لعلاقة مباشرة

¹Irini Apostolou, L'orientalisme des voyageurs français au XVIII^e siècle..., Op.cit., P.P. 57, 59, 60.

²Ibid., P.60.

³Marta Caraion, Pour Fixer La Trace, Photographie, Littérature Et Voyage..., Op.cit., P.P.9, 10.

بالعالم، وسرعان ما تحول الوهم الفوري والوهم المرجعي بتأثير تحديد الهوية إلى بيانات متكررة من نقد التصوير الفوتوغرافي في عام 1839، وكان التصميم الأساسي للتصوير الفوتوغرافي في مقدمة الأدبيات التي أنتجها وكما أنها تتحول إلى بنيات أساسية لخطابة النصوص التي تعلق على الصور والخط بين التصوير الفوتوغرافي والواقع المبرر بالأسباب المذكورة أعلاه يتفاعل بهذا الشكل منذ خمسينيات القرن التاسع عشر، وهو قانون للأسلوبية النصية يتوافق مع التقليد الفرنسي للنقد الفن، وفي عام 1851 كان نشر أول كتاب مصور فرنسي للصور الفوتوغرافية لـ ماكسيم دو كامب عن مصر والنوبة وفلسطين وسوريا وفي سنة 1851 نشأت أول دورية متخصصة "النور" وهي مجلة فوتوغرافية وفي سنة 1855 المعرض العالمي كشف وقدم الأدب النقدي ومثل بداية لتصنيع التصوير الفوتوغرافي جنبا إلى جنب مع ظهور "العمل الفني مع ظهور تقنية النسخ" والتصوير الفوتوغرافي وبعكس الواقع ومع ضعف النص الأدبي كان له دور في تحديثه¹، هذه النظرة التي تحاول أن تدرج الحاضر والماضي وفي نفس الوقت تصبو للتحكم في المستقبل وتحديداً التصوير الفوتوغرافي أو بدقة أكثر النظرة التي ينسبها له الرأي في القرن التاسع عشر سواء بالتمجيد أو المفارقة، وسنرى لاحقاً أن التصوير الفوتوغرافي أصبح بالفعل الأداة المثالية لخلق تاريخ جامع يعيد بناء الماضي ويسرد الحاضر ويشير إلى الطرق التي يجب إتباعها في المستقبل ويرافق التأثير الواضح للتصوير الفوتوغرافي على الفضاء وفقاً للأشياء المنسوخة لأماكن الذاكرة من أطلال ورجال لامعين بأعمال "الفن والآثار في تزامن مع الوقت، ويلتقط التصوير المجال ليوقف الوقت وبذلك يعمل على فكرة التاريخ لأنه ولأول مرة تسمح الوثائق التاريخية برؤية أشياء من الماضي "جسدا وعظما" كما تعبير الباحثة "مارثا كاريين" ويستخدم المؤرخ وسيلتين لجعل التاريخ المقروء تاريخ مرئي ومعاش مثل التنويم المغناطيسي تماما بمعنى إعادة إحياء الحدث ونفي الغياب في نفس الوقت أي يروي الحدث كأنه كان حاضرا وشاهدا عليه إضافة إلى الرسوم التوضيحية ما يوازي فن العرض بالكلمات².

3. تفاعل الصورة الفوتوغرافية مع نص الرحلة والحقيقة التاريخية.

في تعبير عن تفاعل الصورة الفوتوغرافية مع نص الرحلة الذي يعتبر جزء من الحقيقة التاريخية أو التاريخ هناك رحلات حقيقية لمصورين نشروا صورههم وأرفقوها بتعليقات لرواية، ليصف بذلك المؤلفين عمل مزدوج من خلال النصوص والصور، وتتواصل وفقاً لطرق متنوعة وهذا النوع من الرحلة التصويرية يمكن قراءته في شكل كتب، وهذه الكتب من النوع القديم الذي شهد تطوراً كبيراً منذ القرن الثامن عشر حيث أدخلت الصور تعديلات مثيرة للاهتمام: فكتابات الرحلة تنتمي دوماً إلى

¹Marta Caraion., Pour Fixer La Trace, Photographie, Littérature Et Voyage..., Op.cit., P.P. 11, 12.

²Ibid., P. P.33, 294.

الأدب وهي مبدعة فتحت المجال للتصوير الفوتوغرافي ليحل محل الرسوم التوضيحية التقليدية، وفي تاريخ أدب الرحلة الفرنسي هناك مجموعتان من النصوص التي تنتمي إلى هذه الفئة من بين الأكثر شهرة لمؤلفين كان لهما تأثير على الرحالة في الجزائر في تلك الحقبة هما نصوص: مصر، النوبة فلسطين، سوريا والنيل لـ "مكسيم دي كومب" ونص القدس لـ "أوغست سالزمان" "Auguste Salzmann" إذ إستخداما التصوير الفوتوغرافي كمثال على الرحلات، وبالتالي أحدثت الرحلة "تفاعلات" أو تداخلات مختلفة بين الصور الفوتوغرافية والنصوص التي تدعمها ويمكن القول أن النصوص والصور تتعاون في ذلك¹، إذ تؤثر صور الرحلة بشكل فعال في خيال القارئ لتصبح حقيقة أكثر وكذلك تؤثر الذاكرة من خلال التصوير الفوتوغرافي وتزيد من تقوية الرابط بالرحلة التي تعزز صور أماكن محددة مرتبطة بالتاريخ والأساطير الغابرة عبر الزمن والتي يسعى الرحالة للعثور عليها خلف الواقع المرئي للأنقاض والآثار، ومن السهل أن نفهم كيف يمكن للتصوير الفوتوغرافي بخلاف موضوعيته أن يخدم الرحلة في بحثها عن "آثار أقل" من "أقل بقايا" و"ذكريات الأيام الماضية" كما يصفه الكاتب الفرنسي "نوديهي" "Nodier" "بعلم الآثار الخلاب"، الذي يسعى إلى إعادة إنتاج الجانب الزائل من اللوحة التي سيمحوها الزمن وللحفاظ على الآثار المهددة بالزوال يبقى التصوير الفوتوغرافي الأداة المثالية وأفضل بكثير فعليا من "الطباعة الحجرية" إذ ترصد بوضوح الرحلات. ومن جهة أخرى في عرض العلاقة بين الصورة الفوتوغرافية والحقيقة التاريخية نسقطها بين الصورة واللوحة الفنية التي مثلت مشهدا حقيقيا وواقعا في محاكاة للحقيقة التاريخية، فالرسم ينقل المشهد كملاحظ وكشاهد عيان ويسقطه في لوحة تمثل بصفة ما مشهد حقيقي للواقع قبل ظهور التصوير الفوتوغرافي، لكن في ما بعد ظهوره يرى البعض أن أثر الحقيقة الواقعية التي تحملها الصورة تنثر في المنقرج صدمة قوية لما يبرز من مظهر قوي للحقيقة في الصورة أي تعكس الحقيقة بعمق بالمقارنة باللوحة الفنية التي لم تعد مثالية للوصف مثل الصورة التي تُقدم في النقد كملاحظة وحشية للتفاصيل المرئية، ومن جهة أخرى في الصحافة الفوتوغرافية للقرن التاسع عشر نجد العديد من الصور الفوتوغرافية التي مثلت نوعا خاصا والسبب الفني مع وفرة هذا النوع من النصوص هو الإستحالة المادية في منتصف القرن لإستنساخ الصور في الدوريات وكذلك كون الأعمال المرفقة بالصور نوع من الطباعة المكلفة والفخمة وهي موجهة بشكل أساسي لمحبي الكتب والمعاهد المتخصصة وتطبع بأعداد قليلة جدا ومحدودة من النسخ وتُلصق الصور ولا تُطبع ويكون ثمنها مرتفع أي موجهة لفئة معينة من القراء الأثرياء ولم تكن متاحة للعامة، وفي أفضل الأحوال تُعيد الصحف نقش الصور². ويعتبر التصوير الفوتوغرافي من صور الرحلة إذ مثلت الكتب المصورة أدب رحلة توثيقية ففي ما

¹Marta Caraion., Pour Fixer La Trace, Photographie, Littérature Et Voyage..., Op.cit., P.65.

²Ibid., P.P.85, 87, 93, 145, 133, 138.

يخص موضوع الجزائر المصورة، يعتبر الكاتب "مولان" M.Moulin رئيس تحرير "المجلة التصويرية" في مقاله حول الجزائر¹ أن التصوير وضع مشروعا للتاريخ الكلي في عصر التصوير، ويرى أن التصوير يُمثل التاريخ والتاريخ الحي ويُجسده في رسومه التوضيحية مثل الكاتب بقلمه والرسام بفرشاته والنحات بأدواته ويرصد الماضي بآثاره وأنقاضه، ويستقرئ المستقبل من المواقع الأثرية والسكان².

ب. البطاقة البريدية والموضوعية التاريخية.

كان للبطاقة البريدية إنتشارا واسعا أثناء فترة الإحتلال الفرنسي حيث أصبحت صور المستعمرة تُدرج في البطاقات البريدية الرسمية للميثروبول، وكانت تنقل صورا عن المجتمع المحلي خاصة المرأة الحضرية والبدوية وجلها كان ذا أبعاد إيحائية تُروج لأهداف سياسية للمستوطنة وللسياحة والإستيطان في محاولة لربط المستوطنة بالميثروبول وفتحها على الفرنسيين وتشجيعهم على زيارة المستوطنة والإستقرار بها، كما كانت وسيلة دعائية بإمتياز للمواسم السياحية وكانت تعرض صورا لنساء نابليات أو حضريات باللباس المحلي والحلي التقليدية وصور أشجار النخيل وغيرها، وهي تبتعد عن الموضوعية في تقديمها للجزائر والجزائريين عبر صور مُبتذلة ومُزيفة في عمومها وذات إمتداد للفكر الأنثروبولوجي الكولونيالي الذي يُجسد النظرة الإستعلائية والسلبية للآخر المُستعمر والشرقي المُتوحش.

1. البطاقات البريدية ما بين التصوير والخيال الجنسي الإستعماري.

البطاقات البريدية التي جسدت التصوير والخيال الجنسي الإستعماري قدمت الآخر بمجرد حجة للتصوير الإستعماري الذي جعل من المرأة المحلية موضوعا حقيقيا للخيال الجنسي الاستعماري إذ إستخدمه الرسامون المستشرقون لأول مرة كتذكير بالطريقة نفسها مثل الرسم بالألوان المائية، وأصبح التصوير الفوتوغرافي منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر فنا ذاتيا أحدث ثورة في العلاقة بين الصورة والعالم، ففي البطاقات البريدية المصغرة للصور المفاجئة نجد صور للمرأة [أو كما يطلق على المرأة المحلية في الأدبيات الإستعمارية "فاطمة" "Fatmah"] جميلة ساحرة بعيون جذابة وصدر عاري وإنتشر خيال الإثارة الكولونيالي على نطاق واسع من عام 1850 إلى عام 1950، ويُقدم التصوير الفوتوغرافي للحضريات وتتشركن بصفة كلية أو جزئية في أن تكن عاريات جزئيا أو كليا وفي وضعيات إغراء إما تكون على عتبة بابها أو عند الدرج أو عند مدخل غرفة ينظرن إلى الأمام مباشرة

¹M. Moulin, l'Algérie, Paris, Publication nationale, in Revue Photographique, mai 1858.

²Marta Caraion., Pour Fixer La Trace, Photographie, Littérature Et Voyage ..., Op.cit., P.P. 271, 276.

بإتجاه من يفترض أن يراهن¹، وفي الصور الكلاسيكية والمتكررة لفتيات الإغراء فالتدين عاريين والسجائر في أفواههن، راقصات البطن، مثليات شقيقات وغيرها، والصورة التي قدمها الإستعمار مغايرة للواقع الذي يمثل صورة أخرى عن المرأة الحضرية والتي تبقى في نظره غير متحضرة أو في عملية التحضر²، وهذه الصورة إرتبطت في الأنثروبولوجية الكولونيالية بمقاييس محددة ومثلت صورة إغراء وإيحاء لجذب الآخر بطريقة غير أخلاقية وبتشويه تام ومُطلق لصورة المرأة المحلية المسلمة والتي أسقطها الإستعمار في تصور يشوه الهوية والإرتباط الديني والحضاري للمرأة الجزائرية في تلك الفترة.

2. البطاقات البريدية والصور الفوطوغرافية المبتذلة والمشوهة عن المرأة المحلية.

يقدم الطبيب والكاتب الفرنسي "دي شاسن" "E.A.Duchesne" كتابا مفصلا عن ظاهرة الدعارة في الجزائر المُستعمرة في كتاب كبير الحجم بقرابة 230 صفحة بعنوان "الدعارة في مدينة الجزائر"³ إذ كان في مهمة علمية صيف سنة 1851 وكان يقضي أوقات فراغه في دراسة الوضع الصحي العام في مدينة الجزائر، ويعتبر كتابه ثري بالمعلومات المتخصصة والعلمية حول الظاهرة وإستخدم التحليل والوصف كما عالج مختلف جوانب الظاهرة وأرفق دراسته بإحصائيات مهمة، ومن خلال دراسته أبرز الكاتب ضرورة هذه الظاهرة بالنسبة للإستعمار رغم أضرارها ورغم إنتشارها المُحتشم في الإيالة إذ أورد الأسير "هايدو" أن الظاهرة كانت موجودة بمدينة الجزائر قبل 1612 وكانت منظمة ومُقننة تحت إمرة المزوار في الجزائر وتونس منذ منتصف القرن الثامن عشر حيث كان يدير دور البغاء في كل مدينة من مناطق الإيالة، لكن بعد الإحتلال ألغت الإدارة الفرنسية هذه السلطة في سنة 1830⁴، كما قدمت الباحثة "كريستال تاروا" "Christelle Taraud" كتابا مهما ترصد من خلاله الصور التي روج لها الإستعمار الفرنسي عن المرأة المحلية في المنطقة والجزائر خصوصا وفي مجملها صور مبتذلة ومشوهة، وعرضت من خلاله دراسة تحليلية شاملة عن الموضوع ويحمل هذا الكتاب⁵ عنوان "الدعارة الكولونيالية، الجزائر، تونس، المغرب (1830-1962)"، كما أصدرت المؤلفة كتاب آخر ذا صلة حول المرأة الحضرية في التصوير الكولونيالي بعنوان "الحضرية، نساء شرقيات في التصوير الكولونيالي 1860-1910"⁶، وهو كتاب مهم عن الموضوع وقيم [لكن للأسف لم نتمكن من الإطلاع عليه لعدم

¹Christelle Taraud, La prostitution coloniale, Algérie, Tunisie, Maroc..., Op.cit., P.P.295, 297, 298.

²Ibid., P.P. 299,300.

³E.A.Duchesne, De La Prostitution Dans La Ville D'Alger Depuis La Conquête, Paris, J.-B. Baillière Libraire, 1853.

⁴Ibid., P.P.9, 18.

⁵Christelle Taraud, La prostitution coloniale, Algérie, Tunisie, Maroc (1830-1962), Paris, Payot, 2003.

⁶Mauresques, Femmes orientales dans la photographie coloniale, 1860-1910, Paris, Albin Michel, 2003.

تمكننا من الحصول عليه]، وتم إنشاء أول خدمة للشرطة والصحة في الجزائر في 13 جويلية 1830 ثم صدر مرسوم 12 جوان 1831 عن فريق الجيش قائد قوات جيش الإحتلال في شمال إفريقيا يضع المبادئ الرئيسية لإدارة الدعارة في أراضي المستوطنة وتستند هذه الوثيقة على مراسيم 11 أوت 1830 و 27 مارس 1831 المتعلقة على التوالي بإنشاء مؤسسة للمراقبة الصحية للفتيات العاملات في هذا الميدان وهو المستوصف، وبشأن تحديد ضريبة صحية شهرية (خمس فرنكات) والإلتزام بالقيام بالمراقبة الصحية والحصول على الدفتر الصحي بالمستوصف لمصالح البلدية من قبل مفوض الملك أو من قبل رئيس البلدية، وينص كذلك مرسوم 22 مارس 1831 على أن الإشراف على الفتيات العاملات يتم تكليفه بالمفوض العام للشرطة الذي يتولى مسؤولية تحصيل الضريبة المفروضة على عاملات هذا الميدان دون تمييز بين الجنسيات، وتم الانتهاء من تنظيم هذه المصلحة في 28 نوفمبر 1835 بسلسلة جديدة من الإجراءات بدفع من الوكيل المدني للممتلكات الفرنسية في شمال إفريقيا تتمثل في إصدار أمر جعل من الممكن تحديد شروط التسجيل وعدد الزيارات الطبية، وأخيراً صدور مرسوم الشرطة الصادر في 25 نوفمبر 1852 ومداولات اللجنة البلدية بالجزائر العاصمة في 30 يونيو 1853 الذي تم الإطار القانوني لممارسة هذه المهنة من خلال إقامة بيوت مخصصة¹، واتخذت هذه الإجراءات بالمستوطنة في إطار إستعجالات الحرب كنداير وقائية وكانت المرحلة الأولى من إنشاء النظام التنظيمي لهذه المهنة في المنطقة²، وفي منتصف القرن التاسع عشر رغم محدودية هذا النشاط إلا أنه شهد تعدد القوانين التي يعتبرها البعض تُعرقل توسع هذه النشاطات إضافة إلى التسعير الصارم للخدمات وتحديد أماكن النشاط، وتنوع هذا النشاط تميز بتسعير متغير ومشقّر وتعددت الممارسات الجنسية خلال قرن ما بين 1830 و 1930 نجد ناشطات رسميات يضمن خدمات جنسية مُسعرة ومدفوعة الأجر مسبقاً بفوائد محدودة لمدة ثابتة فقط لهذه الخدمات وهناك ناشطات في السر ينتظرن في منازلهن الزبائن ويقدمن خدمات جنسية وحتى الطعام والشاي ومياه الإستحمام وإذا لزم الأمر يضمنُ الترفيه والضيافة في الليل والمجاملات في ممارسة قديمة لمفاهيم هذا النشاط وأنواعه من العلاقات الجنسية المتفاوض عليها في فترة ما قبل الإحتلال، لكن تعايشت هذه المهنة مع الفترة الإستعمارية وعُرفت أكثر من خلال الأدب والشعر وأدب الرحلة والدراسات الإثنوغرافية التي سمحت بمعرفة النظام التنظيمي لهذه المهنة وكيف مثلت صدمة للمجتمع الشمال إفريقي³، وينتقد الكاتب "دي شاسن" الوضع الكارثي للظاهرة المنتشرة والمتضخمة ويعتبرها نتيجة مباشرة للإحتلال وتدني الأوضاع المعيشة، إذ يقول: "...بيوت البغاء هي جرح في منظومتنا الإجتماعية وهي ضرورة مُحزنة..." ويعبر

¹E.A.Duchesne, De La Prostitution Dans La Ville D'Alger Depuis La Conquête..., Op.cit., P.P.22-27.

²Christelle Taraud, La prostitution coloniale, Algérie, Tunisie, Maroc..., Op.cit., P.20.

³Ibid., P.25.

عن الوضع الاجتماعي بمفردة "الشقاء" الذي دفع النساء للعمل في هذا المجال¹، ومنهم إستثناءا نساء محليات لكن من خلال الرقص الإيحائي كالعزريات الجزائريات والشيخات المغربيات اللاتي يُقمن علاقات غير مشروعة إضافة إلى الرقص ورغم ذلك فبعض أولئك النسوة كان لهن مكانا أصليا ومميزا في مجتمعاتهن، فمثلا عزريات ثنية العابد على وجه الخصوص لديهن سمعة خاصة بفضل موهبتهن في الرقص وثناء أزياءهن ومجوهراتهن ونوعية المعجبين بهن ويؤجرن بسخاء نقدًا والموسيقيون الذين يرافقونهم لا يتلقون المال فحسب بل أيضًا الفواكه والحبوب، وتتميز العزريات بالاندماج في الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية في مجتمعاتهن إذ يشاركن في موسم الحصاد بالغناء والرقص، كما يحين حفلات خاصة منها حفلات الزواج كإحياء حفل زفاف قائد الأبيض سيدي شيخ المسمى أبوبكر في الشلف "géryville" إذ حضرت مجموعة من العموريات من آفلو²، وهنا نلمس دورهن الاجتماعي³. وكانت المدينة تنقسم إلى قسمين متمايزين منها المنطقة العلوية أي "الجل" حيث تعيش غالبية النخبة الحضرية والمنطقة السفلية أي "السهل" الذي يمتد إلى البحر حيث يعيش السكان في إطار كوسموبوليثي عالمي وحياة حيوية تزدهر بها التجارة وتنتشر الحانات وتتميز بالإكتظاظ والإختلاط وفي هذه المنطقة من المدينة يقع الحي اليهودي أين يعيش معظم يهود الجزائر العاصمة المقدر عددهم حينها بحوالي خمسة آلاف، وكذلك بنفس هذه المنطقة يوجد الحي الفرنسي وكان يسكنه في ذلك الوقت ما يقارب مائة مسيحي معظمهم من الموظفين القنصليين أو التجار، وكان تواجد الأوروبيون غير مرغوب فيه من قبل السكان الذين ينظرون إليهم كسبب في تفشي الفساد في المدينة التقليدية المحافظة ونشر عادات دخيلة كالكحول والبغاء والضوضاء الليلية من خلال أسلوب حياة الأجانب، وبعد الإحتلال وصلت أعداد كبيرة من العسكر إلى المستوطنة وساهمت برسم السياسة الإستعمارية التي عززت حركة الإستيطان، والتي حولت وجه البلاد في أربعين عامًا فقط من الوجود الإستعماري ودمرت المدارس والمساجد وشوهت الشكل العثماني للمدينة التقليدية وكرست جزء كبير من المدينة لإيواء الجنود وتطوير الخدمات اللوجستية للإستعمار، ولكن أيضًا لتلبية طلب الوافدين الأوائل المُقدر عددهم بـ 15000 في عام 1839 ليرتفع العدد سنة 1846 إلى 42000 مستوطن ومن خلال هذا العدد الكبير للمهاجرين من جميع أنحاء أوروبا كان تدفق أول عاهرات إيطاليات، فرنسيات ومالطيات وبداية تنظيم هذه التجارة⁴، أو هذا البغاء الجديد الذي إنتشر بسرعة وكان يستجيب لطلب

¹E.A.Duchesne, De La Prostitution Dans La Ville D'Alger Depuis La Conquête..., Op.cit., P. 28.

²Christelle Taraud, La prostitution coloniale, Algérie, Tunisie, Maroc..., Op.cit., P.P.40-42,48-49.

³E.A.Duchesne, De La Prostitution Dans La Ville D'Alger Depuis La Conquête..., Op.cit., P.21.

⁴Christelle Taraud, La prostitution coloniale, Algérie, Tunisie, Maroc..., Op.cit., P.P.55-56.

محدد للأوروبيين ويفترض أن الشريعة الإسلامية غير قادرة على الرد عليه، لكن البغايا المحليين إندمجوا في التنظيم وفق القوانين التي فرضتها الإدارة الإستعمارية وكن يخضعن لمراقبة الإدارة المختصة وذلك للتحكم في تحركات هذه الفئة، فمثلا عند تغيير العناوين يصرحن لدائرة شرطة الأخلاق والمركز الصحي في الجزائر العاصمة وصدر مرسوم في 25 نوفمبر 1852 ينص على الإشعار بالوصول أو المغادرة ومنح تأشيرة تنقل، فعند مغادرة الفتيات يتم شطبهن من سجلات شرطة الأخلاق وفي الجزائر عام 1853 يكفي تقديم طلب بسحب البطاقة فإذا تم قبول الطلب بشكل إيجابي يجب على المعنية دفع مبلغ ثلاثين فرنكا لإعادة شراء بطاقتها وبالتالي تسوي وضعيتها وتكون في وضعية قانونية بالنسبة للإدارة وكانت هناك أحياء مخصصة لهذا النشاط، ولا يزال دور الدعارة على النمط الغربي¹ باعتبار أغلبية الناشطات في هذا المجال فرنسيات وأوروبيات ومُسيري هذا النشاط. ما يمكن إستنتاجه أن الخيال الإستعماري وتقديم الغربيين للنساء المحليات وليس الشرقيات معروضات في وضعيات إيحائية مستوحاة من المُستعمر وتشبهها بشكل غريب² بالصورة الايقونية ذات التقنية المميزة، كالعرض الشرقي للعري للوحات كان من المقرر عرضها في الصالونات والمتاحف في الميثروبول كلوحات "إدوارد مانيه" "Edouard Manet" في مسرح الأولمبيا المعروضة سنة 1863 وكلها أعمال إيحائية وصور مُبتذلة عن المرأة المحلية خاصة وحتى لو كانت اللوحات تخص أجنبيات أو أوروبيات فالإعتقاد السائد والنظرة العامة تخصص وتسقط صورة المرأة المحلية في العرض بمعنى أن الصورة المُبتذلة ربطها الفكر الأنثروبولوجي الإستعماري بصورة المرأة المحلية خاصة الناييلية مثلا.

3. صورة المرأة المحلية ما بين المغالطات والواقع من خلال اللوحات الفنية.

عرضنا في دراستنا من خلال كتابات الرحالة في مختلف الفترات صورة المرأة المحلية في ما يُكتب وفي ما يرسم، ونقدم هنا تلخيصا لهذه الصورة المتداخلة ما بين الشرق والإستشراق والآخر وشغلت مكانة المرأة المحلية ودورها في المجتمع والعادات والتقاليد وحتى تفاصيل خصوصياتها من صفات جسدية ولباس وحلي وتعامل وسلوك فضول الآخر، وبرز ذلك من خلال الأعمال الفنية والكتابات الأدبية والهوس والتخييلات الذكورية، ويرصد ملخص هذه الصور الكاتب "مالك شبل" في كتابه "قاموس عشق الجزائر"³ إذ يرى أن الفن الإستشراقي حصر المرأة المحلية في عدة أدوار منها دور "العُلمة" "L'Almée" أو "الشطاحة" أي الراقصة لدى "بول لوغوي" "Paul Leroy" و"قاستون سان

¹E.A.Duchesne, De La Prostitution Dans La Ville D'Alger Depuis La Conquête..., Op.cit., P.P.31-33.

²Christelle Taraud, La prostitution coloniale, Algérie, Tunisie, Maroc..., Op.cit., P.P. 82, 83,291 .

³Malek Chebel, Dictionnaire amoureux de l'Algérie..., Op.cit. P.P.300, 301.

بيير "Gaston Saint-Pierre"، ودور "الحضرية" في الحرم "la Mauresque dans son Harem" لدى "فيليبو بارثوليني" "Filippo Bartolini" "أشيل بوشي" "Achille Boschi"، "أنطونيو فابريس إيكوسنا" "Antonio Fabres y Costa"، "طوماس بومبار" "Thomas Bompard" وأيضا "جورج كليران" "George Clairin" أو "أوغيسست رونوار" "Pierre-Auguste Renoir"¹، وكذا أعمال الرسام البلجيكي الذي قدم عدة لوحات عن المرأة المحلية في الحياة اليومية وهو "جون بابتيست هايسمان" "jean-baptiste-huysmans" "ومن هنا عدة لوحات مشهورة عن نساء الحرم منها لوحة بعنوان "عرافة في الحرم" إذ مثلت عادة لتواجد العرفات في الحرم ودورهن وراء جدران القصور²، ولوحة أخرى بعنوان "نساء في الحرم" وهي لوحة دقيقة بألوانها الجميلة تصور امرأة تلعب مع فتاة صغيرة بلعبة الخيوط بالأيدي والتي لا زالت حتى اليوم وتظهر في الغرفة مزينة بالزليج الجزائري القديم وبها صندوق وآلات موسيقية وبالتحديد دف ومفروشة بالزرايبي والأثاث المحلي وبها شباك وحتى لباس وحلي المرأة والفتاة تقليدي مماثل لما عرضناه من لوحات في ملحق الدراسة³، ولوحة أخرى عن مناظر من شوارع القصبة وهي لوحة مشهورة ومنتشرة يصور فيها "جون بابتيست هايسمان" امرأة حضرية بلباسها التقليدي اليومي تحمل مروحة في يدها تقف عن باب بيتها وتتبادل أطراف الحديث مع امرأة أخرى مارة من أمام بيتها في الشارع مرتدية حايك تقليدي أبيض مع غطاء الوجه أو "العجار" ويظهر الجانب العمراني من بيت المرأة إلى الشارع والسقيفة والدرج وبعض النسوة جالسات في الشارع، ويقدم في لوحة موازية امرأة حضرية تترين أمام مراتها التقليدية المزينة وبمظهرها المحلي المحض من لباس وحلي⁴، والبعض قدم المرأة على أنها خلية وبائعة هوى، آمة، أم مربية، امرأة ريفية، حلاقة، وسيطة زواج، عرافة، مغامرة مدخنة نرجيلة وخاصة مدمنة حمامات لدى "جيروم" "Gérôme"، "شاسيريو" "Chassériau"، "ميقوني" "Migonney"، "إنقراس" "Ingres"، "بوشار" "Boucharde" وغيرهم⁵، كالرسامة الفرنسية التي قدمت عدة لوحات عن المرأة المحلية من مختلف مناطق البلاد وهي "ماري كار ثونوار" "Marie-caire Tonoir" والتي رصدت المرأة في لوحات مميزة نذكر منها أربع لوحات أولها "لإمرأة ببسكرة سنة 1899" وهي صورة امرأة بسكرية بثوب محلي بسيط وحلي بسيطة في زاوية من بيتها وهي تمارس نشاط يومي يبدو حليب في جرة طينية قد تعد اللبن وعلى الحائط تظهر أواني معلقة لإعداد الكسكس⁶ [سيار]، كما تعتبر لوحاتها الثانية عن "إمرأة من بسكرة" من أنبل ما قدمت عن المرأة البسكرية ويعتبرها المحللون من

¹Malek Chebel, Dictionnaire amoureux de l'Algérie..., Op.cit., P.302.

²<http://www.fineart-china.com/htmlimg/image-25161.html#>.

³https://www.auction.fr/_fr/lot/jean-baptiste-huysmans-1826-1906-belgique-femmes-au-harem-huile-sur-12589725.

⁴<https://topdestinationsalgerie.com/lalgerie-aux-yeux-du-peintre-belge-jan-baptist-huysmans/>.

⁵Malek Chebel, Dictionnaire amoureux de l'Algérie..., Op.cit., P.302.

⁶<https://peintures-algerie.blogspot.com/2020/11/la-femme-de-biskra-1899-marie-caire.html>.

أجمل وأصدق اللوحات التي رصدت ملامح وجمال المرأة المحلية البسكرية¹ وهي مدرجة في ملاحق الدراسة وفي لوحة ثالثة عن المرأة قدمت الرسامة "ماري كار ثونوار" لوحة بعنوان "نسوة من بسكرة" بها إمرأتين بلباس يومي بسيط وحلي بسيط كذلك، تبدو الأولى عجوز تقوم بإعداد طعام تقليدي في إناء خشبي [قصعة] تبدو أنها تقوم بعجن عجينة الكسرة [أو خبز تقليدي] أو عجوة التمر وأمامها ما يشبه كيس من جلد الماعز [مزود] لتخزين الدقيق أو التمر [بطانة] مرفقة بشابة بيدها مغزل صوف جالستين في غرفة طينية بسيطة جدا²، وفي لوحتها الرابعة عكس اللوحات الأخرى عن نساء بسكريات تقدم فيها الرسامة "إمرأة محلية حضرية" من سكان مدينة الجزائر بلباسها وحليها التقليدي تقف أما قوس باب غرفة مزخرف بطراز معماري محلي³، ومن اللوحات الأخرى عن المرأة للرسامين يقدم كذلك الرسام "هيبوليث لازار" Lazerges Hippolyte لوحة بعنوان "إمرأة في النافذة" سنة 1883، ومن خلالها قدم الرسام شابة محلية بلباس يومي بسيط وحلي من أساور [مقياس] فضية وأبرز ملامحها المحلية وكانت تطل من نافذة المنزل العلوية وهي لوحة جميلة جدا تظهر الجمال الطبيعي للمرأة المحلية⁴، وكذلك الرسام الفرنسي "بيار أوغيست رونوار" قدم لوحة بعنوان "إمرأة جزائرية سنة 1881" وهي لوحة مميزة تعتبر من أجمل اللوحات عن المرأة المحلية⁵ وهي مدرجة في ملاحق الدراسة، وقدم لوحة أخرى "الإمرأة الجزائرية سنة 1883" وبها رسم لشابة محلية بملامح جميلة وترتدي حلي محلي جزائري وهو خيط الروح ولباس بسيط⁶، وقدم لوحة أخرى بعنوان "جارية جزائرية" سنة 1870 بها جارية تبدو مستلقية في مخدعها به أثاث محلي وترتدي بلباس بسيط⁷، والملاحظ أن الرسام "بيار أوغيست رونوار" قدم المرأة المحلية في كل مراحلها العمرية إذ رسم الفتيات الصغيرات ففي لوحة "فتاة جزائرية" تبدو حضرية سنة 1881 بلباس بسيط وملامح طفولية وترتدي حلي⁸، أما اللوحة الثانية عن الأطفال فقدمها بعنوان "منع حلول الليل" أو السهر لفتاة صغيرة، وهي لوحة لفتاة صغيرة تحاول السهر ليلا⁹، كما رسم لوحة أخرى بعنوان "إمرأة جزائرية" سنة 1870 وهي لسيده فرنسية تدعى "M^{me} Clémentine Valensi Stora" بلباس

¹https://art.rmngp.fr/fr/library/artworks/marie-caire_tête-de-femme-biskra_peinture-a-l-huile.

²https://fr.wikipedia.org/wiki/Marie_Tonnoir.

³https://fr.wikipedia.org/wiki/Marie_Tonnoir.

⁴https://fr.wikipedia.org/wiki/Fichier:Hippolyte_Lazerges_-_A_la_fen%C3%AAtre.jpg.

⁵<https://fr.wahooart.com/@/8EWPLE-Pierre-Auguste-Renoir-Femme-alg%C3%A9rienne>

⁶https://fr.wikipedia.org/wiki/Fichier:PierreAuguste_Renoir__Femme_alg%C3%A9r337ienne.jpg.

⁷<https://www.itineraireslitteraires.fr/document/pierre-auguste-renoir-odalisque-femme-algerienne>.

⁸https://fr.wikipedia.org/wiki/Fichier:PierreAuguste_Renoir__Jeune_Fille_alg%C3%A9rienn
e.jpg.

⁹<https://www.24hdz.com/renoir-algerie-empecher-nuit-tomber/>.

محلي وكأنها حضرية¹ في تداخل واضح مع صورة المرأة المحلية خاصة وأن شهرة اللوحات الفنية للمرأة المحلية أصبحت موضحة دفعت بعض الفرنسيات بالتوضيح للرسمين الفرنسيين في إستساح اللوحات فنية للمرأة المحلية التي كسبت شهرة كبيرة ولمردوديتها وتداولها للبيع في السوق الفنية، وهذه اللوحات هي عينات من صور المرأة المحلية التي قدمنا نماذج منها في مجموعة من اللوحات والصور الفوتوغرافية والبطاقات البريدية في ملاحق الدراسة، وغيرها من الصور المتعددة والمبتكرة كصورة "فاطمة" من خلال "جون لوران"، "ثيوفيل قوتيي" "أوجان فرومونتان" و"أليكسندر دي ما" وغيرهم كثير. وتعرضت صورة المرأة في العموم إلى الكثير من المغالطات البعيدة عن الواقع، فكثيرا ما تداخلت لدى الرسامين صورة المرأة ووقعوا في مغالطات كالخلط بين المرأة الحضرية المسلمة والمرأة اليهودية، أو كإستخدام ألوان تخص المرأة المحلية وتنسب مغربية أو رسم امرأة غربية ترتدي لباس حضري تقليدي وتقدم على أساس أنها امرأة محلية، ورسم العديد من الرسامين ك"جيروم" و"إنقراس" لوحات تعري لخليلاتهم أو لبائعات هوى ونسبت للمرأة المحلية الجزائرية، مثل اللوحة الشهيرة لـ"تساء الجزائر في بيوتهم" للرسام "أوجين دي لكرؤا" الذي رسمها حتى قبل وصوله للجزائر أثناء زيارته لإسبانيا والمغرب جانفي سنة 1832 قبل نزوله بالجزائر، ونفس الشيء بالنسبة للوحة الرسام "أونج تيسيي" " Ange Tessier" في لوحة "جزائرية وأمتها" سنة 1860 إذ كان اللباس فقط جزائري، والشيء نفسه قدمه "فيليبو بارثوليني" سنة 1881 في لوحة عنوانها "سيدات في ساحة تلمسان"، والأمر نفسه في لوحة "لاعبة الإيمزاد" للرسام "بول إيلي دي بوا" "Paul-Elie Dubois" وأيضا لوحته "عائلة في تينقلوز بالهقار" ويصور مجموعة من التارقيات ملتفات حول زعيم بلباسه الإحتفالي مرتديا الشاش، ونفس الصورة إعتدتها العديد من الرسامين الفرنسيين والإيطاليين طيلة القرن، إذ أعادوا إحياء إحتفاليات حضروها من خلال لوحاتهم مثل لوحة "موكب الزفاف في الجنوب الجزائري" للرسام "أوجين جيراردي" " Eugène Girardet" ولوحة "شوافة في الحرم" أو بمعنى العرافة حسب ما إستنتجناه للرسام "جون بابتيست هايسمان" وهو من أشهر الرسامين الرحالة المنتمين للمدرسة الإستشراقية، وكذلك لوحة "الراقصات" للرسام "قاستون سان بيير" "Gaston Saint-Pierre" والتي رسمها في حفلة زفاف بمدينة تلمسان ويمكن إعتبار هذه الفئة من الرسامين كسوسيولوجيون مهتمون بنفس التوجه الفكري في تصوير المرأة المحلية والتركيز عليها معتمدين على المظهر أو الوصف الخارجي الدقيق، كلوحة "سقوط زمالة الأمير عبد القادر من قبل الدوق أومال" للرسام "هوراص فارنيي" الذي لم يركز إلا على صورة امرأة ببشرة بيضاء ذات ووجه ممثلي، ونفس اللوحة للرسام الفرنسي المستشرق "هيبوليث لازارك" (1817-1887) الذي

¹https://fr.wikipedia.org/wiki/Fichier:PierreAuguste_Renoir__Madame_Cl%C3%A9mentine_Valensi_Stora.jpg.

رسم لوحة إمراة تطل من نافدتها بالعاصمة سنة 1883 ولم ينصف المرأة المحلية إلا الرسامة الفرنسية المستشرقة "ماري كار ثونوار" (1860-1934) من خلال لوحة "إمراة من بسكرة" "Femme de Biskra" والتي حسب تعبير "مالك شبل" أنصفت المرأة المحلية بإبراز مميزات المرأة الجزائرية سواء شكل الوجه والملامح وخصائص الوشم والنظرة المخملية، وعموما عن منطقة بسكرة وبوسعادة قدم "إيتيان ديني" "Etienne Dinet" (1861-1929) العديد من اللوحات الفنية المميزة التي تبرز جمال المرأة المحلية ولباسها وحليها، ونذكر منها لوحة "ربيع القلوب" (1904)، "لباس الحفلة" (1907) "خضراء" (1926) "في أسطح بوسعادة"، "فتاتين ترقصان بالداخل ببوسعادة" و لوحة "شهيد الحب" حيث كان يعبر عن لقاءاته على ضفاف الوادي، لكن بعد آداءه فريضة الحج غير من طابع رسوماته وتغير محتواها ولم يعد ينقل مشاهد للنساء المحليات حتى بنات نايل اللائي يفترض أنهن أكثر حرية وجذبا للرجال، لكن لدى غيره من الرسامين حظيت النايليات بلوحات متعددة كاللوحه الشهيرة للرسام "شارل لوندال" "Charles Landelle" بعنوان "نايلية من بسكرة" وقدمها أكثر جمالا من الملكة الفرعونية "نيفرتيتي" كما قدم الرسام "جورج كليران" لوحة عن النايليات بعنوان "إمرأتين من أولاد نايل" وغيرهم كثير ممن رصد هذه الفئة من النساء المحليات، في حين وكما عرضنا سابقا في دراستنا البعض لم يهتم بالمرأة ولم يركز عليها كظاهرة للرسم ك"أوجان فرومومتان"، لكن من خلال الأمثلة الأخرى المتعددة فإن نظرة الرسامين الفرنسيين والأوروبيين للمرأة الجزائرية كانت ما بين الإعجاب والتكتم¹. وظلت المرأة المحلية محط فضول وإعجاب خاصة من التيار الإستشراقي رغم المغالطات وتزييف الحقائق وخطت الصور من خلال اللوحات أو النصوص، كما تمكنت من القيام بدورها الإجتماعي والإقتصادي وحافظت على مقومات الهوية للمجتمع المحلي.

¹Malek Chebel, Dictionnaire amoureux de l'Algérie..., Op.cit., P.P.302, 303, 304, 305.

الخاتمة

الخاتمة.

في حديثه عن التنوع الثقافي المغاربي يرى "الطاهر بن جلون" أن المجتمعات المغاربية عانت من الإستعمار الفرنسي وعلى وجه الخصوص المجتمع الجزائري¹، وبالتالي نستقرئ أن مجتمعاتنا تعاني من الإجتثاث الثقافي خاصة وأن الهوية المحلية تعرضت للتمزيق والتشتيت في فترة الإحتلال الفرنسي، وكان المجتمع الجزائري أكثر المجتمعات المغاربية تعرضا للضغط في هذا الجانب ووجب عليه المحافظة على قيمه الدينية والاجتماعية ومواجهة التغريب الفرنسي لمقومات الهوية المحلية. وتعتبر دراستنا لكتابات الرحلة والمجتمع المحلي من الدراسات التي تجمع الأدب بالتاريخ وتساعد على التأريخ بمحتوى يتأرجح بين الذاتية والموضوعية، التخيل والواقع، الأنا والآخر والمُستعمر والمُستعمر وبالتالي بقدر التشويق في المحتوى والجدب الأدبي يصعب غربة وتمحيص المحتوى وإستنباط الجانب التاريخي، ورغم ذلك تساعدنا المنهجية التاريخية والعلمية على الرصد الموضوعي والتوثيق لبناء صورة ورصدها بشكل يسمح لنا بتحريرها من النظرة الكولونيالية وتفكيكها، ومن أهم الإستنتاجات التي إستخلصناها من دراستنا نذكر أنه:

- 1- كانت الرحلة جزء من الصراع الإستعماري الإمبريالي بين الإمبراطورات الإستعمارية الحديثة الكبرى وهي فرنسا وبريطانيا، إذ إنتشر الرحالة الفرنسيين بالقارة الإفريقية ومناطق النفوذ الفرنسي والرحالة البريطانيون والأنقلو ساكسون في آسيا وأراضي الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس، كما كان للمدارس الفكرية الإستعمارية أثر واضح في الكتابات وبالتالي إرتبطت الرحلة بعدة عوامل مثلت قاعدة وخلفية ومنطلق للرحلة رغم إختلاف الرحالة من حيث الطبقات الاجتماعية والتوجهات الفكرية وصبت مجملها في بوثقة الإستشراق ومدارسها بدرجات متفاوتة وفي الفكر والسياسيات الإستعمارية لدولهم.
- 2- مساهمة أدب الرحلة في التأريخ المحلي إذ يعتبر الناقد الشهير "فيلمان" أنه لا يمكن القيام بالتاريخ الأدبي دون القيام بالتاريخ العام، ويرى أن التاريخ العام هو إطار التاريخ الأدبي ومن الممكن القيام مثلا برسم منظر لوحات شخصية تروي واقعة وتبرز حدث وتكون مؤرخا ومن هنا بدأ النقد التاريخي.
- 3- نتصور أن الرحلة إلى الشرق كانت جزء من ثقافة نستطيع أن ننعثها بالظاهرة العامة في المجتمع الأوروبي في الفترة السابقة للقرن التاسع عشر، وتعددت رحلات الفرنسيين في إطار موجة الإستشراق التي حركت العديد من الفئات ومن مختلف الطبقات سواء المثقفين من روائيين وكتاب وأدباء ورسامين أو دبلوماسيين وسياسيين أو التجار والعامة، ويمكن توصيفها بـ"موضة الرحلة" "La Mode du Voyage".
- 4- نستنتج أن كتابات الرحلة ساهمت بالتعريف بمختلف مناطق البلاد وكان لها تأثير في الجذب

¹Camille et Yves Lacoste, Maghreb peuples et civilisations, éditions La Découverte, Paris, 2004, P.97.

السياسي والتعريف برموزها، لكن تتفاوت دقة وموضوعية الكتابات بتنوع تكوين والتوجه الفكري للكتاب.

5- كل الطرق كانت بحرية تنطلق من مختلف المدن الفرنسية الشمالية وتصل إلى مدينة مرسيليا ومنها يكون الإنطلاق إلى مستوطنة الجزائر، في رحلة تدوم أيام يعاني خلالها الركاب من الرحالة والمسافرين من آثار سفر شاق عبر البحر المتوسط ينتهي بفرجة وفرحة وإنفراج منذ الوصول إلى سواحل الجزائر.

6- كل رحلة يزور البلاد يصبح مرشدا من خلال رحلته بعرض طرق وكيفيات الرحلة وتقديم نصائح وإقتراحات ومعلومات دقيقة حول حيثيات ومراحل الرحلة، والأماكن التي ينصح بزيارتها بمختلف المدن ووسائل النقل والأسعار وكل مصادر الإستمتاع والفرجة مع تعريف جغرافي وتاريخي بالبلاد والمناخ.

7- حاول الرحالة المستشرقين نقل الشرق إليهم بعكسه على مستوطنة الجزائر ونقل صور الجزائر بدقائق الأمور حتى تعكس صورة الشرق، وبالنسبة للفرنسيين مثلت الجزائر الشرق الحقيقي وللمتخصصين منهم من المستشرقين هي صورة مصغرة عن الشرق وبالتالي أعادوا إحياء تجربة الشرق وعاشوا الإستشراق في أرض الغرب الإسلامي بمستوطنة الجزائر في محاكاة للشرق الحقيقي.

8- كان الرحالة وسيلة سياسية للإشهار للمستوطنة وتثمين جهود التوسع الإستعماري وجذب الفرنسيين ودعمهم، إذ كانت مهمة الرحالة المشاركة في الترويج للسياسات الإستعمارية بالمستوطنة وتأييد الإدارة في قراراتها وسياساتها خاصة تشجيع الإستيطان الفرنسي والأوروبي بالبلاد من الشمال إلى الجنوب.

9- من مختلف الرحلات التي مرت علينا يستخدم الرحالة القطار من سكيكدة إلى قسنطينة أو من قسنطينة إلى بسكرة أو من الجزائر إلى الأغواط أو من وهران إلى الجزائر، وتكون الرحلة فرصة لرصد الطريق ووصف الغطاء النباتي والحيواني والمناخ والمظاهر التضاريسية والعرب والمساكن وكل ما يتم ملاحظته في طريق الرحلة، إذ مثلت فرجة للمسافرين والمصورين مع تنوع وثراء المشهد بالقطار.

10- الرحلات المتكررة للمشاهير بكل أطيافهم وبدعم رسمي مباشر وغير مباشر كانت وسيلة سياسية وإقتصادية لدعم وتثبيت الإحتلال وتوسيعه وكسب الدعم الجماهيري وإعتبار المستوطنة مكسب فعلي.

11- ظهور ما يعرف بالخدمات السياحية التي يقدمها الأهالي للرحالة، وهذا مؤشر على تغير نمط النشاط الإقتصادي وإبتكار أعمال جديدة دخيلة على المجتمع الجزائري تجسدت في تقديم الخدمات منذ النزول من الباخرة والمرافقة إلى رحلات الصيد والخرجات السياحية، وكان على السكان التأقلم مع الوظائف الجديدة والقدرة على إحتواء الوضع المستحدث، كالإنزماج في مجال الخدمات السياحية.

12- ما رصدناه عن صورة المرأة من دراستنا يركز على الفترة العثمانية وبالتحديد نهايتها ورصدنا كذلك بعض التغيرات التي ولّدها الظرف الجديد والسلطة الإستعمارية الدخيلة، لأن الصورة تُرصد بتراكمات أجيال وفترات طويلة ولم تتغير هذه الصورة بعد الإحتلال مباشرة والذي أثر على حياتها لكنه لم يُغير عاداتها التي رافقتها عدة قرون، فالمرأة حافظت على عادات وتقاليد المجتمع المحلي من لباس وإحتفالات وغيره، لكن دخول الإستعمار فرض عليها تغيرات معينة كصورة "فاطمة" المرأة الحضرية التي اضطرت لفتح بيتها للزوار والرحالة بسبب خسارة عائلتها لكل الثروة التي تمتلكها بسبب

الإستعمار، وأيضاً "زيدانة" امرأة بوسعادة التي كانت تفتح بيتها للزوار، وحتى العدد الكبير من نساء بلاد القبائل وأولاد نايل ومختلف المناطق اللاتي إضطرن للخروج للعمل كراقصات في المقاهي العربية بسبب الفقر الذي نتج وإزداد بعد الإحتلال وتدميره للمقومات الإقتصادية للمجتمع المحلي.

13- كانت المرأة المحلية في الفترة الإنتقالية تتمتع بفضاء خاص بها وكانت لديها حرية ذاتية رغم محدوديتها، فنجدها تشتترط في عقود الزواج شروطاً تُعبر عن مدى الحرية التي تمتعت بها في تلك الفترة كعدم زواج زوجها بإمرأة أخرى غيرها أو عدم إرجاع زوجته الأولى المطلقة أو قبول الزوج بتربية أبناءها من زواجها السابق أو عدم إسكانها في البادية أو عدم قيامها بأعمال خارج البيت كجلب الحطب والماء أو عدم إسكانها بعيداً عن بيت أهلها، وغيرها من الشروط التي تتم على حرية وسلطة ذاتية للمرأة في شؤونها، وهذا دليل على مكانتها ووضعها الإجتماعي والذي تدهور بسبب الإحتلال.

14- من صور المرأة ظاهرة النابليات بين البغاء والرقص في المقاهي وكن يمارسن النشاط بحرية خاصة مع تزايد توافد السياح إلى المستوطنة من الجنسيات الأوروبية، وحاول الإحتلال ربط صورة الجزائر بالشرق الساحر مستغلاً النساء والأطفال المحليين للترويج للسياحة والإستيطان وضمان مداخل إضافية، وبذلك جعل الإستعمار من الجزائر مستوطنة للسياحة الإستكشافية والإستجمامية والجنسية، كان يُغذيها الفضول لمعرفة الآخر وسحر الشرق تحت تأثير موجة الإستشراق ونشاط الرحلة والحركة الفنية كالكتابة والرسم خاصة الذي كان يستلهم مواضيعه من المرأة والمجتمع المحلي.

15- ظهور بعض المفاهيم والممارسات بين النساء المحليات كموضة العرض للرسمين والزوار وفتح البيوت للزائرين الرحالة وتقديم القهوة وعرض اللباس والحلي والزينة والحفلات المحلية التي يحضرها الأجانب في فعل إقتصادي جلب مداخل للمرأة في ظل الإحتلال الفرنسي الذي دمر البنى التحتية للمجتمع الجزائري المحلي وفقره وحد من مداخله، وبالتالي أثر سلباً على الأهالي وحد من مداخلهم.

16- كان للنساء فضاء خاص كالإحتفالات التي كانت تقام على شرف النسوة الحضريات في عادة تعتبر فريدة ذات أبعاد إنسانية وثقافية وفكرية وإجتماعية وإقتصادية، فالنسوة كان لديهن فضاء للقاء وأكد تدور المناقشات والحوارات حول مختلف المسائل الشخصية والقضايا العامة الآنية لتلك الفترة وإحياء الحفلات بالموسيقى تعبر عن الذوق الفني الراقي للنسوة، في إستضافة الفرق الموسيقية والترفيه عن الذات وحب العيش وقيمة الحياة بالنسبة للمرأة الحضرية والترويج عن النفس من خلال الرقص.

17- من الصور المستخلصة عن فضاء المرأة عرض اللباس في مؤشر على إهتمام المرأة بالموضة ومتابعة آخر مستجدات إنتاج أنواع الأقمشة وأساليب الخياطة والطرز والحيافة ومتابعة جديد الأزياء كما أن عملية خلع وتغيير الألبسة مؤشر على الإنفتاح والإهتمام بعرض الأزياء وحب الفرجة والمتعة.

18- نرصد من الصور الأخرى عن فضاء المرأة أهمية إقتصادية تتمثل في البيع والشراء أي التجارة ويظهر ذلك من خلال "فاطمة"، فالنسوة يتجمعن في بيتها للتمتع بالأزياء التي من خلالها تعرض عليهن السلع الجديدة ثم تضع أمامهن الأقمشة والألبسة للإختيار والشراء، وهنا يبرز الدور الإقتصادي

للمرأة ومساهمتها في إعالة عائلتها كنموذج "فاطمة" التي كانت من عائلة ثرية لكن ظروف الإحتلال غيرت وضع العائلة وبالتالي كان على "فاطمة" كإمرأة حضرية التحرك والنشاط، ففتحت بيتها للأجانب للتعريف بالعادات والتقاليد المحلية، ولعرض الألبسة وبيعها وفتحت كذلك بيتها للحضرية من أجل المتاجرة بالألبسة والأقمشة أي البيع والشراء إضافة إلى كونه فضاء للقاء والفرجة والمتعة ويمكن تشبيهه "بالنادي النسوي" أين تلتقي النسوة يشربن القهوة ويتفرجن على العروض والموسيقى ويتاجرن.

19- من خلال ما نقل الرحالة "لوتي"، "لوران" وغيرهم يتبين حقيقة الوضع بالنسبة لفئة واسعة من الجزائريين خاصة الحضريين اللائي وجدن أنفسهن بدون مُعيل ودون دخل بعد وفاة أزواجهن وفقر عائلاتهن فإضطررن لفتح بيوتهن للرحالة والزوار وكن يُقمن الحفلات ويقدمن القهوة ويعرضن اللباس الحضري والحلي التقليدي ويقمن بالعرض والتوضيع أمام الرسامين لرسمهم في لوحات فنية إستشرافية.

20- من الرحلات نتعرف على الإرث الثقافي والحضاري للمرأة المحلية الجزائرية سواء اللباس التقليدي والحلي التقليدي الخاص بالجزائر بمختلف أنواعه أو الأثاث كالصناديق الخشبية المزينة التي ظلت تراثا حضاريا للجزائر والزيارات النسوية أو "القعدات" وثقافة الحمام، وغيرها من عادات مجتمعا.

21- من خلال الرحلات يتبين نشاط المرأة البدوية أو الصحراوية إذ كانت تهتم بتحضير وصناعة وتخزين المؤونة من كسكس وزيت وحبوب وممارسة الزراعة إضافة إلى بقية الأشغال اليومية داخل البيت، والمساهمة في النشاط الإقتصادي فهي تنسج البرانس لتلبية حاجات أسرته من اللباس وتبيع الفائض، وبالتالي فهي تساهم في تسيير شؤون البيت وتقوم بدور فعال في الحياة الأسرية وهذا إسقاط على واقع المرأة في تلك الفترة عموما وما زال متوصلا حتى يومنا، كما كان للشكل الخارجي نظرة مقتضبة خاصة اللباس والحلي والوشم الذي يمثل موروث ثقافي في المجتمع المحلي بالجنوب.

22- كانت المدن محط رصد الرحالة باحثين عن رابط للمدينة بالإستعمار تاريخيا أو يفتح المدينة على الإستعمار وذلك من خلال البحث في الآثار والتاريخ القديم في محاولة لربط المستوطنة بالغرب معتبرين أنفسهم في مهمة تاريخية لإعادة إسترجاع المنطقة أو كما يُعبر عنه "بالفتح"، وترتبط بها مهمة التحضر ونشر الحضارة بين الأهالي إذ كانت الكتابات الإستعمارية تفتخر بالآثار الرومانية الموجودة بالبلاد، وجهزت بعثات علمية أثرية تقوم بالحفر والتنقيب وتدوين الآثار والنقوش التي تعود إلى الفترة الرومانية، وجل الإكتشافات موثقة في المجلة الإفريقية والمجلة الأثرية وذلك في إطار النظرية الإستعمارية التي تريد أن تثب الجزائر قديما كانت رومانية وربطها بالمسيحية كما البعض ذهب إلى حد القول أن أصول سكان بعض المناطق رومانية وأنهم أحفاد الرومان وحاولوا جعلهم في مرتبة أعلى من باقي السكان، وغيره من الحقائق الكلاسيكية والنظريات التي إنتشرت في تلك الفترة في محاولة لربط المستوطنة والسكان بأصول غربية لتبرير الإستعمار وزرع فكرة إعادة إحياء الإرث التاريخي الروماني أو كما يعبر عنه "بالجزائر اللاتينية" ومن أهم روادها "لويس برترن" وغيره، لذلك فنقريبا جل المناطق الأثرية المُنتمية للتاريخ القديم بالجزائر تمت الإشارة إليها والكتابة عنها وإعادة رسم

لوحات فنية لها في محاولة لترميم وتجديد صورتها وبعث الحضارة الرومانية وإحياء الجزائر الرومانية.

23- عبر بعض الرحالة عن مكونات مجتمع الجزائر ما عدا الفرنسيين بعنصرية خاصة عن السكان المحليين، وكان الإنطباع العام بين الرحالة الذين دونوا رحلاتهم وألفوا عنها وعما رصدوا من خلالها وكذلك من بين الإنطباعات العامة هو أولا التمييز الكبير ضد السكان المحليين المسلمين وكان تمييزا عرقيا ودينيا وهوياتيا، فالأهلي غير متحضر وجاهل ومتوحش وخارج عن الحضارة ومتسخ وكسول وكاذب وغيره من الصفات السلبية ومكانه الصحراء أو في جزيرة العرب، ويجب القضاء عليه في مجازر وعمليات إبادة جماعية ومصادرة وسائل عيشه ومصادرة أرضه التي تعتبر أكثر من إحتياجاته وبالتالي نفيه أو حصره، إضافة إلى تمييز ثاني رصده الرحالة الفرنسيون ضد المستوطنين من غير الفرنسيين كالإنجليز والألمان خاصة بعد سيطرتهم على المرافق الحياتية من مطاعم وفنادق وغيره من النشاطات الاقتصادية بالمستوطنة إذ عبروا عن تواجدهم بعنصرية وأنهم أخذوا مكان الفرنسيين.

24- قدم الرحالة وصفا لأهم الأحياء العتيقة بالمدن ورصدا مجملا لمظاهر الحياة بالمدينة خاصة الإنسان بين الفئات المجتمعية والعديد من المدن من الشرق إلى الوسط إلى الغرب والجنوب تميزت بخصائص منها المدينة العتيقة والضواحي، فمثلا تتميز المدينة العتيقة بقسنطينة ذات التأثير العثماني بالقصبة وشوارعها الضيقة كبقية قصبات الجزائر العاصمة وتلمسان وغيرها من المدن بها وبحركتها الاقتصادية والتزاحم، بها مختلف الأعراق وتحتوي على المعالم الكلاسيكية للمدينة العثمانية كالحمام والمقهى وتتميز بحيويتها، وكذلك رصد الرحالة بعض المميزات الحرفية للمدن فمثلا تتميز مدينة قسنطينة بالدباغة خاصة الأحواض الصخرية المنتشرة بها والتي تستخدم في هذه الصناعة مما زاد في ازدهار وتطور الصناعات الحرفية التي تستخدم الجلد وكان لها دور في إستمراريتها والمساهمة في النشاط الاقتصادي بالمدينة، وبالتالي نرصد صورة المدينة الملونة في منظر مميز للوحة فنية ذات أبعاد إجتماعية وثقافية وإقتصادية نبني من خلالها صور المجتمع والتمازج الفتوي بين سكان المدينة.

25- واقع إستقدام العادات الدخيلة على النسيج الإجتماعي والإقتصادي كإنتشار الحانات الأوروبية وبيوت الدعارة الفرنسية والإسبانية وما كان لها من تأثير سلبي على المجتمع المحلي ونشر عادات دخيلة مرتبطة بالمحتل ومفككة لمجتمع المدينة المحلي، وبالتالي يتبين من خلال الرحلات التأثير السلبي للإستعمار في المدينة خاصة مع توسع إنتشار بيوت البغاء التي كانت محدودة جدا في الفترة العثمانية، وأصبحت جزء من السياحة في المستوطنة وكانت من أسباب الجذب للزوار، كما حاولت الإدارة إغراء الفرنسيين والأوروبيين على الإستيطان في البلاد بجعل المستوطنة في المخيال الغربي مستوطنة الملذات والحياة الممتعة ومستوطنة الأحلام والشرق الساحر أين يتوفر كل شيء من الأرض الشمس، الخيرات، وسائل المتعة والنساء، وبالتالي جذب الفرنسيين للإستقرار في المستوطنة الحلم.

26- الواقع الإستعماري الجديد كما أشرنا أعلاه أثر على وضع الفئات الهشة في المجتمع خاصة الأطفال والنساء، ونموذج الفتاة "سولايمة" دليلا على ذلك وكان وضعها كوضع بقية البنات من

المناطق البدوية وخاصة أولاد نايل وضواحي بسكرة وحتى النساء من بلاد القبائل، إذ تكرر المشهد للمرأة هناك كانت تغادر موطنها رفقة أحد أفراد عائلتها كالأب أو الأخ أو أحد الأقرباء ونادرا وحيدة للعمل في المقاهي العربية والبغاء والحمامات قصد جمع المال وإملاك الحلي الذي يسمح لها بالزواج عند العودة إلى ديارها والحصول على مكانة إجتماعية يثمنها الحلي الذي يعتبر معيار الثراء، فمن خلال قصة "سولايمة" تلك الفتاة الصغيرة التي إنتقاها الكاتب "بيار لوتي" منذ ثمانية عشر سنة، وسرد حياتها نلمس معاناة المرأة خاصة في البادية أين كان عليها التنقل من بلدتها والحصول على دخل مادي يكون في غالبه مضني، حيث تتعرض للإستغلال ببيع جسدها وعرضه على الرسامين الغربيين والرقص في المقاهي، ومس هذا الوضع تقريبا فئة إجتماعية وعرقية واحدة ما عدا بعض الإستثناءات كما كان عليها جمع المال للزواج خاصة الحلي الذهبية والأثاث التي من خلالها تكتسب مكانة إجتماعية وتتمكن من تأسيس بيتها والعيش بكرامة رغم التعب والمشقة التي ترافقها طيلة حياتها.

27- من بين الصور المنقولة من قبل الرحالة عن الجزائر نجد المرافق الحياتية بالمدن العتيقة والصورة البارزة التي رُصدت هي المقهى العربي والحشيش وتنقسم إلى عدة صور منها صورة العربي بلباسه التقليدي، صورة الآلات الموسيقية، صورة الغناء العربي، صورة الراقصات ولباسهن وحليهن، صورة الرقص وحركاته، صورة الروائح المنبعثة من المكان كرائحة القهوة والكيف، وعموما فصورة المقهى ومرتابيه قارة فهو مكان للراحة والمتعة ما بين موسيقى وغناء ونساء يقدمن عروض أكثر ما يقال عنها إيحائية في تشويه صريح لصورة المرأة المحلية سواء الحضرية أو النائية في جميع لأجزاء لوحة شرقية بتأثير الإستشراق وسحر الشرق الذي جذب الرحالة إلى المدينة منذ بدايات الإحتلال إلى غاية نهاية القرن التاسع عشر أين وصلت الرحلة ذروتها بحثا عن الشرق بكل عناصره المركبة في الجزائر.

28- من المرافق الأخرى في المدينة الحمام الذي يعتبر موروث حضاري وتاريخي للبلاد منذ الفترة الرمانية وهو فضاء للنظافة وتمضية الوقت والإستجمام، ويعتبر مكان لقاء إجتماعي من خلاله تتداول الأخبار بين المرتادين ويجمع فئات المجتمع المختلفة للتواصل والتشاور وتبادل الأخبار وتقوية الروابط الإجتماعية والمصاهرات إذ تتم خطبة النساء وفرصة لتوسيع النشاطات الإقتصادية بعقد الصفقات.

29- مثلت المقبرة مكانا مقدسا للسكان يحظى بإحترام كبير للسكان وكانت محط لقاء يجمع أطراف المجتمع في أحزانه فهي مكان للدفن واللقاء والتعلم والتسول واللعب لفئة الأطفال، وبالتالي كانت صورة للرقود بسلام للأموات وللتجمع في سلام للأحياء في صورة مركبة جسدت إلتقاء وترابط الحياة والموت.

30- مكانة الأضرحة المرموقة بين السكان في عموم البلاد وهذا مرتبط بالأنثروبولوجيا الثقافية والإجتماعية والدينية للجزائريين تاريخيا وحضاريا، وتقديس الدين الإسلامي وعلماءه وشيوخه.

31- الإحتفالات بإختلافها جسدت موروثا ثقافيا وحضاريا جمع السكان حول حفل الربيع وغيره من الإحتفالات المرتبطة بالمناسبات الدينية وبفصول السنة، وهي جزء من التراث الإنساني العالمي.

32- كما هو معروف كانت الجزائر قبلة الزوار والرحالة الفرنسيين وكان الفضول يدفعهم للتعرف على المجتمع المحلي بكل مكوناته، لكن كانوا يبحثون أيضا عن المتعة بين الأحياء العربية خاصة أين يوجد المقاهي العربية والراقصات من مختلف المناطق كالنايليات مثلا كما هو مبين في العديد من الكتابات ورغم أنه لا يمكن القطع والجزم في الوقائع وفي صحة نسب أصول تلك الفتيات لأولاد نايل خاصة مع إنتشار أعداد كبيرة من الأوروبيات من مختلف الجنسيات بالمستوطنة تلك الفترة إلا أن نساء أولاد نايل عموما ممن إشتهرن ببيع أجسادهن في تلك الفترة كان بسبب الظروف الإقتصادية الصعبة للمجتمع المحلي التي تدهورت بسبب الإستعمار الفرنسي وسياساته، والملاحظ أن الفرنسيون كانوا يبحثون عن المتعة بأي ثمن كان حتى مع الأطفال إذ ينقل "لوران" أنه كان في جلسة سمر خاصة مع مجموعة مرموقة من الحضور وتضم كما أوردنا وكيل الجمهورية ومحامي وضابط سام ما يزيد عن عشرة شخصيات ذات نفوذ ومكانة وثقافة وعلم ورغم وظائفهم التي من المفروض من خلالها يقدمون الحماية والدعم لهذه الفئات الهشة إلا أنهم كانوا المفترسين الذين إستغلوا جنسيا ثلاثة أطفال وهم طفلتين وطفل قصر جميعهم، وإنتهكوا طفولتهم وبراعتهم إذ تمت معاينتهم جسديا وجنسيا، وما حدث مع أولئك الأطفال يُنم عن الوحشية واللاإنسانية ضد هذه الفئة من الجزائريين والتي تغاضى عنها الباحثون ولم نجد إلا الدراسات التي تخص المجازر الفرنسية ضد الجزائريين لكن هذه المجازر ضد الأطفال وضد الإنسانية لم يتعرف عليها العامة من الناس، وهذا هو الوجه الآخر للإستعمار الفرنسي في الجزائر والتي مثلت الشرق بمفاته وإغراءاته وسحره فالمتعة والفرجة والجنس كانت من أسباب الرحلة إلى المستوطنة وكانت النتيجة تهديم القيم المجتمعية ومحاربة القيم الدينية للجزائريين.

33- نقل صورة مشوهة عن الأطفال فهم نصف عراة وعند رؤيتهم للأجانب يتسولون المال أو كما عبر عنه الكاتب "جون لوران" بـ"الصوردي" والتباين واضح في نقل صورة الطفل فالذكور قدموا بإزدراء في حين صورة الفتيات قدمت بإعجاب، وبالتالي فصورة الأطفال سلبية ومتضاربة ما بين الإعجاب بأجسامهم في صورة مبتذلة وإيحائية وما بين مقتهم في صورة مشوهة جمعت بها كل الصفات السلبية.

34- نظرة الرحالة المزدوجة للرجل العربي الأولى إيجابية للمرافقين من الأهالي أو الدليل السياحي وذلك بناء على نموذج متخيل مقبول بين هذه الفئة ومن شروطه معرفة اللغة الفرنسية والتعاون مع الرحالة ومساعدتهم في التعرف على خفايا المجتمع المحلي، وبالتالي يعتبرون ذلك تقبلا لوجودهم وإندماجا في الثقافة الغربية وبذلك رصد الرحالة الرجل المحلي الذي يرافقهم باللفظ واللباقة والجمال والنظافة وغيره من الصفات الإيجابية وهي صورة ثابتة، في حين النظرة الثانية للرجل العربي سلبية وسيئة جدا إذ كان يُنتقد في مظهره وحديثه وتجمعه في المقاهي وتدخين الحشيش وغيره فهو كسول ومدمن حشيش، أي من مظهرهم إلى منظرهم وحتى نفسياتهم وتفكيرهم وسبب هذه النظرة الإستعمارية للأهلي أو الآخر الذي يجمع كل الصفات السلبية هو المحافظة على دينه وعاداته وتقاليدته ولم يندمج مع المستوطنين أي لم ينسلخ عن مقوماته وظل يشكل تميزا في المشهد العام للشارع، وبالتالي يُذكر

الغريب والدخيل الآخر الأوروبي المُستعمر والمُعمر أنه صاحب البلاد الأصلي وبذلك صُور الرجل العربي بسلبية وتتحصر في المقهى بفرنسه وشاشه وهو يشرب القهوة أو يدخن الحشيش ويستمتع برقصات النايليات أو القبائليات أو المرأة الحضرية بصفة عامة، أو صورته في السوق أو الشارع بلباسه العربي أي صورة ظاهرية دون التفصيل وتشكل إزعاجاً للمستعمر الذي يحاول فرنسة المجتمع.

35- حسب العديد من الرحالة النشاط الإقتصادي للحضري إما حرفي أو صاحب دكان والبدوي ينحصر في صورة الرجل الكسول الذي يعدد ويجمع زوجات يقمن بالعمل بدلا عنه أو يساعده إلى أقصى الحدود، وبالتالي نشر فكرة التفرقة والعنصرية بين الرجال من فئات وأعراق مختلفة ففي بداية الإستعمار ومن خلال قراءاتي الشخصية كان الرجل العربي كسول وماكر والقبائلي بخيل ومتسخ ومزور للنقد وصانع للأسلحة وكان على سلطات الإحتلال محاربته والبدوي كسول يعتمد على نساءه في قوته فهو ينام ويحب ألعاب الفنتازيا والمزايي تاجر جامع للمال، وفي ما بعد تغيرت بعض الصور بالتوازي مع السياسات الإستعمارية التي عملت على تفريق مختلف مكونات المجتمع فزادت في تشويه ومحاربة صورة الرجل العربي خاصة مع إنتشار الثورات والمقاومات المحلية وهو دخيل على البلاد ومكانه شبه الجزيرة العربية، أما القبائلي فأصبح صورة عن الغربي ذو أصول رومانية وبربري يختلف عن العرب وصاحب الأرض وأجداده كانوا مسيحيين فلم يعد يحارب ولم يعد يُوصف بصفاته التي نسبت إليه عقب الإحتلال مباشرة، وحاولوا نشر التمييز بين الميزابي والشعائبي وخلق نعمة الإختلاف بين الفئتين مع محاولات التحالف مع الشعائبة في حين كان بنو ميزاب في عزلة، كما حاولوا تنصير الطوارق وسعوا للتحالف مع زعماءهم خاصة في إطار التجارة العابرة للصحراء، ولم يتوقف الإستعمار والفكر الكولونيالي ومُنظريه عن محاولاتهم للتفرقة بين مختلف فئات المجتمع المحلي التي طالما عاشت في إنسجام وتعايش، ومع مرور الوقت تختلف أفكار ووسائل محاربة فئات المجتمع الجزائري.

36- إنتشار الأفكار العنصرية التي عبر عنها الكتاب من خلال الإزدراء الكبير للأهالي والنظرة الكولونيالية المتأججة والمتعصبة تجاه السكان المحليين التي وصلت حد التشبيه بالقردة والكلاب والحيوانات عموما كما أورد "بيار لوتي"، وتكررت هذه الأفكار لدى مواطنيه كالكاتب "جون لوران".

37- كان البيت العربي من الداخل كان متماثلا في كامل البلاد ولا يوجد فرق بين المناطق الصحراوية والشمالية، إذ ينقسم البيت إلى غرفة مؤونة وغرف معيشة وفناء مع إستخدام ما تجود به الطبيعة في البيئة المحيطة من أخشاب وطين وسعف نخيل أو حشائش تسقيف كالديس والحلفاء في البناء.

38- التغيرات التي طرأت على المستوطنة عقب دخول الإحتلال الفرنسي فمثلا ببسكرة أُبِيدت واحات وعوضتها أخرى ورحل السكان من مناطقهم مما أحدث تغيير ديمغرافي بالمنطقة، في حين كان التغيير العمراني الأوروبي الذي عوض البنايات التقليدية المحلية في ظل الإستيطان الأوروبي وبناء الفنادق الذي إرتبط بالحركة السياحية الترويجية للمنطقة في إطار التشجيع الفرنسي للإستيطان الأوروبي بمختلف المناطق من الشمال إلى الصحراء، وبذلك تغيرت خريطة المجال لعديد المدن والمناطق.

39- من التغيرات الملاحظة إندماج بعض فئات المجتمع المحلي مع الثقافة الفرنسية ومنها ببعض المناطق الصحراوية خاصة بسكرة وهذا بفضل البُعد والعمق الحضاري لهذه المدينة التي كانت مركز تاريخي حضاري، وكذا لثقافة سكان بسكرة الواسعة بإعتبار أنهم عاشوا في مركز حضاري وبالتالي إنفتاحهم على الآخر ويمكن القول أن بسكرة مركز حضاري مما جعل سكانها أكثر إندماجا وذوبانا في ثقافة الآخر أو ما يعرف بالنتاقف الفكري والتواصل الحضاري وليس التفسخ الهوياتي والثقافي للسكان.

40- الأهمية الإستراتيجية للمدن الحدودية بالنسبة للإستعمار الفرنسي خاصة الجنوب فمدينة بسكرة مثلا كانت ذات أهمية حيوية كبوابة الصحراء ومركز التحكم في المناطق الجنوبية مما جعل الإستقرار بها وتوفير مراكز الإتصال أمر ضروري بالنسبة للإدارة الفرنسية، وكذلك الأهمية الإستراتيجية التي توليها سلطات الإحتلال لمدينة الأغواط التي تؤمن المناطق الصحراوية للمستوطنة إذ تأوي حامية عسكرية معدة جيدا لحماية مصالح الميتروبول في الجنوب خاصة مع المقاومات المحلية والثورات.

41- كان إهتمام سلطات الإحتلال بالصحراء في إطار التوسع الإستعماري وكان للتنافس الأوروبي خاصة الإنجليزي دور في دفع السلطات الفرنسية نحو الجنوب، وذلك بالتسابق للسيطرة على مصادر السلع التي تستخدم كموايد أولية لبعض الصناعات التحويلية في أوروبا خاصة لتصنيع المنسوجات والأزياء النسوية كريش النعام، وكذلك بالنسبة للفرنسيين البحث عن مصادر الثروات الطبيعية من معادن ومياه وذلك لحاجة أوروبا لثروات إفريقيا في إقتصادها خاصة الصناعات والتحويلية منها.

42- كما كان إنتشار رحلات الحج في المناطق الدينية بالشمال كان لهذه التبشيريّات إرسال البعثات الدينية المواكبة للإستكشافات العلمية خاصة في مناطق الطوارق في إطار التنافس الأوروبي للتصير وكذلك كان إهتمام كبار المستكشفين بالمناطق الصحراوية منهم "بول صولي" الذي إهتم بمدينة الأغواط وخصص لها جزء كبير من كتابه ودرس فيه جوانب متعددة طبوغرافية وأنتروبولوجية وإقتصادية عن المنطقة والسكان، كما عرفت تعدد وتنوع الرحلات الذي قام بها أدباء ومتقنين ورسامين إلى ومساهمتها في التأريخ للتاريخ الإجتماعي للمنطقة من خلال الكتابات واللوحات الفنية والصور.

43- إتخذت سلطات الإحتلال عدة سياسات ترويجية لجذب المستوطنين للواحات وعلمت على تشجيع الإستيطان بالمناطق الصحراوية وبذلت مجهودات كبيرة وصرفت أموال طائلة لشق الطرق نحو الصحراء خاصة طريق الجزائر العاصمة-الأغواط، وكان لطرق السكة الحديدية دور في تشجيع السياحة نحو الجنوب وفتح أبواب الإستيطان للسواح الفرنسيين والأوروبيين، وكان ذلك من خلال الرحلات السياحية وحملات دعائية لتشجيع الإستيطان في الواحات في إطار التوسع الإستعماري.

44- تميز عمران الصحراء بالقصور التي تمثل موروث ثقافي للصحراء الجزائرية ولها خصوصيات عمرانية تتماشى وطبوغرافية المنطقة ومناخها، وبالتالي شكلت طابع عمراني خاص بالمنطقة كما تمثل القصور القلب النابض للصحراء إذ إعتبرت مناطق حيوية للإستعمار الفرنسي وكانت بعض القصور مراكز مراقبة أمنية للإستعمار الفرنسي، وبذلك مثلت قواعد خلفية حاول الإستعمار إستغلالها لمد

توسعاته بالصحراء وكانت تمثل مراكز إقتصادية للسكان ومحطات إستقطاب للحركة التجارية بين سكان الصحراء ومراكز إستقطاب للمستوطنين الفرنسيين أيضا لما تمثله من فضاء للإستمتاع والصيد.

45- في الحياة الدينية والطريقة نستنتج تعدد أدوار الطريقة العيسوية منها الدور السياحي والإقتصادي أثناء فترة الإحتلال الفرنسي ويظهر في صورة الاندماج الإقتصادي ومساهمتها في الجذب السياحي للبلاد، وبالتالي حظيت بمكانة إقتصادية وثقافية إذ تميزت بنضوج النظرة الإقتصادية وكانت لها شراكات مع الفاعلين في مجال السياحة وهذا غير معروف بالنسبة إلى غيرها من الطرق ويرجع ذلك إلى قابلية وإنفتاح الطريقة العيسوية على التكيف مع الوضع السياسي والإقتصادي للبلاد في الفترة الإستعمارية، إضافة إلى جهودها في التعريف بالثقافة المحلية في الجزائر المستعمرة ودورها الفكري والثقافي وإحتواءها لمختلف فئات المجتمع خاصة الطبقات الدنيا وتميزت بالتكافل والتضامن معها.

46- الصورة الأسطورية للطريقة العيسوية ودورها في حفظ الموروث والحضاري للبلاد والأثر الذي تركته بين السياح إذ مثلت معلما من معالم البلاد، خاصة وأن طقوسها مثلت لغزا للسياح والمتقنين وبالتالي تفرد الطريقة العيسوية بطقوسها وممارساتها جعلها محط أنظار الآخر، مما جعل نظرة الرحالة الفرنسيين لطقوس الطريقة العيسوية ما بين الإعجاب والذهول للحضرة وهذا ما زاد من تعدد كتابات الرحلة التاريخية التي أرخت للطريقة العيسوية، وتنوع وثرأ كتابات الآخر عنها بالمقارنة بغيرها من الطرق الدينية مما أثرى تأريخها بأقلام محلية وأجنبية خاصة الفرنسية منها التي إنجذبت للطريقة.

47- ما ميز الرحلات الدينية التركيز على الجانب الديني وقلة المعلومات عن الحياة الإجتماعية للسكان ما عدا بعض الإشارات والتي رغم قلتها إلا أنها مكنتنا من رصد صور متنوعة تساهم في التأريخ الإجتماعي للمنطقة، وتبقى هذه الرحلات في جزء منها توثيقية في حين نلاحظ أن بعض رحلات الحج التي قام بها عامة الفرنسيون من متقنون وشخصيات عامة ومثالنا رحلة حج الكاتبة "ماري نوال" إلى "هيون" أو "بونة" وتميزت بالذاتية وإنقذت التاريخ المحلي خاصة النوميدي في محاولة لتقديس فكرة إفريقيا الرومانية وإفريقيا المسيحية وربطها بالمستوطنة المكروسة لفكرة الجزائر الفرنسية، وقدمت سردا جمع عدة صور عن المدينة والسكان ومثل رصد توثيقي معتبر ساهم بالتعريف بالتاريخ الإجتماعي للمدينة خاصة وأن هذه المدينة لم تلق الإهتمام كالمدن الجزائرية الأخرى كقسنطينة وبجاية والجزائر العاصمة ووهران وبسكرة وغرداية وبلاد الطوارق وغيرهم في الكتابات الكولونيالية سواء من خلال الرحلة أو الأرشيف أو حتى الدراسات الأكاديمية، وبالتالي فهذه الرحلة تعتبر ذات أهمية في توثيق تاريخ المدينة بمعلومات متنوعة ما بين التاريخ والجغرافيا، وأسهمت في الحديث عن الفترة الرومانية بالمنطقة وكثيرا ما كررت صورة القائد النوميدي "يوغرطة" والقضاء عليه من قبل القائد الروماني "ماريوس" وقد تكون هذه الصورة مرتبطة في مخيلة الكاتبة في إسقاط لإنصار الرومان والمسيحية في إفريقيا، وكذلك نوعت المعلومات ما بين التعريف بالقديس والحديث عن الجانب العقدي والديني وناقشت قضايا عقدية كنقد المانويين التي إعتنقها القديس في بداية رحلة الإيمان

ورصدت كل الصور في مسار الرحلة من مرافقين وحجاج وحوارات وسرد لتاريخ القديس والمدينة ثم أدمجت الصور المركبة لطبيعة ومحيط المدينة وسكانها، كما رصدت عدة عناصر عن الحياة الاجتماعية والثقافية والأنثروبولوجية للمجتمع المحلي مع تقديم مؤشرات عن العمران والنشاطات الاقتصادية فركبت صورة المدينة والمجتمع في بداية فترة الاحتلال الفرنسي، وهذا ما يمثل للباحث مؤشرات سوسيو ثقافية تساهم في التأريخ للمدينة، ومن المهم تثمين هذه الكتابات التي تمكن الباحث من إستقراء وإستنباط مؤشرات تساهم في بناء وتكوين صور عن المجتمع ومعالمه قصد كتابة تاريخ المنطقة لأنه الركيزة الحضارية لذاكرة الشعوب والمُحفز الفعلي والدافع للأجيال للبناء الحضاري.

48- عرّفت الرحلات الدينية برموز البلاد كالقديس أوغسطين الذي حظي بإحترام كبير من خلال الكتابات التاريخية وكانت صورته ميثولوجية في عيون الرحالة الفرنسيين، والملاحظ أن الرحالة الفرنسيون عكسوا صورة القديس أوغسطين على المدينة التي تعتبر مدينة روحية خاصة وأن الكتابات ورحلات الحج ساهمت في تثمين المعالم الحضارية كموروث ثقافي محلي خاص بالمنطقة والبلاد ورسخت صورة القديس الروحية من خلال الإحتفالات الدينية وإحياء عيد القديس أوغسطين التي كان لها دور في تنشيط السياحة الدينية وإحياء التراث الديني للقديس بفضل جهود أسقف العاصمة "دي بيش"، خاصة إعادة رفاة القديس إلى هيبون ودوره في إحياء الإحتفالات الدينية وتنشيط رحلات الحج ومراسيم إحياء يوم القديس بالمدينة، وتبقى هذه الكتابات ذات أهمية علمية لتكوين صورة عن "القديس أوغسطين" الذي يمثل جزء من تاريخ المنطقة وشخصية فاعلة ذات تأثير حضاري يعكس الموروث الثقافي والإنساني لتاريخ بلادنا في القديم ويُحفظ في الذاكرة المحلية كجزء من التاريخ الحضاري.

49- من دراستنا نستنتج حقيقة الدور السلبي الذي قامت به سلطات الاحتلال الفرنسي في التسبب المباشر في إنقراض الحيوانات البرية في الأراضي الجزائرية منذ بداية الاحتلال لتقضي على تواجدها نهائيا في أواسط القرن العشرين، وتتوعد قائمة الحيوانات التي كانت عرضة للإنقراض ويحتاج كل نوع منها إلى دراسة خاصة ونعرض بعضها كالمهامة (Addax nasomacculatus) L'addax وهي ضياء كبيرة لها قرون وقضي عليها بالجزائر من قبل المعمرين لأجل قرونها ولم يتبقى منها إلا أعداد قليلة في صحراء مالي، وكذلك نذكر الضباع المرقطة (Hyaena hyaena) La hyène rayée، وكانت متواجدة بأعداد كبيرة لكن تناقصت وقضي عليها المعمرون بحجة أنها حيوانات مضرّة ومفسدة، وكذا حيوان الوشق الجزائري وإسمه العلمي Le lynx caracal d'Algérie (Caracal caracal algira) وكان يتواجد بأعداد كبيرة ثم تعرض للإصطياد لأجل فرائه وقارب على الإنقراض في منتصف القرن، وهناك حيوان آخر هو النعامة (Struthio camelus) L'autruche d'Afrique du Nord وكانت منتشرة في منطقة الأغواط ووادي ميزاب، ومثلت للسكان حيوان نبيل فكانت تقدم كهدية تكريما للضيوف إضافة إلى الطلب الكبير على جلودها بأوروبا وريشها أما شحومها فكانت تستخدم في التداوي بالقصور.

50- نستنتج دور الرحلات في رصد وتوثيق حقائق تاريخية حول التواجد المكثف للحيوانات البرية

المفترسة في الأراضي الجزائرية أثناء دخول الإحتلال الفرنسي، وهو إثبات تاريخي من الرحالة للدور السلبي والهدام الذي قامت به سلطات الإستعمار في الجزائر وبيئتها من غطاء نباتي وتنوع حيواني إذ كانت السبب المباشر في إنقراض الحيوانات البرية المفترسة في الغابات، بالتالي إنعكاس السياسة الإستعمارية في كل المجالات في تاريخ الجزائر إذ وتثمينا للإستيطان طبقت كل السياسات والوسائل التي مست نتائجها السلبية الطبيعة والحيوانات التي تضررت خدمة للإستيطان ومصالح المستوطنين. 51- نستنتج أن عدد كبير من الرحالة الذين زاروا البلاد أو كتبوا عنها ودونوا ما شهدوا عليه أم ما سمعوا به في محاولة للتعرف على المجتمع الجزائري ودراسته في إطار الكتابات الأنثروبولوجية عن الجزائريين أو الكتابات الكولونيالية عن الآخر، وإنضم جزء كبير في إطارها كما كان للإستشراق دور في عملية الرحلة والتدوين، ويمكن تقسيم الفترات الكبرى للرحلات حسب أحدث الدراسات ما بين الإتجاهات الفكرية المتعددة بين الجزائر الإستعمارية والجزائر وتمجيد الإستعمار وبين الجزائر اللاتينية ومحاولة ربطها بالإرث الروماني، وبين الجزائر الفرنسية التي نادى بها المستوطنين المغالين خاصة مع القرن العشرين والإستقلال المالي للمستوطنة، وبين السياسات الإستعمارية التي شجعت الرحلة والإستيطان منذ البدايات لنشر الفكر الكولونيالي من جهة ودمجه بالخيال وسحر الشرق بفضل الإستشراق، وتبقى كتابات الرحلة ما بين الإتجاهات الفكرية وواقع النص الرحلي الذي تدرج بين مختلف التيارات وواقع النص واللوحة والصورة، ليبقى النص الرحلي المكتوب جزء من التأريخ المحلي بكل جوانبه ما بين التاريخ الإجتماعي والثقافي والسياسي والإقتصادي في حين كان للوحات الفنية التي تعرضنا لها في دراستنا رسالتين الأولى حاول من خلالها الرسامين رصد صور لمختلف فئات المجتمع المحلي من رجال ونساء وأطفال في مختلف الشرائح العمرية تعكس واقع هذه الفئات من الملامح إلى الأوصاف والألبسة، في حين الرسالة الثانية عن البعض الآخر الذي حاول خلق صورة إستشراقية مثالية للآخر أو للسكان المحليين تغذي فضول الغرب عن الشرق وتجمع صور دخيلة وبعيدة عن الواقع حتى أن بعضهم كان يُلبس النساء الأوروبيات سواء صديقاتهم أو حتى نساء مومسات لباس جزائري محلي تقليدي مع الحلي ووضعهن في ديكور محلي واقفات أو مستلقيات يحملهن السجارة أو يدخن النرجيلة مع التركيز على لباس غير محتشم يبرز أجزاء مثيرة في جسم المرأة ويقدمهن على أنهن نساء محليات حضريات من مختلف مناطق البلاد، وهذا يعتبر تزييف وتشويه لصورة المرأة المحلية ومحاولة جعلها أيقونة الإغراء في اللوحات الزيتية وفي الطوابع البريدية والصور، وربطها بالمستوطنة التي مثلت بالنسبة لهم مركز المتعة والإغراء في محاولة لإسقاط صورة الشرق الساحر المتجسد في ألف ليلة وليلة، فكان الغربيون يأتون للمستوطنة باحثين عن هذه الصورة المغرية التي رسمها بعض الرحالة بإيعاز من الإدارة الإستعمارية، لخدمة سياسات الإستعمار الإقتصادية والتوسعية. وبالتالي نستخلص من خلال دراستنا أن صورة البلاد والعباد في عمومها إرتبطت بالسياسات الإستعمارية التي كانت من وسائلها الرحلة إلى المستوطنة الجديدة أو عالم الشرق أو كما نسمح

لأنفسنا أن نطلق عليه بـ"بلاد المغرب المُستشرق" أو "بمستوطنة الجزائر المُستشرقة" التي حاول التيار الإستشراقي ومنظري الإستعمار المتعصبين الداعمين للإحتلال ربطه بالمستوطنة، ورغم بعض الإستثناءات لرحالة ورسامين ومتقنين ورجال دين وأطباء وضباط وعلماء باحثين ومستكشفين زاروا المستوطنة وأعجبوا بها وحاولوا رصد صور تقترب من الواقعية بدرجة من الموضوعية سواء من خلال كتاباتهم أو لوحاتهم الفنية، إلا أن النظرة إلى الآخر لم تتخلص من النظرة الكولونيالية التي تخندق الآخر في صورة المنهزم والجاهل والسيء وعُززت هذه الأخيرة بالأنثروبولوجية الإستعمارية والكتابات السلبية التي رصدت المحلي جاهل ومتخلف وجاءته أنوار الحضارة على يد الفرنسيين لتحضيره ورفعته إلى مصاف الإنسانية، ورغم الفكر الإستعماري المُتعصب وسلبية الخطاب الكولونيالي ونظرته للآخر يبقى جزء من هذه الرحلات مصدرا ثريا لتاريخ مجتمع الجزائر والتأريخ المحلي يُمكن المؤرخ والباحث من رصد الصور وإعادة بناء جزئيات من التاريخ المحلي للمجتمع وصورته في تلك الفترة التي مثلت فاصلا في تاريخ البلاد ومرحلة إنتقالية في القرنين التاسع عشر والعشرين، ويبقى على الباحث لإعادة بناء مشاهد ووقائع عن الحياة الإجتماعية المحلية الإعتماد على المنهج العلمي التاريخي في التأريخ للمجتمع المحلي من خلال الآخر بغريلة ورصد كتاباته ولوحاته وصوره الفوطوغرافية وتثمينها كمصادر توثيقية لتاريخ البلاد ودراستها بموضوعية لتحقيق الأهداف البحثية لإعادة بناء صورة المجتمع المحلي والتأريخ له في تجاوز لنظرة الآخر السلبية والخطاب الكولونيالي الذي غدته الكراهية.

الملاحق

الملحق الأول: نص رحلي حول للآلات الموسيقية المحلية.

(90)

en rapport avec leurs instrumens grossiers et leur génie agreste. Leur *arabebbah*, qui est une vessie. assujettie par une corde, est leur instrument favori ; il paraît être très ancien, de même que leur *gaspah*, espèce de chalumeau ouvert aux deux bouts, avec trois ou quatre trous, suivant l'habileté du musicien, quoique d'ailleurs leurs airs s'étendent . rarement au-delà de l'octave.

Quelque simple que soit leur musique, elle paraît cependant assujettie à une certaine méthode. Leurs cantates ou chansons historiques sont précédées d'une espèce de prélude, et chaque strophe commence par un petit air sur l'*arabebbah*, après quoi vient le récit qu'accompagne le *gaspah*.

Le *tarr*, autre instrument des Bédouins, a la forme d'un tamis, et consiste en un cercle de bois mince, recouvert d'une peau de parchemin. C'est leur principale basse, et ils en jouent avec beaucoup d'adresse tour à tour avec les doigts, le dos et la paume de la main, selon que la mesure l'exige. Le *tarr* doit être incontestablement le *tympanum* des anciens; c'est du moins ce que l'on peut conclure de son universalité dans toute la Barbarie, l'Égypte et le Levant, par la manière dont on le joue, et enfin par la forme même de

مأخوذ من:

Dr. Shaw., Voyage dans la Régence d'Alger ou Description Géographie, Physique, Philologique, ETC, De Cet Etat..., Op.cit., P.90.

الملحق الثاني: نص رحلي حول الفكر الكولونيالي العنصري ضد السكان المحليين الداعي لتصفيتهم.

— 6 —

Le caractère typique du premier est produit par la combinaison des températures froide et tempérée.

Celui du deuxième par la combinaison des températures humide et chaude.

Celui du troisième par la combinaison des températures sèche et élevée.

En hygiène morale, il importe donc de rechercher l'influence du climat sur l'homme, afin de connaître les penchants des populations.

PRINCIPE DE MAL. — *L'Afrique enfante et maintient une foule d'aventuriers qui veulent vivre à l'aide du pillage et de la guerre.*

La facilité avec laquelle Carthage et les autres peuples étrangers recrutaient leurs armées parmi les Africains; la facilité avec laquelle se sont élevés des chefs de brigands lorsqu'ils ont promis et permis le pillage et l'impunité de tous les crimes; la succession de tant de dynasties surgissant et se détruisant par les armes, établissent l'opinion ci-dessus en vérité historique.

Non-seulement l'Algérie, mais toute l'Afrique septentrionale, produisent de nos jours, ainsi qu'autrefois, une multitude de pillards, véritables pirates de la terre.

Sur le littoral méditerranéen, sur le Tell, le Sahara, les rives du Niger, de la Gambie, du Sénégal et du lac Tchad, de l'est à l'ouest et du nord au sud, de tous côtés, sur une immense surface, on voit les Africains, après les récoltes,

مأخوذ من:

Bodichon, Eugène., Hygiène à suivre en Algérie, acclimatement des Européens, Alger, Imprimerie Rey, Delavigne et Compagnie, 1851, P.6.

الملحق الثالث: نص رحلي حول التغير العمراني الذي أحدثه الإستعمار في مدينة الجزائر.

20

UNE ANNÉE DANS LE SAHEL.

me demande par quelle rencontre cruelle tous ces oiseaux sont placés sous la garde de gens qui probablement n'ont pas toujours diné.

Mustapha, 10 novembre.

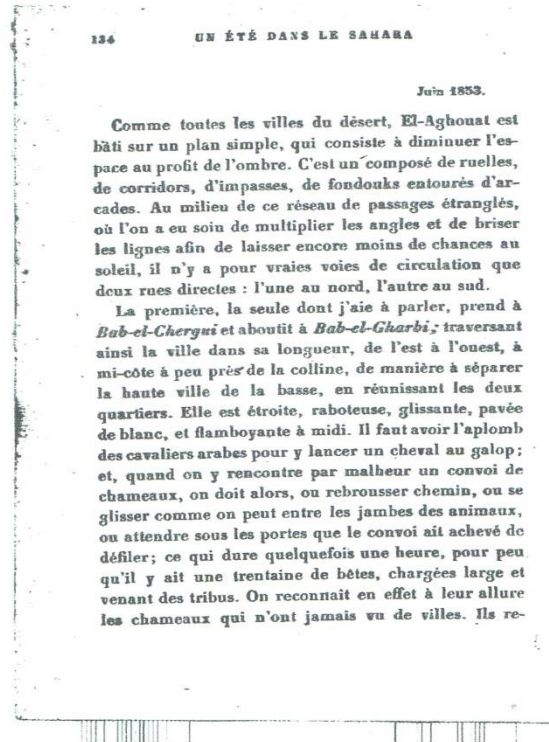
Il y a deux villes dans Alger : la ville française, ou, pour mieux dire, européenne, qui occupe les bas quartiers et se prolonge aujourd'hui sans interruption jusqu'au faubourg de l'Agha ; la ville arabe, qui n'a pas dépassé la limite des murailles turques, et se presse comme autrefois autour de la Kasbah, où les zouaves ont remplacé les janissaires.

La France a pris de la vieille enceinte tout ce qui lui convenait, tout ce qui touchait à la marine, ou commandait les portes, tout ce qui était à peu près horizontal, facile à dégager, d'un accès commode ; elle a pris la Djenina, qu'elle a rasée, et l'ancien palais des pachas, dont elle a fait la maison de ses gouverneurs ; elle a détruit les bagnes, réparé les forts, transformé le môle, agrandi le port ; elle a créé une petite rue de Rivoli avec les rues Bab-Azoun et Bab-el-Oued, et l'a peuplée comme elle a pu de contrefaçons parisiennes ; elle a fait un choix dans les

مأخوذ من:

Fromentin, Eugène. , Une année dans le Sahel..., Op.cit., P.20.

الملحق الرابع: نص رحلي حول الأغواط.



مأخوذ من:

Fromentin, Eugène. Un été dans le Sahara..., Op.cit., P.134.

الملحق الخامس: نص رحلي حول التجار الحضر وأصحاب الدكاكين.

6

DES INDIGÈNES DE L'ALGÉRIE.

effet, du temps des Turcs, le plus modeste des artisans aurait pu arriver au pouvoir suprême; les deys se plaisaient même à tirer leurs favoris des classes les plus inférieures. Comme chez eux l'éducation n'est pas nécessaire pour devenir grand seigneur, une telle manière d'agir n'offusquait personne: le dernier pacha Hussein Dey était un ancien boucher.

DES ARABES.

Les Arabes de l'Algérie se divisent en deux portions bien tranchées, d'une part *les Maures*, de l'autre *les Bédouins*; les Maures habitent les villes, les Bédouins la campagne, c'est là toute la différence, et cependant elle est immense; il en est résulté, à la suite des siècles, de grandes transformations d'habitudes.

Le Maure est essentiellement marchand; c'est pour lui la profession la plus honorable, et encore maintenant, pour nous faire honneur, il ne nous aborde qu'en nous appelant *mercanti*. Tous les Maures, quelle que soit leur position ou leur fortune, se livrent au commerce; tous ceux qui en ont le moyen ont une petite boutique garnie d'étoffes, d'essences, d'épiceries, de comestibles quelconques, et vont s'y établir toute la journée; très-souvent ils ne vendent rien, mais ils ont l'agrément de voir les passants; ils arrêtent ceux qu'ils connaissent, leur offrent du café, s'informent des nouvelles. Du reste, ils en prennent à leur aise. S'ils veulent aller au bain ou faire quelque autre course, ils laissent leur boutique ouverte aux soins du voisin. Tout se passe dans ces bazars maures, absolument comme en famille; ce sont de véritables cercles où l'on vient passer les heures de la journée qui seraient beaucoup trop longues et trop ennuyeuses dans l'intérieur des maisons, fermées hermétiquement à tout visage étranger.

Les pauvres femmes mauresques sont dans une ignorance si complète, qu'elles ne sont d'aucune ressource pour leurs maris; elles n'ont idée de rien, et ne savent guère s'occuper que de leur toilette. Elles s'imaginent être beaucoup plus belles quand elles ont teint leurs sourcils et moucheté leur visage, quand leurs mains et leurs pieds sont couverts d'une épaisse couche de couleur jaune, quand, enfin, leurs ongles brillent d'un beau noir d'ébène. La seule distraction de ces infortunées est d'aller aux bains maures, et de passer

مأخوذ من:

Baudicour Louis (de)., Des Indigènes de l'Algérie, Paris, Charles Douniol, Libraire-éditeur, 1852, P.6.

الملحق السادس: نص رحلي عن الفضاء الكوسموبوليتي لمدينة الجزائر.

ALGÉRIE

Puis, la Casbah, avec ses débris d'architecture mauresque, qu'un coup d'éventail a livrée au vandalisme européen, et tout en bas, enfin, cette nouvelle ville en opposition heurtée avec l'ancienne, où s'agite indistinctement une population cosmopolite qui, avec sa bigarrure de visages, de costumes et de langages, ressemble à une carte d'échantillons de tous les peuples du monde.

Et pour cadre à tout cela, une végétation de fleurs et d'or, des fourrés de verdure, des taillis de lauriers roses, d'orangers, de grenadiers, de tout le luxuriant produit des tropiques, fuyant en molles ondulations jusqu'au bord de la mer qui, tantôt transparente et bleue, secoue à chaque flot des paillettes de soleil, tantôt furieuse et agitée, roule des vagues blanches sur un fond sombre, comme une immense rivière qui charrie des glaçons.

Voilà ce que l'art et la nature ont jeté sur ce lointain rivage, afin que ceux qui viennent l'observer puissent le raconter aux paresseux qui restent chez eux.

Le fait est qu'on trouverait difficilement un pa-

مأخوذ من:

Mme Pauline de Noirfontaine., Algérie, Un regard écrit, Havre, imprimerie Aleph Lemale, 1856, P.6.

الملحق السابع: نص رحلي عن وضع حمام المرجة بالشلف قبل الإحتلال وبعده أين أصبح حطاما.

DE L'ÉTAT D'ALGER.

15

Voici la description que le docteur Shaw nous a laissée du Hammam, ou bain du Méréga, l'*aquæ calidæ colonia* des anciens, situé entre le Chef et la mer, à environ soixante milles ouest d'Alger. Le bassin le plus beau et le plus fréquenté a douze pieds en carré et quatre de profondeur. L'eau, en y arrivant, a un degré de chaleur très-supportable. Sortant du premier bassin, elle va en remplir un second plus petit, où se baignent les Juifs, qui n'ont pas le droit de se mêler aux Musulmans. Autrefois un bâtiment élégant s'élevait au-dessus des bains, et des corridors en pierre s'étendaient en ceintre autour des bassins; aujourd'hui, on y est exposé à l'air; et, quand je les vis, ils étaient encombrés de pierres et de débris. Au printemps, qui est la saison des eaux, il y vient une grande quantité de monde. On dit que ces eaux sont bonnes pour les rhumatismes, la jaunisse, et beaucoup d'autres maladies chroniques et invétérées.

La côte est partout escarpée et n'offre pas, à une grande distance, de dangers qu'on ne puisse prévoir. Boujaiah et le golfe de Stora offrent seuls deux bons ports. Ceux-là sont d'une grande étendue, et présentent un abri sûr dans toutes les saisons. Je dois ces détails à un excellent capitaine de vaisseau anglais, que le mauvais temps avait

مأخوذ من:

William Shaler., Esquisse de l'Etat d'Alger, considéré sous les rapports politique Historique et civil, Traduit de l'anglais et enrichi de notes par M.X.Blanchi, Paris, Librairie Ladvocat, 1830, P.15.

SITUATION GÉOGRAPHIQUE

13

Enfin, il existe une *noblesse religieuse*, dont les membres ou *Marabouts*, stricts observateurs du Koran et des préceptes du Prophète, sont des hommes pieux, que la croyance vulgaire croit être plus près de Dieu que les autres hommes ; leurs décisions sont écoutées mieux que celles du Kadi ; la vénération et le respect universels les entourent, et, quand ils prêchent la guerre sainte, leur parole fait surgir de terre des armées nombreuses et fanatiques.

Ces trois noblesses sont héréditaires : au-dessous d'elles, le peuple grouille dans l'ignorance et dans la pauvreté ; quelques propriétaires de terres ou de troupeaux font seuls exception.

L'Arabe a la taille grande et bien prise, le visage ovale, le nez busqué, les yeux noirs et brillants, les lèvres minces ; il est de race blanche ; sa barbe et ses cheveux sont noirs. Le crâne est rasé ; on ne laisse qu'une mèche au sommet de la tête, par laquelle, au jour du jugement dernier, les anges viendront saisir les vrais croyants et les transporteront dans le paradis de Mahomet.

Sa tête est, du reste, toujours couverte par le haïk, autour duquel s'enroule une corde en poil de chameau ; ses vêtements, gandoura et burnous, sont en laine.

L'Arabe, malgré son grand air de fierté, sait être humble et obséquieux, s'il le faut ; son orgueil, sa fatuité, son arrogance sont proverbiales ; il est superstitieux et couvre d'amulettes et de talismans lui-même, ses femmes, ses enfants, et jusqu'à ses chevaux et ses chiens.

L'hospitalité est une vertu chez lui ; les Arabes de grande tente la pratiquent noble et princière, en com-

مأخوذ من:

الملحق التاسع: نص رحلي توضيحي عن مسار الرحلة إنطلاقاً من فرنسا.



DE PARIS A ALGER

Nous nous supposons à Paris, au mois de février. Partons pour l'Afrique. Là-bas, au pays où fleurit l'oranger, le ciel est bleu d'azur ; le soleil inonde de sa douce chaleur cette belle Algérie, trop peu connue encore.

De Paris à Marseille, nous sommes en chemin de fer (*train rapide*). A Marseille, nous prenons le magnifique bateau à vapeur de la Compagnie transatlantique l'**Eugène Pereire** qui, en 24 heures, nous transporte à travers la Méditerranée, à Alger.

Pour abréger la route, on pourrait aller plus vite au désert, en se rendant directement, par un autre bateau, à Philippeville ;

مأخوذ من:

Tardieu Amboise., De Paris au Sahara, Itinéraire descriptif et archéologique aux villes romaines de Lambèse et de Thimgad en Algérie et visite hivernale à Biskra (Sahara), en passant par Alger, Sétif, Constantine et Batna, Batna Imprimerie F.Soldati, 1890 , , P.7.

nus une foule ; en face la voiture, une jeune enfant de 10 à 11 ans se tient en souriant. Dieu, qu'elle est jolie ! tel est le cri de tous. Entré dans la mosquée, on monte sur la terrasse ; quelques enfants et des hommes montent avec les voyageurs.

De cet endroit peu élevé la vue est de toute beauté. Quel est le coloriste, le broyeur de couleurs qui, à ce spectacle, ne serait point enchanté ? A la suite des touristes, une nuée d'enfants, de fillettes à la tunique bleue, a envahi la terrasse ; parmi elles, la jolie petite qui a provoqué un si unanime cri d'admiration. Assis sur le rebord, chacun promenait son regard partout pour exciter sa curiosité, pour y prendre des tableaux à graver dans sa mémoire. A propos de je ne sais quoi, le colon dit quelques mots d'arabe le plus pur, et aussitôt parmi les hommes et les enfants qui étaient là, une autre physionomie leur fut donnée ; puis, après quelques mots d'histoire sur ces environs qu'on distinguait, les Arabes qui parlaient un peu le Français comprenant qu'ils avaient devant eux, non des commis-voyageurs ou des voyageurs qui voyagent en commis, en croque-kilomètres, prirent un air aimable et sympathique. Tenez, dit le colon, voilà une vraie Ouled-Naïl, cette belle enfant entourée de sa tunique bleue. A deux

مأخوذ من:

الملحق الحادي عشر: نص رحلي عن الفكر الأنثروبولوجي الكولونيالي الداعي للجزائر اللاتينية المسيحية.

CHAPITRE DEUXIÈME

41

tatouages sur la figure; mais le tatouage de la femme kabyle présente une particularité bien remarquable: il affecte ordinairement la forme d'une croix. Sa place habituelle est entre les deux yeux ou sur une narine. Les Kabyles perpétuent cet usage, sans pouvoir en faire connaître l'origine, qui semble dériver de l'ère chrétienne. Un fait digne de remarque appuierait cette conjecture en apparence: c'est qu'aucun taleb ou marabout n'épouse une femme, ainsi tatouée, sans lui faire disparaître le signe par une application de chaux et de savon noir. Mais il convient aussi de remarquer que tous les tatouages sont défendus par le Koran, qui les flétrit du nom de *ketibet el chytan*, écriture du démon.

La femme arabe ne mangé pas avec son mari, encore moins avec ses hôtes. La femme kabyle prend ses repas avec la famille; elle y participe même lorsqu'il y a des étrangers.

La femme arabe n'est jamais réputée libre de ses actions. La femme kabyle, abandonnée par son mari, rentre dans la maison de son père ou de son frère; et, tant que son isolement dure, elle jouit d'une entière liberté de mœurs. La femme divorcée se trouve dans le même cas. Cette licence expliquerait la prétendue coutume que plusieurs historiens attribuent aux Kabyles; d'offrir leurs femmes ou leurs filles à des hôtes de distinction.

L'existence, dans chaque tribu, d'un certain nombre

مأخوذ من:

M. Daumas, M.Fabar., La Grande Kabylie études Historiques, Paris, L.Hachette et c^{ie}, 1847, P.41.

الملحق الثاني عشر: نص رحلي عن المدينة العتيقة بقسنطينة والنشاط التجاري للسكان وأصحاب الدكاكين.

mouvement des grandes villes de la métropole, forme, au nord-ouest, un peu plus du tiers de la ville, et comprend les vastes bâtiments de la Kasbah, l'église, l'ancien palais d'Ahmed-Bey, la préfecture, la mairie et les hôtels de la banque, du trésor et des postes. Les constructions qui ont remplacé les maisons arabes bordent des rues coupées à angle droit et allant aboutir aux places de Nemours et du Palais.

“ Le quartier arabe compte 20,825 habitants ; c'est le centre où aboutit le commerce de l'intérieur, dont les Arabes de la ville sont les intermédiaires intelligents et traditionnels. C'est à Constantine que l'on retrouve la couleur locale qui tend à disparaître de plus en plus des autres villes de l'Algérie. Rien n'est plus curieux à visiter que cette fourmilière, qu'on appelle le quartier arabe, où les rues et les impasses étroites et tortueuses, à ciel ouvert ou voûtées, forment le labyrinthe le plus inextricable qu'on puisse imaginer, et dont l'ignoble saleté serait à craindre en cas d'épidémie. Un grand nombre de marchands et d'artisans occupent ces petites boutiques, que nous avons déjà eu l'occasion de décrire, et dans lesquelles est souvent entassée une grande quantité de marchandises. Mais ce qui étonne le plus, c'est le nombre prodigieux de cordonniers installés dans des rues entières, si l'on ne savait que tous les indigènes de la province viennent s'approvisionner de chaussures à Constantine. Ailleurs, le boucher, l'épicier, le fruitier, le tailleur, le brodeur, le potier, le forgeron, le marchand de tabac, le cafetier, le barbier, occupent concurremment les autres boutiques.

“ L'animation que présentent les rues arabes ne forme pas un des spectacles les moins curieux de Constantine.

مأخوذ من:

H. Beaugrand ., Lettres de Voyage, France-Italie-Sicile-Malte-Tunisie-Algérie-Espagne, Montréal, Des presses de la patrie, 1889 , P.236.

الملحق الثالث عشر: نص رحلي وصفي عن المدينة العتيقة بالجزائر ومظاهر النشاط المحلي بها.

LETTRES SUR L'ALGÉRIE.

43

une région toute différente : c'est la ville arabe, la ville semblable à celles de Turquie et de Syrie, avec ses ruelles étroites, ses maisons basses et sombres, ses enfants demi-nus, ses femmes cachées dans leur solitude mystérieuse, et ses hommes accroupis indolemment à la porte d'un café ou dans l'échoppe d'un barbier. Si, le soir, on monte sur une de ces terrasses plates qui dominent chaque habitation, et qui ne sont séparées l'une de l'autre que par un léger mur, on peut voir ces mêmes hommes étendant leur natte sur leur couche de plâtre, et, le corps enveloppé dans les replis de leur burnous, s'endormant sous la magnifique tente de leur ciel étoilé. C'est la cité d'Asmodée, que nul toit ne dérober aux regards. A cette heure de repos, il y a dans l'aspect du vaste panorama d'Alger un charme solennel que nulle parole ne peut rendre. D'un côté, toute cette population plongée dans son sommeil, toutes ces terrasses qui se détachent dans l'ombre comme des masses de neige; de l'autre, la mer, aplaniée comme un miroir, reflétant dans son sein la lueur vacillante du falot des navires, l'étincelle des étoiles scintillant comme des fusées,

مأخوذ من:

الملحق الرابع عشر: نص رحلي عن الشارع في مدينة الجزائر يرصد الشوارع والسكان.

DEUX ANS EN AFRIQUE

5

nistre. Des essaims de Maures, d'Arabes, de Juifs; des Bédouins de la plaine à bornous blancs, bruns, bariolés; les uns ornés de turbans, les autres coiffés du haïk, serré par une corde de chameau; des visages noirs, basanés, de toute couleur; les uns marchant silencieusement et majestueusement, d'autres escaladant comme des singes les rues étroites et montantes; ceux-ci couchés comme des bêtes fauves, en rond, au pied d'une borne; ceux-là fumant gravement leur pipe à l'entrée des maisons. Quelques femmes mauresques, couvertes des pieds à la tête d'un grand vêtement blanc, qui ne laisse voir que la prunelle noire de leurs yeux, gravissent lentement, suivies d'une esclave, les petits sentiers qui mènent aux bains. Ces murs sans croisées, ces trous qui servent de fenêtres, ces boutiques d'un mètre carré, où un homme et un enfant trouvent le moyen de se blottir derrière des dattes, des oranges, des parfums, des cierges; enfin l'absence de tout Européen dans ces rues d'un aspect déjà si étrange, tout cela m'abasourdit tellement, que je me crus, un instant, transporté au Cirque-Olympique, sur le boulevard du Temple.

A force de grimper, nous parvînmes à la Casbah, qui sert aujourd'hui de caserne aux zouaves et à l'artillerie. Bien des choses y sont déjà changées depuis le jour où un malheureux éventail de paille de dattier, imprudemment levé sur notre consul par Hussein, occasionna sa chute et la conquête française. Mais il reste encore assez des constructions primitives pour donner une idée de ce qu'était ce fameux château, cette citadelle des pachas et des deys d'Alger.

Arrivés sur le sommet, nous nous arrêtàmes pour

مأخوذ من:

Charles Marcotte de Quivières., Deux ans en Afrique, Paris, Librairie nouvelle, 1855, P.5.

الملحق الخامس عشر: نص رحلي حول تهديم فرنسا للمعالم العمرانية بالجزائر.

26

ALGER.

ilot échoué à mi-côte au centre de la ville, est menacé d'une suppression radicale. Non content d'avoir permis aux Européens d'installer leurs horribles maisons et leurs cabarets au cœur même de ce quartier qui devrait être une sorte de lieu de refuge pour les musulmans, on veut le couper de bas en haut, dans toute sa longueur, par une rue bien large et bien nue, dans laquelle on étranglera de chaleur et qui, de loin, s'élevant sur la colline en ligne droite, produira l'agréable effet d'une perpendiculaire au beau milieu d'un triangle équilatéral. On veut aussi raser le Musée, l'ancienne habitation du gendre d'Hassan-Pacha, et certainement le plus beau palais de la ville, pour faire passer le rempart, qui passerait bien mieux cent pieds en avant, sur un récif ¹. On veut encore raser le sommet

1. Ceci était écrit en 1860. Depuis, j'ai appris que, grâce à a puissante et intelligente intervention de M. le maréchal Pelissier, le Musée avait été respecté.

مأخوذ من:

الملحق السادس عشر: نص رحلي حول حادثة رمي سكان قسنطينة أنفسهم في وادي الرمال بعد الإحتلال.

— 123 —

tageaient la sécurité de leur chef, apprirent le départ précipité d'Achmet-hey, ce fut parmi eux un *sauve qui peut* général. Hommes, femmes et enfants, tous s'élancèrent en désordre vers le côté des mprailles opposé à celui qui avait donné accès aux assiégeants. Le point vers lequel se pressait cette foule épouvantée, se trouvait situé au haut des rochers escarpés sur lesquels, comme vous le savez, Constantine est bâtie. Au moyen de cordes jetées le long de ces rochers, les fuyards se laissaient glisser précipitamment jusqu'au fond du gouffre où roule le Rummel; puis ils suivaient le lit du torrent pour gagner la campagne. Un grand nombre de ces malheureux coulèrent jusqu'au fond du précipice, et se brisèrent sur les rochers, soit que la force leur manquât pour cette évasion périlleuse, soit que la frayeur ne leur permit pas de saisir convenablement les cordes. Le fond du gouffre servit de tombeau à ces nombreuses victimes, et lorsque, plus tard, je visitai moi-même avec soin ce lieu rempli de si tristes souvenirs, j'y trouvai encore une quantité effroyable d'ossements humains !

Cependant nos soldats, encore dans l'exaltation du combat, à la suite d'un siège qui leur avait coûté tant de fatigues et tant de sang, avaient poursuivi les Arabes jusqu'à l'endroit par où ils cherchaient à s'évader, et, parvenus sur la crête du rocher, ils tiraient quelques

مأخوذ من:

L'abbé Suchet., Lettres édifiantes et curieuses sur l'Algérie..., Op.cit., P.123.

الملحق السابع عشر: مصطلحات الدراسة (الجزء 1) مترجمة ترجمة ذاتية.

التاريخ/Historié: التاريخ الإستعماري للجزائر/L'Histoire Coloniale de l'Algérie: التاريخ العام للرحلات: Une Histoire Générale
 des Voyages/التاريخ الأدبي: L'Histoire Littéraire/L'الأدب الإثنوغرافي: La Littérature Ethnographique/أدب الرحلة: Les
 Récits de Voyage/أدب الرحلة: La Littérature de Voyage/أدب رحلة كاذب: Récits artistiques mensongers/أدب رحلة
 الحروب الصليبية والحج: Le Récit de Croisade et de Pèlerinage/الحج للأرض المقدسة: Le Pèlerinage en Terre sainte/أدب
 الحج: Le Récit de Pèlerinage/الإحتلال الفرنسي للجزائر: L'Occupation Française de l'Algérie/الغزو الفرنسي للجزائر:
 L'Invasion Française de l'Algérie/الإستعمار الفرنسي للجزائر: La Colonisation Française de l'Algérie/الفتح الإسلامي
 للجزائر: La Conquête Musulmane de l'Algérie/الإستعمار الإستيطاني في الجزائر: Le Colonialisme Français en
 Algérie/سياسة الإستيطان الفرنسي للجزائر: La Politique de La Colonisation Française de l'Algérie/الشرعية الإستعمارية
 la légitimation coloniale/الإستيطان الإستغلالي: la colonisation d'exploitation/المظهر والإستعمار: Paysage et
 colonisation/المملكة العربية: Royaume Arabe/جزائر بانطباع الرحلة: Une Algérie d'Impressions de Voyage/الجزائر
 العربية: L'Algérie Arabe/إيالة الجزائر: La Régence d'Alger/تركيب إثنوغرافي: Cosmographie/الدليل السياحي: Le Guide
 Touristique/الدليل في الشرق: Le Guide en Orient/المبشرين: Les Missionnaires/تقارير سفر: Des Comptes-Rendus de
 Voyage/كتابات الأسرى: Les Récits de Captivité/رواية أثرية: Roman Archéologique/روايات واقعية: Romans Réalistes/
 الروائيين الواقعيين: Les Romanciers Réalistes/روايات الأسر: Les Récits de Captivité/عمليات إستكشاف الصحراء: Les
 Explorations du Sahara/سحر الصحراء: La Fascination Saharienne/المكاتب العربية: Les Bureaux Arabes/اللجنة العلمية
 للجزائر: La Commission Scientifique de l'Algérie/الإكتشافات العلمية للجزائر: L'Exploration Scientifique de L'Algérie/
 الجمعية العلمية للمناخ: La Société de climatologie d'Alger/الجمعية الجزائرية العامة: La Société Générale Algérienne/
 الأعراف والعادات الجزائرية: Mœurs et Coutumes de l'Algérie/الحياة العربية والمجتمع المسلم: La Vie Arabe et la Société
 Musulmane/جريدة: Un Journal/مجلة العالمين: La Revue des Deux Mondes/مجلة العرض العسكري: La Revue le
 Spectacle Militaire/مجلة باريس: La Revue De Paris/مجلة الفنان: L'Artiste/مجلة الفنون الجميلة: La Gazette des beaux-arts/
 مجلة المعاصر: La Revue Contemporaine/جريدة الحوار: Le Journal des Débats/نشرية الأخبار الطبية: La Gazette
 Médicale/جريدة الكون: L'Univers/المجلة السياسية الأدبية: La Revue Politique et Littéraire/أخبار: Des Nouvelles/جريدة
 الغالي: Le Gaulois/إخبارية حولية: Lettre Annuelle/دورية النور: la lumière/جريدة المناظرات: Le Journal des Débats/مجلة
 التصويرية: la Revue photographique/الأخبار العالمي: Le Moniteur Universel/نشرية الجمعية الجغرافية: Bulletin de la
 société de géographie/الجمعية الجغرافية: La Société de Géographie/حوليات الرحلة الجديدة: Nouvelles Annales des
 Voyages/سلسلة الرحلات الصغيرة: Recueil de Petit Voyage/علاقات الرحلة: Relation de Voyage/الكتابات المركبة: La
 Cosmographie/الأعراق الأقل درجة: Races Inférieures/مخطوط أصلي وشخصي للكاتب: Manuscrit Autographe/
 خصوصية: Particularistes/التطور الأدبي: L'Evolution Littéraire/الحلف المقدس: La Sainte Alliance/كتب الجولة السياحية:
 Les Guides Touristiques/النقل الرسمي: La Malle-Poste/النقل بالعربات: Les Diligences/عربات النقل الإفريقية: Diligences
 d'Afrique/عربات تجرها الأحصنة: Corricolos/قطار الطرقات (الترامواي): Tramways/القطار السريع في الأدب: Le Train Express
 de la Littérature/محطات بحرية: des Comptoirs/وسيط الميثاق: Courtier de nolisement/شركة الجنود المزارعين: La
 compagnie des soldats-planteurs/الميتروبول: La Métropole/عصر التنوير: lumières/فرنسا التنوير: la France des
 lumières/فكر التنوير: l'idéologie des lumières/نهضة شرقية: La Renaissance Orientale/إعجاب حقيقي بالشرق: une
 véritable fascination pour l'Orient/المستشرقين: Orientalistes/الشرق الحقيقي: Le Vrai Orient/الإستشراق: L'orientalisme
 L'orient malade/الشرق الرائع: L'Orient Fabuleux/الشرق المُرّوض: L'Orient Domestiqué/الشرق المريض: l'orient malade/الشرق المتوسطي
 في الرحلة: voyage en orient méditerranéen/بلدان المشرق: les pays orientaux/أرض الشرق: les terres orientales.

الملحق الثامن عشر: مصطلحات الدراسة (الجزء 2) مترجمة ترجمة ذاتية.

الجانب الشرقي: Le Côté Orientale/الثقافة القديمة: de culture antique/دراسة الآثار القديمة: l'étude des monuments antique/ الفنان الرحالة: l'artiste-voyageur/ الفنان المرافق: l'artiste accompagnant/ النقوش الكتابية: inscriptions/ النقوش: Les Gravures/ النقوش والرسومات: les gravures illustrées/ نقش الصور: des gravures d'après photographies/ تصوير الوجوه: Les Portraits/ التصويرية: Pictural/ الأعمال التصويرية: Graphiques Les œuvres/ صور: Illustrations/ حياة الصور: La Vie de Images/ الصور النمطية: Les figures stéréotypées/ التخيل والتصور الشخصي: Fantasmes/ رسومات: Des Croquis/ الرسم التاريخي: La Peinture d'Histoire/ رسام الجنود: Le Peintre du Troupier/ رسام الزمالة: Le Peintre de La Smalah/ الرسم والخطاط: le dessinateur et le graveur/ الرحلة للشرق: Le voyage en orient/ كتب الرسامين: livres de peinture/ الإنتاج الفني للصور: La production artistique des albums d'images/ رسم الجزائر دون الفرنسيين: à Peindre L'Algérie sans les Français/ طلبات الرسم بمواضيع عن الشرقيين: la forte demande de représentation d'orientaux/ الرحالة: l'Artiste-Images sur l'Autre/ صورة فوطوغرافية شمسية: photographique/ صورة تصويرية: picturale/ صورة الآخر الغريب: l'étranger/ التصوير الفوطوغرافي: la photographie/ التصوير الفوتوغرافي بين الواقع والخيال: la photographie entre réalité et l'imagination/ الرحلة التصويرية: voyages photographiques/ الوحة مصغرة: Une Vignette/ لوحة مصورة: Une Planche/ الصحافة الفوتوغرافية: la presse photographique/ الأعمال المرفقة بالصور: les ouvrages illustrés de photographies/ الجزائر/ les cartes postale aux vignettes à surprise/ الصورة: l'Algérie photographiée/ البطاقات البريدية المصغرة للصور المفاجئة: les cartes postale aux vignettes à surprise/ الطباعة الحجرية: la lithographie/ المعالم: Les Monuments/ الأبقاض: des ruines/ أعمال الفن الحديث: Œuvres d'Art/ contemporaines/ منظر طبيعي: L'Image d'un Paysage/ حروب الإسترداد: La Reconquista/ مترجم رسمي: un truchement/ البلاد البعيدة: Lointain Pays/ البلاد المدهشة: Ces Splendides Contrées/ بلد السماء الأزرق: Le Pays Céleste du Bleu/ مبنى للقوافل: Caravansérail/ المهمة الإستكشافية العلمية للجزائر: La Mission de l'Exploration scientifique de l'Algérie/ الرحلة الجديدة: Nouvelles Annales des Voyages/ وكالة كوك: Les touristes des agences Cook/ دول الباربارسك: Les Etats Barbaresques/ مركز حماية: Poste avancé/ عالم الخيال: Un Monde de Rêve/ المشهد الشرقي النموذجي: La Scène Orientale Type/ مشهد عام: Une Scène de Rue/ التعصب: Fanatisme/ النظرة غير العادلة: Le regard inégal/ نظرة مضادة: Observation Superficielle/ المسار: itinéraire/ السكان الأصليين: Les autochtones/ الملاحظة المصطنعة: Observation Superficielle/ الأهلالي: Les indigènes/ لباس تشفيري: code vestimentaire/ المدينة الشرقية: la ville orientale/ شخص مقدس: un être sacré/ صورة الشافي: image de guérisseur/ كاهن: un devin/ البرابرة الهمجيون: Les Barbares/ فكرة سمو وتعالى: La Supériorité/ المحتل الأول: Le Premier Occupant/ قالب مفرنس: sous une forme francisée/ سكان الجبال: Les Populations Montagnardes/ التسمية: Ethnonyme/ الأسطورة القبائلية: Le Mythe Kabyle/ ولادة السراب القبائلي: La Naissance Du Mirage Kabyle/ الأهلالي: L'indigénophilie/ قرى الإستيطان: les villages de colonisation/ التعمير: le peuplement/ المدن الإستيطانية: Les Villes/ الزواج متعدد الإثنيات: Les mariages interethniques/ علاقات الرحلة لرجال التنوير: Relations de Voyage des Hommes des Lumière/ العرق منحط: La Race Décadente/ الجزائر الفرنسية: L'Algérie Française/ نظرة غير مبالية من المهزوم: Un Regard Sournoisement Indifférent Des Vaincus/ السكان المتطورون: Les Habitants évolués/ الحضارة المادية: La Civilisation Matérielle/ السياحة في الشرق: Le tourisme en Orient/ مهمة مدمرة: une Tâche écrasante/ نموذج ثقافي: modèle culturelle/ مهمة تحضير: Mission Civilisatrice/ الصدمة الثقافية: Le Choc Culturel/ مزدوج القطب: bipolaire/ اغتراب: le dépaysement/ علماء الأجناس: Ehnologues/ العسكريون جامعوا العادات والتقاليد المحلية: Collecteurs de Traditions et Militaires de Coutumes/ روايات المغامرات المعاشة: L'écriture Romanesque/ رواية ذاتية: autobiographie/ وصفية ذاتية: Autodiégétique/ رواية السرد الذاتي: Homodiégétique/ تعميم المعرفة التاريخية: La vulgarisation de l'histoire/ ملاحظات: Des Notes/ حركة سياحة أدبية: Un Mouvement Touristico-Littéraire/ الرحالة الشاهد: Le Voyageur Témoin/ الملاحظات الإجتماعية: L'Observation Sociale/ المظهر التوثيقي: L'Aspect Documentaire/ الإستحضار الأدبي للعالم الإسلامي: L'évocation Littéraire du monde Musulman/ المثالي: l'Idéal Civilisateur/ السفر في نظر الفنان: Voyager avec le regard de l'Artiste/ خيال الإثارة الكولونيالي: l'imaginaire érotique colonial.

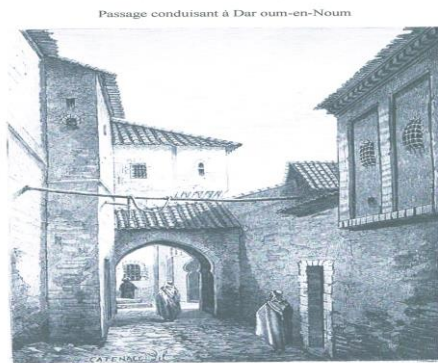
الملحق التاسع عشر: أعمدة وواجهة قصر "أحمد باي" وأحد مداخله.



1- أعمدة القصر.



2- واجهة قصر "أحمد باي".

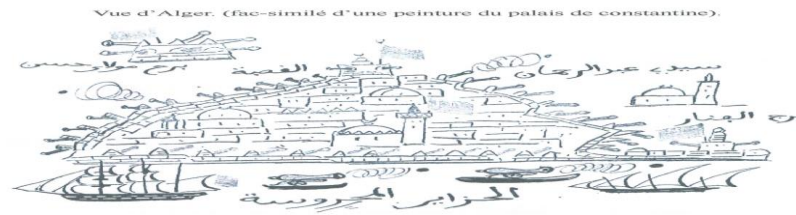


3- مدخل "دار أم النون".

الملحق العشرون: مختلف أجزاء من بهو "قصر أحمد باي" وزخارف.



1- بهو بالقصر.



2-زخارف ورسومات بالقصر.



3-باب غرفة بالقصر.

الملحق الواحد والعشرون: صور فوطوغرافية لنساء بسكرة.



1-صورة لإمرأتين من بسكرة.

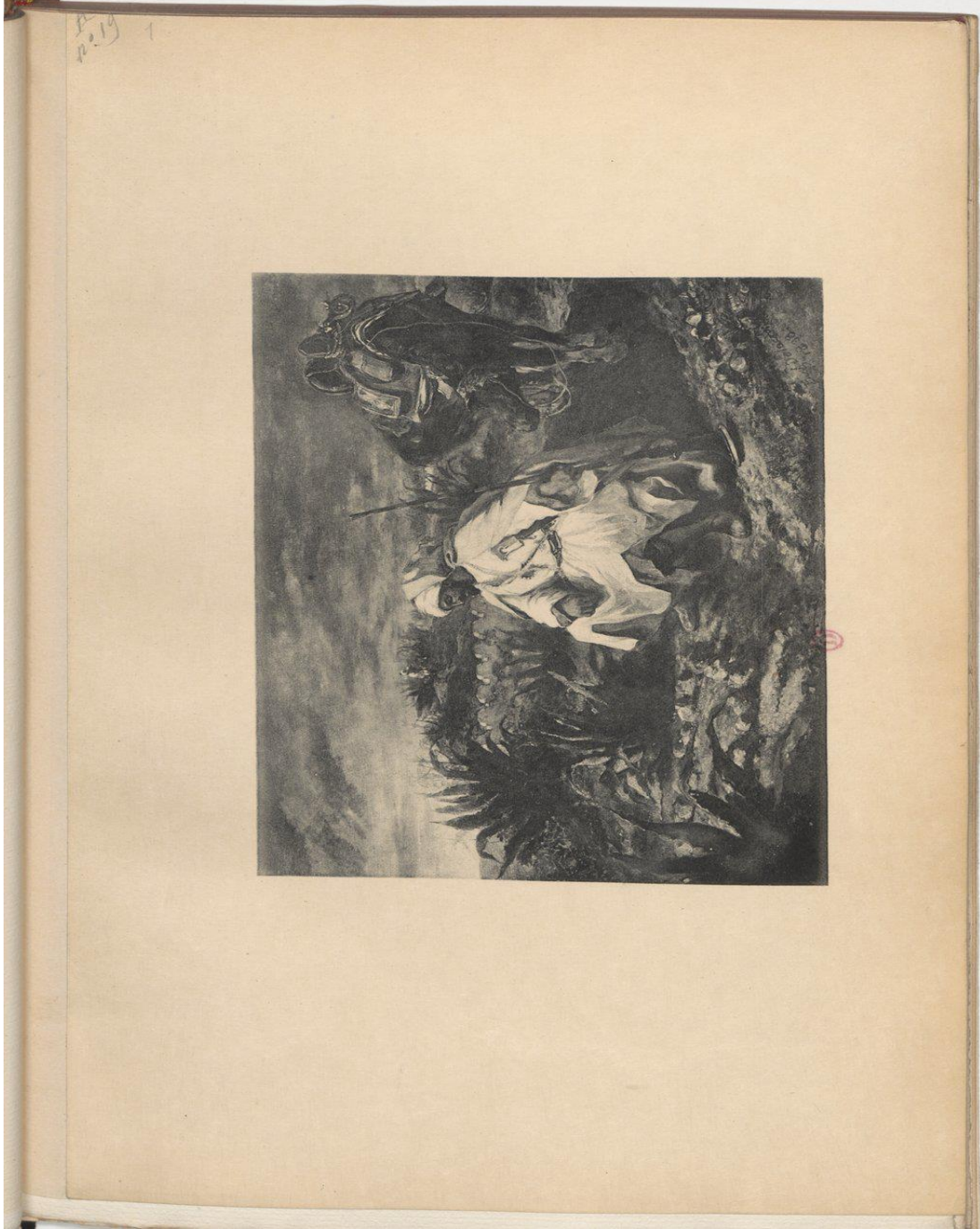


2-صورة لنساء من بسكرة.



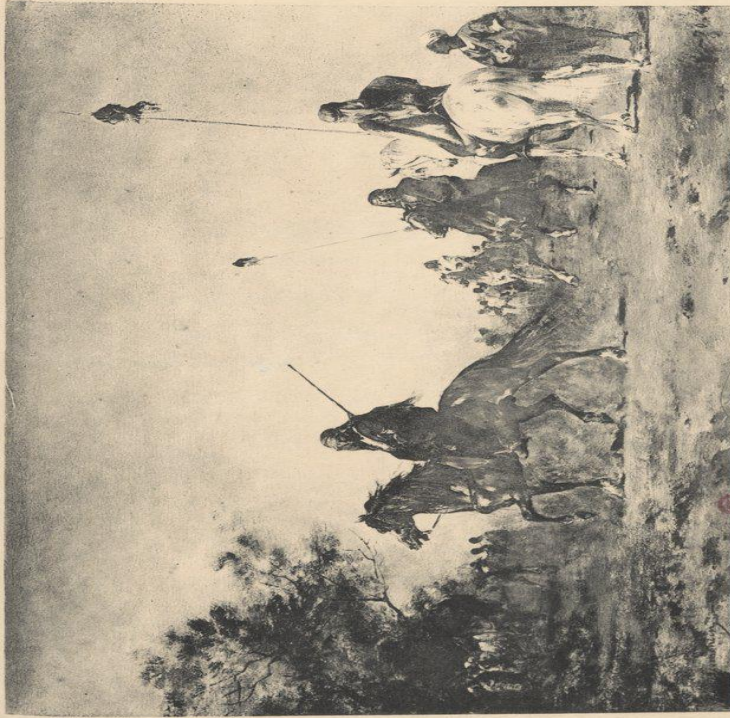
3- صور لنساء من أولاد نايل ببسكرة.

الملحق الثاني والعشرون: لوحة للرسم "أوجين لأكروا" عربي في المقابر 1838.



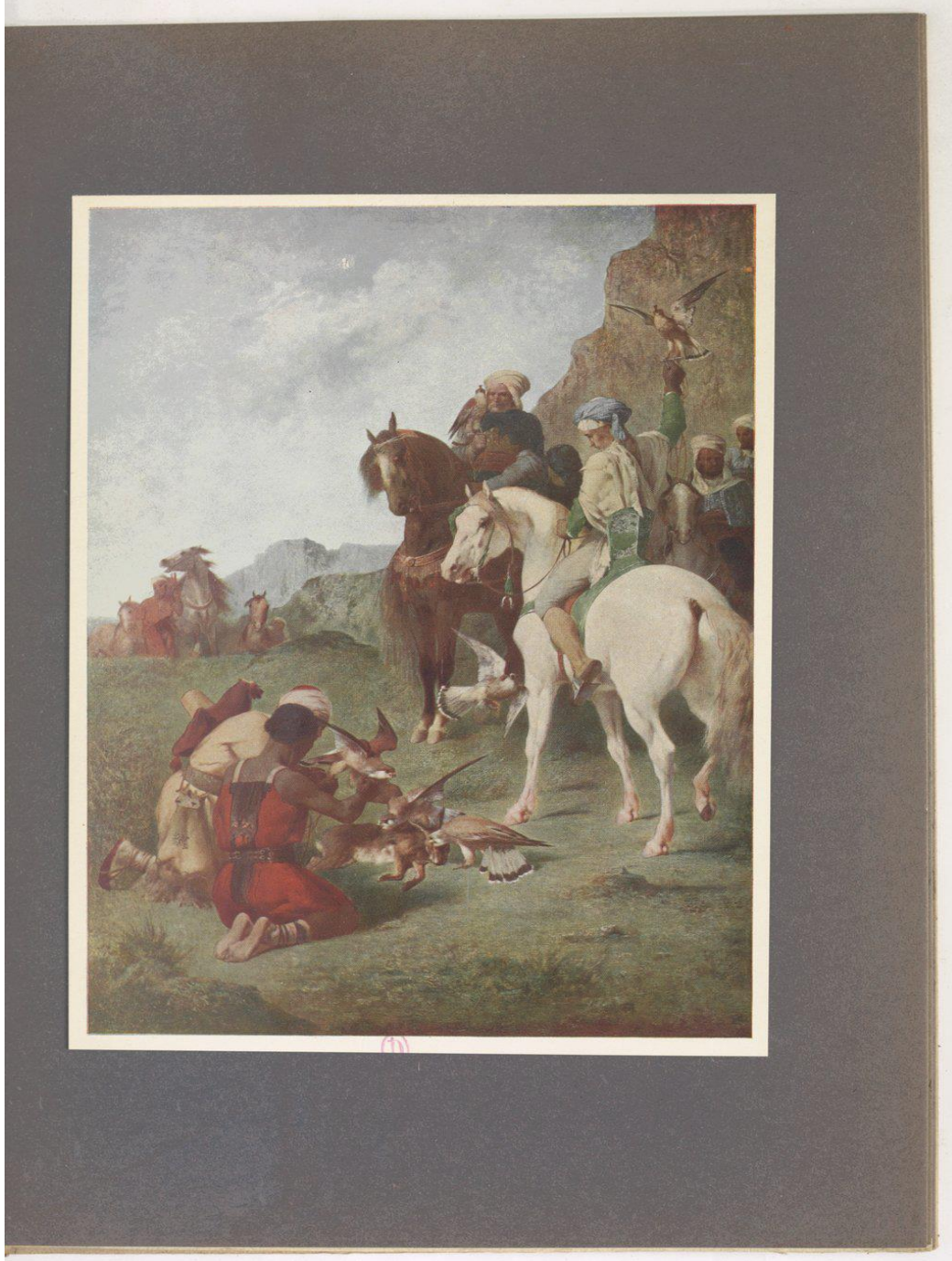
M. Octave Le Roux., Tableaux, aquarelles, pastels et dessins formant la collection de M. Octave Le Roux., bibliothèque d'art et d'archéologie, Paris, 1885, P.15.

الملحق الثالث والعشرون: لوحة لـ"أوجين فرومونتان" لفارس عربي.



M. Octave Le Roux., Tableaux, aquarelles, pastels et dessins formant la collection de M. Octave Le Roux.,
bibliothèque d'art et d'archéologie..., Op.cit., P.21.

الملحق الرابع والعشرون: لوحة "أوجين فرومونتان" "الصيد بالصقور في الجزائر".



مأخوذ من:

Boucher, David, Raphaël, Giorgione, Le musée du Louvre., 1er fascicule, Pierre Lafitte et c^{ie} éditeurs, Paris, 1912, P.245.

الملحق الخامس والعشرون: صورة فوتوغرافية لشابيتين من أولاد نايل تبرز الحلي والباس مع تسريحة الشعر المحلية.



صور لبنات نايليات من بوسعادة، إلتقطت من مقبل المصور الألماني "ويليام أدولف لامبرخت" William Adolphe Lambrecht بين سنتي 1904 و 1910.

الملحق السادس والعشرون: صورة فوتوغرافية لشابة من أولاد نايل بالحلي التقليدي.



صور لبنات نايليات من بوسعادة، إلتقطت من مقبل المصور الألماني "ويليام أدولف لامبرخت" William Adolphe Lambrecht بين سنتي 1904 و 1910.

الملحق السابع والعشرون: صورة فوتوغرافية لشابة من أولاد نايل تبرز الحلي والوشم واللباس التقليدي المحلي.



صور لبنات نايليات من بوسعادة، إلتقطت من مقبل المصور الألماني "ويليام أدولف لامبرخت" William Adolphe Lambrecht بين سنتي 1904 و 1910.

الملحق الثامن والعشرون: صورة لفاطمة المرأة الحضرية التي لاقت شهرة واسعة بين الرحالة الفرنسيين .



صور فوطوغرافية تاريخية لجزائريات من خلال الطوابع البريدية والمعارض التصويرية خلال فترة الإحتلال الفرنسي تبين اللباس التقليدي والحلي لمختلف مناطق البلاد، من صفحة الجزائر من خلال صورها القديمة.

الملحق التاسع والعشرون: صورة ثانية لفاطمة المرأة الحضرية التي لاقت شهرة واسعة بين الرحالة الفرنسيين.



صور فوطوغرافية تاريخية لجزائريات من خلال الطوابع البريدية والمعارض التصويرية خلال فترة الإحتلال الفرنسي تبين اللباس التقليدي والحلي لمختلف مناطق البلاد، من صفحة الجزائر من خلال صورها القديمة.

الملحق الثلاثون: صورة نالئة لفاطمة المرأة الحضرية التي لاقى شهرة واسعة بين الرحالة الفرنسيين باللباس التقليدي جبة حرير كراكو وترتدي الحلي التقليدي خيط الروح وعقد الجواهر.



صور فوطوغرافية تاريخية لجزائريات من خلال الطوابع البريدية والمعارض التصويرية خلال فترة الإحتلال الفرنسي تبين اللباس التقليدي والحلي لمختلف مناطق البلاد، من صفحة الجزائر من خلال صورها القديمة.

الملحق الواحد والثلاثون: صورة لإمرأة حضرية بلباسها التقليدي اليومي وحليها نرى خيط الروح وعقد الجواهر كحلي يومية مشتركة لكل النسوة من مختلف الفئات والطبقات الاجتماعية وبروز الأثاث وأفرشة البيت وتفاصيل العمران الداخلي، وتحتسي القهوة مشروب المحليين.



صور فوطوغرافية تاريخية لجزائريات من خلال الطوابع البريدية والمعارض التصويرية خلال فترة الإحتلال الفرنسي تبين اللباس التقليدي والحلي لمختلف مناطق البلاد، من صفحة الجزائر من خلال صورها القديمة.

الملحق الثاني والثلاثون: صورة لإمرأة حضرية بزینتها المميزة ولباسها وحليها التقليدي.



صور فوطوغرافية تاريخية لجزائريات من خلال الطوابع البريدية والمعارض التصويرية خلال فترة الإحتلال الفرنسي تبين اللباس التقليدي والحلي لمختلف مناطق البلاد، من صفحة الجزائر من خلال صورها القديمة.

الملحق الثالث والثلاثون: صورة لإمرأة حضرية بلباسها وحليها واقفة في غرفتها ويبرز معها باب مزخرف.



صور فوتوغرافية تاريخية لجزائريات من خلال الطوابع البريدية والمعارض التصويرية خلال فترة الإحتلال الفرنسي تبين اللباس التقليدي والحلي لمختلف مناطق البلاد، من صفحة الجزائر من خلال صورها القديمة.

الملحق الرابع والثلاثون: صورة لإمرأة حضرية بآلة موسيقية بلباسها التقليدي والحلي.



صور فوطوغرافية تاريخية لجزائريات من خلال الطوابع البريدية والمعارض التصويرية خلال فترة الإحتلال الفرنسي تبين اللباس التقليدي والحلي لمختلف مناطق البلاد، من صفحة الجزائر من خلال صورها القديمة.

الملحق الخامس والثلاثون: صورة امرأة حضرية باللباس والحلي التقليدي.



صور فوتوغرافية تاريخية لجزائريات من خلال الطوابع البريدية والمعارض التصويرية خلال فترة الإحتلال الفرنسي تبين اللباس التقليدي والحلي لمختلف مناطق البلاد، من صفحة الجزائر من خلال صورها القديمة.

الملحق السادس والثلاثون: صورة لإمرأة حضرية من وهران بلباسها وحليها التقليدي والوشم.



صور فوطوغرافية تاريخية لجزائريات من خلال الطوابع البريدية والمعارض التصويرية خلال فترة الإحتلال الفرنسي تبين اللباس التقليدي والحلي لمختلف مناطق البلاد، من صفحة الجزائر من خلال صورها القديمة.

الملحق السابع والثلاثون: صورة لإمرأة حضرية بالحايك وغطاء الوجه تبدو من بسكرة من خلال لباسها وحليها.



صور فوطوغرافية تاريخية لجزائريات من خلال الطوابع البريدية والمعارض التصويرية خلال فترة الإحتلال الفرنسي تبين اللباس التقليدي والحلي لمختلف مناطق البلاد، من صفحة الجزائر من خلال صورها القديمة.

الملحق الثامن والثلاثون: صورة لفتاة حضرية.



صور فوطوغرافية تاريخية لجزائريات من خلال الطوابع البريدية والمعارض التصويرية خلال فترة الإحتلال الفرنسي تبين اللباس التقليدي والحلي لمختلف مناطق البلاد، من صفحة الجزائر من خلال صورها القديمة.

الملحق التاسع والثلاثون: صورة لفتاة بزيها اليومي ودميتها بعنوان مريم ودميتها.



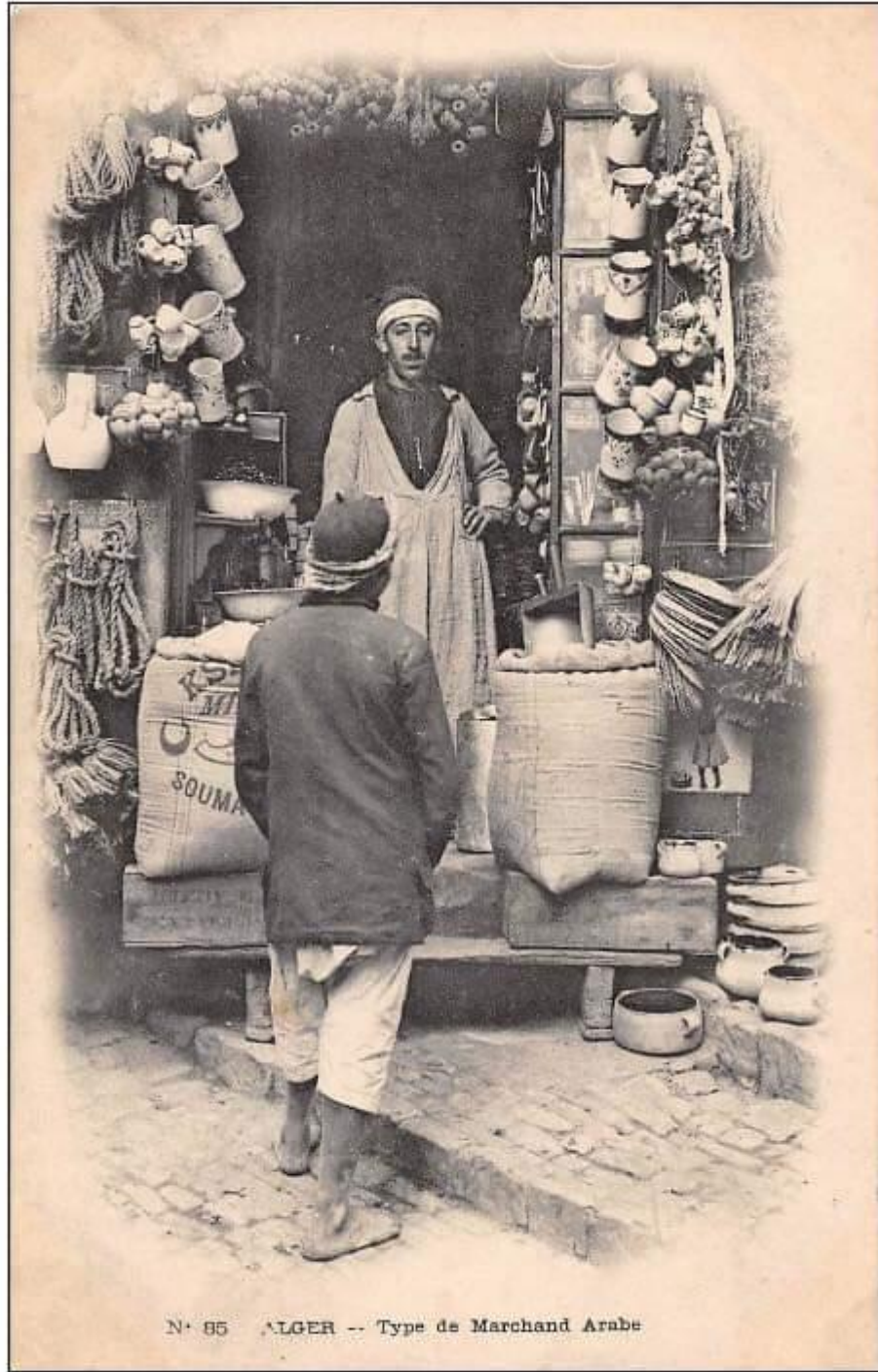
من صفحة الجزائر من خلال صورها القديمة.

الملحق الأربعون: صورة لفتاة من بوسعادة بلباس يومي بسيط.



مأخوذ من: صفحة بطاقات بريدية قديمة، الجزائر.

الملحق الواحد الأربعون: صورة لتاجر محلي واقف على باب الدكان كما جاء وصف الرحالة ويعرض سلع إستهلاكية وأدوات منزلية معلقة وفي أكياس.



Pardaillan

www.delcampe.net

من صفحة الجزائر من خلال صورها القديمة.

الملحق الثاني والأربعون: لوحة للرسام "جون بابتيست هايسمان" "في مخيم الأمير عبد القادر".



مأخوذ من الموقع:

<https://topdestinationsalgerie.com/lalgerie-aux-yeux-du-peintre-belge-jan-baptist-huysmans/>.

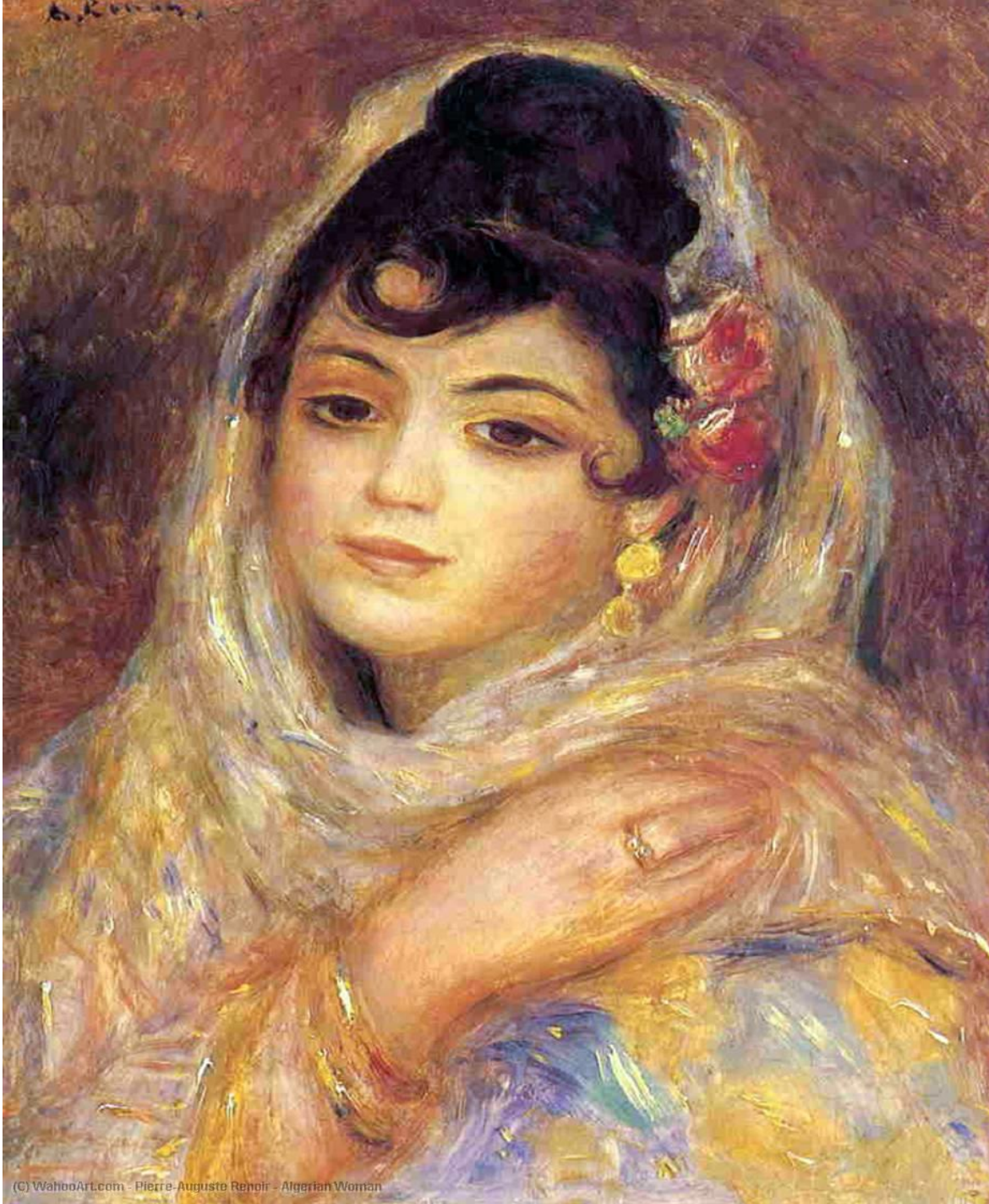
الملحق الثالث والأربعون: لوحة زيتية لإمرأة من بسكرة للرسامة ماري كار ثونوار، والتي يعتبرها المحللون من أجمل وأصدق اللوحات التي رصدت ملامح وجمال المرأة المحلية البسكرية.



مأخوذ من الموقع:

https://art.rmngp.fr/fr/library/artworks/marie-caire_tête-de-femme-biskra_peinture-a-l-huile.

الملحق الرابع والأربعون: لوحة لـ"بيار أوغيسست رونوار" بعنوان: "إمرأة جزائرية سنة 1881".



مأخوذ من موقع:

<https://fr.wahooart.com/@@/8EWPLE-Pierre-Auguste-Renoir-Femme-alg%C3%A9rienne>

الملحق الخامس والأربعون: زيارة الرئيس الفرنسي "Emile Loubet" في أفريل 1903 إلى الجزائر وصور من زيارته مدينة تلمسان وبالتحديد منطقة خضير أين وصف الرحالة "O.De La Bourdonnaye" المشهد من الضيفة والمشوي وتقديم الذبائح للضيوف.



1-الضيفة "المشوي" بمنطقة خضير.

مأخوذ من:

Léon Bouët, [Recueil. Voyage du président Loubet en Algérie et Tunisie. Avril 1903].Photos Page.28.



2-الضيفة ذبائح المشوي بمنطقة خضير.

مأخوذ من:

Léon Bouët, [Recueil. Voyage du président Loubet en Algérie et Tunisie. Avril 1903].Photos n°G137687, P. 28.



3-تقديم الضيفة وذبائح المشوي للوفد بمنطقة خضير.

مأخوذ من:

Léon Bouët, [Recueil. Voyage du président Loubet en Algérie et Tunisie. Avril 1903].Photos n°G137687, Photos Page.29.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع.

أ.المصادر باللغة العربية.

1.مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر، 1814-1824، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، نشر المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982.

ب.المصادر باللغة الأجنبية.

1. Albalat, Antoine ., Le mal d'écrire et le roman contemporain, Ernest Flammarion éditeur, Paris, 1895.
2. Albalat, Antoine., Souvenirs de la vie littéraire ,Arthème Fayard et C^{ie}, Editeurs, Paris, 1921.
3. Badin, Adolphe., Casteyras, Jean., Aventures de trois Enfants en Algérie, Paris, Bibliothèque D'éducation et de Récréation, 1888.
4. Baraudon, Alfred., Algérie Et Tunisie Récit De Voyage Et Etudes, Paris, Librairie Plon, 1893.
5. Baudicour Louis (de)., Des Indigènes de l'Algérie,Paris, Charles Douniol, Libraire-éditeur, 1852.
6. Beaugrand, H., Lettres de Voyage, France-Italie-Sicile-Malte-Tunisie-Algérie-Espagne, Montréal, Des presses de la patrie, 1889.
7. Bergot, Raoul., De Paris à Biskra, Paris, Imprimerie Parisienne, 1889.
8. Besset, Auguste., A travers l'Algérie d'aujourd'hui, Notes et croquis, Chagny imprimerie Roy frères, 1896.
9. Berteuil, Arsène., L'Algérie Française, Histoire-Mœurs-Coutumes-Industrie-Agriculture, Tome premier, Paris, Dentu, Libraire-éditeur 1856.
10. Besset, Auguste., A travers l'Algérie d'aujourd'hui, Notes et croquis, Chagny imprimerie Roy frères, 1896.
11. Blanc, Édouard., Les Routes De L'Afrique Septentrionale Au Soudan, Paris, Société De Géographie, 1890.
12. Bodichon, Eugène., Hygiène à suivre en Algérie, acclimatement des Européens, Alger, Imprimerie Rey, Delavigne et Compagnie, 1851.
13. Bonnafont, Jean-Pierre., Pérégrinations en Algérie, 1830 à 1842 : histoire, ethnographie, anecdotes, Paris Challamel Ainé Editeur, 1884.
14. Boubier, Maurice., L'Évolution de l'ornithologie, Paris, Alcan, coll. « Nouvelle collection scientifique », 1925.
15. Boucher, David., Giorgione, Raphaël., Le musée du Louvre., 1er fascicule, Paris, Pierre Lafitte et c^{ie} éditeurs, 1912.

16. Bouët, Léon., [Recueil. Voyage du président Loubet en Algérie et Tunisie. Avril 1903].
17. Bourde, Paul., à Travers l'Algérie, Souvenir de l'excursion parlementaire (Septembre-octobre 1879), Paris, G. Charpentier éditeurs, 1880.
18. La Bourdonnaye, (De), O., Dans Le Bled, Esquisses Algériennes, Paris, Henri Charles-Lavauzelle, Editeur Militaire, 1904.
19. Brosselard, Charles., Les "Khouan": de la constitution des ordres religieux musulmans en Algérie, Imprimerie De A. Bourget, Alger, 1859.
20. Brosselard, Charles., Les Deux Missions Flatters Au Pays Des Touareg Azdjer Et Hoggar, Paris, Librairie Furme Jouvot et c^{ie} éditeurs, 1889.
21. Brunetière, Ferdinand., Le roman naturaliste, Calmann Lévy, éditeur, Paris, 1883.
22. Brunetière, Ferdinand., Etudes critiques sur l'histoire de la littérature française, 3 éditions, Librairie Hachette et c^{ie}, Paris, 1911, P.28.
23. Bury, Blaze (de) (h.), Mes Etudes et mes souvenirs, Alexandre Dumas, sa vie, son temps, son œuvre, Calmann Lévy éditeur, Paris, 1885.
24. Camp, (Du), Maxime., Les beaux-arts à l'exposition universelle et aux salons de 1863, 1864, 1865, 1866 et 1867, V^e Jules Renouard, Libraire, Paris, 1867.
25. Carteron, Charles., Voulez-vous connaître l'Algérie, tous les usages des Arabes, leur vie intime et extérieure, ainsi que celle des Européens dans cette colonie, Paris, Macon, imprimerie de romand, 1866.
26. Certeux, Alphonse., E. Henry Carmoy, Contribution au folk-lore des Arabes. L'Algérie Traditionnelle, tome 1, Paris, Maisonneuve et Leclerc, Challamel Aîné, 1884.
27. Chalon, J., Souvenir D'Alger, Bruxelles, Librairie Classique, 1887.
28. Charmetant, Le Père., Les peuplades Kabyles et Les Tribus Nomades Du Sahara, Montréal, Des Presses à Vapeur De La Minerve, 1875.
29. Clamageran, Jean-Jules, L'Algérie : impressions de voyages (17 mars-4 juin 1873) ; suivies d'une Etude sur les institutions kabyles et la colonisation. Librairie Germer Baillière, 1874.
30. Colin, Gabriel., Loge La justice (Paris). Mœurs des arabes d'Algérie / conférence faite par le F. Gabriel Colin, Paris, Imprimerie Alexandre Pichon, 1893.
31. Cuvillier-Fleury., Voyages et voyageurs 1837 -1854, Paris, Michel Lévy Frères, Libraires éditeurs, 1854.
32. Daudet, Alphonse., Récits et Nouvelles D'Algérie, Paris, La Boite à Documents, 1990.
33. Daumas, M. Le lieutenant –Colonel., Le Sahara Algérien Etudes Géographiques, Statistiques et Historique Sur La région Au Sud Des Etablissements Français, Paris, Langlois et Leclercq, / .
34. Daumas, (Le), Général., Mœurs et Coutumes de l'Algérie Tell-Kabyle-Sahara, Paris, Librairie de L. Hachette et c^{ie}, 1853.

35. M. Daumas, M.Fabar., La Grande Kabylie études Historiques, Paris, L.Hachette et c^{ie}, 1847.
36. Dayot, Armand., Les Vernet : Joseph, Carle, Horace, Paris, Armand Magnier éditeur, 1898.
37. Desfontaines, M., Journal Du Voyage D'Alger A Constantine, Nouvelles Annales des Voyages et des sciences géographiques, Douze année (Avril,Mai,juin 1830), publié par MM.Eyriès, de Larenaudière et Klaproth, Tome second de l'année 1830, Paris, Librairie de Gide fils, 1830.
38. Desplantes, François, Les récits de tante Gertrude, Rouen, Megard et c^{ie}, Libraires-éditeurs, 1890.
39. Doumet-Adanson, Gautier, Léon., Une Excursion Scientifique dans la Province de Constantine en 1880, Relation, Paris, Imprimé par la Bibliothèque Nationale, 1880.
40. Doutté, Edmond., Algérie, L'Islam algérien en l'an 1900, Giralt, Imprimeur-Photographeur, Alger-Mustapha, 1900.
41. Drouet Henri, Alger et le Sahel, Librairie Hachette et C^{ie}, Paris, 1887.
42. Duchesne, E.A., De La Prostitution Dans La Ville D'Alger Depuis La Conquête, Paris, J.-B. Baillière Libraire, 1853.
43. Dumas, Alexandre., Impression de voyage : Le Véloce ou Tanger, Alger et Tunis, Paris, [s.d], 1855. Dayot, Armand (1851-1934). Les Vernet : Joseph, Carle, Horace , Armand Magnier éditeur, Paris, 1898.
44. Eberhardt, Isabelle., Pages d'Islam, Paris, Fasquelle éditeurs, publiées avec une préface et des notes, par Victor Barrucand. 1932.
- 45.Égron, Adrien-César, L'Algérie chrétienne, Lille, L.Leffort, Imprimeur-Libraire, 1847.
46. Eudel, Paul., D'Alger à Bou-Saada, Illustrations de H. Eudel, Paris, Augustin Challamel éditeur, 1904.
47. Eudel, Paul., Dictionnaire des bijoux de l'Afrique du Nord : Maroc, Algérie, Tunisie, Tripolitaine. Paris, Ernest Leroux éditeur ,1906.
48. Eudel, Paul., Hivernage en Algérie, Paris, Bibliothèque nationale, 1909.
49. Eyriès, M., Larenaudière, (de) et Klaproth. , Nouvelles Annales des Voyages et des sciences géographiques, Douze année (Avril,Mai,juin 1830), publié par Tome second de l'année 1830, Paris, Librairie de Gide fils, 1830.
50. Faguet, Émile., Histoire de la littérature française, depuis Le XVII Siècle jusqu'à nos jours, (Onzième édition), Paris, Librairie Plon, Plon-Nourrit Et C^{ie} Imprimeur- Editeurs, 1900.
51. Fallot, Ernest., Par-Delà La Méditerranée Kabyle – Aurès – Kroumirie, Paris, Librairie Plon, 1887.
52. Féraud, Charles., Visite Au Palais De Constantine, Paris, Librairie Hachette et c^{ie}, 1877.

53. Feuillet, Alfred., Flânerie littéraire à travers quelques œuvres récentes, Paris, E. Dentu Libraire-éditeur, 1859.
54. Feydeau, Ernest ., Alger, Paris, Michel Lévy Frères, Libraires-éditeurs, 1862.
55. Flaubert, Gustave, X., Exposition du Centenaire,[19 novembre 1980-22 février 1981], Bibliothèque nationale, [Paris], 1980.
56. Fontarce, Rumet , (de), Armand, Souvenirs d'Afrique, Algérie, Tunisie. Mission officielle, journal de voyage, Bar-Sur-Seine, imprimerie V° C. Saillard , éditeur , 1896.
57. Fromentin, Eugène., Un Eté Dans Le Sahara, Paris, Librairie Plon, 1856.
58. Eugène Fromentin, Un Eté dans le Sahara, Paris, Librairie Plon, 4^{eme} édition, 1877.
59. Eugène Fromentin, Une Année dans le Sahel, Paris, Michel-Lévy Frères libraires-éditeurs, 1859.
60. Galland , (De), Charles., Excursion à Bou-Saada et M'Sila, Paris, éditée par paul ollendorff ,1899.
61. Gascard, A., Compte-rendu d'une Excursion en Algérie, Rouen, Imprimerie Emile deshays et c^{ie}, 1889.
62. Gastineau, Benjamin., Les femmes et les mœurs de l'Algérie, Paris, librairie de Michel Lévy frères, 1861.
63. Gautier .Théophile., Voyage Pittoresque en Algérie ; Alger, Oran, Constantine, la Kabylie, Paris, Hetzel éditeur,1846 .
64. Gleyze, A ., Géographie Elémentaire De L'Afrique Du Nord, (Maroc, Algérie, Tunisie), Marseille, Librairie Ferran Jeune, 1913.
65. Gros, Jules., Paul Soleillet En Afrique, Paris, A.Picard et Kaan, 1888.
66. Hurabielle, Jean (Abbé). , Au Pays du bleu, Biskra et les oasis environnantes, Paris, Augustin Challamel , éditeur ,1899.
67. Huret, Jules., Enquête sur l'évolution Littéraire : conversations avec MM. Renan, de Goncourt, Émile Zola, Guy de Maupassant, Huysmans, Anatole France, Maurice Barrès... etc., Paris, Bibliothèque Charpentier, 1891.
68. Imbert, Hugues., Quatre Mois Au sahel, Lettres et Notes Algériennes, Paris, Librairie Fischbacher, 1888.
69. Jacquot, Félix, Le Docteur., Expédition Du général Cavaignac Dans Le Sahara Algérien En Avril Et Mai 1847, Relation Du Voyage, Exploration scientifique, Souvenirs, Impressions, Ect., Paris, Gide et J.Baudry, Libraires éditeurs, 1849.
70. Jahyer, Félix., Étude sur les beaux-arts, Salon de 1865, E.Dentu, Editeur, Paris, 1865.
71. Jourdan, Charles., Croquis algériens, A. Quantin, Imprimeur- éditeur, Paris, 1880.

72. Lallemand, Charles., L'ouest de L'Algérie, Réseaux Exploités par la Compagnie de L'ouest -Algérien Lignes de L'ouest-Algérien et De la c^{ie} Franco-Algérienne, Paris, Challamel et c^{ie} éditeurs, 1891.
73. Lavigerie, Le Cardinal., Notice sur le pèlerinage de Notre-Dame d'Afrique à Alger, Alger, E.Gaudet, (2e éd. revue, corrigée et augmentée), 1924.
74. Lehuraux, Léon. , (Capitaine) . , Les Français au Sahara, édition les territoires du sud, Alger,/.
75. Lemaître, Jules., Les contemporains : études et portraits littéraires, 4e série, Deuxième éditions, Librairie H.Legène Et H.Oudin, Paris, 1889.
76. Leroy, A.-L., Notes et impressions de voyage D'Alger à Tunis, avril 1884-avril 1885, Paris, Adolphe Jourdan, libraire éditeur, 1886.
77. Lorrain, Jean., Heures d'Afrique, Deuxième Mille, Paris, Bibliothèque-Charpentier, 1899.
78. Loche, Victor-Jean-François (Capitaine), Catalogue des mammifères et des oiseaux observés en Algérie, Paris, A. Bertrand, 1858.
79. Loti, Pierre., Les Trois Dames de la Kasbah suivi de Suleïma, Extraits de Fleurs d'Ennui, Paris, Editions Gallimard, 2006.
80. Lovenjoul,(De), Spoelberch, (De)., : Histoire des œuvres de Théophile Gautier, T2, /,1881.
81. Loyer, Charles, (M. L'Abbé), Les Touaregs, Paris, Benjamin Duprat, 1863.
82. Maistre, Jules., L'Europe et Le Sahara, Montpellier, Imprimerie De La Manufacture de La Charité, 1907.
83. Marcotte de Quivières, Charles., Deux ans en Afrique, Paris, Librairie nouvelle, 1855.
84. Marmier, Xavier., Lettres sur l'Algérie, Paris, Arthus Bertrand, Editeur, 1847.
85. Martins, Charles. Du Spitzberg au Sahara : étapes d'un naturaliste, Paris J.-B. Baillière et Fils, 1866.
86. Masqueray, Émile., Souvenirs et visions d'Afrique, E.Dentu éditeur, Paris, 1894.
87. Maupassant, Guy de., Au Soleil, Onzième édition, Paris, Victor-Havard éditeur, 1888.
88. Mauroy, P., Question d'Alger en 1844 ; précédée d'un précis de la domination romaine dans le nord de l'Afrique, et suivie d'un appendice sur le commerce de l'Algérie avec l'Afrique centrale;Paris, Imprimerie de J.B Gros, juin 1844.
89. Mercier, Ernest, Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830), Tome 1, Paris, Ernest Leroux éditeur, 1888.
90. Mézières, A. ., de l'Académie Française ; L'Introduction du : Louis Régis, Constantine Voyage et Séjours, Paris, Calmann Lévy, éditeur Ancienne Maison Michel Lévy Frères, 1880.

91. Mirecourt, (de) Eugène, Louis Veuillot, Paris, Gustave Havard éditeur, 1856.
92. Montifaud, (de), Marc., Les romantiques; avec un portrait. De Victor Hugo datant de l'époque romantique gravé par Hanriot, Imprimerie Adolphe Reiff , Paris, 1878.
93. Muhlfeld, Lucien., Le monde où l'on imprime : regards sur quelques lettrés et divers illettrés contemporains, Perrin et c^{ie}, Libraire-éditeur, Paris, 1897.
94. Naeyer, Verhaeghe,(de) Léon., Vingt Ans d'Etape, Bruxelles, Librairie Européenne C.Muquardt, 1888.
95. Noël, Marie, Mme., Pèlerinage à Hippone, Limoge, F.F.Ardant Frères, 1869.
96. Noëllat, Colonel (Le) L'Algérie En 1882, Paris, Librairie Militaire De J.Dumaine, 1882.
97. Noirfontaine, (de), Mme Pauline., Algérie, Un regard écrit, Havre, imprimerie Aleph Lemale, 1856.
98. Odilon, Niel., Géographie de l'Algérie, T1, (2e éd.)Bône, imprimerie Dagand, 1876.
99. Picot, Georges, Le cardinal Lavignerie et ses œuvres dans le bassin de la Méditerranée et en Afrique : discours prononcé, le 13 juin 1889, dans la séance d'ouverture du congrès de la Société d'économie sociale, Paris, Au secrétariat de la société d'économie sociale, 1889.
100. Piesse, Louis., Itinéraire De L'Algérie De La Tunisie Et De Tanger, Paris Librairie Hachette Et c^{ie}, 1882.
101. Poujoulat, Jean-Joseph-François, Voyage en Algérie : études africaines, Paris, (Nouvelle édition), Librairie d'éducation, 1868.
102. Quivières,(de), Marcotte, Ch., Deux ans en Afrique, Paris, Librairie Nouvelle, 1855.
103. Ratheau, Alexandre-Félix., L'Algérie vue à tire d'ailes, ou Lettres d'un oiseau de passage, Paris, Challamel Ainé Editeur, 1879.
104. Régis, Louis., Constantine Voyage et Séjours, Paris, Calmann Lévy, éditeur Ancienne Maison Michel Lévy Frères, 1880.
105. Reuss, Louis-Jean-Max., A travers l'Algérie 1884, Paris, Librairie Générale de Vulgarisation, 1884.
106. Roux, (Le), Octave., Tableaux, aquarelles, pastels et dessins formant la collection de M. Octave Le Roux, bibliothèque d'art et d'archéologie, Paris, 1885.
107. Rozet et Carette, L'Algérie, L'Univers ou Histoire et Description De Tous Les Peuples, De Leurs Religions, Mœurs, Coutumes, Etc, paris, Firman didot frères, éditeurs, 1850.
108. Rozet Et Carette, L'Algérie, Etats Tripoliains, Tunis, éditions Bouslama, 1980.
109. Sainte-Beuve, Charles-Augustin, Nouveaux lundis, Tome 7, Paris, Michel Lévy Frères, Libraires éditeurs, 1867.

110. Saint-Félix, (De), René, Le Voyage de S.M L'Empereur NAPOLEON III En Algérie, Paris, Eug. Pick, De L'Isère, éditeur, 1865.
111. Shaw, Thomas, Docteur., Voyage Dans La Régence D'Alger au XVIII^e siècle, traduit de l'anglais par E.Mac Carthy (1830), Alger, editions G.A.L, 2007.
112. Shaler, William., Esquisse de l'Etat d'Alger, considéré sous les rapports politique Historique et civil, Traduit de l'anglais et enrichi de notes par M.X.Blanchi, Paris, Librairie Ladvoat, 1830.
113. Sibour, Léon, M., (l'abbé) Lettres sur la translation à Hippone de la relique de saint Augustin, Paris, La Bibliothèque Royale, 1844.
114. Soleillet, Paul., Voyage De Paul Soleillet D'Alger à L'Oasis D'In-Salah Rapport Présenté à La Chambre De Commerce D'Alger, Alger, Typographie et Lithographie.A Jourdan, 1875.
115. Soleillet, Paul., L'Afrique occidentale Algérie, Mzab, Tildikelt, Avignon, Imprimerie De F.Seguin Aîné, 1877.
116. Souguenet, Léon., La Route De Timmimoun Heures Algériennes, Bruxelles, Oscar Lamberty, éditeur, /.
117. Stanislas, Mary Monge Guillaume., Expédition de Laghouat, Alger, de l'Imprimerie D'A. Bourget 1846.
118. Stevens, Mathilde., Impressions d'une femme au salon de 1859, Paris, Librairie Nouvelle, 1859.
119. Suchet, Abbé, Lettres édifiantes et curieuses sur l'Algérie, Tours A^d et c^{ie} Imprimeur-Libraire, 1840.
120. Tardieu Amboise., De Paris au Sahara, Itinéraire descriptif et archéologique aux villes romaines de Lambèse et de Thimgad en Algérie et visite hivernale à Biskra (Sahara), en passant par Alger, Sétif, Constantine et Batna, Batna Imprimerie F.Soldati, 1890.
121. Trumelet, C., Les Français Dans Le Désert Journal D'une Expédition Aux Limites Du Sahara Algérien, Paris, Garnier Frères, Libraires éditeurs, 1863.
122. Veillot, Louis., Les Français En Algérie, Souvenirs D'un Voyage Fait En 1841, Tours, 2^{eme} édition, A^D Mame et c^{ie}, Imprimeurs-éditeurs, 1847.
123. Vuillot, P., L'Exploration Du Sahara Etude Historique Et Géographique, Paris, Augustin challamel, éditeur, 1895.
124. Wolff, Albert., La capitale de l'art, (2è éd.), Victor-Havard, éditeur, Paris, 1886.
125. X., Récit Succint d'une exploration Sur le littoral d'Algérie suivi de l'Immortelle défense de Mazagran, Paris, Chez Violet, éditeur, 1841.

ج. قائمة المراجع باللغة العربية.

1. جمال الدين فالح الكيلاني، الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي، دراسة تاريخية - دراسة في مصادر التاريخ الإسلامي الوسيط-، دار الزنبقة للطباعة والنشر، القاهرة، 2014.

2. علي إبراهيم كردي، ادب الزّجل في المغرب والأندلس، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة، 2013.

3 . ريتشارد سوزن، صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة وتقديم رضوان السيد، دار المدار الإسلامي، بيروت، جانفي 2006.

د. قائمة المراجع باللغة الأجنبية.

1. Almeida –Topor (d'), Hélène., L'Afrique Au XXe Siècle, Paris, Armand Colin éditeur 1993.
2. Apostolou, Irini . , L'Orientalisme des Voyageurs Français au XVIII^e siècle, Une iconographie de l'Orient Méditerranéen, préface de François Moureau, Paris, PUPS, 2009.
3. Belzgaou, Virginie., Les Récits de Voyage, Paris, Folio plus Classiques, éditions Gallimard, 2008.
4. Benachour-Tebbouche, Nedjma., Constaine et Ses écrivains-Voyageurs, Alger, Chihab Editions, 2015.
5. Bernard, Yvelise. , L'orient du XVI^e siècle à travers les récits des voyageurs français : Regards portés sur la société Musulmane, Paris, éditions l'Harmattan , 1988.
6. Camille., et Yves Lacoste., Maghreb peuples et Civilisations, Paris, éditions La Découverte, 2004
7. Caraion, Marta., Pour Fixer La Trace, Photographie, Littérature Et Voyage Au Milieux du XIXe siècle, Paris, Droz éditions, 2003.
8. Chebel, Malek., Dictionnaire amoureux de l'Algérie, Paris, Editions Plon, 2012.
9. Dulucq, Sophie., Ecrire L'Histoire de L'Afrique à L'Epoque Coloniale (XIX^e -XX siècles), Paris, éditions Karthala 2009.
10. Guilhaume, Jean-François., Les Mythes Fondateurs de L'Algérie Française, éditions L'Harmattan, 1992.
11. Guyot, Alain., Analogie et Récit de Voyage, Voir, Mesurer, Interpréter le Monde, Paris, Classiques Garnier, 2012.
12. Hambursin, Olivier., Récits du Dernier siècle des voyages, De Victor Segalen à, Nicolas Bouvier, Paris, Presses de l'université Paris-Sorbonne, 2005.
13. HATA, Koichiro., Voyageurs romantiques en Orient, étude sur la perception de l'Autre, Paris, éditions l'harmattan, 2008.
14. Laurent, Franck., Le Voyage En Algérie, Anthologie De Voyageurs Français Dans L'Algérie coloniale 1830-1930., Paris, Robert Lafont, 2008.
15. Magri, Véronique., Le discours sur l'autre, à Travers Quatre Récits de Voyage en Orient, Paris, Honoré Champion éditeur, 1995.
16. Magri-Mourgues, Véronique., Le Voyage à pas comptés, pour une poétique du récit de voyage au XIX^e siècle, Honoré Champion , Paris, 2009.

17. Nouchi, André., La Méditerranée au 20^e siècle, Armand Collin, Paris, 1999.
18. Philippe, Antoine. , et Marie-Christine Gomez-Géraud., Roman et Récit de Voyage, Paris, Presse de l'université de Paris-Sorbonne, 2001.
19. Redouane, Joëlle., L'Orient Arabe vu par les Voyageurs Anglais, Alger, Entreprise Nationale du Livre, 1988.
20. Rivet, Daniel., Le Maghreb à l'épreuve de la colonisation, Hachette Littératures, Paris, 2002.
21. Sarga, Moussa ., La Relation Orientale, Enquête Sur la Communication dans les Récits de Voyage en Orient (1811 -1861), Paris, Klincksieck, 1995.
22. Taraud, Christelle., La prostitution coloniale, Algérie, Tunisie, Maroc (1830-1962), Payot, Paris ,2003.
23. Valette, Jacques., La France et L'Afrique, L'Afrique Française du nord 1914-1962, Paris, SEDES, 1993.
24. X., Mauresques, Femmes orientales dans la photographie coloniale, 1860-1910, Pari , Albin Michel , 2003.

هـ. قائمة المذكرات باللغة العربية.

1. سليمة بودخانة، نفي رواد المقاومة الجزائرية إلى الخارج من 1830 إلى 1871، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة قسنطينة 2005.
2. إنعام زعل القيسي، صورة المرأة في أدب الرحلات من القرن الرابع الهجري إلى نهاية القرن الثامن الهجري (الرؤيا والتشكيل)، أطروحة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، إشراف الأستاذ الدكتور أنور أبو سويلم، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة مؤتة، عمان، الأردن، 2016.

و. قائمة المذكرات باللغة الأجنبية.

1. Nadia Chafik., Une Autre Lecture Du Maghreb à Travers L'Art Scriptural et Pictural Français du 19^e siècle, Thèse présentée à la Faculté des études supérieures en vue de l'obtention du grade de Philosophie Doctor (Ph.D) en études françaises, Montréal, Canada, 1988, P.P. III, IV.
2. Slimane Ait Sidhoum., Les récits de voyage en Algérie dans la presse illustrée et les revues du XIX^e siècle ou l'invention d'un orient de proximité, sous la direction de Marie-Ève Thérenty université de Montpellier 3, France, 2013.

A. Les Revues.

1. Société archéologique, historique et géographique du département de Constantine. Auteur du texte. Recueil des notices et mémoires de la Société archéologique de la province de Constantine, volume 17, Constantine, Alessi et Arnolet, Libraire-éditeur, 1875.
2. Société archéologique, historique et géographique du département de Constantine. Auteur du texte. Recueil des notices et mémoires de la Société archéologique de la province de Constantine, volume 46, Constantine, Alessi et Arnolet, Libraire-éditeur, 1912.

3.Yver, Georges., « Mémoire de Bouderbah", la Revue Africaine, n° 57, Année 1913, Office des publications universitaires, Alger, 1986.

4.Moulin, M., l'Algérie, Publication nationale, in Revue photographique , mai 1858.

5.Comité des travaux historiques et scientifiques (France), Recherche des antiquités dans le Nord de l'Afrique : conseils aux archéologues et aux voyageurs / instructions adressées par le Comité des travaux historiques et scientifiques aux correspondants, Angers imprimerie, A. Burdin et c^{ie}, 1890.

6.Notice des peintures, sculptures et dessins de l'Ecole moderne exposés dans les galeries du Musée national du Luxembourg, Charles De Mourgues Frères Imprimeurs des Musées Nationaux, Paris, 1877.

B.Articles et sites électroniques.

1.Dufief, Pierre-Jean., Alger, de l'Indigène au héros colonial,(Cahiers Edmond et Jules Goncourt), Du Pinceau A la Plume,Revue Persée, https://www.persee.fr/doc/cejdg_1243-8170_1992_num_1_1_1474 / Le 26 /10/2018/à 10H.

2.Peltre, Christine., Théodore Chassériau, Collection monographies, Gallimard, Paris, 2001, (Présentations site Gallimard : www.Galliamrd.fr/catalogue/Monographies/Theodore-Chasseriau).Le 17/05/2019,à 9H.

3.<http://www.academie-française.fr/> Les Immortels/Louis-hubert-lyautey :Louis,Grand officier de la légion d'honneur, Militaire Maréchal de France, N0 520.Le 17/05/2019,à 09.05H.

4.https://data.bnf.fr/fr/10743005/armand_du_mesnil/,Le 17/05/2019 à 09.10H.

5.Wikipedia® est une marque déposée de la Wikimedia Foundation, Inc., organisation de bienfaisance régie par le paragraphe 501(c)(3) du code fiscal des États-Unis, Dernière modification de cette page Le 17/05/2019 à 09.13H.

6.https://fr.wikipedia.org/wiki/Fichier:Hippolyte_Lazerges__A_la_fen%C3%AAtre.jpg.Le 18/05/2019 à 09.15H.

7. https://fr.wikipedia.org/wiki/Marie_Tonnoir. Le 18/05/2019 à 09.17H.

8. https://art.rmngp.fr/fr/library/artworks/marie-caire_tete-de-femme-biskra_peinture-a-l-huile.Le 18/05/2019 à 09.19H.

9. <https://peintures-algerie.blogspot.com/2020/11/la-femme-de-biskra-1899-marie-caire.html>.Le 18/05/2019 à 09.20H.

10. <https://topdestinationsalgerie.com/lalgerie-aux-yeux-du-peintre-belge-jan-baptist-huysmans>.Le 19/05/ 2019 à10H.

11. <https://topdestinationsalgerie.com/lalgerie-aux-yeux-du-peintre-belge-jan-baptist-huysmans>. Le 19/05/2019, à 10.05H.

12. https://www.auction.fr/_fr/lot/jean-baptiste-huysmans-1826-1906-belgique-femmes-au-harem-huile-sur-12589725.Le 19/05/2019.à 10. 07H.

13. <http://www.fineart-china.com/htmlimg/image-25161.html#> Le 19/05/2019.à 10.13H.

14. www.todocoleccion.net.Le 20/05/2019, à 9H.
15. Le Page de L'Algérie à Travers ses Anciennes Photos. Le 20/05/2019, à 09.05H.
16. <https://www.24hdz.com/renoir-algerie-empecher-nuit-tomber>.Le 20/05/2019, à 09.08H.
17. https://fr.wikipedia.org/wiki/Fichier:PierreAuguste_Renoir__Jeune_Fille_alg%C3%A9rienne.jpg. Le20/05/2019, à 0 9.10H.
18. <https://www.itineraireslitteraires.fr/document/pierre-auguste-renoir-odalisque-femme-algerienne>.Le 21/05/2019, à 10H.
19. https://fr.wikipedia.org/wiki/Fichier:PierreAuguste_Renoir__Femme_alg%C3%A9rienne.jpg.Le 21/05/2019, à 10.05H.
20. https://fr.wikipedia.org/wiki/Fichier:PierreAuguste_Renoir__Madame_Cl%C3%A9mentine_Valensi_Stora.jpg.Le 21/05/2019, à 10.09H.
21. https://fr.wahooart.com/@/8EWPLE-Pierre-Auguste-Renoir-Femme_alg%C3%A9rienne.Le 21/05/2019, à 10.10H.
22. https://fr.wikipedia.org/wiki/Fichier:PierreAuguste_Renoir__Jeune_Fille_alg%C3%A9rienne.jpg,Le 21/05/2019, à 10.10H.
23. <https://www.24hdz.com/renoir-algerie-empecher-nuit-tomber/>, Le 21/05/2019, à 10.10H.
24. https://fr.wikipedia.org/wiki/Fichier:PierreAuguste_Renoir__Madame_Cl%C3%A9mentine_Valensi_Stora.jpg, Le 21/05/2019, à 10.10H.
25. <https://peintures-algerie.blogspot.com/2020/11/la-femme-de-biskra-1899-marie-caire.html>, Le 21/05/2019, à 10.10H.
26. https://art.rmngp.fr/fr/library/artworks/marie-caire_tête-de-femme-biskra_peinture-a-l-huile, Le 21/05/2019, à 10.10H.
27. https://fr.wikipedia.org/wiki/Marie_Tonnoir, Le 21/05/2019, à 10.10H.
28. https://fr.wikipedia.org/wiki/Marie_Tonnoir, Le 21/05/2019, à 10.10H.
29. https://fr.wikipedia.org/wiki/Fichier:Hippolyte_Lazerges_-_A_la_fen%C3%AAtre.jpg, Le 21/05/2019, à 10.10H.
30. https://fr.wahooart.com/@/8EWPLE-Pierre-Auguste-Renoir-Femme_alg%C3%A9rienne, Le 21/05/2019, à 10.10H.
31. https://fr.wikipedia.org/wiki/Fichier:PierreAuguste_Renoir__Femme_alg%C3%A9rienne.jpg, Le 21/05/2019, à 10.10H.
32. <https://www.itineraireslitteraires.fr/document/pierre-auguste-renoir-odalisque-femme-algerienne>, Le 21/05/2019, à 10.10H.
33. <http://www.fineart-china.com/htmlimg/image-25161.html#>, Le 21/05/2019, à 10.10H.
34. https://www.auction.fr/_fr/lot/jean-baptiste-huysmans-1826-1906-belgique-femmes-au-harem-huile-sur-12589725, Le 21/05/2019, à 10.10H.

35. <https://topdestinationsalgerie.com/lalgerie-aux-yeux-du-peintre-belge-jan-baptist-huysmans/>, Le 21/05/2019, à 10.10H.

C. Pages Internet.

1. Page Facebook : L'Algérie, A Travers Ses Anciennes Photos. Le 22 /05/2019, à 10h.
2. Page Facebook : Ancienne Carte Postale /Algérie. Le 22/05/2019, à 10.15h.
3. Page Facebook : L'Algérie un grand pays d'une grande Beauté. Le 23/05/2019, à 9h.
4. Page Facebook : Photos des femmes de Boussaâda du photographe allemand Dudulf larhant. Le 20/08/2021.
5. Page Facebook : Exposé de Photographie de Timbres Postales et Cartes durant la période coloniale. Le 20/10/2020, à 10h.

D. Les Journaux.

1. Carnet de voyage au Maroc, in : journal d'Eugène Delacroix, T1, Paris, édition André Joubin , Plon ,1960.

E. Les Annales.

1. Nouvelles Annales des Voyages et des sciences géographiques, Douze année (Avril, Mai, juin 1830), publié par MM. Eyriès, de Larenaudière et Klaproth, Tome second de l'année 1830, Paris, Librairie de Gide fils, 1830.

F. Les Guides Touristiques.

1. Alger sur Soi, Guide Annuaire Pratique Avec Indicateur des Rues d'Alger et Plan de La Ville, Le Plus Utile Le Mieux Renseigné Le Seul offert gratuitement, Tirage 20.000 Exemplaires, Direction et Administration 25, Rue Maréchal-Soult, Alger, Hiver 1920.
2. Dallès, Édouard., Alger, Bou-Farik, Blidah et leurs environs : guide géographique, historique et pittoresque (2e édition) ; accompagné d'un plan d'Alger et d'une carte de ses environs, par O. Mac-Carthy. 1888, Alger, Librairie Adolphe Jourdan, 1888.
3. Guide Pratiques Conty, Algérie-Tunisie, Paris, Administration De Guides Conty, 1901.
4. Pignel, Armand., Conducteur, ou Guide du voyageur et du colon de Paris à Alger et dans l'Algérie, Alger, Chez Bastide et Brachet, 1836.

G. Les Catalogues.

1. Catalogue des tableaux et dessins modernes, composant le cabinet de M. de Tournemine, [expert], MAULDE et RENOU, Paris, 1853.

H. Les Dictionnaires.

1. Hélot, Léon., Dictionnaire de poche français-arabe et Arabe-français, à l'usage des militaires, des voyageurs et des négociants en Afrique, ouvrage honoré de la souscription du Ministre de la Guerre , sixième Tirage, Alger, Juillet Saint Lager , Libraire-éditeur ,/.,

فهارس الأعلام والبلدان والمصطلحات والملاحق

فهارس الأعلام والبلدان والمصطلحات والملاحق.

الفهارس هي مفتاح الدراسة تهدف إلى تسهيل عملية البحث، ونقدم في هذه الدراسة فهرس للأعلام والشخصيات، فهرس البلدان والأماكن، فهرس المصطلحات وفهرس الملاحق مرتبة باللغة العربية ثم الأجنبية.

أ. فهرس الأعلام والبلدان.

1. فهرس الأعلام باللغة العربية.

أ: أبو بكر محمد ابن العربي. ص. 36-39/ أبو دلف الينبوعي. ص. 39/ أبو عبدة. ص. 34/ أبي حامد الغرناطي. ص. 38، 39/ أبي مروان بن حيان. ص. 35/ أبي مخنف. ص. 35/ أبي الفدا عماد الدين بن إسماعيل. ص. 36/ ابن بطوطة. ص. 36-39/ ابن جبير. ص. 36-39/ ابن هشام. ص. 34/ ابن حوقل. ص. 36-39/ ابن حزم. ص. 35/ ابن يونة التيطلي. ص. 39/ ابن الكلبي. ص. 34، 37، 39/ ابن إسحق. ص. 34/ ابن فضلان. ص. 39/ ابن صاحب الصلاة. ص. 35/ ابن قتيبة. ص. 34/ ابن القوطية. ص. 35/ ابن شهر يار. ص. 39/ ابن الخطيب. ص. 35، 39/ ابن خلدون. ص. 35، 37، 39/ ابن خرداذبه. ص. 36/ الحاج أحمد باي. ص. 228، 229/ أحمد رمضان أحمد. ص. 40/ أحمد بن سالم حاكم الأغواط. ص. 239/ أحمد-الدليل-ص. 177/ محمد-الدليل-ص. 177/ أحمد بن المقراني. ص. 201/ أسامة بن منقذ. ص. 39/ الإدريسي. ص. 35، 36، 39/ الأصمعي. ص. 36/ أولاد أحمد. ص. 167/ أولاد محمد بن أمبارك. ص. 167، 169/ أولاد عمارة. ص. 167/ أولاد علي بن محمد. ص. 167/ عائلة أولاد زنون. ص. 237/ عائلة أولاد زرهين. ص. 237/ أولاد نايل. ص. 237/ أولاد سيدي الشيخ. ص. 240/ أولاد سيدي صالح. ص. 237/ أولاد إبراهيم. ص. 169/ أولاد جلال. ص. 167/ أولاد أمبارك. ص. 148/ أولاد بن المقدم. ص. 148/ أولاد بلخير. ص. 148/ أولاد طرش. ص. 148/ أولاد مضبي. ص. 202/ قبائل أم ماضي. ص. 148/ أولاد خالد. ص. 167/ أولاد خليف. ص. 237/ أولاد الشعابيب. ص. 237/ أولاد سيدي زيان. ص. 167/ أولاد عامر. ص. 167/ أولاد سيدي عطالله. ص. 237/ أولاد غريب. ص. 167/ أولاد مختار. ص. 237/ الأفريقيات. ص. 175/ فريديريك أوكيسط. ص. 22/ أوغيسط الثاني. ص. 22/ الأوروبيون. ص. 188، 196، 241، 268/ الأوروبي. ص. 268/ الأوروبيات. ص. 268/ الكولونيل إيلان. ص. 193/ الملكة إيزابيلا. ص. 121/ إيزابيل إيبهراد. ص. 176، 199، 319/ الإنجليز. ص. 73، 241/ الألمان. ص. 241-ألمانية. ص. 217/ الإسبان. ص. 241/ الأتراك. ص. 196، 300/ الدوق أومال. ص. 318/ بول أودال. ص. 199، 200، 255/ أبوت. ص. 19/ آلبابلات أونطوان. ص. 64-66/ آل المقراني. ص. 201/ آغا المقراني. ص. 201/ أليكس فيليكس راثو. ص. 186، 75/ الأمينوكال إخنوخان. ص. 139/ هيغ إيمبير. ص. 274/ إدوارد دالاس. ص. 259/ لاکوست نوشي وبرونون. ص. 300/ إيركهارت. ص. 285، 304/ الأب جان إيرابيل. ص. 217/ إنقراس. ص. 336، 338/ الإمبراطور قسطنطين. ص. 48، 266/ إيميل إيزامبرت. ص. 18/ الخوجة سيدي إمبرك بن بن رقاط. ص. 170.

ب: البلاذري. ص. 34، 35/ بن أمبارك. ص. 193/ المهندس بالي. ص. 243/ بامبينو. ص. 62/ جان أندريه بيسونال. ص. 20/ نجمة بن عاشور. ص. 314/ بطليموس. ص. 36، 121/ بورجي. ص. 19/ بول بورد. ص. 275/

البيروني.ص.36،39/بني حمرة.ص.177/بني سعيد.ص.34/بنات أولاد نايل.ص.175/البرزقة.ص.148/
البكري.ص.148/بيار بولون دي مانس.ص.44/آلفريد بارودون.ص.252/الأب بواربي.ص.20/آدولف بودان
ص.273/الجنرال بيدو.ص.66،201/الضابط بواسوني.ص.66/السيدة براليس.ص.161/المارشال بيجو.
ص.193/القائد الحاكم العام القائد دي بورمون.ص.312/بني مزاب.ص.140،237/أهل بوسعادة.ص.
237/الفيلسوف بوجولا.ص.229/المساعد برنار.ص.142/المساعد بروسار.ص.142/المهندس بيرينقر.ص.
142/بوبيقين.ص.142/فارديناند بروننتيار.ص.66/القديس برينو.ص.243/البريطانيون.ص.326/
البسكربين.ص.241/المؤرخ مارك بلوك.ص.269/المؤرخ بروكوب.ص.260/الصيدا بارتوسي.ص.275/
الصيدا بامبونال.ص.275/الكاتب بارتاي.ص.272/الكاتب راؤول بارفو.ص.316/لويس باسي.ص.63/
لويس بارثرون.ص.56،314،321/القائد بولينياك.ص.21،141/بوديشون.ص.59/بونافون.ص.58،59،
274/بونابرت.ص.301/بولي.ص.20/المارشال بيجو.ص.312/أوغيست بيبي.ص.33،227،311/
بيرس.ص.328/دي بوردوناي.ص.322/بوشار.ص.336/إسماعيل بوضرية.ص.139/ماري-آن دي بوفي
ص.321/بودلار.ص.328/فيليبو بارثوليني.ص.336،338/أشيل بوشي.ص.336/ماركو بولو.ص.17،
42/ثوماس بومبار.ص.336/القس بريفوست.ص.17/بريسون.ص.21/أقناس أوكتاف بلانكي.ص.49/
أوغيست بلانكي.ص.49/البروسيين.ص.73.

ج:جان دو نافار.ص.41/جمال الدين فالح الكيلاني.ص.35/جون دو جوان فيل.ص.36،37،41/جون
لوران.ص.47،168-173،177/ملك البرتغال جون الثاني.ص.121/الجزائريين.ص.188/العمة جارتريد.
ص.199/شارل جوردون.ص.252/الصيدا جيل جبرار.ص.275-جبرار قاتل الأسود.ص.275/الصيداين
جبرار وبومبونال.ص.275/جيروم.ص.336،338/الإمبراطور جوستينيوس.ص.260/أندريه جيد.ص.57،
319،323/أوجين جبراردي.ص.338/جيوفروي أتكينسن.ص.17/السيدة جارفاسي.ص.63.

د:الداي حسين.ص.231/الدينوري.ص.35/دأفيزاك.ص.21/الضابط دumas.ص.139،236/آلفونس دودي
ص.19،63،65،316/أرنست دودي.ص.65/ليون دودي.ص.65/دومي آدونسون ليون.ص.57/دي
فونتراس.ص.173،255/دي فونتان.ص.23،29/ديانوس.ص.142/ديسميري.ص.142/هنري ديفيري.ص.
141/ديلوجي.ص.142/أليكسندر ديما.ص.66،275،314-338/ماكسيم دي كومب.ص.69،127/
اللورد ديف قوردين.ص.289/الجنرال أوجان دumas.ص.21،319/أوجين دي لكروا.ص.61،69،288،
338/أليكسي دي طوكفيل.ص.300،301/القنصل دوفال.ص.311/الكاتب الفرنسيدي شاسن.ص.332/بول
إيلي دي بوا.ص.338/إيتيان ديني.ص.339/ديرو دو لا مال.ص.20/شارل ديميلي.ص.63.

ه: جون أرنست هابنسترايث.ص.22/جون بابتيست هايتمان.ص.338،336/الهيثم بن عدي.ص.34/قبائل
الهلال.ص.237/الهمداني.ص.36/هشام الكلبي.ص.36/هيرودوت.ص.35،40/فيكتور هيقو.ص.64.

و: وهب بن منبه.ص.34/الواقدي.ص.34/آلبر وولف.ص.125.

ز: الزهري.ص.34/عروة بن الزبير.ص.34/زيدانة.ص.321/زكي محمد حسن.ص.34،35،40/إيميل زولا.ص.19،316.

ح: عبد الملك بن حبيب.ص.35/شعيب حليفي.ص.39/حسني محمد حسين.ص.35،40/حسين محمد فهميم.ص.35،40/حسين نصار.ص.40/حسين داي.ص.404/حسين صياد الأسود.ص.270/الولي الصالح الحاج عيسى.ص.239/الحاج العربي خليفة الأمير عبد القادر.ص.239/الحضر.ص.241.

ط: الطبري.ص.34،35/الطوسي.36/الطوارق.ص.142/طوارق الناجر.ص.142.

ي: اليعقوبي.ص.34،36/اليهود.ص.188،196/اليهودية.ص.334-اليهوديات.ص.175/يهوديات قسطنطينة.ص.198.

ك: الكندي.ص.36/الإمبراطور كاركلا.ص.56/ماكسيم دي كومب.ص.61،329،330/كريستوف كولومب.ص.121/كوتين.ص.18/القديس كلود.ص.158/القائد الأعلى كروزي.ص.242/الضابط كاريت.ص.21/المساعد كابيلو.ص.142/شارل كارثورون.ص.252/ماركوث دي كيفيار.ص.273،274/جون كاستيراس.ص.273/أنطونيو فابريس إيكوستا.ص.336/جورج كليمان.ص.336/الشاعر البريطاني كيبليغ.ص.289/كاتب ياسين.ص.315/الكرافة.ص.196/الكاردينال لافيغري.ص.215/مارثا كاريين.ص.329/الكوساك.ص.73/ماك كارتني.ص.91.

ل: لالة زينب.ص.166-168/لويس التاسع.ص.41،42/لويس الرابع عشر.ص.323/الضابط وردن لانغ.ص.137،138/العالم لوش.ص.139/جون لوران.ص.314،338/فرانك لوران.ص.315،319/بول لورانس.ص.57/الكاردينال لافيغري.ص.56،217/بيار لوتي.ص.64،65،162،163/الأب لوايي.ص.260/بول لوغوي.ص.335/ليون الإفريقي.ص.314/جون دو ليري.ص.17/الشاعر لامارتين.ص.327/جارميني لاسيترو.ص.63/هيولييث لازارق.ص.337،339/الإخوة ميشال ليفي.ص.50.

م: الحاج محمد.ص.256/محمد قصد الله.ص.202/المدائني.ص.34/مسكويه.ص.34،35/المسعودي.ص.36،37،39/المقدسي.ص.36،37/المقرزي.ص.35/محمد بن جزي الكلبي.ص.30/المغول.ص.41،42/أرنست مارسبي.ص.33/كزافيي مرمي.ص.49،55،56/مافيو.ص.42/ماني إيدوارد.ص.335/ماركو الكبير.ص.42/المالطيين-المالطيات.ص.334/المسيحيين.ص.42/محمد بن بلقاسم.ص.167،169/محمد بن الحاج.ص.168،169/محمد بن عبد الله.ص.169/محمد بن عبد الرحمن بوقبرين.ص.167/محمد بن عزوز.ص.167/المتورني.ص.201/ميقوني.ص.336/القائد ماسون.ص.142/قاي دي موباسون.ص.19،175،301،314/مارجولي.ص.142/سيدي محمد بن عيسى.ص.251/إيميل ماسكوري.ص.256،319/سلطان المغرب مولاي إسماعيل.ص.252/الملك ماسينيسا.ص.277/القائد الروماني ماريوس.ص.261/ماريا

ثيريزا أسمر.ص.304/مولان.ص.331/مارشيبس.ص.18/ليسيان ميهلفالد.ص.63/روني مويران.ص.63/
مارك دي مونتيغو.ص.66/آرموند دي ميسنيل.ص.67/ماريلها.ص.69.

ن:نصر بن مزاحم.ص.35/ناصر خسرو.ص.37/النايلية.ص.153-النايليات.ص.154،175/نونة.ص.
161،162/نيكولو.ص.42/نابوليون الثالث.ص.136/نويلا.ص.250/نيفرثيتي.ص.339/نودي شارل.ص.
330/نارفال.ص.335/نقولا زيادة.ص.40.

س:السائح أبو الحسن الهروي.ص.39/السيرافي.ص.39/السخاوي.ص.35/بني سعيد.ص.35/عريب بن
سعد.ص.35/سارقا موسى.ص.40،43،287،304/سليمان آيت سيدهم.ص.45/سالفندي.ص.49/الضابط
ساد.ص.66/سولايمة ابنة قدور.ص.164-سولايمة.ص.162،163/ريتشارد سوزن.ص.120/سبيثزبارغ.
ص.139/سيدي الجيلالي.ص.213/سيدي عبد الرحمن بن أيوب.ص.166/سيدي محمد بن عيسى.ص.
251/سي مصطفى.ص.167/الشيخ سي مختار بن خليفة.ص.167/سي محمد بن حاج محمد بن بلقاسم.
ص.167/سي محمد.ص.167،169/القائد سعيد بن بو داود.ص.201/مانات سالومون.ص.63/السعايد.
ص.237/قبائل السرغين.ص.237/سيدي مخلوف.ص.237/سكان الجبال القبائل.ص.241/سالزمان.ص.
330/قاستون سان بيبير.ص.338/الأب سوشي.ص.55،56/جورج ساند.ص.61/السلاف.ص.73.

ع:عبد الله.ص.62/عبد الملك بن حبيب.ص.35/الأمير عبد القادر.ص.193،189،239،200،194/
علي إبراهيم كردي.ص.40/عوانة بن الحكم.ص.35/عريب بن سعد.ص.35/قبيلة عرية.ص.237/قبيلة
العمور.ص.237/القائد العربي عقبة بن نافع.ص.208/العرب.ص.196/سي عثمان.ص.137.

ف:رشيد الدين فضل الله.ص.35/لويس فايو.ص.194،192/جوليان فيو.ص.64/فيليب الرابع.ص.37/
فيليب الرابع.ص.41/الملك فارديناند.ص.121/آرنست فايو.ص.33،311،315/فاطمة.ص.125،160-
162،173،331،338/فايزة.ص.165/فاطمة الزهراء.ص.203/أوجين فرومونتان.ص.69،126،195،
314،338/هوراص فارني.ص.61،339/فولي.ص.21/فلوبير.ص.61،314،311،315/فيلمان.ص.19/
فلاتير.ص.139/الفرنسيين.ص.33،47،188/الفرنسيات.ص.175،334/القديس فانسان.ص.243/القائد
فورور.ص.142/جيل فيري.ص.302/أوكتاف فاييث.ص.19/فاقي إيميل.ص.18،63.

ص:الإصطخري.ص.36/صالح باي.ص.229/صديق.ص.202/بول صولي.ص.139-141.

ق:القصادي.ص.38/عاصم بن عمر بن قتادة.ص.34/قتيبة.ص.35/القديس لويس.ص.41/القبائل.ص.
196/قبائل بني عامر.ص.237/قبائل زناتة.ص.237/قبائل الأغواط كسال.ص.237/قبيلة العراية الكبرى.
ص.237/قبيلة سيدي عطاء.ص.237/قبيلة الغزلية.ص.237/الطبيب قيار.ص.142/الرحالة بنجمين
قاستينو.ص.177،272/قبائل أولاد نائل.ص.237/قبائل العسافية.ص.237/قبائل العمورة.ص.237/قبائل
قصر دما.ص.237/القبائل البدوية المرتحلة.ص.237/قائد الأبيض سيدي شيخ.ص.237/تيوفيل قوتيي.

ص. 61، 195، 314، 327، 338/الإخوة قونكور. ص. 19/إيدموند قونكور. ص. 63، 64/جيل قونكور. ص. 63/إنعام زعل القيسي. ص. 34/القوقازيين. ص. 73.

ر:الرسول صلى الله عليه وسلم. ص. 35/الرازي. ص. 35/رفائيل. ص. 229/رشيد الدين فضل الله. ص. 35/الممثلة اليهودية راشال. ص. 192/المساعد رابودان. ص. 142/الرواحنة. ص. 240/الرحامن. ص. 237/روزي. ص. 21/روستيشيلو دي بيسي. ص. 42/الكاتبة لويس ريجيس. ص. 232، 249/جوال رضوان. ص. 305/رومنس. ص. 62/أوغيست رونوار. ص. 336، 337.

ش:شارل العاشر. ص. 21/شارل ماركوث دي كيفيار. ص. 275، 274، 229/الكاتب شارل كارتورون. ص. 229/شالون. ص. 172، 275/شاطوبريان. ص. 18، 19، 64، 325، 327/الكاتب شارل فيرو. ص. 230/التاجر الجينوي شيافينو. ص. 231/شاربولي. ص. 19/شاسيريو. ص. 336/الصياد الشاسيين. ص. 275/وليام شالر. ص. 21/مالك شبل. ص. 323، 335، 339/عبد الرحمن الشوابكة. ص. 39/شرحبييل بن سعد. ص. 34/الشعانية. ص. 140، 237/طوماس شو. ص. 22، 314/شوقي ضيف. ص. 40/شعيب حليفي. ص. 39.

ت:تارقيات. ص. 338/تونسيات. ص. 175/زعيم آهقار الشيخ تيسي. ص. 142/عائلة تجانية. ص. 239/تيودورة. ص. 171/جون تيفو. ص. 323/كريستال تاروا. ص. 332/أونج تيسي. ص. 338/طوممي تيري. ص. 69.

ث: الضابط ثريميلي. ص. 273/ماري كار ثونوار. ص. 336، 337، 339/أوندري ثيفا. ص. 17.

خ:الخوارزمي. ص. 36/الخان الأكبر خوبلاي خان. ص. 42/خديجة-ويناتها-. ص. 165-فاطمة. ص. 165-فايزة. ص. 165.

غ: الغازلية. ص. 237/الغال. ص. 295.

2. فهارس الأعلام باللغة الأجنبية.

A: المؤرخ CH.R. Ageron. ص. 294/ Paul Achard. ص. 303/الرحالة d'Aligny. ص. 17/ Albalat, Antoine. ص. 64/الروائي About. ص. 19/ Philippe Antoine. ص. 310، 309/الباحثة Irini Apostolou. ص. 123/ Arnault. ص. 70/المؤرخ Pol. ص. 70/ Geoffroy Atkinson. ص. 17/ Général Attalin. ص. 132/الشاعر J. AUTRAN. ص. 192/ Saint Augustin. ص. 260/الملك FREDERIC-AUGUSTE. ص. 22/ Paul Eudel. ص. 255/ الدوق Duc d'Aumale. ص. 301/ Maria Theresa Asmar. ص. 306/الجنرال d'avezac. ص. 21.

B: المهندس Ballu. ص. 210/ Balzac. ص. 61/الكولونال Baral. ص. 210/الرحالة Alfred Baraudon. ص. 135/ Le Docteur Henri Barth. ص. 252/ J. Bertagna. ص. 145، 138/ Baudelaire. ص. 299/ Filippo. ص. 328/ Bartolini. ص. 336/النائب Barodet. ص. 51/الجنرال Bedeau. ص. 201/ Jacques Berque. ص. 303/ Louis Bertrand. ص. 81، 314، 321/ Auguste Besset. ص. 33، 227، 311/ Marie Cavellet de Beaumont. ص. 33/ Adrien Berbrugger. ص. 53/الباحثة Yvelise Bernard. ص. 45/ Sarah Bernhardt. ص. 161/الكاتب Conrad. ص. 20/ Agnès-Octavie Blanqui. ص. 49/ Auguste Blanqui. ص. 49/ الجغرافي الدنماركي David Boucher. ص. 134/ Victor Adolphe Malte-Brun. ص. 145/ Bou-amama. ص. 146/ Boulet. ص. 127/ Boudeville. ص. 51/ Gustave Boulanger. ص. 60/ Paul Bourde. ص. 51، 190/ المؤلف Bovary Madame. ص. 20/ Le Capitaine de Spahis de Bonnemain. ص. 140/ MM Bonnemain.

Le général de /258، 71.ص. Le commandant Bourbaki القائد /141.ص. Duveyrier et Henri /141.ص. Bourmont /312.ص. Brunetière /66.ص. السيد Brugnier-Roure /201.ص. PP. Bouchard /274، 59، 58.ص. Bonnafont, Jean-Pierre /336.ص. Thomas Bompard /59.ص. Bodichon /336، 136.ص. Boschi /336.ص. المصور Léon Bouët /325.ص. الكاتب O. De La Bourdonnaye /325، 322.ص. الروائي Bourget /19.ص. القائد العام de Bourmont /313.ص. المؤلف Brissou /21.ص. الماريشال Bugeaud /321، 81.ص. Marie-Anne De Bovet الرحالة /81.ص. La Marquise de Bois-Hébert مركزية /301.ص. Blandan /113.

C: الضابط De Charlet /136.ص. الملك Charles X /41، 21.ص. الروائي Cherbuliez /19.ص. الكولونال Canrobert /210.ص. الجنرال Carrette et Rozet /21.ص. الضابطان /329، 318، 290، 127.ص. Du Camp, Maxime /128.ص. Jules Claretie /139.ص. vicomte de /253.ص. Charles Carteron الرحالة /266.ص. Archevêque de Cambrai /49.ص. Calonne /190.ص. Le Général Changanier الجنرال /140.ص. Chaâmba /246.ص. Chabert /237.ص. Cavaignac /178.ص. الرسام Clairin /339، 336.ص. Jean-Jules Clamageran /250، 53.ص. Chéret /122.ص. Colomb Christophe /141.ص. Choisy المستكشف /137.ص. Clapperton /76.ص. Claparède القانون /243.ص. Crouzet /51.ص. Crozet-Foumeyron النائب /161.ص. Coupée /287.ص. Gabriel Colin القانون /336.ص. Antonio Fabres y Costa /260.ص. Saint Cyprien القديس /77.ص. Cuvillier-Fleury /231.ص. Cosenques /73.ص. Catenacci /214.ص. Comte

D: Édouard Dallès /258.ص. Alphonse Daudet /318، 190، 65، 19.ص. Mme Daudet /65.ص. Ernest /54.ص. Dauzats /301، 141، 21.ص. le général Eugène Daumas /65.ص. M. Léon Daudet /65.ص. Davidson /138.ص. Decamps /318، 54.ص. Delacroix /318، 127، 74.ص. Desfontaines /20.ص. Charles /339.ص. Etienne Dinot /312.ص. Deval القنصل الفرنسي /63.ص. Demailly /338.ص. الطبيب Duchesne /332.ص. E. A. Dufour /208.ص. الضابط Duclos /136.ص. De /338.ص. Dumas /318، 66.ص. Amédée Durande /74.ص. الجغرافي العالم Duveyrier /142.ص. Denham /137.ص. المستكشف Camille Douls /136.ص. الرحالة Edmond Doute /251.ص. الرحالة Henri Drouet /257، 78.ص. Dournaux-Duperré /136.ص. أسقف الجزائر M. A. A. Dupuch /266.ص. Duponchel /142.

E: Isabelle Eberhardt /80.ص. Eudel, Paul /201، 167.ص. le comte d'Estourmel /289.

F: Émile Faguet /61، 18.ص. Ernest Fallot /212.ص. النائب Farcy Devade du Loiret /51.ص. الملك /122.ص. Alfred Feuillet /131.ص. Octave Feuillet /49.ص. Ernest Feydeau /255، 52.ص. Armand Trumet De Fontarce /51.ص. Fousset النائب /21.ص. Follie /61، 49.ص. Flaubert /318، 67.ص. Eugène Fromentin /143.ص. Saint Fulgence /46.ص. المستكشف Flatters /260.ص. Roberto Fraugi /142.

G: Ch. De Galland /167.ص. Antoine Galland /123.ص. Gastineau, Benjamin /272، 79.ص. النائب /51.ص. Téophile Gautier /318، 301، 258، 130، 49.ص. M. Gazeau de Vautilbaut /142.ص. Gastu /258.ص. Madame Gervaisais /63.ص. Gérôme /336.ص. Marie-Christine Gomez-Géraud /56.ص. André Gide /310، 309.ص. Girardet الرسام /56.ص. Eugène Girardet /127.ص. Raphaël Giorgione /318، 63، 62.ص. Edmond Goncourt /318، 62، 49، 19.ص. Les Frères Goncourt /51.ص. النائب Girerd /318، 62.ص. L. Duff Gordon /167.ص. Doumet-Adanson, Léon /289.ص. Jean-François /132.ص. Guillaume /292.ص. M. Guiauchain الرسام /167.ص. الباحث Jean-François /204.ص. Tante Gertrude /49.ص. Georges /295.ص. Guillaume

H: Victor Hugo /41.ص. Hérodote /85.ص. Hélot, Léon /80.ص. Slimène Ehnne /70.ص. Victor Havard /64.ص. الحاوي Robert Houdin /251.ص. Louis Hourticq /61.ص. الأب L'Abbé Jean Hurabielle /22.ص. Jean. Ernest HEBENSTREIT الطبيب /336.ص. Jean-Baptiste Huysmans الرسام

I: Ingres /336، 301.ص. الملك Isabelle /122.ص. الكولونيل Illen /190.ص. Le Colonel /140.ص. Ikhenoukhen /18.ص. Emile Isambert الطبيب

J:النائب Jacques.ص.51/ملك البرتغال Jean II.ص.121/Jean De Joinville.ص.41/النائب (Albert) Joley.ص.51/النائب Jozon.ص.51/Joubert.ص.136/الرحالة Charles Jourdan.ص.252.

K: Koichiro Hata.ص.124، 290/Kipling.ص.289/Khubilai.ص.42.

L: Germinie Lacerteux.ص.63/الكاتب Y.Lacoste.ص.294/Le Major Gorton Laing.ص.138/M.Landon.ص.236، 243/Lamartine.ص.286، 311، 318/الرسام Charles Landelle.ص.339/الضابط De Longeville.ص.136/الرسام Paul Laurens.ص.57/الكاتب Franck Laurent.ص.315/الرسام المستشرق Hippolyte Lazerges.ص.337/النائب Lecomte.ص.51/Leconte de Lisle.ص.62/النائب (Louis) Legrand.ص.51/الضابط Léon Lehuraux.ص.135، 136/Lelièvre.ص.51/Paul Leroy.ص.335/المهندس Ferdinand De Lesseps.ص.137/النائب Levavasseur.ص.51/Michel Lévy.ص.50، 131/Bernard Lewis.ص.287/Victor.ص.260/رئيس الجمهورية الفرنسي Emile Loubet.ص.325/الكولونيل Lourmel.ص.210/Louis IX.ص.41/النائب Lucet.ص.51/Jean-Vaast DeLarorière.ص.287/Louis Hubert Lyautey.ص.303.

M:الرحالة الإنجليزي Madden.ص.285/Edouard Manet.ص.335/Fernand de Magellan.ص.123/الكاتب Dureau de la Malle.ص.20/Victor Adolphe Malte-Brun.ص.146، 147/Brun Conrad Malte.ص.146/146.ص.44/Pierre Belon du Mans.ص.44/Véronique Magri-Mourgues.ص.309، 310/النائب Magniez.ص.51/الفنان Marilhat.ص.69، 127/E.Marienstras.ص.295/الرحالة Xavier Marmier.ص.48، 214، 318/الرحالة Émile Masqueray.ص.18/Marchebus.ص.256، 318/Guy de Maupassant.ص.19، 133، 302، 318/Ernest Mercier.ص.63/Renée Mauperin.ص.66/Marc de Montifaud.ص.212/Le Général Marey-Monge.ص.336/Migonney.ص.67/Moraite.ص.286/الرحالة Jean Moréas.ص.79، 318/E.Morinaud.ص.299/الكاتب M.Moulin.ص.331/Lucien Muhlfeld.ص.63/M'tourni.ص.203/Morat.ص.136/Ménoret.ص.136/Ménard-Dorian.ص.286/Le Commandant D'Etat-Major Mircher.ص.51/Montesquieu.ص.142.

N:الملك البرتغالي Henri Le Navigateur.ص.122/جنرال Négrier.ص.135، 201/الضابط De Niéger.ص.136/Charles Nodier.ص.53، 330/النائب Noël Parfait.ص.51/Noëlat.ص.250/Mme Marie Noël.ص.262/الإمبراطور Napoléon III.ص.49، 54/Naeyer.ص.215/Léon Verhaeghe de.ص.294/A.Nouschi.ص.41/Jeanne de Navarre.ص.287، 318.

O: Niel, Odilon.ص.209/Le Duc d'Orléans.ص.53/Oudnay.ص.137/الطبيب Adolph Overweg.ص.138.

P: Louis Passy.ص.63/النائب (Arthur) Picard.ص.51/Pignel, Armand.ص.75، 88/Lord Pembroke.ص.132/le Général Pélassier.ص.213/Alain Le Pichon.ص.286/المفكر الأمريكي Charles Sanders Peirce.ص.328/Plumkett.ص.164/l'Abbé Prévost.ص.17/Le Lieutenant Palat.ص.136/Paulmier.ص.142، 21/Le Capitaine Polignac.ص.20/Jean André Peyssonnel.ص.294/الرحالة A.Prenant.ص.136/المستكشف Pouplard.ص.122/Ptolémée.ص.20/l'Abbé Poirer.ص.42/Rustichello de Pise.ص.42، 123/Marco Polo.ص.142/الرحالة Pouyanne.ص.123، 42.

Q: Edgar Quinet.ص.302/المؤلف Quetin.ص.18.

R: Raffet.ص.54/Alexandre-Félix, Ratheau.ص.75، 186/Le Maréchal Randon.ص.139، 215، 296/Le Auguste.ص.254/Joëlle Redouane.ص.305/الرحالة الكاتبة Louis Régis.ص.132/Daniel.ص.93/الرسام Rembrandt.ص.300/Le Duc De Rovigo.ص.132/Roberto Fraugi.ص.21/Rivet.ص.138/Richardson.ص.21/Rozet.ص.138/الجنرال.

S: Edward Saïd.ص.306/الناقد الأدبي Sainte-Beuve, Charles-Augustin.ص.50/الرحالة Ida Saint-Elme.ص.79/Manette Salomon.ص.63/Auguste Saltzmann.ص.330/وزير التعليم العام Salvandy.ص.49/Georges Sand.ص.61/Thomas Shaw.ص.22/William Shaler.ص.22/L'Abbé Suchet.ص.55، 267/Mathilde Stevens.ص.128/رئيس الدير الأب M. l'abbé Léon Sibour.ص.268/السيد M.Stefanoni.ص.231، 266/المستكشف Soleillet.ص.141، 142/Gaston Saint-Pierre.ص.336، 338/Spitzberg.ص.144.

T:الباحثة Christelle Taraud/332.ص. المؤلف André Thévet/323، 17.ص. Tellier Jules/56. Ange
Tessier/338.ص. Tertullien/260.ص. الرسامة المستشرقة Marie Caire-Tonoir/336، 339.ص. Trumelet/339.
237، 273. الرحالة الفرنسي Jean Thévenot/323.ص. M. Thiers/88.ص. النائب Thomson/51.ص. Thomy-
Thiery/69.ص. النائب Tiersot/51. Alexis de Tocqueville/301، 72.ص.

U: Ismayl Urbain/306، 54.ص. الرحالة الإنجليزي Urquhart/285.ص.

V: Valentine/49.ص. Le maréchal Valée/55.ص. J-C Vantin/295.ص. Gama Vasco de/122.ص.
Vautilbaut M. Gazeau de/142.ص. Louis Veuillot/189.ص. Amerigo Vespucci/123.ص. Les Frères
Vivaldi/122.ص. Jules Verne/318، 76.ص. Horace Vernet/73، 132، 213، 231، 318.ص. Julien Viaud/64.
Carle Vernet/318، 73.ص. النائب Villain/51.ص. الناقد Villemain/19.ص. M.E. Vayssettes/205.ص. M^{me}
Clémentine Valensi Stora/338.ص.

W: Albert Wolff/129.ص.

Y: Le Commandant Yusuf/132.ص.

Z: Emile Zola/19.ص. Léocadie Bogaslawka Zelewska/49.ص.

3. فهارس البلدان والأماكن باللغة العربية.

أ: الأبيار/312.ص. الأبييض سيدي الشيخ/334.ص. الأوراس/321.ص. الأوراس الشرقي/321.ص. أحياء باب
الواد/312.ص. أولاد جلال/167.ص. الأندلس/37، 38.ص. أمريكا/122.ص. أمريكا الوسطى/122.
ألمانيا/137.ص. الأربعاء ناث إيراثن/208.ص. الأطلس/37.ص. أراضي الحساسنة الشراقة/273.ص. أرض
الكنانة/37.ص. الحصنة/199، 256.ص. الأرض المقدسة/41.ص. أعالي النيل/122.ص. أعالي مصطفى.
ص. 186.ص. أريتيريا/136.ص. أستراليا/122.ص. ألب الهقار/145.ص. أرض إفريقيا/39، 46، 273.ص. القارة
الإفريقية/39.ص. إفريقيا الشمالية/37، 38، 41.ص. أواسط أفريقيا/37، 122، 136.ص. إفريقيا الشرقية/ص.
136.ص. إفريقيا الغربية/136.ص. إفريقيا الإستوائية/136.ص. أفغانستان/37.ص. أوروبا/38، 136.ص. الأغواط
ص. 140، 212، 141.ص. الأغواط كسال/212.ص. شبه جزيرة إيبيريا/227.ص. الإيدوغ/273.ص. جبل الإيدوغ
ص. 273.ص. إيالة الجزائر/186.ص. إيطاليا/136، 42، 136، 229، 320.ص. إسبانيا/320، 227.ص. إسبانيا/ص.
320.ص. إسطنبول/229.ص. الإسكندرية/229.ص. آغا/186.ص. (زبوزج الآغا قديما والجزائر الوسطى حاليا)/
الاهقار/138.ص. أزهار/145.ص. آسيا الصغرى/41، 42.ص. آفينيون/98.ص. آفلو/334.ص. آقبو/ص.
167.ص. آرزبو/75.ص. آرل/98.ص. آروان/138.ص. آقاداس/141.ص. لأرجنتين/122.ص.

ب: باب أغرام بابا سعد/147.ص. باب الجابية/197.ص. باب الجديد/197.ص. باب الواد/197.ص. باب
الصخرة/197.ص. باب القنطرة/196، 197.ص. باب فالي/197.ص. باب عزون/94، 143، 312.
باريس/18، 47، 91، 314.ص. دول الباربراسك/136.ص. بوزريعة/186.ص. بيت المقدس/41.ص. البصرة.
ص. 35، 37.ص. مدينة بالوس/122.ص. باتراس/288.ص. باطاقونيا/122.ص. بلخ/37.ص. بلاد بابل/41.
البندقية/42.ص. بيكين/42.ص. قرية بيج/273.ص. باتنة/57، 203، 278.ص. بون/55.ص. بونة/23.
البحرين/37.ص. بسكرة/145، 167، 203.ص. بوغار/107، 169، 203.ص. بوغاري/213.ص. بوغزول/ص.

213/بوسعادة.ص.57،167،168،203،321/البرج.ص.208/البرج بالزيبان.ص.167/برج السعادة.
ص.216/منطقة برج بوعريريج.ص.203/بجاية.ص.75،203،267/بوفاريك.ص.203/البوريون.ص.91،
97،105/البورقون.ص.91،97،105/بودواو.ص.167/بودرم.ص.41/البحر الأسود.ص.41/بلاد بنو مزاب
ص.145،212/بلاد نوميديا.ص.267/بونة.ص.195،262/قبائل البرزقة.ص.148/قبائل بوروبة.ص.
148/بريطانيا.ص.136/نزل بارترون.ص.211/محل براليس.ص.160/مملكة البرتغال.ص.122/البليدة.
ص.57،75،189،203-بليدة/بليدة وريدة.ص.195/نهر بوجيمة.ص.263/بني يزقن.ص.146/بني سالم.
ص.238/بونورة.ص.146/البشيلقة.ص.200/بحيرة التشاد.ص.138/بحيرة زراز.ص.238/بوشقرون.ص.
208/بن تيهوس.ص.208/بيقو-الزاوية.ص.208/حي البيراميد.ص.86.

ج:الجزائر.ص.45-48،57،60،186/الجزائر العاصمة.ص.48،75،195،317/الجزائر المستعمرة.ص.
302،46/الجزائري.ص.321/الجامع الكبير.ص.197/بلاد الجريد.ص.145/الجبل.ص.334/جبل أم السعد
ص.167/جبال الأطلس.ص.193/جبل خليل.ص.240/جبل بوخليل.ص.238/جبال وهران.ص.302/
جبل زكار.ص.188/جبال المعاضيد.ص.200/جبال لارباع.ص.278/جبل ماوية.ص.243/جبال العمور.
ص.169،212،238/جبل قاوس.ص.208/جبل تيلاتو.ص.208/جبال ششار.ص.321/الجنوب الوهراني
ص.302،321/الجنوب القسنطيني.ص.57/الجلفة.ص.238/دائرة الجلفة.ص.325/جينوة.ص.42/جنيف
ص.93/الجزيرة العربية.ص.38/جزر الأنتيل.ص.122/جزر المحيط الهادئ.ص.122/الجسر الروماني.
ص.196/جسر واد اقصب الحجري.ص.204.

د:دبيح شريف.ص.186/ديدوش مراد.ص.186/درج روفيقو.ص.186/الدراعة.ص.208/دراسد.ص.22.

هـ:الهند.ص.37-39،42،122/هاليكارناس.ص.41/منطقة الهامل.ص.166/هضبة الحضنة.ص.202،
204/هضبة سوليير.ص.186/الهضاب العليا.ص.322/هييون.ص.55،261،262.

و:منطقة الواد.ص.145/واد إيسر.ص.142/واد إيغرغار.ص.143/واد بسكرة.ص.145/واد جدي.ص.236،
239،240/واد دماص.ص.240/واد الحضنة.ص.200/الواد الكبير.ص.236/واد مية.ص.236/واد مزي.
ص.238/واد ميزاب.ص.141/واد مسيلة.ص.200/واد ناصر.ص.240/وادي نون.ص.137/واد سوس.
ص.137/وادي مسك.ص.236/واد عيدي.ص.239/واد عنقيلة.ص.239/واد عسلة.ص.239/وادي ريغ.
ص.236/واد القطرة.ص.145/واد القصب.ص.200/وادي الرمال.ص.196،197/واد الشلف.ص.188،
203/ورقلة.ص.60/وهران.ص.60،75،106،164،195،317/واحات الزيبان.ص.145/واحات بسكرة.
ص.145/واحات بني ميزاب والشعانية.ص.141،145/واحات توات.ص.147/واحة بني مرة.ص.211،
215/واحة علياء.ص.209/واحة الوماش.ص.209/واحة الشنمة.ص.209/واحة الدراعة.ص.209/واحة
سيدي عقبة.ص.209/واحة الزرطة.ص.209/واحة تهودة.ص.208/واحة سريانة.ص.208/واحة سيدي
خليل.ص.209/واحة مليلي.ص.208/واحة زاوية مليلي.ص.208/واحة بيقو-الزاوية.ص.209/واحة أورلال

ص.208/واحة المناحلة.ص.209/واحة بنتهيوس.ص.208/واحة المخادمة.ص.209/واحة ليو.ص.209/واحة صهيرة.ص.209/واحة بوشقرون.ص.209/واحة ليشانة.ص.209/واحة فرفار.ص.209/واحة طولقة.ص.209/واحة البرج.ص.208/واحة فوغالة.ص.208/واحة العمري.ص.208/واحة الزعاطشة.ص.208/واحة ليانة.ص.209/واحة قصر.ص.209/واحة بادس.ص.209/واحة زريبة الواد.ص.209/واحة زريبة أحمد.ص.209/واحة عين ناقة.ص.209/واحة القنطرة.ص.209/واحة الوطاية.ص.209،212/واحة الشقة.ص.209،216/واحة الغات.ص.141/واحات الفقيق.ص.321/وسط الزيبان.ص.209.

ز: زابي القديمة.ص.208/زاب بسكرة.ص.208/الزاب الشرقي.ص.208/الزاب القبلي.ص.208/الزاب الظهراوي.ص.208/الزيبان.ص.106،238/الزيبان الشرقي.ص.208/زاوية سيدي الحاج عيسى.ص.245/قرية زكار.ص.238.

ح: الحامة.ص.232/الحجاز.ص.37/حجوط.ص.106/الحضنة.ص.177/حاسي إنفال.ص.142/حاسي مسقم.ص.142/حاسي مسقن.ص.142/حي الثورة.ص.160/حي البحري.ص.175/حي الفرنسي.ص.175،197/حي الإسباني.ص.205/حي الفرنكي.ص.334/حي اليهود.ص.197،198،334/حي العربي.ص.175،197،252/حي أولاد زرين.ص.245/أحياء القصبة بالعاصمة.ص.227/الحراش.ص.203/الحويطة.ص.213/قصر الحيران.ص.238/حصن الدايات.ص.227/حصن سان جرمان.ص.243/قرية الحمراء.ص.238/حديقة لاندون لونجفيل.ص.243.

ط: طنجة.ص.37/طرابلس.ص.137/طولون.ص.88/جبال بلاد الطوارق.ص.142/الطوغو.ص.137.

ي: يافا.ص.41/اليونان.ص.124،288.

ك: كراكوروم.ص.42/كامبالوك.ص.42/كامبريدج.ص.328/الكاميرون.ص.137/الكوفة.ص.35/كالكوثا الهندية.ص.121/حي كاثاروجيل.ص.50/كنيسة السلام.ص.265/كدية عاطي.ص.197/الكاميرون.ص.136/كوكة.ص.137/كاوفصة.ص.141/كورسيكا.ص.320/كيرش.ص.186/كونتينونتال.ص.186.

ل: لبنان.ص.37،287/لاله مغنية.ص.322/ليون.ص.88،91،136/مدينة ليفورن.ص.231،395/كنفدرالية الرواتيس.ص.238/لاروشال.ص.67.

م: الماية.ص.238/ماساشوسا.ص.328/مدي.ص.48،75،189،203/المدينة.ص.35/المدن العربية.ص.244/المدينة الميته.ص.244،245/مدينة الأغواط.ص.245/محل باريس.ص.90/محل تارنوكس.ص.9/المنصورة.ص.41،196/مستغانم.ص.60،75،195،262/مستغانم الفرنسية.ص.195/ميشلي.ص.186/مليانة.ص.188،189/قرية المجابرة.ص.238/مرو.ص.37/مصر.ص.37،38،41،73،329،330/مكة.ص.37/المسيلة.ص.256،199/مسعد.ص.148،256،239/مرسى لكبير.ص.164/متليلي.ص.21،146/مملكة مالي.ص.37/المغرب.ص.37،302/معسكر.ص.203/المنيعة.ص.107،141،146/مليكة.

ص. 146/معسكر. ص. 75/مسجد عمر بن عبيد. ص. 201/مسجد كربة تليس. ص. 201/المسجد العتيق
مسجد بوجملين. ص. 201/المسجد العتيق علي بتشين. ص. 87/مسجد كتشاوة القديم. ص. 87/مورزوق. ص.
87/ميزاب. ص. 145، 146/المنصورة. ص. 197/منفذ كول. ص. 208/مكناس. ص. 251/مرسيليا. ص. 47،
88/ميناء سطورة. ص. 268/المحطة البحرية التجارية بالقسطنطينية. ص. 42/حي مصطفى (سيدي محمد).
ص. 186.

ن: نزل الأوازي. ص. 93/نزل الأجانب. ص. 93/نزل أوروبا. ص. 90، 93/نزل الإيالة. ص. 93/نزل باريس. ص.
90، 206/نزل جنيف. ص. 93/نزل الشمال. ص. 93/نزل بارترون. ص. 246/نزل الصحراء. ص. 210، 243،
246/نزل السيلستان. ص. 107، 246/نزل فرنسا. ص. 93-النزل الفرنسي. ص. 206/النزل الملكي. ص. 243/
نزل القائد. ص. 243/النوبة. ص. 329/نانسي الفرنسية. ص. 302/النيل. ص. 330/النعامة. ص. 241/نفزاوة.
ص. 145/بلدة نوسطادت. ص. 22.

س: سيدي بومدين. ص. 157/سيدي بلعباس. ص. 52، 60، 195/سيدي فرج. ص. 23، 312/سومطرة. ص. 37/
سور الغزلان. ص. 203/جزيرة سرنديب. ص. 37/سيريلانكا. ص. 37/ساحل بونة. ص. 262/السواحل التونسية.
ص. 41/السهل. ص. 334/سهول متيجة. ص. 195/سبتة. ص. 37/الدولة السلجوقية. ص. 37/السيبوس. ص.
265/سكيكدة. ص. 52، 195، 317/ميناء سكيكدة. ص. 262/حي سيدي محمد. ص. 186/سيرتا. ص. 266/
سطيف. ص. 203/سوسة. ص. 61/سوريا. ص. 329، 330/سعيدة. ص. 177، 203، 276/ساحة بلكور. ص.
98/ساحة الإيالة. ص. 87، 93/ساحة الجمهورية. ص. 93/ساحة الحكومة. ص. 87، 93/ساحة مالاكوف. ص.
87/ساحة الكنيسة. ص. 87/ساحة الصخرة-لابريش-. ص. 197/مسجد سيدي محمد بن يوسف. ص. 189/
سيدي مسيد. ص. 197/سيدي راشد. ص. 197/السودان. ص. 21، 38، 137-أراضي بلاد السودان. ص. 137/
سوق القاع. ص. 237/سوق لخيار. ص. 237/السنغال. ص. 138/سد فم الغرزة. ص. 278/سانيتشبرغ. ص. 73/
ساحة سولت بارغ. ص. 86.

ع: العاطف. ص. 146/العاسفية. ص. 213، 238/العناصر. ص. 186/عين الحمام. ص. 238/عين ماضي. ص.
213، 238/عين صالح. ص. 141، 142، 146، 240/عين مدينة الأغواط. ص. 213/قصر عسلة. ص. 241/
عنابة. ص. 23، 55، 231، 317/عُمان. ص. 37/العراق. ص. 37/العمورة. ص. 238، 256/العالم الجديد. ص. 42.
العالم المغولي. ص. 42.

ف: فاس. ص. 37/فندق الأمراء. ص. 100/فندق إيزلي. ص. 93/فندق بوش -دي-رون. ص. 100/فندق البحرية
ص. 93/فندق كيرش. ص. 188/فندق كونتينونتال. ص. 188/فندق الكون. ص. 93/فندق اللوفر. ص. 93/فندق
الشمال وإنجلترا. ص. 93/فندق فوصييان. ص. 100/فنيسيا. ص. 37، 42/فيليب فيل. ص. 55، 195، 262/
فلسطين. ص. 37، 329، 330/بلاد فارس. ص. 38، 41/فرنسا. ص. 21، 41، 287، 320.

ص: الصين. ص. 37-39، 42/الصحراء الجزائرية. ص. 21، 143/الصحراء الوسطى. ص. 21/الصحراء الشرقية
ص. 21/الصحراء الكبرى. ص. 21/صفاقس. ص. 61/صقلية. ص. 37/منطقة الصاكس. ص. 22.

ق: القالة. ص. 273-275/قبرص. ص. 41، 73/القصبية. ص. 186، 227/قصبية الجزائر العاصمة. ص. 186/
القدس. ص. 73، 305/قناة السويس. ص. 136، 137/قلية. ص. 75/القنطرة. ص. 61/القسنطينية. ص. 18،
73، 124، 289، 323/قسنطينة. ص. 23، 55، 175، 195، 314/قونطاس. ص. 189/قصبية بونة. ص. 260/
قصبية قسنطينة. ص. 229/قصبية مستغانم. ص. 228/قصبية بني سالم. ص. 239/منطقة القصور. ص. 236/
قصور الأغواط. ص. 228/قصر أولاد جلال. ص. 240/قصور أولاد نايل. ص. 213، 240/قصر أحمد باي.
ص. 195، 229، 237، 243/قصر ألف ليلة وليلة. ص. 233/قصر البارود. ص. 240/قصر بن سالم. ص.
244/قصر البخاري -بوغاري-. ص. 230/قصر الداوي حسين. ص. 243/قصر الداوي. ص. 243/قصر دماذ.
ص. 240/قصر حسن باشا. ص. 243/قصر الحويطة. ص. 213، 239/قصر الحيران. ص. 213، 239/قصر
الحقائق. ص. 239/قصر الحمراء بغرناطة. ص. 239، 243/قصر مسعد. ص. 239/قصر عين ماضي. ص.
213، 238/قصر عين سلطان. ص. 240/قصر عنتيلة. ص. 239/قصر عمورة. ص. 238، 240/قصر
العسافية. ص. 239/قصر عسلة. ص. 239/قصر المنيعية. ص. 240/قصور الصافية. ص. 239/قصور
تاجموت. ص. 238/قصر الشارف بالجلفة. ص. 238/قصور الأغواط. ص. 238/قرية المجابرة. ص. 238/قرية
الزنج ببسكرة. ص. 229/قرية الوطاية. ص. 209/قرية تاجموت. ص. 239/قرية الحويطة العسافية. ص. 239/
قرية عين ماضي. ص. 239/قرطاج. ص. 266/قرطاجنة. ص. 106/قورارة. ص. 240.

ر: الرون. ص. 99/رويسو(العناصر حاليا). ص. 186/رأس الرجاء الصالح. ص. 121/رأس الحارة. ص. 200/
رأس تليس. ص. 200/روسيكادا. ص. 267/رومانة. ص. 167/الطريقة الرحمانية. ص. 166، 167/روما. ص.
266، 305/رومبار. ص. 186/ميناء راتز. ص. 98.

ش: الشام. ص. 37، 38/الشلف. ص. 48، 189، 203/الشفة. ص. 110/الشيلي. ص. 122/الشعانية. ص. 145،
238/شطوة. ص. 200/بلاد الشعانية الغرب. ص. 238/مقاطعة الشلف. ص. 334/شارع الألوان الثلاثة. ص.
93/شارع ماهون. ص. 93/شارع باب الواد. ص. 87، 93/شارع جنينة. ص. 93/شارع فيليب. ص. 87/شارع
البحرية. ص. 87، 93/شارع كارفور. ص. 93/شارع لالير. ص. 94/شارع العمالة القديمة. ص. 87/شارع القناصل
ص. 87/شارع السودان. ص. 87/شارع الجمهورية. ص. 93، 160/شارع الثورة. ص. 160/شارع ريفولي بباريس.
ص. 92/شارع جون جاك روسو. ص. 97/شارع نوثر دام دي فيكتوار. ص. 97/شارع سانت أورووني. ص.
97/شارع قرونال سانت أورووني. ص. 97/شارع هاسكو. ص. 100/طوبانو. ص. 100/شارع روابال. ص. 100/
شارع كاننيار. ص. 101/شرشال القيصرية. ص. 266، 268/قصر الشارف. ص. 238.

ت: تاجموت. ص. 138، 238/تاقاست. ص. 136/توزر. ص. 145/هضبة تادمايت. ص. 136/توات. ص. 136،
141، 240/تونس. ص. 61، 231، 297/تيازة. ص. 106/تيديكالت. ص. 240/تيميمون. ص. 240، 141/تيزي

وزو. ص. 57/تلمسان. ص. 15، 52، 60، 75، 324، 325/تمبكتو. ص. 137/ثقرت. ص. 57، 145/تركيا.
ص. 41/التشاد. ص. 137.

ث: ثنية. ص. 203/ثنية لحر. ص. 239/ثريوة. ص. 41.

خ: خليج الجزائر العاصمة. ص. 23/خراسان. ص. 37/خربال. ص. 217/دوار خيضر بتلمسان. ص. 325.

ض: الضفة الغربية للمتوسط. ص. 47.

ظ: ظمياط. ص. 41.

غ: مملكة غانا. ص. 37/مملكة غرناطة. ص. 37/الغزوات. ص. 106/مدينة غاث. ص. 137، 138، 141/الدولة
الغزنوية. ص. 37.

4- فهارس البلدان والأماكن باللغة الأجنبية.

A: منطقة l'Ain. ص. 51/منطقة l'Aisne. ص. 51/Ain-Naga. ص. 210/Agadés. ص. 138/Aix. ص. 99/El-
Amri. ص. 209/مقهى D'Apollon. ص. 93/مملكة Aragon. ص. 104/Arles. ص. 98/Avignon. ص. 100/El-Arisch en
Egypte. ص. 73/Ain-ous-era. ص. 113/Araouan. ص. 138.

B: Rue Bab-el-Oued. ص. 93/Bades. ص. 210/جزر Baléares. ص. 104/مقهى Bar américain. ص. 93/
Ben-Barcelone. ص. 105/Baralice. ص. 160، 164/منطقة Basses-Alpes. ص. 51/Ben-Chicao. ص. 113/Ben-
Thious. ص. 209/Bigou-Ez-Zouia. ص. 209/Berrouaghia. ص. 113/El-Biar. ص. 108، 312/El-Bordj.
ص. 209/مقهى Bordeaux. ص. 93/مطعم Bordeaux. ص. 93/Boghar. ص. 113/Boghari. ص. 131/ساحة
Bornes. ص. 104/Bouches-Du-Rhône. ص. 96/Bou-Chagroun. ص. 209/مقهى De La Bourse. ص. 93/
Le Boulevard de La République. ص. 93/Le Bourbonnais. ص. 96/Bourgogne. ص. 96/Bou-Rézoul.
ص. 113/Bou-sédraia.

C: جزيرة Cabrera. ص. 104/Cambridge. ص. 328/مقهى Café Charles. ص. 93/سواحل Calicut. ص. 122/شارع
Cannebière. ص. 101/Caxine. ص. 109/مدينة Chagny. ص. 105/Chéragas. ص. 108/Chypre. ص. 41، 73/
نزل Célestin. ص. 246/مطعم Constantine. ص. 93/Les Colonnes d'Héraclès. ص. 122/Le
calceus. ص. 122/Constantinople. ص. 73/Le Caucase. ص. 73/Couf. ص. 135/نزل Continental. ص.
188/Chetma. ص. 209.

D: Damiette. ص. 41/Dresde. ص. 22/Drâa. ص. 209.

E: منطقة d'Eure-et-Loire. ص. 51/مقهى Europe. ص. 93/Egypte. ص. 41، 73/L'Espagne. ص. 73.

F: Farfar. ص. 209/جزيرة Formentera. ص. 104/Foughala. ص. 209.

G: Gaous. ص. 209/géryville. ص. 334/مقهى Glacier. ص. 93/مقهى Gruber. ص. 93/مطعم Gruber. ص. 93/
Guelt-es-stel. ص. 113/Ghadamès. ص. 135/Ghat. ص. 137/طريق Gontas. ص. 190.

H: منطقة l'Hérault. ص. 51/Halicarnasse. ص. 41.

I: îles Baléares. ص. 104/منطقة l'Indre. ص. 51/جزيرة Iviça. ص. 104/In-Salah. ص. 138.

J: Jaffa. ص. 41/مطعم Jénina. ص. 93/Jérusalem. ص. 41، 73.

K: La Kasbah/187. ص. حي Kattaroudjil. ص. Kekar/50. ص. Krachem/210. ص. Kouka/113. ص. Kirsch/138. ص. 188.

L: Liana/210. ص. Lichana/209. ص. Lioua/209. ص. منطقة Loire/209. ص. La Loire/51. ص. Loiret/51. ص. Boynes (Loiret). ص. 193. ص. جامعة Leipzig/22. ص. Lyon/137.

M: Mahon/104. ص. Port-Mahon/104. ص. Mansûra/104. ص. Maison-Carrée/41. ص. 114. ص. جزيرة Majorque. ص. 104. ص. Marseille/100. ص. Mazagran/100. ص. 110. ص. ممرات Meillan. ص. 101. ص. Médéa/113. ص. جزيرة Minorque. ص. 104. ص. Place Malakoff/104. ص. La Place. ص. 108. ص. Massachusetts/328. ص. Mouzaia/113. ص. 69. ص. Musée de Louvre/99. ص. Montélimart/93. ص. Midi. ص. 138. ص. مطعم Mourzouk. ص. 113. ص. Melili/209. ص. El-Menahla/209. ص. El-Mekhadma/209.

N: منطقة Nièvre/51. ص. La Nièvre. ص. 146. ص. Nefta/135. ص. Neustadt sur Orla/22.

O: منطقة l'Oise/51. ص. L'Oasis. ص. 93. ص. Orange/99. ص. 99. ص. ساحة Orbitelle/100. ص. Oued-el-Mr'asel. ص. 109. ص. منطقة Oulad-Arib/138. ص. Oued Sous. ص. 135. ص. Oued Igharghar. ص. 143. ص. Oumach. ص. 209. ص. Ourlal/209.

P: جزيرة Palma/104. ص. مطعم Paris/93. ص. Perpignan/105. ص. جزيرة Pithyues/104. ص. La Pointe-. ص. 122. ص. Patagonie/86. ص. Rue Des Pyramides/101. ص. Pujet/104. ص. Portus Magonus/109.

R: منتزه Rambah/104. ص. Récollets/100. ص. مرفأ Retz/98. ص. شارع Rivoli/92. ص. La Rochelle/67. ص. 93. ص. ساحة Rotonde/100. ص. Rue Thubaneau/100. ص. 135. ص. Rhat/113. ص. Rocher-de-sel/53. ص. Littéraire.

S: Sahira/209. ص. Saint-Eugène/108. ص. 109. ص. حصن S^T Philippe/104. ص. Saint-Pétersbourg/73. ص. 108. ص. Sidi-Ferruch/209. ص. Sidi-khlil/209. ص. Sidi Okba/302. ص. Saint-Julien-en-Born. ص. 51. ص. منطقة de la Seine-et-oise/51. ص. منطقة de la Seine-et-Marne/51. ص. Seriana/209. ص. 105. ص. Staouelli/87. ص. Soult-Berg/51. ص. de la Somme. ص. 215. ص. Saint-Cyr/302. ص. Saxe/22. ص. مقهى Soubiran/165.

T: Tadjakant/138. ص. Tadmait/138. ص. Talon d'Hercule/138. ص. Le Talon. ص. 122. ص. Tidikelt/137. ص. Tolga/137. ص. 209. ص. Tombouctou/138. ص. Touat/137. ص. Toulon/101. ص. مقهى La Tour de L'Horloge. ص. 93. ص. Trinité/93. ص. ساحة Trinité/100. ص. 93. ص. Rue Des Trois-Couleurs/93. ص. Tôzer/209. ص. Thouda/209. ص. Tilatou/41. ص. Thourioi/146.

V: Valence/99. ص. مقاطعة Var/101. ص. Venise/42. ص. مطعم Veau-Dui-Tette/93. ص. le quai du Vieux-. ص. 99. ص. Viennes/93. ص. 99. ص. مطعم Vieux-Palais/93. ص. Villa-Carlos/104.

W: مقهى Warot/93.

Z: Le Zar'Ez/70. ص. Zarta/209. ص. Zaouiet-Melili/209. ص. Zeribet-Ahmed/210. ص. Zeribet-El-/210.

ب. فهارس المصطلحات والملاحق.

1. فهارس المصطلحات باللغة العربية.

أ: أبواب مرقعة بالمسامير أقفالها بسيطة. ص. 228. الأبواب والنوافذ. ص. 228. الأبواب والنوافذ الخشبية. ص. 228. أبراج. ص. 228. الأبنية العربية. ص. 228. أبعاد إيحائية. ص. 331. الأجنبي. ص. 287. أوروبي.

ص. 287/الأجنبي الدخيل. ص. 306/الأدب. ص. 305/أدب الرحلة. ص. 305-أدب الرحلات. ص. 38، 40/أدب الرحل. ص. 40-أدبيات الرحلة. ص. 45، 44، 40/أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري. ص. 39/أدب الرحلة عند العرب. ص. 40/أدب الرحل في المغرب والأندلس. ص. 40/أدب الرحلة الرحالة المسلمون في العصور الوسطى. ص. 40/أدب الجغرافيا. ص. 45/أدب جغرافيا الرحلات. ص. 37/أدب الرحلة والدراسات الإثنوغرافية. ص. 37/أدب رحلة توثيقية. ص. 38/الأدب النقدي. ص. 329/الأدب العربي. ص. 304/أدب رحلة كاذب. ص. 329/الأدب الكولونيالي. ص. 318/الأدب المخصص للجزائر المستعمرة. ص. 318/الأدب النسائي. ص. 305/الأدب والفن. ص. 305/الأدب الشعبي. ص. 329/أدب الرحلة في العصور الوسطى. ص. 42/أدب رحلة الحروب الصليبية والحج. ص. 42/الأدب الإستشراقي. ص. 43/الأدبيات الإستعمارية. ص. 305/الأهالي. ص. 287، 299، 318/أهالي الجزائر. ص. 296، 287، 50/الأهالي العرب. ص. 287/الأهالي المسلمين. ص. 287/الأهلي المستعمر. ص. 287/الأهلي القبائلي. ص. 296/الأهلي شرقي. ص. 287/أوشحة فضية. ص. 218/أوشحة حريرية. ص. 218/أوشحة من الدونتال. ص. 218/الأولياء الصالحين. ص. 272/الأوروبي المستعمر. ص. 296/الأوروبيين القادمين. ص. 296/الأوروبيين المتجنسين. ص. 29/الأوروبيين الأجانب. ص. 299/الأوراد. ص. 250/أزياء العسكر. ص. 54/أزياء محلية وأجنبية. ص. 54/الأحداث التاريخية. ص. 54/أحادي الزراعة. ص. 296/الأحواض الصخرية. ص. 198/أحواض كبيرة من الخشب لتحضير الكسكس. ص. 169/أحواض الدباغة. ص. 198/أحكام أخلاق كبيرة من النحاس. ص. 172/أحذية صفراء. ص. 205/الأحذية التقليدية المطرزة. ص. 197/الأحذية التقليدية الجلدية الصفراء والحمراء. ص. 207/الأحذية الخاصة بالخيالة. ص. 205/الأطباء. ص. 48/أطباق عشاء تركية دجاج باللوز وكسكس بالفانيليا وحلويات. ص. 250/الأطال العملاقة. ص. 267/الألبسة. ص. 44/ألبسة حريرية. ص. 160، 174/الألبسة العربية. ص. 160/الألبسة والبرانيس. ص. 197/الألبسة الصوفية والحريرية. ص. 197/الألبسة الملونة. ص. 218/الألبسة المطرزة. ص. 197/الألبسة من الشاش. ص. 218/ألبسة العسكر. ص. 227/ألف ليلة وليلة. ص. 284، 303، 304/الأكاديمية الفرنسية. ص. 302، 306/الأمناء. ص. 295، 50/أمين الأمناء. ص. 295/أمين عام. ص. 295/أماكن الذاكرة. ص. 329/الأمة الفرنسية. ص. 296/أمجاد الجيش الإفريقي. ص. 318/الأنجلوساكسوني. ص. 285/الأنماط التقليدية. ص. 328/الأنثروبولوجية. ص. 321/الأنثروبولوجية الدينية والثقافية. ص. 321/الأنثروبولوجية الكولونيالية. ص. 321، 332/أنثروبولوجية السكان. ص. 332/الأنثروبولوجيا الثقافية والإجتماعية والدينية للجزائريين. ص. 332/الأنثروبولوجية الإجتماعية والثقافية. ص. 332/أنغام الدربوكة والناي. ص. 218/الأسقف. ص. 266/أساقفة فرنسا. ص. 266/أساقفة الجزائر. ص. 266/أساقفة إفريقيا. ص. 265/أساقفة وكهنة ورجال دين. ص. 266/أسقف الجزائر العاصمة. ص. 266/أسقف الجزائر العاصمة الأب ديبيش. ص. 266/الأسقف العام للجزائر. ص. 266/أسقف إيفاك. ص. 287/أسقف قرطاج. ص. 265/أسود. ص. 270-272، 274/الأسود الأطلسية في شمال إفريقيا. ص. 270-272، 274، 277، 278/الأسود النوميديّة. ص. 270-272، 274/الأسود معالم جغرافية. ص. 273، 274/الأسود والنمور. ص. 270-272، 274/أسد جبل بوغيزل. ص. 273، 274/أسد بليدة. ص. 272، 274، 276/أسود القالة. ص. 272، 274/الأسود في شمال إفريقيا. ص. 272، 274/الأسود المحلية. ص. 272، 274/أسد بمنطقة بسكرة. ص. 272/الأسطورة القبائلية. ص.

295/أساطير إستشراقية.ص.46/الأساطير المحلية.ص.315/الأعمال التصويرية.ص.44/الأعمال الفنية والكتابات الأدبية.ص.335/الأعمال الفنية الإستشراقية.ص.69/أعمدة قصور.ص.229/أعمدة من الحجارة. ص.229/أعمدة وبقايا أبنية.ص.229/الأعمدة الرخامية.ص.229/أعمدة رخامية مزينة.ص.229/الأعمدة الرخامية والحجارة.ص.229/الأعمدة الرخامية والمنحوتات.ص.229/أعمدة الطابق الأرضي.ص.229/الأعمدة الحديدية.ص.229/أعمال الفن ولآثار.ص.239/الأعراق الأوروبية.ص.296/الأساطيل.ص.229/أصول يونانية.ص.321/أسوار المدينة.ص.246/أسوار طينية.ص.246/أصحاب النصارى.ص.303/الأقوام والبلدان.ص.38/الأقواس.ص.229/أقواس تسندها أعمدة من الرخام المنحوتة.ص.229/أقراط.ص.171/أروقة البيت مزينة برسومات الآرييسك.ص.229/أراضي الأهالي.ص.46،296/أراضي إفريقيا.ص.296،294،60/أراضي الإستيطان.ص.296/الأرض والإستعمار.ص.296/أراضي المغرب العربي.ص.296/أشكال السرد التراثي العربي.ص.38/أشياء منسوخة.ص.329/الأتباع.ص.250/الأتباع والمريدين.ص.250/أثاث القصر.ص.229/الأثاث الفاخر.ص.229/الأخوة.ص.250/الأذكار.ص.253/الأذكار الخاصة بالطريقة.ص.250/الآباء البيض.ص.260/الآخر والسياحة.ص.43/آليات الكتابة.ص.39/الآثار والحضارة.ص.261/آثار وحضارة محلية.ص.261/الآثار والمعالم التاريخية.ص.261/الآثار البونية أو البونيقية.ص.260/آثار هيبون.ص.260/الآثار المسيحية.ص.260/آثار القصبية.ص.227/الآثار القديمة.ص.328/آثار قبر القديس.ص.260/آثار الرومانية.ص.217،261/نبات الآس العطري.ص.264/إجتثاث الهوية الثقافية والإيديولوجية المحلية والدينية بالجزائر.ص.296/الإدارة الإستعمارية.ص.296/إدارة الاحتلال الفرنسي.ص.233/إدارة الدعارة في أراضي المستوطنة.ص.333/إحياء لرحلات بداية الإستعمار الفرنسي.ص.322/إحياء التيار الإستشراقي والنص الرحلي.ص.322/الإطار الإستعماري.ص.288/إطار سوسيوسياسي.ص.305/إيالة الجزائر.ص.332/الإيديولوجية الكولونيالية.ص.296،314/الإيديولوجية الإستعمارية.ص.296/الإيديولوجيين الاستعماريين.ص.296/الإيديولوجيين المتقنين.ص.316/الإحتلال الفرنسي.ص.46،315/إحتلال الجزائر.ص.288/إحتلال البلاد.ص.229/الإحتفالات.ص.44/إحتفالات الأهالي.ص.50/الإحتفالات العثمانية.ص.44/الإحتكار الأوروبي.ص.297/إحتكار الشركات العقارية الكبرى.ص.297/إمتداد للفكر الأنثروبولوجي الكولونيالي.ص.331/الإلحاق للشرق.ص.299/الإندماج مع الأعراق الأوروبية.ص.296/إبداع فني.ص.310/الإنجاز الإستعماري.ص.296/إطار كوسموبوليثي عالمي.ص.334/الإنتاج في أدب الرحلات.ص.39/الإنتاج الفني للصور.ص.326/الإنتاج التلقائي للصورة.ص.328/إمتهيازات إقتصادية.ص.296/الإمبراطوريات الإستعمارية الحديثة.ص.305/الإمبراطورية الرومانية.ص.19/الإمبريالية الإستعمارية.ص.305،317/الإمبراطورية العثمانية.ص.285/الإمبراطوريات الإستعمارية الأوروبية الحديثة.ص.305/إمراة بدوية.ص.172/إمراة الموضة.ص.160/إمراة شرقية.ص.160/الإمتهيازات التجارية.ص.213/الإنسان المغاربي.ص.299،301/الإنتاج التلقائي للصورة.ص.328/إنقراض الأسود ومختلف الحيوانات البرية.ص.270،274/إنقضت بفعل الصيد المنظم.ص.270،274/إنقراض الثروة الحيوانية للبلاد.ص.270،274/الإستحالة المادية.ص.330/الإستحضار الأدبي للعالم الإسلامي.ص.315/إستساح الصور.ص.330/الإستعلاء الإنجليزي والغربي.ص.289/الإستيطان.ص.33،298/الإستيطان الفرنسي

والأوروبي. ص. 296/الإستيطان الأوروبي. ص. 205/إستيطان الأراضي. ص. 296/الإستيطان الإستغلالي. ص. 297/الإستعمار. ص. 296/الإستعمار الفرنسي. ص. 296، 316/الإستشراق. ص. 301، 47، 306/الإستشراق الفرنسي. ص. 47/الإستشراق الحديث. ص. 306/الإستغراب والغربة. ص. 290/إستغرافية أفريقيا. ص. 309/إسقاط صورة ألف ليلة وليلة. ص. 318/إعادة بناء خيالية للماضي. ص. 327/الإلتقاء بين الحضارات. ص. 301/إفريقيا رومانية. ص. 261/إصطياف شتوي. ص. 243/الإقامة العسكرية القديمة. ص. 243/إقصاء الآخر. ص. 296/إقصاء السكان العرب. ص. 296/إنفاقية التافنة. ص. 21/إرث حضاري. ص. 226/الإرث الحضاري والتاريخي للبلاد. ص. 226/إرث التاريخي. ص. 226/الإرث الإنساني. ص. 259/إرث ثقافي. ص. 226/إرث ثقافي وحضاري للمدينة. ص. 226/الإرث الثقافي والحضاري للمرأة. ص. 332/إرث ثقافي إنساني وعالمي. ص. 259/إرث الديني الإنساني العالمي. ص. 259/الإرث العمراني العتيق. ص. 242/الإرث التاريخي الروماني. ص. 225، 260/الإرتباط الديني والحضاري للمرأة. ص. 332/الإثني. ص. 296/الإثنوغرافيا. ص. 45/إنطباعات خاطئة للرحالة الغربيين. ص. 289/الإخوان. ص. 250/الإختلافات العرقية. ص. 299/الإختلاف الثقافي. ص. 305/الإختيارات الفنية. ص. 328/الإجتماع والعمران البشري. ص. 38/الإغتراب. ص. 306/إغتراب الغريب في الخارج. ص. 306.

ب: البابا. ص. 42/البادية. ص. 305/الباشيش. ص. 50/البداوة. ص. 331/البدوية. ص. 331/البدوي. ص. 178/البدو الرحل. ص. 305/بهو القصر. ص. 233/بزايم بيضاوية. ص. 171/بحارة فرنسيين. ص. 165/بحارة مالطيين. ص. 165/البحر المتوسط المسلم. ص. 301/البطاقة البريدية. ص. 326، 331/البطاقات البريدية الرسمية. ص. 326، 331/البطاقات البريدية المصغرة للصور المفاجئة. ص. 331/البطاقات البريدية الرسمية للميثروبول. ص. 331/البيوت العربية. ص. 223/البيوت القسنطينية. ص. 299، 230/بيوت المتعة. ص. 218/بيوت بسكرة. ص. 238، 242/البيوت بأبعاد متغيرة بشكل مربعات بها نوافذ ومسقفة بعليات. ص. 238/بيوت وأبنية مجبرة بالأبيض. ص. 243/بيت أم النون. ص. 231/ببلاستر. ص. 233، 288/البيرم. ص. 253/البلد الأم (الميثروبول). ص. 48/بلاد العطش. ص. 245/بلاد المغرب المستعمر. ص. 300/بلاد فارس الزرادشتية. ص. 301/البنائيات التقليدية المحلية. ص. 243/بنايات إستوائية. ص. 243/البناء والترميم لآثار القديس. ص. 260/بسكرة الأهالي. ص. 217، 218/بسكرة العتيقة. ص. 218/بسكرة اللذيذة. ص. 208، 230/بسكرة الحديثة. ص. 208، 242/بسكرة القديمة. ص. 209، 242/البعد الديني. ص. 272/البعثات العلمية. ص. 141/البعثات العلمية الإستكشافية. ص. 141/البعثة الإستكشافية العلمية للجزائر. ص. 141/البعثات الرسمية. ص. 141/بعثة إكتشاف الساحل. ص. 141/البعثات الرسمية. ص. 140/البعثات والرحلات الإستكشافية للجنوب. ص. 140/بعثات ورحلات. ص. 140/بعثة فلاثير. ص. 141، 142/بعثة غدامس. ص. 140/بعثات بول صولي. ص. 140، 141/بعثة بقيادة القائد ميرشر. ص. 141/بعثة شوازي. ص. 141/بعثة بويانص. ص. 142/البعثات الدينية والآباء البيض. ص. 140، 260/محل براليس. ص. 161/البرنس. ص. 178-البرانيس. ص. 207/برنس أبيض. ص. 262/البرانيس البيضاء. ص. 197/البرانيس البيضاء الناصعة. ص. 218/برانيس البيضاء الطويلة. ص. 207/برنس

بني.ص.178/البرنس العربي.ص.262/برنوس صوفي.ص.218/البرابرة.ص.305،299/بربر الجزائر.ص.296/براغماتية.ص.310.

ج:الجانب الأسطوري.ص.253/الجان بن الجان.ص.270/الجبة-جيب طويلة-ص.206/الجداريات.ص.290/جدران داخلية بالرخام.ص.265/جدران مزينة بالرخام.ص.265/الجدران مزخرفة برسومات.ص.266/الجزائر اللاتينية.ص.320/الجزائر المستعمرة.ص.287/الجزائر الفرنسية.ص.261/الجزائر العربية.ص.319/الجزائري المسلم.ص.287/الجيش.ص.322/جولة في البلاد.ص.322/جلود الحيوانات.ص.276/الجمال الإغريقي.ص.174/الجمعية الأنثروبولوجية.ص.216،52/الجمعية الأثرية.ص.52/الجمعية الجزائرية بباريس.ص.52/الجمعية الجغرافية.ص.36/الجغرافيا الفلكية.ص.36،35/الجغرافيا الفلكية والإقليمية.ص.36/جغرافيا البلدان.ص.36/الجغرافيا الإقليمية.ص.36،37/الجغرافيون العرب.ص.36/الجغرافيا البشرية والإقتصادية.ص.36،37/الجغرافيا الاجتماعية.ص.36،37/الجغرافية والرحلات عند العرب.ص.36،40/جسر روماني.ص.266،226/جريدة الكون..ص.306،193/الجذب السياحي.ص.317.

د:دائرة شرطة الأخلاق.ص.335/الداي.ص.311/دار ضياف.ص.243/الدولة العثمانية.ص.305/الدوناتيين.ص.260/دور البغاء.ص.332/دور الدعارة الإسبانية.ص.332/دو القطبين.ص.306/دو القطبين.ص.306/الدين الإسلامي.ص.44/الديانة المسيحية.ص.260/الدين والروحانيات والإقتصاد.ص.260/الدليل.ص.178/الدليل السياحي.ص.18،177،178/الدليل سي عثمان بن الحاج بكري.ص.138/دليل جوان.ص.18/الدليل في الشرق.ص.18/الدعارة في مدينة الجزائر.ص.332/الدعارة الكولونيالية، الجزائر، تونس،المغرب(1830-1962).ص.332/الدف.ص.336،323/الدريوكة.ص.152،218،336/دراسة إثنوغرافية.ص.48،333/دراسة المسالك.ص.36/الدراسات الأدبية والنقدية.ص.43/دراسة طبية.ص.254/دراسة الألم لدى العيساوة.ص.253/الدراسات الحديثة.ص.296/دراسة عادات المجتمع.ص.45/الدراسات الفرنسية.ص.260/دراسات أدب الرحلات.ص.39/الدردياح.ص.50.

هـ:الهجرة الأوروبية.ص.188/الهوية الفرنسية.ص.316/هوية ثقافية للجزائر الفرنسية أو اللاتينية.ص.316/الهوية المتوسطية والغربية للجزائر.ص.320/هواة التاريخ.ص.309/الهند البودية (الفيدية).ص.301/الهندود الحمر في أمريكا.ص.301/الهندسة المدنية العربية.ص.243/الهندسة العسكرية.ص.243/حادثة هروب سكان قسنطينة عبر الواد.ص.315.

و:واحة القنطرة الأثرية المحلية.ص.226/الواسطي.ص.303/الوهم الفوري.ص.329/الوهم المرجعي.ص.329/الوكيل.ص.250/الوكيل المدني للممتلكات الفرنسية في شمال إفريقيا.ص.333/وكالة كوك.ص.160/الواقع الإستعماري.ص.270/واقع العرب.ص.320/الواقعية.ص.306/وصف المسالك.ص.38/وصف المسالك والمواصلات.ص.35/وصف الأقاليم والمدن والبلدان.ص.36،40/الوعي الوطني.ص.294.

ز: زجاج مربع بألوان بين الأزرق والأخضر وأصفر. ص. 243/ الزواف. ص. 186، 300/ الزيارة الرسمية. ص. 48/ زيارة الرئيس. ص. 326/ زمالة الأمير عبد القادر. ص. 300/ الزنجي. ص. 301- الزنجيات. ص. 257/ الزليج الجزائري القديم. ص. 336/ زربية من الصوف حمراء اللون. ص. 257/ زربية من الحصير. ص. 257.

ح: حاو فرنسي. ص. 251/ الحايك. ص. 246/ الحايك الأبيض. ص. 336/ الحايك ذا اللون الأزرق والأبيض. ص. 196/ الحانات. ص. 334/ الحانات المالطية. ص. 334/ الحانات الأوروبية. ص. 334/ الحج. ص. 48/ الحج للأرض المقدسة. ص. 43، 306/ الحجاج المسيحيين. ص. 260/ الحج لآثار القديس. ص. 260/ الحج إلى السيدة الإفريقية. ص. 260/ الحج والزيارات. ص. 260/ الحجاج الفرنسيين. ص. 260/ الحج إلى قبر القديس. ص. 260/ حدائق ونوافير عمومية. ص. 243/ حدائق غناء. ص. 243/ حديقة السيد لوندون. ص. 243/ الحديقة البريطانية. ص. 243/ حديقة القديس أوغسطين. ص. 260/ حي عربي. ص. 334/ الحي العربي بالقصبة. ص. 334/ الحي الفرنسي. ص. 334/ الحي اليهودي. ص. 334/ حي الجزائر القديمة. ص. 334/ الحياة الإقتصادية للسكان العرب. ص. 221/ حياة المدينة. ص. 221/ حياة السكان المحليين. ص. 222/ الحياة العربية. ص. 221/ الحياة الحضرية بالمدينة. ص. 221/ الحيوانات البرية. ص. 273، 324/ الحيوانات البرية لجبال الأطلس. ص. 273/ الحيوانات البرية كالأسود والنمور والفهود ما بين جبال الأطلس والزيان. ص. 273/ الحيوانات البرية في الأراضي الجزائرية. ص. 273/ الحيوانات البرية خصوصية بيئية في البلاد. ص. 273/ الحيوانات البرية الاحتلال الفرنسي. ص. 273/ الحيوانات البرية المضرة. ص. 324/ حيوانات معلمية. ص. 273/ الحيوانات المفترسة. ص. 272، 273/ الحيوانات السامة. ص. 272/ الحيوانات الصحراوية. ص. 272/ حيوانا مقدساً. ص. 272/ الحكم الكلاسيكي. ص. 288/ الحلي المحلية. ص. 337/ الحلي الفضية. ص. 337/ الحلي الذهبية. ص. 337/ الحلي المرصعة بالأحجار. ص. 171/ حلي حلقات الأرجل. ص. 171/ حلي تقليدي. ص. 171، 337/ حلي من عقد مصنوع من مادة عطرية. ص. 171/ حلي مرصعة بالأحجار الكريمة. ص. 171/ حلي المرأة المسيلية. ص. 171/ الحنطور الإفريقي. ص. 60/ الحلاق. ص. 221، 285/ الحلاقة. ص. 221/ حَمَامٌ. ص. 322/ الحَمَامُ. ص. 44/ الحَمَامَات. ص. 220/ الحَمَامَات الحضرية. ص. 220/ الحَمَامَات العربية. ص. 220، 221/ الحَمَامَات الفرنسية. ص. 90، 220/ الحَمَامَات المعدنية. ص. 220/ حَمَامَات معدنية طبيعية الحارة. ص. 220/ الحَمَامَات والمنابع المعدنية. ص. 220/ الحَمَامَات الطبيعية. ص. 220/ حَمَامُ الصالحين. ص. 221/ حَمَامَات حمة. ص. 220/ حَمَامَات باريسية. ص. 220/ حَمَامَات البحرية. ص. 220/ حَمَامَات البازار. ص. 220/ الحَمَامُ الروماني. ص. 220/ حَمَامَات شارع نومور. ص. 220/ حَمَامُ بن زرجب. ص. 323/ حملة نابوليون بونابارت. ص. 305/ الحرب العالمية الأولى. ص. 296/ الحروب الصليبية. ص. 41/ الحملة الصليبية. ص. 41/ الحملة الفرنسية. ص. 311/ حملات دعائية للإستعمار. ص. 302/ حفل زفاف بتلمسان. ص. 322/ حفلات الزفاف. ص. 44/ حصن. ص. 228/ الحصون. ص. 228/ حصن الإمبراطور. ص. 312/ الحصن التركي. ص. 228/ الحكم الملكي. ص. 315/ الحقيقة الإستعمارية. ص. 296/ الحقيقة التاريخية. ص. 296، 309/ الحقوق العقارية الإسلامية. ص. 296/ حقوق الملكية. ص. 296/ الحرم. ص. 44، 336/ الحركة السياحية الترويجية للمنطقة. ص. 315/ الحركة السياحية. ص. 315/ حركة سياحة أدبية. ص. 315/ الحشيش. ص. 178، 254/ الحضارة المادية. ص. 303/ التحضر. ص. 315

296، 303/حضارات الآخر الأجنبي.ص.305/الحضارة الرومانية.ص.225/الحضارة الغربية.ص.46/الحضر.ص.331/الحضرية.ص.331-الحضرية.ص.331/الحضرية نساء شرقيات في التصوير الكولونيالي.ص.332/الحضرية بالحاك من الموسلين الأبيض.ص.331/الحضر يرتدون برانيس وبأيديهم مروحة من الريش.ص.331/الحضرة.ص.249/الحضرات.ص.249، 255/الحضرات الدينية.ص.255/حضرات العيساوة.ص.249، 255/حاضرة فرقة المدفعية.ص.243.

ط: الطابع الحديث للمدينة.ص.242/الطابع الباروكي.ص.229/الطابع الموريسكي.ص.315/الطابع المحلي.ص.242/الطابع العربي الأصيل.ص.242/طابع عربي.ص.242/طابع عمراني تركي.ص.242/الطابع الشرقي الأصيل.ص.197، 229/الطابع المحلي.ص.233/الطابع الكولونيالي.ص.242، 297/الطباعة الحجرية.ص.330/الطبل.ص.219، 323/طبق من لحم الخروف والتمر والبطاطا.ص.171، 325/طبق لحم الخروف مع الخضر.ص.171، 325/طبق اللحم بالفواكه المجففة كالشمش والعنب.ص.171، 325/طبق من عجينة لحم الخروف.ص.171، 325/طبق الكسكس التقليدي.ص.171، 325/طبق من فضة.ص.171/الطبقات الاجتماعية.ص.287/الطبقة الاجتماعية.ص.287/الطوائف المسيحية.ص.261/الطلاسم.ص.171/طم طم.ص.219/طقوس العيساوة.ص.249/طقوس صوفية.ص.249/طقوس غربية.ص.249/الطقوس الدينية.ص.288/طرار أوروبي.ص.242/طرار عربي.ص.230/الطرار الصحراوي.ص.242/طرار موريسكي.ص.230/الطرار المعماري المغربي والشرقي.ص.230/طرار فرنسي.ص.242/الطرار الشرقي.ص.229/الطريقة.ص.249/الطرق الصوفية.ص.249/الطرق الدينية.ص.249/الطريقة السنوسية.ص.250/الطريقة العيسوية.ص.162، 249، 250، 252/طريقة القادرية.ص.250/الطريقة الرومبيراناسكية.ص.229/الطريقة الرحمانية.ص.250/الطريقة التيجانية.ص.250/طغيان المشهد الغربي الدخيل.ص.317.

ي: يوميات جريدة.ص.43./اليونانية القديمة.ص.300/يهود الجزائر.ص.334/يهودية قسنطينة.ص.314.

ك: كاتدرائية السلام.ص.268/الكياس.ص.323/الكنيسة.ص.323/الكنيسة.ص.243/الكنائس.ص.261/الكنيسة الإفريقية.ص.260، 268/كنيسة السلام.ص.261/الكنيسة الكاثوليكية في المستوطنة.ص.261/الكاثوليك.ص.261/كاثوليكي.ص.193، 261/الكرامات.ص.253/كرامات الأولياء.ص.253، 271/الكرامات والمعجزات.ص.254، 271/كرامات الأولياء الصالحين ورجال الدين.ص.271/الكتابات الأثرية.ص.18/كتابات الرحلة.ص.43، 309/كتابات الرحالة.ص.309/كتابات أدب الرحلة.ص.309/كتابات الأدباء.ص.309/كتابات أدب الحج.ص.45/الكتابات الأنثروبولوجية الكولونيالية.ص.166/كتابات وصفية ذاتية.ص.310/كتابات نقشية كتابات المثقفين.ص.166/كتابات العسكريين.ص.309/كتابات الرحالة الفرنسيين.ص.44/كتابات الرحالة.ص.45/الكتابات الروائية.ص.18/كتابات نقشية.ص.226/كتابات العمه جارتريد.ص.203/الكتابات التاريخية.ص.309/الكتابات التاريخية الموضوعية.ص.35/الكتاب الجغرافي.ص.45/كتاب وصف العالم.ص.42/كتاب تقسيم العالم.ص.42/كتاب العجائب.ص.42/كتاب المليون.ص.42/الكتاب الرحالة لمدينة قسنطينة.ص.314/كتابه تاريخ إفريقيا.ص.309/كتابات إخبارية حولية.ص.45.

الكتابات المركبة (الكوزموغرافيا). ص. 45/كتابة المغامرات المعاشة. ص. 309/كتاب المعارف. ص. 35/كتاب الأخبار الطوال. ص. 35/كتب جامع التواريخ. ص. 35/كتاب الجمهرة والفصل. ص. 35/كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة. ص. 35/كتاب المقتبس. ص. 35/كتب الرحلات الجغرافية. ص. 35، 38/كتاب الممالك والمسالك. ص. 36/كتاب الاقاليم. ص. 36/كتاب جزيرة العرب. ص. 36/كتاب البلدان. ص. 36/كتاب صفة جزيرة العرب. ص. 36/كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. ص. 36/كتاب صورة الأرض. ص. 36/كتاب تقويم البلدان. ص. 36/كتابات الجغرافيين العرب. ص. 36/كتاب رحلة ناصر خسرو. ص. 37/كتاب ترتيب الرحلات. ص. 37/كتاب المقدمة. ص. 35/الكتابات الجغرافية. ص. 35/كتاب رحلة تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. ص. 37/كتابات المسعودي. ص. 37/كتاب مؤلفه مروج الذهب. ص. 37/كتابات الرحلة. ص. 38/كعب هرقل. ص. 226/كرونولوجية. ص. 310/كلاب السلوقي. ص. 324.

ل:لباس النساء العربيات. ص. 269/لباس العربي. ص. 178/لباس بنو مزاب. ص. 178/لباس حريري. ص. 269/لباس الحضريات. ص. 269/لباس صوفي أزرق. ص. 269/اللباس التقليدي. ص. 196، 325/لباس تقليدي أصيل. ص. 269/لباس تقليدي من المخمل المطرز بخيوط الذهب. ص. 269/لباس من الشاش. ص. 218/لباس الصبايحية الأزرق. ص. 206/اللباس الأسود اليهودي. ص. 269/لباس شرقي. ص. 287/اللباس الشرقي للنساء. ص. 269، 304/اللجنة البلدية بالجزائر العاصمة. ص. 333/لحافهن-لحاف-الحايك. ص. -لحاف خفيف من القطن. ص. 269، 324/اللوحات. ص. 326/اللوحات الفنية. ص. 290/اللوحات الزيتية. ص. 290/لوحة الطريدة. ص. 129/لوحة الصيد بالجزائر. ص. 129/لوحة الصياد العربي. ص. 129/لوحة صيد الصقور في الجزائر. ص. 69، 129/لوحة صيد طائر البلشون. ص. 130/لوحة خيام زمالة سيدي هامل بالحاج. ص. 69/لوحة المعسكر مع بزوغ الفجر. ص. 129/لوحة المخيم. ص. 130/لوحة الجولة. ص. 130/لوحة سارقي الليل. ص. 130/لوحة عرب يتحدثون تحت شجرة تين. ص. 132/لوحة إحتلال قصبة عنابة. ص. 133/لوحة صيد الخنزير البري في الجزائر. ص. 133/لوحة إبعاد القبائل من أعالي كدية عايطي. ص. 133/لوحة أعمدة الهجوم تتحرك. ص. 133/لوحة إحتلال قسنطينة. ص. 133/لوحة عن امرأة بدوية في البئر. ص. 338/لوحة عن سقوط الأغواط. ص. 250/لوحة المهرجون الزنوج. ص. 339/لوحة نساء أولاد نايل. ص. 338/لوحة هروب سكان قسنطينة عبر الواد. ص. 338/لوحة صيادي الضريان. ص. 337/لوحة ساحة صخرة قسنطينة. ص. 337/لوحة نساء من بسكرة. ص. 336، 337/لوحات إدوارد مانيه. ص. 335/لوحة مصغرة. ص. 335/لوحة مصورة. ص. 335/اللوحات الفنية للرحالة. ص. 335/اللوحة الشهيرة لنساء الجزائر في بيوتهن. ص. 338/لوحة جزائرية وآمتها. ص. 338/لوحة سيدات في ساحة تلمسان. ص. 338/لوحة لاعبة الإيمزاد. ص. 338/لوحة عائلة في تينقلوز بالهقار. ص. 338/لوحة سقوط زمالة الأمير عبد القادر من قبل الدوق أومال. ص. 339/لوحة امرأة من بسكرة. ص. 336/لوحة ربيع القلوب. ص. 338/لوحة لباس الحفلة. ص. 338/لوحةجارية جزائرية. ص. 337/لوحة خضراء. ص. 338/لوحة في أسطح بوسعادة. ص. 338/لوحة فتاتين ترقصان بالداخل ببوسعادة. ص. 338/لوحة شهيد الحب. ص. 338/لوحة نايلية من بسكرة. ص. 337/لوحة إمرأتين من أولاد نايل. ص. 337/لوحة موكب الزفاف في الجنوب الجزائري. ص. 338/لوحة شوافة في

الحرم.ص.338/لوحة الرافصات.ص.338/لوحة شرقية.ص.338/لواء أوقيست.ص.226/لوحة لاعبة الإيمزاد.ص.338/لوحة شهيد الحب.ص.339/لوحة نايلية من بسكرة.ص.339/لوحة إمرأتين من أولاد نايل. ص.339/لوحة إمرأة في النافذة سنة 1883.ص.337/لوحة إمرأة محلية حضرية.ص.337/لوحة إمرأة جزائرية سنة 1870.ص.338/لوحة إمرأة جزائرية سنة 1881.ص.337/لوحة لإمرأة جزائرية سنة 1883. ص.337/لوحة إمرأة من بسكرة.ص.336/لوحة موكب الزفاف في الجنوب الجزائري.ص.338/اللقاء والتواصل.ص.306/اللغة التركية.ص.287/باخرة لابورقوني.ص.78.

م:ماسح الأراضي المأهولة.ص.41/المد السياحي.ص.301/المانوبين.ص.260/الماضي المتخيل.ص.311/المغازي.ص.34/الميثروبول.ص.20،33،90،48،91،260،291،294،315،317،331/مدارس الكتابة التاريخية.ص.35/مؤرخي الأندلس.ص.35/المصنفات الجغرافية للبلدان والمناطق.ص.35/المعاجم الجغرافية.ص.36/الممالك الإسلامية.ص.37/المباني المدنية والدينية.ص.300/المجالس الكولونيالية.ص.298/المجلة العلمية.ص.306/مجلة العالمين.ص.69،306/مجلة فوتوغرافية.ص.329/المجلة التصويرية. ص.329،331/مجلة باريس.ص.69/مجلة الفنان.ص.61/المجتمع الجزائري.ص.289/المجتمع المحلي. ص.46،48،206،249،331-المحليين.ص.290/المجتمع الأوروبي.ص.298/المجتمع المسيلي.ص.203/المجتمع المحلي الحضري والريفي.ص.320/المجتمع الأجنبي.ص.206/المجتمع العربي.ص.44/ المجتمع الشمال إفريقي.ص.333/المد الإستعماري.ص.45،46/مدينة الأمراء.ص.206/مدينة أثرية.ص.224-المدن الأثرية.ص.224/المدينة الأثرية المنصورة.ص.224/المدينة الأثرية تيمقاد.ص.224/مدينة الأغواط الحديثة.ص.243/المدن الإستيطانية.ص.188/مدينة البرد والضباب.ص.197/المدينة العربية.ص.242،297،298/المدينة العربية القديمة.ص.227/المدينة العربية الأصلية.ص.227/المدن الأوروبية.ص.243،244،298/المدن الحديثة.ص.243،297/المدن الكولونيالية.ص.244،243،298/المدينة الإستعمارية.ص.243،298/مدينة بسكرة الصحراوية.ص.243/المدينة الجديدة.ص.243/المدن الجزائرية. ص.243/المدينة الفرنسية.ص.242،243/المدينة الفرنسية الجديدة.ص.243/مدينة الدباغين.ص.198/ مدينة الزنوج.ص.242/المدن الميثة.ص.224/المدن الميثة والرحالة.ص.224/المدينة العليا.ص.227/ المدينة العتيقة.ص.198،228،298/المدينة العتيقة بالأغواط.ص.227/المدينة العتيقة ببسكرة.ص.227، 243/المدينة العتيقة بقسنطينة.ص.211/مدن الصحراء.ص.228-المدن الصحراوية.ص.228/المدينة القديمة.ص.228/المدينة القديمة العربية الإسلامية.ص.228،298/المدينة القديمة القصبية.ص.227/المدينة الرومانية القديمة.ص.225/مدينة القراصنة.ص.188/المدينة الشرقية.ص.47،291-المدن الشرقية.ص.291/مدرسة.ص.243/المدرسة الواقعية.ص.206/المدراس الفكرية الغربية.ص.46/المدرسة الكولونيالية. ص.84/المدرسة الإستشراقية.ص.338/مهمة تحضير.ص.299،305/المهمة التحضيرية.ص.300/مهمة مدمرة.ص.303/مهمة إنسانية لتحضير وتحرير السكان.ص.305/مهمة تحضير الآخر الشرقي والمسلم العربي.ص.305/مهمة نشر الحضارة في العالم.ص.45،305/موجة الرحلة-رحلات.ص.45،46/موجات الرحلة الغربية إلى الشرق.ص.44/الموضوعية التاريخية.ص.317/المواضيع التمجيدية للوطن الأم

(الميثروبول). ص. 291/الموسلين. ص. 321/موضع الاختلاف. ص. 287/الموروث الثقافي للبلاد. ص. 270/موروث ثقافي وإجتماعي. ص. 270/الموروث البيئي والإستعمار. ص. 259، 270/الموروث البيئي للجزائر أثناء فترة الإحتلال الفرنسي. ص. 259، 270/الموروث الديني والبيئي في الجزائر. ص. 259، 270/موروث حضاري. ص. 172-الموروث الحضاري للجزائر. ص. 259/موروث ثقافي. ص. 259، 270-الموروث الثقافي في الجزائر. ص. 259، 270/الموروث الثقافي المحلي. ص. 259، 270/موروث ثقافي وحضاري. ص. 220، 270/الموروث الثقافي والفكري للبلاد. ص. 220، 270/الموروث الثقافي والفكري والحضاري للمنطقة. ص. 220، 270/موروث ثقافي وإقتصادي للبلاد. ص. 220، 270/الموروث الثقافي الشعبي للسكان. ص. 220، 270/المواسم السياحية. ص. 331/الموسيقى. ص. 44، 321/الموسيقى المحلية. ص. 321/مؤسسات علمية رسمية. ص. 48/مؤسسة تربية الخيول ببسكرة. ص. 215/مؤونة المدفعية. ص. 243/المؤسسات القانونية الفرنسية. ص. 302/مؤسسة نقل لافيت. ص. 97./مؤسسة نقل كايار. ص. 97/المؤكولات. ص. 44/المزابي المهووس بالتجارة الصحراوية. ص. 300/مزدوج القطب. ص. 306/المزوار. ص. 332/المزود. ص. 337/المزمار. ص. 323/محام لدى محكمة الإستئناف. ص. 234/محبى الأهالي (مساندي الأهالي). ص. 297/محب الخيالة العربية. ص. 300/المحفل. ص. 324/محتوى إجتماعي. ص. 315/المحضر المثالي. ص. 321/المكحلة. ص. 321/المكاتب العربية. ص. 21/الملايا. ص. 198/المملكة العربية. ص. 294/الممارسة الكتابية. ص. 327/ملكية فرنسية. ص. 297/الملوكيات الأوروبية. ص. 297/الملعقة الخشبية. ص. 325/مليانة الضاحكة. ص. 189/الملحفة. ص. 321، 324/ملحفة من الموسلين الأبيض. ص. 321/الملاحظات الإجتماعية. ص. 315/الملابس الحريرية والشاش. ص. 321/الممارسات الدينية. ص. 315/منزل القائد الأعلى للدائرة. ص. 243/منتجع سياحي. ص. 216، 217/منتجع شتوي. ص. 217/منتجع شتوي للتخييم والتدأوي. ص. 217/منتجع شتوي في الجزائر. ص. 217/المنظرين والمؤرخين الفرنسيين. ص. 291/المنظرين الإمبرياليين. ص. 291/مساكن الضباط. ص. 243/مسار الرحلة. ص. 322/مسار وطريق الرحلات. ص. 322/المسارات الجغرافية. ص. 46/مسار الرحلة. ص. 310/مسار الحج. ص. 17، 261/مسار رحلات الحج. ص. 18، 261/مسار رحلة الحج إلى الأراضي المقدسة. ص. 18/مساندي الأهالي. ص. 295/مسرح. ص. 255-المسارح. ص. 255، 335/مسرح الأولمبيا. ص. 335/المسرح البلدي. ص. 255/مستشفى لافيجري. ص. 243/موسيقى القرب والطبل. ص. 218/المواطنة الفرنسية. ص. 298/المسيحية. ص. 225/المسيحيين. ص. 225/مسيحيي إفريقيا. ص. 225/مسيحيي الصحراء. ص. 225/المستوطنين. ص. 178/مستوطنة الجزائر. ص. 43، 46، 47، 48/المستوطنة الحلم. ص. 81/المستوطنة الفخر للفرنسيين. ص. 294/مستوطنة فرنسية. ص. 272/المستوطنات الرومانية. ص. 261/مستوطنة الشرق الساحر. ص. 81/مستوطنة إغريقية. ص. 41/مستوطنة إغريقية بإيطاليا. ص. 41/المستعمر الفرنسي. ص. 287/مستشرق. ص. 300/المستشرقين الرومنسيين. ص. 317/المستشرقين الفرنسيين. ص. 316/معاطف ملونة بالأزرق ومصبوغة ببعض الأصفر. ص. 196/معاطف حمراء. ص. 196/معامل الدباغة. ص. 198/معالم المدينة. ص. 231/معالم المدينة العتيقة. ص. 312/معالم عمرانبة تاريخية. ص. 231/معالم المدينة العمرانية في الفترة العثمانية. ص. 231/المعالم الأثرية. ص. 231/المعالم الرمزية. ص. 322/معهد للديمقراطية. ص. 300/لوحة منع حلول الليل. ص. 338/معركة المنصورة. ص. 41/معلم أثري وحضاري. ص. 231/معلم حضاري.

ص. 231/المُعمر. ص. -المعمرين. ص. -المعمر المزارع. ص. 46/مطبوعة بلون. ص. 289/المعرض العالمي لسنة 1855. ص. 300/المعرفة التاريخية. ص. 312/المصادر الأثرية. ص. 311/مصطلح الأجنبي. ص. 287/مصطلح القبائل. ص. 295/مصلحة الأهلي القبائلي. ص. 296/مقاومة الإستعمار. ص. 302/مقاومة ثقافية وخدمانية. ص. 302/المقاطعات الفرنسية. ص. 317/المقالات المعاصرة للملكية الأورليستية. ص. 300/المقدم. ص. 250-المقدمين. ص. 250/المقهى. ص. 186/المقاهي العربية. ص. 178/مقهى حضري. ص. 206/المقاهي الحضرية. ص. 178، 206/المقهى الموريسكي. ص. 218/المقهى الفرنسي. ص. 163/مقهى تركي. ص. 186/مقاهي تجارية. ص. 90/مقاهي البورصة. ص. 90/مقومات الهوية للمجتمع المحلي. ص. 339/مقر الجندرمة أو الدرك. ص. 297/مرايط القبيلة. ص. 277/المرافق السياحي. ص. 178/المرأة. ص. 330، 331/المرأة المربطة. ص. 167/المربطة لالة زينب. ص. 167/المرأة المحلية. ص. 172، 331، 337-المرأة المحلية بالجزائر. ص. 331-المرأة الحضرية. ص. 178، 331، 337/المرأة الحضرية في التصوير الكولونيالي. ص. 331/المرأة في البادية. ص. 172، 331/المرأة الصحراوية. ص. 172/المرأة العسكرية. ص. 172، 336/المرأة الجزائرية. ص. 338/إمرأة مسلمة. ص. 338/المرأة الجزائرية المحلية. ص. 338/المرأة الحضرية المسلمة. ص. 338/المرأة اليهودية. ص. 338/مقياس. ص. 337/مرسوم كريميو. ص. 298/المرافق للرحالة. ص. 177/المرافق الحياتية. ص. 315/مرافق ووسائل النقل. ص. 315/مرافق المدينة. ص. 315/المروحات. ص. 262/مريد. ص. 256-المريدين. ص. 256/مركز البريد. ص. 97/مراكز الإيواء. ص. 317/مراكز تخييم. ص. 216، 217/مركزا للتخييم والتداوي. ص. 216، 217/المراكز العسكرية. ص. 140، 207/مركز متقدم للإحتلال الفرنسي. ص. 207/مركز عسكري وإداري. ص. 207/مركز العبور والإستراحة. ص. 217، 218/مراكز للراحة. ص. 217/مراكز للتخييم والإستشفاء. ص. 217/المرسوم الملكي لـ 22 جويلية 1834. ص. 260/مشجعي الإستهيطان الإستصاليين. ص. 316/المشوي. ص. 325/مشوى كبير يتسع لشوي الأبقار. ص. 325/مشوي الخراف وصغار الجمال والأغنام والغزلان. ص. 325/مشكل الأهالي. ص. 320/المشروع الإدماجي للميثروبول. ص. 291، 296/مشروع التحضر. ص. 301/المشاريع السياسية والتجارية. ص. 306/المشرق. ص. 289، 290/المشرقيين. ص. 290/المتاحف. ص. 335/المتاحف الأوروبية. ص. 44، 335/المتورني. ص. 303/قصة المتورني. ص. 202/ممارسات الشرقيين. ص. 44/الملاحظة المصطنعة. ص. 289/مفرنس. ص. 295/مفوض الملك. ص. 333/المفوض العام للشرطة. ص. 333/المحضر المزيف. ص. 300/المتقنين الفرنسيين. ص. 249، 300/مخازن القبائل المرتحلة. ص. 243/مخازن المؤونة والسلاح. ص. 243/المخيال الميثروبولي. ص. 300/المخيال الغربي. ص. 323/مخيلة الطبقات المثقفة الفرنسية. ص. 300/مخيمات. ص. 217/مخيمات بريطانية. ص. 217/مخيمات سويدية. ص. 217/مخيمات هولندية. ص. 217/مخيمات أمريكية. ص. 217/مخيمات ألمانية. ص. 217/مخيمات فرنسية. ص. 217/المذبح. ص. 264/المذهب الأريوسي. ص. 261/مظاهر الحياة الحضرية. ص. 336/المظاهر الثقافية. ص. 315/التوثيقي. ص. 315/المغالة في الحكم عن الآخر. ص. 287/مغزل الصوف. ص. 337/غرفة طينية. ص. 337.

ن: النبيطة العامة.ص.50/ النهضة.ص.284/ النهضة الأوروبية.ص.284/ نهضة شرقية.ص.284،301/ مجلة
النور.ص.329/ نموذج للرسم.ص.310/ نموذج ثقافي.ص.310/ نموذج إبداع.ص.310/ نمط الحياة المحلية
ص.315/ النمط المعماري الأوروبي.ص.207/ النمط الغربي.ص.207/ النساء الشرقيات.ص.335/ نساء في
الحر.ص.336/ نسوة ملتحات.ص.322/ نساء أولاد نايل.ص.163/ نسوة من بسكرة.ص.337/ نساء الجزائر
في بيوتهن.ص.338/ النسك والتصوف والزهد.ص.253/ النسق الفكري الإنساني.ص.272/ نعل الحمام.ص.
323/ نعال منزلية.ص.163/ النص الرحلي.ص.310/ نصوص الرحلة.ص.310/ النص الرحلي الإستشراقي.
ص.321/ النص الرحلي المتأخر.ص.322/ النصوص التاريخية.ص.309/ النصوص الواقعية.ص.310/
نص القدس.ص.260/ النصب التذكاري لمريم العذراء.ص.260/ النصب الثلاث.ص.260/ النصب الديني
للقدس.ص.260/ النقاد الأدبيين.ص.316/ النقد الأدبي.ص.17/ النقوش.ص.300/ النرجيلة.ص.222/
النشاط الإستعماري.ص.306/ النشاط السياحي.ص.215/ النشاطات الترفيهية.ص.215/ النظرية الإستعمارية
ص.178،225/ النظريات العلمية.ص.287/ نظريات العرق الأدنى درجة.ص.402/ نظرة الآخر.ص.284/
النظرة للآخر.ص.284،306/ نظرة الآخر للأهالي.ص.284/ نظرة نوعية.ص.290/ النظرة الكلاسيكية للآخر
ص.225،288/ النظرة السلبية.ص.289/ النظرة السلبية حول الآخر.ص.286،288،311/ النظرة
الإستعلائية والسلبية للآخر المستعمر والشرقي المتوحش.ص.331/ النظرة العنصرية للأهالي.ص.286،301/
النظرة النمطية للأهالي.ص.286،301/ نظرة غير مبالية من المهزوم.ص.302/ نظرة توجس.ص.303/
النظرة الكولونيالية.ص.163،178/ النظرة الأنثروبولوجية للغرب.ص.286/ نظرة إقصائية.ص.286/ نظرة
الجبليين.ص.287/ النظرة والخطاب الإقصائي للسكان الأصليين.ص.286/ النظرة المصطنعة والمشوهة عن
الشرق.ص.285،288،289/ نظرة المغالاة والذاتية.ص.287/ نظرة مضادة.ص.286،288/ النظرة المضادة
للشرق.ص.285/ النظرة المضادة للغرب.ص.285،290/ نظرة السكان الأصليين.ص.287/ النظرة السلبية عن
الآخر.ص.286/ النظرة الفوقية.ص.285،286،291/ النظرة الفريدة للجبليين.ص.287/ النظرة الفضولية
للمستوطنين.ص.303/ نظرة الرحالة.ص.286/ نظرة شاطوبريون للآخر.ص.286/ نظرة الشرق للغرب.ص.
285/ نظرة خيالية.ص.284/ نظرة الغرب.ص.284/ نظرة الغرب للشرق.ص.284/ النظرة غير العادلة.ص.
286/ نظرة غريبة.ص.286.

س: السانسيمونيين.ص.54،305/ الساحة.ص.206-الساحات.ص.243/ ساحة البيت.ص.223/ ساحة مبلطة
ص.223/ الساحات الخضراء والحدائق.ص.243/ سباق المهري.ص.213،317/ سباق الخيول.ص.317/
السواح الفرنسيين.ص.216،255/ السواح الأوروبيين.ص.216/ السواح البريطانيين.ص.243/ السواح الإنجليز
ص.243/ السواح والزوار.ص.216،255/ السواحل الجزائرية.ص.312/ السواحل الإفريقية.ص.312/ السوق
ص.237/ سوق كبير.ص.237/ السوق المغطى.ص.237،243/ سوق مغطى على الطابع الشرقي.ص.
237/ سوق مغلق.ص.244/ سوق المدينة الفرنسية.ص.237/ سوق القاع.ص.237/ سوق لخيار.ص.237/
السوق العربي.ص.322/ السوق العربي بالغرب.ص.322/ سوق العرية.ص.237/ سور المدينة.ص.224/
سحر الشرق.ص.47،249،284/ سحر الشرق الحقيقي.ص.206،249،284/ السراب القبائلي.ص.295/

السياحة.ص.255/السياحة الكولونيلية.ص.255/السياحة الصحراوية.ص.317/السيناتيتست كونسليت.ص.
60/سيدات في ساحة تلمسان.ص.338/سياسة الإدارة الإستعمارية.ص.273/سياسة الإدارة الفرنسية.ص.
273/سياسة الإستيطان.ص.273/السياسة الإستعمارية في الجزائر.ص.273/السياسات الإستعمارية.ص.
273/سياسة فرنسية.ص.273/سيدي جليد بن جلاص.ص.277/رياح السيريكو.ص.265/السكان.ص.
272،273/السكان الأصليين.ص.295،272/سكان الجبال.ص.296/السكان الجبليين.ص.296/سكان
الجبال القبائل.ص.296/سكان الجزائر.ص.300/السكان المحليين.ص.290/سكان المسيلة.ص.295/
السكان العرب.ص.290/سكان قرية بيجو بجبل الإيدوغ.ص.275/السكان المتطورون.ص.303/سلطان
المغرب.ص.251/السلطات الألمانية.ص.278/سلطات الإحتلال الفرنسي.ص.273/سلطات الإستعمار
الفرنسي.ص.273،274/سلطات الإدارة الإستعمارية في الجزائر.ص.48،273/السلطات العسكرية الفرنسية.
ص.273/سلالة أسد الأطلس الجزائري.ص.278/سلاسل من الفضة والمرجان.ص.171/السلوقي.ص.
215/سمو البربر.ص.296/السمو الشرقي.ص.174/السقيفة.ص.336/سراويل.ص.173/السراويل الحريرية
ص.173/سراويل حريرية-فضفاضة.ص.173/سروال أبيض حريري فضفاض.ص.173/سترة حريرية
بيضاء مطرزة بخيوط رقيقة من الذهب.ص.173/سترات حريرية مطرزة بالذهب.ص.165/سترة حريرية
خضراء مطرزة ذهبية.ص.173/سترة برتقالية اللون وحريرية مطرزة بخيط فضي.ص.173/السترة المخملية
المرصعة بالأحجار.ص.173/سترة حريرية صغيرة بيضاء اللون.ص.173/السرومة المزينة بالفضة والحرير
وريش النعام.ص.321/السرد الذاتي.ص.310/السير الذاتية.ص.310/سرج فضي.ص.323.

ع:العادات.ص.285/عادات الأهالي.ص.285،287/عادات الأوروبيين.ص.287/العادات الأوروبية.ص.
287/عادات العرب.ص.287/عادات العرب بالجزائر.ص.287/العادات الشرقية.ص.285/العادات الغربية
ص.285/العادات والتقاليد.ص.44/العادات والتقاليد والدين.ص.287/العادات والتقاليد المحلية.ص.287،
309/عادات وتقاليد السكان.ص.287/العادات والتاريخ الثقافي للجزائر.ص.287/العجار.ص.336/علماء
الأجناس.ص.309/العلوم الإجتماعية.ص.288/علماء الإجتماع.ص.35/علم الفلك.ص.35/علم الجيولوجيا
ص.35/علم الأطوال والعروض.ص.35/علم تقويم البلدان.ص.35/علم البرود.ص.35/علم المسالك
والممالك.ص.35/علم الأقاليم.ص.35/علم عجائب البلدان.ص.35/علم الأنواء.ص.35/علم الهيئة.ص.35/
العلوم الهندية.ص.35/العلوم اليونانية.ص.35/العالم الغربي.ص.44،40،303،304/العالم الإسلامي.ص.
43،304/العالم الشرقي.ص.249/عالم الشرق.ص.44،43/العلماء.ص.48/العلمة.ص.335/عولمة
الثقافة المحلية.ص.249/العزريات الجزائريات.ص.334/عزريات ثنية العابد.ص.334/عطايا الزيارات.ص.
334/العطايا والصدقات.ص.334/عيد القديسين.ص.265،268/العيساوة.ص.161/علاقة التصوير بالواقع
ص.328/العمال الأوروبيين.ص.205/العمال الأجانب.ص.205/العمارة الدينية.ص.326/عمليات الصيد
ص.273/عمليات الصيد المأجور.ص.273/عمليات الصيد المنظم.ص.273/عمليات الصيد المنظم
للأسود.ص.273/عمليات الصيد المنظم ضد الأسود والنمور والفهود.ص.273/عمليات الصيد في المناطق
الداخلية.ص.273/عمليات الصيد رسميا.ص.273/عملية التصوير.ص.327/عملية التصوير التعسفي

والمغالطة للواقع.ص.327/العنصر المحلي.ص.46/نبات العناب.ص.264/العصور الوسطى.ص.301/
عصر التنوير.ص.301،326/عصر التصوير.ص.326،331/عربي التنوير.ص.301/عربي الرومنسية.
ص.301/العروض الدورية.ص.258/عروض للحضرات.ص.257،258/عروض الحضرات العيساوية.
ص.257،258/عروض العيساوة.ص.257،258/عروض إستثنائية.ص.257/عروض خاصة.ص.258/
عروض على الطلب للسياح والزوار.ص.258/عروض للتسلية.ص.258/العرض.ص.257،258/العرض
الشرقي للعربي للوحات.ص.335/عقال أسود على رؤوسهن.ص.205/عقود ببزائم ببضاوية.ص.178/العقد
الإجتماعي. ص.294/عرق منقط.ص.301.

ف: الفئات الإجتماعية.ص.287/فهود.ص.276/فناء البيت.ص.322/فندق.ص.244/الفنادق بالمدن
الصحراوية.ص.243/فندق برترون.ص.243/الفن الإستشراقي.ص.335/فن الزخارف الكبرى.ص.300/الفن
الفرنسي.ص.300/فن الحرب عند العرب.ص.322/الفنانين الفرنسيين.ص.300/الفنطازيا.ص.80،322،
324/فوطه الحمام.ص.323/فساتين حريرية صفراء مطرزة بالذهب.ص.196/فساتين من الساتان البنفسجي
والمخمل.ص.205/الفكر الأنثروبولوجي الإستعماري.ص.335/الفكر الإستعماري.ص.46،291/الفكر الوثنى
القديم.ص.272/الفكر الكولونيالي الترويجي للجزائر الفرنسية.ص.326/الفكر الكولونيالي المتعصب
والعنصري.ص.326/فكرة لاتينية الجزائر.ص.326/فكر السانسيمونية.ص.305/فكرة الجزائر المقسمة.ص.
293/الفكر الغربي.ص.304/الفكر الإستشراقي.ص.46/الفلكلور.ص.270/الفلكلور الشعبي.ص.270/
فرنسا في بلاد الشمس.ص.320/فرنسة الجزائر.ص.320/فرنسة القبائل.ص.320/الفرنسة والتغريب.ص.
306،319/فرنسة المجتمع المحلي.ص.320/فرسان عرب.ص.276/الفرقة الأجنبية.ص.300/الفرقة
الإفريقية.ص.206/الفرقة الموسيقية للفرقة الثالثة.ص.197/الفرقة الموسيقية لجوق الزواف الثالثة.ص.197/
الفرقة الموسيقية العسكرية.ص.205،267/فرقة الجوقة الموسيقية للزواف.ص.206/الفرقة الموسيقية العسكرية
للزواف.ص.205/الفرق العسكرية والمدفعية.ص.243/الفرق العسكرية الرومانية.ص.261/الفرقة الشرفية.
ص.178/الفرنسيين الجدد.ص.299/فتى الحمام.ص.323/فترة الجزائر الفرنسية.ص.302/فترة الإنحطاط.
ص.301/فترة الأنوار.ص.294/فترة الحملات.ص.301/الفترة الإستعمارية.ص.301/الفترة الإسلامية.ص.
301/الفترة البيزنطية.ص.261/الفترة الوندالية.ص.261/الفترة العثمانية.ص.301/الفترة القديمة.ص.
261/فترة القديس أوغسطين.ص.261/الفضاء الإستيطاني.ص.293/فضاءات الإسترخاء والمداواة.ص.
217/فضاءات مدينة قسنطينة.ص.219/فضاء مزدوج الأبعاد الزمنية.ص.306/فضاءات اللقاء والمتعة.
ص.219/فضاء خاص للقاء.ص.217/فضول الرحالة.ص.287/فضول السكان.ص.287/فضول الشرقي.
ص.290/فلاسفة التاريخ.ص.35/الفرنكوفوني.ص.285/الفرسانية.ص.305/فلسفة التاريخ.ص.312/
فطوغرافية شمسية أو تصويرية.ص.327.

ص: صائدي الأسود.ص.273،274/صائدي الأسود والنمور.ص.273،274/الصيد المنظم.ص.273،274/
صيادي الضربان.ص.315/الصلصال.ص.271،323/الصابون الطبيعي من الصلصال.ص.323/
الصبايحية.ص.186/صبغة جمالية.ص.315/صدمة الأميرة العراقية ماريا ثيريزا أسمر.ص.304/الصدمة

الإستيطانية.ص.301/صدمة اللقاء.ص.44،290/الصدام الثقافي.ص.304/الصدمة الثقافية.ص.301،
304/الصوردي.ص.176/الصورة.ص.310/صورة الأهل.ص.299/صور ألف ليلة وليلة.ص.324/صور
الحرب.ص.300/صورة الجزائر.ص.300/صور الحرب في المستوطنة.ص.300/صورة المرأة.ص.39/
صورة المرأة الشرقية.ص.44/صورة المعمر.ص.299/صورة الآخر.ص.39،301/صورة الآخر الغريب.
ص.290/صور أوجان فرومونتان عن الجزائر.ص.300/الصورة الأيقونية.ص.335/صورة ألف ليلة وليلة.
ص.285،329/الصورة الإيحائية للمرأة المحلية.ص.331،335/صورة الشرق.ص.44،285/صورة
الإعجاب.ص.285/الصورة الافتراضية للشرق.ص.304/صورة الاختلاف والغربة.ص.285/صورة إغراء
وإحياء.ص.285/صورة البحار والمحيطات على الصحراء.ص.217/صورة البسكري الصعب والعنيف.ص.
219/صور الجزائر.ص.316/صور الجذب السياحي.ص.217/صورة الدليل.ص.178/صور واقعية.ص.
316/صورة الوريث للحضارة الشرقية.ص.301/الصورة الحقيقية للشرق.ص.285/صورة الحضري الناعم
والمختل.ص.301/صور حضريات باللباس المحلي والحلي التقليدية.ص.331/صور الطابع البريدية.ص.
301/صورة للإسترخاء والمتعة والصيد.ص.285/صور مبتذلة.ص.335/الصورة الميثولوجية للصحراء.ص.
217/صورة الملك النوميدي يوغرطة.ص.261/صورة مصطنعة عن السكان المحليين.ص.316/صورة
المرافق.ص.178/صورة إيحائية.ص.290/صورة اللقاء الأول.ص.290/صورة المرأة.ص.331/صورة المرأة
الحضرية.ص.331/صورة المرأة الحضرية الجذابة والغامضة والإيحائية.ص.331/صورة المرأة المحلية.ص.
331،335/صورة المتخلف.ص.301/صورة مضادة.ص.291/الصورة النمطية للغرب.ص.291/الصورة
النمطية في الذاكرة الجماعية الكولونيالية.ص.191/الصورة النمطية للطرق الصوفية.ص.249/الصور
النمطية.ص.249،291/صور نساء نايليات.ص.331/الصورة العنصرية.ص.301/الصور (ة) الفوطوغرافية
ص.301،310،326،328،329،330/صور فوطوغرافية شمسية.ص.332/الصور الفوطوغرافية عن
المرأة المحلية.ص.332/الصور الفوطوغرافية المبتذلة والمشوهة عن المرأة المحلية.ص.332/صورة القديس.
ص.261/صورة القديس والمدينة.ص.261/صورة الشافي.ص.291/الصورة الرومنسية للعربي.ص.301/
صور الرجل المحلي.ص.290،284/صورة الرجل الشرقي.ص.284/صورة رحلات الصيد والمتعة.ص.
277/الصورة الشعبية عن سكان الجزائر.ص.300/صورة الشرق.ص.287،316/صورة الشرق الحقيقي.ص.
287/صورة الترف والثراء.ص.284،285/صورة خيالية.ص.284/صورة مسار رحلة الحج.ص.261/
صورة الكمال للمشهد.ص.328/صورة تطوير نشاط القراءة المشبعة.ص.328/الصورة المتداخلة ما بين
الشرق والإستشراق والآخر.ص.335/صيد النعام.ص.276/الصيد المنظم.ص.275-277/الصيد العشوائي
ص.277/الصيادين العرب.ص.277/صياد الفندق.ص.221،277/الصيادين الفرنسيين للأسود في البلاد.
ص.275-277/صيف في الصحراء.ص.130/صينية نحاسية كبيرة مستديرة مزينة بالزخارف.ص.325/
صناديق ملابس مصنوعة من خشب شجر الأرز وخشب الصندل واللؤلؤ مزينة بالألوان والرسومات المتنوعة
كالأزهار والورود.ص.161/صناديق من النوع القديم التقليدي.ص.161/صناديق من النوع الجديد الفرنسي
الحديث مركبة من الزجاج والبرونز مغلفة بالحرير.ص.161/الصناديق الخشبية المزينة.ص.161/الصراع

الإستعماري.ص.46/صراعات إستوغرافية وإيديولوجية.ص.309/الصراع الإغريقي الفارسي.ص.41/الصرمة
ص.162/صف الخيالة.ص.302.

ق: أقمص الشاش المزينة بالخيط الذهبي.ص.321/الأقمشة الحريرية.ص.321/القايد.ص.232/القائد الأعلى
ص.230،256/قايد بريبة.ص.232/قايد الدار.ص.232/قائد الدائرة.ص.232/القائد العام.ص.230/قايد
المدينة.ص.232/قاموس الحلي الجزائري.ص.78/قاموس عشق الجزائر.ص.335/قاموس هيلو الفرنسي-
العربي.ص.84/قانون الأسلوبية النصية.ص.329/قانون الإستقلال المالي.ص.326/قانون الحالة المدنية.
ص.296/القانون الإمبراطوري.ص.266/القانون الروماني.ص.266،297/القارقوز.ص.50/القباب.ص.
323/قبر القديس أوغسطين.ص.259،266/قبر الشيخ الكبير محمد بن بلقاسم.ص.169/قبر مرابط.ص.
168/القديس.ص.259،266/قديسة الإسلام.ص.168/قديسة للمرأة.ص.168/القديسة مونيك.ص.266/
قهوة.ص.325/القهوة الحضرية.ص.325/قوافل تجارية.ص.213/القوافل التجارية العابرة لإفريقيا جنوب
الصحراء.ص.214/القومية.ص.325/القوات الفرنسية.ص.272/القطاع القسنطيني.ص.297/القيطو أو
المخيم.ص.299/قيطوهات.ص.299/قمصان.ص.196/قناير طويلة بخيوط سوداء.ص.196/قصعة
خشبية كبيرة.ص.166،325/القصر.ص.237-القصور.ص.237/قصر أحمد باي.ص.228/قصر ألف
ليلة وليلة.ص.230/قصور الجزائر.ص.237/قصر الداوي.ص.237/القصور والواحات.ص.237/القصور
والموروث العمراني والحضاري في الصحراء.ص.237/القصر الكبير الخاص بالمرابطة.ص.167/قصر
مدينة الأغواط.ص.212/القصر العربي.ص.237/القصور الصحراوية.ص.237-القصور في المناطق
الصحراوية.ص.237/القصور الشرقية.ص.237/القرى الإستيطانية.ص.297،317/قرى المعمرين.ص.
297/القرن السادس عشر.ص.45/القرن الثامن عشر.ص.286،306/القرن التاسع عشر.ص.285/القرن
العشرين.ص.43/القشابية الصوفية.ص.218/القلة.ص.325/قصعة.ص.337.

ر: ربوة القديس.ص.265/الرجل المحلي.ص.176،178/رجل عربي.ص.178/رجل حرب.ص.301/روائح
العطريات.ص.207/الرواد.ص.250/رواد المدرسة الواقعية.ص.310/رواد التيار الواقعي والطبيين.ص.
317/رواد المذهب الرمزي.ص.317/الروحانيات.ص.250/الرأي الأوروبي.ص.296/روايات أدب الرحلات
إلى الشرق في القرن التاسع عشر.ص.286،309/رواية جغرافية.ص.310/الرواية الأدبية.ص.309/الرواية
الواقعية.ص.310/رواية الحج.ص.45/روايات المغامرات.ص.309/روايات الرحلة.ص.285/رواية رحلة إلى
الشرق لنارفال.ص.285،310/الروايات التاريخية.ص.310/رواية دم الأعراق رواية.ص.81/رواية السينا.ص.
81/رواية بيباثر وبالتازار.ص.81/روايات البطولة والفروسية.ص.304/شتاء في مايوركا.ص.310/الرواق.
ص.223،230/رواق مسقوف(سرداب).ص.223،230/رومنسي.ص.300/الرومنسية السامية في الشرق.
ص.306/الرحلة.ص.60،286/الرحلات.ص.60،286/الرحالة.ص.43،44،207،286،287/رحلات
إستكشافية.ص.60،235/الرحلات الدينية.ص.259،261/رحلة إستكشافية للصحراء.ص.235/رحلة في
الصحراء.ص.235/الرحلات الرسمية والفردية للصحراء.ص.235/الرحلات الخاصة.ص.60/رحلات
شخصية.ص.60/الرحلات للشرق.ص.43،285/الرحلة والتأريخ.ص.309/الرحلة والتوثيق.ص.309/

الرحلات والجغرافيا. ص. 40، 35/الرحلات المعلمية. ص. 40/الرحلة في العصور الوسطى. ص. 40/رحلة القرن السادس عشر. ص. 45/الرحلة إلى الجزائر. ص. 315/رحلة في إيالة الجزائر في القرن الثامن عشر. ص. 18/الرحلات في القرن التاسع عشر. ص. 304، 286/الرحلة الفرنسيين في القرن التاسع عشر. ص. 178، 43، 35/الرحلة في القرن العشرين. ص. 43/الرحلة الفرنسيين في الجزائر. ص. 286/الرحلة الفرنسيين. ص. 18/الرحلة الفرنسيين والأوروبيين. ص. 286/الرحلة الأوروبيين. ص. 289/الرحلة الغربيين. ص. 304، 289، 38/الرحلة الغربية. ص. 40/رحلات العرب والأترك. ص. 287/الرحلة المسلمين. ص. 37/الرحلة والرحالة المسلمون. ص. 40/الرحلة العرب والمسلمين. ص. 38/الرحلة من غير المسلمين. ص. 38/الرحلة البريطانيين. ص. 289/رحلات الحج. ص. 37، 259/رحلات الحج إلى هيبون. ص. 259/رحلات طلب العلم والتجارة. ص. 37/الرحلات الدبلوماسية. ص. 43/الرحلة في غربي المتوسط. ص. 44/الرحلة المكتشفين. ص. 43/رحلات داخلية. ص. 39/رحلات خارجية في العالم الإسلامي. ص. 39/الرحلات الرسمية. ص. 48/رحلات خارجية في البلدان غير الإسلامية. ص. 39/الرحلة المتجولون. ص. 43/الرحلة الحجاج. ص. 18، 43، 259/الرحلة المبعوثون. ص. 43/الرحلة الرسامين والفنانين. ص. 60، 289/الرحلة الراوي. ص. 310/الرحلة في الأدب العربي التجنس. ص. 39/الرحلة الفعلية. ص. 39/الرحلة المتخيلة. ص. 39/رحلات الصيد. ص. 215، 276/رحلات صيد الغزلان والنعام. ص. 215/رحلات الصيد في بسكرة. ص. 215، 277/رحلات صيد في منطقة الغرب. ص. 276/رحلات صيد منظمة. ص. 276، 277/رحلة صيد لقنص لبوة وشليها في ضواحي منطقة سكيكدة. ص. 276، 277/رحلة صيد برفقة كلاب الصيد المحلية. ص. 322/رحلة صيد الأرانب البرية. ص. 325/رحلة صيف في الصحراء. ص. 310/رحلة للجنوب الجزائري. ص. 310/الرحلة في بوسعادة. ص. 168/رحلة ابن جبير. ص. 37/رحلة الكنان. ص. 37/الرحلات الجغرافية. ص. 37/رحلات بن بطوطة. ص. 37/الرحلة السفارية لابن فضلان. ص. 38/الرحلة الحجازية. ص. 38/الرحلة العجائبية. ص. 38/رحلة كتاب العجائب. ص. 17/الرحلة العلمية للقصادي. ص. 38/الرحلة الاستطلاعية لابن يونة التطيلي. ص. 38/رحلة هيغو إيمبير. ص. 277/رحلة قالون. ص. 168/رحلة الرحالة لويس ريجيس. ص. 77/رحلة العمة جارتريد. ص. 200/رحلة ماركو بولو. ص. 42/رحلة جون دو ليري. ص. 17/رحلة رسائل عن الجزائر. ص. 48/رحلة بيار بولون دي مانس. ص. 44/رحلة إلى الشرق لنارفال. ص. 310/رحلة إلى الشرق للامارتين. ص. 310/رحلة الطريق من باريس إلى القدس لشاطوبريون. ص. 18، 310/رسالة. ص. 43/رواية. ص. 43/الرسومات الفرنسية. ص. 44/رئيس البلدية. ص. 333/ربوة هيبون. ص. 259/الريع الكولونيالي. ص. 299/رواة التاريخ والمغازي والسير. ص. 34/الرومي. ص. 299، 300/الرماء الأهالي. ص. 300/الرماء الجزائريون. ص. 186/الرموز الشرقية. ص. 284/الرسامون المستشرقون. ص. 331/الرسامين الفرنسيين. ص. 300، 338/الرسامين الإيطاليين. ص. 338/الرسم التاريخي. ص. 300/رسوم بالطابع الباروكي. ص. 230/الرسوم الجدارية. ص. 230/رسوم الجدران بألوان شرقية. ص. 230/رسام الجزائر. ص. 67/رسام الزمالة. ص. 132/الرسوم الزخرفية. ص. 230/الرسامين الغربيين. ص. 300/الرسوم التوضيحية التقليدية. ص. 330/رعاة القديس. ص. 257/الرقاب. ص. 250/الرقص. ص. 50-الرقصات. ص. 218/الرقص التركي. ص. 44/الرقص العربي. ص. 44، 218/الرقص في المقاهي. ص. 218/رقصة للنايليات. ص. 218/رقصات النايليات والقبائليات. ص. 218/رقص فتيات صغيرات. ص. 218/راقصتين من

بلاد القبائل.ص.218/راقصات البطن.ص.50،332/الرقص التقليدي بالبطن والأرداف.ص.218/الرقص الإيحائي.ص.334/راقصات شرقية.ص.314،321/رقصة الجن.ص.314/رقصة موريسكية.ص.314/الرخام الأبيض الزهري بالتيجان المنحوتة.ص.230/الرخام والأعمدة والزجاج المربع الملون.ص.230.

ش:شاوش.ص.250/الشاش.ص.218/الشيشان.ص.254/الشاشية.ص.206/شاش حريري.ص.166/الشاشية العربية الحمراء.ص.269/شالات.ص.205/الشباب الجزائري.ص.296/شهادة الرحالة شالون.ص.273/الشطاحة.ص.335/الشيخة.ص.197/شيخ.ص.250/شيخ الطريقة.ص.250/الشيخ المؤسس.ص.250/الشيخات المغريات.ص.334/الشركة الجزائرية".ص.297/شركة جنيف.ص.297/الشركات العقارية الكبرى في المستوطنة.ص.297/شركة ترانس آتلونتيك.ص.78/الشكل العثماني للمدينة التقليدية.ص.334/الشرطة والصحة.ص.335/الشرفقات.ص.161/الشرق.ص.43،44،335/الشرق والإستشراق والآخر.ص.284/الشرق الحقيقي.ص.284،285/الشرقيين الحقيقيين.ص.284/الشرق الساحر.ص.284/الشرق السامي.ص.284،299/الشرق المروض.ص.284/الشرق الرائع.ص.284/الشرق المترف.ص.285/الشرق الأوسط.ص.289/الشرق الغربي.ص.289/الشرق الثاني.ص.299/شخصيات ألف ليلة وليلة.ص.301/الشخصيات الخيالية للشرق.ص.284/الشمعدان.ص.324/الشريعة الإسلامية.ص.335.

ت:التاريخ.ص.45/تاريخ أدب الرحلة الفرنسي.ص.330/التاريخ الحي.ص.331/تاريخ جامع.ص.329/التاريخ الكلي.ص.331/التاريخ السياسي.ص.45/التاريخ الطبيعي.ص.44،326/التاريخ العسكري.ص.45/التاريخ المفترض.ص.310/التاريخ القديم.ص.46،41،40،197/التاريخ القديم في الجزائر.ص.40/التاريخ المرئي.ص.329/التاريخ العام للرحلات.ص.17/التاريخ المقروء.ص.329/التاريخ المعاش.ص.329/التأريخ.ص.258/تأريخ وتوثيق.ص.310/التأريخ الحي.ص.258/التأريخ للمجتمع المحلي.ص.310/التأريخ لمجتمع المدينة المحلي.ص.309/تأريخ الآخر للتاريخ المحلي.ص.310/تاريخ الجزائر العثمانية.ص.48/تاريخ رحلة في أراضي البرازيل.ص.17/تاريخ المجتمع الجزائري في الفترة الإستعمارية من خلال الرحالة الفرنسيين.ص.38/تاريخ الحروب الميمنية.ص.41/تاريخ الآثار الورمانية.ص.46/التأثير الفرنسي في المستوطنة.ص.296/التأثير المتوسطي الإيطالي والإسباني.ص.47/تجمع عمراني للقرى.ص.297/التجمعات السكانية.ص.297/التجمعات السكانية الإستيطانية الرباعية الشكل.ص.297/تدخين الحشيش.ص.256/التدليك.ص.323/التدفق الحتمي للزمن والإنسان.ص.328/التهليل والتكبير والذكر.ص.253،256/التوازن الإيكولوجي.ص.278/التواصل الفكري والحضاري.ص.305/التناقض الإنساني.ص.327/التنوع البيئي.ص.272،277/التنوع البيئي والحيواني للبلاد.ص.272/التنوير.ص.305/نبات التين.ص.264/توحيد الشرق والغرب.ص.305/التحولات الكبرى.ص.305/التوسع الإستعماري.ص.46،291،305/التحصينات المدفعية التركية.ص.312/التوسع الإمبريالية.ص.46،291/التوسع الإستعماري الحديث.ص.291/التوسع الإستعماري في البلاد.ص.291/التوسعات الفرنسية.ص.291/التصوير.ص.48/التحركات المناهضة للإستعمار.ص.296/التطبيب الفرنسي.ص.303/التيار الإستشراقي.ص.74،290،320،339/التيار البراغماتي.ص.328/التيار الواقعي.ص.18،74،320/تيار المستشرقين.ص.320/التيارات الفكرية.ص.47.

التيار الرومانتيكي.ص.18،74،316/التيار الرومنسي.ص.18،74/التيار الرمزي.ص.18،74/تمجيد الإستعمار.ص.46/تمجيد الجزائر المستعمرة.ص.320/تمديد الإستشراق.ص.320/التنافس الأوروبي. ص.46/التنوع النباتي والحيواني.ص.272/تفاعل الصور الفوتوغرافية مع نص الرحلة.ص.329/التفكير الإنساني القديم.ص.272/التفكير الشعبي للمجتمعات القديمة.ص.272/التصيين والتدليك.ص.221/تصويرية.ص.300،328/تصوير الوجه.ص.300/التصوير والخيال الجنسي الإستعماري.ص.331/التصوير الفوتوغرافي.ص.328-331/التصوير الفوتوغرافي بين الواقع والخيال.ص.328/التصوير الإستعماري.ص.331/تصنيع التصوير الفوتوغرافي.ص.329/تصوف.ص.253/التصوف والمرابطة. ص.253/التقاليد المسيحية.ص.269/تقديم القهوة.ص.221/تقنية النسخ.ص.329/ترجمة إنجليزية وفرنسية. ص.287/الترجمة اللاتينية.ص.287/ترويض الأولياء الصالحين للحيوانات.ص.270/التراكم الحضاري. ص.272/التركيبة الإثنية.ص.46/التخيم السياحي والصحي.ص.245/التغير الكولونيالي.ص.242/التغير العمراني الأوروبي.ص.242/التراكم الحضاري.ص.272/التراث الأوغسطيني الإنساني.ص.259/التراث الإنساني.ص.250/التراث الديني المسيحي بالمستوطنة.ص.259/تراث حضاري.ص.259/تراث حضاري للجزائر.ص.259/التراث المحلي.ص.259/التراث المسيحي للقديس.ص.259،269/التراث العالمي.ص.259،269/التراث الرومنسي.ص.289/التراث السادي.ص.289/تفسيرات عقائدية وحضارية.ص.272/التخيلات الذكورية.ص.335.

ث: ثكنات عسكرية.ص.243/ثلاثية الرواية والمغامرة والتاريخ.ص.309/الثقافة الشعبية لسكان البلاد.ص.270/الثقافة العربية.ص.40/ثقافة الفروسية.ص.300.

خ: الخدمات اللوجستية للإستعمار.ص.334/خدمة الإستيطان ومصالح المستوطنين.ص.291/خزانات مياه. ص.243/خزانات القصر.ص.243/خزانات المياه الرومانية.ص.267./الخطاب.ص.291/الخطاب الكولونيالي.ص.291،294،295/الخطاب الإقصائي.ص.291/الخطاب المتناقض.ص.291/خطاب المتخيل.ص.39/الخيال الغربي.ص.44/الخيال الإستعماري.ص.335/الخيال الجنسي الإستعماري.ص.331/الخيال الغربي.ص.304/الخيالة.ص.267/خليفة.ص.250/الخلفيات الفكرية.ص.291/خلفيات تاريخية وأثرية وجمالية.ص.291/الخلفيات التاريخية للخطاب الكولونيالي.ص.291/الخلخال.ص.322/خلخال فضية كبيرة في الأرجل.ص.196/خلل إيكولوجي.ص.270.

ذ:الذاكرة الجماعية.ص.284/الذاكرة الجماعية الكولونiale الجزائر.ص.291/الذاكرة الشعبية.ص.270/ذاتية الابداع الأدبي.ص.309،310/ذكريات الرحلة.ص.311/الذكور السيئون لفرنسا المؤهلين باللباس العسكري. ص.300.

ض:ضباط البحرية.ص.267/الضباط العسكريين.ص.48/ضابط صف الخيالة.ص.302/الضيقة.ص.213،317،322،324/الضيقة والإستعراض.ص.317،324،326/الضريح.ص.269/ضريح القديس.ص.269.

ظ: ظاهرة الإستشراق. ص. 285/ظاهرة الدعارة في الجزائر المُستعمرة. ص. 332.

غ: الغوت. ص. 250/الغرائبية. ص. 300-اللمسة الغرائبية. ص. 300/الغرب اللاتيني. ص. 299/غرفة البخار الحارة. ص. 222/الغرف بالأروقة المسقفة. ص. 223، 230/غرفة الحريم. ص. 229/غرفة طعام كبيرة. ص. 223/غرفة المؤونة. ص. 223/غرف الموريسكية. ص. 230/غرف معيشة. ص. 223/غرف مضاءة. ص. 223/غرفة نوم وطعام ومخزن. ص. 223/غرفة الضيافة. ص. 223-غرفة ضيوف. ص. 223/غرفة البخار الحارة. ص. 323/غسل الطفل. ص. 323.

2. فهرس المصطلحات باللغة الأجنبية.

A: Abdallah. ص. 62/L' Almée. ص. 335/رواية Allouma. ص. 133/رواية Une Année Dans Le Sahel. ص. 130/لوحة L' Assaut de Constantine. ص. 73/لوحة Arabes conversant sous un figuier. ص. 132.

B: Biskra la délicieuse. ص. 211/لوحة Le Bivouac au lever du jour. ص. 128/Le Bougnoule. ص. 301/Bambino. ص. 62/باخرة La Bourgogne. ص. 78/Un Bref Récit. ص. 79.

C: Casbah Alger, Réception d'un Emir. ص. 67/لوحة Le Campement. ص. 130/لوحة Chasse au Faucon en Algérie. ص. 69، 129/لوحة Une Chasse au Sanglier En Algérie. ص. 133/لوحة Caractère essentiel. ص. 68/Catalogue des mammifères et des oiseaux observés en Algérie. ص. 144/لوحة des Colonnes d'Assaut. ص. 79/La Comédiens en Voyage. ص. 79/Un Comédien. ص. 133/se mettant en mouvement. ص. 79/Courriers ; Pays des Ouled-Nayls au la Curée. ص. 79/لوحة Contemporaine Egypte. ص. 68/لوحة Chasse au Faucon en Algérie ; La Curée. ص. 68/chronique. ص. 70/مؤسسة نقل. ص. 97.

D: La Revue des Deux- Mondes. ص. 306/le dépaysement. ص. 306/La Déroute des Kabyles. ص. 67/Les Diligences. ص. 67/Djeid et Rahia. ص. 97.

E: Esquisses et Souvenirs. ص. 79/رواية Un été Dans Le Sahara. ص. 130/l'étrange. ص. 306/l'étranger. ص. 306.

F: Le Fauconnier Arabe. ص. 128/Femme Kabyle à la Fontaine. ص. 67/Fleurs d'Ennui. ص. 64/Les Fromont jeune et Risler. ص. 192/français en Algérie : souvenirs d'un voyage fait en 1841. ص. 74/Les femmes et les mœurs de l'Algérie. ص. 79.

G: Le Gaulois. ص. 70، 133/كتاب Géographie. ص. 122/le guide de Joanne. ص. 18.

H: Hamdy-Bey. ص. 67/لوحة صيد Le héron. ص. 130/Histoire naturelle des mammifères de l'Algérie : exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840، 1841، 1842. ص. 144/naturelle des oiseaux de l'Algérie ; exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840، 1841، 1842. ص. 144/Hivernage en Algérie. ص. 255/Heures d'Afrique. ص. 60/لوحة Le héron. ص. 130.

I: des indigènes. ص. 293.

J: Le Jardin acclimatation de Hamma. ص. 60.

K: Les Kabyles Repoussées des hauteurs de Condiat-ati. ص. 133.

L: مؤسسة نقل Lafitte ص.97. Les Contes Du Lundi أو Les Lettres de mon Moulin ص.212. Lieues ص.97.

M: La Malle-Poste ص.97، 122. Mammologie et Ornithologie Algériennes ص.145. Mille et un قصة ص.145. La Mission de l'Exploration ص.133. Mohammed-Allouma رواية ص.133. Marroca رواية ص.285. nuits ص.285. Mostaganem la ص.138. Le Myrrhe ص.123. Mundus novus ص.140، 135. scientifique de l'Algérie ص.208. Française.

N: d'Afrique Notre-Dame ص.260. Nouvelles Annales des Voyages ص.22. Le Nabab ص.65.

O: L'orientalisme ص.285. L'Orient Véritable ص.289. l'orient malade ص.289.

P: Le Peintre de La Smalah ص.67. Le Peintre de L'Algérie ص.97. La Malle-Postes ص.73. La prise de لوحة ص.133. La Prise de la Kasbah de Bône لوحة ص.67. Le Porteur d'Eau ص.97. Poste ص.92. Constantine ص.133. Pépète et Balthazar رواية ص.81. شركة إنجليزية Morton Peto ص.92.

Q: quartier franc ص.124، 334.

R: Le Romantisme ص.74، 18. le récit de voyage ص.18، 74. Récits et ص.305، 38، 44. Le Réalisme ص.74، 18. La Régence ص.191، 65. Nouvelles D'Algérie ص.62. Romance ص.131. Rembrandt ص.20. Rois ص.65. en Exil ص.65.

S: Sapho ص.65. La Salle de Constantine au Musée de Versailles ص.133. Au Soleil ص.70، 133. Le Sang ص.55. Le jour de Saint-Martin ص.61. Salammbô Sources et Methode ص.61. Salammbô ص.81. Des Races ص.81.

T: Tartarin de Tarascon ص.65. Tramways ص.44. les touristes des agences Cook ص.161. شركة النقل البحرى Transatlantique ص.78. Les Trois Dames de la Kasbah suivi de Suleïma ص.163. Tentes de la ص.69. Smala de Sidi-Hamel-bel-Hadj ص.69.

U: L'Univers ص.121.

V: La Ville de Joie ص.153. Le voyage en orient ص.43، 285. Voleurs de nuit لوحة ص.130. Le Véloce ص.66.

3. فهرس الملاحق.

أ: أولاد نايل: الملحق العاشر: نص رحلي يصف فتاة نابلية صغيرة. ص.364. الملحق الخامس والعشرون: صورة فوطوغرافية لشابنتين من أولاد نايل تبرز الحلي والباس مع تسريحة الشعر المحلية. ص.379. الملحق السادس والعشرون: صورة فوطوغرافية لشابة من أولاد نايل بالحلي التقليدي. ص.380. الملحق السابع والعشرون: صورة فوطوغرافية لشابة من أولاد نايل تبرز الحلي والوشم واللباس التقليدي المحلي. ص.381.

آ: الآلات: الملحق الأول: نص رحلي حول للآلات الموسيقية المحلية. ص.355.

آ: الأغواط: الملحق الرابع: نص رحلي حول الأغواط. ص.358.

ز: زيارة: الملحق الخامس والأربعون: زيارة الرئيس الفرنسي "Emile Loubet" في أبريل 1903 إلى الجزائر
وصور من زيارته مدينة تلمسان وبالتحديد منطقة خضير أين وصف الرحالة "O.De La Bourdonnaye"
المشهد من الضيفة والمشوي وتقديم الذبائح للضيوف.ص.399.

ح: الحضر: الملحق الخامس: نص رحلي حول التجار الحضر وأصحاب الدكاكين.359/الملحق الواحد
الأربعون: صورة لتاجر محلي واقف على باب الدكان كما جاء وصف الرحالة ويعرض سلع إستهلاكية وأدوات
منزلية معلقة وفي أكياس.ص.395.

حضرية: الملحق الثامن والعشرون: صورة لفاطمة المرأة الحضرية التي لاقت شهرة واسعة بين الرحالة
الفرنسيين.ص. 382/الملحق التاسع والعشرون: صورة ثانية لفاطمة المرأة الحضرية التي لاقت شهرة واسعة
بين الرحالة الفرنسيين.ص. 383/الملحق الثلاثون: صورة لثلاثة لفاطمة المرأة الحضرية التي لاقت شهرة واسعة
بين الرحالة الفرنسيين باللباس التقليدي جبة حرير كراكو وترتدي الحلي التقليدي خيط الروح وعقد
الجوهر.ص.384/الملحق الواحد والثلاثون: صورة لإمرأة حضرية بلباسها التقليدي اليومي وحليها نرى خيط
الروح وعقد الجوهر كحلي يومية مشتركة لكل النسوة من مختلف الفئات والطبقات الإجتماعية وبروز الأثاث
وأفرشة البيت وتفاصيل العمران الداخلي، وتحتسي القهوة مشروب المحليين.ص.385/الملحق الثاني
والثلاثون:صورة لإمرأة حضرية بزینتها المميزة ولباسها وحليها التقليدي.ص.386/ الملحق الثالث والثلاثون:
صورة لإمرأة حضرية بلباسها وحليها واقفة في غرفتها ويبرز معها باب مزخرف.ص.387/ الملحق الرابع
والثلاثون:صورة لإمرأة حضرية بآلة موسيقية بلباسها التقليدي والحلي.ص.388/الملحق الخامس والثلاثون:
صورة إمرأة حضرية باللباس والحلي التقليدي.ص.389/الملحق السادس والثلاثون: صورة لإمرأة حضرية من
وهران بلباسها وحليها التقليدي والوشم.ص.390/الملحق السابع والثلاثون:صورة لإمرأة حضرية بالحايك
وغطاء الوجه تبدو من بسكرة من خلال لباسها وحليها.ص.391/الملحق الثامن والثلاثون:صورة لفاتة
حضرية.ص.392/الملحق التاسع والثلاثون: صورة لفاتة بزيها اليومي ودميتها بعنوان مريم
ودميتها.ص.393/الملحق الأربعون: صورة لفاتة من بوسعادة بلباس يومي بسيط.ص.394/الملحق الرابع
والأربعون: لوحة لبيار أوغيست رونوار بعنوان: إمرأة جزائرية سنة 1881.ص.398.

م:خرائط: الملحق الثامن عشر: خرائط مسار أهم البعثات الفرنسية إلى الصحراء الجزائرية.ص.372.

م:المدينة العتيقة: الملحق السادس: نص رحلي عن الفضاء الكوسموبوليتي لمدينة الجزائر.ص.360/الملحق
الثاني عشر: نص رحلي عن المدينة العتيقة بقسنطينة والنشاط التجاري للسكان وأصحاب
الدكاكين.ص.366/الملحق الثالث عشر: نص رحلي وصفي عن المدينة العتيقة بالجزائر ومظاهر النشاط
المحلي بها.ص.367/الملحق الرابع عشر: نص رحلي عن الشارع في مدينة الجزائر يرصد الشوارع
والسكان.ص.368/الملحق السادس عشر: نص رحلي حول حادثة رمي سكان قسنطينة أنفسهم في وادي
الرمال بعد الإحتلال.ص.370.

م: مخيم الأمير عبد القادر: الملحق الثاني والأربعون: لوحة للرسام جون بابتيست هايسمان في مخيم الأمير عبد القادر. ص. 396.

مصطلحات الدراسة: الملحق السابع عشر: مصطلحات الدراسة (الجزء 1) مترجمة ترجمة ذاتية. ص. 371/ الملحق الثامن عشر: مصطلحات الدراسة (الجزء 2) مترجمة ترجمة ذاتية. ص. 372.

ن: نساء بسكرة: الملحق الواحد والعشرون: صور فوطوغرافية لنساء بسكرة. ص. 375/ الملحق الثالث والأربعون: لوحة زيتية لامرأة من بسكرة للرسامة ماري كار ثونوار، والتي يعتبرها المحللون من أجمل وأصدق اللوحات التي رصدت ملامح وجمال المرأة المحلية البسكرية. ص. 397.

ع: عرب: الملحق الثامن: نص رحلي وصفي للعربي وصفاته. ص. 362/ الملحق الثاني والعشرون: لوحة للرسام أوجين لاكروا عربي في المقابر 1838. ص. 376/ الملحق الثالث والعشرون: لوحة لأوجين فرومونتان لفارس عربي. ص. 377.

ف: الفكر: الملحق الثاني: نص رحلي حول الفكر الكولونيالي العنصري ضد السكان المحليين الداعي لتصفيتهم. ص. 356/ الملحق الحادي عشر: نص رحلي عن الفكر الأنثروبولوجي الكولونيالي الداعي للجزائر اللاتينية المسيحية. ص. 365.

ص: الصور: الملحق السابع عشر: صور لأهم مستكشفي الصحراء الجزائرية. ص. 371.

الصيد: الملحق الرابع والعشرون: لوحة أوجين فرومونتان الصيد بالصقور في الجزائر. ص. 378.

ق: قصر: الملحق التاسع عشر: أعمدة وواجهة قصر أحمد باي وأحد مداخله. ص. 373/ الملحق العشرون: مختلف أجزاء من بهو قصر أحمد باي وزخارف. ص. 374.

ر: الرحلة: الملحق التاسع: نص رحلي توضيحي عن مسار الرحلة إنطلاقا من فرنسا. ص. 363.

ت: التغير العمراني: الملحق الثالث: نص رحلي حول التغير العمراني الذي أحدثه الإستعمار في مدنية الجزائر. ص. 357/ الملحق السابع: نص رحلي عن وضع حمام المرجة بالشلف قبل الإحتلال وبعده أين أصبح حطاما. ص. 361/ الملحق الخامس عشر: نص رحلي حول تهديم فرنسا للمعالم العمرانية بالجزائر. ص. 369.

فهرس الموضوعات

الواجهة.

الإهداء.

شكر وتقدير وعرفان.

قائمة المختصرات.

مصطلحات الدراسة.

قائمة المحتويات.

المجتمع المحلي بالجزائر في كتابات الرحالة الفرنسيين ما بين 1830-1900.

مقدمة.....ص.1-14.

المدخل: قراءات حول أدب الرحلة وأهم الرحلات الفرنسية إلى إيالة الجزائر.....ص.15-23.

أولاً: قراءة تاريخية مختصرة حول الأدب الفرنسي في القرن التاسع عشر.....ص.17.

1.تطور أدب الرحلة.....ص.17.

2.تطور أدب الرحلة منتصف القرن التاسع عشر.....ص.18.

3. التاريخ والنقد في فرنسا القرن التاسع عشر.....ص.18.

4.الأدب الرومانسي.....ص.19.

ثانياً: إشارات عن الرحلات الفرنسية إلى الجزائر.....ص.19.

1.الرحلات الفرنسية إلى إيالة الجزائر قبل الإحتلال.....ص.20.

2.الرحلات الفرنسية إلى الجزائر ما بعد الإحتلال.....ص.20.

3.البعثات العسكرية.....ص.21.

4. نماذج عن الرحلات الفرنسية إلى إيالة الجزائر.....ص.21.

القسم الأول: الرحلة إلى الجزائر أثناء فترة الإحتلال الفرنسي تصنيفاتها، وسائلها ومساراتها.....ص.24-115.

الفصل الأول: الرحلة إلى الجزائر.....ص.29-81.

أولاً: الرحلة، مفاهيم وإستوغرافيا.....ص.33.

أ: مفاهيم عن الرحلة، الظهور والتطور لدى المسلمين.....ص.33.

1.المفهوم التاريخي للرحلة.....ص.34.

2.ظهور وانتشار الرحلة في التاريخ الإسلامي.....ص.35.

3.المفهوم الأدبي للرحلة.....ص.38.

4.تطور التأليف في أدب الرحلة.....ص.38.

5. أهم الدراسات في أدب الرحلة.....ص.39.
- ب: قراءة في أدبيات الرحلة، الرحلة، الإكتشاف والآخر لدى الغرب.....ص.40.
1. الأدب والرحلة وإكتشاف الآخر.....ص.41.
2. قراءات في أدب الرحلة.....ص.43.
3. أدب الرحلة والذاتية.....ص.43.
4. الرحالة.....ص.43.
5. الرحالة الفرنسيون والمجتمع الشرقي.....ص.44.
6. تصنيف الرحلات الفرنسية حسب الدراسات.....ص.45.
7. أهداف الرحلة.....ص.46.
- ج. مرسليليا، بوابة الشرق.....ص.47.
- ثانيا: الرحلات المصدريية وتصنيفها.....ص.47.
- أ: الرحلات الرسمية للمستوطنة.....ص.48.
1. رحلات الموظفين الرسميين والسياسيين ورجال الدين.....ص.48.
- 1 . 1 . الرحالة إيكزافيي مرميي "Xavier Marmier" رحلة رسمية في مرافقة للوزير.....ص.49.
- 1 . 2 . رحلة "آرنست فايديو" Ernest-Aimé Feydeau "رحلة رسمية في مرافقة الإمبراطور.....ص.49.
- 1 . 3 . رحلة الصحفي "بول بورد" "Paul Bourde" الرسمية في مرافقة الوفد البرلماني.....ص.51.
- 1 . 4 . الرحالة "دوفونتراس" "Armand Trumet De Fontarce" مكلف بمهمة وزارية إلى بسكرة.....ص.52.
- 1 . 5 . رحلة محافظ مكتبة الجزائر آدريان باريريقي Adrien Berbrugger الرسمية.....ص.53.
- 1 . 6 . رحلة الكاتب السياسي كلاماجرون، "Clamageran".....ص.53.
- 1 . 7 . الرحالة "شارل نوديي" "Charles Nodier 1781-1844".....ص.53.
- 1 . 8 . الرحالة "إسماعيل إيربان" "Ismayl Urbain 1812-1884".....ص.54.
- 1 . 9 . الرحلة الدينية للأسقف سوشي L'Abbé Suchet.....ص.55.
- 1 . 10 . الرحالة الزائر الأب "جان إيرابيال" "L'Abbé Jean Hurabielle".....ص.56.
- 1 . 11 . رحلة "تيلي جيل" "Tellier Jules".....ص.56.
- 1 . 12 . الرحالة "أندريه جيد" "André Gide 1869-1951".....ص.57.
2. الرحلات الإستكشافية العلمية والعسكرية.....ص.57.
- 2 . 1 . قوتبيي دومي آدونسون ليون Doumet –Adanson, Léon Gautier.....ص.57.

- 2 . 2 . الضابط الطبيب راس Louis-Jean-Max.Reuss ص.58.
- 2 . 3 . الضابط الطبيب جون بيار بونافون Jean-Pierre Bonnafont ص.58.
- 2 . 4 . الطبيب بوديشون Bodichon ص.59.
- ب: الرحلات الخاصة.....ص.60.
1. رحلات الأدباء، الرسامين والمثقفين.....ص.60.
- 1 . 1 . "جون لوران" "Jean Lorrain" في إفريقيا، "ساعات إفريقية" "Heures d'Afrique".....ص.60.
- 1 . 2 . قيسطاف فلوبر Gustave Flaubert ص.61.
- 1 . 3 . الإخوة قونكور "Les Frères Goncourt" ص.62.
- 1 . 4 . "بيار لوتي" "Pierre Loti" ص.64.
- 1 . 5 . "ألفونس دودي" "Alphonse Daudet" ص.65.
- 1 . 6 . "أليكسندر دي ما" Alexandre Dumas ص.66.
- 1 . 7 . "قيسطاف بولونجي" Gustave Boulanger ص.67.
- 1 . 8 . "أوجان فرومونتان" "Eugène Fromentin" ص.67.
- 1 . 9 . "قاي دي موباسون" "Guy de Maupassant" ص.70.
- 1 . 10 . رحلة الفنان الأديب الكاتب والرسام "تيوفيل قوتيي" "Théophile Gautier" ص.71.
- 1 . 11 . "ألاكسي دي طوكفيل" Alexis-Henri-Charles Clérel de Tocqueville ص.72.
- 1 . 12 . "هوراص فارني" "Horace Vernet" ص.73.
- 1 . 13 . "أوجان دولاكروا" "Eugène Delacroix" ص.74.
- 1 . 14 . رحلة أليكسندر فيليكس راو "Alexandre-Félix, Ratheau" ص.75.
- 1 . 15 . الكاتب "بينال آرموند" "Pignel, Armand" ودليله المفصل عن الجزائر ص.75.
- 1 . 16 . رحلة آرثير كلاباراد "Arthur de Claparède" ص.76.
- 1 . 17 . كتابات آرنست مارسسي "Ernest Mercier" ص.76.
- 1 . 18 . رحلة جبل فارن "Jules Verne" ص.76.
- 1 . 19 . رحلة الكاتبة المثقفة لويس ريجيس "Louis Regis" ص.77.
- 1 . 20 . رحلة الكاتب المثقف "كيفير فلوري" "Cuvillier-Fleury" ص.77.
- 1 . 21 . رحلة الكاتب "هانري دروي" "Henri Drouet" ص.78.
- 1 . 22 . الرحالة "إيدا سانت-آلم" "Ida Saint-Elme 1778-1845" ص.79.

23. 1 . الرحالة "جون مورياس" "Jean Moréas 1910-1856".....ص.79.
- 1 . 24 . الرحالة "إيزابيل إيبيرهارد" "Esabelle Eberhardt 1877-1904".....ص.80.
- 1 . 25 . الرحالة "لويس برترن" "Louis Bertrand 1866-1941".....ص.81.
- 1 . 26 . الرحالة "ماري-آن دي بوفي" "Marie-Anne De Bovet 1860-1935".....ص.81.
- 2.رحلات العامة.....ص.81.
- الفصل الثاني: دليل ومسار ووسائل نقل الرحلات.....ص.82-115.
- أولاً: القواميس وكتب الجولة.....ص.84.
- أ: القواميس.....ص.84.
- 1: قاموس هيلو الفرنسي - العربي العربي -الفرنسي.....ص.84.
- ب: كتب الجولة السياحية.....ص.86.
- 1.كتاب الجولة "الجزائر، دليل تطبيقي تعريف بالشوراع مع مخطط لمدينة الجزائر".....ص.86.
- 2-كتاب الجولة "الدليل من باريس إلى العاصمة في الجزائر".....ص.88.
- 3.كتاب الجولة "الجزائر العاصمة، بوفاريك، بلدية وضواحيها".....ص.91.
- ثانياً: طرق ومسار الرحلات.....ص.96.
- أ: الرحلة من فرنسا إلى الجزائر وموانئ الإنطلاق والبواخر.....ص.96.
- 1.الوصول من مركز الإنطلاق باريس إلى مدينة ليون.....ص.97.
2. السفر من مركز مدينة ليون إلى مرسيليا.....ص.98.
- 3.طريق الرحلة من مركز مدينة ليون إلى مركزي الإنطلاق "مرسيليا" و"طولون".....ص.99.
- 4.السفر من مدينة "أفينيون" "Avignon" إلى مركز الإنطلاق مرسيليا.....ص.100.
- 5.الوصول إلى مرسيليا "Marseille" مركز الإنطلاق إلى مستوطنة الجزائر.....ص.100.
- 6.الوصول إلى طولون "Toulon" مركز الإنطلاق إلى مستوطنة الجزائر.....ص.101.
- 7.تأشيرات جواز السفر والإنطلاق.....ص.102.
- 8.مسار الرحلة بحرا عبر البحر المتوسط باتجاه مستوطنة الجزائر.....ص.104.
- ب. مسارات الرحلة في مستوطنة الجزائر.....ص.106.
- 1: الرحالة ووسائل النقل داخل المستوطنة.....ص.106.
- 1.1.العربات الإفريقية.....ص.106.
- 1 . 2. قطار السكة الحديدية.....ص.107.

- 2 . الرحلات الداخلية في المستوطنة.....ص.108.
- 2 . 1 . فضاءات الراحة.....ص.108.
- 2 . 2 . جولة في بعض المنتجعات السياحية.....ص.110.
- 2 . 3 . أهم محطات الزيارة في المستوطنة عبر القطار.....ص.111.
- 2 . 3 . 1. السفر من وهران إلى الجزائر العاصمة.....ص.111.
- 2 . 3 . 2 . السفر من الجزائر العاصمة إلى قسنطينة.....ص.112.
- 2 . 3 . 3 . طريق السفر إلى الأغواط.....ص.112.
- 2 . 3 . 4 . جولة في القطار في ضواحي العاصمة.....ص.114.
- ج . رحلة العودة إلى فرنسا.....ص.114.
- القسم الثاني: المجتمع المحلي والإستشراق في كتابات الرحلة.....ص.116-179.
- الفصل الأول: الجزائر والاستشراق.....ص.119-149.
- أولاً: كتابات الرحلة والاستشراق.....ص.121.
- أ . الرحلة وموجة الإستشراق: تحليل وقراءات.....ص.121.
- 1.الكشوفات الجغرافية وبداية الطريق إلى الشرق.....ص.121.
- 2.بدايات الإستشراق.....ص.123.
- 3.الوصول للشرق: صدمة اللقاء الأول.....ص.124.
- 4.الإجراءات الأولية بعد الوصول.....ص.125.
- ثانياً: الجزائر الشرق الحقيقي بالنسبة للفنانين والعلماء الفرنسيين.....ص.126.
- أ. صور الجزائر بين اللوحات الفنية والكتابات الروائية.....ص.126.
- 1.فرومونتان والجزائر بين الصورة والنص الرحلي.....ص.126.
- 2."هوراص فارني" "Horace Vernet" رسام "الزماله" الأرض الموعودة لموهبته.....ص.132.
- 3."قاي دي موباسون" "Guy De Maupassant" وصورة الجزائر بلاد الشمس والمتعة.....ص.133.
- ب. صور البيئة والسكان المحليين في الصحراء من خلال الرحلات الإستكشافية والبعثات العلمية.....ص.135.
- 1.الرحالة الفرنسيين وإستكشاف الصحراء الجزائرية، وأهم المستكشفين في القرن التاسع عشر من خلال كتاب النقيب "ليون لوهيرو" "Léon Leheraux".....ص.135.
- 2.الدراسات والرحلات الرسمية والفردية للصحراء، نماذج عن دراسات "دوماس"، وبعثات "بول صوليبي" و"فلاتير"، وأبحاث علماء الأحياء والجغرافيين كالعالم الإحيائي "سبيثزبارغ" والجغرافي "الضابط لوش".....ص.140.
- دراسات "دوماس" "Daumas".....ص.141.

- بعثات "بول صوليي" "Paul Soleillet".....ص.141.
- بعثات "فلاثير" "Le Lieutenant-Colonel Flatters".....ص.142.
- العالم الإحيائي "سبيثزارغ" في الصحراء، مراحل عالم طبيعي".....ص.144.
- الجغرافي "الضابط لوش" "Le Commandant Loche" وكتاباتة عن التاريخ الطبيعي للجزائر.....ص.144.
- 3.المجتمع المحلي بالصحراء من خلال البعثات الإستكشافية والعلمية، نموذجي بني مزاب والشعانية من خلال الرحالة الجغرافي هنري ديفاييري Henry Duveyrier.....ص.146.
- الفصل الثاني: السكان المحليين في نظر الرحالة الفرنسيين : صور وإنطباعات عن المحلي وفضول الآخر..ص.150-179.
- أولاً: مظاهر الحياة الإجتماعية بالجزائر من خلال كتابات الرحلة.....ص.152.
- أ: فضاءات المتعة للرجل المحلي.....ص.152.
- 1.حي السلاط بالمدينة العتيقة بقسنطينة: حي المتعة وفضاء التنوع والإمتزاج.....ص.152.
- 2.بيوت المتعة في الأحياء العتيقة لقسنطينة.....ص.153.
- ب: فضاءات المتعة للمرأة الحضرية من خلال اللقاءات والترفيه.....ص.153.
- 1.ترفيه وفرجة عربية: حفلة نسوية، غناء، رقص، عرض للأزياء وتجارة.....ص.154.
- 2.حي بنات أولاد نايل.....ص.154.
- ج: المقابر والأضرحة، صور وإسقاطات.....ص.156.
- 1.المقابر الإسلامية: صور المقبرة بين الموتى والزوار.....ص.156.
- 2.الأضرحة والسكان المحليين: رمزية روحية وتعليم ديني.....ص.157.
- د. الإحتفالات المحلية.....ص.158.
- 1.إحتفال الربيع.....ص.158.
- 2.إحتفال القديس كلود صورة من صور الإندماج الإقتصادي للسكان الأهالي.....ص.159.
- ثانياً: السكان المحليين في عيون الرحالة الفرنسيين.....ص.160.
- أ.المرأة المحلية والرحالة الفرنسيين.....ص.160.
- 1.صورة المرأة المحلية والنشاط الإقتصادي: نموذج فاطمة مرآة المجتمع الحضري الداخلي، عارضة للباس، نموذج للرسم ومثال للمرأة والتجارة.....ص.161.
- 2.صورة المرأة المحلية ومعاناة بيع الجسد، نموذج لتفكك القيم المجتمعية بسبب الإستعمار الفرنسي: نونة، سولايمة وفتيات القصبة.....ص.163.
2. 1. نموذج نونة فتاة تباع جسدها الهزيل في بسكرة.....ص.163.
2. 2. نموذج سولايمة فتاة للبيع في الغرب الجزائري من خلال كتابات بيار لوتي.....ص.164.
2. 3. نموذج نساء القصبة الثلاث، صورة عن الآثار السلبية للإحتلال على أوضاع الجزائريين.....ص.166.

3. صورة المرأة المربطة، نموذج لالة زينب بين التصوف والتسامح الديني من خلال كتابات الرحلة.....ص.167.
4. صورة المرأة والبئر: من نموذج جون لوران إلى دي لأكروا.....ص.172.
5. صورة ونشاط المرأة الصحراوية، بين الإلتزام الأسري والإندماج المجتمعي.....ص.173.
6. صورة عن لباس الحضريات من خلال نموذج فاطمة لـ"جون لوران".....ص.174.
- ب. صور الأطفال في الجزائر المستعمرة بين الإستحسان والمتعة والإستغلال والإستهجان.....ص.175.
- ج. صور الرجل المحلي بين التشويه عن المقاوم والإعجاب بالمرافق المتعاون.....ص.177.
- القسم الثالث: الموروث الحضاري للجزائر من خلال كتابات الرحلة.....ص.180-279.
- الفصل الأول: العمران والموروث الثقافي في الجزائر.....ص.184-247.
- أولاً: المدينة بين الوصف وسحر الشرق، نماذج عن مختلف مناطق البلاد في كتابات الرحالة الفرنسيين.....ص.187.
- أ. نماذج مدن محلية في عيون الرحالة الفرنسيين.....ص.187.
1. مدينة الجزائر، المدينة الكوسموبوليتية وأهم أحياءها.....ص.187.
2. مدينة مليانة في كتابات الرحالة "ألفونس دودي" و"لويس فايو".....ص.189.
3. البلدة مدينة الورود.....ص.196.
4. مدينة قسنطينة في كتابات الرحلة، صور متعددة ما بين مدينة الضباب والدبابة والغريان.....ص.196.
5. المسيلة في كتابات الرحلة، جوانب عن عمران وأثنوبولوجية المدينة في كتابات بول أودال، إيزابال إيبيرهارد وجارتريد.....ص.200.
6. وهران المدينة الكوسموبوليتية.....ص.206.
7. تلمسان مدينة الأمراء والجذب ما بين الأطفال والأطال.....ص.206.
8. مدينة سيدي بلعباس مركز متقدم للقوات الفرنسية في الغرب الجزائري.....ص.207.
9. مستغانم المدينة الفرنسية.....ص.208.
10. بسكرة اللذيذة مدينة السماء الأزرق من خلال الرحالة "تيال أوليدون" "Niel, Odilon"، والرحالة "ألفريد بارودون" "Alfred Baraudon".....ص.209.
11. الأغواط المدينة التي جذبت الرحالة والمستكشفين، وألهمت الرسام "أوجان فرومونتان".....ص.212.
- ب. صور ذات أبعاد إقتصادية وسياحية عن سحر الصحراء.....ص.214.
1. صورة الصحراء من خلال القوافل التجارية والأهمية الإقتصادية.....ص.214.
2. النظرة الميثولوجية للصحراء في مخيلة الرحالة والإسقاط الرمزي لصورة البحار والمحيطات على الصحراء.....ص.215.
3. صورة رحلات الصيد والمتعة.....ص.216.
4. سباق المهري صورة من صور الجذب السياحي.....ص.216.
5. الصحراء، صورة للخرجات والتتزه.....ص.217.

- 6.صحراء بسكرة منتجع شتوي للتخييم والتداوي.....ص.217.
- ج.نماذج لمرافق حياتية بالمدينة.....ص.219.
1. المقاهي العربية وفضاءات المتعة، نماذج بالحي العتيق بقسنطينة والأغواط.....ص.219.
2. الحمامات، بعض النماذج بالمدن كالعاصمة وقسنطينة وفضاءات الإسترخاء والمداواة.....ص.221.
3. الحلاق.....ص.222.
- 4.مرافق أخرى بالمدينة.....ص.223.
5. البيت العربي، بعض الصور عن داخل البيوت في البيئة الصحراوية.....ص.224.
- ثانيا: معالم تاريخية للمدن المحلية وأثر التغير العمراني بعد الاحتلال.....ص.225.
- أ.المدن الأثرية "الميتة"، نماذج من الحضارة المحلية.....ص.225.
- 1.المنصورة.....ص.226.
- 2.تيمقاد.....ص.226.
3. جسر القنطرة معلم بسكرة التاريخي.....ص.227.
- ب.أهم المعالم العمرانية والتاريخية المحلية بالبلاد.....ص.227.
1. قصبة الجزائر معلم جذب تاريخي للرحالة.....ص.228.
2. المدينة العربية بمستغانم.....ص.228.
- 3.المدينة العتيقة بالأغواط.....ص.228.
- 4.المدينة العتيقة ببسكرة.....ص.229.
5. قصر أحمد باي معلم أثري وحضاري لمدينة قسنطينة.....ص.229.
- 6.حديقة السيد لوندون "Landon" بمدينة بسكرة صورة الصحراء الخضراء.....ص.236.
7. قرية الزنوج ببسكرة.....ص.236.
- 8.القصور والموروث العمراني والحضاري في الصحراء الجزائرية.....ص.236.
- ج. الإستعمار الفرنسي وتغيير المعالم العمرانية.....ص.242.
- 1.الإستعمار الفرنسي والتغير العمراني لمدينة الجزائر.....ص.242.
2. بسكرة بين الإرث العمراني العتيق والتغير الكولونيالي.....ص.243.
- 3.الأغواط بين التخريب والتحديث بعد دخول الاحتلال الفرنسي.....ص.245.
- 4.الفنادق الواجبة المستحدثة بالمدن الصحراوية.....ص.247.
- الفصل الثاني: الموروث الديني والبيئي في الجزائر.....ص.248-279.
- أولا: الموروث الديني من خلال قراءات في الطرقية والسياحة الدينية.....ص.250.
- أ. الطريقة العيسوية وعولمة الثقافة المحلية.....ص.250.
1. الطريقة العيسوية في كتابات الرحالة الفرنسيين بين الصورة النمطية والميثولوجية.....ص.250.
1. الرحالة الكاتب "شارل كارثورون" "Charles Carteron".....ص.253.
1. 2. الرحالة الكاتب "شارل جوردون" "Charles Jourdan".....ص.253.
1. 3. الرحالة الكاتب "ألفريد بارودون" "Alfred Baraudon".....ص.253.
1. 4. الرحالة الكاتبة "لويس ريجيس" "Louis Régis".....ص.255.
- 2.الطريقة العيسوية ودورها في التعريف بالثقافة المحلية من خلال السياحة الكولونيالية.....ص.256.

2. 1. الرحالة الكاتب "بول أودال" "Paul Eudel".....ص.256.
2. 2. الرحالة الكاتب "دو فونتراس" "Armand Trumet De Fontarce".....ص.256.
2. 3. الرحالة الكاتب "إميل ماسكوري" "Émile Masqueray".....ص.257.
2. 4. الرحالة الكاتب "هنري دروي" "Drouet Henri".....ص.258.
2. 5. الرحالة الكاتب "إدوارد دالاس" "Édouard Dallès".....ص.259.
- ب. القديس أوغسطين والسياحة الدينية.....ص.260.
1. القديس أوغسطين وطريق الحج إلى هيبون.....ص.260.
2. رحلة حج الرحالة الكاتبة Mme Marie Noël إلى هيبون.....ص.262.
3. صورة القديس أوغسطين في كتابات الرحلة لرجال الدين.....ص.267.
3. 1. القديس أوغسطين من خلال رئيس أساقفة كامبري "L'Archevêque de Cambrai".....ص.267.
3. 2. القديس أوغسطين من خلال رئيس الدير سيثي "L'Abbé Suchet".....ص.268.
3. 3. القديس أوغسطين من خلال رئيس الدير ليون سيبور "M. l'abbé Léon Sibour".....ص.269.
- ثانيا: الموروث البيئي والإستعمار الفرنسي.....ص.270.
- أ. الحيوانات البرية ما بين الثقافة الشعبية والواقع الإستعماري.....ص.271.
1. الأسود والنمور في الفلكلور والثقافة الشعبية لسكان البلاد.....ص.271.
2. الأسود والنمور في البلاد أثناء الاحتلال الفرنسي.....ص.273.
3. الأسود معالم جغرافية.....ص.274.
- ب. شهادات الرحالة عن عمليات الصيد المنظم للأسود من قبل المستوطنين والضباط الفرنسيين.....ص.275.
1. أشهر الصيادين الفرنسيين للأسود في البلاد.....ص.276.
2. رحلات الصيد.....ص.277.
3. دور الاحتلال الفرنسي في إنقراض الأسود ومختلف الحيوانات البرية.....ص.278.
- القسم الرابع: الآخر والتأريخ المحلي.....ص.280-339.
- الفصل الأول: نظرة الآخر للأهالي بين الصراع التاريخي وفضول الإكتشاف وحتمية التواصل.....ص.283-307.
- أولاً: نظرة الآخر.....ص.285.
- أ. نظرة الغرب للشرق.....ص.285.
1. نظرة خيالية ومادية ما بين الشرق في صورة ألف ليلة وليلة والشرق المترف.....ص.285.
2. النظرة الفوقية وغير العادلة والذاتية ما بين صورة الإختلاف والغربة والسلبية والمغالاة في الحكم على الأهالي.....ص.286.

3. النظرة الكلاسيكية والمصطنعة ما بين الشرق المريض والنظرة المضادة والمشوهة للشرق.....ص.289.
- ب: نظرة الشرق للغرب.....ص.291.
1. نظرة الشرقيين للرحالة الغربي: الآخر، "الغريب".....ص.291.
2. صورة إيحائية عن الأوروبيين والآخر: "حيوانات عرض أم حيوانات مفترسة".....ص.291.
3. الرحالة الغربي طبيب في نظر الشرقيين.....ص.292.
- ثانيا: الخطاب الكولونيالي وإقصاء الآخر.....ص.293.
- أ. الصورة والتواصل.....ص.300.
1. صورة الأهل.....ص.300.
2. الآخر في ظل التواصل.....ص.303.
3. حاجز اللغة والتواصل بين الغرب والشرق، نقل الصورة بداية "مهمة مدمرة".....ص.304.
- ب. العلاقات والصدام.....ص.305.
1. الصدمة الثقافية.....ص.305.
2. علاقات الثقافة العربية والغربية.....ص.306.
3. قراءة في التسلسل التاريخي لعلاقة الشرق والغرب وتطورها.....ص.307.
- الفصل الثاني: دور الرحلة في توثيق التاريخ المحلي.....ص.308-339.
- أولاً: الرحلة والتأريخ.....ص.310.
- أ. الرحالة بين ذاتية الإبداع الأدبي والحقيقة التاريخية.....ص.310.
1. أدب الرحلة بين الرواية الأدبية والحقيقة التاريخية وتعميم كتابة التاريخ.....ص.310.
2. الرحلة والتوثيق من منظور نجمة بن عاشور وقراءة عن الكتاب الرحالة لمدينة قسنطينة.....ص.314.
3. قراءة في حركية الرحلة لمستوطنة الجزائر.....ص.315.
- ب. الجزائر ما بين الإستشراق والنظرة الإستعمارية.....ص.317.
1. قراءة عن مستوطنة الجزائر وكتابات الرحلة ما بين الفكر الأدبي والكولونيالي.....ص.318.
2. فكرة لاتينية الجزائر في كتابات الرحلة في بدايات القرن العشرين.....ص.320.
3. الرحالة المتأخرون بدايات القرن العشرين ومحاولات إحياء الإستشراق.....ص.322.
- ثانيا: الرحلة بين الصورة الفوطوغرافية والبطاقة البريدية واللوحة الفنية.....ص.326.
- أ. الصور الفوطوغرافية ونص الرحلة.....ص.326.
1. الرحالة والصورة الفوطوغرافية.....ص.326.

2. الصورة الفوطوغرافية والتوثيق.....	ص.327.
3.تفاعل الصورة الفوطوغرافية مع نص الرحلة والحقيقة التاريخية.....	ص.329.
ب.البطاقة البريدية والموضوعية التاريخية.....	ص.331.
1.البطاقات البريدية ما بين التصوير والخيال الجنسي الإستعماري.....	ص.331.
2.البطاقات البريدية والصور الفوطوغرافية المبتذلة والمشوهة عن المرأة المحلية.....	ص.332.
3.صورة المرأة المحلية ما بين المغالطات والواقع من خلال اللوحات الفنية.....	ص.335.
الخاتمة.....	ص.340-353.
الملاحق.....	ص.354-399.
قائمة المصادر والمراجع.....	ص.400-412.
أ. قائمة المصادر باللغة العربية.....	ص.401.
ب. قائمة المصادر باللغة الأجنبية.....	ص.401-407.
ج. قائمة المراجع باللغة العربية.....	ص.407-408.
د. قائمة المراجع باللغة الأجنبية.....	ص.408-409.
هـ. قائمة المذكرات باللغة العربية.....	ص.409.
و. قائمة المذكرات باللغة الأجنبية.....	ص.409.
A. Les Revues.....	ص.409-410.
B. Articles et sites électroniques.....	ص.410-412.
C. Pages Internet.....	ص.412.
D. Les Journaux.....	ص.412.
E. Les Annales.....	ص.412.
F. Les Guides Touristiques.....	ص.412.
G. Les Catalogues.....	ص.412.
H. Les Dictionnaires.....	ص.412.
فهارس الأعلام والبلدان والمصطلحات والملاحق.....	ص.413-449.
أ. فهرس الأعلام والبلدان.....	ص.414-427.
1.فهرس الأعلام باللغة العربية.....	ص.414-418.
2.فهرس الأعلام باللغة الأجنبية.....	ص.418-421.

3. فهرس البلدان والأماكن باللغة العربية.....ص.421-426.
4. فهرس البلدان والأماكن باللغة الأجنبية.....ص.426-427.
- ب. فهرس المصطلحات والملاحق.....ص.427-449.
1. فهرس المصطلحات باللغة العربية.....ص.427-446.
2. فهرس المصطلحات باللغة الأجنبية.....ص.446-447.
3. فهرس الملاحق.....ص.447-449.
- فهرس الموضوعات.....ص.450-462.

الملخص:

باللغة العربية.

باللغة الإنجليزية.

باللغة الفرنسية.

ملخص.

بعد إحتلال الجزائر أصبحت "المستوطنة الحلم" فضول كل الفرنسيين الذين يرغبون في زيارتها وعيش تجربة الشرق خاصة مع تنامي ظاهرة الإستشراق والرحلة إلى الشرق، كما كانت جزء من الصراع الإستعماري الإمبريالي، فكانت الجزائر ملاذا لرواد التيارات الأدبية والفكرية والسياسية والعامة من مختلف البلدان، فزار الجزائر أدباء ومتقنين وسياسيين رسميين ورجال دين كتبوا عنها ودونوا إنطباعاتهم ومشاهداتهم، ورغم التباين الذاتية إلا أنهم ألفوا كتابات كانت بمثابة تأريخ توثيقي يحتاج إلى الغرلة والتمحيص.

وساهم أدب الرحلة في التأريخ المحلي، إذ قدم النص الرحلي واللوحات واقع المجتمع، وكان لها تأثير في الجذب السياحي للبلاد والتعريف برموزها، وترتبط دقة وموضوعية هذه الكتابات بتنوع الرحالة وتوجهاتهم الفكرية والسياسية، وبالتالي يمكن القول أن لهذه الرحلات جوانب تاريخية رغم الذاتية والإنطباعية والخيال الأدبي ويمكن إعتبارها مصادر لكتابة تاريخ الجزائر الإجتماعي، دون أن ننسى التأثير السلبي للخطاب الكولونيالي السائد في تلك الفترة.

وتجمع دراستنا لكتابات الرحلة والمجتمع المحلي الأدب بالتاريخ وتساعد على التأريخ لكن بين الذاتية والموضوعية، التخيل والواقع، الأنا والآخر، المُستعمر والمُستعمر، ويصعب غرلة وتمحيص المادة الخبرية وإستنباط الجانب التاريخي بسبب المحتوى الأدبي التاريخي، ونعتمد على المنهج التاريخي العلمي والتوثيق الموضوعي لبناء صورة ورصدها بشكل يسمح لنا بتحريرها وتفكيكها من النظرة الكولونيالية التي نظرت للآخر بعنصرية، كما عمل الإستعمار على الربط التاريخي للمستوطنة بالغرب من خلال البحث في الآثار والتاريخ القديم لتبرير "مهمة تاريخية" ومهمة تحضير الأهالي، وركزت على الآثار الرومانية الموجودة بالبلاد، في نشر النظرية الإستعمارية لإثبات فكرة لاتينية ومسيحية الجزائر قديما أو كما يعبر عنه "بالجزائر اللاتينية".

وعن طرق الرحلة كانت بحرية تنطلق من مدينة مرسيليا إلى مستوطنة الجزائر لعدة أيام، وعند الوصول تبدأ الرحلات الداخلية وتعددت مساراتها عبر القطار من المدن الساحلية إلى الداخلية والصحراوية أين يبدأ الرحالة في تدوين ملاحظته في طريق الرحلة، وتطورت الرحلة بشقيها في فرنسا بظهور كتب الدليل السياحي

التعريف بطرق وحيثيات ومسار الرحلة وظهور شركات سياحية خدماتية خاصة في المجال والشق الثاني بإنتشار الخدمات التي يقدمها الأهالي للرحالة في إشارة إلى نشاط إقتصادي دخيل.

وعمل الرحالة على الإشهار للمستوطنة وتأمين جهود إدارة الإحتلال وتمجيد التوسع الإستعماري وجذب الفرنسيين ودعمهم، وبالتالي الترويج للسياسات الإستعمارية والإستيطانية بالمستوطنة، وركزوا في كتاباتهم على فئات المجتمع، مع رصد مكونات الهوية المحلية من دين ولغة وعادات وتقاليد، وكان لبروز مظاهر الإحتلال الفرنسي في مشاهد الحياة اليومية تأثير سلبي على صورة الشرق في المجتمع المحلي التي كان يبحث عنها الرحالة عموماً، كما عمل الإحتلال على ربط صورة الجزائر بالشرق الساحر مستغلاً النساء والأطفال المحليين للترويج للسياحة والإستيطان وخلق ظاهرة النابليات بين البغاء والرقص في المقاهي، كذلك ظهور مفاهيم وممارسات بين النساء المحليات كموضة العرض للرسامين والزوار وفتح البيوت للزائرين الرحالة وتقديم القهوة وعرض اللباس والحلي والزينة والحفلات المحلية التي يحضرها الأجانب في فعل إقتصادي جلب مداخيل للمرأة في ظل الإحتلال الفرنسي الذي دمر البنى التحتية للمجتمع الجزائري المحلي وأفقده وحد من مداخيله ككل من "فاطمة" المرأة الحضرية العارضة بأحياء القصبة و"زيدانة" ببوسعادة ، فأصبحت الجزائر مستوطنة للسياحة الإستكشافية والإستجمامية والجنسية في إطار موجة الإستشراق ونشاط الرحلة والحركة الفنية كالكتابة والرسم خاصة الذي كان يستلهم مواضيعه من المرأة والمجتمع المحلي.

وما يمكن قوله أنه رغم التنوع الثقافي عانى المجتمع المحلي الجزائري من الإستعمار الفرنسي خاصة من الإجتثاث الثقافي بإعتبار أن الهوية المحلية تعرضت للتمزيق والتشتيت وكان عليه المحافظة على قيمه الدينية والإجتماعية ومواجهة التغريب الفرنسي لمقومات الهوية.

Abstract of the Thesis in English Language

After the occupation of Algeria, the "dream colony" became the curiosity of all French people who wanted to visit it and live the experience of the Orient, especially with the growing phenomenon of Orientalism and the trip to the East, because it was part of the colonial-imperialist conflict.

Writers, intellectuals, official politicians and clergymen wrote about it and recorded their impressions and observations and Despite the variance and subjectivity, they wrote writings which served as documentary history which needs be examined and classified.

Travel literature has contributed to local history, as travel text and paintings have presented the reality of society, and have had an impact on the country's tourist attractions and the definition of its symbols, Consider them as sources for writing the social history of Algeria, without forgetting the negative aspects, the impact of the dominant colonial discourse at that time.

Our study of travel writings and the local community mixes literature and history and help with history, but between subjectivity and objectivity, imagination and reality, the ego and the other, the colonizer and the colonized, a point of view that viewed the other with racism, as colonialism worked to link historical settlement to the West by seeking antiquities and ancient history to justify a "historical mission" and the task of civilizing the people, and focused on the country's Roman monuments, by disseminating the colonial theory to prove a Latin and Christian idea of ancient Algeria, or as it is expressed in "Latin Algeria".

And as for the terms of the trip, it was initially free from the city of Marseille to the colony of Algeria for several days, and on arrival, the domestic trips begin and their varied routes via the train of the cities coastal inland and desert, where the traveler begins to note the path of the journey, the ways, the circumstances and the itinerary of the journey, Thus the emergence of private tourist service companies in the field, and the second part with the dissemination of services offered by the natives to travelers, in reference to an intruder economic activity.

The travelers wanted to publicize the colony, to promote the efforts of the occupation administration, to glorify colonial expansion, to attract and support the French, and thus to promote colonial and colonization policies in the colony. A negative impact on the image of the Orient in the local community that travelers generally sought out, and the occupation tried to link the image of Algeria to the charm of the Orient, exploiting women and children premises to promote tourism and the installation and creation of the phenomenon of Ouled-Nailes women between prostitution and dance in the Moorish cafes, Thus the emergence of concepts and practices among local women, such as the fashion of exhibiting to painters and visitors, of opening houses to travellers, of offering coffee, of displaying clothes, ornaments and decorations, and local festivals attended by foreigners in an economic act that brought income to women under the French occupation that destroyed the infrastructure of local Algerian society, impoverished it and limited its income in its together, Fatma, the Moorish model woman in the neighborhoods of La Kasbah and "Zidana" in Bousaada, Algeria a colony of exploratory, recreational and sexual tourism as part of the wave of Orientalism and the activity of travel and artistic movement such as writing and drawing, whose themes were inspired by women and the local community.

What can be said is that despite the cultural diversity, the local Algerian community suffered from French colonialism, especially cultural vestiges, considering that the local identity was torn and dispersed, and that it had to preserve its religious and social values and confront the French Westernization of identity elements.

Résumé de la Thèse en Langue Française.

Après l'occupation de l'Algérie, la « colonie de rêve » est devenue la curiosité de tous les Français qui souhaitaient la visiter et vivre l'expérience de l'Orient, notamment avec le phénomène croissant de l'orientalisme et le voyage vers l'Orient, car elle faisait partie du conflit colonial-impérialiste.

Des écrivains, des intellectuels, des politiciens officiels et des ecclésiastiques ont écrit à ce sujet et ont noté leurs impressions et leurs observations et Malgré la variance et la subjectivité, ils ont écrit des écrits qui ont servi d'histoire documentaire qui a besoin d'être examinée et classée.

La littérature de voyage a contribué à l'histoire locale, car le texte de voyage et les peintures ont présenté la réalité de la société, et ont eu un impact sur les attractions touristiques du pays et la définition de ses symboles, Considérez-les comme des sources pour écrire l'histoire sociale de l'Algérie, sans oublier les aspects négatifs, l'impact du discours colonial dominant à cette époque.

Notre étude des écrits de voyage et de la communauté locale mêle littérature et histoire et aide à l'histoire, mais entre subjectivité et objectivité, imaginaire et réalité, l'ego et l'autre, le colonisateur et le colonisé, point de vue qui regardait l'autre avec racisme, alors que le colonialisme travaillait à relier le peuplement historique à l'Occident en recherchant des antiquités et de l'histoire ancienne pour justifier une «mission historique» et la tâche de civiliser le peuple, et se concentrait sur les monuments romains du pays , en diffusant la théorie coloniale pour prouver une idée latine et chrétienne de l'ancienne Algérie, ou telle qu'elle s'exprime en « Algérie latine ».

Et pour ce qui est des modalités du voyage, c'était au départ libre de la ville de Marseille vers la colonie d'Algérie pendant plusieurs jours, et à l'arrivée, les voyages intérieurs commencent et leurs trajets variés via le train des villes côtières vers l'intérieur et le désert, où le voyageur commence à noter le chemin du voyage, les voies, les circonstances et l'itinéraire du voyage, Ainsi l'émergence d'entreprises privées de services touristiques sur le terrain, et la deuxième partie avec la diffusion

des services proposait par les indigènes aux voyageurs, en référence à une activité économique intrus.

Les voyageurs ont voulu faire connaître la colonie, à valoriser les efforts de l'administration d'occupation, à glorifier l'expansion coloniale, à attirer et à soutenir les Français, et ainsi à promouvoir les politiques coloniales et de colonisation dans la colonie. Un impact négatif sur l'image de l'Orient dans la communauté locale que les voyageurs recherchaient en général, et l'occupation a essayé de lier l'image de l'Algérie au charme de l'Orient, exploitant les femmes et les enfants locaux pour promouvoir le tourisme et l'installation et la création du phénomène de femmes des Ouled-Naïles entre prostitution et danse dans les cafés Maures. Ainsi l'émergence de concepts et de pratiques chez les femmes locales, telles que la mode d'exposer aux peintres et aux visiteurs, d'ouvrir des maisons aux voyageurs, d'offrir du café, d'exposer des vêtements, des ornements et des décorations, et des fêtes locales auxquelles assistent des étrangers dans un acte économique qui a apporté des revenus aux femmes sous l'occupation française qui a détruit l'infrastructure de la société algérienne locale, l'a appauvrie et a limité ses revenus dans son ensemble. Fatma, la femme modèle Mauresque dans les quartiers de La Kasbah et "Zidana" à Bousaada, en Algérie une colonie de tourisme exploratoire, récréatif et sexuel dans le cadre de la vague de l'orientalisme et de l'activité du voyage et du mouvement artistique comme l'écriture et le dessin, dont les thèmes ont été inspirés par les femmes et la communauté locale.

Ce que l'on peut dire, c'est que malgré la diversité culturelle, la communauté locale algérienne a souffert du colonialisme français, notamment des vestiges culturels, considérant que l'identité locale était déchirée et dispersée, et qu'elle devait préserver ses valeurs religieuses et sociales et affronter l'Occidentalisation française des éléments identitaires.